

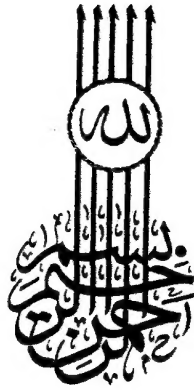
صِفَةُ الصَّفْوَةِ

لِلْإِمَامِ
أَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْجَوَازِيِّ
٥١٠ - ٥٩٧ هـ

تَحْقِيقُ
أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ

الْمَجْزُؤُ الْأَوَّلُ

دَارُ الْحَدِيثِ
الْقَاهِرَةُ



صِفَاتُ الصَّفْوَةِ

جميع حقوق الطبع محفوظة للناسر

اسم الكتاب : صفة الصفة

اسم المؤلف : الإمام ابن الجوزي

اسم المحقق : أحمد علي

القطع : ١٧ × ٢٤ سم

عدد الصفحات : ٥٩٢ صفحة ج ١

عدد المجلدات : مجلدان

سنة الطبع : ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٩ م

رقم الإيداع : ٧٠٦٤ / ٢٠٠٩ م

الترقيم الدولي : ٦ - ٢٨٩ - ٣٠٠ - ٩٧٧



6 222007 701214

طبع . نشر . توزيع



١٤٠ شارع جهر القناد أمام جامعة الأزهر كاتيفون : ٢٥٨٩٩٤٠٩ / ٢٥٩١٨٧١٩ / ٢٥٩١٩٦٩٧ فاكس : ٢٥٩١٩٦٩٧

www.darelhadih.com

E-mail: info@darelhadih.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المصنف

ابن الجوزي

اسمه ونسبه:

هو جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حماد بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله ابن الفقيه عبد الرحمن ابن الفقيه القاسم بن محمد ابن خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق، القرشي التيمي البكري، البغدادي الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف.

نشأته العلمية:

قال الذهبي: توفي أبوه وله ثلاثة أعوام فربته عمته، وأقاربه كانوا تجاراً في النحاس، فربما كتب اسمه السَّماع عبد الرحمن بن علي الصَّقَّار. ثم لما ترعرع حملته عمته إلى ابن ناصر، فأسمعه الكثير، وأحب الوعظ، ولهج به، فوعظ الناس وهو صبي، ثم ما زال نافقَ السُّوقَ مُعْظَمًا مُتَغَالِيًا فيه، مزدحمًا عليه، مضروبًا برونق وعظه المثل، كماله في ازدياد واشتهار.

شيوخه:

سمع من أبي القاسم بن الحصين، وأبي عبد الله الحسين بن محمد البار، وعلي بن عبد الواحد الدينوري، وأحمد بن أحمد المتوكل وإسماعيل بن أبي صالح المؤذن، والفقيه أبي الحسن بن الزعفراني وهبة الله بن الطبر الحريري، وأبي غالب بن البناء، وأبي بكر محمد ابن الحسين المزرفي، وأبي غالب محمد بن الحسن الماوردي، وأبي القاسم عبد الله بن محمد الأصبهاني الخطيب، والقاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري وإسماعيل بن السمرقندي ويحيى بن البناء، وعلي بن الموحد وخلق غيرهم.

تلامذته:

ولده صاحب العلامة محيي الدين يوسف أستاذ دار المستعصم بالله، وولده الكبير علي

الناسخ، وسبطه شمس الدين يوسف بن قزغلي الحنفي صاحب «مرآة الزمان» والحافظ عبد الغنى، والشيخ موفق الدين بن قدامة، وابن الديبشي وابن التجار، وابن خليل، والضياء، والبلداني، والنجيب الحراني، وابن عبد الدايم، وخلق سواهم.

مصنفاته:

«المغنى» فى التفسير، «الوجوه والنظائر» فى اللغة «فنون الأفنان»، «جامع المسانيد» «الحداثق»، «نقى النقل»، «عيون الحكايات»، «التحقيق فى مسائل الخلاف»، «مشكل الصحاح»، «الموضوعات» «الواهيات»، «الضعفاء»، «تلقيح الفهوم»، «الانتصار فى الخلافيات»، «مشهور المسائل»، «اليواقيت»، «نسيم السحر»، «المنتخب»، «المدهش»، «أخبار الأخبار»، «أخبار النساء»، «مثير العزم الساكن»، «المقعد المقيم» «صيد الخاطر»، «الأذكياء»، «الظرفاء»، «منافع الطب»، وغيرها الكثير، فإن مصنفات ابن الجوزى تبلغ المئات.

محنته:

قال الذهبي: وقد نالته محنة فى أواخر عمره، وَوَشَّوْاْ به إلى الخليفة الناصر عنه بأمر اختلف فى حقيقته، فجاءه من شتمه وأهانته، وأَخَذَهُ قَبْضًا باليد وختم على داره وشتت عياله، ثم أقعد فى سفينة إلى مدينة واسط، فحبس بها فى بيت حرج، وبقي هو يغسل ثوبه، ويطبخ الشئ، فبقى على ذلك خمس سنين ما دخل فيها حمامًا، قام عليه الركن عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر، وكان ابن الجوزى لا ينصف الشيخ عبد القادر، ويغض من قدره، فأبغضه أولاده، ووزر صاحبه ابن القصاب، وقد كان الركن ردىء المعتقد، متفلسفًا، فأحرقت كتبه بإشارة ابن الجوزى، وأخذت مدرستهم فأعطيت لابن الجوزى، فانسمَّ الركن، وقد كان ابن القصاب الوزير يترفض فأتاه الركن، وقال: أين أنت عن ابن الجوزى الناصبي، وهو أيضًا من أولاد أبى بكر، فصرف الركن فى الشيخ فجاء وأهانته، وأخذه معه فى مركب، وعلى الشيخ غلالة بلا سراويل، وعلى رأسه تخفيفة، وقد كان ناظر واسط شيعيًا أيضًا، فقال له الركن: مكنتى من هذا الفاعل لأرميه فى مطمورة فزجره، وقال: يا زنديق، أفعل هذا بمجرد قولك، هات خط أمير المؤمنين، والله لو كان على مذهبي لبذلت روحى فى خدمته، فرد الركن إلى بغداد.

وكان السبب فى خلاص الشيخ أن ولده يوسف نشأ واشتغل وعمل فى هذه المدة الوعظ

وهو صبي، وتوصل حتى شفعت أم الخليفة وأطلقت الشيخ، وأتى إليه ابنه يوسف فخرج وما ردّ من واسط حتى قرأ هو وابنه بتلقيه بالعشر على ابن الباقلاني، وسن الشيخ نحو الثمانين، فانظر إلى هذه الهمة العالية.

وفاته:

توفي ليلة الجمعة بين العشاءين الثالث عشر من رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة في داره بقطُفتا، فرحمه الله رحمة واسعة.

عملنا في هذا الكتاب:

- ١- قمنا بفضل الله بمطابقة أكثر من نسخة مطبوعة لاستكمال ما قد يوجد من سقط بين النسخ وبعضها البعض.
 - ٢- خرجنا الآيات القرآنية الواردة في ثنايا النص وجعلناها بين أقواس في نفس السطر حتى لا نثقل الكتاب بالكثير من الحواشي.
 - ٣- قمنا بتخريج الأحاديث النبوية الواردة في خلال النص مع الحكم على درجة صحة الحديث بحسب ما تيسر لنا من مراجع.
 - ٤- قمنا بالتعريف بالكثير من الأعلام من أصحاب التراجم أو من غيرهم.
 - ٥- قمنا بوضع شرح مبسط لما قد يصعب فهم معناه من بعض الكلمات، كما عرفنا ببعض البلدان والأنهار الوارد ذكرها في أثناء الكتاب.
- وبعد فأرجو المولى جل في علاه أن يتقبل منا عملنا هذا وأن يجازينا عنه خير الجزاء، وأن يتجاوز عن زلاتنا، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير.
- والله الموفق، ، ،

المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن

قال الشيخ، الإمام، العالم، العلامة ... الأعلام، لسان المتكلمين، أوجد العلماء العاملين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي رحمه الله: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، حمداً إذا قابل النعم وفي، وسلاماً إذا بلغ المصطفين شفى، وخص الله بخاصة ذلك نبينا المصطفى، ومن احتذى حذوه من أصحابه وأتباعه واقتفى، وفقنا لسلوك طريقهم فإنه إذا وفق كفى.

كتاب «حلية الأولياء»:

أما بعد، فإنك أيها الطالب الصادق، والمريد المحقق لما نظرت في كتاب «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصبهاني أعجبك ذكر الصالحين والأخيار، ورأيت دواء لأدواء النفس، إلا أنك شكوت من إطالته بالأحاديث المسندة التي لا تليق به، ويكلام عن بعض المذكورين كثير قليل الفائدة، وسألتني أن أختصره لك وأنتقي محاسنه؛ فقد أعجبنى منك أنك أصبت في نظرك، إلا أنه لم يكشف لك كل الأمور، وأنا أكشفه لك فأقول:

مساوئه:

اعلم أن كتاب «الحلية» قد حوى من الأحاديث والحكايات جملة حسنة إلا أنه تكدر بأشياء وفاته أشياء.

فالأشياء التي تكدر بها عشرة:

الأول: أن هذا الكتاب إنما وضع لذكر أخبار الأخيار، وإنما يراد من ذكرهم شرح أحوالهم، وأخلاقهم؛ ليقترن بها السالك، فقد ذكر فيه أسماء جماعة ثم لم ينقل عنهم شيئاً من ذلك، ذكر عنهم ما يروونه عن غيرهم، أو ما يسندونه من الحديث، كما ملأ ترجمة «هشام بن حسان» بما يروى عن «الحسن» وتلك الحكايات ينبغي أن تدخل في ترجمة الحسن لا في ترجمة هشام، وكذلك ملأ ترجمة جعفر بن سليمان بما يروى عن مالك بن دينار ونظرائه، ولم يذكر له عنه شيئاً.

والثاني: أنه قصد ما يتقل عن الرجل المذكور، ولم ينظر: هل يليق بالكتاب أم لا؟ مثل ما ملأ ترجمة «مجاهد» بقطعة من تفسيره، وترجمة «عكرمة» بقطعة من تفسيره، وترجمة «كعب الأحبار» بقطعة من التوراة، وليس هذا بموضع هذه الأشياء.

والثالث: أنه أعاد أخبارا كثيرة، مثل ما ذكر في ترجمة «الحسن البصرى» من كلامه، ثم أعاده في تراجم أصحابه الذين يروون كلامه، وذكر في ترجمة «أبى سليمان الداراني» من كلامه، وأعاده في ترجمة «أحمد بن أبى الحواري» بروايته عن أبى سليمان.

والرابع: أنه أطال بذكر الأحاديث المرفوعة التي يرويها الشخص الواحد؛ فينسى ما وضع له ذكر الرجل من بيان آدابه وأخلاقه، كما ذكر شعبة وسفيان ومالك وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل وغيرهم، فإنه ذكر عن كل واحد من هؤلاء من الأحاديث التي يرويها مرفوعة جملة كثيرة، ومعلوم أن مثل كتابه الذى يقصد به مداواة القلوب إنما وضع لبيان أخلاق القوم لا الأحاديث، ولكل مقام مقال، ثم لو كانت الأحاديث التي ذكرها من أحاديث الزهد اللاتفة بالكتاب لقرب الأمر، ولكنها من كل فن، وعمومها من أحاديث الأحكام والضعاف، أو لو كان اقتصر على الغريب من روايات المكثرين، أو رخم ما يرويه المقلون، كما روى عن الجنيد أنه لم يسند إلا حديثا واحدا - لكان ذكر مثل هذا حسنا، لكنه أمعن فيما لا يتعلق ذكره بالكتاب.

والخامس: أنه ذكر في كتابه أحاديث كثيرة باطلة وموضوعة، فقصده بذكرها تكثير حديثه، وتنفيق رواياته، ولم يبين أنها موضوعة، ومعلوم أن جمهور المائلين إلى التبرر يخفى عليها الصحيح من غيره؛ فستر ذلك عنهم غش من الطبيب لا نصيح.

والسادس: السجع البارد فى التراجم، الذى لا يكاد يحتوى على معنى صحيح خصوصا فى ذكر حدود التصوف.

والسابع: إضافة التصوف إلى كبار السادات، كأبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، والحسن، وشريح، وسفيان، وشعبة، ومالك، والشافعى، وأحمد، وليس عند هؤلاء القوم خبر من التصوف.

فإن قال قائل: إنما عنى به الزهد فى الدنيا وهؤلاء زهاد.

قلنا: التصوف: مذهب معروف عند أصحابه لا يقتصر فيه على الزهد، بل له صفات وأخلاق يعرفها أربابه، ولولا أنه أمر زيد على الزهد ما نقل عن بعض هؤلاء المذكورين ذمه، فإنه قد روى أبو نعيم فى ترجمة الشافعى - رحمة الله عليه - أنه قال: «التصوف مبنى على

الكسل، ولو تصوف رجل أول النهار لم يأت الظهر إلا وهو أحرق» وقد ذكرت الكلام فى التصوف ووسعت القول فيه فى كتابى المسمى بـ «تلبس إبليس».

والثامن: أنه حكى فى كتابه عن بعض المذكورين كلاماً أطال به لا طائل فيه، تارة لا يكون فى ذلك الكلام معنى صحيح كجمهور ما ذكر عن «الحارث المحاسبى» و «أحمد بن عاصم» وتارة يكون ذلك الكلام غير اللائق بالكتاب، وهذا خلل فى صناعة التصنيف، وإنما ينبغى للمصنف أن ينتقى فيتوقى، ولا يكون كحاطب ليل، فالنطاف العذاب تروى لا البحر.

والتاسع: أنه ذكر أشياء عن الصوفية لا يجوز فعلها، فربما سمعها المبتدئ القليل العلم فظنها حسنة فاحتذاها، مثل ما روى عن أبى حمزة الصوفى أنه وقع فى بئر فجاء رجلان فطمأها، فلم ينطق حملاً لنفسه على التوكل بزعمه، وسكوت هذا الرجل فى مثل هذا المقام إعانة على نفسه، وذلك لا يحل، ولو فهم معنى التوكل لعلم أنه لا ينافى استغاثته فى تلك الحال، كما لم يخرج رسول الله ﷺ من التوكل بإخفائه الخروج من مكة، واستجاره دليلاً، واستكثامه، واستكفائه ذلك الأمر، واستتاره فى الغار، وقوله لسراقة: أخف عنا.

فالتوكل الممدوح لا ينال بفعل محذور، وسكوت هذا الواقع فى البئر محذور عليه، وبيان ذلك أن الله عز وجل قد خلق للأذى آلة يدفع بها عن نفسه الضرر وآلة يجتلب بها النفع، فإذا عطلها مدعيًا للتوكل كان جهلاً بالتوكل، ورداً لحكمة الواضع؛ لأن التوكل إنما هو: اعتماد القلب على الله سبحانه، وليس من ضرورته قطع الأسباب، ولو أن إنساناً جاع فلم يأكل، أو احتاج فلم يسأل، أو عرى فلم يلبس، فمات دخل النار؛ لأنه قد دُل على طريق السلامة فإذا تقاعد عنها أعان على نفسه.

وقد أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا محمد بن . . . قال أخبرنا أبو نعيم، أحمد ابن عبد الله قال: حدثنا محمد بن العباس بن أيوب، قال: حدثنا عبد الرحمن بن يونس الرقى قال: حدثنا مطرف بن مازن عن الثورى قال: «من جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار».

قلت: ولا التفات إلى أبى حمزة فى حكايته . . . «فجاء أسد فأخرجنى» فإنه إن صح ذلك فقد يقع مثله اتفاقاً، وقد يكون لطفاً من الله تعالى بالعبد الجاهل، ولا ينكر أن يكون الله تعالى لطف به، إنما ينكر فعله الذى هو كسبه، وهو إعانته على نفسه التى هى وديعة الله تعالى عنده وقد أمر بحفظها.

وكذلك روى عن الشبللى أنه كان إذا لبس ثوباً خرقة، وكان يحرق . . . والخبز والأطعمة

التي يتفجع به الناس بالنار، فلما سئل عن هذا احتج بقوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ وهذا في غاية القبح، لأن سليمان عليه السلام نبي معصوم فلم يفعل إلا ما يجوز له، وقد قيل في التفسير: إنه مسح على نواصيها وسوقها، وقال: أنت في سبيل الله، وإن قلنا: إنه عقرها، فقد أطعمها الناس، وأكل لحم الخيل جائز، فأما هذا الفعل الذي حكاه عن الشبلي فلا يجوز في شريعتنا؛ فإن رسول الله ﷺ نهى عن إضاعة المال، وحكى عنه لما مات ولده خلق لحيته وقال: قد جرت أمه شعرها على مفقود أفلا أحلق أنا لحيتي على موجود؟! إلى غير ذلك من الأشياء السخيفة الممنوع منها شرعا.

والعاشر: أنه خلط في ترتيب القوم؛ فقدّم من ينبغي أن يؤخّر، وأخر من ينبغي أن يُقدّم، فعل ذلك في الصحابة وفيمن بعدهم، فلا هو ذكرهم على ترتيب الفضائل، ولا على ترتيب الموالي، ولا جمع أهل كل بلد في مكان، وربما فعل هذا في وقت ثم عاد فخلط، خصوصا في أواخر الكتاب، فلا يكاد طالب الرجل يهتدى إلى موضعه.

ومن طالع كتاب هذا الرجل ممن له أنس بالنقل انكشف له ما أشرت إليه.

وأما الأشياء التي فاتته فأهمها ثلاثة أشياء:

أحدها: أنه لم يذكر سيد الزهاد وإمام الكل، وقدوة الخلق، وهو نبينا ﷺ فإنه المُتَّبَع طريقه المُقْتَدَى بحاله.

والثاني: أنه ترك ذكر خلق كثير قد نقل عنهم من التعبد والاجتهاد الكبير، ولا يجوز أن يحمل ذلك منه على أنه قصد المشتهرين بالذكر دون غيرهم، فإنه قد ذكر خلقا لم يعرفوا بالزهد، ولم ينقل عنهم شيء، وربما ذكر الرجل فأُسند عنه أبيات شعر فحسب؛ ففعله يدل على أنه أراد الاستقصاء، وتقصيره في ذلك ظاهر.

والثالث: أنه لم يذكر من عواید النساء إلا عددا قليلا، ومعلوم أن ذكر العابدات مع قصور الأنوثة، يوثب المقصر من الذكور؛ فقد كان سفيان الثوري ينتقع برابعة ويتأدب بكلامها.

الدافع إلى تأليف «صفة الصفوة»:

وقد حداني جدك، أيها المريد، في طلب أخبار الصالحين وأحوالهم أن أجمع لك كتابا يغنيك عنه، ويحصل لك المقصود منه، ويزيد عليه بذكر جماعة لم يذكرهم، وأخبار لم ينقلها، وجماعة ولدوا بعد وفاته، وينقص عنه بترك جماعة قد ذكرها، فبعضها لا ينبغي التشاغل به، وبعضها لا يليق بالكتاب على ما سبق بيانه.

فصل

فى بيان وضع كتابنا والكشف عن قاعدته

وضع كتاب «الصفوة» وطريقته:

لما كان المقصود بوضع مثل هذا الكتاب ذكر أخبار العاملين بالعلم، الزاهدين فى الدنيا، الراغبين فى الآخرة، المستعدين للنقلة بتحقيق اليقظة، والتزود الصالح، ذكرت من هذه حاله دون من اشتهر بمجرد العلم ولم يشتهر بالزهد والتعبد.

ولما سميت كتابى هذا «صفة الصفوة» رأيت أن أفتحه بذكر نبينا محمد ﷺ فإنه صفوة الخلق وقدوة العالم.

فإن قال قائل: فهلا ذكرت الأنبياء قبله؛ فإنهم صفوة أيضاً؟.

فالجواب: أن كتابنا هذا إنما وضع لمدواة القلوب وترقيقها وإصلاحها، وإنما نقل إلينا أخبار آحاد من الأنبياء، ثم لم يتقل فى أخبار أولئك الآحاد ما يناسب كتابنا إلا أن يذكر عن عباد بنى إسرائيل ما حملوا على أنفسهم من التشديد، أو عن عيسى عليه السلام، وأصحابه ما يقتضيه الترهين، وذلك منقسم إلى ما تبعد صحته، وإلى ما نهى عنه فى شرعنا، وقد ثبت أن نبينا ﷺ أفضل الأنبياء، وأن أمته خير الأمم، وأن شريعته حاکمة على جميع الشرائع؛ فلذلك اقتصرنا على ذكره وذكر أمته.

فصل

فى بيان ترتيب كتابنا

أنا أبتدئ بتوفيق الله - سبحانه - ومعونته فأذكر باباً فى فضل الأولياء والصالحين، ثم أردفه بذكر نبينا محمد ﷺ، وشرح أحواله، وآدابه، وما يتعلق به، ثم أذكر المشتهرين من أصحابه بالعلم المقترن بالزهد والتعبد، وآتى بهم على طبقاتهم فى الفضل ثم أذكر المصطفيات من الصحابيات على ذلك القانون، ثم أذكر التابعين ومن بعدهم على طبقاتهم فى بلدانهم.

وقد طفت الأرض بفكرى شرقاً وغرباً، واستخرجت كل من يصلح ذكره فى هذا الكتاب من جميع البقاع، ورب بلدة عظيمة لم أر فيها من يصلح لكتابنا، وقد حصرت أهل كل بلدة

فيها وترتيبهم على طبقاتهم: أبداً بمن يعرف اسمه من الرجال، ثم أذكر بعد ذلك من لم يعرف اسمه، فإذا انتهى ذكرت عابدات ذلك البلد على ذلك القانون، وربما كان في أهل البلد من عقلاء المجانين من يصلح ذكره من الرجال والنساء فأذكره.

وإنما ضبطت هذا الترتيب تسهيلاً للطلب على الطالب، ولما لم يكن بد من مركز يكون كنقطة للدائرة، رأيت أن مركزنا، وهو بغداد، أولى من غيره، إلا أنه لما لم يمكن تقديمها على المدينة ومكة؛ لشرفهما، بدأت بالمدينة؛ لأنها دار الهجرة، ثم نثيت بمكة ثم ذكرت الطائف؛ لقربها من مكة؛ ثم اليمن، وعدت إلى مركزنا (بغداد) فذكرت المصطفين منها، ثم انحدرت إلى المدائن، ونزلت إلى «واسط» ثم إلى البصرة، ثم إلى «الأبلة» ثم «عبادان» ثم «تستر» ثم «شيراز» ثم «كرزمان» ثم «أرجان» ثم «سجستان» ثم «ديبل» ثم «البحرين» ثم «اليمامة» ثم «الدينور» ثم «همدان» ثم «قزوين» ثم «أصبهان» ثم «الري» ثم «دامغان» ثم «بسطام» ثم «نيسابور» ثم «طوس» ثم «هراة» ثم «مرو» ثم «بلخ» ثم «ترمذ» ثم «بخارى» ثم «فرغانة» ثم «نخشب».

ثم ذكرت عباد المشرق المجهولين البلاد والأسماء، فلما انتهى ذكر أهل المشرق عدنا إلى مركزنا، وارتقينا منه إلى المغرب، وقد ذكرنا أهل عكبرا ثم الموصل ثم البرقة ثم طبقات أهل الشام ثم المقدسين، ثم أهل جبلة ثم أهل العواصم والثغور، ثم من لم يعرف بلده من عباد أهل الشام، ثم عسقلان، ثم مصر، ثم الإسكندرية، ثم المغرب، ثم عباد الجبال، ثم عباد الجزائر، ثم عباد السواحل، ثم أهل البوادي والفلوات، ثم من لم نعرف له مستقراً من العباد وإنما لقي في طريق، فمنهم من لقي في طريق مكة، ومنهم من لقي بعرفة، ومنهم من لقي في طريق سفر أو طريق سياحة.

ثم ذكرت من لم يعرف له اسم ولا مكان من العباد، ثم ذكرت طرفاً من أخبار بنات صغار تكلمن بكلام العابدات الكبار، ثم ذكرت طرفاً من أخبار عباد الجن فختمت بذلك الكتاب، والله الموفق.

وإنما أنقل عن القوم محاسن ما نقل مما يليق بهذا الكتاب، ولا أنقل كل ما نقل؛ إذ لكل شيء صناعة، وصناعة العقل حسن الاختيار، وكما أني لا أذكر ما لا يصلح، لا أذكر ما لا يصلح أن يقتدى به ممن هو في صورة العلماء والزهاد، وقد تجوزت بذكر جماعة من المتصوفة وردت عنهم كلمات منكورة وكلمات حسان، فانتخب من محاسن أقوالهم، لأن

الحكمة ضالة المؤمن، ومع تنقينا وتوقينا، وحذف من لا يصلح وما لا يصلح، فقد زاد عدد من في كتابنا على ألف شخص، يزيد الرجال على ثمانمائة زيادة بينة، وتزيد النساء على مائتين زيادة كثيرة، ولم يبلغ عدد رجال «الحلية» الذين ذكرت أحوالهم في تراجمهم ستمائة، بل قد ذكر جماعة لم يذكر لهم شيئاً، ولا أظنه ذكر في جميع الكتاب عشرين امرأة.

والى الله سبحانه أرغب فى النفع بكلمات المتقين

واللحوق بدرجات أهل اليقين

إنه ولى ذلك والقادر عليه

باب ذكر فضل الأولياء الصالحين

الأولياء والصالحون هم المقصود من الكون، وهم الذين علموا فعملوا بحقيقة العلم. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بأفضل من أداء ما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته»^(١).

رواه البخاري

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ، عن جبريل، عن ربه عز وجل قال: «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ما ترددت في قبض نفس مؤمن، أكره مساءته ولا بد له منه، وإن من عبادي المؤمنين من يريد باباً من العبادة فأكفه عنه؛ لئلا يدخله عجب فيفسده ذلك، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتنفل حتى أحبه، ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويدا ومؤيداً دعاني فأجبت، وسألني فأعطينه، ونصح لي فنصحت له، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، وإن بسطت حاله أفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، إني أدبر عبادي بعلمي بقلوبهم إني أعلم خبير» ورواه عبد الكريم الجزري عن أنس مختصراً وقال فيه «إني لأسرع شيء إلى نصرته أوليائي، إني لأغضب لهم أشد من غضب الليث الحرب»^(٢).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»^(٣).

وعن عطاء بن يسار: قال موسى عليه السلام: يا رب من أهلك الذين هم أهلك، الذين تظلمهم في عرشك؟ قال: هم البريئة أيديهم، الطاهرة قلوبهم، الذين يتحابون بجلالي، الذين

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «الرقاق» حديث (٦٥٠٢) باب (٣٨) التواضع.

(٢) قال ابن رجب: وقد خرج البزار بعض الحديث من طريق ابن عبد الكريم الجزري.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الصلح» حديث (٢٧٠٣) باب (٨) الصلح في الدنيا، ومسلم في

«كتاب القسامة» حديث (١٦٧٥) باب (٥) إثبات القصاص في الأستان وما في معناها.

إذا ذُكرت ذُكروا، وإذا ذُكروا ذُكرت بذكرهم، الذين يُسبغون الوضوء في المكاره، ينيون إلى ذكرى كما تنيب النور إلى وكورها، ويكلفون بحى كما يكلف الصبى بحب الناس، ويغضبون لمحارمى إذا استحلَّت كما يغضب النمر إذا حرب^(١).

عن وهب بن منبه قال: لما بعث الله موسى وأخاه هارون إلى فرعون قال: لا تعجبكما ريتته، ولا ما متع به، ولا تمدا إلى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا، وزينة المشرفين، ولو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة ليعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما لفعلت، ولكنى أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما، وكذلك أفعل بأوليائى، وقديماً خرت لهم، فإنى لأدودهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة، وإنى لأجنبهم سلوتها وعيشها كما يجنب الراعى الشفيق إبله عن مبارك العرة وما ذاك لهوانهم على، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالماً موفراً لم تكلمه الدنيا، ولم يطغه الهوى.

واعلم أنه لم يتزين العباد بزينة أبلغ فيما عندى من الزهد فى الدنيا، فإنها زينة المتقين، عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود، أولئك هم أوليائى حقاً حقاً، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك، وذلل لهم قلبك ولسانك، واعلم أنه من أهان لى ولياً أو أخافه فقد بارزنى بالمحاربة وبارانى، وعرض لى نفسه ودعانى إليها وأنا أسرع شىء إلى نصرة أوليائى، أفيظن الذى يحاربنى أن يقوم لى؟ أو يظن الذى يعادبنى أن يعجزنى؟ أو يظن الذى يبارزنى أن يسبقنى أو يفوتنى؟ وكيف وأنا الشائر لهم فى الدنيا والآخرة، لا أكل نصرتهم إلى غيرى؟!^(٢).

وعن كعب قال: «لم يزل فى الأرض بعد نوح - عليه السلام - أربعة عشر يدفع بهم العذاب»^(٣) رواه الإمام أحمد.

وعن ابن عسيرة قال: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، قال محمد بن يونس ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين.

(١) ضعيف: أخرجه أحمد فى «الزهد» (ص: ٩٥) وفيه: هشام بن سعد، قال ابن حجر: صدوق له أوهام.

(٢) هذا الخبر من الإسرائيليات.

(٣) صحيح: أخرجه أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (٧ / ٣٣٥) رقم (١٠٧٥٠).

١ - باب ذكر نبينا محمد ﷺ وذكر نسبه^(١)

عن عمير بن حفص السدوسي، قال: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

وأم رسول الله ﷺ: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة.
قلت: وأما نزار فهو ابن معد بن أد بن أدد بن الهميسع بن حمل بن النبت بن قidar بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

ذكر طهارة آبائه وشرفهم:

عن وائلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم^(٢)، واصطفاني من بني هاشم».

ذكر تزويج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب^(٣):

كان عبد المطلب قد خطب آمنة لابنه عبد الله، فزوجها إياه، فبقي معها مدة وجرت له قصة قبل حملها برسول الله ﷺ:

عن أبي فياض البخثعمي، قال: مر عبد الله بن عبد المطلب بامرأة من خثعم يقال لها فاطمة بنت مر، وكانت من أجمل الناس وأشبه وأعف، وكانت قد قرأت الكتب، وكان شباب قريش يتحدثون إليها، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله، فقالت: يا فتى من أنت؟ فأخبرها، فقالت: هل لك أن تقع عليّ وأعطيك مائة من الإبل؟ فنظر إليها وقال:

أما الحرام فالممنات دونه والحل لا حل فأستبينه

كيفية بالأمر الذي تنوينه

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١/ ١١) و «الاستيعاب» (١/ ١٣٣) و «أسد الغابة» (١/ ٢٣) و «البداية والنهاية» (٢/ ٢٣٥) و «تهذيب الكمال» (١/ ٤٤) و «صحيح السيرة النبوية» (ص: ٢٥) و «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٣ - ٢٤).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب الفضائل» حديث (٢٢٧٦) باب (١) والترمذي في «كتاب المناقب» حديث (٣٦٠٥) باب (١) في فضائل النبي ﷺ، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٥، ٤٦) و «أسد الغابة» (١/ ٢٣، ٢٤) و «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٨ - ٢٢) و «الاستيعاب» (١/ ١٣٤).

ثم مضى إلى امرأته أمنة فكان معها.

ثم ذكر الخشمية وجمالها وما عرضت عليه، فلأقبل إليها، فلم ير منها من الإقبال عليه آخرًا كما رآه منها أولاً، فقال: هل لك فيما قلت لى؟ فقالت: «قد كان ذلك مرة فاليوم لا» فذهبت مثلاً، وقالت: أى شىء صنعت بعدى؟ قال: وقعت على زوجتى أمنة بنت وهب، قالت: والله إنى لست بصاحبة زينة، ولكنى رأيت نور النبوة فى وجهك فأردت أن يكون ذلك فى، فأبى الله إلا أن يجعله حيث جعله.

وبلغ شباب قريش ما عرضت على عبد الله بن عبد المطلب وتأييه لها فذكروا ذلك لها فأنشأت تقول:

| | |
|----------------------|------------------------|
| إنى رأيت مخيلة عرضت | فتلالات بحناتم القطر |
| فلمائتها نور يضىء له | ما حوله كإضاءة الفجر |
| فرايته شرفاً أبوء به | ما كل قاذح زنده يورى |
| لله ما زهرية سلبت | ثوبيك ما سلبت وما تدرى |

وقالت أيضاً

| | |
|-------------------------------|---------------------------------------|
| بنى هاشم ما غادرت من أخيكم | أمنية إذ للباه يعتلجان |
| كما غادر المصباح بعد خبوه | فتائل قد ميثت له بدهان |
| وما كل ما يحوى الفتى من تلاده | لحزم ولا ما فاته لتروانى |
| فأجمل إذا طالبت أمراً فإنه | سيكفيكه جدان يصطرعان |
| سيكفيكه إما يد مقفلة | واما يد مبسوطة يبان |
| ولما قضت منه أمانة ما قضت | نبا بصرى عنه وكل لسانى ^(١) |

وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أن هذه المرأة من بنى أسد بن عبد العزى، وهى أخت ورقة بن نوفل، وكذلك قال ابن إسحاق، وقال هى أم قتال، وقال عروة فى آخرين: هى قتيلة بنت نوفل، أخت ورقة^(٢).

(١) ضعيف جداً: أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (١/ ٤٤) فيه هشام بن محمد بن محمد بن السائب - قال الدارقطنى: متروك، وقال ابن عساكر: رافضى ليس بثقة «لسان الميزان» (٦/ ٢٣٧) رقم (٨٩٣٧).
(٢) انظر: «الكامل فى التاريخ» (٢/ ٨)، و«الطبقات الكبرى» (١/ ٤٤)، و«البداية والنهاية» (٢/ ٢٤٥).

وزوى جرير بن حازم عن أبى يزيد المدائنى: أن عبد الله لما مر على الخثعمية رأت بين عينيه نوراً ساطعاً إلى السماء، فقالت: هل لك فى؟ قال: نعم، حتى أرمى الجمرة، فانطلق فرمى الجمرة، ثم أتى امرأته أمّنة، ثم ذكر الخثعمية فأتاها، فقالت: هل أتيت امرأة بعدى؟ قال: نعم، أمّنة، قالت فلا حاجة لى بك، إنك مررت وبين عينيك نور ساطع إلى السماء، فلما وقفت عليها ذهب، فأخبرها أنها حملت بخير أهل الأرض^(١).

ذكر حمل أمّنة برسول الله ﷺ:

روى يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن عمته قالت: كنا نسمع أن أمّنة لما حملت برسول الله ﷺ كانت تقول: ما شعرت أنى حملت، ولا وجدت له ثقلاً كما تجد النساء إلا أنى أنكرت رفع حيسى، وأتانى آت وأنا بين النوم واليقظة فقال: هل شعرت أنك حملت؟ فكأننى أقول: ما أدرى، فقال: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبىها، وذلك يوم الاثنين، قالت: فكان ذلك مما يقنّ عندى الحمل، فلما دنت ولادتى أتانى ذلك الآتى فقال: قولى أعيذه بالواحد الصمد من شر كل حاسد.

ذكر وفاة عبد الله:

قال محمد بن كعب: خرج عبد الله بن عبد المطلب فى تجارة إلى الشام مع جماعة من قريش، فلما رجعوا مروا بالمدينة وعبد الله مريض فقال: أتخلف عند أخوالى بنى عدى بن النجار، فقام عندهم شهراً، ومضى أصحابه، فقدموا مكة فأخبروا عبد المطلب، فبعث إليه ولده الحارث، فوجده قد توفى ودفن فى دار النابتة، وهو رجل من بنى عدى، فرجع إلى أبيه فأخبره فوجد عليه وجداً شديداً، ورسول الله ﷺ يومئذ حمل، ولعبد الله يوم توفى خمس وعشرون سنة^(٢).

وقد روى عن عوانة بن الحكم أن عبد الله توفى بعدما أتى على رسول الله ﷺ ثمانية وعشرون شهراً، وقيل سبعة أشهر، والقبول الأول أصح، وهو أن رسول الله ﷺ كان حملاً يومئذ، وترك عبد الله أم أيمن، وخمسة أجمال، وقطعة غنم، فورث رسول الله ﷺ ذلك، وكانت أم أيمن تحتضنه.

(١) انظر المراجع السابقة.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٦٠) و«تهذيب الكمال» (١/ ٥٢) و«أسد الغابة» (١/ ٢٣).

و«الاستيعاب» (١/ ١٣٩).

ذكر مولد رسول الله ﷺ:

اتفقوا على أن رسول الله ﷺ ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الأول عام الفيل، واختلفوا فيما مضى من ذلك الشهر لولادته على أربعة أقوال: أحدها: أنه ولد لليلتين خلتا منه، والثاني: لثمان خلون منه، والثالث: لعشر خلون منه، والرابع: لاثنتي عشرة خلت منه.

وروى محمد بن سعد عن جماعة من أهل العلم أن آمنة قالت: لقد علقت به فما وجدت له مشقة، وأنه لما فصل عنها خرج له نور أضواء له ما بين المشرق والمغرب ووقع إلى الأرض معتمدا على يديه.

وقال عكرمة: لما ولدته وضعت برمة فانقلعت عنه، قالت: فنظرت إليه فإذا هو قد شق بصره ينظر إلى السماء^(١).

وقال العباس بن عبد المطلب: ولد رسول الله ﷺ مختونا مسرورا، فأعجب ذلك عبد المطلب وحظى عنده، وقال: ليكونن لابني هذا شأن من شأن فكان له شأن.

وروى يزيد بن عبد الله بن وهب عن عمته: أن آمنة لما وضعت رسول الله ﷺ أرسلت إلى عبد المطلب، فجاءه البشير وهو جالس في الحجر، فأخبره أن آمنة ولدت غلاما، فسر بذلك وقام هو ومن معه فدخل عليها، فأخبرته بكل ما رأت، وما قيل لها، وما أمرت به، فأخذه عبد المطلب، فأدخله الكعبة، وقام عندها يدعو الله ويشكر ما أعطاه، وروى أنه قال يومئذ:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان

وقد ساد في المهد على الغلمان أعيذه بالله ذي الأركان

حتى أراه بالغ البنيان أعيذه من شر ذي شأن

من حاسد مضطرب العيان^(٢)

وفي حديث العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك قال:

قل: «لا يفيض الله فاك»^(٣) فأنشأ يقول:

من قبلها طبت في ظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق

(١) ضعيف: أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٧) من عدة طرق، وكلها لا تخلو من ضعف.

(٢) ضعيف: أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٨).

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣/ ٣٦٩) رقم (٥٤١٧) وقال: هذا حديث تفرد به رواه الأعراب عن آبائهم وأمثالهم من الرواة لا يضعون، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٤٤٦) رقم (١٢٦٨).

ثم هبطت البلاد لا بشر
بل نطفة تركب السفين وقد
تنقل من صالب إلى رحم
حتى احتوى بيتك المهيمن من
وأنت لما ولدت أشرق الأرض
فنحن في ذلك الضياء، وفي
أنت ولا مضافة ولا علق
الجم نسرا وأهله الغرق
إذا مضى عالم أبداً طبق
خندف علياء تحتها النطق
وضوءات بنورك الأفق
النور، وسبل الرشاد نخترق

ذكر أسماء رسول الله ﷺ:

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب^(١) رواه البخاري ومسلم.

وفى أفراد مسلم من حديث أبي موسى قال سمي لنا رسول الله ﷺ نفسه فقال: أنا محمد وأحمد، والمقفى، والماحي، والحاشر، ونبي التوبة والملحمة^(٢) وفى لفظ نبي الرحمة.

وقد ذكر أبو الحسين بن فارس اللغوي^(٣) أن لبنينا ﷺ ثلاثة وعشرين اسماً: محمد وأحمد، والماحي، والحاشر، والعاقب، والمقفى، ونبي الرحمة، ونبي التوبة والملحمة، والشاهد، والمبشر، والبشير، والنذير، والسراج المنير، والضحوك، والقتال، والمتوكل، والفتاح، والأمين، والخاتم، والمصطفى، والنبي، والرسول، والأُمى، والقسم.

والماحي: الذي يمحي به الكفر، والحاشر: الذي يحشر الناس على قدميه، أى: يقدمهم وهم خلفه، والعاقب: آخر الأنبياء، والمقفى: بمعنى العاقب؛ لأنه تبع الأنبياء، وكل شيء تبع شيئاً فقد قفاه، والملاحم: الحروب، والضحوك: لأنه كان طيب النفس فكهاً، وقال: إني لأمزح.

(١) صحيح: أخرجه البخاري فى «كتاب المناقب» حديث (٣٥٣٢) باب (١٧) ما جاء فى أسماء رسول الله ﷺ، ومسلم فى «كتاب الفضائل» حديث (٢٣٥٤، ٢٣٥٥) باب (٣٢) فى أسمائه ﷺ.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم فى «كتاب الفضائل» حديث (٢٣٥٥) باب (٣٤) فى أسمائه ﷺ.

(٣) هو: أبو الحسين بن فارس بن زكريا، كان رأساً فى الأدب، بصيراً بفقهاء مالك، ومذهبه فى النحو على طريقة الكوفيين، توفى سنة (٣٩٥هـ).

(والقشم) من معنيين: أحدهما: من القشم، وهو الإعطاء، يقال قشم له من العطاء يقشم إذا أعطاه، وكان ﷺ أجود بالخير من الريح الهبابة، والثاني: من القشم الذى هو الجمع يقال للرجل الجموع للخير: فتوم وقشم، والله أعلم.

ذكر من أرضعه:

قالت برة بنت أبى تجرة^(١): أول من أرضع رسول الله ﷺ ثوية بلبن ابن لها، يقال له مسروح، أياماً قبل أن تقدم حليلة، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعده سلمة بن عبد الأسد، ثم أرضعته حليلة بنت عبد الله السعدية^(٢).

وعن حليلة ابنة الحارث أم رسول الله ﷺ التى أرضعته، السعدية، قالت: خرجت فى نسوة من بنى سعد بن بكر بن هوازن نلتمس الرضعاء بمكة، فخرجت على أتان لى قمراء قد أدمت بالركب، قالت: وخرجنا فى سنة شهباء لم تبق لنا شيئاً أنا وزوجى الحارث بن عبد العزى، وقالت: ومعنا شارف لنا والله إن تبض علينا بقطرة من لبن، ومعى صبي لنا، والله ما ننام ليلنا من بكائه، ما فى ثديى لبن يغنيه، ولا فى شاربنا من لبن يغذيه، إلا أنا نرجو الخضب والفرج، فلما قدمنا مكة لم تبق منا امرأة إلا عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، وإنما كنا نرجو الكرامة فى رضاعة من نرضع له، من والد المولود، وكان يتيماً ﷺ فقلنا: ما عسى أن تصنع بنا أمه؟ فكننا نأبى حتى لم تبق من صواحبناى امرأة إلا أخذت رضيعاً، غيرى، قالت: فكرهت أن أرجع ولم آخذ شيئاً وقد أخذ صواحبناى؛ فقلت لزوجى الحارث: والله لأرجعن إلى ذلك اليتيم فلاخذه.

قالت: فأتيته فأخذه ثم رجعت به إلى وحلى، قالت: فقال لى زوجى: قد أخذه؟ قلت: نعم، وذلك أنى لم أجد غيره، قال: قد أصبت، عسى أن يجعل الله فيه خيراً.

قالت: والله ما هو إلا أن وضعت فى حجرى فأقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن فشرب حتى روى، وشرب أخوه حتى روى، وقام زوجى الحارث إلى شاربنا من الليل، فإذا هى تحلب علينا ما شئنا، فشرب حتى روى، وشربت حتى رويت، قالت: فبتنا بخير ليلة شباعاً

(١) هى: برة بنت أبى تجرة العبدرية، مكية، ذكر ابن الزبير أن بنى تجرة قوم من كندة قدموا مكة، انظر «الاستيعاب» لابن عبد البر (٤/ ٣٥٥) رقم (٣٢٨٥).

(٢) صحيح: أخرجه ابن سعد فى «الطبقات الكبرى» (١/ ٥٠) وأصل حديث «ثوية» عند البخارى (٥١٠١) ومسلم (١٤٤٩).

رواء، قالت: فقال زوجي: والله يا حليلة ما أراك إلا قد أصبت نسمة مباركة، قد نام صبيانا وقد روينا ورويا.

قالت: ثم خرجنا، قالت: فوالله لخرجت أتانى أمام الركب قد قطعتهم حتى ما يتعلق بها منهم أحد، حتى إنهم ليقولون: ويحك يا بنت الحارث، كفى علينا، أليست هذه أتانك التى خرجت عليها؟ فأقول: بلى والله، فيقولون: إن لها لسانا، حتى قدمنا منازلنا من حاضر منازل بنى سعد بن بكر، قالت: فقدمنا على أجذب أرض الله.

قالت: فوالذى نفس حليلة بيده إن كانوا ليسرخون أغنامهم إذا أصبحوا، وأسرح راعى غنمى وتروح غنمى حقلنا بطانا وتروح أغنامهم جياعا هالكة ما لها من لبن، فنشرب ما شئنا من اللبن، وما من الحاضر من أحد يخلب قطرة ولا يجدها، قالت: فيقولون لرعاتهم: ويلكم ألا تسرحون حيث يسرح راعى غنم حليلة؟ فيسرحون فى الشعب الذى تسرح فيه غنمى وتروح أغنامهم جياعا ما لها من لبن وتروح غنمى حقلنا.

قالت: وكان يشب فى اليوم شباب الصبى فى شهر، ويشب فى الشهر شباب الصبى فى سنة، قالت: فبلغ سنين وهو غلام جفرا، قالت: فقدمنا به على أمه فقلت لها، أو قال لها زوجي: دعى ابنى فلنرجع به؛ فلما نخشى عليه وباء مكة، قالت: ونحن أضن شئ به لما رأينا من بركته ﷺ، فلم نزل بها حتى قالت: ارجعا به، قالت: فمكث عندنا شهرين.

قالت: فبينما هو يلعب يوما من الأيام هو وأخوه خلف البيت إذ جاء أخوه يشتد فقال لى ولأبيه: أدركا أخى القرشى، فقد جاء رجلا فأضجعا فشقا بطنه، قالت فخرجت وخرج أبوه يشتد نحوه فانتھينا إليه وهو قائم ممتقع لونه فاعتنقته واعتنقه أبوه وقال: ما لك يا بنى؟ قال: أتانى رجلا عليهما ثياب بيض فأضجعانى فشقا بطنى، والله ما أدري ما صنعا.

قالت: فاحتملناه فرجعنا به، قالت: يقول زوجي: والله يا حليلة ما أرى الصبى إلا قد أصيب، فانطلقى فلنرده إلى أمه قبل أن يظهر به ما نتخوف عليه، قالت فرجعنا به إلى أمه، فقالت: ما ردكما به، فقد كنتما حريصين عليه؟ فقلنا: لا والله إلا أننا كفلناه وأدبنا الذى علينا من الحق فيه، ثم تخوفنا عليه الأحداث فقلنا: يكون عند أمه، فقالت: والله ما ذاك بكما، فأخبرانى خبركما وخبره، قالت: فوالله ما زالت بنا حتى أخبرناها خبره، قالت أتخوفتما عليه؟ لا والله، إن لابنى هذا شأنا، ألا أخبركما عنه؟ إني حملت به فلم أحمل حملا قط هو أخف

منه ولا أعظم بركة منه، لقد وضعته فلم يقع كما يقع الصبيان، لقد وقع واضعاً يده في الأرض رافعاً رأسه إلى السماء، دعاه والحقاً بشأنكما^(١).

قال الشيخ: وظاهر هذا الحديث يدل أن أمة حملت غير رسول الله ﷺ، وقد قال الواقدي: لا يعرف عن أهل العلم أن أمة وعبد الله ولدا غير رسول الله ﷺ.

فأما حليلة: فهي بنت أبي ذؤيب، واسمه عبد الله بن الحارث بن شحنة بن جابر السعدية، قدمت على رسول الله ﷺ وقد تزوج خديجة، فشكت إليه جذب البلاد، فكلم خديجة، فأعطتها أربعين شاة وأعطتها بعيراً، ثم قدمت عليه بعد النبوة فأسلمت وبايعت، وأسلم زوجها الحارث بن عبد العزى.

قال محمد بن المنكدر: استأذنت امرأة على النبي ﷺ وقد كانت أرضعته، فلما دخلت قال: أمى أمى، وعمد إلى رداءه فبسطه لها فجلست عليه.

فأما «ثوية» فهي مولاة أبي لهب، ولا نعلم أحداً ذكر أنها أسلمت غير ما حكى أبو نعيم الأصفهاني أن بعض العلماء قال: قد اختلف في إسلامها.

وروى الواقدي عن جماعة من أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان يكرم «ثوية» ويصلها وهي بمكة، فلما هاجر كان يبعث إليها بكسوة وصلة، فجاءه خبرها سنة سبع مرجعه من خيبر أنها توفيت.

عن عروة قال: كانت ثوية لأبي لهب، وأعتقها، فأرضعت النبي ﷺ، فلما مات أبو لهب رآه بعض أهله في النوم، قال: ماذا لقيت يا أبا لهب؟ فقال: ما رأيت بعدكم روحاً غير أنى سقيت في هذه منى بعثى ثوية، قال: وأشار إلى بين الإبهام والسبابة.

وقال الشيخ: وقد جاء حديث شرح صدره ﷺ في الصحيح.

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه وشق قلبه، فاستخرج القلب، ثم شق القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك، قال: فغسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه، قال:

(١) حسن: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٤ / ٢١٢) رقم (٥٤٥) وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١ / ٥٢) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٩٤) وانظر «موارد الظمان» (٦ / ٤٣٧) رقم (٢٠٩٤) و«المطالب العالية» (٩ / ٤٠٧) رقم (٤٦٧١).

وجاء الغلمان يسعون إلى أمه، يعني ظئره، فقالوا: إن محمداً قد قتل، قال: فاستقبلوه وهو ممتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره ﷺ (١).

انفرد بإخراجه مسلم وقد ذكرنا أن حليلة أعادته إلى أمه بعد سنتين وشهرين وقال ابن قتيبة: لبث فيهم خمس سنين.

ذكر وفاة أمه آمنة:

لما ردت حليمة أقام رسول الله ﷺ عند أمه آمنة إلى أن بلغ ست سنين ثم خرجت به إلى المدينة إلى أخواله بنى عدى بن النجار تزورهم به ومعها أم أيمن تحضنه، فأقامت عندهم شهرا ثم رجعت به إلى مكة، فتوفيت بالأبواء، فقبورها هنالك، فلما مر رسول الله ﷺ بالأبواء في عمرة الحديبية زار قبرها وبكى (٢).

وأخرج مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي» (٣).

ذكر ما كان من أمره ﷺ بعد وفاة أمه آمنة:

روى محمد بن سعد عن جماعة من أهل العلم، منهم مجاهد والزهرى، أن آمنة لما توفيت قبض رسول الله ﷺ جده عبد المطلب وضمه إليه، ورق عليه رقة لم يرقها على ولده، وقرَّبَه وأدناه، وأن قوماً من بنى مدلج قالوا لعبد المطلب: احتفظ به فإننا لم نر قدما أشبه بالقدم التي في المقام منه، فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء، فكان أبو طالب يحتفظ به، فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظه، ومات عبد المطلب فدفن بالحجون وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وقيل ابن مائة وعشر سنين، ويقال وعشرين سنة (٤).

وسئل رسول الله ﷺ أتذكر موت عبد المطلب قال: نعم، وأنا يومئذ ابن ثمان سنين،

(١) صحيح: أخرجه مسلم في (كتاب الإيمان) حديث (١٦٢) باب (٧٤ - ٧٦) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/ ٥٥).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب الجنائز» حديث (٩٧٦) باب (١١ - ٣٧) نهى النساء عن اتباع الجنائز وغسل الميت، وأبو داود في «كتاب الجنائز» حديث (٣٢٣٤) باب في زيارة القبور.

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/ ٥٥، ٥٦) و«المنتظم في تواريخ الملوك والأمم» (٢/ ٥٠٦).

قالت أم أيمن: رأيت رسول الله ﷺ يومئذ بكى عند قبر عبد المطلب^(١)، وذكر بعض العلماء أنه كان لرسول الله ﷺ يوم موت عبد المطلب ثمان سنين وشهران وعشرة أيام.

ذكر كفالة أبي طالب للنبي ﷺ:

ذكر جماعة من أهل العلم أنه لما توفي عبد المطلب قبض رسول الله ﷺ أبو طالب، وكان يحبه حبا شديداً ويقدمه على أولاده، فلما بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام ارتحل به أبو طالب تاجراً نحو الشام، فنزل «تيماء» فرآه خبر من اليهود يقال له «بحيرا» الراهب^(٢) فقال: مَنْ هذا الغلام معك؟ فقال: ابن أخي، فقال أشفيق عليه أنت؟ قال: نعم، قال: فوالله لئن قدمت به الشام ليقتلنه اليهود، فرجع به إلى مكة.

حديث بحيرا الراهب:

عن داود بن الحصين^(٣)، قال: لما خرج أبو طالب إلى الشام وبها راهب يقال له: «بحيرا» في صومعة له، وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسون، فلما نزلوا ببھيرا - وكانوا كثيراً ما يمرون به لا يكلمهم - حتى إذا كان ذلك العام ونزلوا منزلاً قريباً من صومعته قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا، فصنع لهم طعاماً ثم دعاهم، وإنما حمّله على دعائهم أنه رآهم حين طلّعوا وغمامة تظل رسول الله ﷺ من بين القوم حتى نزلوا تحت الشجرة، ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة، واخضلت أغصان الشجرة على النبي ﷺ حين استظل تحتها، فلما رأى بھيرا ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فأتى به، وأرسل إليهم فقال إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قرش، وأنا أحب أن تحضروه كلكم ولا تخلفوا منكم صغيراً ولا كبيراً، حراً ولا عبداً، فإن هذا شيء تكرموني به، فقال رجل: إن لك لشأناً يا بھيرا، ما كنت تصنع بنا هذا فما شأنك اليوم؟ قال: فأني أحببت أن أكرمكم فلكم حق.

فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحدائنه سنة ليس في القوم أصغر منه، في رحالهم تحت الشجرة، فلما نظر بھيرا إلى القوم فلم ير الصفة التي يعرف ويجدها

(١) ذكر أن أم أيمن قالت: «رأيت رسول الله ﷺ يومئذ يبكي خلف سرير عبد المطلب» وليس كما ذكر هنا أنه بكى عند القبر، انظر «الطبقات الكبرى» (١/ ٥٦)، و «المتنظم في تواريخ الملوك والأسم» (٢/ ٥٠٧).

(٢) سيأتي إن شاء الله.

(٣) هو داود بن الحصين، الفقيه، ثقة إلا في عكرمة فإن روايته عنه منكورة.

عنده، وجعل ينظر فلا يرى الغمامة على أحد من القوم، ورآها متخلفة على رأس رسول الله ﷺ، فقال بحيرا: يا معشر قريش، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي، قالوا: ما تخلف أحد إلا غلام هو أصغر القوم سنا في رحالهم، فقال: ادعوه فليحضر طعامي، فما أقبح أن يتخلف رجل واحد مع أني أراه من أنفسكم، فقال القوم: هو والله أوسطنا نسبا، وهو ابن أخي هذا الرجل، يعنون أبا طالب، وهو من ولد عبد المطلب، فقال الحارث بن عبد المطلب: وكان بنا للوم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام، والغمامة تسير على رأسه، وجعل بحيرا يلحظ لحظا شديدا، وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته، فلما تفرقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه، فقال رسول الله ﷺ: لا تسألني باللات والعزى، فوالله ما أبغضت شيئا بغضهما، قال: فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه، قال: سلني عما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله حتى نومه، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عنده، ثم جعل ينظر بين عينيه، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كفيه على الصفة التي عنده، فقبل موضع الخاتم، وقالت قريش: إن لمحمد عند هذا الراهب لقدر، وجعل أبو طالب - لما يرى من الراهب - يخاف على ابن أخيه، فقال الراهب لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال أبو طالب: ابني، قال: ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فابن أخي، قال فما فعل أبوه؟ قال هلك وأمه حبلى به، قال: فما فعلت أمه؟ قال: توفيت قريبا، قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف لبغنه بغيا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا وما روينا عن آبائنا، واعلم أني قد أديت إليك النصيحة.

فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريعا، وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله ﷺ وعرفوا صفته فأرادوا أن يقتلوه، فذهبوا إلى بحيرا فذاكروه أمره فنهاهم أشد النهي وقال لهم: أتجدون صفته؟ قالوا: نعم، قال: فما لكم إليه سبيل، فصدقوه وتركوه. ورجع به أبو طالب فما خرج به سافرا بعد ذلك خوفا عليه^(١).

(١) حسن: أخرجه الترمذي في «كتاب المناقب» حديث (٣٦٢٠) باب (٣) ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قلت: هو بذلك قد حسن هذا الحديث. والحاكم (٢/ ٦٧٢) رقم (٤٢٢٩) وقال: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قال الشيخ، رحمه الله: وما زال ﷺ في صغره أفضل الخلق مروءة وأحسنهم خلقاً وأصدقهم حديثاً وأبعدهم من الفحش والأذى حتى سماه قومه الأمين.

ذكر رعيه ﷺ الغنم:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم» فقال أصحابه: وأنت؟ قال: «نعم كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة»^(١) انفرد بإخراجه البخاري وقد رواه سويد بن سعيد عن عمرو بن أبي يحيى عن جده سعيد بن أبيحبة، فقال فيه: «كنت أرهاها لأهل مكة بالقراريط» قال سويد بن سعيد: يعني كل شاة بقيراط، وقال إبراهيم الحربي: القراريط موضع، ولم يرد بذلك القراريط من الفضة.

ذكر خروجه ﷺ إلى الشام مرة أخرى:

قد ذكرنا أنه خرج مع أبي طالب وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فلما بلغ خمساً وعشرين سنة قال له أبو طالب: أنا رجل لا مال لي وقد اشتد علينا الزمان، وهذه غير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة تبعت رجلاً من قومك، فلو جئتها. فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك.

وبلغ خديجة ما قال له أبو طالب فقالت: أنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلاً من قومك، فقال أبو طالب: هذا رزق قد ساقه الله إليك.

فخرج مع غلامها ميسرة، وجعل عمومته يوصون به أهل العير حتى قدما «بصرى» من الشام، فتزلا في ظل شجرة، فقال نسطورا الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي، ثم قال لميسرة: أفي عينيه حمرة؟ قال: نعم لا تفارقه، فقال: هو نبي، وهو آخر الأنبياء، ثم باع سلعته فوق عينيه وبين رجل تلاح، فقال له: احلف باللات والعزى، فقال رسول الله ﷺ: ما حلفت بهما قط وإني لأمروء أعرض عنهما، فقال الرجل: القول قولك، وكان ميسرة، إذا كانت الهاجرة واشتد الحر، يرى ملكين يظلان رسول الله ﷺ من الشمس.

ودخل رسول الله ﷺ مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في عليّة لها، فرأت رسول الله ﷺ على بعيره، وملكان يظلان عليه فأرته نساءها فعجب لذلك.

ودخل عليها رسول الله ﷺ فأخبرها بما ربحوا في وجههم فسرت بذلك، فلما دخل

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الإجارة» حديث (٢٢٦٢) باب (٢) رعى الغنم على قراريط، وابن ماجه في «كتاب التجارات» حديث (٢١٤٩) باب (٥) الصناعات.

ميسرة أخبرته بما رأت، فقال: قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام، وأخبرها بما قال الراهب (١).

ذكر تزويج رسول الله ﷺ خديجة:

قالت نفيسة بنت منية (٢): كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، امرأة حازمة، جلدة، شريفة، أوسط قريش نسباً، وأكثرهم مالاً، وكل قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك، قد طلبوها وبذلوا لها الأموال، فأرسلتني دسيساً إلى محمد بعد أن رجع من الشام، فقلت: يا محمد، ما يمنعك أن تزوج؟ فقال: ما بيدي ما أتزوج به، قلت: فإن كُفيت ذلك، ودُعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة، ألا تجيب؟ قال: فمن هي؟ قلت: خديجة، قال: وكيف بذلك؟ قلت: عليّ، قال: وأنا أفعل، فذهبت، فأخبرتها، فأرسلت إليه أن اتل ساعة كذا وكذا، وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد (٣) ليزوجها، فحضر، ودخل رسول الله ﷺ في عمومته فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة.

وقد ذكر بعض العلماء أن أبا طالب حضر العقد ومعه بنو مضر، فقال أبو طالب: «الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضئ معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الأحكام على الناس، ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح به، فإن كان في

(١) ضعيف: أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١ / ٦١) وانظر «المنتظم» (٢ / ٥٢٨).

(٢) قال العبد الفقير: هي: نفيسة بنت أمية، أخت يعلى بن أمية التيمي، وهي هنا منسوبة إلى أمها، انظر «الطبقات الكبرى» (١ / ٦١) و «المنتظم» (٢ / ٥٢٨) و «الاستيعاب» (٤ / ٤٧١) رقم (٣٥٤٠) و «أسد الغابة» (٦ / ٢٨٦) رقم (٧٣١٧).

(٣) قال العبد الفقير: الذي زوجها هو أبوها، كما روى ذلك الطبراني في «الكبير» (١٢ / ١٨٦٠) رقم (١٢٨٣٨، ١٢٨٣٩) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد والطبراني رجال الصحيح.

قال الواقدي: هذا غلط والصحيح عندنا والمحموظ عند أهل النقل أن أباه مات قبل الفجار.

وقال المؤمل كلاماً يشبه كلام الواقدي أيضاً.

والواقدي هو - محمد بن عمر - وهو متروك.

والمؤمل هو - عمر بن أبى بكر - وهو أيضاً متروك كسابقه، والحديث الذى استدلا به لا تقوم حجة، والله أعلم.

المال قل فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها الصداق ما آجله وعاجله من مالى، وهو بعد هذا والله له نبأ عظيم وخطر جليل.

فتزوجها رسول الله ﷺ (١).

ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه:

قال الشيخ: قد ذكرنا أن أمه آمنة رأت عند ولادته نوراً أضاء له المشرق والمغرب وقد روى عنه ﷺ أنه قال: «رأت أمى نوراً أضاءت له قصور الشام» (٢) وقد ذكرنا شق بطنه فى صغره، وحديث ميسرة والراهب، وحديث بحيرا والغمامة التى كانت تظله، والأحاديث فى هذا كثير، إلا أننا نروم الاختصار فلهذا نحذف.

عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال: كنت بذى المجاز، ومعى ابن أخى - يعنى النبى ﷺ - فأدركنى العطش، فشكوت إليه فقلت: يا بن أخى قد عطشت، وما قلت له ذلك وأنا أرى أن عنده شيئاً إلا الجزع، فثنى وركه ثم نزل فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء فقال: «اشرب يا عم» فشربت.

وعن ابن عباس قال: أول شيء رأى النبى ﷺ من النبوة أن قيل له: استتر، وهو غلام، فما رثيت عورته من يومئذ.

وقالت برة بنت أبى تجرة: لما ابتدأه الله تعالى بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتاً ويفضى إلى الشعاب وبطون الأودية، فلا يمر بحجر ولا شجرة إلا قال: «السلام عليك يا رسول الله» فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً.

وعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث، إنى لأعرفه الآن» (٣) رواه الإمام أحمد وانفرد بإخراجه مسلم.

(١) ضعيف: أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (١ / ٦٢)

(٢) أخرجه ابن سعد فى «الطبقات النبوية» (١ / ٧١) من حديث سعد بن أبى وقاص.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٨ / ٣١) رقم (٢٢٧٦) والترمذى (٦ / ١٨) رقم (٢٦٢٤).

فصل

فلما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وثلاثين سنة شهد بنيان الكعبة، وتراضت قريش بحكمه فيها، وكانوا قد اختلفوا فيمن يضع الحجر، فاتفقوا على أن يحكم بينهم أول داخل يدخل المسجد فدخل رسول الله ﷺ فقالوا: هذا الأمين، فقال: هلموا ثوبًا، فوضع الحجر فيه وقال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من نواحيه وأزفعوه جميعًا، ثم أخذ الحجر بيده فوضعه في مكانه (١).

فلما أتت له أربعون سنة ويوم بعثه الله عز وجل وذلك في يوم الاثنين.

ذكر بدء الوحي:

روى مسلم في الصحيح أن النبي ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: «فيه ولدت، وفيه أنزل علي» (٢).

وقد روى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: نزل جبريل على رسول الله ﷺ بالرسالة يوم سبع وعشرين من رجب، هو أول يوم هبط فيه، وقال ابن إسحاق: ابتدئ رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان.

وعن عائشة أنها قالت: أول ما ابتدئ رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يأتي «جبل حراء» فيتحنث فيه، وهو التعبّد، الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى فجئه الحق وهو في «غار حراء» فجاءه الحق فيه فقال: اقرأ، فقال رسول الله ﷺ: فقلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» والحاكم في «المستدرک» وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، انظر «المطالب العالیة» (٩ / ٤٣٥) رقم (٤٦٨٧).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب الصیام» حدیث (١١٦٢) باب (٣٦) استحباب صیام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، وأبو داود في «كتاب الصوم» حدیث (٢٤٥١).

رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ قال: فرجع بها ترجف بواديه حتى دخل على خديجة فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: يا خديجة ما لي؟! فأخبرها الخير، فقال: قد خشيت عليّ، فقالت له: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة أخى أبيها، وكان امرأً تنصراً في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى، فقالت خديجة: أى ابن عم اسمع من ابن أخيك، وقال ورقة: يا بن أخى ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذى أنزل على موسى ﷺ، يا ليتنى فيها جذعا - أكون حيا - حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أوأمخرجى هم؟ فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا.

ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ - فيما بلغنا - حزناً غداً منه مراراً لكى يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقي نفسه منه يبدى له جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه ﷺ؛ فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل عليه السلام فقال مثل ذلك^(١). أخرجاه فى الصحيحين.

وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبى ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي فقال فى حديثه: فيينا أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجثتُ منه رعباً، فجثتُ فقلت: زملوني، فذرّوني، فأنزل الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾^(٢) أخرجاه فى الصحيحين. ومعنى «فجثتُ» فرقتُ، يقال: رجل مجثوث.

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب بدء الوحي» حديث (٣) باب (٣) ومسلم فى «كتاب الإيمان» حديث (١٦٠) باب (٧٣) بدء الوحي.

(٢) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب بدء الوحي» حديث (٤) وأطرافه فى: ٣٢٣٨، ٤٩٢٢، ٤٩٢٣، ٤٩٢٤، ٤٩٢٥، ٤٩٢٦، ٤٩٥٤، ٦٢١٤ ومسلم فى «كتاب الإيمان» حديث (١٦١) باب (٧٣) بدء الوحي.

ذكر كيفية إتيان الوحي إليه ﷺ:

عن عائشة: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ:

فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة: وقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً^(١) أخرجاه في الصحيحين.

وأخرجنا من حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول لعمر: ليتنى أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحي، فلما كان النبي ﷺ بالجعرانة جاءه رجل فسأله عن شيء، فجاءه الوحي، فأشار عمر إلى يعلى أن تعال، فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا هو محمر الوجه يغط كذلك ساعة ثم سرى عنه.

وعن زيد بن ثابت قال: إني قاعد إلى جنب النبي ﷺ يوماً إذ أوحى إليه وغشيته السكينة ووقع فخذه على فخذي حين غشيته السكينة، قال زيد: فلا والله ما وجدت شيئاً قط أثقل من فخذ رسول الله ﷺ، ثم سرى عنه فقال: اكتب يا زيد^(٢).

وفي أفراد البخاري^(٣) من حديث زيد بن ثابت قال: أملى عليّ رسول الله ﷺ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملئها عليّ فقال: والله يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى، فأنزل الله عز وجل على رسوله وفخذه على فخذي، فثقلت عليّ حتى خفت أن تُرَضَّ فخذي، ثم سرى عنه فأنزل الله عز وجل: ﴿غَيْرِ أُولَى الضَّرَرِ﴾.

وقال عبادة بن الصامت: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كرب له وتردد وجهه.

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب بدء الوحي» حديث (٢) باب (٢) ومسلم في «كتاب الفضائل» حديث (٢٣٣٣) باب (٢٢، ٢٣) طيب عرقه ﷺ والتبرك به.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الجهاد والسير» حديث (٢٨٣٢) باب (٣١) قول الله عز وجل:

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولَى الضَّرَرِ...﴾ ومسلم في «الإمارة» حديث (١٨٩٨) باب

(٤٠) سقوط فرض الجهاد عن المعذورين.

(٣) صحيح: انظر المتقدم.

وقال أبو أروى الدوسى: رأيت الوحي ينزل على رسول الله ﷺ وإنه على راحلته فترغو وتفتل يديها، حتى أظن أن ذراعها تنفصم، وربما قامت موثدة يديها حتى يُسرى عنه، من ثقل الوحي، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان.

ذكر رمى الشياطين بالشهب لمبعثه ﷺ:

قال العلماء بالسير: رأت قریش النجوم يرمى بها بعد عشرين يوماً من مبعث رسول الله ﷺ.

عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها فانظروا ما هذا الأمر الذى حال بينكم وبين خبر السماء، قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن سمعوا له فقالوا: هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ وأنزل الله على نبيه: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ۝﴾ (١) أخرجاه فى الصحيحين.

وعنه قال: كان الجن يسمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون عليها عشرا، فيكون ما سمعوه حقا وما زاده باطلا، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك، فلما بعث النبى ﷺ كان أحدهم لا يقعد مقعدة إلا رمى بشهاب يحرق ما أصاب، فشكوا ذلك إلى إبليس فقال: ما هذا إلا من أمر قد حدث، فبث جنوده فإذا هو بالنبى ﷺ يصلى بين جبلى نخلة فأتوه فأخبروه فقال هذا الذى حدث فى الأرض (٢).

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب التفسير» حديث (٤٩٢١) باب (١) تفسير سورة: قل أوحى إلى، ومسلم فى «كتاب الصلاة» حديث (٤٤٩) باب (٣٣) الجهر بالقراءة فى الصحيح والقراءة على الجن، والترمذى (٣٣٢٣).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى فى «كتاب التفسير» حديث (٣٣٢٣) باب (٧٠) ومن سورة الجن، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد فى «المستد» حديث (٢٤٨٢) والطبرانى فى «الكبير» حديث (١٢٤٣١).

قال الشيخ: وهذا الحديث يدل على أن النجوم لم يُرمَ بها قبل مبعث نبينا ﷺ، وقد روينا عن الزهري أنه قال: قد كان يرمى بها قبل ذلك ولكنها غلظت حين بعث النبي ﷺ.

ذكر اعتراف أهل الكتاب بنبوته ﷺ:

قال كعب الأحبار: نجد نعت رسول الله ﷺ في التوراة: محمد بن عبد الله، عبدى المختار، مولده بمكة ومهاجره المدينة، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق.

وعن أبى هريرة قال: أتى رسول الله ﷺ بيت المدراس فقال: أخرجوا إلىَّ أعلمكم، فقالوا: عبد الله بن سوريا، فخلا به رسول الله ﷺ فنأشده بدينه وبما أنعم الله به عليهم وأطعمهم من المن والسلوى، وظللهم به من الغمام: أعلم أنى رسول الله؟ قال: اللهم نعم، وإن القوم ليعرفون ما أعرف، وإن صفتك ونعتك لمبين فى التوراة، ولكنهم حسدوك، قال: فما يمنعك أنت؟ قال: أكره خلاف قومى، وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم.

وعن ابن عباس قال: كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبى ﷺ عندهم قبل أن يبعث، وأن دار هجرته المدينة، فلما ولد رسول الله ﷺ قالت أحبار يهود: ولد أحمد الليلة، فلما نبئ قالوا: قد نبئ أحمد، يعرفون ذلك ويقرُّون به ويصفونه، فما منعهم عن إجابته إلا الحسد والبغى.

وعن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال: كان الزبير بن باطا - وكان أعلم اليهود - يقول: إنى وجدت سِفراً كان أبى يختمه علىَّ، فيه ذكر أن أحمد نبى صفته كذا وكذا، فحدث به الزبير بعد أبيه والنبى ﷺ لم يبعث، فما هو إلا أن سمع بالنبى ﷺ قد خرج إلى مكة، فعمد إلى ذلك السِّفر فمحاها وكتب شأن النبى ﷺ وقال: ليس به.

وعن سلمة بن سلامة بن وقش قال: كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل أن يبعث النبى ﷺ ييسير، حتى وقف على مجلس بنى عبد الأشهل، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا، علىَّ بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلى، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقال ذلك لقوم أهل شرك، أصحاب أوثان لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان، ترى هذا كائنا أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجوزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يحلف به، يود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور فى الدنيا يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه، وأن ينجو من تلك النار غدا، قالوا له: ويحك، وما آية ذلك؟ قال: نبى يبعث من نحو هذه البلاد،

وأشار بيده نحو مكة واليمن، قالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إلى - وأنا من أحدثهم سنا - فقال: إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه.

قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسول الله ﷺ وهو حي بين أظهرنا، فأمنّا به وكفر به بغيا وحسدا، فقلنا: ويلك يا فلان، أأنت الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى وليس به.

ذكر بدء دعاء رسول الله ﷺ الناس إلى الإسلام:

روى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يدعو من أول ما أنزلت عليه النبوة ثلاث سنين مستخفيا ثم أمر بإظهار الدعاء.

وقال يعقوب بن عتبة: كان أبو بكر، وعثمان، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة بن الجراح يدعون إلى الإسلام سرا، وكان عمر وحمزة يدعوان علانية، فغضبت قريش لذلك.

ذكر طرف من معجزاته ﷺ:

اعلم أن معجزات رسول الله ﷺ كثيرة، ونحن نذكر طرفا منها: وأكبر معجزاته الدالة على صدقه: القرآن العزيز، الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يقدرُوا، وكفى به.

عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظروا إليه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»^(١)، أخرجاه في الصحيحين، والروايات في الصحيح بانشقاق القمر عن ابن عمر، وابن عباس، وأنس.

وعن عمران بن حصين قال: كنا في سفر مع رسول الله ﷺ وكنا أسرينا حتى إذا كنا في آخر الليل وقعنا تلك الوقعة، ولا وقعة عند المسافر أحلى منها، قال: فما أيقظنا إلا حر الشمس، وكان أول من استيقظ فلان ثم فلان ثم فلان وكان يسميهم أبو رجاء ونسيهم عوف، ثم عمر بن الخطاب الرابع، وكان رسول الله ﷺ إذا نام لم نوقظه حتى يكون هو يستيقظ لأننا ما ندرى ما يحدث أو حدث له في نومه.

فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس وكان رجلا أجوف جليدا، قال: فكبر ورفع

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب المناقب» حديث (٣٦٣٦) باب (٢٧) سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، ومسلم في «كتاب صفة القيامة» حديث (٢٨٠٠) باب (٨) انشقاق القمر.

صوته بالتكبير، فما زال يكبر ويرفع صوته حتى استيقظ لصوته رسول الله ﷺ، فلما استيقظ رسول الله ﷺ شكوا إليه الذى أصابهم فقال: لا ضير، أو لا يضير، ارتحلوا فارتحل، فسار غير بعيد، ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ، ونودى بالصلاة فصلى بالناس، فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يصل مع القوم فقال: ما منعك يا فلان أن تصلى مع القوم؟ فقال: يا رسول الله أصابتنى جنابة ولا ماء، قال عليك بالصعيد الطيب فإنه يكفيك.

ثم سار رسول الله ﷺ فاشتكى إليه الناس العطش، فنزل فدعا فلانا كان يسميه «أبو رجاء» ونسيه عوف، ودعا عليا عليه السلام فقال: اذهب فابغيا الماء، فذهبا فلقيا امرأة بين مزادتين أو سطيحتين من ماء على بغيرها فقالا لها: أين الماء؟ فقالت: عهدي بالماء أمس هذه الساعة، ونفرنا خلوف، قال: فقالا لها: فانطلقى إذا، قالت: إلى أين؟ قال: إلى رسول الله ﷺ، قالت: هذا الذى يقال له الصابئ؟ قال: هو الذى تعنين فانطلقى، فجاء بها إلى رسول الله ﷺ فحدثاه الحديث، فاستنزلوها عن بغيرها، ودعا رسول الله ﷺ بإناء فأفرغ فيه من أفواه المزادتين أو السطيحتين، وأوكى أفواههما وأطلق العزالى، ونودى فى الناس أن اسقوا واستقوا، فسقى من شاء واستقى من شاء، فكان آخر ذلك أن أعطى الذى أصابته الجنابة إناء من ماء فقال: اذهب فأفرغه عليك، قال: وهى قائمة تنظر ما يفعل بمائها؟ قال: وإيم الله لقد أقلع عنها وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملثة منها حين ابتدئ فيها، فقال رسول الله ﷺ: اجمعوا لها، فجمع لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاما كثيرا وجعلوه فى ثوب وحملوه على بغيرها ووضعوا الثوب بين يديها، فقال لها رسول الله ﷺ: تعلمين والله ما رزأناك من مائك شيئا، ولكن الله جل وعز هو الذى سقانا.

قال: فأتت أهلها وقد احتبست عنهم، فقالوا: ما حبسك يا فلانة؟ قالت: العجب، لقينى رجلان فذهبا بى إلى هذا الذى يقال له الصابئ ففعل بمائى كذا وكذا، فوالله إنه لأسحر من بين هذه وهذه، وقالت بأصبعها الوسطى والسبابة، فرفعتهما إلى السماء - تعنى السماء والأرض - وإنه لرسول الله حقا، قال: فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على ما حولها من المشركين ولا يصيبون الصرم الذى هى منه، فقالت يوما لقومها: ما أدرى هؤلاء القوم الذين يدعونكم عمداً فهل لكم فى الإسلام؟ فطاعوها فدخلوا فى الإسلام^(١). أخرجاه فى الصحيحين.

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان بالزوراء فأتى بإناء فيه ماء لا يغمر أصابعه أو

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب المناقب» حديث (٣٥٧١) باب (٢٥) علامات النبوة فى الإسلام.

قدر ما يوارى أصابعه فأمر أصحابه أن يتوضئوا، فوضع كفه في الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه، حتى توضأ القوم، قال: فقلنا لأنس: كم كنتم؟ قال كنا ثلاثمائة^(١) أخرجاه في الصحيحين.

وعن جابر قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله ﷺ: ما لكم؟ قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب ماء إلا [ما] في ركوتك، فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، قال: فشربنا وتوضأنا، فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة^(٢). أخرجاه في الصحيحين.

وعن أنس بن مالك قال: أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ فبينما رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة إذ قام أعرابي فقال: يا رسول الله - ﷺ - هلك المال، وجاع العيال؛ فادع الله لنا أن يسقينا، فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قرعة، فثار سحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأينا المطر يتحادر عن لحيته، قال فمطرنا يومنا ذلك، ومن الغد، ومن بعد الغد، والذي يليه إلى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابي أو رجل غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال، ادع الله لنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: اللهم حوالينا ولا علينا قال: فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا انفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة، حتى سال الوادي - وادي قناة - شهرا فلم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجدود^(٣). أخرجاه في الصحيحين.

وعن جابر بن عبد الله قال: كان جذع يقوم عليه النبي ﷺ، فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه^(٤). رواه البخاري.

وقد روى محمد بن سعد عن أشياخ له أن قريشا لما تكاثبت على بنى هاشم حين أبوا أن يدفعوا إليهم رسول الله ﷺ، وكانوا تكاثبوا أن لا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يخالطوهم في شيء، ولا يكلموهم، فمكثوا ثلاث سنين في شعبهم محصورين، ثم أطلع الله نبيه على

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب المناقب» حديث (٣٥٧٢) باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب المناقب» حديث (٣٥٧٦) باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب المناقب» حديث (٣٥٨٢) باب (٢٥) علامات النبوة ومسلم أيضاً.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب المناقب» حديث (٣٥٨٥) باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام.

أمر صحيفتهم، وأن الأكلة قد أكلت ما كان فيها من جور أو ظلم، وبقي فيها ما كان من ذكر الله، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبى طالب: فقال أبو طالب: أحق ما تخبرني به يا بن أخي؟ قال: نعم والله، فذكر ذلك أبو طالب لإخوته وقال: والله ما كذبنى قط، قالوا: فما ترى؟ قال: أرى أن تلبسوا أحسن ثيابكم وتخرجوا إلى قريش فنذكر ذلك لهم قبل أن يبلغهم الخبر، فخرجوا حتى دخلوا المسجد، فقال أبو طالب: إنا قد جئنا لأمر فأجيبوا فيه، قالوا: مرحباً بكم وأهلاً، قال: إن ابن أخي قد أخبرني - ولم يكذبنى قط - أن الله قد سلط على صحيفتكم التي كتبتهم الأرضة فلحست ما كان فيها من جور، أو ظلم، أو قطيعة رحم، وبقي فيها كل ما ذكر به الله، فإن كان ابن أخي صادقاً نزعتم عن سوء رأيكم، وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتموه أو استحييتموه إن شئتم، قالوا: أنصفتنا، فأرسلوا إلى الصحيفة، فلما فتحوها إذا هي كما قال رسول الله ﷺ، فسقط في أيدي القوم ثم نكسوا على رؤوسهم، فقال أبو طالب: هل تبين لكم من أولى بالظلم والقطيعة؟ فلم يراجع أحد منهم، ثم انصرفوا.

ذكر طرف من أخباره بالغائبات ﷺ:

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفق كنوزهما في سبيل الله»^(١).

أخرجه في الصحيحين

وعنه قال شهدنا مع رسول الله ﷺ خير فقال لرجل ممن يدعى الإسلام: هذا من أهل النار، فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالا شديداً فأصابته جراحة، ف قيل: يا رسول الله، الرجل الذي قلت من أهل النار قاتل قتالا شديداً وقد مات، فقال رسول الله ﷺ إلى النار، وكاد بعض القوم يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمت، ولكن به جراح شديد، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه، فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: الله أكبر، أشهد أنى عبد الله ورسوله، ثم أمر بلالا فنادى في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر^(٢). أخرجه في الصحيحين.

وعن عبد الله بن مسعود قال: انطلق سعد بن معاذ معتمراً فتزل على أمية بن خلف،

(١) صحيح: أخرجه البخارى في «كتاب فرض الخمس» حديث (٣١٢٠) باب (٨) قول النبي ﷺ

«أحلت لكم الغنائم» ومسلم في «كتاب الفتن وأشراط الساعة» باب اقتراب ظهور الفتن.

(٢) صحيح: أخرجه البخارى في «كتاب الجهاد والسير» حديث (٣٠٦٢) باب (١٨٢) إن الله يؤيد الدين

بالرجل الفاجر.

وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية لسعد: انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت، فبينا سعد يطوف إذا أبو جهل قال: من يطوف بالكعبة؟ فقال: أنا سعد، فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمناً وقد أويتم محمداً وأصحابه؟ قال: نعم، فتلاحيا بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي، ثم قال لسعد: والله لئن منعني أن أطوف بالبيت لأقطعنك متجرك بالشام، قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسه، فغضب سعد فقال: دعنا عنك فإني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك، قال: إياي؟ قال: نعم، قال: والله ما نكذب محمداً إذا حدث.

فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لي أخى الثيربي؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمداً يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد.

قال: فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك الثيربي؟ قال: فأراد أن لا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشرف الوادي فسر معنا يوماً أو يومين فسار معهم فقتله الله.

وعن أنس قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة فترأينا الهلال، وكنت حديد البصر فرأيت، فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ فقال: سأراه وأنا مستلق على فراشي، ثم أخذ يحدثنا عن أهل بدر، قال: إن كان رسول الله ﷺ ليرينا مصارعهم بالأمس، يقول هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله، قال: فجعلوا يصرعون عليها، قال: قلت: والذي بعثك بالحق ما أخطأت رؤيتك، كانوا يصرعون عليها، ثم أمر بهم فطرحوا في بئر، فانطلق إليهم فقال: يا فلان، يا فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله حقاً، فإني وجدت ما وعدني الله حقاً؟ فقال عمر: يا رسول الله أتكلم قوماً قد جيفوا، فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا (انفرد بإخراجه مسلم).

ذكر طرف مما لاقى رسول الله ﷺ من أذى المشركين وهو صابر:

كان أبو طالب يدافع عن رسول الله ﷺ، فلما أتت لرسول الله ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً مات عمه أبو طالب للنصف من شوال في السنة العاشرة من المبعث، وهو ابن بضع وثمانين سنة، وتوفيت بعده خديجة بشهر وخمسة أيام، ويقال: بثلاثة أيام فحسب، وهى ابنة خمس وستين سنة، وكانت قريش تكف بعض أذاها عن رسول الله ﷺ حتى مات أبو طالب، فلما مات بالغوا في أذاها، فلما ماتت خديجة أقام بعدها ثلاثة

أشهر، ثم خرج هو وزيد بن حارثة إلى الطائف فأقام بها شهرا ثم رجع إلى مكة في جوار المطعم بن عدى وما زال يلقي الشدائد.

وعن عبد الله قال: ما رأيت رسول الله ﷺ دعا على قريش غير يوم واحد، فإنه كان يصلى ورهط من قريش جلوس وسلى جزور قريب منه، فقالوا: من يأخذ هذا السلى فيلقيه على ظهره؟ قال: فقال عقبة بن أبي معيط: أنا، فأخذه فألقاه على ظهره، فلم يزل ساجدا حتى جاءت فاطمة صلوات الله عليها فأخذه عن ظهره، فقال رسول الله ﷺ: اللهم عليك الملاء من قريش، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة، اللهم عليك بأبى جهل ابن هشام، اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط، اللهم عليك بأبى بن خلف أو أمية بن خلف^(١). قال عبد الله: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعا ثم سحبوا إلى القليب غير أبى أو أمية فإنه كان رجلا ضخما فتقطع. أخرجاه في الصحيحين.

وعن عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليّ، ثم قال: يا محمد لك ما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، قال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا^(٢). أخرجاه في الصحيحين.

وعنه قالت^(٣): قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعته المشركون

(١) صحيح: أخرجه البخارى في «كتاب الجزية والموادعة» حديث (٣١٨٥) باب (٢٠) الموادعة من غير وقت، ومسلم في «كتاب الجهاد والسير» حديث (١٧٩٤) باب (٣٩، ٤٠) ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

(٢) صحيح: أخرجه البخارى في «كتاب بدء الخلق» حديث (٣٢٣١) باب (٧) إذا قال أحدهم «آمين» ومسلم في «كتاب الجهاد والسير» حديث (١٧٩٥) باب (٣٩، ٤٠) ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

(٣) صحيح أخرجه البخارى في «كتاب فضائل الصحابة» حديث (٣٦٧٨) باب (٥) قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» وأطرافه في (٣٨٥٦، ٤٨١٥) ومسلم في «كتاب الجهاد والسير» حديث (١٧٩٤) باب (٣٩ - ٤٠) ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

برسول الله ﷺ : قال: بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه فى عنقه فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (غافر: ٢٨).

فصل

فلما أتت لرسول الله ﷺ خمسون سنة وثلاثة أشهر قدم عليه جن نصيبين فأسلموا، فلما أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسرى به.
ذكر معراجہ ﷺ:

عن أنس بن مالك بن صعصعة حدثه أن النبي ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به، قال: بينا أنا فى الحطيم - وربما قال قتادة فى الحجر - مضطجع، إذ أتانى آت فجعل يقول لصاحبه: الأوسط بين الثلاثة، قال: فأتانى وقعد.

قال: وسمعت قتادة يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه، قال قتادة: فقلت للجارود وهو إلى جنبى ما يعنى؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وقد سمعته يقول من قصه إلى شعرته، قال: فاستخرج قلبى، قال فأُتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة فغسل قلبى ثم حشى، ثم أعيد، ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، قال فقال الجارود: أهو البراق يا أبا حمزة؟ قال: نعم، يقع خطوه عند أقصى بصره.

قال: فحملت عليه فانطلق بى جبريل ﷺ حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح ف قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال نعم، قيل: مرحباً به ونعم المجرىء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا فيها آدم ﷺ قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد حتى أتى بى السماء الثانية فاستفتح ف قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به ونعم المجرىء جاء، قال: ففتح، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى - وهما ابنا خالة - قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، قال فسلمت، فردا السلام، ثم قالوا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بى حتى أتى السماء الثالثة، فاستفتح ف قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به ونعم المجرىء جاء،

قال: ففتح، فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلم عليه، قال: فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح فقبل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال نعم - قيل: مرحبا به ونعم المجرى جاء، قال ففتح، فلما خلصت إذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلم عليه، قال: فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح.

قال: ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح فقبل: من هذا؟ قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ونعم المجرى جاء، قال: ففتح، فلما خلصت قال: فإذا أنا بهارون قال: هذا هارون فسلم عليه، قال: فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح.

قال: ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال نعم، قيل: مرحبا به ونعم المجرى جاء، ففتح، فلما خلصت قال: فإذا أنا بموسى، قال: هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح، قال: فلما تجاوزت بكى فقبل: وما يبكيك؟ قال: أبكى لأن غلاما بُعث بعدى، يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى.

قال: ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح، فقبل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل مرحبا به ونعم المجرى جاء، قال: ففتح، فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال: هذا إبراهيم فسلم عليه، قال: فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح.

قال: ثم رُفعت إلى سدره المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا أوراقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدره المنتهى، قال، فإذا أربعة أنهار؛ نهران باطنان، ونهران ظاهران، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان: فنهران فى الجنة، وأما الظاهران: فالنيل والفرات، قال: ثم رفع إلى البيت المعمور.

قال قتادة: وحدثنا الحسن عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه أرى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون فيه.

ثم رجع إلى حديث أنس، قال: ثم أُتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل،

قال: فأخذت اللبن، قال: هذه الفطرة أنت عليها وأمتك، قال: ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم، قال: فرجعت فمررت على موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة، وإني قد خبرت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك عز وجل وسله التخفيف لأمتك، قال: فرجعت فوضع عنى عشرا، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: بأربعين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: فرجعت فوضع عنى عشرا آخر، فرجعت إلى موسى، فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بثلاثين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال فرجعت فوضع عنى عشرا آخر، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بعشرين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع عشرين صلاة كل يوم، فإني قد خبرت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك عز وجل فاسأله التخفيف لأمتك، قال: فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بم أمرت؟ قلت: بعشر صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع عشر صلوات كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك عز وجل فاسأله التخفيف لأمتك، قال: فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال، قلت: قد سألت ربي حتى استحيت، ولكنى أرضى وأسلم، فلما نفذت نادانى مناد: قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى^(١). أخرجه فى الصحيحين.

عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ رأيت ربي تبارك وتعالى^(٢). رواه الإمام أحمد.

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب بدء الخلق» حديث (٣٢٠٧) باب (٦) ذكر الملائكة، وأطرافه فى (٣٣٩٣، ٣٤٣٠، ٣٨٨٧) ومسلم فى «كتاب الإيمان» حديث (١٦٢) باب (٧٤ - ٧٦) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد فى «المسند» حديث (٢٥٨٠ - ٢٦٣٤).

ذكر أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالهجرة إلى أرض الحبشة:

لما أظهر رسول الله ﷺ الإسلام أظهر له المشركون العداوة، فممنعه الله بعمه أبي طالب، وأمر أصحابه بالخروج إلى أرض الحبشة، وقال لهم: إن بها ملكا لا يظلم الناس ببلاده فتحرزوا عنده حتى يأتيكم الله بفرج منه، فهاجر جماعة واستخفى آخرون بإسلامهم، وكان جملة من خرج إلى أرض الحبشة ثلاثة وثمانين رجلا وإحدى عشرة امرأة قرشية وسبع غرائب.

فلما سمعوا بمهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلثون رجلا وثمانى نسوة، فمات منهم رجلان بمكة، وحبس منهم سبعة، وشهد منهم بدرا أربعة وعشرون. فلما كانت سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام، فأسلم، وكتب إليه أن يزوجه بأمة حبشية، وأن يبعث إليه من بقى من أصحابه ففعل، فقدموا المدينة فوجدوا رسول الله ﷺ قد فتح خير.

ذكر مقدار إقامة رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة:

اختلفوا فى ذلك، فروى ربيعة عن أنس، وأبو سلمة عن ابن عباس أنه أقام عشر سنين، وهو قول عائشة، وسعيد بن المسيب، وروى عن ابن عباس أنه أقام خمس عشرة سنة.

عن ابن عباس قال: أقام النبي ﷺ بمكة خمس عشرة، سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت، وثمانى يوحى إليه.

والصحيح ما أخرجه البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ أقام بمكة ثلاث عشرة سنة، ويحمل قول من قال عشر سنين على مدة إظهار النبوة؛ فإنه لما بعث استخفى ثلاث سنين، ويحمل قول من قال خمس عشرة سنة على مبدأ ما كان يرى قبل النبوة من أعلامها ﷺ.

ذكر عرض رسول الله ﷺ نفسه بالموقف على الناس لينصروه:

عن جابر بن عبد الله قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه بالموقف ويقول: ألا رجل يحملنى إلى قومه فإن قريشا منعونى أن أبلغ كلام ربى^(١). رواه الترمذى، وعنه قال: مكث (١) صحيح: أخرجه أبو داود فى «كتاب السنة» حديث (٤٧٣٤) باب فى القرآن، والترمذى فى «كتاب فضائل القرآن» حديث (٢٩٢٥) باب (٢٤) وانظر: «صحيح سنن الترمذى» للعلامة الألبانى رحمه الله حديث (٢٣٣٥).

رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ، ومجنة، وفي المواسم بمئى، يقول: من يؤوينى؟ من ينصرنى حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟ حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر - كذا قال - فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشى بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله له من يثرب فأويناه ونصرناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دور من دار الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، ثم اتهموا جميعاً، فقلنا: حتى متى تترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شعب العقبة، واجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافقتا فقلنا: يا رسول الله، علام نبايعك؟ قال: بايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله، ولا تخافوا في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني وتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم، ولكم الجنة.

قال: فقمنا إليه فبايعناه وأخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو من أصغرهم وقال: رويدا يا أهل يثرب، فلما لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجهم اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جينة فيبتئوا ذلك، فهو أعذر لكم عند الله، قالوا: أمط عنا يا أسعد، فوالله ما ندع هذه البيعة أبداً ولا نسلبها أبداً، قال: فقمنا إليه فبايعناه، فأخذ علينا وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة.

ذكر العقبة وكيف جرى^(١):

قال ابن إسحاق: لما أراد الله تعالى إظهار دينه، وإعزاز نبيه، وإنجاز مواعده خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه في النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج، فذكروا أنه قال لهم: ممن أنتم؟ قالوا له: من الخزرج، قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله تعالى، وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، وقد كانوا يسمعون من اليهود أن نبيا مبعوثاً قد أظلم زمانه، فقال بعضهم لبعض: والله يا قوم إن هذا النبي الذي تعدكم به اليهود

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٩٨).

فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه وهم فيما يزعمون ستة: أسعد بن زرارة، وعوف بن مالك، وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابی، وجابر بن عبد الله بن رثاب.

فلما انصرفوا إلى بلادهم وقد آمنوا ذكروا لقومهم رسول الله ﷺ ودعواهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ، حتى إذا كان العام المقبل أتى الموسم اثنا عشر رجلا من الأنصار فلقوا رسول الله ﷺ بالعقبة وهي العقبة الأولى، فبايعوه بيعة النساء قبل أن تقتض الحرب، وفيهم عبادة بن الصامت، قال عبادة: بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى بيهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، وذلك قبل أن تقتض الحرب، فإن وفيتم بذلك فلكم الجنة وإن غشيتم شيئا فأمركم إلى الله، إن شاء غفر وإن شاء عذب.

فلما انصرف القوم عن رسول الله ﷺ بعث معهم مصعب بن عمير إلى المدينة يفقه أهلها ويقرئهم القرآن، فنزل على أسعد بن زرارة، فكان يسمى بالمدينة المقرئ، فلم يزل يدعو الناس إلى الإسلام حتى شاع الإسلام، ثم رجع مصعب إلى مكة قبل بيعة العقبة الثانية. قال كعب بن مالك: خرجنا في الحجة التي بايعنا فيها رسول الله ﷺ بالعقبة مع مشركي قومنا، فواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة أوسط أيام التشريق، ونحن سبعون رجلا، ومعهم امرأتان، فلما كانت الليلة التي وعدنا فيها رسول الله ﷺ نمنا أول الليل مع قومنا فلما استثقل الناس من النوم تسللنا من فراشنا تسلل القطا حتى اجتمعنا بالعقبة، فأتانا رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس: ليس معه غيره، فقال العباس: يا معشر الخزرج، إن محمدا منا حيث قد علمتم، وهو في منعة من قومه وبلاده، وقد أبى إلا الانقطاع إليكم، فإن كنتم تخشون من أنفسكم خذلانا فاتركوه في قومه فإنه في منعة من عشيرته وقومه، فقلنا: قد سمعنا ما قلت، تكلم يا رسول الله، فتكلم رسول الله ﷺ ودعا إلى الله ورغب إلى الإسلام وتلا القرآن فأجيبناه بالإيمان به والتصديق له وقلنا له: يا رسول الله خذ لربك ولنفسك، قال: إني أبايعكم على أن تمنعوني مما منعتم منه أبناءكم ونساءكم، فأجابه البراء بن معرور فقال: نعم والذي بعثك بالحق، مما تمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرًا عن كابر.

فعرض في الحديث أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين أقوام حبالا، وإننا قاطعوها، فهل عسيت إن أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فقال رسول الله: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم، فقال له البراء بن معرور: أبسط يدك يا رسول الله نبايعك، فقال رسول الله ﷺ أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً فأخرجوهم وهم: أسعد بن زرارة، وعبد الله بن عمرو بن حزام، وسعد ابن عباد، والمنذر بن عمرو، ورافع بن مالك بن العجلان، وعبد الله بن رواحة، وسعد بن الربيع، وعبادة بن الصامت، وأسيد بن حضير، وأبو الهيثم بن التيهان، وسعد بن خيثمة. فأخذ البراء بن معرور بيد رسول الله ﷺ فضرب عليها فكان أول من بايع وتتابع الناس فبايعوا.

قال ابن إسحاق: فلما أيقنت قريش أن رسول الله ﷺ قد بويع، وأمر أصحابه أن يلحقوا بالمدينة، تأمروا بينهم فقالوا: والله لكأنه قد كر عليكم بالرجال فأثبتوه أو اقتلوه أو أخرجوه، فاجتمعوا على قتله، وأتاه جبريل وأمره أن لا يبيت في مكانه الذي يبيت فيه، فبات في غيره، فلما أصبح أذن له في الخروج إلى المدينة. وعن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ (الأنفال: ٣٠) قال: تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، يريدون النبي ﷺ، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فبات على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه النبي ﷺ.

فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فاقتفوا أثره.

ذكر هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة:

كانت بيعة العقبة في أوسط أيام التشريق وقدم رسول الله ﷺ المدينة لاثنتي ليلة خلت من ربيع الأول.

قال يزيد بن أبي حبيب: خرج رسول الله ﷺ من مكة في صفر وقدم المدينة في ربيع الأول، قال ابن إسحاق: دخلها حين ارتفع الضحى، وكادت الشمس تعتدل. عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر

علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار بكرة وعشية، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ «برك الغماد» لقيه ابن الدغنة، وهو سيد القارة، قال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجنى قومى فأريد أن أسبح فى الأرض فأعبد ربى، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يُخرج، أنت تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره، فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به؛ فإننا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره.

ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره فكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا: إنا كنا أجراً أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره، فقد جاوز ذلك فبنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فاسأله أن يرد إليك ذمتك، فإننا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر فقال: قد علمت الذى عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلى ذمتى، فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له، فقال أبو بكر: فإنى أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله - والنبي ﷺ يومئذ بمكة - فقال النبي ﷺ للمسلمين: إنى أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين - وهما الحرتان - فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله ﷺ: على رسلك، فإنى أرجو أن يؤذن لى، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبى أنت؟ قال: نعم، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط، أربعة أشهر^(١).

قال ابن شهاب، قال عروة، قالت عائشة: فبينما نحن جلوس فى بيت أبى بكر فى نحر

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب الكفالة» حديث (٢٢٩٧) باب (٤) جوار أبى بكر فى عهد النبي ﷺ وعقده، وأحمد فى «المسند» حديث (٢٥٥٠٢).

الظهيرة قال قائل لأبى بكر: هذا رسول الله متقنًا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فدى له أبى وأمى، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر: أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلكت بأبى أنت وأمى يا رسول الله، قال: فإنى قد أذن لى فى الخروج، قال أبو بكر: الصحبة بأبى أنت يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: نعم، قال أبو بكر: فخذ بأبى أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين، قال رسول الله ﷺ بالثمن.

قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة فى جراب فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سُميت ذات النطاقين، قالت ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار فى جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله ابن أبى بكر وهو غلام شاب ثقف لقف فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش كبائن، فلا يسمع أمرًا يكادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر ابن فهيرة، مولى لأبى بكر، منحة من غنم فيريحها عليهم حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان فى رسل، وهو لبن منحتهما، حتى ينقو بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلا من بنى الدليل، وهو من بنى عبد بن عدى هاديا خريتا - والخريت: الماهر بالهداية - قد غمس حلقا فى آل العاص بن وائل السهمى وهو على دين كفار قريش فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحتيهما صبح ثلاث، فانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم على طريق السواحل^(١).

قال ابن شهاب: وأخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى، وهو ابن أخى سراقه بن جعشم، أن أباه أخبره أنه سمع سراقه بن جعشم يقول: جاءنا رسول كفار قريش يجعلون فى رسول الله ﷺ وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقه إنى قد رأيت أنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقه فعرفت أنهم هم، فقلت: إنهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب البيوع» حديث (٢١٣٨) باب (٥٧) إذا اشترى متاعاً أو دابة... وأبو داود فى «كتاب اللباس» حديث (٤٠٨٣) باب فى التَّقَنُّع.

فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسى من وراء أكمة فتحبسها عليّ، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسى فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسى فخررت عنها فقممت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزالام فاستقسمت بها أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره، فركبت فرسى، وعصيت الأزالام، تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر كثير الالتفات ساخت يدا فرسى في الأرض حتى بلغنا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت ولم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لآثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزالام فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبت فرسى حتى جثتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزأني ولم يسلاني إلا أن قال: أخف عنا، فسألت أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي في رقعة من آدم ثم مضى رسول الله ﷺ.

قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما أطلوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم من أطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر رسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرونه، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته فسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول بالمدينة وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مريضا للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين

فى حجر أسعد بن زرارۃ، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذہ مسجدا فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، ثم بناه مسجدا، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن فى ثيابه ويقول وهو ينقل اللبن:

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

فتمثل بشعر رجل من المسلمين ولم يسم لى . قال ابن شهاب: ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل بيت شعر تام غير هذه الأبيات^(١). انفرد بإخراجه البخارى.

وعن البراء بن عازب قال: اشترى أبو بكر من عازب سرجا بثلاثة عشر درهما قال: فقال أبو بكر: مر البراء فليحمله إلى منزلى، فقال: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه، قال: فقال أبو بكر: خرجنا فأدلجنا فاحتشنا يومنا وليلنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة فضربت ببصرى هل نرى ظلا ناوى إليه؟ فإذا أنا بصخرة فأويت إليها فإذا بقية ظلها فسويته لرسول الله ﷺ وفرشت له فروة وقلت: اضجع يا رسول الله ﷺ، فاضجع، ثم خرجت أنظر هل أرى أحدا من الطلب؟ فإذا أنا براعى غنم فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش، فسماه فعرفته، فقلت: هل فى غنمك من لبن؟ قال: نعم، قال: قلت: هل أنت حالب لى؟ قال: نعم، فأمرته فاعتقل شاة منها ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ومعى إداوة على فمها خرقة، فحلب لى كثة من اللبن فصبيت على القدح حتى برد أسفله، ثم أتيت رسول الله ﷺ فوافيته، وقد استيقظ فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت، ثم قلت: هل آن الرحيل فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا فقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ حتى إذا دنا منا، وكان بيننا وبينه قيد رمح أو رمحين أو ثلاثة، قلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا، وبكيت، فقال: لماذا

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب مناقب الأنصار» حديث (٣٩٠٦) باب (٤٥) هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وأحمد فى «المسند» حديث (١٧٥٢١).

تبكى؟ قال: قلت: أما والله ما على نفسى أبكى ولكنى أبكى عليك، قال: فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: اللهم اكفناه بما شئت فساخت قوائم فرسه إلى بطنها فى أرض ووثب عنها، وقال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك فادع الله عز وجل أن ينجينى مما أنا فيه، فوالله لأعمى على من ورأى من الطلب، وهذه كنانتى فخذ منها سهماً فإنك ستمر بإبلى وغنى فى موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال رسول الله ﷺ: لا حاجة لى فيها، قال: ودعا له رسول الله ﷺ فأطلق ورجع إلى أصحابه، ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدما المدينة فتلقاها الناس فخرجوا فى الطرق وعلى الأناجير واشتد الخدم والصبيان فى الطريق: الله أكبر جاء رسول الله ﷺ جاء محمد، قال: وتنازع القوم أيهم ينزل عليه، قال فقال رسول الله ﷺ: أنزل الليلة على بنى النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك، فلما أصبح غدا حيث أمر.

قال البراء بن عازب: أول من قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى أخو بنى فهر، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب فى عشرين راكباً، فقلنا: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قال: هو على أثرى، ثم قدم رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر، قال البراء: ولم يقدم رسول الله ﷺ حتى قرأت سوراً من المفصل. أخرجه فى الصحيحين.

وعن أنس أن أبا بكر حدثه قال: قلت لرسول الله ﷺ ونحن فى الغار: لو أن أحدهم نظر إلى تحت قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما^(١). أخرجه فى الصحيحين.

حديث أم معبد^(٢):

عن أبى معبد الخزاعى أن رسول الله ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثى فمروا بخيمتى أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة جلدة برزة تحتبى وتقعّد بفناء الخيمة تسقى وتطعم، فسألوها تمراً ولحماً يشترن، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك فإذا القوم مرملون مستنون فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة فقال:

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب فضائل الصحابة» حديث (٣٦٥٣) باب (٢) مناقب المهاجرين وفضلهم، ومسلم فى «كتاب فضائل الصحابة» حديث (٢٣٨١) باب (١) من فضائل أبى بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم فى «المستدرک» (٣/ ٩) والتبريزى فى «مشكاة المصابيح» رقم (٥٩٤٣) وابن سعد فى «الطبقات الكبرى» (١/ ١٥٥) والبيهقى فى «دلائل النبوة» (٢٠٤).

وما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: هذه شاة خلَّفها الجهد عن الغنم، فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال: أتأذنين لى أن أحلبها؟ قالت: نعم بأبى أنت وأمى، إن رأيت بها حلبا، فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال: اللهم بارك لها فى شاتها، قال: فتفاجت ودرت واجترت فدعا بإناء لها يربض الرهط فحلب فيه ثجا حتى غلبه الشمال فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رويوا وشرب رسول الله ﷺ آخرهم وقال: ساقى القوم آخرهم شربا، فشربوا جميعا عللا بعد نهل حتى أراضوا، ثم حلب فيه ثانيا عودا على بدء فغادره عندها حتى ارتحلوا عنها، فقلما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزرا حिला عجافا هزلى ما تساوق مخهن قليل لا يقى بهن، فلما رأى اللبن عجب فقال: من أين لك هذا والشاة عازبة ولا حلوية فى البيت؟ قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت، قال: والله إنى لأراه صاحب قريش الذى يُطَلَّبُ، صفيه لى يا أم معبد، قالت.

رأيت رجلا ظاهر الوضاعة، متبلج الوجه، حسن الخلق، ولم تبعه ثجلة، ولم تزر به صعلة، وسيم، قسيم، فى عينيه دعج، وفى أشفاره وطف، وفى صوته صحل، أحور أكحل، أزج، أقرن، شديد سواد الشعر، فى عنقه سطع، وفى لحيته كثائة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، وكأن منطق خرزات عقد يتحدرن، حلو المنطق، فصل، لا نزر لا هنذر، أجهر الناس وأجملهم من بعيد، وأحلامهم وأحسنهم من قريب، ربعة لا تشنؤه من طول، ولا تقتمحه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به؛ إذا قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود لا عابس ولا مفند.

قال: هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر، ولو كنت وافقته لالتصمت أن أصحبه ولا أفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا.

وأصبح صوت بمكة عاليا بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرى من يقوله وهو يقول:

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| جزى الله رب الناس خير جزائه | رفيقين حلا خيمتى أم معبد |
| هما نزلا بالبر وارتحلا به | فأفلح من أمسى رفيق محمد |
| فيا أقصى، ما زوى الله عنكم | به من فعال لا تجازى وسود |
| سلوا أختكم عن شاتها وإنائها | فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد |
| دعاها بشاة حائل فتحلبت | له بصريح ضرة الشاة مزبد |

فغادره رهنا لديها لحالب بدرتها من مصدر ثم مورد
فأصبح القوم وقد فقدوا نبيهم، وأخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا النبي ﷺ
قال: فأجابه حسان بن ثابت يقول:

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| وقدس من يسرى إليه ويغتدى | لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم |
| وحل على قوم بنور مجد | ترحل عن قوم فزالت عقولهم |
| عمى وهداة يهتدون بمهتدى | فهل يستوى ضلال قوم تسكعوا |
| ويتلو كتاب الله في كل مشهد | نبي يرى ما لا يرى الناس حوله |
| فتصديقها في ضحوة اليوم أو غد | فإن قال في يوم مقالة غائب |
| بصحبه، من يسعد الله يسعد | ليهن أبا بكر سعادة جده |
| ومقعدها للمسلمين بمرصد | ويهن بنى كعب مكان فتاتهم |

قال عبد الملك بن مروان: فبلغنا أن أم معبد هاجرت إلى النبي ﷺ وأسلمت.

تفسير غريب الحديث:

البرزة: الكبيرة، والمرملون: الذين نفد زادهم، ومستون: من السنة، وهى الجذب، وكسر الخيمة: جانبها، والجهد: المشقة، وتفاجت: فتحت ما بين رجلها للحلب، ويربض الرهط: يثقلهم فيربضوا، والثج: السيلان، والثمال: الرغوة، وقوله: عللا بعد نهل أى: مرة بعد أخرى، حتى أراضوا: أى: رروا، والحيل: اللواتى لسن بحوامل، والنقى: المخ، والشاة عازب: أى بعيدة فى المرعى، متبلج الوجه: مشرقه، والثجلة: عظم البطن واسترخاء أسفله، والصعلة: صغر الرأس، والوسيم: الحسن، وكذلك القسيم، والدعج: السواد فى العين والوظف: الطول فى هذب العين، والصحل: كالبحه، والأحور: الشديد سواد أصول أهداب العين خلقة، والأزج: من الزجاج، وهودقة الحاجبين وحسنهما، والأقرن: المقرون الحواجب، والسطع: الطول، وقولها: إذا تكلم سما تريد: علا رأسه أويده، وقولها: لا نزر ولا هذر تريد: أنه ليس بقليل ولا كثير، وقولها: لا تقتحمه عين من قصر أى: لا تحتقره، والمحفود: المخدم، والمحشود: من قولك احتشدت لفلان فى كذا إذا أعددت له وجمعت، وقولها: ليس بعابس الوجه ولا فيه أثر هرم، والفند: الهرم، والصريح: الخالص، والضرة: لحم الضرع.

ذكر ما جرى لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة:

قال الزهري: نزل رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بقباء، فأقام فيهم بضع عشرة ليلة، وقال عروة: مكث بقباء ثلاث ليال، ثم ركب يوم الجمعة فمر على بني سالم، فجمع بهم، وكانت أول جمعة صلاها حين قدم المدينة، ثم ركب في بني سالم فمضت الناقة حتى بركت في بني النجار، على دار أبي أيوب الأنصاري فنزل عليه في سفلى داره، وكان أبو أيوب في العلو حتى ابتنى رسول الله ﷺ مسجدا ومساكنه.

عن عائشة قالت: قدم النبي ﷺ المدينة وهي بيئة، فمرض أبو بكر، فكان إذا أخذته

الحمى يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل؟

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل؟

اللهم العن شيبة بن ربيعة، وأمّية بن خلف كما أخرجونا من مكة.

فلما رأى رسول الله ﷺ ما لقوا قال: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم صححها وبارك لنا في صاعها ومدّها، واثقل حماها إلى الجحفة، قالت: فكان المولود يولد بالجحفة فما يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى^(١). أخرجاه في الصحيحين.

ذكر عمومة رسول الله ﷺ:

قال ابن السائب: هم أحد عشر: الحارث، والزبير، وأبو طالب، وحمزة، وأبو لهب، والغيداق، والمقوم، وضرار، والعباس، وقثم، وجحل، واسم جحل: المغيرة، وقال غيره: هم عشرة ولم يذكر قثم، وقال: اسم الغيداق: جحل.

ذكر عماته ﷺ:

وهن ست: أم حكيم، وهي البيضاء، وبرة، وعاتكة، وصفية، وأروى، وأميمة - فأما صفية فأسلمت من غير خلاف، وأما عاتكة وأروى فقال محمد بن سعيد: أسلمتا وهاجرتا إلى المدينة، وقال آخرون: لم تسلم منهن إلا صفية.

ذكر أزواج النبي ﷺ:

خديجة بنت خويلد، وسودة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأم

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب فضائل المدينة» حديث (١٨٨٩) باب (١١) كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة، ومسلم، وأحمد في «المسند» (٢٤١٦٩ - ٢٤٢٤١)

سلمة واسمها: هند بنت أبى أمية، وأم حبيبة واسمها: رملة بنت أبى سفيان، وزينب بنت جحش أمها أميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ، وزينب بنت خزيمة بن الحارث، ابن أبى ضرار، وصفية بنت حبي بن أخطب، وميمونة بنت الحارث بن حزن.

وقد تزوج رسول الله ﷺ جماعة من النساء فلم يدخل بهن، وخطب جماعة فلم يتم النكاح - ويقال: إن أم شريك وهبت نفسها للنبي ﷺ.

ذكر سرارى رسول الله ﷺ:

مارية القبطية، بعث بها المقوقس - ريحانة بنت زيد، ويقال: إنه تزوجها، وقال الزهرى: استسرها ثم أعتقها فلحقت بأهلها، وقال أبو عبيدة: كان له أربع: مارية، وريحانة، وأخرى جميلة أصابها فى السبى، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش.

ذكر أولاده ﷺ:

أما الذكور: فالقاسم، وبه كان يكنى ﷺ، وهو أول من مات من أولاده وعاش سنتين.

عبد الله: وهو الطاهر، والطيب، ولد له فى الإسلام.

وقال عروة: ولدت له خديجة القاسم، والطاهر، وعبد الله، والمطيب.

وقال سعيد بن عبد العزيز كان للنبي ﷺ أربعة غلme: إبراهيم، والقاسم، والطاهر، والمطهر.

قال أبو بكر البرقى: ويقال: إن الطاهر هو الطيب، وهو عبد الله، ويقال: إن الطيب والمطيب ولدا فى بطن، والطاهر والمطهر ولدا فى بطن.

إبراهيم: أمه مارية القبطية، ولد فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة وتوفى ابن ستة عشر شهرا، وقيل: ثمانية عشر شهرا، ودفن بالبقيع.

الإناث من أولاده ﷺ:

«فاطمة» عليها السلام: ولدت قبل النبوة بخمس سنين.

زينب: تزوجها أبو العاص بن الربيع.

«رقية» و «أم كلثوم» تزوجهما عثمان بن عفان، تزوج أم كلثوم بعد رقية.

وجميع أولاده من خديجة ﷺ سوى إبراهيم.

ذكر موالى رسول الله ﷺ:

«أسلم» ويكنى أبا رافع «أبو رافع» آخر، والد البهى، «أحمر»، «أسامة بن زيد»، «أفلح»، «أنسة» ويكنى أبا مسروح، «أيمن ابن أم أيمن»، «ثوبان»: ويكنى أبا عبد الله «ذكوان» ويقال: هو مهران، وقيل: طهمان رافع رباح الأسود، «زيد بن حارثة»، «زيد بن بول»، سابق، سالم، سلمان الفارسي، سليم ويكنى أبا كبشة، وقيل: اسمه أوس، سعيد أبو كندير، شقران واسمه صالح، ضميرة بن أبى ضميرة، عبيد الله بن عبد الغفار، فضالة اليماني، كيسان، مهران، ويكنى أبا عبد الرحمن، وهو سفينة، فى قول إبراهيم الحربى وقال غيره: اسم سفينة: رومان وقيل عيسى، ومدعم، نافع، نفع، ويكنى أبا بكره الثقفى، نبيه، واقد، وردان، هشام، يسار، أبو أثيلة، أبو الحمراء، أبو السمح، أبو ضميرة، أبو عبيد واسمه سعيد وقيل عبيد، أبو مويهة، أبو واقد.

قال إبراهيم الحربى: ليس فى موالى رسول الله ﷺ عبيد إنما هو أبو عبيد، وإنما التيمى غلط فى الحديث فقال: عبيد، وذكر ابن أبى خيثمة أنهما اثنان: عبيد، وأبو عبيد.

وفرق الحربى بين رافع وأبى رافع فجعلهما اثنين وحكى ابن قتيبة أنهما واحد.

وقال أبو بكر بن حزم: من غلمان رسول الله ﷺ كركرة وقال مصعب: أهدى إليه المقوقس خصيا اسمه مابورا وذكر محمد بن حبيب الهاشمى من موالى رسول الله ﷺ أبو لبابة وأبو لقيط وأبو هند.

ذكر مولات رسول الله ﷺ:

أم أيمن اسمها بركة، أميمة، خضرة، رضوى، ريحانة، سلمى، مارية، ميمونة بنت سعد، ميمونة بنت أبى عسيب، أم ضميرة، أم عياش وقيل أم عياش مولاة ابنته رقية.

ذكر مراكبه ﷺ:

كان له فرس يقال له السكب، وفرس يقال له المرتجز، وهو الذى اشتراه من الأعرابى وشهد فيه خزيمة بن ثابت، وربما جعل بعضهم الاسمين لواحد، وفرس يقال له اللزاز، وفرس يقال له الطرب، وفرس يقال له الورد، وفرس يقال النحيف، وبعضهم يقول: اللحيف باللام، وبعضهم يسمى بعض خيله اليعسوب، وكان له الناقة القصواء، وهى الغضباء، وهى الجدعاء، وبغلة تسمى الشهباء والدلدل، وحمار يقال له اليعفور.

ذكر صفة رسول الله ﷺ:

عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه سمع أنس بن مالك ينعت رسول الله ﷺ فقال: وكان رسول الله ﷺ ربعة من القوم، ليس بالقصير، ولا بالطويل البائن، أزهر؛ ليس بالآدم ولا الأبيض الأمهق، رجل الشعر؛ ليس بالسبط ولا الجعد القطط، بعث على رأس أربعين، أقام بمكة عشرا، وبالمدينة عشرا، وتوفي على رأس ستين، ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء^(١). أخرجاه في الصحيحين.

وعنه قال: ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت ريحا قط ولا عرفا قط، أطيب من ريح أو عرف النبي ﷺ^(٢). رواه البخارى.

وقال أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قلت للربيع بنت معوذ: صفى لى رسول الله ﷺ، فقالت: لو رأيته لرأيت الشمس الطالعة^(٣).

قال إبراهيم بن محمد، من ولد على بن أبي طالب، قال: كان على - عليه السلام - إذا وصف رسول الله ﷺ يقول: لم يكن بالطويل الممغط، ولا بالقصير المتردد، كان ربعة من القوم، ولم يكن بالجعد القطط، ولا بالسبط، كان جعدا رجلا، ولم يكن بالمطهم ولا بالمتكلثم، وكان فى وجهه تدوير أبيض، مشربا، أدعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المشاش والكتد، أجرد، ذو مربة، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع كأنما ينحط من صبت، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين، أجود الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ^(٤). رواه الترمذى.

وقال^(٥): سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين يقول: سمعت الأصمعى يقول: الممغط:

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب المناقب» حديث (٣٥٤٧) باب (٢٣) صفة النبي ﷺ، ومسلم فى «كتاب الفضائل» حديث (٢٣٤٧) باب (٣٢، ٣٣) قدر عمر النبي ﷺ وإقامته بمكة والمدينة.

(٢) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب المناقب» حديث (٣٥٦١) باب (٢٣) صفة النبي ﷺ، ومسلم فى «كتاب الفضائل» حديث (٢٣٣٠) باب (٢١) طيب ريحه ﷺ ولين مسه.

(٣) ضعيف: أخرجه الدارمى فى (١/ ٢٧) حديث (٦١).

(٤) ضعيف: أخرجه الترمذى فى «كتاب المناقب» حديث (٣٦٣٨) باب (٨) ما جاء فى صفة النبي ﷺ وقال: هذا حديث ليس إسناده بمتصل، و«مختصر السائل» (ص: ١٦) رقم (٥) والبخارى فى «الأدب المفرد» (١٣١٥).

(٥) انظر المتقدم.

الذاهب طولاً، والمتردد: الداخل بعضه فى بعض قصراً، وأما القطط: فشديد الجعودة، والرجل: الذى فى شعره حجونة أى تثن قليل، والمطهم: البادن الكثير اللحم، والمتكلم: المدور الوجه، والمشرّب: الذى فى بياضه حمرة، والأدعج: الشديد سواد العين، والأهدب: الطويل الأشفار، والكتد: مجتمع الكتفين، وهو الكاهل، والمسربة: الشعر الدقيق الذى كأنه قضيب من الصدر إلى السرة، والشثن: الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين، والتقلع: المشى بقوة، والصبب: الحدور، تقول: انحدرنا فى صبوب وصبب، وقوله: جليل المشاش: يريد رءوس المناكب، والعشرة: الصلبة، والعشير: صاحب، والبديهة: المفاجأة.

وعن الحسن بن على قال: سألت خالى هند بن أبى هالة، وكان وصافاً، عن حلية النبى ﷺ، وأنا أشتهى أن يصف لى منها شيئاً أتعلق به، فقال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألاً وجهه تألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربع وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، إن انفرت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفرة، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب سوابغ فى غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، ألقى العينين، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادن متماسك، سواء البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخيط، عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر، طويل الزنديق، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سابل الأطراف - أو قال: سائل الأطراف - خمسان الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعا، يخطو تكفياً ويمشى هونا، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبيب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره للملاحظة، يسوق أصحابه، ويبر من لقيه بالسلام.

قلت: فصف لى متطقه، قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحران، دائم الفكرة، ليست له راحة، طويل السكت، لا يتكلم فى غير حاجة، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، فصلاً، لا فضول ولا تقصير، ليس بالجافى ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت ولا يذم منها شيئاً، غير أنه لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى يتنصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا

أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها وضرب براحتة اليمنى بطن إبهامها اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، جل ضحكه التبسم.

قال الحسن: فكتمتها الحسين زمانا ثم حدثته بها فوجدته قد سبقني إليه، فسأله عما سأله عنه، ووجدته قد سأل أباه عن مدخله، ومخرجه، وشكله فلم يدع منه شيئا.

قال الحسين: سألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ، فقال: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى منزله جزأً دخوله ثلاثة أجزاء: جزءاً لله، وجزءاً لنفسه، وجزءاً لأهله، ثم جزأه بينه وبين الناس، فيرد ذلك بالخاصة على العامة ولا يدخر عنهم منه شيئا، وكان من سيرته في جزء الأمة إثارة أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشغل بهم، ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسأله عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون روادا ولا يفترقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة، يعني على الخير.

قال: فسأله عن مخرجه، كيف كان يصنع فيه؟ قال: كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا فيما يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفهمهم، ويكرم كريم كل قوم، ويؤليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في أيدي الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويؤهيه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواسة ومؤازرة.

قال: فسأله عن مجلسه، فقال: كان رسول الله ﷺ لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر، وكان إذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطى كل جلسائه نصيبهم، لا يحسب جلسيه أن أحدا أكرم عليه ممن جالسه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقته، فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤن فيه الحرم، يتعاطفون فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

قلت: وكيف كانت سيرته في جلسائه؟ فقال: كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل

الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهى، ولا يؤيس منه، ولا يخيب فيه مؤمليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: لا يذم أحداً ولا يعيبه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقته ومسألته، حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهى أو قيام^(١). رواه الترمذى.

وقد روى هذا الحديث أبو بكر ابن الأنبارى فزاد فيه: قال: فسألته عن سكوت رسول الله ﷺ فقال: كان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكير، فأما التقدير: ففى تسوية النشر والاستماع من الناس، وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى، وجمع له الحلم فى الصبر، ولا يغضبه شيء ولا يستفزه، وجمع له الحذر فى أربع: أخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه القبيح ليتناهى عنه، واجتهاده الرأى فى إصلاح أمته، والقيام لهم فيما جمع لهم من خير الدنيا والآخرة.

تفسير غريب هذا الحديث:

الفخم المفخم: هر العظيم المعظم فى الصدور والعيون، والمشذب: الطويل الذى ليس بكثير اللحم، والرجل الشعر: الذى فى شعره تكسر، فإذا كان الشعر منبسطة قيل: شعر سبط وسبط، والعقيقة: الشعر المجتمع فى الرأس، والأزهر اللون: النير، وأزج الحواجب: أى: طويل امتدادهما لوفور الشعر فيهما وحسنه إلى الصدغين، فأما جمع الحواجب فله وجهان: أحدهما على مذهب من يوقع الجمع على التثنية، والثانى: على أن كل قطعة من الحاجب تسمى حاجبا.

(١) ضعيف: أخرجه الترمذى فى «مختصر الشمائل» (ص: ١٨) رقم (٦) وقال العلامة الألبانى: «قلت: إسناده ضعيف جداً، وله عنتان بينهما فى «الصحيحة» (٢٠٥٣) وقد أخرجت فيه شاهداً لطرفه الأول، وقد رواه البيهقى فى «الدلائل» من طريق أخرى، لكن فيه - على بن جعفر بن محمد - سكت عنه فى «الكشاف» وقال فى «الميزان»: «ما رأيت أحداً» لينه، نعم ولا من وثقه» «قلت» وساق له حديثاً آخر فى فضل أهل البيت استكره جداً ولذلك خرجته فى «الضعيفة» (٢١٢٢). انتهى.

وقوله: أقتنى العرنين: القنا: أن يكون فى عظم الأنف احديداب فى وسطه، والعرنين: الأنف، والأشم: الذى عظم أنفه طويل إلى طرف الأنف، وضليع القم: كبيره، والعرب تمدح بذلك وتهجو بصغره، والمسربة: قد فسرناها فى الحديث قبله، والدمية: الصورة وجمعها دمي.

وقوله: بادن متماسك: أى: تام خلق الأعضاء، ليس بمسترخى اللحم ولا كثيره، وقوله: سواء البطن والصدر: معناه: أن بطنه ضامر وصدره عريض، فلهذا ساوى بطنه صدره، والكراديس: رءوس العظام، وقوله: أنور المتجرد: أى: نير الجسد إذا تجرد من الثياب، والنير: الأبيض المشرق.

وقوله: خمصان الأخصمين معناه: أن أخصم رجله شديد الارتفاع من الأرض، والأخصم: ما يرتفع من الأرض من وسط باطن الرجل، وقوله: مسيح القدمين: أى: ليس بكثير اللحم فيهما، وعلى ظاهرهما؛ فلذلك ينبو الماء عنهما، والتقلع والصبب: قد فسرناهما فى الحديث قبله.

وقوله: ذريع المشية: واسع المشية من غير أن يظهر منه استعجال، والمهين: الحقير، ويسوق أصحابه: يقدمهم بين يديه ومن ورائه، يفوق: أراد: يفضلهم ديناً وحلماً وكرماً، وقوله: لكل حال عنده عتاد: أى: عدة، يعنى أنه قد أعد للأمور أشكالها، وقوله: يرد بالخاصة على العامة: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه كان يعتمد على أن الخاصة ترفع علومه وإرادته إلى العامة.

والثانى: أن المعنى يجعل المجلس للعامة بعد الخاصة؛ فتتوب الباء عن «من» و «على» عن «إلى».

والثالث: فيرد ذلك بدلا من الخاصة على العامة؛ فتفيد الباء معنى البدل.

والرواد: جمع رائد، وهو الذى يقدم القوم إلى المنزل يرتاد لهم الكلاء، وهو هنا مثل، والمعنى: أنهم ينفعون بما يسمعون من وراءهم، والذواق: ههنا: العلم يذوقون من حلاوته ما يذوقون من الطعام، وتؤبن فيه الحرم: أى تعاب، وقوله: لا يقبل الثناء إلا من مكافئ: أى: من صح عنده إسلامه حسن موقع ثنائه عليه، ومن استشعر منه نفاقاً أو ضعفاً فى دينه ألغى ثناءه ولم يحفل به، وأرفدوه: بمعنى أعينوه.

ذكر حسن خلقه ﷺ:

عن أبي عبد الله الجدلي قال: قلت لعائشة: كيف كان خلق رسول الله ﷺ في أهله؟ قالت: كان أحسن الناس خلقا، لم يكن فاحشا، ولا متفحشا، ولا سخابا في الأسواق، ولا يجزى بالسيئة مثلهما، ولكن يعفو ويصفح^(١). رواه الإمام أحمد.

وعن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف، ولا لم صنعت، ولا ألا صنعت^(٢). رواه البخاري.

وعن سمالك قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، كان طويل الصمت: قليل الضحك، وكان أصحابه يذكرون عنده الشعر وأشياء من أمورهم فيضحكون وربما تبسم^(٣). انفرد بإخراجه مسلم.

ذكر تواضعه ﷺ:

عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم؛ فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»^(٤) أخرجه البخاري.

وعن جابر قال: جاء النبي ﷺ يعودني ليس براكب بغلا ولا برذونا. انفرد بإخراجه البخاري.

وعن أنس قال: «إن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنتلق به في حاجتها» انفرد بإخراجه البخاري، وفي بعض ألفاظ الصحيح: «فتنتلق به حيث شاءت».

وعن الأسود قال: قلت لعائشة: ما كان رسول الله ﷺ يصنع إذا دخل بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلي. انفرد بإخراجه البخاري.

وعن البراء، قال: رأيت النبي ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول:

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (١٣١٤٢ - ١٣٧٩٠ - ٢٥٨٦٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الأدب» حديث (٦٠٣٨) باب (٣٩) حسن الخلق، ومسلم في «كتاب الفضائل» حديث (٢٣٠٩) باب (١١) شجاعته ﷺ.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب الفضائل» حديث (٢٣٢٢) باب (١٨) رحمته ﷺ بالنساء والرفق بهن، وأبو داود، وأحمد في (٢٠٦٨٩ - ٢٠٧٠٦).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب أحاديث الأنبياء» حديث (٣٤٤٥) باب (٤٨) قول الله: ﴿وَأَذْكُرْ

فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَّذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ وأحمد في «المسند» (١٦٤ - ٣٩١ - ٣٣١).

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصددقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا
أخرجاه في الصحيحين، وفي بعض الألفاظ:

والله لولا الله ما اهتدينا^(١)

وعن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويأتي دعوة المملوك، ويركب الحمار، ولقد رأيته يوماً على حمار خطامه ليف.
وعن الحسن أنه ذكر رسول الله ﷺ، فقال: لا والله ما كانت تغلق دونه الأبواب، ولا يقوم دونه الحُجَّاب، ولا يُغدى عليه بالجفان، ولا يُراح عليه بها، ولكنه كان بارزاً، من أراد أن يلقي نبي الله لقيه، وكان يجلس بالأرض، ويوضع طعامه بالأرض، يلبس الغليظ، ويركب الحمار، ويردف عبده، ويعلف دابته بيده ﷺ.

ذكر حياته ﷺ:

عن أبي سعيد الخدري، قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه^(٢). أخرجاه في الصحيحين.
وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ رأى على رجل صفرة فكرهها وقال: «لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصفرة» قال وكان لا يواجه أحداً في وجهه بشيء يكرهه^(٣). رواه الإمام أحمد.
ذكر شفقتة ومداراة ﷺ:

عن أنس أن نبي الله ﷺ قال: إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجاوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه^(٤). أخرجاه في الصحيحين.

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب المغازي» حديث (٤١٠٦) باب (٢٩) غزوة الخندق وهي الأحزاب، ومسلم أيضاً.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب المناقب» حديث (٣٥٦٢) باب (٢٣) صفة النبي ﷺ، ومسلم في «كتاب الفضائل» حديث (٢٣٢٠) باب كثرة حياء النبي ﷺ.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (١٢٥٦٥ - ٢٣٠٨ - ١٢٥١١).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الأذان» حديث (٧٠٩، ٧١٠) باب (٦٥) من أخف الصلاة عند بكاء الصبي.

وعنه قال: قال رجل للنبي ﷺ: أين أبي؟ قال: في النار، فلما رأى ما في وجهه قال: إن أبي وأباك في النار. انفراد بإخراجه مسلم.

وعن عبد الله قال: لما كان يوم حنين أثر النبي ﷺ أناساً في القسمة فأعطى الأقرع ابن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب وأثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها، أو ما أريد بها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن رسول الله ﷺ، فأتيته فأخبرته، فقال: من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر. أخرجاه في الصحيحين.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى النبي ﷺ فقال: إن دوساً قد عصت وأبت فادع الله عليهم، فاستقبل القبلة رسول الله ﷺ ورفع يديه فقال: اللهم اهد دوساً وأت بهم، اللهم اهد دوساً وأت بهم، اللهم اهد دوساً وأت بهم^(١). أخرجاه في الصحيحين.

وعن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن أبي^(٢) لما توفي جاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال: أعطني قميصك أكفنه فيه، وصل عليه، واستغفر له، فأعطاه قميصه وقال آذني أصلى عليه فأذنه، فلما أراد أن يصلى جذبه عمر فقال: أليس الله نهاك أن تصلى على المنافقين؟ فقال أنا بين خيرتين، قال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (التوبة: ٨٠) فصلى عليه فترلت هذه الآية ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ (التوبة: ٨٤) أخرجاه في الصحيحين.

وعن عائشة، قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً له قط، ولا امرأة له قط، وما ضرب بيده إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء فانتقمه من صاحبه إلا أن تنتهك محارم الله فينتقم لله عز وجل، وما عرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر إلا أخذ بأيسرهما، إلا أن يكون مائماً، فإن كان مائماً كان أبعد الناس منه^(٣). أخرجاه في الصحيحين.

(١) صحيح أخرجه البخاري في «كتاب المغازي» حديث (٤٣٩٢) باب (٧٥) قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي، ومسلم في «كتاب فضائل الصحابة» حديث (٢٥٢٤) باب (٤٧) من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع «وتميم ودوس وطى».

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الجنائز» حديث (١٢٦٩) باب (٢٢) الكفن في القميص الذي يكف أو لا يكف بغير قميص.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب المناقب» حديث (٣٥٦٠) باب (٢٣) صفة النبي ﷺ، ومسلم في «كتاب الفضائل» حديث (٢٣٢٨) باب مباعدته ﷺ للأثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عز وجل عند انتهاك حرmate.

ذكر مزاحه ومداعبته ﷺ:

عن أنس: أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهرا، وكان يهدى للنبي ﷺ الهدية من البادية فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال رسول الله ﷺ: «إن زاهرا باديانا ونحن حاضروه»^(١) وكان رسول الله ﷺ يحبه، وكان رجلا دميما.

فأتاه النبي ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ولا يبصره الرجل، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يآلو ما ألصق ظهره بيطن النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ يقول: من يشتري العبد، فقال: يا رسول الله، إذا والله تجدني كاسداً، فقال رسول الله ﷺ: لكن عند الله عز وجل لست بكاسد، أو قال: لكن عند الله أنت غال. رواه الإمام أحمد، قال لنا محمد بن أبي منصور، قال لنا أبو زكريا: الدميم، بالذال المهملة في الخلق، وبالذال المعجمة: في الخلق.

وعن عائشة قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: تقدموا، ثم قال لى: تعالى حتى أسابقك، فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت نسيت، خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس: تقدموا، فتقدموا ثم قال لى: تعالى حتى أسابقك، فسابقته فسبقتني، فجعل يضحك ويقول: هذه بتلك^(٢). رواه الإمام أحمد.

وعن أنس، أن النبي ﷺ دخل على أم سليم فرأى أبا عمير حزينا فقال: يا أم سليم، ما بال عمير حزينا؟ قالت: يا رسول الله مات نغيره، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا عمير ما فعل النغير^(٣)؟ أخرجه في الصحيحين.

ذكر كرمه وجوده ﷺ:

عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في

(١) صحيح: أخرجه الترمذى في «مختصر الشمائل» رقم (٢٠٤) وصححه العلامة الألبانى رحمه الله في «مختصر الشمائل» (٢٠٤) والطبرانى في «المعجم الكبير» حديث (٥٣١٠) وابن حبان في «صحيحه» (٢٢٧٦).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود في «كتاب الجهاد» حديث (٢٥٧٨) باب (فى السبق على الرجل) والتبريزى فى «مشكاة المصابيح» (٣٢٥١) وانظر «موارد الظمان» (١٣١٠).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب الأدب» حديث (٦١٢٩) باب (١٨) الانسباط إلى الناس، ومسلم فى «كتاب الأدب» حديث (٢١٥٠) باب (٥) جواز تكنية من لم يولد له، وتكنية الصغير.

رمضان حين يلقي جبريل عليه السلام، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، قال: فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة^(١). أخرجاه في الصحيحين. وعن أنس أن رسول الله ﷺ لم يكن يسأل شيئاً على الإسلام إلا أعطاه، قال: فأتاه رجل فسأله، فأمر له بشيء كثير بين جبلين من شاء الصدقة، قال: فرجع إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة^(٢). انفرد بإخراجه مسلم.

ذكر شجاعته ﷺ:

عن أنس، قال كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس، كان فزع بالمدينة، فخرج الناس قبل الصوت فاستقبلهم رسول الله ﷺ قد سبقهم، فاستبدأ الفرع، على فرس لأبي طلحة، عرى ما عليه سرج، في عنقه السيف، فقال: لم تراعوا، وقال للفرس: وجدناه بحراً، أو إنه لبحر^(٣). أخرجاه في الصحيحين.

عن أبي إسحاق، قال: سألت البراء، وسأله رجل فقال: فرتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال البراء: ولكن رسول الله ﷺ لم يفر، كانت هوازن ناساً رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكبنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهم، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان بن الحارث أخذ بلجامها وهو يقول:

أنا النبي لا كـ _____ أنا ابن عبد المطلب^(٤)

أخرجاه في الصحيحين.

ذكر فضله على الأنبياء وعلو قدره ﷺ:

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب بدء الخلق» حديث (٣٢٢٠) باب (٦) ذكر الملائكة، وفي «كتاب المناقب» حديث (٣٥٥٤) باب (٢٣) صفة النبي ﷺ، ومسلم في «كتاب الفضائل» حديث (٢٣٠٨) باب (١١) شجاعته ﷺ.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب الفضائل» حديث (٢٣١٢) باب (١٤) في سخائه ﷺ، وأحمد في «المسند» (١٢٠٥١).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الجهاد والسير» حديث (٢٩٠٨) باب (٨٢) الحمائل وتعليق السيف بالعنق، ومسلم في «كتاب الفضائل» حديث (٢٣٠٧) باب (١١) شجاعته ﷺ.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الجهاد والسير» حديث (٢٨٦٤) باب (٥٢) من قاد دابة غيره في الحرب، ومسلم في «كتاب الجهاد والسير» حديث (١٧٧٦) باب (٢٨) غزوة حنين.

الصلاة فليصل، وأُحلت لى الغنائم ولم تُحل لأحد قبلى، وأُعطيَت الشفاعة، وكان النبى يُبعث إلى قومه خاصة وُبعثت إلى الناس عامة^(١). أخرجاه فى الصحيحين.

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبيننا أنا نائم رأيتنى أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت فى يدى، قال أبو هريرة رضى الله عنه: فلقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تتسلونها^(٢). أخرجاه فى الصحيحين.

وعن أبى بن كعب، قال: كنت فى المسجد فدخل رجل فصلى فقراً أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقراً سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقراً سوى قراءة صاحبه، فأمرهم رسول الله ﷺ فقرأ فحسن النبى ﷺ شأنهما، فسقط فى نفسى من التكذيب ولا إذ كنت فى الجاهلية، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيتنى ضرب فى صدرى ففضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله فرقا، فقال لى: يا أبى إن ربي أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هوّن على أمتى، فرد إلى الثانية أن أقرأ على حرف، فرددت إليه أن هوّن على أمتى، فرد إلى الثالثة أقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتى، اللهم اغفر لأمتى، وأخرت الثالثة ليوم ترغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم صلوات الله عليه: انفرد بإخراجه مسلم.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: أتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك، انفرد بإخراجه مسلم.

وعن أنس أن النبى ﷺ قال: أنا أول الناس خروجاً إذا بُعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر^(٣). رواه الترمذى.

- (١) أخرجه البخارى فى «كتاب التيمم» حديث (٣٣٥) باب (١) التيمم، ومسلم فى «كتاب المساجد ومواضع الصلاة» حديث (٥٢١) باب (١) ابتداء مسجد النبى ﷺ.
- (٢) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة» حديث (٧٢٧٣) باب (١) قول النبى ﷺ «بعثت بجوامع الكلم» ومسلم فى «المساجد» حديث (٥٢٣).
- (٣) ضعيف أخرجه الترمذى فى «كتاب المناقب» حديث (٣٦١٠) باب (١) فى فضل النبى ﷺ وقال: هذا حديث حسن غريب، والدارمى (٤٩) وفيه - ليث بن أبى سليم وهو ضعيف، انظر «ضعيف سنن الترمذى» (٧٤٠).

قال ابن الأثير: المعنى لا أتبع بهذه الأوصاف، وإنما أقولها شكرا لربي، ومنها أمتي على إنعامه لي، قال ابن عقيل: إنما نفى الفخر الذي هو الكبر الواقع في النفس المنهى عنه، الذي قيل فيه ﴿لَا يُحِبُّ كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) ﴿وَلَمْ يَنْفَخْ فُخْرُ التَّجَمُّلِ بِمَا ذَكَرَهُ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي بِمِثْلِهَا يَفْتَخِرُ: ومثله قوله ﴿لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (٧٦) يعني الأشرين ولم يرد الفرح بنعمة الله تعالى. قال الخطابي: ما زلت أسأل عن معنى قوله «لواء الحمد بيدي» حتى وجدته في حديث يروى عن عقبة بن عامر أن أول من يدخل الجنة الحمدادون الله على كل حال، يعقد لهم لواء فيدخلون الجنة.

وقد روى مسلم في أفراداه من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: أنا أول الناس يشفع يوم القيامة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة (١). وفي أفراداه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع ومشفع (٢).

وعن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ، قال: غضب وقال: «أمتهكون فيها يا بن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو باطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني» (٣) رواه الإمام أحمد.

ذكر مثله ومثل الأنبياء من قبله ﷺ:

عن أبي هريرة، قال: قال أبو القاسم ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابنتي بيوتا فأحسنها وأكملها وأجملها، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها، فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان، فيقولون: لو وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك، فقال محمد ﷺ: فكننت أنا اللبنة» أخرجه في الصحيحين (٤).

(١) صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب الحيض» حديث (٣٣٠) باب (١٢) حكم صفائر المغتسلة، ورقم (٣٣٢، ٣٣١).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب الفضائل» حديث (٢٢٧٨) باب (٢) تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (١٥٠٩٤) وانظر «كنز العمال» (١/ ٢٠٠).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الجهاد والسير» حديث (٢٩٧٧) باب (١٢٢) قول النبي ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر» ورقم (٦٩٩٨ - ٧٠١٣ - ٧٢٧٣) ومسلم في «كتاب المساجد ومواضع الصلاة» حديث (٥٢٣) باب (١) ابتناء مسجد النبي ﷺ.

ذكر مثله ومثل ما بعثه الله به ﷺ:

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال «إنما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوما فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعينى وإنى أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم، فنجوا، وكذبه طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعنى واتبع ما جئت به، ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق» أخرجاه فى الصحيحين (١).

ذكر مشى الملائكة من ورائه ﷺ:

عن جابر، قال: كان أصحاب النبي ﷺ يمشون أمامه إذا خرج ويدعون ظهره للملائكة. رواه الإمام أحمد (٢).

ذكر وجوب تقديم محبته على النفس والولد والوالد:

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين» أخرجاه فى الصحيحين (٣).
وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلى من كل شيء إلا نفسى، فقال: لا، والذي نفسى بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلى من نفسى، فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر. رواه البخارى منفرداً (٤).

ذكر تعظيم الصحابة للنبي ﷺ وحبهم إياه:

عن أنس قال: رأيت النبي ﷺ والحلاق يحلقه وقد أطاف به أصحابه، ما يريدون أن تقع شجرة إلا فى يد رجل. انفرد بإخراجه مسلم (٥).

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة» حديث (٧٢٨٣) باب (٢) الاقتداء بسنن الرسول ﷺ ومسلم فى «كتاب الفضائل» حديث (٢٢٨٣) باب شفقة النبي ﷺ على أمته ومبالغته فى تحذيرهم مما يضرهم.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد فى «المسند» حديث (١٤١٧٠).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب الإيمان» حديث (١٣) باب (٧) من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومسلم فى «كتاب الإيمان» حديث (٤٤) باب (١٧) الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير.

(٤) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب الأيمان والنذور» حديث (٦٦٣٢) باب (٣) كيف كانت يمين النبي ﷺ.

(٥) صحيح: أخرجه مسلم فى «كتاب الفضائل» حديث (٢٣٢٥) باب (١٩) قربه ﷺ من الناس وتبركهم به وتواضعهم له.

وعنه قال، لما كان يوم أحد انهزم الناس عن رسول الله ﷺ، وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ مُجَوَّبٌ عليه بحجفة له، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع، لقد كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة، قال: وكان الرجل يمر معه الجعبة من النيل، فيقول: انثرها لأبي طلحة، قال: فأشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم، فقال له أبو طلحة بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك. روه البخاري^(١).

وفى الصحيحين من حديث أبي جحيفة قال: أتيت النبي ﷺ فخرج بلال بوضوئه، فرأيت الناس يتدرون ذلك الوضوء فمن أصاب منه شيئاً تمسح به، ومن لم يصب منه أخذ من بلل يد صاحبه، وخرج النبي ﷺ، وقام الناس فجعلوا يأخذون يده ويمسحون بها وجوههم، فأخذت يده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب من ريح المسك^(٢).

وعن أنس قال: لما كان يوم أحد حاص الناس حيصة، وقالوا: قُتل محمد، حتى كثرت الصوارخ في نواحي المدينة، قال: فخرجت امرأة من الأنصار فاستقبلت بأخيها وأبيها وزوجها وابنها، لا أدري بأيهم استقبلت أولاً، فلما مرت على آخرهم قالت: فما فعل النبي ﷺ؟ فيقولون: أمامك حتى ذهبت إلى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي إذا سلمت من عطب.

ذكر عبادة رسول الله ﷺ واجتهاده:

عن علقمة قال: سئلت عائشة: أكان رسول الله ﷺ يخص شيئاً من الأيام؟ قالت: لا، كان عمله ديمة، وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق؟ أخرجاه في الصحيحين^(٣).

وعن كريب أن ابن عباس أخبره أنه بات عند خالته ميمونة، زوج النبي ﷺ، قال: فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل، أو قبله بقليل، استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الجهاد والسير» حديث (٢٩٠٢) باب (٨٠) المِجَنُّ ومن يترس بترس صاحبه.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب المناقب» حديث (٣٥٥٣) باب (٢٣) صفة النبي ﷺ.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الصوم» حديث (١٩٨٧) باب (٦٤) هل يخص شيئاً من الأيام؟ والترمذي (٢٨٥٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وعن حميد قال: سئل أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن صلاة رسول الله ﷺ من الليل، فقال: ما كنا نشاء من الليل أن نراه مصلياً إلا رأيناه، وما كنا نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه، وكان يصوم من الشهر حتى نقول: لا يفطر شيئاً. أخرجاه في الصحيحين.

وعن عبد الله، قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء، قلنا: ما هممت؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه. أخرجاه في الصحيحين.

وعن حذيفة، قال: صليت مع النبي ﷺ ليلة فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة، قال: ثم مضى، فقلت: يصلى بها في ركعة فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع، فجعل يقول: سبحان ربى العظيم، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد فقال: سبحان ربى الأعلى، فكان سجوده قريباً من قيامه. انفرد بإخراجه مسلم^(١).

وسورة النساء في هذا الحديث مقدمة على آل عمران، وكذلك هي في مصحف ابن مسعود.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكوراً؟ أخرجاه في الصحيحين^(٢).

ذكر عيشه وفقره ﷺ:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً. أخرجاه في الصحيحين^(٣).

وعن أبي حازم، قال: رأيت أبا هريرة يشير بأصبعه مراراً: والذي نفس أبي هريرة بيده (١) صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب صلاة المسافرين وقصرها» حديث (٧٧٢) باب (٢٧) استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في كتاب «التهجد» حديث (١١٣٠) باب (٦) قيام النبي ﷺ، ورقم (٤٨٣٦ - ٦٤٧١) ومسلم في «كتاب صفة القيامة والجنة والنار» حديث (٢٨١٩) باب (١٨) إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الرقاق» حديث (٦٤٦٠) باب (١٧) كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، ومسلم في «كتاب الزكاة» حديث (١٠٥٥) باب (٤٢ - ٤٣) فضل التعفف والصبر والقناعة والحث على كل ذلك.

ما شبع رسول الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعا من خبز حنطة حتى فازق الدنيا^(١). أخرجاه في الصحيحين.

وعن عائشة قالت: كان ضجاع النبي ﷺ ينام عليه بالليل آدم محشوا ليفا. أخرجاه في الصحيحين^(٢).

وعن سماك بن حرب قال: سمعت النعمان بن بشير يخطب، قال: ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: رأيث رسول الله ﷺ ظل اليوم يلتوى ما يجد دقلا يملأ بطنه. انفرد بإخراجه مسلم^(٣).

وعن قتادة قالت: كنا نأتى أنسا وخبازه قائم، قال: فقال يوماً: كلوا فما أعلم رسول الله ﷺ رأى رغيفا مرققا ولا شاة سميطا قط. انفرد بإخراجه البخاري^(٤).

وعن أبي هريرة أنه مر يقوم وبين أيديهم شاة مصلية، فدعوه، فأبى أن يأكل، وقال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير. رواه البخاري.

وروى عن عائشة قالت: لما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض^(٥).

وعن أبي حازم قال: سألت سهل بن سعد فقلت له: هل أكل رسول الله ﷺ النقي؟ قال سهل: ما رأى رسول الله النقي من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله، قال: فقلت: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه وننفضه فيطير ما طار، فما بقى ثريناه فأكلناه.

وعن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير. رواه الترمذي.

وعن جابر قال: لما حفر النبي ﷺ وأصحابه الخندق أصابهم جهد شديد حتى ربط النبي ﷺ على بطنه حجرا من الجوع. رواه الإمام أحمد.

- (١) صحيح: مسلم في «كتاب الزهد» حديث (٨٩٧٦) باب الزهد.
- (٢) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الرقاق» حديث (٦٤٠٦) باب (١٧) كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، ومسلم في «كتاب اللباس» حديث (٢٠٨٢) باب التواضع في اللباس.
- (٣) صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب الزهد» (٢٩٧٧ - ٢٩٧٨) باب الزهد، والترمذي في «كتاب الزهد» حديث (٢٣٧٢) باب (٣٩) ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ وقال: هذا حديث حسن صحيح.
- (٤) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الرقاق» حديث (٦٤٥٧) باب (١٧) كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم ورقم (٥٤٢١) وابن ماجه في «كتاب الأطعمة» حديث (٣٣٠٩) باب (٢٩) الشواء.
- (٥) صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب الزهد» الحديث (٢٩٧٠).

وعن عروة أنه سمع عائشة رضي الله عنها تقول: كان يمر بنا هلال وهلال ما توقد في بيت من بيوت رسول الله ﷺ نار، قال: قلت: يا خالة فعلى أى شيء كنتم تعيشون؟ قالت: على الأسودين: التمر والماء. رواه الإمام أحمد.

وعن ابن عباس قال: قبض النبي ﷺ وإن درعه لمرهونة عند رجل من يهود على ثلاثين صاعاً من شعير أخذها رزقاً لعياله^(١). رواه الإمام أحمد.

وعن عائشة، قالت: ما رفع رسول الله ﷺ قط غداء لعشاء، ولا عشاء قط لغذاء ولا اتخذ من شيء زوجين، لا قميصين، ولا ردائين، ولا إزارين، ولا من النعال، ولا رثي قط فارغاً في بيته، إما يخصف نعلاً لرجل مسكين أو يخطط ثوباً لأرملة.

وعن أنس بن مالك أن فاطمة عليها السلام جاءت بكسرة خبز إلى النبي ﷺ فقال: ما هذه الكسرة يا فاطمة؟ قالت: قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة، فقال: أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام^(٢).

عدد غزواته وسراياه ﷺ:

غزا رسول الله ﷺ سبعا وعشرين غزاة، وقاتل منها في تسع: بدر، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقریظة، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف وقيل: إنه قاتل في بنى النضير، وفي غزاة وادى القرى منصرفه من خيبر، وقاتل في الغابة.

ذكر فصاحته ﷺ:

كان رسول الله ﷺ أفصح العرب، وكان يقول: إن الله عز وجل أدبني فأحسن أدبي^(٣)، ونشأت في بنى سعد، وقال: بعثت بجوامع الكلم^(٤).

وقد روى أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال له: يا رسول الله، ما بالك أفصحنا؟ قال: لأن كلام إسماعيل عليه السلام كان درس فأتى به جبريل عليه السلام فعلمنيه.

وقال على بن أبى طالب - رضي الله عنه -: ما سمعت كلمة عربية من العرب إلا وقد سمعتها من

(١) صحيح: أخرجه البخارى في «كتاب الجهاد والسير» حديث (٢٩١٦) باب (٨٩) ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب، وأحمد في «المسند» رقم (١٢٣٦٣).

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١/ ٢٣٢) وأبو داود الطيالسى في «مسنده».

(٣) ضعيف: انظر «أحاديث القصاص» (٧٨) و «تذكرة الموضوعات» (٣٢٧) و «الفوائد المجموعة» و «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٧٢) و «ضعيف الجامع» (٢٤٩) و «اللائى المنثورة» (١٤٨).

(٤) صحيح: أخرجه البخارى في «كتاب الجهاد والسير» حديث (٢٩٧٧) باب (١٢٢) قول النبي ﷺ: «نصرت بالربع مسيرة شهر».

رسول الله ﷺ ، وسمعته يقول: «مات حتف أنفه» وما سمعتها من عربى قبله، ومعنى هذا أن الميت على فراشه يتنفس حتى ينقضى ريقه.

ومن كلامه المتقن وأمثاله العجبية ﷺ:

قوله: «إياكم وخضراء الدمن» قيل له: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «المرأة الحسناء فى المنبت السوء».

وقوله: «إن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطاً أو يلم».

والمعنى: أن الماشية يروقها نبت الربيع فتأكل فوق حاجتها فتهلك، والحبط: أن ترم بطونها وتتفخ، فزجر بهذا الكلام عن فضول الدنيا.

وقوله: «لا ينتطح فيها عزان» و «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين».

وقوله: «هدنة على دخن، وجماعة على أقذاء».

وقوله «الآن حمى الوطيس».

وقوله: «الناس كأسنان المشط».

و «المرء كثير بأخيه».

و «لا خير فى صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما يرى لنفسه».

وقوله فى الخيل «بطونها كنز وظهورها حرز».

و «خير المال مهرة مأمورة أو سكة مأبورة».

وقوله للأنصار: «إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع».

وقوله: «خير المال» عين ساهرة لعين نائمة».

و «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

وقوله «حبك للشئ يعمى ويصم، وكل الصيد فى جوف الفرا».

«جبلت القلوب على حب من أحسن إليها».

و «البلاء موكل بالمنطق».

«الناس معادن كمعادن الذهب والفضة».

«ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن».

«زر غبا تزدد حبا».

«الصمت حكم وقليل فاعله».

«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».

«إنما الأعمال بالنيات».

«نية المؤمن أبلغ من عمله».

«إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم».

«الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل».

«المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور».

«ليس الخبر كالمعاينة».

«لا حلِيم إلا ذو أناة، ولا حكيم إلا ذو تجربة».

«الحرب خدعة».

«يا خيل الله اركبى».

«إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق».

«إن المُنْبِتَ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى».

«من يشاد هذا الدين يغلبه».

«المؤمن مرآة المؤمن».

«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على

الله الأمانى».

«ما قل وكفى خير مما كثر وألهى».

«من حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه».

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

«تنكح المرأة لمالها، ولجمالها، ودينها، وحسبها، فعليك بذات الدين تربت يداك».

«الشتاء ربيع المؤمن، قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه».

«ليس الشديد الذى يغلب الناس، ولكن الشديد الذى يغلب نفسه».

«من ضمن لى ما بين لحييه ورجليه ضمنت له الجنة».

«اليد العليا خير من اليد السفلى».

«خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول».

«أفضل الصدقة جهد من مقل».

«كلمة الحكمة ضالة كل حكيم».

«القناعة مال لا ينفد».

«استغنوا عن الناس ولو بشووص السواك».

«الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة، والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال

نصف العلم».

«المؤمن من آمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من

هجر ما نهى الله عنه».

«شر ما فى الرجل شح هالع، وجبن خالع».

«أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك».

«لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له».

«حسن العهد من الإيمان».

«جمال الرجل فصاحة لسانه».

«منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا».

«لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا وحشة أشد من العجب».

«الذنب لا يُنسى، والبر لا يلى، والديان لا يموت، فكن كما شئت».

«كما تدين تدان».

«الظلم ظلمات يوم القيامة».

«ما جُمع شىء إلى شىء أحسن من حلم إلى علم».

«التمسوا الرزق فى خبايا الأرض».

«كن فى الدنيا كأنك غريب أو كعابر سبيل، وعد نفسك من أهل القبور».

«العفو لا يزيد العبد إلا عزاً، والتواضع لا يزيده إلا رفعة».

«ما نقص مال من صدقة».

«صنائع المعروف تقى مصارع السوء».

«صلة الرحم تزيد فى العمر».

«اللهم إنى أسألك واقية كواقية الوليد».

«اللهم إنى أعوذ بك من شر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر».

«الدنيا عرض حاصر يأكل منه البر والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل أم يتبعها ولدها» .
«أخسر الناس صفقة من أذهب آخرته بدنياه غيره» .

«المجالس بالأمانة» .

«إياكم والطمع فإنه فقر حاضر» .

«استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان؛ فإن كل ذى نعمة محسود» .

«إن من كنوز البر كتمان المصائب» .

«الدال على الخير كفاعله» .

«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ» .

«الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة» .

«ليس شيء أفضل من ألف مثله إلا الإنسان» .

«اليمين حنث أو ندم» .

«لا تظهر الشماتة لأخيك، فيعافيه الله ويتليك» .

«اليوم الرهان وغداً السباق، والغاية الجنة، والهالك من دخل النار» .

قلت: ولو ذهبنا نذكر من كلام رسول الله ﷺ العجيب الوجيز البالغ لطال؛ إذ كل كلامه يتضمن حكماً، وكذلك لو ذهبنا نستقصى آدابه وأخلاقه وأحواله لجاءت مجلدات، وإنما اقتطفنا من كل فن قطفاً، وأشرنا إلى جملة برمز؛ لأن مثل كتابنا هذا لا يتسع للسط.

ذكر وفاته ﷺ:

ابتدأ برسول الله ﷺ صداع فى بيت عائشة، قالت: دخل على رسول الله ﷺ فى اليوم الذى بدئ فيه، فقلت: وارأساه، فقال: بل أنا وارأساه، ثم اشتد أمره فى بيت ميمونة، واستأذن نساءه أن يمرض فى بيت عائشة، فأذن له^(١)، وكانت مدة علته اثني عشر يوماً، وقيل: أربعة عشر.

عن عبيد الله بن عبد الله، قال: دخلت على عائشة فقلت: ألا تحدثينى عن مرض رسول الله ﷺ؟ قالت: بلى، ثقل رسول الله ﷺ، فقال: أصلى الناس؟ فقلت: لا،

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «المرضى» حديث (٥٦٦٦) باب (١٦) ما رُخص للمريض أن يقول: إني

وجع، أو وارأساه، أو اشتد بى الوجع

هم ينتظرونك يا رسول الله، فقال: ضعوا لى ماء فى المخضب، ففعلنا، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قالت: والناس عكوف فى المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء، فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبى بكر أن يصلى بالناس، وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً، فقال: يا عمر صلّ بالناس: فقال: أنت أحق بذلك، فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام.

ثم إن رسول الله ﷺ وجد خفة فخرج بين رجلين، أحدهما العباس، لصلاة الظهر فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه أن لا يتأخر، وأمرهما فأجلساه إلى جنبه فجعل أبو بكر يصلى قائماً ورسول الله ﷺ يصلى قاعداً.

فدخلت على ابن عباس فقلت: ألا أعرض عليك ما حدثنى عائشة عن مرض رسول الله ﷺ؟ فقال: هات، فحدثته فما أنكر منه شيئاً، غير أنه قال: سمّت لك الرجل الذى كان مع العباس؟ قلت: لا، قال: هو على. أخرجاه فى الصحيحين^(١).

قال ابن حبيب الهاشمى: صلى أبو بكر بالناس فى مرض رسول الله ﷺ سبع عشرة صلاة، ويقال: ثلاثة أيام.

وعن أنس بن مالك الأنصارى أن أبا بكر كان يصلى بهم فى وجع النبی ﷺ الذى توفى فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف فى الصلاة، فكشف النبی ﷺ ستر الحجر ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم يضحك، فهمنا أن نفتن من الفرح بروية النبی ﷺ، فنكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف وظن أن النبی ﷺ خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا النبی ﷺ أن أتموا صلاتكم، وأرخى الستر فتموفى فى يومه ﷺ. أخرجه فى الصحيحين^(٢).

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ يعوذ بهؤلاء الكلمات: «أذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً» قالت: فلما ثقل رسول الله ﷺ فى مرضه الذى مات فيه أخذت بيده فجعلت أمسح بها وأقولها، قالت: فنزع

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب الأذان» حديث (٦٨٧) باب (٥١) إنما جعل الإمام ليؤتم به، ومسلم فى «كتاب الصلاة» حديث (٤١٨) باب (٢١) استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما، وأحمد فى «المسند» حديث (٥١٤١).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب الأذان» حديث (٦٨٠) باب (٤٦) أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ومسلم أيضاً.

يده منى وقال: «رب اغفر لى وألحقنى بالرفيق الأعلى» قالت: فكان هذا آخر ما سمعت من كلامه ﷺ. أخرجاه فى الصحيحين^(١).

وعنها قالت: مات رسول الله ﷺ فى بيتى ويومى وبين سحرى ونحرى، فدخل عبد الرحمن بن أبى بكر ومعه سواك رطب، فنظر إليه فظننت أن له فيه حاجة، قالت: فأخذته فمضغته ونفضته وطيبته، ثم دفعته إليه فاستن كأحسن ما رأيت مستنًا قط، ثم ذهب يرفعه إلى فسقط فى يده، فجعلت أدعو الله عز وجل بدعاء كان يدعو له به جبريل عليه السلام، وكان هو يدعو به إذا مرض، فلم يدعُ به فى مرضه ذاك، فرفع بصره إلى السماء وقال: «الرفيق الأعلى، الرفيق الأعلى» يعنى وفاضت نفسه، فالحمد لله الذى جمع بين ريقى وريقه فى آخر يوم من أيام الدنيا. رواه الإمام أحمد^(٢).

وعنها - رواه - كانت تقول: «إن من نعم الله على أن رسول الله ﷺ توفى فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى، وأن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته، دخل على عبد الرحمن ويده سواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيت ينظر إليه فعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فناولته فاشتد عليه فقلت: ألينة لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فليته فأخذه فأمره وبين يديه ركوة أو علبه - يشك أبو عمرو - فيها ماء، فجعل يدخل يده فى الماء فيمسح بها وجهه ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات ثم نصب يده فجعل يقول: فى الرفيق الأعلى، حتى قبض ومالت يده».

انفرد بإخراجه البخارى^(٣) والسحر: الرثة وما يتعلق بها.

عن أبى بردة قال: أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساء ملبدًا وإزاره غليظًا، فقالت: قبض رسول الله ﷺ فى هذين. أخرجاه فى الصحيحين.

وعنها - رواه - قالت: ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا ولا شاة وبعيرًا ولا أوصى بشيء. انفرد بإخراجه مسلم^(٤).

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب الطب» حديث (٥٧٥٠) باب (٤٠) مسح الراقى الوجع بيده اليمنى، ومسلم فى «كتاب السلام» حديث (٢١٩١) باب (١٩، ٢٠) استحباب رقية المريض، واللفظ له. (٢) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب المغازى» حديث (٤٤٣٨) ومسلم فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٤٣) باب (١٣).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب المغازى» حديث (٤٤٤٩) باب (٨٣) مرض النبى ﷺ ووفاته.

(٤) صحيح: وأخرجه أيضًا البخارى فى «كتاب الوصايا» حديث (٢٧٣٩) باب (١) الوصايا من حديث عمرو بن الحارث، ختن رسول الله ﷺ.

عن أبي هريرة أن جبريل أتى النبي ﷺ في مرضه الذي قبض فيه فقال: «إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول: كيف تجدك؟ قال: أجدني وجعاً يا أمين الله» ثم جاءه من الغد فقال: يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول: كيف تجدك؟ قال: «أجدني يا أمين الله وجعاً» ثم جاءه في اليوم الثالث ومعه ملك الموت فقال: «يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول: كيف تجدك؟ قال: «أجدني يا أمين الله وجعاً، من هذا معك؟» قال: «هذا ملك الموت، عليه السلام، وهذا آخر عهدى بالدنيا بعدك وآخر عهدك بها، ولن آسى على هالك من ولد آدم بعدك، ولن أهبط إلى الأرض إلى أحد بعدك أبداً، فوجد النبي ﷺ سكرة الموت وعنده قدح فيه ماء، فكلما وجد سكرة أخذ من ذلك الماء، فمسح به وجهه ويقول: اللهم أعنى على سكرة الموت»^(١).

وعن جعفر بن محمد عن أبيه، قال: قبض رسول الله ﷺ يوم الاثنين فمكث ذلك اليوم وليلة الثلاثاء، ودفن من الليل.

ذكر إعلام أبي بكر الناس بموت رسول الله ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيّم رسول الله ﷺ وهو مُغشّى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها.

قال ابن شهاب: وحدثني أبو سلمة عن عبد الله بن عباس أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال: أبو بكر: أما بعد من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إلى قوله ﴿الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران ١٤٤).

قال: والله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها، فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال:

(١) ضعيف: أخرجه ابن ماجه في «كتاب الجنائز» الحديث (١٦٢٣) باب (٦٤) ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ، وأحمد في «المسند» حديث (٢٤٤١٠) والترمذي في «الشمائل» رقم (٢٠٣) وضعفه العلامة الألباني في «مختصر الشمائل» (٣٢٤) وقال: «إن فيه جهالة ونكارة».

والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعُفِرْتُ حتى ما تقلنى رجلاى، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها. انفرد بإخراجه البخارى^(١).

ندب فاطمة عليها السلام عليه ﷺ:

عن أنس - رضي الله عنه - قال: لما ثقل رسول الله ﷺ جعل يتغشاه الكرب، فقالت فاطمة، رضي الله عنها: واكرب أبتاه، فقال لها: ليس على أهلك كرب بعد اليوم، فلما مات قالت: يا أبتاه أجب ربا دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه، فلما دفن قالت فاطمة: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب. انفرد بإخراجه البخارى^(٢).

ذكر مبلغ سنه ﷺ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشرا، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين. أخرجاه في الصحيحين^(٣). وقد ذكرنا في حديث ربيعة عن أنس أنه توفى على رأس ستين، قال أبو بكر الخطيب: من قال «ستين» قصد أعشار السنين، ومن قال «ثلاث وستين» قصد جميع السنين، والإنسان يقول سننى أربعون ولعله قد زاد عليها إلا أن الزيادة لم تبلغ عشرا، وقد روى عمار مولى بنى هاشم عن ابن عباس أن النبي ﷺ توفى وهو ابن خمس وستين وهذا وهم، والصحيح الأول.

ذكر غسل رسول الله ﷺ:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما أجمع القوم لغسل رسول الله ﷺ وليس في البيت إلا أهله: عمه العباس، وعلى بن أبى طالب، والفضل بن العباس، وقثم بن العباس، وأسامة بن زيد، وصالح مولاه، فلما أجمعوا على غسله نادى من وراء الباب أوس بن خولى الأنصارى، وكان بدريا، على بن أبى طالب فقال: يا على، نشدتك الله حفظنا من رسول الله ﷺ، فقال

(١) صحيح: أخرجه البخارى في «كتاب الجنائز» الحديث (١٢٤١، ١٢٤٢) باب (٣) الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه.

(٢) صحيح: أخرجه البخارى في «كتاب المغازى» حديث (٤٤٦٢) باب (٨٣) ما جاء في مرض النبي ﷺ ووفاته، وابن ماجه في «كتاب الجنائز» حديث (١٦٢٩) باب (٦٥) ذكر وفاته ودفنه ﷺ.

(٣) صحيح: أخرجه البخارى في «كتاب مناقب الأنصار» حديث (٣٨٥١) باب (٢٨) بعث النبي ﷺ ومسلم في «كتاب الفضائل» حديث (٢٣٤٧) باب (٣٢، ٣٣) قدر عمره ﷺ وإقامته بمكة والمدينة.

له على، ﷺ: ادخل، فدخل فحضر غسل رسول الله ﷺ، ولم يل من غسله شيئاً، قال: فأسنده على إلى صدره وعليه قميصه، وكان العباس والفضل وقثم يلقبونه مع على، وكان أسامة وصالح يصبان الماء، وجعل على يغسله. ولم ير من رسول الله ﷺ شئ مما يرى من الميت وهو يقول: بأبي وأمي ما أطيبك حيا وميتاً.

حتى إذا فرغوا من غسل رسول الله ﷺ وكان يُتمل بالماء والسدر جففوه ثم صنع به ما يُصنع بالميت، ثم أدرج في ثلاثة أثواب: ثوبين أبيضين وبُرد حبرة.

قال: ثم دعا العباس رجلين، فقال: ليذهب أحدهما إلى أبي عبيدة بن الجراح، وكان أبو عبيدة يضرح لأهل مكة، وليذهب الآخر إلى أبي طلحة بن سهل الأنصاري، وكان أبو طلحة يلحد لأهل المدينة، قال: ثم قال العباس حين سرحهما: اللهم خر لرسولك، قال: فذهبا فلم يجد صاحب أبي عبيدة أبا عبيدة، ووجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فلحد لرسول الله ﷺ، رواه الإمام أحمد (١).

وروى جعفر بن محمد قال: كان الماء يستنقع في جفون النبي ﷺ فكان على يحسوه.

ذكر موضع قبره ﷺ:

عن ابن جريج قال: أخبرني أبي أن أصحاب محمد ﷺ لم يدروا أين يُقبر النبي ﷺ؟ حتى قال أبو بكر ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يُقبر نبي إلا حيث يموت» فأخروا فراشه وحفروا له تحت فراشه.

ذكر الصلاة عليه ﷺ:

لما غُسل وكُنَّ صلى الناس عليه أفذاذاً لا يؤمهم أحد. فأما فضل الصلاة عليه باللسان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشراً» انفرد بإخراجه مسلم (٢). وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى على واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات» رواه الإمام أحمد (٣).

(١) ضعيف: أخرجه أحمد في «المسند» حديث (٢٣٥٧).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب الصلاة» حديث (٤٠٨) باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» حديث (١٣٦٨٩).

وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة» رواه الترمذى (١).

ذكر بلوغ سلام أمته إليه ورد السلام على من يسلم عليه ﷺ:

عن عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عز وجل في الأرض ملائكة سياحين يبلغونى من أمتى السلام» رواه الإمام أحمد (٢).

وروى أيضا عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال «ما من أحد يسلم علىّ إلا رد الله إلىّ روحى حتى أرد عليه السلام» (٣).

آخر المتعلق بأخبار نبينا محمد ﷺ.

(١) ضعيف: أخرجه الترمذى فى «أبواب الصلاة» حديث (٤٨٤) باب (٢١) ما جاء فى فضل الصلاة على النبى ﷺ وقال: هذا حديث حسن غريب.

وابن خزيمة فى «ذكر البيان بأن أقرب الناس فى القيامة يكون من النبى ﷺ من كان أكثر صلاة عليه فى الدنيا» حديث (٩٠٨) وانظر «ضعيف الترمذى» رقم (٧٤).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد فى «المسند» حديث (٣٦٦٦) وقال الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٤) «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح».

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود فى «كتاب المناسك» حديث (٢٠٤١) باب (٩٦، ٩٧) زيارة القبور. وأحمد فى «المسند» رقم (١٠٧٥٩).

ذكر المشهورين بالحلم والزهّد والتعبّد من

أصحاب رسول الله ﷺ

وذكر جمل من أحوالهم وكلامهم - ﷺ -

بدأت بذكر العشرة ثم ذكرت من بعدهم على ترتيب طبقانهم ...

٢- أبو بكر الصديق رضي الله عنه

ذكر اسمه ونسبه:

اسمه: عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى .
 واسم أمه: أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر، ماتت مسلمة .
 وفي تسميته بعتيق ثلاثة أقوال :
 أحدها: ما روى عن عائشة أنها سئلت لم سُمى أبو بكر عتيقاً؟ فقالت: نظر إليه رسول الله ﷺ فقال: هذا عتيق الله من النار .
 والثاني: أنه اسم سمته به أمه، قاله موسى بن طلحة .
 والثالث: أنه سُمى به لجمال وجهه، قاله الليث بن سعد .
 وقال ابن قتيبة: لقبه النبي ﷺ بذلك لجمال وجهه، سماه النبي ﷺ صديقاً وقال:
 يكون بعدى اثنا عشر خليفة، أبو بكر الصديق لا يلبث إلا قليلاً .
 وكان على بن أبي طالب يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبى بكر من السماء: «الصديق» .

ذكر صفته:

كان أبو بكر - رضي الله عنه - نحيفاً خفيف العارضين معروق الوجه ناتئ السجبة أجنى لا يستمسك، إزاره يسترخي عن حقويه، عارى الأشجاع، يخضب بالحناء والكتم، عن أنس قال: كان أبو بكر يخضب بالحناء والكتم^(١) .

(٢) هو: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي، أبو بكر بن أبي قحافة، الصديق الأكبر، خليفة رسول الله ﷺ، مات في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة .

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٦٨) .

وعن قيس بن أبي حازم قال: دخلت مع أبي على أبي بكر، وكان رجلاً نحيفاً خفيف اللحم، أبيض.
ذكر تقدم إسلامه (١):

قال حسان بن ثابت وابن عباس وأسماء بنت أبي بكر وإبراهيم النخعي: أول من أسلم أبو بكر.

وقال يوسف بن يعقوب بن الماجشون: أدركت أبي ومشيتنا، محمد بن المنكدر، وربيعه بن أبي عبد الرحمن، وصالح بن كيسان، وسعد بن إبراهيم، وعثمان بن محمد الأخنسي، وهم لا يشكُّون أن أول القوم إسلاماً أبو بكر، وعن ابن عباس قال: أول من صلى: أبو بكر - رحمه الله - ثم تمثل بأبيات حسان:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
 خير البرية أتقاها وأعدلها إلا النبي وأوفاهما بما حملا
 الثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس حقاً صدق الرسلا
 رواه عبد الله ابن الإمام أحمد.

وعن إبراهيم قال: «أول من صلى: أبو بكر».

ذكر أولاده:

وكان له من الولد: عبد الله، وأسماء، ذات النطاقين، وأمهما قتيبة، وعبد الرحمن، وعائشة، أمهما أم رومان، ومحمد، وأمه أسماء بنت عميس، وأم كلثوم، وأمها حبيبة بنت خارجة بن زيد، وكان أبو بكر لما هاجر إلى المدينة نزل على «خارجة» فتزوج ابنته.
 فأما عبد الله: فإنه شهد الطائف.

وأما أسماء: فتزوجها الزبير فولدت له عدة، ثم طلقها، فكانت مع ابنها عبد الله إلى أن قُتل، وعاشت مائة سنة.

وأما عبد الرحمن: فشهد يوم بدر مع المشركين ثم أسلم.

وأما محمد: فكان من نساك قريش، إلا أنه أعان على عثمان يوم الدار، ثم ولاه على بن أبي طالب مصر فقتله هناك صاحب معاوية.

وأما أم كلثوم: فتزوجها طلحة بن عبيد الله، رضي الله عنه.

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٦٨) و «الطبقات» (٣/ ١٨٨) و «تهذيب الكمال» (١/ ٣٢٦).

سياق أفعاله الجميلة:

عن أسماء بنت أبي بكر قالت: جاء الصريح إلى أبي بكر، فقليل له: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا وإن له غدائر، فدخل المسجد وهو يقول: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (غافر: ٢٨) قال: فلهوا عن رسول الله وأقبلوا إلى أبي بكر، فرجع إلينا أبو بكر، فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا جاء معه، وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام.

وعن أنس قال: لما كان ليلة الغار قتال أبو بكر: يا رسول الله دعني أدخل قبلك فإن كان حية أو شيء كانت لي قبلك، قال: ادخل، فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه كلما رأى جحراً قال بثوبه فشقه، ثم ألغمه الجحر، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع، قال: فبقي جحر فوضع عقبه عليه، ثم أدخل رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال له النبي ﷺ: فأين ثوبك يا أبا بكر؟ فأخبره بالذي صنع، فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: «اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة» فأوحى الله عز وجل إليه أن الله تعالى قد استجاب لك (١).

وعن الزهري قال: قال رسول الله ﷺ لحسان: هل قلت في أبي بكر شيئاً؟ فقال: نعم، فقال: قل وأنا أسمع، فقال:

وثاني اثنين في الغار المتيف وقد طاف العدو به إذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله، قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: صدقت يا حسان، هو كما قلت (٢).

وقال المدائني: وكان رد رسول الله ﷺ.

وعن عمر بن الخطاب قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك ما لا عندي فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، قال: فقال لي رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت: لا أسألك إلى شيء أبداً (٣).

(١) ضعيف: أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٦٧) رقم (٧١) وانظر «إتحاف السادة» (٦/ ٢٥٢).

(٢) مرسل: أخرجه ابن النجار كما في «كتر العمال» (١٢/ ٥١٣) رقم (٣٥٦٧٣).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود في «كتاب الزكاة» حديث (١٦٧٨) باب في الرخصة في ذلك، والترمذي في «أبواب المناقب» حديث (٣٦٧٥) باب (١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والبيزار (٢٧٩).

وعن قيس قال: اشترى أبو بكر - رضي الله عنه - بلالا، وهو مدفون في الحجارة، بخمس أواق ذهباً، فقالوا: لو أبيت إلا أوقية لبعناك، قال: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته^(١).

سياق جمل من فضائله ومناقبه رضي الله عنه:

ذكر أهل العلم بالتواريخ والسير أن أبا بكر شهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وجميع المشاهد، ولم يفته منها مشهد، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين انهزم الناس، ودفع إليه رسول الله ﷺ رايته العظمى يوم تبوك، وأنه كان يملك يوم أسلم أربعين ألف درهم، فكان يعتق منها ويقوى المسلمين، وهو أول من جمع القرآن، وتنزه عن شرب المسكر في الجاهلية والإسلام، وهو أول من قاء تحرجًا من الشبهات.

وذكر محمد بن إسحاق أنه أسلم على يده من العشرة خمسة: عثمان بن عفان، وطلحة ابن عبيد الله، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهم.

وعن أبي سعيد قال: خطب رسول الله ﷺ الناس فقال: «إن الله عز وجل خيرٌ عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عنده» فبكى أبو بكر - رحمة الله عليه - فعجبنا من بكائه أن أخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيرٍ، فكان رسول الله ﷺ المُخَيَّرَ وكان أبو بكر أعلمنا به، فقال رسول الله ﷺ: إن من أمنَّ الناس علىَّ في صحبتِهِ وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي عز وجل لاتخذت أبا بكر، لكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقَى في المسجد باب إلا سدُّ إلا باب أبي بكر. أخرجاه في الصحيحين^(٢).

وعن أبي الدرداء، قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي ﷺ: أما صاحبكم فقد غامر، فسلم، فقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى عليَّ، فأقبلت إليك، فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر، ثلاثاً، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فقال: أئتمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر، فجننا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم، مرتين، فقال رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٧٢) رقم (٨٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الصلاة» الحديث (٤٦٦) باب (٨٠) الخوخة والممر في المسجد، ومسلم.

إن الله أرسلني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ مرتين، فما أودى بعدها. انفرد بإخراجه البخاري^(١).

وعن أبي قتادة قال: خرجنا مع النبي ﷺ عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين فاستدرت له حتى أتته من ورائه، حتى ضربته بالسيف على حبل عاتقه، فأقبل على فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت فأرسلني، فليحقت عمر بن الخطاب فقلت: ما بال الناس؟ فقال أمر الله، ثم إن الناس رجعوا وجلس النبي ﷺ فقال: من قتل قتिला له عليه بينة فله سلبه، فقمتم، فقلت: من يشهد لي، ثم جلست، ثم قال: من قتل قتिला له عليه بينة فله سلبه، فقمتم، فقلت: من يشهد لي، ثم جلست، ثم قال الثالثة مثله، فقال رجل: صدق يا رسول الله، وسلبه عندي فأرضه عني، فقال أبو بكر الصديق: لا ها الله، إذا لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله يعطيك سلبه، فقال النبي ﷺ: صدق فأعطه، فأعطانيه فابتعت به مخرفا في بني سلمة فإنه لأول مال تأثلته في الإسلام. رواه البخاري^(٢).

هكذا روى لنا في هذا الحديث أن أبا بكر قال: لا ها الله إذا، وقد ذكر أبو حاتم السجستاني فيما تلحن فيه العامة أنهم يقولون: لا ها الله إذا، والصواب: لا ها الله ذا، والمعنى: لا والله لا أقسم به، فأدخل اسم الله بين «ها» و «ذا» فعلى هذا يكون هذا من الرواة، لأنهم كانوا يروون بالمعنى دون اللفظ.

وهذا الحديث يتضمن فتوى أبي بكر بحضرة النبي ﷺ وهي من المناقب التي انفرد بها.

وعن سهل بن سعد قال: كان قتال في بني عمرو بن عوف فبلغ النبي ﷺ فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم، وقال: يا بلال، إن حضرت الصلاة ولم آت فمر أبا بكر فليصل بالناس، فلما أن حضرت الصلاة أقام بلال العصر ثم أمر أبا بكر فتقدم بهم، وجاء رسول الله ﷺ بعدما دخل أبو بكر في الصلاة، فلما رأوه صفحوا وجاء رسول الله ﷺ يشق الناس حتى قام خلف أبي بكر، قال: وكان أبو بكر إذا دخل في الصلاة لم يلتفت، فلما رأى التصفيح

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الفضائل» الحديث (٣٦٦١) باب (٥) قول النبي ﷺ «لو كنت متخذًا خليلاً».

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب فرض الخمس» الحديث (٣١٤٢) باب (١٨) من لم يُخمس الأسلاب، ومسلم في «الجهاد والسير» الحديث (١٧٥١) باب (١٣) استحقاق القاتل سلب القاتل.

لا يمسك عنه التفت فرأى النبي ﷺ خلفه فأومأ إليه رسول الله ﷺ بيده أن امضه، فقام أبو بكر على هيئته فحمد الله على ذلك ثم مشى الفهقري، قال: فمضى رسول الله ﷺ فصلى بالناس، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: أبا بكر ما منعك إذ أومأت إليك أن لا تكون مضيت؟ فقال أبو بكر: لم يكن لابن أبي قحافة أن يؤم رسول الله ﷺ، فقال للناس: «إذا نابكم شيء في صلاتكم فليسبح الرجال، ولتصفح النساء» أخرجاه في الصحيحين^(١).

وعن عائشة قالت: لما نُقِلَ رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت: فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت، فقلت لحفصة: قولي له، فقالت له حفصة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقيم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: إنكن صواخب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس.

قال: فأمرنا أبا بكر فصلى بالناس فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ في نفسه خفة، قالت: فقام يهادى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض، حتى دخل المسجد، فلما سمع أبو بكر حسه ذهب ليتأخر، فأومأ إليه رسول الله ﷺ أن قم كما أنت، فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر، قالت: فكان رسول الله ﷺ يصلى بالناس جالساً وأبو بكر قائماً، يقتدى أبو بكر بصلاة رسول الله ﷺ، والناس يقتدون بصلاة أبي بكر. أخرجاه في الصحيحين^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر» فبكى أبو بكر وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟ رواه أحمد^(٣).

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرايت إن جئت ولم أجدك؟ قال: كأنها تريد الموت قال: إن لم تجديني فأتني أبا بكر. رواه البخاري^(٤).

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الأحكام» الحديث (٧١٩٠) باب (٣٦) الإمام يأتي قومًا فيصلح بينهم، ومسلم في «كتاب الصلاة» الحديث (٤١٨) باب (٢١) استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر.

(٢) صحيح: انظر التخریج المتقدم.

(٣) حسن: أخرجه الترمذی في «أبواب المناقب» الحديث (٣٦٦١) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وانظر «صحيح الترمذی» رقم (٢٨٩٤) وابن ماجه في باب (١١) الحديث (٩٤) فضائل أصحاب رسول الله ﷺ وأحمد في «المسند» الحديث (٧٤٣٩ - ٨٧٧٦).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة» الحديث (٧٣٦٠) باب (٢٤) الأحكام التي تعرف بالدلائل.

وعن ابن عمر، قال: كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر الصديق، وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال، فنزل عليه جبريل فقال: يا محمد ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره؟ فقال: يا جبريل، أنفق ماله علىَّ قبل الفتح، قال: فإن الله عز وجل يقرأ عليك السلام، ويقول لك: قل له أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله ﷺ يا أبا بكر، إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال أبو بكر: عليه السلام، أسخط على ربي؟! أنا عن ربي راضٍ عن ربي راضٍ، أنا عن ربي راضٍ^(١).

وعن أبي رجاء العطاردي قال: دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلاً يقبل رأس رجل ويقول: أنا فداء لك، لولا أنت هلكنا، فقلت: من المُقبل ومن المُقبل؟ قالوا: ذاك عمر يقبل رأس أبي بكر في قتاله أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين.

وعن محمد ابن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن أقول ثم من؟ فيقول: عثمان، فقلت: ثم أنت؟ فقال: ما أبوك إلا رجل من المسلمين. انفرد بإخراجه البخاري.

وعن أبي سريحة قال سمعت علياً عليه السلام يقول على المنبر: ألا إن أبا بكر منيب القلب.

وعن أبي عمران الجوني قال: قال أبو بكر الصديق: لوددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن. رواه أحمد.

وعن زيد بن أرقم قال كان لأبي بكر الصديق مملوك يغسل عليه، فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة، فقال له المملوك: ما لك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة؟ قال: حملني على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فوعدونى، فلما أن كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطونى، فقال: أف لك كدت تهلكنى، فأدخل يده في حلقة فجعل يتقيأ، وجعلت لا تخرج، فقيل له: إن هذه لا تخرج إلا بالماء، فدعا بعس من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها، فقيل له: يرحمك الله، كل هذا من أجل هذه اللقمة؟ فقال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به» فخشيت أن ينبت شيء من جسدى من هذه اللقمة.

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١١٥) رقم (٩٨٤٥).

وقد أخرج البخارى فى أفراده من حديث عائشة طرُقًا من هذا الحديث .
وعن هشام عن محمد قال : كان أغير هذه الأمة بعد نبىها أبو بكر .
وعن محمد بن سيرين قال لم يكن أحد أهيى لما يعلم بعد النبى ﷺ من أبى بكر .
وعن قيس قال : رأيت أبا بكر آخذًا بطرف لسانه ويقول : هذا الذى أوردنى الموارد .
وعن ابن أبى مليكة ، قال : كان ربما سقط الخطام من يد أبى بكر الصديق ، قال : فيضرب
بذراع ناقته فينيخها ، فيأخذها ، قال : فقالوا له : أفلا أمرتنا نناولكه ؟ قال : إن حى ﷺ أمرنى
أن لا أسأل الناس شيئًا . رواه الإمام أحمد .
ذكر خلافة أبى بكر ؓ :

ذكر الواقدى عن أشياخه أن أبا بكر بويى يوم قبض رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتى
عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مهاجر رسول الله ﷺ .
وعن ابن عباس ، قال : قال عمر بن الخطاب : كان من خبرنا حين توفى رسول الله ﷺ
أن عليا والزبير تخلفوا فى بيت فاطمة ، وتخلف عنا الأنصار بأجمعهم فى سقيفة بنى ساعدة ،
 واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر ، فقلت له : يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار ،
 فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلا صالحان ، فذكرنا لنا الذى صنع القوم ، فقالا : أين تريدون
يا معشر المهاجرين ؟ فقلت : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فقالا لا عليكم أن لا تقربهم
واقضوا أمركم ، فقلت : والله لنأتينهم ، فانطلقنا حتى جئناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فإذا هم
مجتمعون ، وإذا بين ظهرائهم رجل مزمل ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : سعد بن عباد ، فقلت :
ما له ؟ قالوا : وجع ، فلما جلسنا قام خطيبهم فأتى على الله عز وجل بما هو أهله وقال :
أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دَفَّتْ
دافة منكم ، تريدون أن تختزلونا من أصلنا وتحضنونا من الأمر .

فلما سكوت أردت أن أتكلم وكنت قد زورت مقالة أعجبتنى أريد أن أقولها بين يدي أبى
بكر وكنت أدارى منه بعض الحد ، وهو كان أحلم منى وأوفر ، فقال أبو بكر : على رسلك ،
فكرهت أن أغضبه ، والله ما ترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى إلا قالها فى بديته وأفضل
حتى سكوت ، فقال : «أما بعد ، فد- ذكرتم من خبر فأنتم أهله ، ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا
لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين
أيهما شئتم» .

وأخذ بيدي ويدي أبي عبيدة بن الجراح، فلم أكره مما قال غيرها، وكان والله أن أقدم فتضرب عنقي، لا يقربني ذلك إلى إثم، أحب إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر إلا أن تغير نفسي عند الموت.

فقال قائل من الأنصار: أنا جُذِلُها المحكك، وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير، فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشيت الاختلاف، فقلت: ابسط يديك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار. رواه الإمام أحمد.

وعن إبراهيم التيمي قال: لما قبض رسول الله ﷺ أتى عمر أبا عبيدة بن الجراح فقال: ابسط يديك فلأبايعك، فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله ﷺ، فقال أبو عبيدة بن الجراح لعمر: ما رأيت لك فهة مثلها منذ أسلمت، أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين؟!.

وعن الحسن، قال: قال علي - رضي الله عنه - لما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدّم أبا بكر في الصلاة، فرضينا لدينانا من رضى رسول الله ﷺ لديننا، فقدمنا أبا بكر.

وعن عطاء بن السائب قال: لما استخلف أبو بكر أصبح غاديا إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها، فلقى عمر وأبو عبيدة فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق، قالوا: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ قالوا له: انطلق حتى نفرض لك شيئا، فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة، وماكسوه في الرأس والبطن.

وعن حميد بن هلال، قال: لما ولى أبو بكر الخلافة قال أصحاب رسول الله ﷺ: افرضوا لخليفة رسول الله ﷺ ما يغنيه: فقالوا: نعم، برداه إذا أخلقهما وضعهما وأخذ مثلهما، وظهره إذا سافر، ونفقتة على أهله كما كان ينفق قبل أن يستخلف، فقال أبو بكر ﷺ: رضيت.

وعن عمير بن إسحاق قال: خرج أبو بكر وعلى عاتقه عباءة له، فقال له رجل: أرني أكفك فقال: إليك عني لا تغرنى أنت وابن الخطاب عن عيالي.

قال علماء السير: وكان أبو بكر يحلب للحى أغنامهم، فلما بويع قالت جارية من الحى: الآن لا يحلب لنا منائح دارنا، فسمعها فقال: بلى لأحلبنها لكم، وإنى لأرجو أن لا يغيرنى ما دخلت فيه عن خُلُق كنت فيه، فكان يحلب لهم، وإنه لما ولى استعمل عمر على الحج، ثم حج أبو بكر من قابل ثم اعتمر فى رجب سنة اثنتى عشرة، فدخل مكة ضحوة فأتى منزله،

وأبو قحافة جالس على باب داره معه فتیان يحدثهم، فقليل له: هذا ابنك فنهض قائماً، وعجل أبو بكر أن ينيخ راحلته، فنزل عنها وهى قائمة، فجعل يقول: يا أبة لا تقم، ثم التزمه وقبل بين عيني أبي قحافة، وجعل أبو قحافة يبكي فرحاً بقدمه، وجاء والى مكة عتاب بن أسيد، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبى جهل، والحارث بن هشام، فسلموا عليه، فقالوا: السلام عليك يا خليفة رسول الله، وصافحوه جميعاً، فجعل أبو بكر يبكي حين يذكرون رسول الله ﷺ، ثم سلموا على أبى قحافة فقال أبو قحافة: يا عتيق، هؤلاء الملاء فأحسن صحبتهم، فقال أبو بكر: يا أبة لا حول ولا قوة إلا بالله، طوقت عظيماً من الأمر لا قوة لى به ولا يدان إلا بالله. وقال: هل من أحد يتشكى ظلامة؟ فما أتاه أحد، فأثنى الناس على واليهم.

سياق طرف من خطبه ومواعظه وكلامه ﷺ:

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما ولى أبو بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

«أما بعد أيها الناس، قد وليت أمركم ولست بخيركم، ولكن قد نزل القرآن وسن النبي ﷺ السنن فعلمنا، اعلّموا أن أكيس الكيس التقوى، وأن أحمق الحمق الفجور، وإن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق، أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينونى وإن زغت فقومونى»^(١). وعن الحسن قال: لما بويع أبو بكر قام خطيباً، فلا والله ما خطب خطبته أحد بعد، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أما بعد، فإنى وليت هذا الأمر وأنا له كاره، والله لوددت أن بعضكم كفانيه، ألا وإنكم إن كلفتمونى أن أعمل فيكم مثل عمل رسول الله ﷺ لم أقم به، كان رسول الله ﷺ عبداً أكرمه الله بالوحى وعصمه به، ألا وإنما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم فراعونى، فإذا رأيتمونى استقمتم فاتبعونى، وإذا رأيتمونى زغت فقومونى، واعلموا أن لى شيطاناً يعترينى، فإذا رأيتمونى غضبت فاجتنبونى، لا أؤثر فى أشعاركم وأبشاركم.

وعن يحيى أن أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - كان يقول فى خطبته: «أين الوضاء الحسنة وجوهم المعجبون بشأنهم؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان؟ أين الذين

(١) انظر «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٨٣) و «كنز العمال» (٥/ ٦٠٧) رقم (١٤٠٧٣).

كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور،
الوحا الوحى، النجاء النجاء»^(١).

وعن عبد الله بن عكيم قال: خطبنا أبو بكر فقال:

أما بعد، فإنى أوصيكم بتقوى الله، وأن تشنوا عليه بما هو أهله وأن تخلصوا الرغبة بالرغبة
وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، إن الله أننى على ذكرى وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٠) اعلموا عباد الله أن
الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك موثيقكم واشترى منكم القليل الفانى بالكثير
الباقى، وهذا كتاب الله فيكم لا تفسى عجائبه، ولا يطفأ نوره، فصدقوا قوله وانتصحووا كتابه
واستضيئوا منه ليوم القيامة، وإنما خلقكم لعبادته، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما
تفعلون، ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون فى أجل قد غُيب عنكم علمه، فإن
استطعتم أن تنقضى الآجال وأنتم فى عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا
فى مهل آجالكم قبل أن تنقضى آجالكم فتردكم إلى سوء أعمالهم، فإن أقواما جعلوا آجالهم
لغيرهم ونسوا أنفسهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، الوحى الوحى النجاء النجاء، إن وراءكم طالبا
حيثما مره سريع»^(٢).

ذكر مرض أبى بكر ووفاته رضي الله عنه:

عن عبد الله بن عمر قال: كان سبب موت أبى بكر وفاة رسول الله ﷺ، كمد،
فما زال جسمه يحرق حتى مات.

وعن ابن هشام، أن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا ياكلان حريرة أهديت لأبى بكر، فقال
الحارث لأبى بكر: ارفع يا خليفة رسول الله، والله إن فيها لسم سنة، وأنا وأنت نموت فى
يوم واحد، فرفع يده فلم يزالا عليّين حتى ماتا فى يوم واحد عند انقضاء السنة.

وقيل: كان بدء مرضه أنه اغتسل فى يوم بارد فحمّ خمسة عشر يوما.

وعن أبى السفر قال: مرض أبو بكر فعاده الناس، فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد
رأيتى، قالوا: فأى شىء قال لك؟ قال: إنى فعال لما أريد.

(١) أخرجه أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (١ / ٦٩) رقم (٧٩).

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم فى «المستدرک» (٢ / ٤١٥) رقم (٣٤٤٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد،

وأبو نعيم فى «حلية الأولياء» (١ / ٦٩) رقم (٨٠) وانظر «كنز العمال» (١٦ / ١٤٧) رقم (٤٤١٨٠).

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال: لما حضر أبا بكر الصديق الموت دعا عمر فقال له: «اتق الله يا عمر، واعلم أن الله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي فريضته، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئته، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأخاف أن لا ألحق بهم، وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم، ورد عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء، ليكون العبد راغباً راهباً، لا يتمنى على الله، ولا يقنط من رحمة الله، فإن أنت حفظت وصيتي فلا يك غائب أحب إليك من الموت، وهو آتيك، وإن أنت ضيعت وصيتي فلا يك غائب أبغض إليك من الموت، ولست تعجزه^(١).

وعن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدى، فنظرنا فإذا عبد نوبى كان يحمل صبيانه، وإذا ناضح كان يسقى بستاناً له، فبعثنا بهما إلي عمر، قالت: فأخبرني جدى أن عمر بكى، وقال: رحمة الله على أبى بكر، لقد أتعب من بعده تعباً شديداً.

وعنها قالت: لما حضر أبا بكر الوفاة جلس فتشهد ثم قال: «أما بعد يا بنية، فإن أحب الناس غنى إلى بعدى أنت، وإن أعز الناس على فقرى بعدى أنت، وإنى كنت نحلكت جداد عشرين وسقا من مالى فوددت والله أنك حزته، وإنما هو أخواك وأختاك، قالت: قلت: هذان أخواي فمن أختاى؟ قال: ذو بطن ابنة خارجة فأنى أظنها جارية، وفى رواية: قد ألقى فى روعى أنها جارية، فولدت أم كلثوم.

وعنها قالت: لما ثقل أبو بكر قال: أى يوم هذا؟ قلنا: يوم الاثنين، قال: فإنى أرجو ما بينى وبين الليل، قالت: وكان عليه ثوب عليه ردع من مشق، فقال: إذا أنا مت فاغسلوا ثوبى هذا وضموا إليه ثوبين جديدين وكفنونى فى ثلاثة أثواب، فقلنا: أفلا نجعلها جدداً كلها؟ قال: لا، إنما هو للمهلة، فمات ليلة الثلاثاء. أخرجه البخارى.

قال أهل السير: توفى أبو بكر ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان ليال بقين من

(١) أخرجه أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (١/ ٧١) رقم (٨٣) وابن المبارك فى «الزهد».

جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين، وأوصى أن تغسله أسماء زوجته فغسلته، وأن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ، وصلى عليه عمر بين القبر والمنبر، ونزل في حفرته ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وطلحة بن عبيد الله.

رحمه الله، ورضى عنه، وحشرنا في زمرة وأماننا على سنته ومحبته.

٣- أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ابن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى.

وأمه: حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أسلم سنة ست من النبوة وقيل: سنة خمس.

ذكر سبب إسلامه:

عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب أو بأبى جهل بن هشام، فكان أحبهما إليه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه (١).

وعن شريح بن عبيد قال: قال عمر بن الخطاب (٢): خرجت أتعرض لرسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقامت خلفه فاستفتح سورة «الحاقة» فجعلت أتعجب من تأليف القرآن قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فقرأ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ﴾ (الحاقة: ٤٠، ٤١) قال: قلت: كاهن، قال: ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥)﴾ (الحاقة) إلى آخر الآية فوقع الإسلام في قلبي.

(٣) هو: عمر بن الخطاب بن نفيل - بنون وفاء - مصغرة - ابن عبد العزى بن رباح - بتحتانية - ابن عبد الله بن قرط - بضم القاف - ابن رزاح - براء ثم زاي خفيفة - ابن عدى بن كعب القرشى العدوى، أمير المؤمنين، مشهور، جم المناقب، استشهد في ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين، وولى الخلافة عشر سنين ونصفًا.

(١) صحيح: أخرجه الترمذى فى «أبواب المناقب» الحديث (٣٦٨١) باب (١٧) فى مناقب أبى حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر، والحاكم (٨٣ / ٣) وابن حبان (٦٨٨١) وعبد بن حميد (٧٥٩) وانظر «صحيح الترمذى» (٢٩٠٧).

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد فى «المسند» (١ / ٢١١) رقم (١٠٧) قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده ضعيف لانقطاعه.

قلت: الانقطاع بين شريح بن عبيد وعمر.

وعن أنس بن مالك، قال: خرج عمر متقلداً بالسيف فوجده رجل من بنى زهرة فقال: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمداً، قال: وكيف تأمن في بنى هاشم وبنى زهرة وقد قتلت محمداً؟ فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبأت وتركت دينك الذي أنت عليه، قال: أفلا أدلك على العجب؟ يا عمر إن أختك وختنك قد صَبَّوْا وتركوا الدين الذي أنت عليه، فمشى عمر ذامراً حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خَبَّابٌ، فلما سمع خباب حس عمر توارى في البيت، فدخل عليهما فقال: ما هذه الهينة التي سمعتها عنكم؟ قال: وكانوا يقرءون «طه» فقالا: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا، قال: فلعلكما قد صبوتما، فقال له ختنه: رأييت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه فوطئه وطئاً شديداً، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها، فقالت وهي غضبي: رأييت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

فلما يشس عمر قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عنكم فأقرأه، وكان عمر يقرأ الكتب، فقالت أخته: إنك نجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل أو توضأ، فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ «طه» حتى انتهى إلى قوله ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (١٤) ﴿طه﴾ فقال عمر: دلوني على محمد، فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال: أبشر يا عمر فإنني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام» قال: ورسول الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا، فانطلق عمر حتى أتى الدار، قال: وعلى الباب حمزة وطلحة وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما رأى حمزة وجَلَ الناس من عمر قال حمزة: نعم، هذا عمر، فإن يرد الله بعمر خيراً يسلم ويتبع النبي ﷺ، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هيئاً، قال: والنبي ﷺ داخل يُوحى إليه، قال: فقام رسول الله ﷺ حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال: ما أنت متتهياً يا عمر حتى ينزل الله - يعني بك - من الخزي والنكال ما نزل بالوليد بن المغيرة؟ اللهم هذا عمر بن الخطاب، اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب، فقال عمر: أشهد إنك لرسول الله، فأسلم وقال: اخرج يا رسول الله.

وعن ابن عباس، قال: سألت عمر بن الخطاب لأى شيء سُميت الفاروق؟ قال: أسلم حمزة قبلى بثلاثة أيام، ثم شرح الله صدرى للإسلام فقلت: الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، فما في الأرض نسمة أحب إليَّ من نسمة رسول الله ﷺ، فقلت: أين رسول الله؟

فقلت أختي: هو في دار الأرقم بن أبي الأرقم عند الصفا فأتيت الدار وحمزة في أصحابه جلوس في الدار، ورسول الله ﷺ في البيت، فضربت الباب، فاستجمع القوم فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر بن الخطاب، قال: فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع ثيابه، ثم هزه هزة فما تمالك أن وقع على ركبته، فقال: ما أنت بمته يا عمر؟ قال: قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد، قال: فقلت: يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم، فقلت: فقيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن، فأخرجناه في صفين: حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، له كديد ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد، قال: فنظرت إلى قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، فسماني رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق^(١).

قال أهل السير: أسلم عمر وهو ابن ست وعشرين سنة بعد أربعين رجلاً، وقال سعيد بن المسيب: بعد أربعين رجلاً وعشر نسوة.

وقال عبد الله بن ثعلبة بن صغير: بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة.

وعن داود بن الحصين والزهرى، قالوا: لما أسلم عمر نزل جبريل، عليه السلام فقال: يا محمد، استبشر أهل السماء بإسلام عمر.

وقال ابن مسعود: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر^(٢).

وقال صهيب: لما أسلم عمر جلسنا حول البيت حلقاً، وطفنا وانتصفنا ممن غلظ علينا.

ذكر صفة عمر رضي الله عنه:

كان أبيض أمهق، تعلوه حمرة، طوالاً أصلع، أجلح، شديد حمرة العين، في عارضه خفة، وقال وهب: صفته في التوراة: قرن من حديد، أمير شديد.

ذكر أولاده:

كان له من الولد: عبد الله، وعبد الرحمن، وحفصة، أمهم زينب بنت مظعون، وزيد الأكبر، ورقية، أمهما أم كلثوم بنت على، وزيد الأصغر، وعبيد الله، أمهما أم كلثوم بنت

(١) ضعيف جداً: أخرجه أبو نعيم (١/ ٧٥) رقم (٩٣) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٨٠) والتبريزي في «مشكاة المصابيح» (٥٦٢٤) وفيه - إسحاق بن عبد الله الدمشقي - متروك.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «فضائل الصحابة» الحديث (٣٦٨٤) باب (٦) مناقب عمر بن الخطاب.

جرول، وعاصم، أمه جميلة، وعبد الرحمن الأوسط، أمه لهية أم ولد، وعبد الرحمن الأصغر، أمه أم ولد، وفاطمة، أمها أم حكيم بنت الحارث، وعياض: أمه عاتكة بنت زيد، وزينب، أمها فكيهة، أم ولد.

ذكر نزول القرآن بموافقته:

عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وافقت ربي عز وجل في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٥) وقلت: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن، فنزلت كذلك. حديث متفق عليه^(١).

ذكر جملة من مناقبه وفضائله:

قال أهل العلم: لما أسلم عمر عز الإسلام، وهاجر جهراً، وشهد بداراً وأحداً والمشاهد كلها، وهو أول خليفة دعى بأمر المؤمنين، وأول من كتب التاريخ للمسلمين، وأول من جمع القرآن في المصحف، وأول من جمع الناس على صلاة التراويح، وأول من عس في عمله، وحمل الدرة وأدب بها، وفتح الفتوح، ووضع الخراج ومصرّ الأمصار، واستقضى القضاة، ودوّن الديوان، وفرض الأعطية، وحج بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر حجة حجها. عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: قد كان في الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي فعمرو. حديث متفق عليه^(٢).

وعن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمر: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك. أخرجاه في الصحيحين^(٣). وعن ابن عمر، قال: استأذن عمر الرسول صلى الله عليه وسلم في العمرة، فقال: يا أخى أشركنا في صالح دعائك ولا تتسنا.

-
- (١) صحيح: أخرجه البخارى في «كتاب التفسير» الحديث (٤٤٨٣) باب (٩) قوله ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ ومسلم في «كتاب فضائل الصحابة» الحديث (٢٣٩٩) باب (٢) فضائل عمر رضي الله عنه.
- (٢) صحيح: أخرجه البخارى في «الأنبياء» الحديث (٣٤٦٩) ومسلم في «فضائل الصحابة» الحديث (٣٦٩٣) وأحمد في «المسند» الحديث (٢٤١٦٦).
- (٣) صحيح: أخرجه البخارى في «كتاب بدء الخلق» الحديث (٣٢٩٤) ومسلم في «الفضائل» الحديث (٢٣٩٦) وأحمد في «المسند» الحديث (١٤٧٢).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة.

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: رأيت الناس مجتمعين في صعيد، فقام أبو بكر فزاع ذنوباً أو ذنوبين وفي بعض نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم أخذها عمر فاستحالت في يده غرباً، فلم أر عبقرياً يفري فرية حتى ضرب الناس بعطن، حديث متفق على صحته.

وعنه قال: كان النبي ﷺ يحدث فقال: بينما أنا نائم أتيت بقدح، فشربت منه حتى إنني أرى الرى يخرج من أطرافي، ثم أعطيت فضلي عمر، فقالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: العلم. وهذا متفق على صحته ^(١).

ذكر خلافته:

قال حمزة بن عمرو: توفي أبو بكر مساء ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة، فاستقبل عمر بخلافته يوم الثلاثاء صبيحة موت أبي بكر.

عن جامع بن شداد، عن أبيه، قال: كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال: اللهم إني شديد فليتي، وإني ضعيف فقوتي، وإني بخيل فسختي.

ذكر اهتمامه برعيته:

عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: خرجت مع عمر إلى السوق فلحقته امرأة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجي وترك صبية صغاراً، والله ما ينضجون كراعاً، ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت عليهم الضبع، وأنا ابنة خفاف بن إيماء الغفاري وقد شهد أبي الحديبية مع النبي ﷺ، فوقف معها عمر ولم يمض وقال: مرحباً بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطاً في الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاماً وجعل بينهما نفقة وثياباً ثم ناولها خطامه ثم قال: اقتاديه فلن يفنى هذا حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها، فقال عمر: شكلك أمك، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصراً حصناً زماناً فافتتحاه ثم أصبحنا نستفيء سهمانهما فيه. انفرد بإخراجه البخاري.

وعن الأوزاعي أن عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الفضائل» الحديث (٣٦٨٠) باب (٦) مناقب عمر بن الخطاب، ومسلم في «الفضائل» الحديث (٢٣٩١) باب (٢) من فضائل عمر رضي الله عنه.

لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى، قال طلحة: ثكلتك أمك طلحة، أعثرات عمر تتبع؟^(١).

وعن ابن عمر قال: قدمت رفقة من التجار فتزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن: هل لك أن تحرسهم الليلة من السرقة؟ فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه: اتقي الله وأحسني إلى صبيك، ثم عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه، فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه، فأتى أمه فقال لها: ويحك، إنى لأراك أم سوء، ما لى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة؟ قالت: يا عبد الله قد أبرمتنى منذ الليلة، إنى أريغه عن الفطام فيأبى، قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للفتيم، قال: وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهرا، قال: ويحك لا تعجلية، فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء، فلما سلم قال: يا بؤساً لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين، ثم أمر منادياً فنادى أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام؛ فإننا نفرض لكل مولود فى الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق أن يفرض لكل مولود فى الإسلام.

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: كان عمر يصوم الدهر، وكان زمان الرمادة إذا أمسى أتى بخبز قد ثرد فى الزيت، إلى أن نحروا يوما من الأيام جزوراً فأطعمها الناس وغرفوا له طيها، فأتى به فإذا قدر من سنام ومن كبدة، فقال: أنى هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين من الجزور التى نحرنها اليوم قال: بخ بخ، بشس الوالى أنا إن أكلت أطيها وأطعمت الناس كراديسها، ارفع هذه الجفنة، هات لنا غير هذا الطعام، فأتى بخبز وزيت فجعل يكسر بيده ويشرد ذلك الخبز، ثم قال: ويحك يا يرفأ، ارفع هذه الجفنة حتى تأتى بها أهل بيت بشمغ؛ فإنى لم آتهم منذ ثلاثة أيام، وأحسبهم مقفرين، فضعها بين أيديهم.

ذكر زهده عليه السلام

عن الحسن، قال: خطب عمر الناس، وهو خليفة، وعليه إزار فيه ثنتا عشرة رقعة.

وعن أنس قال: كان بين كتفى عمر ثلاث رقاع.

وعن مصعب بن سعد قال: قالت حفصة لعمر: يا أمير المؤمنين [لو] اكتسيت ثوبا هو ألين من ثوبك، وأكلت طعاما هو أطيب من طعامك، فقد وسع الله من الرزق وأكثر من الخير، فقال: إنى سأخاصمك إلى نفسك، أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقي من شدة

(١) انظر «حلية الأولياء» (١/ ٨٤) رقم (١١٣).

العيش، وكذلك أبو بكر؟ فما زال يذكرها حتى أبكاها، فقال لها: أما والله لأشارككما في مثل عيشهما الشديد لعلّي أدرك عيشهما الرخي. رواه أحمد^(١).

ذكر تواضعه:

عن عبد الله بن عباس قال: كان للعباس ميزاب على طريق عمر، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذبح للعباس فرخان، فلما وافى الميزاب صب ماء بدم الفرخين فأصاب عمر، فأمر عمر بقلعه، ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثيابا غير ثيابه، ثم جاء فصلى بالناس فاتاه العباس فقال: والله إنه للموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، فقال عمر للعباس: وأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهرى حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، ففعل ذلك العباس. رواه أحمد.

ذكر خوفه من الله عز وجل وبكائه:

عن عبد الله بن عمر قال: كان عمر بن الخطاب يقول: لو مات جدّي بطفّ الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر^(٢).

وعن عبد الله بن عامر قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال: ليتني كنت هذه التبنة، ليتني لم أخلق، ليت أمي لم تلدني، ليتني لم أكن شيئا، ليتني كنت نسيا منسيا^(٣).

وعن عبد الله بن عيسى قال: كان في وجه عمر خطان أسودان من البكاء^(٤).

ذكر تعبده رحمة الله عليه:

عن ابن عمر قال: ما مات عمر حتى سرد الصوم.

وعن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يحب الصلاة في جوف الليل، يعني في وسط الليل.

ذكر نبذة من كلامه ومواعظه رضي الله عنه:

عن ثابت بن الحجاج، قال: قال عمر: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم

(١) انظر «حلية الأولياء» (١/ ٨٤) رقم (١١٦).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر «تاريخ الخلفاء» (ص: ١٢٩) و «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٢٢) و «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣١٣).

(٤) انظر: «مناقب عمر» لابن الجوزي (ص: ١٦٨) و «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٢٢) و «حلية الأولياء»

(١/ ٨٨) رقم (١٣٢).

قبل أن توزنوا؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، تزينا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٨).

وعن الأحنف، قال: قال لى عمر بن الخطاب: يا أحنف، من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عُرِف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه.

وعن وديعة الأنصاري قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول وهو يعظ رجلاً: لا تكلم فيما لا يعينك واعرف عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله، ولا تمش مع الفاجر فيعلمك من فجوره، ولا تطلعه على شرك، ولا تشاور في أمرك إلا الذين يخشون الله عز وجل.

ذكر وفاته ﷺ:

عن عمرو بن ميمون، قال: إني لقائم ما بيني وبين عمر إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين قال: استوا حتى إذا لم ير فيهم خلا تقدم فكبر، وربما قرأ سورة «يوسف» أو «النحل» أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعتة يقول: قتلنى أو أكلنى الكلب، حين طعنه وطار العليج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً، فلما ظن العليج أنه مأخوذ نحر نفسه.

وتناول عمر بيد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلى عمر فقد رأى الذى أرى، وأما نواحى المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله، سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا بن عباس انظر من قتلنى؟ فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفاً، الحمد لله الذى لم يجعل ميتى بيد رجل يدعى الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة - وكان العباس أكثرهم رقيقاً - فقال: إن شئت فعلت، أى قتلناهم، قال: كذبت بعدما تكلموا بلسانكم، وصلوا إلى قبلتكم، وحجوا حجكم.

فاحتُمِلَ إلى بيته فانطلقنا معه، وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقاتل يقول: لا بأس، وقاتل يقول: أخاف عليه، فأتى بنيذ فشربه فخرج من جوفه، ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جرحه فعرفوا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس يشنون عليه، وجاء رجل شاب

فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحيفة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كان كفاً، لا لى ولا على. فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا على الغلام، قال: يا بن أخى ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك.

يا عبد الله بن عمر انظر ما على من الدين فحسبوه فوجدوه سبعة وثمانين ألفاً أو نحوه، قال: إن وفاه مال آل عمر فاده من أموالهم، وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل فى قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأد عنى هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل لها: يقرأ عليك عمر السلام - ولا تقل أمير المؤمنين، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً - قل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فمضى، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدوها قاعدة تبكى، فقال: يقرأ عليك عمر السلام، يقول لك: يستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسى ولأثرته به اليوم على نفسى.

فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعونى، فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذى تحب يا أمير المؤمنين، أذنت، قال: الحمد لله ما كان شئ أهم إلى من ذلك، فإذا أنا قبضت فاحملونى، ثم سلّم وقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لى فأدخلونى، وإن ردتنى فردونى إلى مقابر المسلمين.

وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسرن معها، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة فاستأذن الرجال فولجت داخلا لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فلما قبض خرجنا به، فانطلقنا به، فسلم عبد الله بن عمر وقال: يستأذن عمر، قالت: أدخلوه، فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه. انفرد بإخراجه البخارى^(١).

وعن عثمان بن عفان قال: أنا آخركم عهداً بعمر، دخلت عليه ورأسه فى حجر ابنه عبد الله، فقال له: ضع خدى بالأرض؟ قال: فهل فخذى والأرض إلا سواء؟ قال: ضع خدى بالأرض لا أم لك، فى الثانية، أو الثالثة، وسمعتة يقول: ويلي وويل أُمى إن لم يُغفر لى، حتى فاضت نفسه.

قال سعد بن أبى وقاص: طعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين، وُدفن يوم الأحد صبيحة هلال المحرم - قال معاوية: كان عمر ابن ثلاث وستين.

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب فضائل الصحابة» الحديث (٣٧٠٠) باب (٨) قصة البيعة.

وعن الشعبي: أن أبا بكر قبض وهو ابن ثلاث وستين، وأن عمر قبض وهو ابن ثلاث وستين.

وعن سالم بن عبد الله أن عمر قبض وهو ابن خمس وستين، وقال ابن عباس: كان عمر ابن ست وستين، وقال قتادة: ابن إحدى وستين، وصلى عليه صهيب، وقال سليمان بن يسار: ناحت الجن على عمر - رضي الله عنه.

عليك سلام من أمير وباركت
قضيتَ أموراً ثم غادرت بعدها
فمن يسع أو يركب جناحي نعامه
أبعدَ قبيلٍ بالمدينة أظلمت
يد الله في ذاك الأديم الممزق
بواثقٍ في أكمامها لم تفتق
ليدرك ما قدّمت الأُمس يُسبق
له الأرض تهتز العضاء بأسواقٍ

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: لما غسل عمر وكفن وحمل على سريره وقف عليه على، عليه السلام، فقال: والله ما على الأرض رجل أحب إليّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجي بالثوب.

وعن عبد الله بن عبيد الله بن العباس قال: كان العباس خليلاً لعمر، فلما أصيب عمر جعل يدعو الله أن يريه عمر في المنام، قال: فرآه بعد حول وهو يمسح العرق عن وجهه، قال: ما فعلت؟ قال: هذا أوان فرغت، إن كاد عرشي ليهد لولا أني لقيت رءوفاً رحيماً.
قال الشيخ رضي الله عنه: أخبر عمر - رضي الله عنه - من أولى ما أستكثر منه، وإنما اقتصرت ههنا على ما ذكر منها؛ لأنني قد وضعت لمناقبه وأخباره كتاباً كبيراً يجمعها، فمن أراد استيعاب أخباره فلينظر في ذلك، والسلام.

٤- أبو عبد الله عثمان بن عفان رضي الله عنه

ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

أمه: أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، أسلمت، وكان عثمان يكنى في الجاهلية أبا عمرو، فلما ولدت له في الإسلام رقية غلاماً سماه عبد الله واكتنى به.

أسلم عثمان قديماً قبل دخول رسول الله صلّى الله عليه وآله دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، ولما خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى بدر خلفه على ابنته رقية يمرضها، وضرب له

(٤) هو: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي، أمير المؤمنين، ذو النورين، أحد السابقين الأولين، والخلفاء الأربعة، والعشرة المبشرة، استشهد في ذي الحجة بعد عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة، وعمره ثمانون، وقيل: أكثر، وقيل: أقل.

بسهمه وأجره، فكان كمن شهدا، وزوجه رسول الله ﷺ أم كلثوم بعد رقية وقال: لو كان عندي ثالثة لزوجتها عثمان، وسمى ذا النورين لجمعه بين بنتي رسول الله ﷺ، وباع عنه رسول الله ﷺ بيده في بيعة الرضوان.

ذكر صفته رضي الله عنه:

كان ربيعة، أبيض، وقيل: أسمر، رقيق البشرة، حسن الوجه، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس، عظيم اللحية يصفرها.
عن الحسن قال: نظرت إلى عثمان فإذا رجل حسن الوجه، وإذا بوجته نكاتٌ جدرى، وإذا شعره قد كسا ذراعه.

ذكر أولاده:

وكان له من الولد: عبد الرحمن ابن رقية، وعبد الله الأصغر، أمه فاختة بنت غزوان، وعمرو، وخالد، وأبان، وعمر، ومريم، أمهم أم عمرو بنت جندب من الأزد، والوليد وسعيد، وأم سعيد، أمهم فاطمة بنت الوليد، وعبد الملك، أمه أم البنين بنت عيينة بن حصن، وعائشة، وأم أبان، وأم عمرو، أمهن رملة بنت شيبة بن ربيعة، ومريم أمها نائلة بنت الفرافصة، وأم البنين، أمها أم ولد.

ذكر جملة من فضائله رضي الله عنه:

عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان جالساً كاشفاً عن فخذه فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على حاله، ثم استأذن عمر وهو على حاله، ثم استأذن عثمان فأرخصي عليه ثيابه، فلما قاموا قلت: يا رسول الله استأذن عليك أبو بكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك، فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك، فقال: يا عائشة، ألا أستحيي من رجل والله إن الملائكة لتستحيي منه. انفرد بإخراجه مسلم ^(١).

وعن عثمان، هو ابن موهب، قال: جاء رجل من أهل مصر حج البيت فرأى قومًا جلوسًا فقال: من هؤلاء؟ قالوا: قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال: يا بن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم،

(١) صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب فضائل الصحابة» الحديث (٢٤٠١) باب (٣) من فضائل عثمان بن

قال: هل تعلم أنه تغيب عن يوم بدر ولم يشهدها؟ قال: نعم، قال: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان ولم يشهدها؟ قال: نعم، قال: الله أكبر.

قال ابن عمر: تعال أبين لك: أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته ابنة رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده فقال: هذه لعثمان.

فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك^(١). رواه البخاري.

وعن أبي سعيد الخدري قال: رأيت رسول الله ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعا يديه يدعو لعثمان: «اللهم عثمان، رضيت عنه فارض عنه».

ذكر تنبيه الرسول ﷺ عثمان على ما سيجرى عليه:

عن عائشة قالت: كنت عند النبي ﷺ فقال: يا عائشة لو كان عندنا من يحدثنا، قالت: قلت: يا رسول الله ألا أبعث إلى أبي بكر؟ فسكت ثم قال: لو كان عندنا من يحدثنا، فقلت: ألا أبعث إلى عمر؟ فسكت، قالت: ثم دعا وصيفا بين يديه فساره فذهب.

قالت: فإذا عثمان يستأذن، فأذن له، فدخل فواجه النبي ﷺ طويلا ثم قال: يا عثمان إن الله عز وجل مقمصك قميصًا فإذا أرادك المنافقون على أن تخلعه فلا تخلعه لهم ولا كرامة، يقولها له مرتين أو ثلاثا. رواه أحمد.

وعن أبي موسى أنه كان مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل يستفتح، فقال النبي ﷺ: افتح له وبشره بالجنة، فإذا عمر، ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر وكان متكئا فجلس فقال: افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه أو تكون، فإذا عثمان، ففتحت له وبشرته بالجنة فأخبرته بالذي قال، فقال: الله المستعان^(٢).

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب فضائل الصحابة» الحديث (٣٦٩٨) باب (٧) مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «فضائل الصحابة» حديث (٣٦٧٤) باب (٤) فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، والترمذي الحديث (٣٧١٠) ومسلم في «فضائل الصحابة» الحديث (٢٤٠٣).

وعن سهل بن سعد قال: ارتج أحدٌ وعليه النبي ﷺ وأبو بكر، وعمر، وعثمان، فقال النبي ﷺ: اسكن أحد، فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان. رواه أحمد.

ذكر أفعاله الجميلة وطاعاته:

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذ اهتز الجبل فركضه بقدمه ثم قال: اسكن حراء ليس عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد وأنا معه، فانتشد له رجال.

قال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ بعثنى إلى المشركين من أهل مكة، قال: هذه يدي وهذه يد عثمان فبايع، فانتشد له رجال.

قال: أنشد بالله من سمع رسول الله ﷺ قال: من يوسع لنا بهذا البيت فى المسجد بيت له فى الجنة؟ فابتعته من مالى فوسعت به المسجد، فانتشد له رجال.

قال: وأنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة قال: من ينفق اليوم نفقة متقبلة؟ فجهزت نصف الجيش من مالى، قال: فانتشد له رجال.

قال: وأنشد بالله من شهد رومة يباع ماؤها ابن السبيل، فابتعتها من مالى فأباحتها ابن السبيل، فانتشد له رجال. رواه الإمام أحمد.

وعن عبد الرحمن بن خباب السلمى، قال: خطب النبي ﷺ فحث على جيش العسرة، فقال عثمان: على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، ثم حث، فقال عثمان: على مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها، قال: ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث، فقال عثمان: على مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها، فرأيت النبي ﷺ يقول بيده يحركها: ما على عثمان ما عمل بعد هذا. رواه عبد الله ابن الإمام أحمد^(١).

وعن الزبير بن عبد الله عن جده له يقال لها رُحيمة قالت: كان عثمان يصوم الدهر ويقوم الليل إلا هجعة من أوله. رواه الإمام أحمد.

وعن ابن سيرين، قال: قالت امرأة عثمان حين قتل عثمان: قتلتموه وإنه ليحيى الليل كله بالقرآن؟

وعنه قال: قالت امرأة عثمان بن عفان حين أطافوا يريدون قتله: إن تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يحيى الليل كله فى ركعة يجمع فيها القرآن.

(١) حسن: أخرجه الترمذى فى «كتاب المناقب» حديث (٣٧٠١) باب (١٩) مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأحمد فى «المسند» حديث (٢٠٦٥٥).

وعن يونس، أن الحسن سئل عن القائلين في المسجد، فقال: رأيت عثمان بن عفان يقبل في المسجد، وهو يومئذ خليفة، ويقوم وأثر الحصى بجنبه، قال: فنقول: هذا أمير المؤمنين، هذا أمير المؤمنين. رواه أحمد.

وعنه قال: رأيت عثمان نائماً في المسجد ورداؤه تحت رأسه، فيجىء الرجل فيجلس إليه، ثم يجىء الرجل فيجلس إليه، كأنه أحدهم.

وعن سليمان بن موسى أن عثمان بن عفان دُعِيَ إلى قوم كانوا على أمر قبيح، فخرج إليهم فوجدتهم قد تفرقوا، ورأى أمراً قبيحاً فحمد الله إذ لم يصادفهم وأعتق رقبة، وعن شريح بن مسلم أن عثمان كان يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت. عن الحسن، وذكر عثمان بن عفان وشدة حيائه، فقال: إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق، فما يصنع الثوب ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه.

وعن الزبير بن عبد الله قال: حدثتني جدتي أن عثمان بن عفان كان لا يوقظ أحداً من أهله من الليل إلا أن يجده يقظانا فيدعوه فيناوله وضوءه، وكان يصوم الدهر.

ذكر خلافته:

بويح يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، واستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين، وعاش في الخلافة اثنتي عشرة سنة، قال أبو معشر: إلا اثنتي عشرة ليلة.

ذكر مقتله:

حُصِرَ في منزله أياماً ثم دخلوا عليه فقتلوه يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة، ويقال لثمانى عشرة خلت من سنة خمس وثلاثين.

واختلف في قاتله فقيل: الأسود التجيبي من أهل مصر، وقيل: جبلة بن الأيهم، وقيل: سودان بن رومان المرادي، ويقال: ضربه التجيبي، ومحمد بن أبي حذيفة، وهو يقرأ في المصحف، وكان صائماً يومئذ.

ودفن ليلة السبت بالبقيع وسنه تسعون، وقيل: خمس وتسعون، وقيل ثمان وثمانون، وقيل اثنتان وثمانون.

وعن عبد الله بن فروخ قال: شهدت عثمان بن عفان دفن في ثيابه بدمائه، وقيل: صلى عليه الزبير، وقيل: حكيم بن حزام، وقيل: جبير بن مطعم.

وعن الحسن قال: لقد رأيت الذين قتلوا عثمان تحاصبوا في المسجد حتى ما أبصر أديم السماء، وإن إنساناً رفع مصحفاً من حجرات النبي ﷺ ثم نادى: ألم تعلموا أن محمداً ﷺ قد برئ ممن فرق دينه وكان شيعاً؟

ذكر ثناء الناس عليه عليه السلام:

قد صح عن أبي بكر الصديق أنه أملى على عثمان وصيته عند موته، فلما بلغ إلى ذكر الخليفة أغمى عليه، فكتب عثمان: «عمر» فلما أفاق قال: من كتبت؟ قال: «عمر» فقال: لو كتبت نفسك لكنت لها أهلاً.

وقد صح عن عمر أنه جعله في أهل الشورى، وشهد له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وهو عنه راضٍ.

وعن مطرف قال: لقيت علياً عليه السلام فقال لى: يا أبا عبد الله ما بطأ بك عنا؟ أحب عثمان؟ أما لئن قلت ذاك لقد كان أوصلنا للرحم وأتقنا للرب تعالى.

عن ابن عمر قال: كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر، ثم عمر ابن الخطاب، ثم عثمان بن عفان. انفرد بإخراجه البخارى.

وعن عبد الله قال حين استُخلف عثمان: استخلفنا خير من بقى ولم نأله.

وعن ابن عمر: ﴿أَمِنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (الزمر: ٩) قال: هو عثمان بن عفان - رضى الله عنه وأرضاه - وحشرنا في زمرة، وأماتنا على سنته ومحبته.

٥- أبو الحسن على بن أبي طالب عليه السلام

واسم أبى طالب: عبد مناف بن عبد المطلب.

وأمه: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أسلمت وهاجرت.

ويكنى أبا الحسن، وأبا تراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال: تسع، ويقال: عشر، ويقال: خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها، ولم يتخلف إلا فى تبوك؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فى أهله وكان غزير العلم.

ذكر صفته:

كان آدم شديد الأدمة، ثقیل العينين عظيمهما، أقرب إلى القصر من الطول، ذا بطن، كثير

(٥) هو: على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمى، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته، من السابقين الأولين، ورجع جمع أنه أول من أسلم، وهو أحد العشرة، مات فى رمضان سنة أربعين، وهو يومئذ أفضل الأحياء من بنى آدم بالأرض، بإجماع أهل السنة، وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

الشعر، عظيم اللحية، أصلع، أبيض الرأس واللحية، لم يصفه أحد بالخضاب إلا سودة بن حنظلة؛ فإنه قال: رأيت علياً أصفر اللحية، ويشبه أن يكون قد خضب مرة ثم ترك.

ذكر أولاده عليه السلام:

كان له من الولد أربعة عشر ذكراً وتسع عشرة أنثى: الحسن، والحسين، وزينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى، أمهم فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومحمد الأكبر، وهو ابن الحنفية، وأمه: خولة بنت جعفر، وعبيد الله، قتله المختار، وأبو بكر، قُتل مع الحسين، أمهما: ليلى بنت مسعود، والعباس الأكبر وعثمان وجعفر وعبد الله قُتلوا مع الحسين، أمهم أم البنين بنت حزام بن خالد، ومحمد الأصغر، قتل مع الحسين، أمه أم ولد، ويحيى وعون، أمهما أسماء بنت عميس، عمر الأكبر، ورقية: أمهما الصهباء، سبية، ومحمد الأوسط، أمه أمانة بنت أبي العاص، وأم الحسن، ورملة الكبرى: أمهما أم سعيد بنت عروة، وأم هانئ وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمانة، وخديجة، وأم الكرام، وأم جعفر، وجمانة ونفيسة وأم سلمة، وهن لأمهات شتى، وابنة أخرى لم يذكر اسمها ماتت صغيرة.

فهؤلاء الذين عرفنا من أولاد علي عليه السلام.

ذكر ارتقائه منكب رسول الله ﷺ:

عن أبي مريم، عن علي، قال: انطلقت أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله ﷺ: اجلس، وصعد علي منكبي، فذهبت لأنهض به فرأى منى ضعفاً، فنزل وجلس لي نبي الله ﷺ وقال لي: اصعد علي منكبي، فصعدت علي منكبيه، قال: فنهض بي، فإنه ليخيل إليّ أني لو شئت لثلث أفق السماء، حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى استمكنت منه، قال لي رسول الله ﷺ: اقذف به، فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس. رواه أحمد (١).

ذكر محبة الله عز وجل له ومحبة رسول الله ﷺ:

عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المستد» الحديث (٦٤٤).

الله عليه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال: فبات الناس يذكرون أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله عليه السلام، كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: يا رسول الله، يشتكي عينه، قال: فأرسلوا إليه، فأتى به، فبصق رسول الله عليه السلام في عينيه ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال علي عليه السلام: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم. رواه الإمام أحمد وأخرجاه في الصحيحين عن قتية^(١).

ذكر إخاء النبي عليه السلام عليا عليه السلام:

عن سعد بن أبي وقاص قال: خلف رسول الله عليه السلام علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي»^(٢) أخرجاه في الصحيحين.

ذكر جمل من مناقبه عليه السلام:

عن زر بن حبیش قال: قال علي: والله إنه لما عهد إلى رسول الله عليه السلام أنه قال: لا يبغيضني إلا منافق ولا يحبني إلا مؤمن، انفرد بإخراجه مسلم.

وعن زاذان، قال: سمعت عليا بالرحبة وهو ينشد الناس: من شهد رسول الله عليه السلام في يوم «غدير خم» وهو يقول ما قال، فقام ثلاثة عشر رجلا فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله عليه السلام يقول: «من كنت مولاه فعلى مولاه»^(٣) رواه الإمام أحمد.

وعن هبيرة قال: خطبنا الحسن بن علي فقال: لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون بعلم، ولم يدركه الآخرون، كان رسول الله عليه السلام يبعثه بالراية، وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، لا ينصرف حتى يُفتح له. رواه أحمد.

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الجهاد والسير» حديث (٣٠٠٩) باب (١٤٣) فضل من أسلم على يديه رجل، ومسلم في «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٠٦) باب (٤) فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، وأحمد في «المسند» حديث (١٦٥٣٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب فضائل الصحابة» حديث (٣٧٠٦) باب (٩) مناقب علي بن أبي طالب، ومسلم في «الفضائل» حديث (٢٤٠٤) باب (٤) من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٣) حسن: أخرجه الترمذي في «كتاب المناقب» حديث (٣٧١٣) باب (٢٠) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه الحديث (١٢١) وأحمد في «المسند» (٢٢٠/٥).

وعن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن.

ذكر زهده:

عن علي بن ربيعة، عن علي بن أبي طالب قال: جاء ابن التياح فقال: يا أمير المؤمنين، امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء، فقال: الله أكبر، ثم قام متوكئاً على ابن التياح حتى قام على بيت المال فقال:

هذا جنائ وخياره فيه وكل جان يده إلى فيه

يا بن التياح على بأشياخ الكوفة، قال: فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت المال وهو يقول: يا صفراء يا بيضاء غرى غرى، ها، وها، حتى ما بقى فيه دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين. رواه أحمد^(١).

وعن أبي صالح قال: قال معاوية بن أبي سفيان لضرار بن ضمرة: صف لى عليا، فقال: أوتعفينى؟ قال: بل صفه، قال: أوتعفينى؟ قال: لا أعفيك، قال: أما إذا فليخ والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وينطق بالحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، كان والله كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويتدثنا إذا أتينا، ويأتينا إذا دعونا، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هية، ولا نبتديه لعظمه، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سجوفه وغارت نجومه، وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تمللم السليم، ويكي بكاء الحزين، وكأنى أسمع وهو يقول: يا دنيا يا دنيا، أبى تعرضت؟ أم لى تشوفت؟ هيهات هيهات، غرى غرى، قد بتك ثلاثا لا رجعة لى فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير، آه من قلة الزاد وبعد السفر، ووحشة الطريق.

قال: فذرفت دموع معاوية - رضي الله عنه - حتى خرت على لحيته فما يملكها، وهو ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء، ثم قال معاوية: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك،

(١) أخرجه أحمد فى «المسند» وأبو نعيم فى «حلية الأولياء» (١/ ١٢٢) رقم (٢٤٤).

فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من دُبِحَ ولُدّها في حجرها فلا ترقأ عبرتها، ولا يسكن حزنها^(١).

وعن هارون بن عنترة، عن أبيه، قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق وهو يرعد تحت سمل قطيفه فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال نصيباً وأنت تصنع بنفسك ما تصنع؟! فقال: وأنا ما أرزؤكم من مالكم شيئاً وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي، أو قال من المدينة.

وعن أبي مطرف قال: رأيت علياً عليه السلام مؤتزراً بإزار مرتدياً برداء، ومعه الدرة كأنه أعرابي يدور، حتى بلغ سوق الكرابيس فقال: يا شيخ، أحسن بيعي في قميص بثلاثة دراهم، فلما عرفه لم يشتري منه شيئاً، فأتى غلاماً حدثاً فاشتري منه قميصاً بثلاثة دراهم، ثم جاء أبو الغلام فأخبره فأخذ أبوه درهماً ثم جاء به فقال: هذا الدرهم يا أمير المؤمنين، قال: ما شأن هذا الدرهم؟ قال: كان قميصنا ثمن درهمين، قال: باعني رضاي وأخذ رضاه.

وعن عمرو بن قيس، أن علياً عليه السلام رأى عليه إزار مرقوع، فعوتب في لبوسه فقال: يقتدى بي المؤمن، ويخشع له القلب.

وعن أبي النوار قال: رأيت علياً اشترى ثوبين غليظين، خير قبراً أحدهما.

وعن فضيل بن مسلم، عن أبيه، أن علياً اشترى قميصاً ثم قال: اقطعه لي من ههنا من أطراف الأصابع، وفي رواية أخرى أنه لبسه فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه فأمر به فقطع ما فضل عن أطراف الأصابع.

وعن علي بن الأقرم عن أبيه قال: رأيت علياً - عليه السلام - وهو يبيع سيفاً له في السوق ويقول: من يشتري مني هذا السيف؟ فوالذي فلق الحبة لطال ما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته.

ذكر ورعه:

عن رجل من ثقيف أن علياً - عليه السلام - استعمله على عكبر، قال: قال لي: إذا كان عند الظهر فَرَحُ إلى فرحتُ إليه فلم أجد عنده حاجباً يحبسني دونه، فوجدته جالساً وعنده قدح وكوز من ماء، فدعا بظبية، فقلت في نفسي: لقد أمنتني حين يخرج إلى جوهرًا ولا أدري ما فيها، فإذا عليها خاتم، فكسر الخاتم فإذا فيها سويق، فأخرج منها فصب في القدح وصب

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٢٦) رقم (٢٦١).

عليه ماء فشرب وسقاني، فلم أصبر فقلت: يا أمير المؤمنين، أتصنع هذا بالعراق وطعام العراق أكثر من ذلك؟ قال: أما والله ما أحتم عليه بخلا عليه، ولكنني أبتاع قدر ما يكفيني، فأخاف أن يفنى فيصنع من غيره، وإنما حفظي لذلك، وأكره أن أدخل بطني إلا طيبًا.

وعن عمرو بن يحيى عن أبيه قال: أهدى إلى علي بن أبي طالب أزقاق سمن وعسل، فرأها قد نقصت، فسأل، فقيل: بعثت أم كلثوم فأخذت منه، فبعثت إلى المقومين فقوموه خمسة دراهم، فبعثت إلى أم كلثوم: ابعثي إلى بخمسة دراهم.

وعن مجاهد قال: قال علي عليه السلام: جعت مرة بالمدينة جوعًا شديدًا فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدرًا فظننتها تريد بله فأتيها، فقاطعتها كل ذنوب على تمر، فمددت ستة عشر ذنوبًا حتى مجلت يدي ثم أتيت الماء فأصبت منه، ثم أتيتها فقلت بكفى «هكذا» بين يديها وبسط يديه، وجمعهما، فعدت لى ست عشرة تمره فأتيته النبي ﷺ فأخبرته، فأكل معي منها.

كلمات منتخبة من كلامه ومواعظه عليه السلام:

عن عبد خير عن علي عليه السلام قال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر عملك ويعظم حلمك، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنوبًا فهو يتدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقل عمل في تقوى وكيف يقل ما يتقبل (١).

وعن مهاجر بن عمير قال: قال علي بن أبي طالب: «إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل: فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسى الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل» (٢).

وعن رجل من بنى شيبان أن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - خطب فقال: «الحمد لله أحمدته وأستعينه، وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليزيح به علكم، وليوقظ به غفلتكم، واعلموا أنكم

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١ / ١١٧) رقم (٢٣٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١ / ١١٧) رقم (٢٣٥).

ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها، فلا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها دارٌ بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالعذر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال، وهى بين أهلها دول وسجال، لا تدوم أحوالها، ولن يسلم من شرها نزالها، بينا أهلها منها فى رخاء وسرور إذا هم منها فى بلاء وغرور، أحوال مختلفة، وتارات متصرفة، العيش فيها مذموم، والرخاء فيها لا يدوم، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها، وتقصمهم بحمامها، وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور.

واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من زهرة الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعماراً، وأشد منكم بطشا، وأعمر دياراً، وأبعد آثاراً، فأصبحت أموالهم هامة من بعد نقلتهم، وأجسادهم بالية، وديارهم خالية، وآثارهم عافية، فاستبدلوا بالقصور المشيدة والتمارق الممهدة الصخور والأحجار فى القبور، التى قد بنى على الخراب فناؤها، وشيد بالتراب بناؤها، فمحلها مقترب، وساكنها مغترب، بين أهل عمارة موحشين، وأهل محلة متشاغلين، لا يستأنسون بالعمران، ولا يتواصلوا تواصل الجيران والإخوان، على ما بينهم من قرب الجوار، ودنو الدار، وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكلة البلى، وأظلمتهم الجنادل والثرى، فأصبحوا الحياة أمواتا، وبعد غضارة العيش رفاتا، فُجع بهم الأحباب، وسكنوا التراب، وظعنوا فليس لهم إياب، هيهات هيهات ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُعْعَثُونَ (١٠٠)﴾ (المؤمنون) وكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى، والوحدة فى دار المئوى، وارتهنتم فى ذلك المضجع، وضمكم ذلك المستودع، فكيف بكم لو قد تناهت الأمور، وبعثرت القبور، وحُصِّل ما فى الصدور، ووقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل، فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب، وهتكت عنكم الحجب والأستار، وظهرت منكم العيوب والأسرار، هناك ﴿تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (غافر: ١٧) إن الله عز وجل يقول: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١)﴾ (النجم) وقال: ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)﴾ (الكهف) جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه، متبعين لأوليائه، حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله، إنه حميد مجيد.

عن الحسن بن على - (عليه السلام) - قال: طوبى لكل عبد نومة عرف الناس ولم يعرفه الناس،

عرفه الله برضوان، أولئك مصابيح الهدى، يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة، سيدخلهم الله في رحمة منه، ليسوا بالمذاييع البذر ولا الجفأة المرائين.

وعن عاصم بن ضمرة عن علي - رضي الله عنه - «ألا إن الفقيه الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذاب الله، ولا يرخص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها».

عن الشعبي أن عليا - رضي الله عنه - قال «يا أيها الناس، خذوا عن هؤلاء الكلمات، فلو ركبتم المطى حتى تنضوها ما أصبتم مثلها: لا يرجون عبدًا إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي - إذا لم يعلم - أن يتعلم، ولا يستحي - إذا سئل عما لا يعلم - أن يقول: لا أعلم، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس له».

وعن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب، قال: أوحى الله عز وجل إلى نبي بين الأنبياء أنه ليس من أهل بيت ولا أهل دار ولا أهل قرية يكونون لى على ما أحب، فيتحولون عن ذلك إلى ما أكره، إلا تحولت لهم مما يحبون إلى ما يكرهون، وليس من أهل بيت ولا أهل دار ولا أهل قرية يكونون لى على ما أكره فيتحولون من ذلك إلى ما أحب إلا تحولت لهم مما يكرهون إلى ما يحبون.

وعن عبد الله بن عباس أنه قال: ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتفاعى بكتاب كتب به إلى علي بن أبي طالب، فإنه كتب إلى:

«أما بعد فإن المرء يسوءه فوت ما لم يكن ليدركه، ويسره درك ما لم يكن ليفوته، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحا، وما فاتك منها فلا تأس عليه حزنا، وليكن همك فيما بعد الموت».

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، أن عليا - رضي الله عنه - شيع جنازة فلما وضعت في لحدها عج أهلها وبكوها فقال: «ما تبكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم لأذهلتهم معايتهم عن ميتهم وإن له فيهم لعودة، حتى لا يبقى منهم أحدا، ثم قام فقال:

أوصيكم، عباد الله، بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال، وجعل لكم أسماعا تعى ما عناها، و أبصارا لتجلو عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها، إن الله لم يخلقكم عبثا، ولم يضرب عنكم الذكر صفحا، بل أكرمكم بالنعم السوابغ، وأرصد لكم

الجزاء، فاتقوا الله عباد الله وجدوا في الطلب، وبادروا بالعمل قبل هادم اللذات، فإن الدنيا لا بدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسناد مائل، اتعظوا عباد الله بالعبر، وازدجروا بالنذر، وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وضمنتم بيت التراب، ودهمتكم مفضعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور، وسياق المحشر، وموقف الحساب، بإحاطة قدرة الجبار، كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الزمر) فارتجت لذلك اليوم البلاد، ونادى المنادى، وحشرت الوحوش، وبدت الأسرار، وارتجت الأفئدة، وبرزت الجحيم قد تأجج جحيمها وغلا حميمها، عباد الله، اتقوا الله تقية من وجل وحذر وأبصر وازدجر، فاحتث طلبا ونجا هربا، وقدم للمعاد واستظهر بالزاد، وكفى بالله منتقما ونصيرا وكفى بالكتاب خصما وحجيحا، وكفى بالجنة ثوبا، وكفى بالنار وبالا وعقابا، وأستغفر الله لى ولكم.

وعن كميل بن زياد قال: أخذ على بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان فلما أصبحنا جلس، ثم تنفس، ثم قال: «يا كميل بن زياد، القلوب أوعية فخيرها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك، الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج راع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق.

العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل، والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم، والمال محكوم عليه، وصناعة المال تزول بزواله، ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يكسبه الطاعة في حياته، وجميل الأحذوثة بعد مماته، مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

إن ههنا، وأوما بيده إلى صدره، علما لو أصبت له حملة بلى أصبته لقنًا غير مأمون عليه، يستعمل آلة الدين للدنيا، يستظهر بنعم الله على عباده، وبحججه على كتابه، أو معاند لأهل الحق لا بصيرة له في إحيائه، ينقذح الشك في قلبه، عارض من شبهة، لا ذا ولا ذاك، أو منهوما باللذات سلس القياد للشهوات، أو مغرَى بجمع الأموال والادخار، ليسا من دعاة الدين في شيء، أقرب شيها بهم الأنعام السائمة.

كذلك يموت العلم بموت حامله، اللهم بلى، لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة لكي

لا تبطل حجج الله وبيناته أولئك هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، بهم يحفظ الله حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم، ويزرعونها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فاستلنا ما استوعر المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة في المحل الأعلى، آه آه، شوقاً إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لى ولك، إذا شئت فقم».

وعن أبى أراكة، قال: صليت مع على بن أبى طالب - رضي الله عنه - صلاة الفجر، فلما سلم انفتل عن يمينه، ثم مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد بقيد رمح، قال وقلب يده:

«لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبهه، لقد كانوا يصبحون شعناً صفرًا غبراً، بين أعينهم أمثال وكب المعزى، قد باتوا لله سجداً وقياماً، يتلون كتاب الله يراوحن بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله لكان القوم باتوا غافلين». ثم نهض فما رئى مفترأ يضحك حتى ضربه ابن ملجم، والسلام.

ذكر مقتله ﷺ:

عن زيد بن وهب، قال: قدم على على بن قوم من أهل البصرة من الخوارج، فيهم رجل يقال له: الجعد بن بعجة، فقال له: اتق الله يا على فإنك ميت، فقال له على - رضي الله عنه - بل مقتول، ضربة على هذا تخضب هذه - يعنى لحيته من رأسه - عهد معهود، وقضاء مقضى، وقد خاب من افترى».

وعاتبه في لباسه فقال: ما لكم وللباس؟ هو أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدى بى المسلم. وعن أبى الطفيل قال: دعا على الناس إلى البيعة، فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادى فرده مرتين، ثم أتاه فقال: ما يحبس أشقاها؟ لتخضبن أو لتصبغن هذه - يعنى لحيته من رأسه - ثم تمثل بهذين البيتين:

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت آتيك
ولا تجزع من القتل إذا حل بواديك

وعن أبى مجلز قال: جاء رجل من مراد إلى على وهو يصلى في المسجد، فقال:

احترس فإن ناسا من مراد يريدون قتلك، فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر عليه، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وإن الأجل جنة حصينة.

قال العلماء بالسير: ضربه عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان، وقيل: ليلة إحدى وعشرين منه، سنة أربعين، فبقي الجمعة والسبت، ومات ليلة الأحد، وغسله ابنه وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، ودُفن في السحر، وفي سنة أربعة أقوال: أحدها: ثلاث وستون، والثاني خمس وستون، والثالث: سبع وخمسون، والرابع ثمان وخمسون.

عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قتل علي - رضي الله عنه - وهو ابن ثمان وخمسين، ومات لها حسن، وقتل لها الحسين، ومات علي بن الحسين وهو ابن ثمان وخمسين، وسمعت جعفرا يقول: سمعت أبي يقول لعمة بنت حسين أم عبد الله بن حسن: هذه توفي لي ثمانيا وخمسين فمات لها.

قال سفيان: وسمعت جعفر بن محمد يقول: وقد زدت أنا على ثمان وخمسين. وعن أبي جعفر، قال: هلك علي بن أبي طالب وله خمس وستون سنة، قال: وكان علي وطلحة والزبير في سن واحد.

٦- أبو محمد طلحة بن عبيد الله

ابن عثمان بن عمرو بن كعب

ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي.

أمه: الصعبة بنت الحضرمي، أخت العلاء، أسلمت وأسلم طلحة قديما، وبعثه رسول الله ﷺ مع سعيد بن زيد قبل خروجه إلى بدر، يتحسان خبر العين، فمرت بهما، فبلغ رسول الله ﷺ الخبر، فخرج ورجعا يريدان المدينة، ولم يعلما بخروج النبي ﷺ فقدا في اليوم الذي لاقى فيه رسول الله ﷺ المشركين، فخرجا يعترضان رسول الله ﷺ فلقياه منصرفا من بدر فضرب لهما بسهامهما وأجرهما، فكلنا كمن شهدا.

وشهد طلحة أحدا، وثبت يومئذ مع رسول الله ﷺ، ووقاه بيده فشلت إصبعاه، وجرح يومئذ أربعين جراحة ويقال: كانت فيه خمس وسبعون، بين طعنة وضربة ورمية،

(٦) هو: طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي، أبو محمد المدني، أحد العشرة مشهور، استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين، وهو ابن ثلاث وستين.

وسماه رسول الله ﷺ يوم أحد «طلحة الخير» ويوم غزوة ذات العشيرة «طلحة الفياض» ويوم حنين: «طلحة الجود»^(١).

ذكر صفته:

كان آدم، كثير الشعر، ليس بالجعد القلط، لا بالسبط، حسن الوجه، دقيق العرنين لا يغير شعره، رضي الله عنه.

ذكر أولاده:

كان له من الولد: «محمد» وهو السجاد، قتل معه يوم الجمل «وعمران» أمهما حمنة بنت جحش، «وموسى» أمه خولة بنت القعقاع، «ويعقوب» قتل يوم الحرة و «إسماعيل» و «إسحاق» أمهم أم أبان عتبة بن ربيعة و «زكريا» و «يوسف» و «عائشة» أمهم أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق و «عيسى» و «يحيى» أمهما سعدى بنت عوم، و «أم إسحاق» تزوجها الحسن بن على، و «الصعبة»: أمهما أم ولد، و «مريم»: أمها أم ولد، و «صالح»: أمة الفريعة.

ذكر جملة من مناقبه رضي الله عنه:

عن عبد الله بن الزبير، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يومئذ - يعنى يوم أحد - «أوجب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع» يعنى حين برك له طلحة، فصعد رسول الله ﷺ على ظهره^(٢). رواه الإمام أحمد.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان أبو بكر - رضي الله عنه - إذا ذكر يوم أحد قال: ذاك كله يوم طلحة.

قال أبو بكر: كنت أول من جاء يوم أحد فقال لى رسول الله ﷺ ولأبى عبيدة بن الجراح: «عليكما» يريد طلحة وقد نزع، فأصلحنا من شأن النبى ﷺ، ثم أتينا طلحة فى بعض تلك الحفار فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر، بين طعنة وضربة ورمية، وإذا قد قطعت إصبعه، فأصلحنا من شأنه.

(١) ضعيف: أخرجه الحاكم رقم (٥٦٠٥) والطبرانى فى «الكبير» (١٩٧) وقال الذهبى: إسناده لين.

وقال الهيثمى: «فيه من لم أعرفهم، وسليمان بن أيوب الطلحى وثق وضعف».

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى فى «كتاب المناقب» حديث (٣٧٣٨) باب (٢٢) مناقب طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وأحمد فى «المسند» (١٤١٧) والحاكم فى «المستدرک» حديث (٥٦٠٢).

وعن قيس قال: رأيت طلحة يده شلاء وقى بها رسول الله ﷺ يوم أحد. انفرد بإخراجه البخاري.

وعن موسى بن طلحة، عن أبيه طلحة بن عبيد الله، قال: لما رجع رسول الله ﷺ من أحد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ هذه الآية ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ (الأحزاب: ٢٣) الآية، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، من هؤلاء؟ فأقبلت وعلى ثوبان أخضران، فقال: أيها السائل، هذا منهم (١).

وعن سعدى بنت عوف قالت: دخل على طلحة ورأيته مغموماً فقلت: ما شأنك؟ فقال: المال الذي عندي قد كثر وقد كربني، فقلت: وما عليك؟ أقسمه، فقسمه حتى ما بقي منه درهم (٢).

قال طلحة بن يحيى: فسألت خازن طلحة: كم كان المال؟ فقال: أربعمئة ألف. وعن الحسن قال: باع طلحة أرضاً له بسبعمئة ألف، فبات ذلك المال عنده ليلة، فبات أرقاً من مخافة ذلك المال، فلما أصبح فرقه كله. رواه الإمام أحمد. وعنه أن طلحة بن عبيد الله باع أرضاً له من عثمان بسبعمئة ألف فحملها إليه فلما جاء بها قال: إن رجلاً تبيت هذه عنده في بيته لا يدرى ما يطرقه من أمر الله لغرير بالله، فبات ورسله تختلف بها في سكك المدينة، حتى أسحر وما عنده منها درهم. وعن سعدى بنت عوف، امرأة طلحة بن عبيد الله، قالت: لقد تصدق طلحة يوماً بمئة ألف، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفي ثوبه.

ذكر وفاته رضي الله عنه:

قتل يوم الجمل، وكان يوم الخميس لعشرة خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، ويقال: سهماً غرباً أتاه فوق في حلقه، فقال: باسم الله، وكان أمر الله قدراً مقدوراً. ويقال: إن مروان بن الحكم قتله، ودُفن بالبصرة وهو ابن ستين، ويقال: اثنتين وستين، ويقال: أربع وستين.

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٢٩) رقم (٢٧٠) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٣٦٣) وانظر «المطالب العالية» حديث (٤٣٢٧).

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٠) والطبراني في «الكبير» (١٩٥) و«الحلية» (١/ ١٣٠) رقم (٢٧٢).

٧- أبو عبد الله الزبير بن العوام

ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب.
 أمه: صفية بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ﷺ، أسلمت وأسلم الزبير قديماً وهو ابن ثمانى سنين، وقيل: ابن ست عشرة سنة، فعذبه عمه بالدخان لكى يترك الإسلام فلم يفعل، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً، ولم يتخلف عن غزاة غزاها رسول الله ﷺ، وهو أول من سلّ سيفاً فى سبيل الله، وكان عليه يوم بدر ربطة صفراء معتجراً بها وكان على الميمنة؛ فنزلت الملائكة على سيماء وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد وبايعه على الموت.

ذكر صفته ﷺ:

كان أبيض، طويلاً، ويقال: لم يكن بالطويل ولا بالقصير، إلى الخفة ما هو فى اللحم ويقال كان أسمر اللون، أشعر، خفيف العارضين.

ذكر أولاده ﷺ:

كان له من الولد: عبد الله، وعروة، والمنذر، وعاصم، والمهاجر، وخديجة الكبرى، وأم الحسن، وعائشة، أمهم أسماء بنت أبى بكر.
 وخالد، وعمرو، وحبيبة، وسودة، وهند، أمهم أم خالد، وهى أمة بنت خالد بن سعيد ابن العاص.

ومصعب، وحمزة، ورملة، أمهم الرباب بنت أنيف بن عبيد.

وعبيدة، وجعفر، أمهما زينب.

وزينب، أمها أم كلثوم بنت عقبة بن أبى سُعيد.

وخديجة الصغرى: أمها الحلال بنت قيس.

ذكر جملة من مناقبه ﷺ:

عن أبى الأسود قال: أسلم الزبير بن العوام وهو ابن ثمانى سنين، وهاجر وهو ابن ثمانى عشرة سنة، وكان عم الزبير يعلق الزبير فى حصير ويدخن عليه بالنار وهو يقول: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبداً.

(٧) هو: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، أبو عبد الله القرشى الأسدى، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، قتل سنة ست وثلاثين بعد متصرفه من وقعة الجمل.

وعن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل قال: كان إسلام الزبير بعد إسلام أبي بكر، كان رابعاً أو خامساً.

وعن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم أحد^(١).
وعن عبيد الله بن الزبير، قال: لما كان يوم الخندق كنت أنا وعمر بن أبي سلمة في الأطم الذي فيه نساء رسول الله ﷺ، أطم حسان، وكان يرفعني وأرفعه، فإذا رفعني عرفت أبي حين يمر إلى بني قريظة، وكان يقا تل مع رسول الله ﷺ يوم الخندق، فقال: من يأتي بني قريظة فيقاتلهم؟ فقلت له: حين رجع يا أبة، إن كنت لأعرفك حين تمر ذاهباً إلى بني قريظة، فقال: يا بني، أما والله إن كان رسول الله ﷺ ليجمع لي أبويه جميعاً يتفدانى بهما ويقول: فذاك أبي وأمي. أخرجاه في الصحيحين^(٢).

وعن جابر بن عبد الله قال: لما كان يوم الخندق ندب رسول الله ﷺ الناس فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال رسول الله ﷺ: لكل نبي حوارى وحوارى الزبير. أخرجاه في الصحيحين^(٣).

وعن سعيد بن المسيب قال: أول من سل سيفاً في سبيل الله الزبير بن العوام، بينا هو بمكة إذ سمع نغمة، يعنى صوتاً، أن النبي ﷺ قد قتل، فخرج عرباناً ما عليه شيء في يده السيف صلتاً فتلقاه النبي ﷺ كفة بكفة، فقال له: ما لك يا زبير؟ قال: سمعت أنك قد قُلت، قال: فما كنت صانعاً؟ قال: أردت والله أن أستعرض أهل مكة، قال فدعا له النبي ﷺ^(٤).

وعن عمرو بن مصعب بن الزبير قال: قاتل الزبير مع رسول الله ﷺ وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فكان يحمل على القوم.

وعن نهيك قال: كان للزبير ألف مملوك يؤدون الضريبة لا يدخل بيت ماله منها درهم،

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه في «المقدمة» حديث (١٢٣) فضل الزبير رضي الله عنه، وأحمد في «المسند» رقم (١٤٠٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى في «كتاب فضائل الصحابة» حديث (٣٧٢٠) باب (١٣) مناقب الزبير بن العوام، ومسلم رقم (٢٤١٦) وأحمد في «المسند» حديث (١٤٢٣).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى في «كتاب فضائل الصحابة» حديث (٣٧١٩) باب (١٣) مناقب الزبير بن العوام، ومسلم في «كتاب الفضائل» حديث (٢٤١٥) باب (٦) فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما.

(٤) ضعيف: أخرجه الحاكم حديث (٥٥٥١) وابن عساكر (٩/ ١٣) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٣٢) رقم (٢٨٠) وفيه ابن لهيعة.

يقول: يتصدق بها، وفي رواية أخرى فكان يقسمه كل ليلة ثم يقوم إلى منزله ليس معه منه شيء.

وعن جويرية قالت: باع الزبير دارا له بستمائة ألف، قال: فقيل له: يا أبا عبد الله غُبت، قال: كلا والله، لتعلمن أني لم أُغن، هي في سبيل الله.

وعن علي بن زيد قال: أخبرني من رأى الزبير وإن في صدره مثل العيون، من الطعن والرمي.

وعن قيس بن أبي حازم عن الزبير بن العوام قال: من استطاع منكم أن يكون له جنى من عمل صالح فليفعل.

ذكر مقتله عليه السلام:

قتل الزبير يوم الجمل وهو ابن خمس وسبعين، ويقال: ستين: ويقال: بضع وخمسين، قتله ابن جرموز.

عن زر قال: استأذن ابن جرموز عليّ وأنا عنده، فقال علي: بشر قاتلك ابن صفية بالنار، ثم قال عليّ: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لكل نبي حوارى وحوارى الزبير»^(١).

وعن عبد الله بن الزبير قال: جعل الزبير يوم الجمل يوصيني بدَيْته، ويقول: إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي، قال: فوالله ما دريت ما أراد، حتى قلت: يا أبة من مولاك؟ قال: الله، قال: ما وقعت في كربة من دَيْته إلا قلت: يا مولاي الزبير اقض عنه، فيقضيه، وإنما دَيْته الذي كان عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير: لا، ولكنه سلف، فإني أخشى عليه الضيعة، قال: فحسب ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف، فقتل ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين، فبعتهما - يعنى: وقضيت دينه - فقال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا، فقلت: والله لا أقسم بينكم حتى أنادى بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلتقضه.

فجعل كل سنة ينادى بالموسم فلما مضى أربع سنين قسم بينهم.

وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف، فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف. انفرد بإخراج هذا الحديث البخارى^(٢).

(١) حسن: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٠٥).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى في «كتاب فرض الخمس» حديث (٣١٢٩) باب (١٣) بركة الغازي في ماله حياً وميتاً مع النبي صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر.

٨- أبو محمد عبد الرحمن بن عوف

ابن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .
كان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو، وقيل: عبد الحارث، وقيل: عبد الكعبة، فسماه
رسول الله ﷺ عبد الرحمن .
أمه: الشفاء بنت عوف، أسلمت وهاجرت .

أسلم عبد الرحمن قديماً قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى أرض
الحبشة الهجرتين، وشهد المشاهد كلها، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد، وصلى رسول
الله ﷺ خلفه فى غزوة تبوك، ذهب للطهارة فجاء وعبد الرحمن قد صلى بهم ركعة، فصلى
خلفه وأتم الذى فاته، وقال: ما قبض نبي حتى يصلى خلف رجل صالح من أمته^(١) .
وعن أبى سلمة عن أبيه أنه كان مع النبي ﷺ فى سفر، فذهب النبي ﷺ لحاجته،
فأدركهم وقت الصلاة، فأقاموا الصلاة فتقدمهم عبد الرحمن، فجاء النبي ﷺ فصلى مع
الناس خلفه ركعة فلما سلم قال: أصبتم، أو: أحسستم .
ذكر صفته:

كان طويلاً رقيق البشرة، فيه جنأ، أبيض مشرباً حمرة، ضخم الكفين، أقنى .
وقال ابن إسحاق: كان ساقط الثنيتين، أعرج، أصيب يوم أحد فهتم، وجرح عشرين
جراحة أو أكثر، أصابه بعضها فى رجله فعرج .
ذكر أولاده:

كان له من الولد: سالم الأكبر، مات قبل الإسلام، أمه أم كلثوم بنت عتبة بن ربيعة، وأم
القاسم: ولدت فى الجاهلية، وأمها بنت شيبعة بن ربيعة، ومحمد وإبراهيم وحميد،
وإسماعيل، وحميدة وأمة الرحمن، أمهم أم كلثوم بنت عتبة بن أبى معيط، ومعن وعمر وزيد
وأمة الصغرى، أمهم سهلة بنت عاصم بن معدى، وعروة الأكبر، أمه بحرية بنت هانىء،
وسالم الأصغر، أمه سهلة بنت سهيل بن عمرو، وأبو بكر، أمه أم حكيم بنت قارظ، وعبد
الله: أمه بنت أبى الخشخاش، وأبو سلمة، وهو عبد الله الأصغر، وأمهم تماضر بنت الأصبع،

(٨) هو: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة القرشى الزهرى، أحد العشرة،
أسلم قديماً ومناقبه شهيرة، مات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: غير ذلك .

(١) صحيح: أخرجه مسلم فى «كتاب الطهارة» وأبو داود فى «كتاب الطهارة» حديث (١٥٢) باب
«المسح على الخفين» وأحمد فى «المسند» حديث (١٨١٩٦) .

وعبد الرحمن: أمه أسماء بنت سلامة، ومصعب، وآمنة ومريم: أمهم أم حريث من سبي بهرا، وسهيل أبو الأبيض، أمه مجد بنت يزيد، وعثمان، أمه غزال بنت كسرى، أم ولد، وعروة، ويحيى، وبلال، لأمهات أولاده، وأم يحيى، وأمها زينب بنت الصباح، وجويرية، أمها بادية بنت غيلان.

وعن ثابت البناني، عن أنس، قال: بينما عائشة - رضي الله عنها - في بيتها، إذ سمعت صوتا رجت منه المدينة فقالت: ما هذا؟ قالوا: غير قدمت لعبد الرحمن بن عوف من الشام، وكانت سبعمائة راحلة فقالت عائشة: أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا، فبلغ ذلك عبد الرحمن، فأتاها فسألها عما بلغه، فحدثته، قال فإني أشهدك أنها بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله عز وجل^(١).

وعنه، قال: بينا عائشة في بيتها سمعت صوتا في المدينة فقالت: ما هذا؟ قالوا: غير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شيء، قال: وكانت سبعمائة بغير، قال: فارتجت المدينة من الصوت، فقالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال: إن استطعت لأدخلنها قائما، فجعلها بأقتابها وأحمالها في سبيل الله عز وجل. رواه الإمام أحمد^(٢).

وعن أم بكر بنت المسور بن مخرمة، عن أبيها، قال: باع عبد الرحمن بن عوف أرضا له من عثمان بأربعين ألف دينار، فقسم ذلك المال في بنى زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين، وبعث إلى عائشة معى بمال من ذلك المال، فقالت عائشة: أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يحنو عليكم بعدى إلا الصالحون» سقى الله ابن عوف من سلسيل الجنة^(٣).

وعن الزهرى، قال: تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفا ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة

(١) ضعيف: أخرجه أحمد في «المسند» حديث (٢٤٨٩٦) والطبراني في «الكبير» حديث (٢٦٤) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٤٢) رقم (٣١١) وانظر «كنز العمال» (٣٣٥٠٠ - ٣٦٦٧٦).

(٢) انظر التخریج المتقدم.

(٣) حسن: أخرجه أحمد في «المسند» حديث (٢٤٧٧٨) والحاكم في «المستدرک» حديث (٥٣٥٦) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعبه الذهبي فقال: ليس بمتصل، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٤٢) رقم (٣١٢).

فرس في سبيل الله تعالى، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله تعالى، وكان عامة ماله من التجارة.

وعن جعفر بن برقان قال: بلغني أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بيت.
وعن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائماً فقال: «قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، فكفن في بردة، إن غُطى رأسه بدت رجلاه وإن غُطى رجلاه بدا رأسه» وأراه قال: «وقتل حمزة وهو خير مني، يعني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، ثم بُسْط لنا من الدنيا ما بسط، أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا، وقد خشينا أن تكون حسانتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام. انفراد بإخراجه البخاري.

وعن نوفل بن إيَّاس الهذلي قال: كان عبد الرحمن لنا جليسا، وكان نعم الجليس، وإنه انقلب بنا يوما حتى دخلنا بيته، ودخل فاغتسل، ثم خرج فجلس معنا وأتينا بصحفة فيها خبز ولحم، فلما وضعت بكى عبد الرحمن بن عوف، فقلنا له: يا أبا محمد، ما يبكيك؟ فقال: هلك رسول الله ﷺ ولم يشع هو وأهل بيته من خبز الشعير ولا أَرانا أخرنا لها لما هو خير لنا.

وعن سعيد بن حسين قال: كان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من بين عبيده.
وعن أيوب، عن محمد أن عبد الرحمن بن عوف توفي وكان فيما ترك ذهبٌ قطع بالفئوس حتى مجلت أيدي الرجال منه، وترك أربع نسوة، فأخرجت امرأة من ثمنها بثلاثين ألفا.

ذكر وفاته رضي الله عنه:

توفي عبد الرحمن بن عوف سنة اثنتين وثلاثين، ودفن بالبقيع وهو ما بين اثنتين وسبعين، ويقال: خمس وسبعين.

٩- أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

واسمه مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، وأمه: حمنة.
أسلم قديما وهو ابن سبع عشرة سنة، وقال: كنت ثالثا في الإسلام وأنا أول من رمى بسهم في سبيل الله، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وولى الولايات من قبل عمر وعثمان، وهو أحد أصحاب الشورى.

(٩) هو: سعد بن أبي وقاص، مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري، أبو إسحاق، أحد العشرة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، ومناقبه كثيرة، مات بالعقيق، سنة خمس وخمسين على المشهور، وهو آخر العشرة وفاة.

ذكر صفته:

كان قصيرا، غليظا، ذا هامة، شثن الأصابع، آدم، أفطس، أشعر الجسد، يخضب بالسواد.

ذكر أولاده عليه السلام:

كان له من الولد: إسحاق الأكبر، وبه كان يكنى، وأم الحكم الكبرى، أمهما ابنة شهاب ابن عبد الله، وعمر: قتله المختار، ومحمد: قتله الحجاج يوم دير الجماجم، وحفصة، وأم القاسم، وكلثوم: أمهم معاوية بنت قيس بن معدى كرب، وعامر، وإسحاق الأصغر، وإسماعيل، وأم عمران: أمهم أم عامر بنت عمرو، وإبراهيم وموسى، وأم الحكم الصغرى، وأم عمرو، وهند، وأم الزبير، وأم موسى: أمهم زبيدة، وعبد الله: أمه سلمى، ومصعب: أمه خولة بنت عمرو، وعبد الله الأصغر، وبجير - واسمه عبد الرحمن - وحميذة، أمهم: أم هلال بنت ربيع بن مري، وعمير الأكبر، وحمنة، أمهما: أم حكيم بنت قارظ، وعمير الأصغر، وغمرو، وعمران، وأم عمرو، وأم أيوب، وأم إسحاق، أمهم سلمى بنت حفصة، وصالح: أمه ظبية بنت عامر، وعثمان، ورملة أمهما: أم حجير، وعمرة - وهى العمياء - أمها: من سبى العرب، وعائشة.

ذكر جملة من مناقبه عليه السلام:

عن سعيد بن المسيب قال: قال سعد: ما أسلم أحد فى اليوم الذى أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإنى لثلت الإسلام.

وعن على، قال: ما سمعت رسول الله ﷺ يفدى أحدا بأبويه إلا سعد بن مالك، فإنى سمعته يقول له فى يوم أحد: «ارم سعد، فذاك أبى وأمى» أخرجاه فى الصحيحين^(١).

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب فضائل الصحابة» حديث (٣٧٢٥) باب (١٥) مناقب سعد بن أبى وقاص، ومسلم فى «كتاب الفضائل» حديث (٢٤١١) باب (٥) فى فضل سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه، وأحمد فى «المسند» حديث (١١٤٧).

قال الذهبي: «أخرجه البخارى وقد ساقه الحافظ ابن عساكر من بضعة عشر وجهاً وساق حديث ابن أبى خالد عن قيس من سبعة عشر طريقاً بالفاظها، وبمثل هذا كبر تاريخه، وساق حديث عبد الله بن شداد عن على: ما سمعت رسول الله ﷺ جمع أبويه لأحد غير سعد من ستة عشر وجهاً، رواه مسعر وشعبة وسفيان عن سعد بن إبراهيم عنه. اهـ. «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٦٣).

عن هاشم بن هاشم الزهري قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: نثل لى رسول الله ﷺ كنانته يوم أحد وقال: ارم فداك أبى وأمى ^(١).

وعن قيس، قال: سمعت سعد بن مالك يقول: إنى لأول العرب رمى بسهم فى سبيل الله - عز وجل - ولقد رأيتنا نغزو مع رسول الله ﷺ وما لنا طعام نأكله إلا ورق الحبله وهذا السمر، حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة، ما له خلط، ثم أصبحت بنو أسد يعزرونى على الدين، لقد خبت إذن وضل عملى.

وعن عبد الله بن عمر، عن سعد بن أبي وقاص، عن رسول الله ﷺ أنه مسح على الخفين، وأن عبد الله بن عمر سأل عمر عن ذلك فقال: نعم، إذا حدثك سعد عن رسول الله ﷺ شيئا فلا تسأل عنه غيره.

وعن جابر بن عبد الله قال: أقبل سعد ورسول الله ﷺ فقال: هذا خالى فليرنى امرؤ خاله ^(٢).

وعن قيس بن أبى حازم، عن سعد قال: قال لى النبى ﷺ: اللهم سدد رميته، وأجب دعوته ^(٣).

وعن يحيى بن عبد الرحمن بن لبيبة، عن جده، قال: دعا سعد فقال: يا رب إن لى بنين صغاراً فأخّر عنى الموت حتى يبلغوا، فأخر عنه الموت عشرين سنة.

وعن طارق - يعنى ابن شهاب - قال: كان بين خالد وسعد كلام، فذهب رجل يقع فى خالد عند سعد، فقال: مه، إن ما بيننا لم يبلغ ديننا.

ذكر وفاته رضي الله عنه:

مات سعد فى قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة، فحمل على رقاب الرجال إلى المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم، وهو يومئذ والى المدينة، ثم صلى عليه أزواج النبى ﷺ فى حجرهن، ودفن بالبقيع، وكان أوصى أن يكفن فى جبة صوف له، كان لقى

(١) انظر التخريج المتقدم.

(٢) حسن: أخرجه الترمذى فى «كتاب المناقب» حديث (٣٧٥٢) باب (٢٧) مناقب سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مجالد، والحاكم فى «المستدرک» حديث (٦١١٣).

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم (٣/ ٥٠٠) وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ١٣٥) رقم (٢٩٣) وعبد الرزاق فى «المصنف» حديث (٢٠٤٢٣).

المشركين فيها يوم بدر، فكُنْ فيها، وذلك في سنة خمس وخمسين، ويقال سنة خمسين، وهو ابن بضع وسبعين، ويقال: اثنتان وثمانين، وعن مالك بن أنس أنه سمع غير واحد يقول: إن سعد بن أبي وقاص مات بالعقيق فحمل إلى المدينة، ودفن بها.

عن عائشة أنه لما توفي سعد أرسل أزواج النبي ﷺ أن يمرؤا بجنازته في المسجد، ففعلوا، فوقف به على حجوهم فصلين عليه، وخرج من باب الجنائز، فبلغهن أن الناس عابوا ذلك، وقالوا: ما كانت الجنائز يدخل بها في المسجد، فبلغ ذلك عائشة فقالت: «ما أسرع الناس إلى أن يعيبيوا ما لا علم لهم به، عابوا علينا أن نمر بجنازة في المسجد، وما صلى رسول الله ﷺ على سهيل ابن بيضاء إلا في جوف المسجد»^(١).

١٠- أبو الأعور سعيد بن زيد

ابن عمرو بن نفيل بن العزى بن رباح بن عبد الله بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى. أمه: فاطمة بنت بعجة بن أمية، أسلم قديما قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ما خلا بدرا، فإنه لم يحضرها للسبب الذي ذكرناه في ترجمة طلحة، وكان آدم طوالا أشعر.

ذكر أولاده:

وله من الولد: عبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وعبد الرحمن الأكبر، وعبد الرحمن الأصغر، وإبراهيم الأكبر، وإبراهيم الأصغر، وعمرو الأكبر، وعمرو الأصغر، والأسود، وطلحة، ومحمد، وخالد، وزيد، وأم الحسن الكبرى، وأم الحسن الصغرى، وأم حبيب الكبرى، وأم حبيب الصغرى، وأم زيد الكبرى، وأم زيد الصغرى، وعائشة، وعاتكة، وحفصة، وزينب، وأم سلمة، وأم موسى، وأم سعيد، وأم النعمان، وأم خالد، وأم صالح، وأم عبد الحولاء، وزجلة.

ذكر جملة من مناقبه رضي

عن عبد الله بن ظالم قال: أخذ بيدي سعيد بن زيد فقال: قال رسول الله ﷺ: «أثبت

(١) صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب الجنائز» حديث (٩٧٣) باب (١١ - ٣٧) نهى النساء عن اتباع الجنائز - وغسل الميت، وأبو داود في «كتاب الجنائز» حديث (٣١٨٩، ٣١٩٠) باب «الصلاة على الجنائز في المسجد».

(١٠) هو: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، أبو الأعور أحد العشرة، مات سنة خمسين، أبو بعدها بسنة أو ستين.

حراء فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» قال: قلت: من هم؟ فقال: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن مالك» ثم سكت، قال: قلت: ومن العاشر؟ قال: أنا. رواه الإمام أحمد.

وعن عبد الرحمن بن الأحنس قال: قال سعيد بن زيد: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رسول الله في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وعبد الرحمن في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة»^(١) ثم قال: إن شئتم أخبرتكم بالعاشر، ثم ذكر نفسه. رواه الإمام أحمد.

وعن هشام بن عروة عن أبيه أن أروى بنت أويس استعدت مروان على سعيد وقالت: سرق من أرضي فأدخله في أرضه، قال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة فأذهب بصرها، واقتلها في أرضها، فذهب بصرها، ووقعت في حفرة في أرضها فماتت.

ذكر وفاته رضي الله عنه:

عن نافع أن سعيد بن زيد مات بالعقيق، وحُمل إلى المدينة فدفن بها، وقال ابن سعد، وقال عبد الملك بن زيد: مات بالعقيق فحمل إلى المدينة، ونزل في حفرته سعد وابن عمر، وذلك في سنة خمسين، أو إحدى وخمسين، وكان يوم مات ابن بضع وسبعين سنة، والله أعلم.

١١- أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح رضي الله عنه

ابن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. وأسلم مع عثمان بن مظعون وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد ونزع يومئذ بفيه الحلقيتين اللتين دخلتا في وجنة رسول الله ﷺ من حلق المغفر، فوقعت ثنيته فكان من أحسن الناس هتمًا.

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود في «كتاب السنة» حديث (٤٦٤٩) باب (في الخلفاء) وأحمد في «المسند» حديث (١٦٣٧) فيه - عبد الرحمن بن الأحنس - مجهول الحال، فقد روى عنه اثنان، وذكره ابن حبان وحده في «الثقات» وقال الذهبي: لا يُعرف، وقال الحافظ ابن حجر: مستور.

(١١) هو: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي الفهري، أبو عبيدة بن الجراح، أسلم قديمًا وشهد بدرًا، مشهور، مات شهيدًا بطاعون عمّاس، سنة ثمانى عشرة، وله ثمان وخمسون سنة.

ذكر صفته:

كان طويلاً نحيفاً، أجنى معروق الوجه، أثرم الثنيتين، خفيف اللحية.
وكان له من الولد: يزيد، وعмир، أمهما هند بنت جابر، فدرجا ولم يبق له عقب.

ذكر جملة من مناقبه عليه السلام:

عن أبي قلابة قال: حدثني أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: إن لكل أمة أميناً، وإن أميناً أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح.

وعنه أن أهل اليمن لما قدموا على رسول الله ﷺ سألوه أن يبعث معهم رجلاً يعلمهم السنة والإسلام، فأخذ بيد أبي عبيدة بن الجراح فقال: هذا أمين هذه الأمة^(١).

وعن شريح بن عبيد، وراشد بن أسعد، وغيرهما، قالوا: لما بلغ عمر بن الخطاب «سرغ» حدث أن بالشام وباء شديداً، فقال: بلغني شدة الوباء بالشام، فقلت: إن أدركني أجلى وأبو عبيدة حتى استخلفته، فإن سألني الله عز وجل: لم استخلفته على هذه الأمة؟ قلت: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل نبي أميناً وأميني أبو عبيدة بن الجراح» فإن أدركني أجلى وقد توفي أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل، فإن سألني ربي عز وجل: لم استخلفته؟ قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه يحشر يوم القيامة بين يدي العلماء نبذة»^(٢).

وعن عمر بن الخطاب أنه قال لأصحابه: تمنوا، فقال رجل: أتمنى لو أن لى هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقته فى سبيل الله عز وجل، ثم قال: تمنوا، فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً وزبرجداً أو جوهرها أنفقته فى سبيل الله عز وجل وأتصدق به، ثم قال: تمنوا، فقالوا: ما ندرى يا أمير المؤمنين، فقال عمر: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح.

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض فقال عمر: أين أخى؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة، قالوا: الآن يأتيك، فلما أتاه نزل فاعتقه، ثم دخل عليه بيته، فلم ير فى بيته إلا سيفه وترسه ورحله، فقال له عمر: ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين هذا يبلغنى المقييل. رواه الإمام أحمد.

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب فضائل الصحابة» حديث (٣٧٤٥) وأحمد فى «المسند» حديث (٢٣٤٣٧).

(٢) منقطع: أخرجه أحمد فى «المسند» (١٠٨) راشد بن أسعد لم يدرك عمر بن الخطاب.

وعن أبي قتادة، أن أبا عبيدة بن الجراح قال: ما من الناس من أحمر ولا أسود، حر ولا عبد، عجمي ولا فصيح، أعلم أنه أفضل مني بتقوى، إلا أحببت أن أكون في مسلاخه^(١).
وعن نمران بن مخمر عن أبي عبيدة بن الجراح، أنه كان يسير في العسكر فيقول: ألا رب مبيض لثيابه مدنس لدينه، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين، بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات، فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء، ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تغمرهن^(٢).

ذكر وفاته رضي الله عنه:

توفي أبو عبيدة في طاعون عمواس بالأردن، وقُبر ببيسان، وصلى عليه معاذ بن جبل، وذلك في سنة ثمانى عشرة من خلافة عمر، وهو ابن ثمان وخمسين سنة^(٣).
قال الشيخ رحمه الله: وإذ قد انتهينا ذكر العشرة بحمد الله ومنه، فنحن نذكر المشتهرين من الصحابة بالعلم والتعبد والزهد على طبقاتهم، والله الموفق.

(١) انظر «حلية الأولياء» (١ / ١٤٦) رقم (٣٢٤) و «الطبقات الكبرى» (٣ / ٤١٢) و «سير أعلام النبلاء» (٣ / ١١).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (١ / ١٤٦) رقم (٣٢٧).

(٣) انظر «سير أعلام النبلاء» (١ / ١٤ - ١٥)

فمن الطبقة الأولى على السابقة فى الإسلام ممن شهد
بدرًا من المهاجرين والأنصار وحلفائهم ومواليهم:

١٢- حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

أمه: هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، يكنى أبا عماره.
وكان له من الولد: يعلى، وعامر، وبنت - وهى التى اختصم بها زيد، وجعفر، وعلى،
واسمها أمانة.
انفرد الواقدي، فقال: عماره.

قال محمد بن كعب القرظي: قال أبو جهل فى رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك حمزة فدخل
المسجد مغضبا، فضرب رأس أبى جهل بالقوس ضربة أوضحت، وأسلم حمزة فعز به
رسول الله ﷺ والمسلمون، وذلك فى السنة السادسة من النبوة بعد دخول رسول الله
ﷺ دار الأرقم.

قال يزيد بن رومان: وأول لواء عقده رسول الله ﷺ حين قدم المدينة لحمزة.
وعن على - رضي الله عنه - قال: لما كان يوم بدر ودنا الناس منا إذا رجل منهم على جمل له
أحمر، يسير فى القوم، فقال رسول الله ﷺ: يا على ناد لى حمزة، وكان أقربهم من
المشركين، من صاحب الجمل الأحمر؟ وماذا يقول لهم؟ فجاء حمزة فقال: هو عتبة:
وشيبة، والوليد، فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن
يبارزنا من بنى عمنا، فقال رسول الله ﷺ: قم يا على، قم يا حمزة، قم يا عبيدة بن
الحارث، رواه الإمام أحمد ^(١).

ذكر مقتل حمزة رضي الله عنه:

عن جعفر بن عمرو الضمرى قال: خرجت مع عبيد الله بن عدى بن الخيار إلى الشام،

(١٢) هو: حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الإمام البطل الضرغام، أسد
الله، أبو عماره، وأبو يعلى القرشى الهاشمى المكي ثم المدني البدرى الشهيد، عم رسول الله ﷺ،
وأخوه من الرضاعة.

(١) صحيح: أخرجه أحمد فى «المسند» والحاكم فى «المستدرك» حديث (٤٨٨٢) وابن سعد فى
«الطبقات» (١٢ / ٣).

فلما قدمنا حمص قال لى عبيد الله: هل لك فى وحشى^١ نسأله عن قتل حمزة؟ فقلت: نعم، وكان وحشى يسكن حمص، فجئنا حتى وقفنا عليه، فسلمنا فرد السلام، وعبيد الله معتجر بعمامته ما يرى وحشى إلا عينيه ورجليه، فقال عبيد الله: يا وحشى أتعرفنى؟ قال: فنظر إليه ثم قال: لا والله، إلا أنى أعلم أن عدى بن الخيار تزوج امرأة فولدت له غلاما فاسترضعه، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه، فكأنى نظرت إلى قدميه.

فكشف عبيد الله وجهه ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ فقال: نعم، إن حمزة قتل طعيمة ابن عدى بيدر، فقال لى مولاى جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمى فأنت حر، فلما خرج الناس عام «عينين» قال: وعينين جبل أحد بينه وبينه واد - خرجت مع الناس إلى القتال فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة فقال: يا سباع، يا بن أم أنمار، يا بن مقطعة البظور، أتحارب الله ورسوله؟ ثم شد عليه فكان كأمس الذهاب، وكمنت لحمزة تحت صخرة حتى مر على فلما أن دنا منى رميته بحربتى فأضعها فى ثنته حتى دخلت بين وركيه وكان ذلك آخر العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة، حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلا فقالوا: إنه لا يهيج الرسل، فخرجت معهم حتى قمت على رسول الله ﷺ فلما رأى قال: أنت وحشى؟ قلت: نعم، قال: أنت قتلت حمزة؟ قلت: قد كان من الأمر ما بلغك يا رسول الله، قال: أما تستطيع أن تغيب وجهك عني؟ قال: فرجعت، فلما توفى رسول الله ﷺ وخرج مسيلمة الكذاب قلت: لأخرجن إلى مسيلمة لعلى أقتله فأكافئ به حمزة، فخرجت مع الناس فكان من أمرهم ما كان، قال: وإذا رجل قائم من ثلثة جدار كأنه جمل أورق، نائر رأسه، قال: فأرميه بحربتى فأضعها بين ثديه حتى خرجت من بين كتفيه، قال: ودب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته.

قال عبد الله بن الفضل: فأخبرنى سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: فقالت جارية على ظهر بيت: وا أمير المؤمنين، قتله العبد الأسود. انفرد بإخراجه البخارى^(١). وعن الزبير أنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى، حتى إذا كادت تشرف على القتلى، قال فكره رسول الله ﷺ أن تراهم فقال: المرأة المرأة، قال الزبير: فتوسمت أنها أُمى

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب المغازى» حديث (٤٠٧٢) باب (٢٣) قتل حمزة بن عبد المطلب

صفية، فخرجت أسعى إليها فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، قال: فلدمت في صدري، وكانت امرأة جلدة، قالت: إليك لا أرض لك، قال: فقلت إن رسول الله ﷺ قد عزم عليك، قال: فوقفت وأخرجت ثوبين معها فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة فقد بلغني مقتله، فكفنوه بهما.

قال: فجننا بالثوبين لنكفن فيهما حمزة فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قتل قد فعل به كما فعل بحمزة، قال: فوجدنا غضاضة وحياء أن نكفن حمزة في ثوبين والأنصارى لا كفن له، فقلنا: لحمزة ثوب وللأنصارى ثوب، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقرعنا بينهما فكفنا كل واحد منهما في الثوب الذي طار له. رواه الإمام أحمد^(١).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة حيث استشهد فنظر إلى شيء لم ينظر إليه شيء قط كان أوجع لقلبه منه، ونظر إليه قد مُثِّلَ به فقال: رحمة الله عليك فإنك كنت - ما علمت - فعولا للخيرات، وصولا للرحم، ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أفواه شتى، أما والله مع ذلك لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل - والنبي ﷺ واقف بعد - بخواتم النحل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾ (النحل: ١٢٦) إلى آخر السورة، فصبر النبي ﷺ وأمسك عما أراد^(٢).

وعن أنس قال: كان النبي ﷺ إذا صلى على جنازة كبر عليها أربعاً وإنه كبر على حمزة سبعين تكبيرة.

وعن جابر قال: لما أراد معاوية أن يجرى عينه التي بأحد كتبوا إليه: إنا لا نستطيع أن نجريها إلا على قبور الشهداء، فكتب انبشوهم، قال: فرأيتهم يحملون على أعناق الرجال كأنهم قوم نيام، وأصابت المسحاة طرف رجل حمزة فانبعث دما.

وعنه قال: كتب معاوية إلى عامله بالمدينة أن يجرى عينا إلى أحد فكتب إليه عامله: إنها لا تجرى إلا على قبور الشهداء، قال: فكتب إليه أن أنفذها، قال: فسمعت جابر بن عبد الله يقول: فرأيتهم يخرجون على رقاب الرجال، كأنهم رجال نوم حتى أصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دما.

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (١٤١٨) والبيهقي (٤/ ٤٠١).

(٢) ضعيف: أخرجه الحاكم، حديث (٤٨٩٤) وفيه - صالح المرى - قال البخاري: منكر الحديث.

وقال أبو داود: لا يكتب حديثه.

وروى محمد بن أبي شيبة، عن ابن معين: ضعيف.

١٣- زيد بن حارثة بن شراحيل

ابن عبد العزى بن امرئ القيس، ويقال له: زيد الحب.

وأمه: سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر، زارت قومها وزيد معها، فأغارت خيل لبنى القين فى الجاهلية فمروا على أبيات بنى معن فاحتملوا زيدا وهو يومئذ غلام يفعه، فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم ابن حزام لعلمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له، وكان أبوه حارثة حين فقده قال:

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| بكيت على زيد ولم أدر ما فعل | أحى فيرجى أم أتى دونه الأجل |
| فوالله ما أدرى وإن كنت سائلا | أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل |
| فيا ليت شعرى هل لك اليوم رجعة | فحسبى من الدنيا رجوعك لى بجل |
| تذكرنيه الشمس عند طلوعها | وتعرض ذكره إذا قارب الطفل |
| وإن هبت الأرواح هيجن ذكره | فيا طول ما حزنى عليه وما وجل |
| سأعمل نص العيس فى الأرض جاهدا | ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل |
| حياتى أو تأتى على منيتى | وكل امرئ فانٍ وإن غره الأمل |
| وأوصى به قيسا وعمراً كليهما | وأوصى يزيدا ثم من بعده جبل |

يعنى جبلة بن حارثة أخا زيد، ويزيد أخو زيد لأمه.

فحج ناس من كعب فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه فقال: أبلغوا أهلى هذه الأبيات فإنى أعلم أنهم قد جزعوا على، وقال:

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| ألكنى إلى قومى وإن كنت نائيا | فإنى قطين البيت عند المشاعر |
| فكفوا عن الوجد الذى قد شجاكم | ولا تعملوا فى الأرض نص الأباقر |
| فإنى بحمد الله فى خير أسرة | كرام معد كابرا بعد كابر |

فانطلقوا فأعلموا أباه فخرج حارثة وكعب بن شراحيل بفدائه، فقدم مكة فسألا عن النبى ﷺ فقيل: هو فى المسجد فدخلا عليه فقالا: يا بن هاشم، يا بن سيد قومى، أنتم أهل

(١٣) هو: زيد بن حارثة بن شراحيل، الكلبي، أبو أسامة، مولى رسول الله ﷺ، صحابى جليل مشهور، من أول الناس إسلاماً، استشهد يوم مؤتة فى حياة النبى ﷺ سنة ثمان، وهو ابن خمس وخمسين.

حرم الله وجيرانه، تفكون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ابنا عندك فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه، فإننا سنرفع لك في الفداء، قال: ما هو؟ قالوا: زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ فهلا غير ذلك؟ قالوا: ما هو؟ قال: ادعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكما بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدًا، قالوا: قد زدتنا على النصف وأحسن.

فدعاه فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم، هذا أبي وهذا عمي، قال: فأنا من قد علمت، ورأيت محبتي لك فاخترني أو اخترهما، فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحدًا، أنت مني بمنزلة الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك، وأهل بيتك؟ قال: نعم، إني قد رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال: يا من حضر اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهم وانصرفا.

فدعى زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام، فزوجه رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، فلما طلقها تزوجها النبي ﷺ، فتكلم المنافقون في ذلك وقالوا: تزوج امرأة ابنه فنزل: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ (الأحزاب: ٤٠) الآية، وقال: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٥) فدعى يومئذ زيد بن حارثة.

وعن محمد بن الحسن بن أسامة بن زيد عن أبيه قال: كان بين رسول الله ﷺ وبين زيد عشر سنين، رسول الله ﷺ أكبر منه، وكان زيد رجلاً قصيراً آدم، شديد الأدمة، في أنفه فطس، وكان يكنى أبا أسامة، وقال الزهري: أول من أسلم زيد.

قال أهل السير: وشهد زيد بدرًا، وأحدًا، والخندق، والحديبية، وخيبر، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة حين خرج إلى المريسيع وخرج أميراً في سبع سرايا، ولم يُسم أحد من أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن باسمه غيره.

وكان له من الولد: زيد، هلك صغيراً، ورقية: أمهما أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وأسامة: أمه أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ.

وقتل زيد في غزوة مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان، وهو ابن خمس وخمسين سنة. عن خالد بن سمير قال: لما أصيب زيد بن حارثة أُنْهَم النبي ﷺ، قال: فجهدت بنت

زيد فى وجهه، فبكى رسول الله ﷺ حتى انتحب فقال له سعد بن عباد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: هذا شوق الحبيب إلى حبيبه^(١).

١٤- سالم مولى أبى حذيفة رضي الله عنه

كان لثبته بنت يعار الأنصارية، تحت أبى حذيفة بن عتبة، فأعتقه فتولى أبا حذيفة وتبناه أبو حذيفة، كذا ذكره محمد بن سعد^(٢).

وقال أبو بكر الخطيب: اسم التى أعتقته سلمى بنت تعار، وقال ابن عمر: كان سالم يؤم المهاجرين من مكة، حتى قدم المدينة، لأنه كان أقرأهم، وفيهم أبو بكر وعمر^(٣).

وعن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ ذكر سالما مولى أبى حذيفة فقال: إن سالما شديد الحب لله عز وجل^(٤).

وعن شهر بن حوشب قال: قال عمر بن الخطاب: لو استخلفت سالما مولى أبى حذيفة، فسألنى عنه ربى عز وجل: ما حملك على ذلك؟ لقلت: رب سمعت نبيك ﷺ وهو يقول: يحب الله عز وجل حقا من قلبه.

وعن أحمد بن عبد الله، قال: استشهد سالم مولى أبى حذيفة باليمامة، أخذ اللواء بيمينه فقطعت، ثم تناولها بشماله، فقطعت، ثم اعتنق اللواء وجعل يقرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران: ١٤٤) إلى أن قُتل.

١٥- عبد الله بن جحش

ابن رثاب بن يعمر، ويكنى أبا محمد، وأمه: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم. أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية،

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣ / ٤٧).

(١٤) هو: سالم مولى أبى حذيفة من السابقين الأولين البدرين المقربين العالمين، قال موسى بن عقبة: هو سالم بن معقل أصله من إصطخر، وإلى أبا حذيفة، وإنما الذى أعتقه هـى: ثبته بنت يعار الأنصارية، زوجة أبى حذيفة بن عتبة وتبناه أبو حذيفة.

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣ / ١٠٦).

(٣) أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (٣ / ٨٧) وأبو نعيم فى «حلية الأولياء» (١ / ٥٧١) رقم (٥٧١).

(٤) أخرجه أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (١ / ٢٣٢) رقم (٥٧٢) وقال: رواه حبيب بن نجيع عن عبد الرحمن بن غنم، وانظر «المغنى عن حمل الأسفار» (٤ / ٣٢١).

(١٥) هو: المقسم على ربه، المشمر لحبه، أول من عقدت له الراية فى الإسلام، عبد الله بن جحش، أمه عمه رسول الله ﷺ أمية بنت عبد المطلب، كان من مهاجرة الحبشة وممن شهد بدرًا، صاهر رسول الله ﷺ، بأخته زينب بنت جحش.

وبعته رسول الله ﷺ على سرية إلى نخلة وفيها تسمى بأمرير المؤمنين، فهو أول من دعى بذلك.

وعن سعيد بن المسيب، أن رجلاً سمع عبد الله بن جحش يقول: قبل يوم أحد بيوم: اللهم إنا لا قو هؤلاء غدا، وإنى أقسم عليك لما يقتلونى، ويبقروا بطنى، ويجدعونى، فإذا قلت لى: لم فعل بك هذا؟ فأقول: اللهم فيك، فلما التقوا فعل ذلك به، فقال الرجل الذى سمعه: أما هذا فقد استجيب له وأعطاه الله ما سأل فى جسده فى الدنيا، وأنا أرجو أن يعطى ما سأل فى الآخرة.

وعن إسحاق بن سعد بن أبى وقاص، قال: حدثنى أبى أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا ندعو الله؟ فخلوا فى ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال: يا رب إذا لقيت العدو غدا فلقنى رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده أقاتله فيك ويقاتلنى، ثم يأخذنى فيجدع أنفى وأذنى، فإذا لقيتك غدا قلت: يا عبد الله من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفى رسولك، فتقول: صدقت، قال سعد: فلقد رأيته آخر النهار وإن أذنه وأنفه لمعلقتان فى خيط.

قال الواقدي: قتل عبد الله بن جحش يوم أحد، قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق، ودفن عبد الله وحمزة بن عبد المطلب، وهو خاله، فى قبر واحد، وكان لعبد الله يوم قتل بضع وأربعون سنة.

١٦- عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب

يكنى أبا عبد الله، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وشهد بدرًا، واستعمله عمر على البصرة واليا، فهو الذى بصرها واختطها، ثم قدم على عمر فرده إلى البصرة واليا فمات فى الطريق سنة سبع عشرة، وقيل خمس عشرة، وهو ابن سبع وخمسين، وقيل: خمس وخمسين.

عن خالد بن عمير قال: خطب عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بصرم، وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء يتصابها صاحبها وإنكم منقلبون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى فى شفير جهنم فيهور فيها سبعين عاما ما يدرك لها قعرا، والله لتملأه، أفعجبتم؟! والله

(١٦) هو: عتبة بن غزوان - بفتح المعجمة وسكون الزاى - ابن جابر، المازنى، حليف بنى عبد شمس، صحابى جليل، مهاجرى بدرى، وهو أول من اختط البصرة، مات سنة سبع عشرة ويقال: بعدها.

لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين عاما، وليأتينَّ عليه يوم وهو كظيظ الزحام، ولقد رأيتني وأنا سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشداقنا، وإنني التقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد فانتزر بنصفها وانتزرت بنصفها فما أصبح منا أحد اليوم حيا إلا أصبح أمير مصر من الأمصار، وإنني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما، وعند الله صغيرا، وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت حتى تكون عاقبتها ملكا، وستبلون، وستجربون الأمراء بعدنا^(١). انفرد بإخراجه مسلم، ليس لعتبة في الصحيح غيره.

١٧- مصعب بن عمير

ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي

يكنى أبا محمد، دخل على رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكنم إسلامه، وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سرا فلما علموا به حبسوه، فلم يزل محبوسا حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى، ثم خرج في الهجرة الثانية، وكان من أنعم الناس عيشا قبل إسلامه، فلما أسلم زهد في الدنيا فتحسف جلده تحسف الحبة، وبعثه رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد أن بايع الأنصار البيعة الأولى يفقههم ويقرؤهم القرآن، وكان يأتيهم في دورهم، فيدعوهم إلى الإسلام فأسلم منهم خلق كثير وفشا الإسلام فيهم، وكتب إلى رسول الله ﷺ يستأذنه أن يجمعَ بهم فأذن له، فجمعَ بهم في دار بني خيثمة.

ثم قدم على رسول الله ﷺ مع السبعين الذي وافوه في العقبة الثانية، فأقام بمكة قليلا ثم قدم قبل رسول الله ﷺ المدينة فهو أول من قدمها.

وعن ابن شهاب قال: لما بايع أهل العقبة رسول الله ﷺ، ورجعوا إلى قومهم، فدعاهم إلى الإسلام سرا، وتلوا عليهم القرآن، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ معاذ ابن عفراء ورافع بن مالك، أن ابعث إلينا رجلا من قبلك فليدع الناس بكتاب الله؛ فإنه قمن أن يتبع، فبعث إليهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير، فلم يزل يدعو آمنا ويهدي الله تعالى على يده، حتى قل دار من دور الأنصار إلا قد أسلم أشrafهم، فأسلم عمرو بن الجموح، وكسرت أصنامهم، وكان المسلمون أعز أهل المدينة، فرجع مصعب إلى رسول الله ﷺ وكان يدعى المقرئ.

(١) صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب الزهد» حديث (٢٩٦٧).

(١٧) هو: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب، السيد الشهيد السابق البدرى القرشى العبدري.

قال ابن شهاب: وكان أول من جمع الجمعة بالمدينة بالمسلمين قبل أن يقدمها رسول الله

ﷺ.

وعن البراء، قال: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير^(١).

وعن عمر بن الخطاب قال: نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطق به، فقال النبي ﷺ:

انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون.

وعن محمد بن شرحبيل قال: حمل مصعب اللواء يوم أحد، فلما جال المسلمون ثبت به

مصعب، فأقبل ابن قميثة فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران: ١٤٤) وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنأ عليه فضربها

فقطعها، فحنأ على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ

خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران: ١٤٤) ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه.

وكان مصعب رقيق البشرة، ليس بالطويل ولا بالقصير، قيل: وهو ابن أربعين سنة أو يزيد شيئاً.

وقال ابن سعد: وقال عبد الله بن الفضل: قتل مصعب، وأخذ اللواء ملك في صورته،

فجعل النبي ﷺ يقول له في آخر النهار: تقدم يا مصعب، فالتفت إليه الملك وقال: لست

بمصعب فعرف النبي ﷺ أنه ملك أيد به.

وعن عبيد بن عمير قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من أحد مر على مصعب بن عمير

مقتولاً على طريقه فقرأ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب: ٢٣) الآية.

وعن خباب، قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله

عز وجل، فمننا من مضى ولم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد فلم

نجد له شيئاً نكفنه فيه إلا نمرة، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطينا رجله خرج

رأسه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي بها رأسه ونجعل على رأسه إذخرا، ومننا من أينعت

له ثمرته فهو يهدبها^(٢). أخرجاه في الصحيحين.

(١) انظر: «كنز العمال» (١١/ ٧٤٧) رقم (٣٣٦٥٠) و«حلية الأولياء» (١/ ١٥٣) رقم (٣٤٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الجنائز» حديث (١٢٧٦) باب (٢٧) إذا لم يجد كفناً إلا ما يوارى

رأسه أو قدميه غطى رأسه، ومسلم في «كتاب الجنائز» حديث (٩٤٠).

١٨- عمير بن أبي وقاص، أخو سعد

عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: رأيت أخى عمير بن أبى وقاص - قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ للخروج إلى بدر يتواري - فقلت: ما لك يا أخى؟ فقال: إني أخاف أن يرانى رسول الله ﷺ فيستصغرنى فيردنى، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقنى الشهادة، قال: فعرض على رسول الله ﷺ فاستصغره فقال: ارجع، فبكى عمير، فأجازه رسول الله ﷺ.

قال سعد: فكننت أعقد له حمائل سيفه من صغره، فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة، قتله عمرو بن عبد ود، والسلام.

١٩- عبد الله بن مسعود

ويكنى أبا عبد الرحمن، أمه أم عبد، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، ويقال: كان سادسا في الإسلام، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، وشهد بدرا والمشاهد كلها، وكان صاحب سر رسول الله ﷺ ووساده، وسواكه، ونعليه، وطهوره في السفر، وكان يشبه بالنبي ﷺ في هديه، ودله، وسمته، وكان خفيف اللحم قصيرا شديد الأدمة، وكان من أجود الناس ثوبا ومن أطيب الناس ريحا، وولى قضاء الكوفة وبيت المال لعمر وصدرا من خلافة عثمان ثم صار إلى المدينة، فمات بها سنة اثنتين وثلاثين، ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين.

عن زر بن حبیش، عن عبد الله بن مسعود، قال: كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعقبة بن أبى معيط، فجاء النبى ﷺ وأبو بكر وقد نفرا من المشركين فقالا: يا غلام هل عندك من لبن تسقين؟ فقلت: إني مؤتمن ولست ساقيكما، فقال النبى ﷺ: هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل؟ قلت: نعم، فأتيتهما بها فاعتقلها النبى ﷺ ومسح الضرع، ودعا، فحفل الضرع، ثم أناه أبو بكر بصخرة منقعة فاحتلب فيها فشرب أبو بكر ثم شربت، ثم قال للضرع: اقلص، فقلص، قال: فاتيت به بعد ذلك قلت: علمنى من هذا القول، قال: إنك غلام معلم، فأخذت من فيه سبعين سورة لا ينازعنى فيها أحد^(١).

(١٩) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل - بمعجمة وفاء - ابن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار الصحابة، مناقبه جمّة، وأمره عمر على الكوفة، مات سنة اثنتين وثلاثين أو فى التى بعدها بالمدينة.

(١) صحيح: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٧٦ / ٩، ٧٧) وابن أبى شيبه (١١ / ٥١٠) والبيهقى فى =

وعن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: قال عبد الله بن مسعود: لقد رأيتني سادس ستة ما على وجه الأرض مسلم غيرنا^(١).

ذكر قربه من رسول الله ﷺ:

قال أبو موسى الأشعري لقد رأيت رسول الله ﷺ وما أرى إلا ابن مسعود من أهله. وعن القاسم بن عبد الرحمن قال: كان عبد الله يلبس رسول الله ﷺ نعليه ثم يمشي أمامه بالعصا، حتى إذا أتى مجلسه نزع نعليه فأدخلهما في ذراعيه وأعطاه العصا، فإذا أراد رسول الله ﷺ أن يقوم ألبسه نعليه، ثم مشى بالعصا أمامه حتى يدخل الحجرة قبل رسول الله ﷺ.

وعن أبي المليح، عن عبد الله أنه كان يوقظ رسول الله ﷺ إذا نام، ويستتره إذا اغتسل، ويمشي معه في الأرض وحشاً.

وعن عبد الله بن شداد بن الهاد أن عبد الله كان صاحب الوساد والسواك والتعليلين.

ذكر شبهه برسول الله ﷺ:

عن علقمة قال: كان عبد الله يشبه بالنبي ﷺ في هديه ودله وكان علقمة يشبه بعبد الله. وعن عبد الله بن يزيد قال: أتينا حذيفة فقلنا له: حدثنا بأقرب الناس برسول الله ﷺ هدياً وسمتاً ودلاً، نأخذ عنه ونسمع منه، قال: كان أقرب الناس برسول الله ﷺ هدياً وسمتاً ودلاً عبد الله بن مسعود، حتى يتوارى عنا في بيته، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله زلفى، والسلام.

ذكر ثناء الرسول ﷺ على عبد الله بن مسعود:

عن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر، وهو بعرفة فقال: جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة، وتركت بها رجلاً يملئ المصاحف عن ظهر قلبه، فغضب وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرحل، فقال: من هو، ويحك؟ قال: عبد الله بن مسعود، فما زال يطفأ ويسير عنه الغضب حتى عاد إلى حاله التي كان عليها، ثم قال: ويحك، والله ما أعلم بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه، وسأحدثك عن ذلك:

= «دلائل النبوة» (٢/ ١٧١) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٧٢) رقم (٣٧٩) وأحمد في «المسند» (٣٥٩٨) وقال الذهبي: هذا حديث صحيح الإسناد، ورواه أبو عوانة عن عاصم بن بهدلة، وبعض هذا الحديث عند البخاري (٥٠٠٠).

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» رقم (٥٣٦٨) وصححه وأقره الذهبي في «التلخيص» وقال: صحيح، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٧٤) رقم (٣٨٤).

كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر الليلة كذلك في أمر من أمر المسلمين، وإنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه فإذا رجل قائم يصلي في المسجد، فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته، فلما كدنا نعرفه، قال رسول الله ﷺ: من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد، قال: ثم جلس الرجل يدعو، فجعل رسول الله ﷺ يقول له: سل تعطه، سل تعطه.

قال عمر: قلت: والله لأغدون عليه فلا بشرنه، قال: فغدوت عليه فبشرته فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشره، ولا والله ما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه. رواه الإمام أحمد^(١).
وروى عن زر بن حبیش عن ابن مسعود: أنه كان يجتنى سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ مم تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: والذي نفسى بيده لهما أثقل في الميزان من أحد^(٢).
ذكر ثناء الناس عليه وكثرة علمه:

عن زيد بن وهب، قال: أقبل عبد الله ذات يوم وعمر جالس فقال: كيف ملئ علماً. وعن الشعبي، قال: ذكروا أن عمر بن الخطاب لقي ركباً في سفر له فيهم عبد الله بن مسعود، فأمر عمر رجلاً يناديهم: من أين القوم؟ فأجابه عبد الله: أقبلنا من الفج العميق، فقال عمر: أين تريدون؟ فقال عبد الله: البيت العتيق، فقال عمر: إن فيهم عالماً، وأمر رجلاً فناداهم: أى القرآن أعظم؟ فأجابه عبد الله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٥) حتى ختم الآية قال: نادهم أى القرآن أحكم؟ فقال ابن مسعود: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠) الآية، فقال عمر: نادهم، أى القرآن أجمع؟ فقال ابن مسعود: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) (الزلزلة) فقال عمر: نادهم أى القرآن أخوف؟ فقال ابن مسعود: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ (النساء: ١٢٣) الآية، فقال عمر: نادهم أى القرآن أرجى؟ فقال ابن مسعود: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٣) فقال عمر: نادهم: أفيكم ابن مسعود؟ قالوا: اللهم نعم.

وعن أبي البختري قال: سئل على - رضي الله عنه - عن أصحاب محمد ﷺ فقال: عن أيهم
(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» حديث (١٧٥) والحاكم والطبراني في «الكبير» (٩/ ٦١، ٦٢) وابن خزيمة حديث (١١٥٦) وابن أبي شيبة (١٠/ ٥٢٠) وانظر «موارد الظمان» (٢٤٣٦).
(٢) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٧٥) رقم (٣٨٨).

تسألون؟ قالوا: أخبرنا عن عبد الله بن مسعود، قال: علّم القرآن وعلم السنة ثم انتهى، وكفى به علماً^(١).

وعن أبي الأحوص قال: شهدت أبا موسى وأبا مسعود حين مات ابن مسعود وأحدهما يقول لصاحبه: أترأه ترك مثله؟ قال: إن قلتُ ذاك، إن كان ليؤذَن له إذا حجبتنا ويشهد إذا غبتنا^(٢). رواه الإمام أحمد.

وعن عامر قال: قال أبو موسى: لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبر فيكم، يعني ابن مسعود.

وعن شقيق قال: كنت قاعدًا مع حذيفة، فأقبل عبد الله بن مسعود فقال حذيفة: إن أشبه الناس هديا ودلا برسول الله من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع - ولا أدري ما يصنع في أهله - لعبد الله بن مسعود، والله لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أنه من أقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة.

وعن مسروق قال: قال عبد الله: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، وإلا أنا أعلم فيما نزلت، ولو أعلم أن أحدا أعلم بكتاب الله مني تناله المطى لأتيته. وعن تميم بن حذلم، قال: جالست أصحاب النبي ﷺ أبا بكر وعمر، وما رأيت أحدا أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة، ولا أحب إلى أن أكون في مسلاخه منك يا عبد الله بن مسعود.

وعن مسروق، قال: شاممت أصحاب محمد، ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة نفر منهم: عمر، وعلى، وعبد الله، وأبي بن كعب، وأبو الدرداء، وزيد بن ثابت، ثم شاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى رجلين: على، وعبد الله. وعنه قال: جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذا يروى الرجل، والإخاذا يروى الرجلين، والإخاذا يروى المائة، والإخاذا لو، نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله من ذلك الإخاذا.

ذكر تعبده:

عن زر، عن عبد الله، أنه كان يصوم الاثنين والخميس.

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١/ ١٧٧) رقم (٣٩٩).

(٢) ضعيف جدًا: أخرجه أحمد وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٧٦) رقم (٣٦٤) وفيه - يحيى بن سلمة بن كهيل - متروك.

وعن عبد الرحمن بن يزيد، قال: ما رأيت فقيها قط أقل صوما من عبد الله، فقيل له: لم لا تصوم؟ قال: إنى أختار الصلاة على الصوم، فإذا صمت ضعفت عن الصلاة.

وعن محارب بن دثار، عن عمه محمد، قال: مررت بابن مسعود بسحر وهو يقول: «اللهم دعوتى فأجبتك، وأمرتني فأطعتك وهذا سحر فاغفر لي» فلما أصبحت غدوت عليه فقلت له، فقال: إن يعقوب لما قال لبيته: «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُكُمْ» (يوسف: ٩٨) أخرهم إلى السحر.

ذكر ورعه:

عن عمرو بن ميمون، قال: اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنة ما سمعته يحدث فيها عن رسول الله ﷺ ولا يقول فيها: قال رسول الله، إلا أنه حدث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه «قال رسول الله ﷺ» فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال: إن شاء الله تعالى، إما فوق ذلك، وإما قريب من ذلك، وإما دون ذلك.

ذكر شدة خوفه وبكائه رضي الله عنه:

عن مسروق قال: قال رجل عن عبد الله: ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين، أكون من المقربين أحب إليّ، فقال عبد الله: لكن ههنا رجل ود أنه إذا مات لا يبعث، يعنى نفسه.

وعن جرير، رجل من بجيله، قال: قال عبد الله: وددت أنى إذا مت لم أبعث.

وعن الحسن قال: قال عبد الله بن مسعود: لو وقفت بين الجنة والنار فقبل لى اخترت خيرك من أيهما تكون أحب إليك أو تكون رمادا؟ لأحببت أن أكون رمادا.

وعن أبي وائل قال: قال عبد الله: وددت أن الله غفر لى ذنبا من ذنوبى وأنه لا يعرف نسبى.

وعن زيد بن وهب: أن عبد الله بكى حتى رأته أخذ بكفه من دموعه فقال به هكذا.

ذكر تواضعه:

عن حبيب بن أبى ثابت قال: خرج ابن مسعود ذات يوم فاتبعه ناس، فقال لهم: ألكم حاجة؟ قالوا: لا، ولكن أردنا أن نمشى معك، قال: ارجعوا فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبع.

وعن الحارث بن سويد قال: قال عبد الله لو تعلمون ما أعلم من نفسى حثيثم على رأسى التراب.

ذكر إثاره ثواب للأخرة على شهوات النفس:

عن الأحوص الجشمي قال: دخلنا على ابن مسعود وعنده بنون له، ثلاثة غلمان، كأنهم الدنانير حسنا، فجعلنا نتعجب من حسنهم فقال لنا: كأنكم تغبطوني بهم، قلنا: والله إى والله، بمثل هؤلاء يُغبط المرء المسلم، فرفع رأسه إلى سقف بيت له صغير، قد عشش فيه خطاف وباض، فقال: والذي نفسى بيده لأن أكون قد نفضت يدى عن تراب قبورهم أحب إلى أن يسقط عش هذا الخطاف وينكسر بيضه.

وعن قيس بن جبير قال: قال عبد الله: حبذا المكروهان: الموت والفقر، وإيم الله إن هو إلا الغنى والفقر، وما أبالي بأيهما بليت، إن حق الله فى كل واحد منهما واجب، إن كان الغنى إن فيه للعطف وإن كان الفقر إن فيه للصبر.

وعن الحسن قال: قال عبد الله بن مسعود: ما أبالي إذا رجعت إلى أهلى على أى حال أراهم، بخير أو بشر أم بضر وما أصبحت على حالة فتمنيت أنى على سواها.

ذكر جملة من مناقبه وكلامه رضي الله عنه:

عن عبد الله بن مرداس، قال: كان عبد الله يخطبنا كل خميس فيتكلم بكلمات، فيسكت حين يسكت ونحن نشتهى أن يزيدنا.

وعن عبد الله بن الوليد، قال: سمعت عبد الرحمن بن حجيصة يحدث عن أبيه، عن ابن مسعود أنه كان يقول إذا قعد يذكر: «إنكم فى ممر من الليل والنهار فى آجال منقوضة وأعمال محفوظة والموت يأتى بغتة، فمن زرع خيرا فيوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شرا فيوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، لا يسبق بطيء بحظه، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له، فإن أعطى خيرا فالله أعطاه، ومن وقى شرا فالله وقاه، المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالسهم زيادة». رواه الإمام أحمد.

وعن أبى الأحوص، عن عبد الله أنه كان يوم الخميس قائما فيقول: «إنما هما اثنتان: الهدى والكلام، وأفضل الكلام كلام الله، وأفضل الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة، فلا يطولن عليكم الأمد، لا يلهينكم الأمل، فإن كل ما هو آت قريب، ألا وإن بعيدا ما ليس آتيا، ألا وإن الشقى من شقى فى بطن أمه، وإن السعيد من وعظ بغيره، ألا وإن قتال المسلم كفر وسبابه فسوق، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام حتى يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويعوده إذا مرض، ألا وإن شر الروايا روايا

الكذب، ألا وإن الكذب لا يصلح منه هزل ولا جد، ولا أن يعد الرجل صبيه شيئاً ثم لا ينجزه له، ألا وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، ألا وإنه يقال للصادق صدق وبر، ويقال للفاجر: كذب وفجر، ألا وإن محمداً ﷺ حدثنا أن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله عز وجل صديقاً ويكذب حتى يكتب عند الله عز وجل كذاباً، ألا وهل أنبئكم ما العضه؟ قيل: وما هي؟ قال: هي النميمة التي تفسد بين الناس.

وعن عبد الرحمن بن عابس، قال: قال عبد الله بن مسعود: «إن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وأحسن السنن سنة محمد ﷺ، وخير الهدى هدى الأنبياء، وأشرف الحديث ذكر الله، وخير القصص القرآن، وخير الأمور عواقبها، وشر الأمور محدثاتها، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ونفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة ندامة يوم القيامة، وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، وخير ما ألقى في القلب اليقين، والريب من الكفر، وشر العمى عمى القلب، والخمر جماع الإثم، والنساء حباله الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، والنوح من عمل الجاهلية، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبراً، ولا يذكر الله إلا هجراً، وأعظم الخطايا الكذب، وسباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يآجره الله، ومن يغفر يغفر الله له، ومن يصبر على الرزية يعقبه الله، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المآكل أكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقى من شقى في بطن أمه، وإنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه، وإنما يصير إلى أربعة أذرع والأمر إلى آخرة، وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا روايا الكذب، وأشرف الموت قتل الشهداء، ومن يعرف البلاء يصبر عليه ومن لا يعرفه ينكره، ومن يستكبر يضعه الله، ومن يتول الدنيا تعجز عنه، ومن يطع الشيطان يعص الله، ومن يعص الله يعذبه».

وعن المسيب بن رافع، عن عبد الله بن مسعود، قال: «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس فرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل

القرآن أن يكون باكيا محزونًا، حليما، حكيما، سكيئا، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيا، ولا غافلا، ولا سخابا، ولا صياحا، ولا حديدا». رواه الإمام أحمد.

وعن الأعمش قال: كان عبد الله يقول لإخوانه «أنتم جلاء قلبي».

وعن أبي إياس البجلي قال: سمعت عبد الله بن مسعود، يقول: «من تناول تعظما خفضه الله، ومن تواضع تخشعا رفعه الله، وإن للملك لمة وللشيطان لمة، فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فإذا رأيتم ذلك فاحمدوا الله عز وجل، ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فإذا رأيتم ذلك فتعوذوا بالله».

وعن عمران بن أبي الجعد، عن عبد الله قال: «إن الناس قد أحسنوا القول، فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه، ومن لا يوافق قوله فعله فذاك الذي يوبخ نفسه».

وعن خيثمة قال: قال عبد الله: «لا ألفين أحدكم جيفة ليل قطرب نهار».

وعن المسيب بن رافع قال: قال عبد الله بن مسعود: «إني لأبغض الرجل أن أراه فارغا ليس في شيء من عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة». رواه الإمام أحمد.

وروى أيضا عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله قال: «من لم تأمره الصلاة بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزد بها من الله إلا بعدا».

وروى عن عمر بن ميمون، عن ابن مسعود قال: «إن الشيطان أطاف بأهل مجلس ذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم، فأتى على حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم ففرقوا».

وعن موسى بن أبي على المزني قال: قال عبد الله بن مسعود: «من اليقين أن لا يرضى الناس بسخط الله، ولا تحمدن أحدا على رزق الله، ولا تلومن أحدا على ما لم يؤتك الله، فإن رزق الله لا يسوقه حرص الحريص ولا يرده كره الكاره، وإن الله بقسطه وحكمه وعدله وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط».

وعن مرة، عن عبد الله قال: ما دمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك يفتح له.

وعن القاسم بن عبد الرحمن، والحسن بن سعد، قالا: قال عبد الله: «إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها». رواه الإمام أحمد.

وعن إبراهيم بن عيسى، عن عبد الله بن مسعود قال: «كونوا يتابع العلم، مصابيح

الهدى، أحلاس البيوت، سرج الليل، جدد القلوب، خلقتان الثياب، تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض».

وعن مسروق قال: قال عبد الله: «إذا أصبحتم صياما فأصبحوا مدهنين». رواه الإمام أحمد.

وروى عن أبي وائل قال: قال عبد الله: «أنذرتكم بلوغ القول: بحسب أحدكم ما أبلغ حاجته».

وعن معن قال: قال عبد الله بن مسعود: «إن للقلوب شهوة وإقبالا، وإن للقلوب فترة وإدبارا، فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها ودعوها عند فترتها وإدبارها».

وعن عون بن عبد الله قال: قال عبد الله: «ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية».

وعن منذر قال: جاء ناس من الدهاقين إلى عبد الله بن مسعود، فتعجب الناس من غلظ رقابهم وصحتهم، فقال عبد الله: «إنكم ترون الكافر من أصبح الناس جسما وأمرضه قلبا، وتلقون المؤمن من أصبح الناس قلبا وأمرضه جسما، وإيم الله، لو مرضت قلوبكم وصحت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجعلان».

وعن عوف بن عبد الله قال: قال عبد الله بن مسعود: «لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى، والتواضع أحب إليه من الشرف، وحتى يكون حامده وذامه عنده سواء» قال: ففسرها أصحاب عبد الله قالوا: حتى يكون الفقر في الحلال أحب إليه من الغنى في الحرام، والتواضع في طاعة الله أحب إليه من الشرف في معصية الله، وحتى يكون حامده وذامه عنده في الحق سواء». رواه الإمام أحمد.

وعن طارق بن شهاب، عن عبد الله قال: «إن الرجل يخرج من بيته ومعه دينه فيرجع وما معه منه شيء، يأتي الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضرا ولا نفعا فيقسم له بالله إنك لذيت وذيت، فيرجع وما حُبى من حاجته بشيء ويسخط الله عليه».

وعن إبراهيم قال: قال عبد الله: «لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبا».

وعن أبي الأحوص قال: قال عبد الله بن مسعود: «الإثم حواز القلوب وما كان من نظرة فإن للشيطان فيها مطمعا».

وعن عبد الله قال: «مع كل فرحة ترحه، وما ملئ بيت حبرة إلا ملئ عبرة». رواه أحمد.

وعن الضحاك بن مزاحم قال: قال عبد الله: «ما منكم إلا ضيف وماله عارية، فالضيف مرتحل، والعارية مؤداة إلى أهلها».

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه قال: أتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، علمنى كلمات جوامع نوافع، فقال له عبد الله: «لا تشرك به شيئا، وزل مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيدا بغیضا، ومن جاءك بالباطل فاردده عليه وإن كان حبيبا قريبا».

وعن مالك بن مغول قال: قال عبد الله بن مسعود: «يكون فى آخر الزمان أقوام أفضل أعمالها التلاوم بينهم، يسمون الإتنان».

وعن خيثمة قال: قال عبد الله: «إذا أحب الرجل أن ينصف من نفسه فليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه».

وروى أيضا عن خيثمة قال: قال عبد الله: «الحق ثقيل مرىء، والباطل خفيف وبقىء، ورب شهوة تورث حزنا طويلا».

وعن عنبس بن عقبة قال: قال عبد الله بن مسعود: «والله الذى لا إله إلا هو ما على وجه الأرض شىء أحوج إلى طول سجن من لسان».

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: «إذا ظهر الزنا والربا فى قرية أذن بهلاكها».

وعن أبى عبيدة قال: قال عبد الله: «من استطاع منكم أن يجعل كنزَه فى السماء حيث فإن قلب الرجل مع كنزه». ١٥٧ لا تأكله السوس ولا يناله السراق فليفعل،

وعن القاسم قال: قال رجل لعبد الله: أوصنى يا أبا عبد الرحمن قال: «ليسعك بيتك، واكفف لسانك، وابك على ذكر خطيئتك».

وعن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال: أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهادا من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا أفضل منكم، قيل له: بأى شىء؟ قال: إنهم كانوا أزهد فى الدنيا وأرغب فى الآخرة منكم.

وعن زاذان، عن عبد الله بن مسعود قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له: أد أمانتك، فيقول: من أين يا رب؟ قد ذهبت الدنيا، فتمثل على هيئتها يوم أخذها فى قعر جهنم، فينزل فيأخذها فيضعها على عاتقه فيصعد بها حتى إذا ظن أنه خارج بها هوت وهوى فى إثرها أبد الآبدین.

وعن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً فإن آمن وإن كفر كفر، وإن كنتم لا بد مقتدين فاقتدوا بالميت، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: قال عبد الله: لا تكونن إمعة، قالوا: وما الإمعة؟ قال: يقول: أنا مع الناس، إن اهتدوا اهتديت، وإن ضلوا ضللت، ألا ليوطنن أحدكم نفسه على أنه إن كفر الناس أن لا يكفر.

وعن سليمان بن مهران قال: بينما ابن مسعود يوماً معه نفر من أصحابه إذ مر أعرابي فقال: علامَ اجتمع هؤلاء؟ فقال ابن مسعود على ميراث محمد صلوات الله عليه يقتسمونه.

وعن خيثم بن عمرو أن ابن مسعود أوصى أن يكفن في حلة بمائتي درهم.

وقد سبق ذكر وفاته وموضع دفنه في أول أخباره.

٢٠- المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك

كان حالف الأسود بن عبد يغوث الزهري في الجاهلية فتبناه، فكان يقال له: المقداد بن الأسود، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٥) قيل: المقداد بن عمرو.

وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع النبي صلوات الله عليه، وكان طويلًا آدم، ذا بطن، كثير شعر الرأس، أعين، مقرون الحاجبين، أقنى، يضرر لحيته.

وعن القاسم بن عبد الرحمن قال: أول من عدا به فرسه في سبيل الله المقداد بن الأسود.

وقال عليٌّ عليه السلام: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد.

وعن طارق بن شهاب قال: قال عبد الله: لقد شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا لأن أكون أنا صاحبه أحب إلى مما عدل به، أتى النبي صلوات الله عليه وهو يدعو على المشركين فقال: والله يا رسول الله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤) ولكننا نقاتل عن يمينك، وعن يسارك، وبين يديك، ومن خلفك، فرأيت النبي صلوات الله عليه أشرق وجهه وسره ذلك. رواه الإمام أحمد.

وعن أنس قال: بعث النبي صلوات الله عليه المقداد على سرية، فلما قدم قال له: أبا معبد كيف

(٢٠) هو: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهراني ثم الكندي ثم الزهري، حالف أبا كندة، وتبناه، هو الأسود بن عبد يغوث الزهري، فنسب إليه، صحابي مشهور، من السابقين، لم يثبت أنه كان ببدر فارس غيره، مات سنة ثلاث وثلاثين، وهو ابن سبعين سنة.

وجدت الإمارة؟ قال: كنت أحمل وأوضع حتى رأيت أن لى على القوم فضلا، قال: هو ذاك، فخذ أو دع، قال: والذي بعثك بالحق لا تأمر على اثنين أبدا.

وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه قال: جلسنا إلى المقداد يوما فمر به رجل فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ، والله لوددنا أننا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت، فاستغضب فجعلت أعجب، ما قال إلا خيرا، ثم أقبل إليه فقال: ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضراً غيبه الله عنه، ما يدري لو شاهده كيف كان يكون فيه؟ والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام كبهم الله على مناخرهم فى جهنم لم يجيئوه ولم يصدقوه، أولا تحمدون الله إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم، ولقد كفيتم البلاء بغيركم؟ والله لقد بعث النبي ﷺ على أشد حال بعث عليها نبي من الأنبياء فى فترة وجاهلية، ما يرون أن ديننا أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل، وفرق بين الوالد وولده، إن كان الرجل ليرى والده وولده وأخاه كافرا وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان يعلم أنه إن هلك دخل النار فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه فى النار وأنها للئى قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الفرقان: ٧٤).

ذكر وفاته ﷺ:

قال أهل السير: شرب المقداد دهن الخروج فمات، وذلك بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة فحمل على رقاب الرجال حتى دفن بالقيع، وصلى عليه عثمان وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة أو نحوها.

٢١- خباب بن الارت بن جدلة

يكنى أبا عبد الله، أصابه سباء، فبيع بمكة واشترته أم أنمار، وأسلم خباب قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وقيل كان سادس ستة الإسلام، له سدس الإسلام.

وعن طارق بن شهاب قال: جاء خبابا نفر من أصحاب محمد ﷺ فقالوا: أبشر يا أبا عبد الله، إخوانك تقدم عليهم غدا، فبكى، وقال: أما إنه ليس بى جزع، ولكن ذكرونى أقواما وسميت لى إخوانا، وإن أولئك مضوا بأجورهم كما هى، وإنى أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا بعدهم^(١).

(٢١) هو: خَبَّاب - بموحدين الأولى متقلة - ابن الأرت، التميمي أبو عبد الله، من السابقين إلى الإسلام، وكان يُعَذَّب فى الله، وشهد بدرًا ثم نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين.

(١) انظر «حلية الأولياء» (١/ ١٩٧) رقم (٤٧٩).

وعن أبى وائل شقيق بن سلمة قال: دخلنا على خباب بن الارت في مرضه فقال إن في هذا التابوت ثمانين ألف درهم، والله ما شددت لها من خيط، ولا منعته من سائل، ثم بكى فقل: ما ييكك؟ فقال: أبكى أن أصحابي مضوا ولم تنقصهم الدنيا شيئا وإننا بقينا بعدهم حتى ما نجد موضعا إلا التراب^(١).

وعن قيس بن أبى حازم قال: أتينا خباب بن الارت نعوذ وقد اكتوى في بطنه سبعا، فقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به، فقد طال مرضى، ثم قال: إن أصحابنا الذين مضوا لم تنقصهم الدنيا شيئا، وإننا أعطينا بعدهم ما لا نجد له موضعا إلا التراب، وشكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد برداء له في ظل الكعبة فقلنا: يا رسول الله ألا تستنصر الله لنا؟ فجلس محمرا وجهه فقال: والله لقد كان من قبلكم يؤخذ فتجعل المناشير على رأسه فيفرق فرقتين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليؤمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء وحضرموت لا يخاف إلا الله تبارك وتعالى والذئب على غنمه^(٢). أخرجاه في الصحيحين.

وعن طارق بن شهاب، قال: كان خباب من المهاجرين الأولين وكان ممن يعذب في الله عز وجل^(٣).

وعن الشعبي قال: سأل عمر خبابا عما لقي من المشركين، فقال خباب: يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري، فقال عمر: ما رأيت كاليوم، قال: أوقدوا لى نارا فما أطفأها إلا ودك ظهري^(٤).

ذكر وفاته رحمته الله:

توفي خباب بالكوفة سنة سبع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وصلى عليه على ابن أبى طالب حين منصرفه من صفين، وهو أول من قبر بظهر الكوفة.

(١) انظر «حلية الأولياء» (١/ ١٩٦) رقم (٤٧٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى في «كتاب المناقب» حديث (٣٦١٢) باب علامات النبوة في الإسلام، وأبو داود في «كتاب الجهاد» حديث (٢٦٤٩) باب في الأسير يكره على الكفر.

(٣) انظر «حلية الأولياء» (١/ ١٩٤) رقم (٤٧١).

(٤) انظر «حلية الأولياء» (١/ ١٩٥) رقم (٤٧٢).

٢٢- صهيب بن سنان بن مالك بن النمر بن قاسط

سبى وهو غلام، فنشأ بالروم فابتاعته منهم كلب، فقدمت به مكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان فأعتقه، وأسلم قديماً، وكان من المستضعفين المعذنين في الله تعالى، ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وهو من السابقين الأولين، وهو سابق الروم، وأمره عمر أن يصلى بالناس في زمن الشورى فقدموه فصلى على عمر، وكان أحمر شديد الحمرة ليس بالطويل ولا بالقصير، كثير شعر الرأس يخضب بالحناء.

وعن سعيد بن المسيب قال^(١): لما أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي ﷺ وتبعه نفر من قريش، نزل عن راحلته وانتشل ما في كنانته ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أنى من أركام رجلا، وإيم الله لا تصلون إلىّ حتى أرمى بكل سهم معى في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقى في يدي منه شيء، افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالى وثيابى بمكة وخليتم سبيلي، قالوا: نعم، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال: ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى، ونزلت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٠٧) الآية.

وعن صهيب، قال: لم يشهد رسول الله ﷺ مشهداً قط إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة إلا كنت حاضرها، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزاة قط أول الزمان وآخره إلا كنت فيها عن يمينه أو عن شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم، ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله ﷺ بينى وبين العدو قط حتى توفي رسول الله ﷺ^(٢).

ذكر وفاته ﷺ:

توفي صهيب بالمدينة في شوال سنة ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين سنة^(٣).

٢٣- عامر بن فهيرة مولى أبى بكر ﷺ

يكنى أبا عمر، واشتراه أبو بكر وأعتقه قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، فكان

(٢٢) هو: صهيب بن سنان، أبو يحيى الرومى، أصله من النمر، يقال: كان اسمه عبد الملك، وصهيب لقب، صحابى شهير، مات بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في خلافة علي، وقيل: قبل ذلك.

(١) ضعيف: أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٢٨) فيه - على بن زيد - ضعيف.

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (١/ ٢٠٤) رقم (٤٩٧) و «كنز العمال» (١٣/ ٤٤٠) رقم (٣٧١٥١).

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٦٥، ٣٦٦).

(٢٣) هو: عامر بن فهيرة، المشروع رشده، والمنزوع حسده، والمرفوع جسده، سبق إلى الدعوة، وخدم

رسول الله ﷺ، وصحبه في الهجرة.

من المستضعفين، يعذب بمكة ليرجع عن دينه، وشهد بدرًا وأحداً وقتل يوم بئر معونة سنة أربع من الهجرة وهو ابن أربعين سنة.

قال العلماء بالسير: طعنه جبار بن سلمى فأنفذه، فقال عامر: فزت والله جبار، أما قوله: فزت والله قالوا: بالجنة، فأسلم جبار، ولم يوجد عامر، قال عروة بن الزبير: يرون أن الملائكة دفنته.

روى البخاري عن عائشة قالت: لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، ويدلج من عندهما بسحر، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل، وهو لبن منحتهما، حتى ينق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث.

وعن عائشة قالت: لم يكن مع رسول الله ﷺ حين هاجر من مكة إلى المدينة إلا أبو بكر، وعامر بن فهيرة، ورجل من بنى الدليل دليلهم.

وعن الزهري قال: أخبرني ابن كعب بن مالك قال: بعث رسول الله ﷺ إلى بنى سليم نفرا فيهم عامر بن فهيرة، فاستجاش عليهم عامر بن الطفيل فأدركوهم ببئر معونة فقتلوهم، قال الزهري: فبلغني أنهم التمسوا جسد عامر بن فهيرة فلم يقدروا عليه، قال: فيرون أن الملائكة دفنته.

وعن عروة أن عامر بن الطفيل كان يقول من رجل منهم؟ لما قتل رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه، قالوا هو عامر بن فهيرة.

٢٤- بلال بن رباح مولى أبي بكر

اسم أمه: حمامة، أسلم قديما فعذبه قومه وجعلوا يقولون له: ربك اللات والعزى، وهو يقول: أحد أحد، فأتى عليه أبو بكر فاشتراه بسبع أواق، وقيل بخمس، فأعتقه فشهد بدرًا، وأحداً، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ، كان يؤذن له حضرا وسفرا، وكان خازنه على بيت ماله، وكان آدم شديد الأدمة نحيفا طوالا أجنأ، له شعر كثير، خفيف العارضين، به شمت كثير لا يغيره.

عن مجاهد قال: إن أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وبلال، وصهيب، وخباب، وعمار، وسمية أم عمار، فأما رسول الله ﷺ فمنعه عمه، وأما أبو بكر

فمنعه قومه، وأخذ الآخرون فألبسوه أدرع الحديد ثم صهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم ما بلغ فأعطوهم ما سألوا فجاء إلى كل رجل منهم قومه بأنطاع الأدم فيها الماء والقوهم فيه وحملوا بجوانبه إلا بلالا، فإنه هانت عليه نفسه في الله حتى ملوه وجعلوا في عنقه حبلا ثم أمروا صبيانهم أن يشتدوا به بين أخشيى مكة فجعل بلال يقول: أحد أحد.

(وقد روى هذا عن ابن مسعود إلا أنه جعل مكان خباب المقداد).

عن رز بن حبيش، عن عبد الله، قال: كان أول من أظهر إسلامه: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبى طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوه أدرع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد اتاهم على ما أرادوا إلا بلال فإنه هانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان على قومه فأعطوه الولدان فأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول أحد أحد. رواه الإمام أحمد^(١).

وعن عروة بن الزبير، عن أبيه قال: كان ورقة بن نوفل يمر ببلال وهو يعذب، وهو يقول: أحد أحد، فيقول: أحد أحد الله يا بلال، ثم أقبل ورقة على أمية بن خلف وهو يصنع ذلك ببلال فيقول: أحلف بالله عز وجل إن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا، حتى مر به أبو بكر الصديق يوما وهم يصنعون ذلك به، فقال لأمية: ألا تتقى الله عز وجل في هذا المسكين؟ حتى متى؟ قال: أنت أفسدته فأنقذه عما ترى، قال: أبو بكر: أفعل، عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به، قال: قد قبلت، قال: هو لك، فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك، فأخذ أبو بكر بلالا فأعتقه، ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر من مكة ست رقاب بلال سابعهم.

قال محمد بن إسحاق: وكان أمية يخرجها إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتبعد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد.

وعن جابر بن عبد الله قال: قال عمر رضي الله عنه: كان أبو بكر سيدنا وأعتق بلالا سيدنا.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: بلال سابق الحبشة.

عن القاسم بن عبد الرحمن قال: أول من أذن بلال.

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في «الكبير» حديث (١٠٢٤).

وعن أبي عبد الله الهوزني قال: لقيت بلالا فقلت: يا بلال حدثني كيف كانت نفقة رسول الله ﷺ؟ فقال: ما كان له شيء، كنت أنا الذي ألى له ذلك منذ بعثه الله عز وجل حتى توفي، وكان إذا أتاه الرجل المسلم فرآه عاريا يأمرني فأنتلق فأستقرض وأشتري البردة فأكسوه وأطعمه.

وعن عبد الله قال: دخل النبي ﷺ على بلال وعنده صبرة من تمر قال: ما هذا يا بلال؟ قال: يا رسول الله ادخرته لك ولضيفانك، فقال: أما تخشى أن يكون له بخار في النار؟ أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا^(١).

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوديت في الله وما يؤذي أحد، ولقد أتت علي ثلاثون ما بين ليلة ويوم ما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال^(٢). رواه الترمذي.

وعن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبي يقول: أصبح النبي ﷺ فدعا بلالا فقال: يا بلال، بم سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي، إني دخلت البارحة فسمعت خشخشتك، قال: ما أحدثت إلا توضأت وصليت ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: بهذا^(٣).

قال محمد بن إبراهيم التيمي: لما توفي رسول الله ﷺ أذن بلال ورسول الله ﷺ لم يقبر، فكان إذا قال: أشهد أن محمدا رسول الله انتحب الناس في المسجد، فلما دفن رسول الله ﷺ قال له أبو بكر: أذن يا بلال، فقال: إن كنت إنما أعتقتني لأكون معك فسيب ذلك، وإن كنت أعتقتني لله فخلني ومن أعتقتني له، فقال: ما أعتقتك إلا لله، قال: فإنني لا أؤذن لأحد بعد رسول الله ﷺ، قال فذاك إليك، قال: فقام حتى خرجت بعوث الشام فخرج معهم حتى انتهى إليها.

وعن سعيد بن المسيب قال: لما كانت خلافة أبي بكر تجهز بلال ليخرج إلى الشام فقال له أبو بكر: ما كنت أراك يا بلال تدعنا على هذا الحال، لو أقمت معنا فأعنتنا قال: إن كنت

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند».

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي في «أبواب صفة القيامة والرقائق والورع» حديث (٢٤٧٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) ضعيف: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» رقم (٤٩٤).

إنما أعتقتني الله عز وجل فدعني أذهب إليه، وإن كنت إنما أعتقتني لنفسك فاحبسني عندك، فأذن له فخرج إلى الشام، فمات بها^(١).

قال الشيخ، رحمه الله: وقد اختلف أهل السير أين مات؟ فقال بعضهم: مات بدمشق، وقال بعضهم: مات بحلب سنة عشرين. وقيل: سنة ثمانى عشرة وهو ابن بضع وستين سنة، رحمه الله^(٢).

٢٥- أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال

أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ومعه امرأته أم سلمة.

وقال أبو أمامة بن سهل بن حنيف: أول من قدم علينا المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ للهجرة أبو سلمة.

وشهد أبو سلمة بدراً وجرح بأحد فمكث شهراً يداوى جراحه، ثم بعثه رسول الله ﷺ فى سرية، فلما قدم انتفض جرحه، ثم توفى فحضره رسول الله ﷺ عند وفاته وأغمضه بيده.

توفى فى سنة ثلاث من الهجرة.

٢٦- الأرقم بن أبى الأرقم بن أسد

يكنى أبا عبد الله، أسلم بعد ستة نفر وكانت داره على الصفا بمكة، وفيها استتر رسول الله ﷺ ودعا الناس فيها إلى الإسلام، وتصدق بها الأرقم على ولده، فلم يزل المنصور يرغب ولده فى المال حتى باعوه إياها ثم أعطاها المهدي الخيزران.

وشهد الأرقم بدراً وأحدا والمشاهد كلها، وتوفى ابن بضع وثمانين سنة فى سنة خمس وخمسين بالمدينة وصلى عليه سعد بن أبى وقاص.

٢٧- عمار بن ياسر بن عمار بن مالك

وأمه سمية، أسلم قديماً وكان من المستضعفين الذين يعذبون بمكة ليرجعوا عن دينهم، أحرقه المشركون بالنار، وشهد بدراً ولم يشهدها ابن مؤمنين غيره، وشهدا أحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وسماء الطيب المطيب^(٣).

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (٤٩٦) وابن سعد فى «الطبقات الكبرى».

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٢٣، ٢٢٤) ط. دار الفكر.

(٣) صحيح: أخرجه الترمذى فى «المناقب» حديث (٣٧٩٨)

عن عمرو بن ميمون قال: أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار، وكان رسول الله ﷺ يمر به ويمر يده على رأسه ويقول: يا نار كوني بردًا وسلامًا على عمار كما كنت على إبراهيم عليه السلام.

وعن عثمان بن عفان قال: أقبلت أنا ورسول الله ﷺ آخذ بيدي نتماشي في البطحاء حتى أتينا على أبي عمار وعمار وأمه وهم يعذبون، فقال ياسر: الدهر هكذا، فقال له النبي ﷺ: اصبر، اللهم اغفر لآل ياسر، قال: وقد فعلت.

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى رسول الله ﷺ قال: ما وراءك؟ قال شر يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، فقال رسول الله ﷺ: فكيف تجد قلبك؟ قال أجد قلبي مطمئنًا بالإيمان، قال: فإن عادوا فعد^(١).

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: إن عمارا ملئ إيمانًا من قرنه إلى قدمه^(٢).

وعن علي قال: جاء عمار يستأذن على النبي ﷺ فقال: ائذنوا له، مرحبا بالطيب المطيب^(٣). (رواه أحمد).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة: علي، وعمار، وسلمان. رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن صالح^(٤).

وعن خالد بن سمير قال: كان عمار بن ياسر طويل الصمت، طويل الحزن والكآبة، وكان عامة كلامه عائذا بالله من فتنة. رواه أحمد.

وعن عامر قال: سئل عمار عن مسألة فقال: هل كان هذا بعد؟ قالوا: لا، قال: فدعونا حتى يكون، فإذا كان تعجسناها لكم^(٥).

(١) صحيح: أخرجه الحاكم في «التفسير» حديث (٣٣٦٢).

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم في «معركة الصحابة» حديث (٥٦٨٠) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٨٩).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي في «المناقب» حديث (٣٧٩٨).

(٤) ضعيف: أخرجه الترمذي في «المناقب» حديث (٣٧٩٧) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن صالح وانظر «ضعيف سنن الترمذي» (٧٩٣).

(٥) انظر «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٦٤).

وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي، عن أبيه، عن عمار بن ياسر أنه قال وهو يسير إلى صفين إلى جنب القرات: اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عنى أن أرمى بنفسى من هذا الجبل فأتردى فأسقط فعلت، ولو أعلم أنه أرضى لك عنى أن ألقى نفسى فى الماء فأغرق نفسى فعلت، وإنى لا أقاتل إلا أريد وجهك وأنا أرجو أن لا تخينى وأنا أريد وجهك.

وعن عبد الله بن سلمة قال: رأيت عمار بن ياسر يوم صفين شيخًا آدم فى يده الحربة وإنها لترعد، فنظر إلى عمرو بن العاص معه الراية فقال: إن هذه الراية قد [قاتلت بها] بها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات، وهذه الرابعة، والله لو ضربونا حتى يبلغونا شعاف هجر لعرفت أن صاحبنا على الحق وأنهم على الضلالة.

وعن أبى سنان الدؤلى صاحب رسول الله ﷺ قال: رأيت عمار بن ياسر دعا بشراب فأتى بقدح من لبن فشرب منه ثم قال: صدق الله ورسوله، اليوم ألقى الأحبة محمدًا وحزبه، إن رسول الله ﷺ قال: إن آخر شيء يرويه من الدنيا صبححة لبن، ثم قال: والله لو هزمونا حتى يبلغونا شعاف هجر لعلمنا أنا على حق وأنهم على باطل.

قال أهل السير: قتل عمار بصفين مع على بن أبى طالب رضي الله عنه، قتله أبو الغادية، ودفن هناك فى سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث، وقيل: أربع، وتسعين سنة.

٢٨- زيد بن الخطاب أخو عمر رضي الله عنه

يكنى أبا عبد الرحمن، كان أسن من أخيه عمر، وأسلم قبل عمر، وكان طوالا، أسمر، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

عن ابن عمر قال: قال عمر بن الخطاب لأخيه زيد يوم أحد: أقسمت عليك إلا لبت درعى، فلبسها ثم نزعها، فقال له عمر: ما لك؟ فقال: إنى أريد بنفسى ما تريد بنفسك. وعنه قال: قال عمر لأخيه زيد يوم أحد: خذ درعى، قال: إنى أريد الشهادة كما تريد، فتركها جميعًا.

وعن الجحاف بن عبد الرحمن، من ولد زيد بن الخطاب، عن أبيه قال: كان زيد بن الخطاب يحمل زاية المسلمين يوم اليمامة وقد انكشف المسلمون حتى غلبت بنو حنيفة عن الرجال، فجعل زيد يقول: أما الرجال فلا رحال، وأما الفرار فلا فرار، ثم جعل يصيح بأعلى صوته: اللهم إنى أعتذر إليك من فرار أصحابى، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة، وجعل يشتد بالراية ينفذ بها فى نحر العدو ثم ضارب بسيفه حتى قتل ووقعت الراية، فأخذها سالم مولى

أبى حذيفة فقال المسلمون: يا سالم إنا نخاف أن نؤتى من قبلك، فقال: بشس حامل القرآن أنا إن أتيتم من قبلى.

٢٩- عامر بن ربيعة بن مالك

أسلم قديما قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين جميعاً ولم يقدم إلى المدينة للهجرة قبله غير أبى سلمة، وشهد بدرًا والمشاهد كلها.

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: قام عامر بن ربيعة يصلى من الليل، وذلك حين نشب الناس فى الطعن على عثمان، فصلى من الليل، ثم نام، فأتى فى المنام، فقبل له: قم فسل الله أن يعيدك من الفتنة التى أعاذ منها صالح عباده، فقام فصلى ثم اشتكى فما خرج إلا على جنازة.

قال ابن سعد: قال الواقدي: كان موت عامر بن ربيعة بعد قتل عثمان بأيام، وكان قد لزم بيته فلم يشعر الناس إلا بجنازته قد أخرجت - رضي الله عنه -.

٣٠- عثمان بن مظعون

ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، يكنى أبا السائب، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين وحرم الخمر فى الجاهلية وقال: لا أشرب شيئاً يذهب عقلى ويضحك بى من هو أدنى منى، ويحملنى على أن أنكح كريمتى من لا أريد. وشهد بدرًا وكان متعبداً.

توفى فى شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة، وقبّل النبي ﷺ خده وسماه «السلف الصالح»^(١) وهو أول من قُبر بالبقع، وكان له من الولد: عبد الله، والسائب، أمهما: خولة بنت حكيم.

عن عثمان قال: لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، وهو يغدو ويروح فى أمان من الوليد بن المغيرة، قال: والله إن غدوى ورواحى آمنّا بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابى وأهل دينى يلقون من الأذى والبلاء ما لا يصيبنى لنقص كبير فى نفسى، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس وفت ذمتك، قد رددت إليك جوارك، قال: لم يا بن أخى؟ لعله آذاك أحد من قومى، قال: لا، ولكنى أَرْضَى بجوار الله عز وجل، ولا أريد أن أستجير بغيره، قال: فانطلق إلى المسجد فاردد على جوارى علانية كما أجزتكَ علانية.

(١) حسن: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» حديث (٨٣٧) وقال الهيثمى: «رواه الطبرانى ورجاله ثقات»

قال: فانطلقنا، ثم خرجنا حتى أتينا المسجد فقال لهم الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد على جوارى، قال: قد صدق، وقد وجدته وفيه كريم الجوار، ولكنى قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره، ثم انصرف عثمان، ولبيد بن ربيعة فى مجلس من مجالس قریش ينشدہم، فجلس معهم عثمان، فقال لبيد وهو ينشدہم:

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل *

فقال عثمان: صدقت، فقال:

* وكل نعيم لا محالة زائل *

فقال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول، فقال لبيد: يا معشر قریش، والله ما كان يؤذى جلسكم، فمتى حدث فيكم هذا؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه فى سفهاء معه قد فارقوا ديننا، فلا تجدن فى نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فحضرها، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ، فقال: أما والله يا بن أخى إن كانت عينك عما أصابها لغنية، لقد كنت فى ذمة منيعة، فقال عثمان: بلى والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها فى الله، وإنى فى جوار من هو أعز منك وأقدر^(١). وعن عائشة قالت: دخلت على امرأة عثمان بن مظعون وهى باذة الهيئة، فسألته عن ذلك فقالت: زوجى يصوم النهار ويقوم الليل، فدخل النبى ﷺ فذكرت ذلك له، فلقى رسول الله ﷺ فقال: يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا، أفما لك فى أسوة؟ فوالله إن أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده لأنا.

وعن ابن عباس: أن النبى ﷺ دخل على عثمان بن مظعون وهو ميت، قال: فرأيت دموع رسول الله ﷺ تسيل على خد عثمان بن مظعون.

وعن خارجة بن زيد الأنصارى أن أم العداء - امرأة من نسائهم قد بايعت رسول الله ﷺ - أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة، قالت: فطار لنا عثمان بن مظعون، فاشتكى فمرضناه، حتى إذا توفى وجعلناه فى ثيابه دخل علينا رسول الله ﷺ فقالت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتى عليك: لقد أكرمك الله، فقال لى النبى ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمه؟ فقلت: لا أدرى، بأبى أنت وأمى يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: أما عثمان فقد جاءه والله اليقين، إنى لأرجو له الخير، والله ما أدرى - وإنى رسول الله - ما يفعل

(١) ضعيف: أخرجه أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (١/ ١٤٧) فى «ترجمة عثمان بن مظعون».

بى، قالت: فوالله لا أركى أحدا بعده أبدا، فأحزنى ذلك، قالت: فأنتم فأريت لعثمان عينا تجرى، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: ذلك عمله. انفرد بإخراجه البخارى^(١).

٣١- عبد الله بن سهيل بن عمر

هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، فلما قدم مكة أخذه أبوه فأوثقه وفتنه.

قال ابن سعد: قال محمد بن عمر بن عطاء: خرج عبد الله بن سهيل إلى نفي بدر مع المشركين، مع أبيه سهيل، ولا يشك أبوه أنه قد رجع إلى دينه، فلما التقوا انحاز عبد الله إلى المسلم حتى جاء رسول الله ﷺ قبل القتال، فشهد بدراً مسلماً وهو ابن سبع وعشرين، فغاض ذلك أباه غيظاً شديداً.

قال عبد الله: فجعل الله لى وله فى ذلك خيرا كثيرا.

قال ابن سعد: وشهد عبد الله أحدا، والخنديق، والمشاهد كلها، وقُتل باليمامة شهيدا وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، فلما حج أبو بكر فى خلافته أتاه سهيل بن عمرو فزاه أبو بكر بعبد الله، فقال سهيل: لقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: «يشفع الشهيد لسبعين من أهله»^(٢) فأنا أرجو أن لا يبدأ ابنى بأحد قبلى.

٣٢- سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس

ابن زيد بن عبد الأشهل، يكنى أبا عمرو، وأمّه كبشة بنت رافع من المبيعات، أسلم سعد على يد مصعب بن عمير، فأسلم بإسلامه بنو عبد الأشهل، وهى أول دار أسلمت من الأنصار، وشهد بدرا وأحدا وثبت مع النبى ﷺ يومئذ، ورمى يوم الخندق، ثم انفجر كلمه بعد ذلك، فمات فى شوال سنة خمس من الهجرة، وهو ابن سبع وثلاثين سنة، وصلى عليه رسول الله ﷺ ودفن بالبقيع وله من الولد: عبد الله وعمرو.

عن عائشة قالت: خرجت يوم الخندق أقفو أثر الناس فسمعت وئيد الأرض من ورائى فالتفت فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه قالت: فجلست إلى الأرض.

قالت: فمر سعد وهو يرتجز:

لبث قليلا يدرك الهيجا حمل
ما أحسن الموت إذا جاء الأجل

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب الشهادات» حديث (٢٦٨٧)

(٢) حسن أخرجه أبو داود فى «الجهاد» حديث (٢٥٢٢).

قالت: وعليه درع قد خرجت منه أطرافه فأنا أتخوف على أطراف سعد، وكان سعد من أطول الناس وأعظمهم، قالت: فقممت فاقتحمت حديقة، فإذا فيها نفر من المسلمين وفيهم عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه تسبغة له، تعنى المغفر، قالت: فقال لى عمر: ما جاء بك؟ والله إنك لجريئة، وما يؤمنك أن يكون تحوز أو بلاء؟ قالت: فما زال يلومنى حتى تمنيت أن الأرض انشقت ساعتئذ فدخلت فيها.

قالت: فرفع الرجل التسبغة عن وجهه فإذا طلحة بن عبيد الله قالت: فقال: ويحك يا عمر، إنك قد أكثرت منذ اليوم، وأين التحوز والفرار إلا إلى الله^(١).

قالت: ويرمى سعدًا رجلٌ من المشركين يقال له ابن العرقه بسهم، فقال: خذها وأنا ابن العرقه فأصاب أكحله، فدعا الله سعد فقال: اللهم لا تمنى حتى تشفينى من قريظة وكانوا مواليه وحلفاءه فى الجاهلية.

قال: فرقاً كلمه وبعث الله الريح على المشركين ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ (٢٥) ﴿(الاحزاب).

فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة، ولحق عيينة ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا فى صياصيههم، ورجع رسول الله ﷺ المدينة وأمر بقبة من آدم فضربت على سعد ابن معاذ فى المسجد، قال: فجاءه جبريل وعلى ثنائه التنع فقال: أوقد وضعتم السلاح؟ فوالله ما وضعت الملائكة السلاح بعد، اخرج إلى بنى قريظة فقاتلهم، قالت: فلبس رسول الله ﷺ لامته وأذن فى الناس بالرحيل.

قالت: فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة، فلما اشتد حصرهم واشتد البلاء عليهم قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر، فأشار إليهم أنه الذبح، فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ، فبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ فحُمِلَ على حمار، على إكاف من ليف، فحف به قومه فجعلوا يقولون: يا أبا عمرو، حلفاؤك ومواليك ومن قد علمت، ولا يرجع إليهم شيئاً، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد آن لى أن لا أبالى فى الله لومة لائم، فقال له رسول الله ﷺ: احكم فيهم، قال: فإنى أحكم فيهم أن تُقتل مقاتلتهم، وتُسبى ذراريهم، وتُقسم أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله وبحكم رسوله.

(١) حسن: أخرجه ابن سعد فى «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٢٤).

قالت: ثم دعا الله عز وجل سعد فقال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قریش شيئاً فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فأقبضني إليك، قالت: فانفجر كلمه وقد كان براً، قال: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر، وأنا في حجرتي، قال: فقلت: فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته ^(١).

وعن الحسن قال: لما مات سعد بن معاذ وكان رجلاً جسيماً جزلاً، جعل المنافقون وهم يمشون خلف سريره يقولون: لم نر كاليوم رجلاً أخف، قالوا: أتدرون لم ذلك؟ لحكمه في بني قريظة للنبي ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده لقد كانت الملائكة تحمل سريره» ^(٢).
عن جابر عن النبي ﷺ قال: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ» أخرجه في الصحيحين ^(٣).

وعن البراء أن النبي ﷺ أتى يشوب حرير، فجعلوا يتعجبون من حسنه وليته، فقال: «لما ديل سعد بن معاذ في الجنة أفضل - أو خير - من هذا» أخرجه في الصحيحين ^(٤).

٣٢- عاصم بن ثابت بن قيس

يكنى أبا سليمان شهد بدرًا وأحدًا، وثبت مع رسول الله ﷺ يومئذ حين ولى الناس وباعه على الموت.

وكان من الرماة المذكورين وقتل يوم أحد من أصحاب لواء المشركين مسافعا والحرث، فنذرت أمهما سلافة بنت سعد أن تشرب في قحف عاصم الخمر، وجعلت لمن جاءها برأسه مائة ناقة.

فقدم ناس من هذيل على رسول الله ﷺ، فسألوه أن يوجه معهم من يعلمهم، فوجه عاصمًا في جماعة، فقال لهم المشركون: استأسروا فإننا لا نريد قتلكم، وإنما نريد أن ندخلكم مكة فنصيب بكم ثمنًا، فقال عاصم: لا أقبل جوار مشرك، وجعل يقاتلهم حتى فنيث نبله،

(١) ضعيف: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٤٢٦)

(٢) حسن: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٤٢٧ - ٤٢٨)

(٣) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب مناقب الأنصار» حديث (٣٨٠٣) ومسلم في «الفضائل» حديث (٢٤٦٦)

(٤) صحيح: أخرجه البخاري في «المناقب» حديث (٣٨٠٣) ومسلم في «الفضائل» حديث (٢٤٦٨).

ثم طاعنهم حتى انكسر رمحه، فقال: اللهم إني حميت دينك أول النهار فاحم لحمي آخره، فجرح رجلين وقتل واحداً، وقتلوه فأرادوا أن يحتزوا رأسه فبعث الله الدبر فحمته، ثم بعث الله إليه سيلاً في الليل فحملة، وذلك يوم الرجيع. هكذا رواه محمد بن سعد.

وعن بريدة بن سفيان الأسلمي: أن رسول الله ﷺ بعث عاصم بن ثابت وزيد بن الدثنة، وخبيب بن عدي، ومرثد بن أبي مرثد، إلى بني لحيان بالرجيع، فقاتلوهم حتى أخذوا أماناً لأنفسهم إلا عاصماً فإنه أبى، وقال: لا أقبل اليوم عهداً من مشرك، ودعا عند ذلك فقال: اللهم إني أحمي لك دينك فاحم لي لحمي، فجعل يقاتل وهو يقول:

ما علتي وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر عنابل
إن لم أقاتلهم فأمى هابل الموت حق والحياة باطل
وكل ما حم الإله نازل بالمرء، والمرء إليه آتل

قال: فلما قتلوه قال بعضهم لبعض: هذا الذي آلت فيه المكية، وهي سلافة، فأرادوا أن يحتزوا رأسه ليذهبوا به إليها، فبعث الله عز وجل رجلاً من دبر، فلم يستطيعوا أن يحتزوا رأسه. رواه أبو يعلى الأصبهاني.

٣٤- أبو الهيثم بن التيهان واسمه مالك

كان يكره الأصنام في الجاهلية ويقول بالتوحيد هو وأسعد بن زرارة، وكانا أول من أسلم من الأنصار الذين لقوا رسول الله ﷺ بمكة ثم شهد العقبة مع السبعين. وهو أحد النقباء الاثنى عشر، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وتوفي في خلافة عمر رضي الله عنه.

٣٥- قتادة بن النعمان بن زيد

شهد العقبة مع السبعين، وكان من الرماة المذكورين، وشهد بدراً وأحداً فرميت يومئذ عينه فسالت.

عن الهيثم بن عدي عن أبيه قال: أصيبت عين قتادة بن النعمان يوم أحد فأتى النبي ﷺ وهي في يده فقال: ما هذا يا قتادة؟ قال: هذا ما ترى يا رسول الله، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت رددتها ودعوت الله فلم تفتقد منها شيئاً» فقال: والله يا رسول الله إن الجنة لجزء جزيل وعطاء جليل، ولكني رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يردنني، ولكن تردها لي وتسأل الله لي الجنة، فقال: أفعل يا قتادة، ثم أخذها

رسول الله ﷺ بيده فأعادها إلى موضعها، فكانت أحسن عينيه إلى أن مات، ودعا الله له بالجنة، فدخل ابنه على عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: من أنت يا فتى؟ فقال:

أنا ابن الذى سألت على الخد عينه فرُدَّتْ بكف المصطفى أحسن الردِّ

فعادت كما كانت لأحسن حالها فإيا حُسن ما عينٍ ويا طيبُ ما يدِ

فقال عمر: بمثل هذا فليتوسل إلينا المتوسلون، ثم قال:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وشهد قتادة مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، وكانت معه يوم الفتح راية بنى ظفر، وتوفى سنة ثلاث وعشرين وهو ابن خمس وستين، وصلى عليه عمر.

٣٦- عبد الله بن طارق بن عمرو بن مالك

شهد بدرًا وأحدا، وكان فيمن خرج في غزوة الرجيع فأخذه المشركون ليدخلوه مكة مع خبيث، فلما كان بمر الظهران قال: والله لا أصحابهم، إن لى بهؤلاء أسوة، يعنى أصحابه الذين قُتلوا، ونزع يده من رباطه وأخذ سيفه وجعل يشد فيهم، فرموه بالحجارة فقتلوه، فقبره بمر الظهران.

وكان يوم الرجيع على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة.

٣٧- معن بن عدى

شهد العقبة وبدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

قال محمد بن سعد: قال الزهرى: قال عروة: بلغنا أن الناس بكوا على النبی ﷺ حين مات، وقالوا: والله لوددنا أننا متنا قبله، نخشى أن نفتن بعده، فقال معن: لكنى والله ما أحب أنى مت قبله حتى أصدقه ميتا كما صدقته حيا^(١).

٣٨- أبو عقيل عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة

شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقتل يوم اليمامة شهيدا.

عن جعفر بن عبد الله بن أسلم، قال: لما كان يوم اليمامة واصطف الناس كان أول من جرح أبو عقيل، رمى بسهم فوق بين منكبیه وفؤاده في غير مقتل، فأخرج السهم ووهن له شقه الأيسر في أول النهار وجر إلى الرحل.

فلما حمى القتال وانهزم المسلمون وجاوزوا رحالهم، وأبو عقيل واهن من جرحه، سمع

(١) صحيح: أخرجه البخارى في «كتاب الحدود» حديث (٦٨٣٠).

معن بن عدى يصيح: يالأنصار! الله الله! والكرّة على عدوكم، قال عبد الله بن عمر: فنهض أبو عقيل يريد قومه، فقلت: ما تريد، ما فيك قتال، قال: قد نوه المنادى باسمي، قال ابن عمر: فقلت له: إنما يقول: يالأنصار، ولا يعنى الجرحى، قال أبو عقيل: أنا من الأنصار وأنا أجيبه، ولو حبوا، قال ابن عمر: فتحزم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى، ثم جعل ينادى، يالأنصار! كرّة كيوم حنين، فاجتمعوا رحمكم الله جميعًا، تقدموا فالمسلمون دريئة دون عدوهم، حتى أقحموا عدوهم الحديقة فاختلفوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم.

قال ابن عمر: فنظرت إلى أبى عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب فوقعت إلى الأرض وبه من الجراح أربعة عشر جرحا كلها قد خلصت إلى مقتل، وقُتل عدو الله مسيلمة. قال ابن عمر: فوقف على أبى عقيل وهو صريع بآخر رمق فقلت: يا أبا عقيل! قال: لييك - بلسان ملثات - لمن الدبرة؟ قلت: أبشر، قد قُتل عدو الله، فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله، ومات، يرحمه الله.

قال ابن عمر: فأخبرت عمر بعد أن قدمت خبره كله، فقال: رحمه الله، ما زال يسعى للشهادة ويطلبها، وإن كان - ما علمت - من خيار أصحاب نبينا ﷺ وقديم إسلامهم، رضي الله عنه.

٣٩- سعد بن خيثمة بن الحارث

يكنى أبا عبد الله، أحد نقباء الأنصار الاثنى عشر، شهد العقبة الأخيرة مع السبعين، ولما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى غزوة بدر قال له أبوه خيثمة: إنه لا بد لأحدنا أن يقيم، فأثرتني بالخروج وأقم مع نساءك، فأبى سعد وقال: لو كان غير الجنة آثرتك به، إنى لأرجو الشهادة فى وجهى هذا.

فاستهما فخرج سهم سعد فقتل بيدر، أخبرنا بذلك أبو بكر بن أبى طاهر، قال: أخبرنا الجوهري قال: ابنا ابن حيوة قال: ابنا ابن معروف قال: ابنا ابن الفهم، قال: ابنا محمد بن سعد، رحمه الله ورضى عنه، وحشرنا فى زمرة وزمرة أصحابه.

٤٠- أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب الانصارى

شهد العقبة مع السبعين، ونزل عليه رسول الله ﷺ حين رحل من قباء إلى المدينة، وشهد بدرًا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

عن أفلح مولى أبى أيوب عن أبى أيوب، أن رسول الله ﷺ لما نزل المدينة نزل على أبى أيوب فتنزل النبي ﷺ أسفل، وأبو أيوب فى العلو، فانتبه أبو أيوب ذات ليلة فقال:

نمشى فوق رأس رسول الله ﷺ ! فتحول فباتوا فى جانب، فلما أصبح ذكر ذلك النبى ﷺ فقال النبى ﷺ : أسفل أرفق بى، فقال أبو أيوب، لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحول أبو أيوب فى السفلى، والنبى ﷺ فى العلو^(١).

وعن ابن عباس قال: لما أراد رسول الله ﷺ أن يخرج من خير قال القوم: الآن نعلم أسرية صفية أم امرأة؟ فإن كانت امرأة فسيحجبها وإلا فهي سرية، فلما خرج أمر بستر فستر دونها، فعرف الناس أنها امرأة، فلما أرادت أن تركب أدنى فخذ منها لتركب عليها، فأبت ووضعت ركبته على فخذ، ثم حملها، فلما كان الليل نزل فدخل القسطاط ودخلت معه، وجاء أبو أيوب فبات عند القسطاط، معه السيف، واضع رأسه على القسطاط، فلما أصبح رسول الله ﷺ سمع الحركة فقال: من هذا؟ فقال: أنا أبو أيوب، فقال: ما شأنك؟ فقال: يا رسول الله، جارية شابة، حديثة عهد بعرس، وقد صنعت بزوجه ما صنعت فلم آمنها، قلت إن تحركت كنت قريبا منك، فقال رسول الله ﷺ : رحمك الله يا أبا أيوب، مرتين^(٢).

قال الواقدي: توفي أبو أيوب عام غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية فى خلافة أبيه معاوية سنة اثنتين وخمسين، وصلى عليه يزيد وقبره بأصل حصن القسطنطينية بأرض الروم، فلقد بلغنا أن الروم يتعاهدون قبره ويزورونه ويستسقون به إذا قحطوا.

٤١- حارثة بن النعمان بن نفيح الاتصارى

يكنى أبا عبد الله، شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

عن محمد بن سعد قال: قال حارثة: رأيت جبريل مرتين: حين خرج النبى ﷺ إلى بنى قريظة مر بنا فى صورة دحية، ويوم موضع الجناز حين رجعنا من حنين، مرت وهو يكلم النبى ﷺ فلم أسلم، فقال جبريل: من هذا؟ قالوا: حارثة، قال لو سلم لرددنا عليه^(٣).

قال ابن سعد: وقال الواقدي: كانت لحارثة منازل قرب منازل النبى ﷺ بالمدينة فكان كلما أحدث النبى ﷺ أهلا تحول له حارثة عن منزل بعد منزل، حتى قال النبى ﷺ : لقد استحييت من حارثة مما يتحول لنا عن منازل^(٤).

(١) صحيح: أخرجه مسلم فى «الأشربة» حديث (٢٠٥٣).

(٢) ضعيف: أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (٨ / ١٢٦) فيه - محمد بن عمر - متروك.

(٣) حسن: أخرجه ابن سعد فى «الطبقات الكبرى» (٣ / ٤٨٧).

(٤) ضعيف: أخرجه ابن سعد فى «الطبقات الكبرى» (٣ / ٤٨٧).

وتوفى حارثة فى خلافة معاوية.

عن محمد بن عثمان، عن أبيه أن حارثة بن النعمان كان قد كف بصره، فجعل خيطاً من مصلاه إلى باب حجرته، ووضع عنده مكتلاً فيه تمر وغير ذلك، فكان إذا سلم المسكين أخذ من ذلك التمر، ثم أخذ على ذلك الخيط حتى يأخذ إلى باب الحجرة فيأوله المسكين، فكان أهله يقولون: نحن نكفيك، فيقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن منأولة المسكين تقى ميتة سوء»^(١).

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: نمت فرأيتنى فى الجنة، فسمعت صوت قارئ يقرأ، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك البر»^(٢) وكان أبر الناس بأمه.

٤٢- معاذ ابن عفراء

وعفراء: أمه، نسب إليها، وأبوه: الحارث بن رفاعة بن الحارث، شهد العقبتين وبدرًا. وعن عبد الرحمن بن أبى لىلى، قال: كان معاذ ابن عفراء لا يدع شيئاً إلا تصدق به، فلما ولد له استشفعت إليه امرأته بأخواله فكلموه وقالوا له: إنك قد أعلت، فلو جمعت لولدك، قال: أبت نفسى إلا أن أستر بكل شىء أجده من النار. فلما مات ترك أرضاً إلى جنب أرض لرجل، قال عبد الرحمن، وعليه ملاءة صفراء ما تساوى ثلاثة دراهم: ما يسرنى الأرض بملاءتى هذه، فامتنع ولى الصبيان فاحتاج إليها جار الأرض فباعها بثلاثمائة ألف.

وروى عن عمر بن شبة قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا أبى قال: سمعت محمد ابن سيرين يحدث عن أفلح مولى أبى أيوب قال: كان عمر يأمر بحلل تنسج لأهل بدر يتنوق فيها، فبعث إلى معاذ ابن عفراء حلة فقال لى معاذ: يا أفلح بع هذه الحلة، فبعثها له بألف وخمسمائة درهم، ثم قال: اذهب فابتع لى بها رقاباً، فاشتريت له خمس رقاب، ثم قال: والله إن امرأ اختار قشرين - يلبسهما - على خمس رقاب يعتقها لغيبين الرأى، اذهبوا فأنتم أحرار. فبلغ عمر أنه لا يلبس ما يبعث به إليه فاتخذ له حلة غليظة أنفق عليها مائة درهم، فلما أتاه بها الرسول قال: ما أراه بعثك بها إلى، قال، بلى والله، فأخذ الحلة فأتى بها عمر فقال:

(١) ضعيف: أخرجه ابن سعد فى «الطبقات الكبرى» (٣/٤٨٧).

(٢) حسن: أخرجه أحمد فى «المسند» حديث (٢٤١٣٥).

يا أمير المؤمنين بعثت إلىَّ بهذه الحلة؟ قال: نعم، إن كنا لنبعث إليك بحلة مما نتخذ لك ولاخوانك، فبلغني أنك لا تلبسها، فقال: يا أمير المؤمنين إني وإن كنت لا ألبسها فإني أحب أن يأتيني من صالح ما عندك فأعاد له حلته .
توفي معاذ بعد مقتل عثمان - رَضِيَ - .

٤٣- أَبِي بَن كَعْب بَن قَيْس بَن عَبِيد

يكنى أبا المنذر، شهد العقبة مع السبعين وبدرا، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان يكتب له الوحي، وهو أحد الذين حفظوا القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ ، وأحد الذين كانوا يفتنون على عهد رسول الله ﷺ ، ولم يكن بالطويل ولا بالقصير، وله من الولد: الطفيل، ومحمد، وأم عمرو.

قال عمر بن الخطاب في حقه: «هذا سيد المسلمين» ومات في سنة ثلاثين .
وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لأبي كعب: «إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾» (البينة: ١) قال: وسماني لك؟ قال: نعم، فبكى .
أخرجاه في الصحيحين^(١).

وعن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ : إني أمرت أن أعرض عليك القرآن، فقال: بالله آمنت، وعلى يدك أسلمت، ومنك تعلمت، قال: فرد النبي ﷺ القول، فقال: يا رسول الله ﷺ وذُكرت هناك؟ قال: نعم، باسمك ونسبك في الملاء الأعلى، قال: فاقرا إذا يا رسول الله^(٢).

وقد روى مسلم في أفراداه من حديث أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ :
يا أبا المنذر، أتدري أى آية من كتاب الله أعظم؟ قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٥) قال: فضرب في صدرى وقال: ليهتك العلم يا أبا المنذر^(٣).

وعن أبي المهلب، عن أبي بن كعب: أنه كان يختم القرآن في كل ثمانى ليال، وكان تميم الدارى يختمه في سبع^(٤).

- (١) صحيح: أخرجه البخارى في «المناقب» حديث (٣٨٠٩) باب (١٦) مناقب أبي بن كعب رَضِيَ ، ومسلم في «فضائل الصحابة» حديث (٧٩٩) باب (٢٣) من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار رَضِيَ .
(٢) ضعيف: أخرجه الطبرانى في «الكبير» حديث (٤٤٧) وأبو نعيم في «الحلية» حديث (٨٣٢).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم في «المسافرين» حديث (٨١٠) باب (٤٤) فضل سورة الكهف وآية الكرسي .
(٤) صحيح: أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦٠ / ٣).

وعن عمران بن عبد الله قال: قال أبي لعمر: ما لك لا تستعملني؟ قال: أخاف أن يذنب دينك (١).

وعن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: عليكم بالسبيل والسنة فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن، ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار، وليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة ييس ورقها، فينما هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحات عنها ورقها، إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحاتت عن هذه الشجرة ورقها، وإن اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف من سبيل وسنة.

وعن عبيد بن عمير، عن أبي بن كعب قال: ما من عبد ترك شيئًا لله عز وجل إلا أبدله الله عز وجل به ما هو خير منه من حيث لا يحتسب، وما تهاون به عبد فأخذه من حيث لا يصلح إلا أتاه الله عز وجل بما هو أشد عليه منه من حيث لا يحتسب.

وعن أبي بن كعب أنه قال: يا رسول الله ما جزاء الحمى؟ قال: تُجرى الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم أو ضرب عليه عرق، فقال أبي بن كعب: اللهم أنى أسألك حمى لا تمنعني خروجًا في سبيلك، ولا خروجًا إلى بيتك، ولا مسجد نيك، قال: فلم يُمسر أبي قط إلا وبه حمى (٢).

٤٤- أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود

شهد العقبة مع السبعين، وبدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان من الرماة المذكورين، وله من الولد: عبد الله، وأبو عمير: أمهما أم سليم بنت ملحان.

عن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة مالا، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

قال أنس: فلما نزلت: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢) قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ اللهم إن أحب أموالي إلى بيرحاء وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبي ﷺ: بخ، وذاك مال رابح، ذاك مال رابح، وقد سمعت، وأنا أرى

(١) انظر «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٦٠).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (١١١٨٣) وأبو نعيم في «الحلية» حديث (٨٤٩).

أن تجعلها في الأقربين، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، قال: فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبنى عمه. أخرجه في الصحيحين^(١).

وعنه قال كان أبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يرفع رأسه من خلفه ينظر إلى مواقع نبله، قال: فيتناول أبو طلحة ب صدره يقى به رسول الله ﷺ ويقول: يا رسول الله نحري دون نحرك. رواه الإمام أحمد.

وروى أيضا عنه عن النبي ﷺ قال: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة». رواه الإمام أحمد^(٢).

وعنه أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: «من قتل قتيلًا فله سلبه» فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا فأخذ أسلحتهم^(٣).

وعنه أن النبي ﷺ لما حلق في حجته بدأ بشقه الأيمن وقال: «هكذا» فوزعه بين الناس فأصابهم الشعرة، والشعرتان، وأقل من ذلك وأكثر، ثم قال بشقه الآخر: «هكذا» فقال: أين أبو طلحة؟ فدفعه إليه.

وعنه أن أبا طلحة ما أفطر بعد رسول الله ﷺ إلا في مرض أو سفر، حتى لقي الله^(٤).

وعنه أن أبا طلحة سرد الصوم بعد رسول الله ﷺ أربعين عاما.

وعنه أن أبا طلحة غزا البحر فمات، فلم يوجد له جزيرة، يدفن فيها، سبعة أيام، فلم يتغير.

قال الواقدي: أهل البصرة يرون أنه دفن في جزيرة وإنما دفن بالمدينة سنة أربع وثلاثين وهو ابن سبعين سنة وصلى عليه عثمان.

قلت: وما روي عن أنس أنه صام بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة يخالف هذا، والله أعلم.

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «الأشربة» حديث (٥٦١١) باب (١٣) استعذاب الماء، ومسلم في «الزكاة» حديث (٩٩٨) باب (١٤) في فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» حديث (١٣١٠٣).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود في «الجهاد» حديث (٢٧١٧) باب في السلب يعطى القتاتل، وحديث (٢٧١٨) بلفظ «من قتل كافراً فله سلبه» وحسنه.

(٤) انظر «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٥٠٦).

٤٥- سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير

أحد النقباء، شهد العقبة وبدرا وأحدا وقتل يومئذ - رضي الله عنه - .

عن يحيى بن سعيد قال: لما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ : من يأتيني بخبر سعد بن الربيع؟ فقال رجل: [أنا] يا رسول الله، فذهب الرجل يطوف بين القتلى فقال له سعد بن الربيع: ما شأنك؟ قال بعثنى النبي ﷺ لآتيه بخبرك، قال: فاذهب إليه وأقرئه مني السلام، وأخبره أني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة، وأنى قد أنفذت مقاتلي، وأخبر قومك أنه لا عذر لهم عند الله إن قُتل رسول الله ﷺ وأحد منهم حتى ^(١).

قال ابن سعد: قال الواقدي: ومات من جراحاته تلك.

٤٦- عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس

يكنى أبا محمد، أحد النقباء الاثنى عشر، شهد العقبة مع السبعين، وبدرا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضية، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في غزوة بدر الموعد، وبعثه سرية في ثلاثين إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر فقتله، وأرسله إلى خيبر خارصا، فلم يزل يحرص عليهم إلى أن قتل بمؤتة.

وعن أبي الدرداء قال: لقد رأيتنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد الحر، حتى إن الرجل ليضع يده على رأسه من شدة الحر، وما في القوم صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة. أخرجه في الصحيحين ^(٢).

وعن قيس، عن عبد الله بن رواحة، أنه بكى فبكت امرأته فقال: ما يبكيك؟ قالت: رأيته بكى فبكت لبكائك، قال: إني أنبت أني وارد ولم أنبأ أني صادر. رواه الإمام أحمد.

وعن النعمان بن بشير قال: أغمى على عبد الله بن رواحة، فجعلت أخته تبكي عليه وتقول: واجبلاه، واكذا، واكذا، وتعدد عليه، فقال ابن رواحة لما أفاق: ما قلت شيئا إلا وقد قيل لى: أنت كذا.

(١) صحيح: أخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤ / ١٤٥).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «الصوم» حديث (١٩٤٥) باب (٣٥).

وعن عروة بن الزبير قال: لما تجهز الناس وتجهشوا للخروج إلى مؤتة قال المسلمون: صبحكم الله ودفع عنكم، فقال عبد الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي أرشدك ربك من غاز وقد رشدا

قال: ثم مضوا حتى نزلوا أرض الشام، فبلغهم أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضمت إليه المستعربة من لحم وجذام وبلقيين وبهراء ويلي، وفي مائة ألف، فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا، قال: فجمع عبد الله بن رواحة الناس ثم قال: والله يا قوم إن الذي تكرهون الذي خرجتم له تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدة ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا لهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين: إما ظهور وإما شهادة، فقال الناس: صدق والله ابن رواحة، فمضى الناس.

وعن الحكم بن عبد السلام بن نعمان بن بشير الأنصاري أن جعفر بن أبي طالب حين قُتل دعا الناس: يا عبد الله بن رواحة، يا عبد الله بن رواحة، وهو في جانب العسكر ومعه ضلع جمل ينهشه، ولم يكن ذاق طعاما قبل ذلك بثلاث، فرمى بالضلع ثم قال: وأنت مع الدنيا، ثم تقدم فقاتل فأصيبت إصبعه فارتجز فجعل يقول:

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

يا نفس إلا تقتلى تموتى هذا حياض الموت قد صليت

وما تمنيت فقد لقيت إن تفعلنى فعلهما هديت

وإن تأخرت فقد شقيت

ثم قال: يا نفس إلى أى شيء تتوقين؟ إلى فلانة؟ هي طالق ثلاثا، وإلى فلان وإلى فلان؟ غلمان له، وإلى معجف، حائط له، فهو لله ولرسوله.

يا نفس ما لك تكرهين الجنة؟ أقسم بالله لتنزلنه

طائفة أو لا لتكرهنه فطال ما قد كنت مطمئنه

هل أنت إلا نطفة في شنه قد أجلب الناس وشدوا الرنه^(١)

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (٣/١٤٧) والاستيعاب لابن عبد البر (٦/١٧٤)

٤٧- أبو دجانه سماك بن خرشة

ابن لوزان، شهد بدراً وأحدًا وثبت مع رسول الله ﷺ يومئذ وباعه على الموت، وقتل يوم اليمامة.

عن أنس أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال: من يأخذ هذا السيف؟ فأخذه قوم فجعلوا ينظرون إليه، فقال: من يأخذه بحقه؟ فأحجم القوم، فقال أبو دجانه سماك: أنا أخذه بحقه، فأخذه ففلق هام المشركين. رواه الإمام أحمد^(١).

وعن زيد بن أسلم قال: دخل على أبي دجانه وهو مريض، وكان وجهه يتهلل، فقيل: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عملي شيء أوثق عندي من اثنتين: أما إحداهما فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وأما الأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً^(٢).

٤٨- عبد الله عمرو بن حرام بن ثعلبة أبو جابر

أحد النقباء، شهد العقبة مع السبعين، وبدراً وأحدًا، وقتل يومئذ.

عن جابر بن عبد الله، قال: لما قتل أبي يوم أحد جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهونى والنبي ﷺ لا ينهانى، قال: وجعلت عمى فاطمة بنت عمرو تبكى عليه، فقال النبي ﷺ: ابكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه^(٣).

وعن جابر قال: قُتل أبي يوم أحد فبلغنى ذلك فأقبلت فإذا هو بين يدي النبي ﷺ مسجى، فتناولت الثوب عن وجهه وأصحاب رسول الله ﷺ ينهونى، كراهية أن أرى ما به من المثلة ورسول الله ﷺ لا ينهانى، فلما رفع قال رسول الله ﷺ: ما زالت الملائكة حافة بأجنحتها حتى رفع، ثم لقينى بعد أيام فقال: أى بنى ألا أبشرك؟ إن الله تعالى أحيا أباك فقال: تمته، فقال: يا رب، أتمنى يا رب أن تعيد روحى وتردنى إلى الدنيا حتى أقتل مرة أخرى، قال: إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون^(٤).

(١) صحيح: أخرجه مسلم فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٧٠) باب (٢٥) من فضائل أبي دجانه سماك ابن خرشة رضى الله عنه وأحمد فى «المسند».

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٥٥٦).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى فى «الجنائز» حديث (١٢٤٤) باب (٣) الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج فى أكفانه، ومسلم فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٧١) باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام.

(٤) صحيح: أخرجه الترمذى فى «التفسير» تفسير سورة آل عمران حديث (٣٠١٠) وانظر «صحيح سنن الترمذى» حديث (٢٤٠٨).

وعن جابر قال: صُرخ بنا إلى قتلانا يوم أحد حين أجرى معاوية العين، فأخرجنا هم بعد أربعين سنة لينة أجسادهم تشنى أطرافهم.

٤٩- عمير بن الحمام

قتل بيدر، قال عاصم بن عمر: هو أول قتيل قتل من الأنصار في الإسلام.
عن أنس قال: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين في بدر، فدنا المشركون فقال النبي ﷺ: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض، قال: نعم، قال: بَخْ بَخْ، قال رسول الله ﷺ: ما حملك على قولك بَخْ بَخْ؟ قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: فإنك من أهلها، قال: فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى ما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل ﷺ (١).

٥٠- قطبة بن عامر بن حديدة

يكنى أبا زيد، لقي رسول الله ﷺ في الستة الذين أسلموا أول من أسلم من الأنصار وشهد العقبتين وبدر ورمى يوم بدر حجرا بين الصفين وقال: لا أفر حتى يفر هذا الحجر.
وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان من الرماة المذكورين وجرح يوم أحد تسع جراحات، وتوفي في خلافة عثمان - رضي الله عنه - .

٥١- معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس

يكنى أبا عبد الرحمن، وأسلم وهو ابن ثمانى عشرة سنة، وشهد العقبة مع السبعين وبدر والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأردفه رسول الله ﷺ وراءه (٢)، وبعثه إلى اليمن بعد غزوة تبوك، وشيعه ماشيا في مخرجه وهو راكب.
وكان له من الولد: عبد الرحمن، وأم عبد الله، وولد آخر لم يذكر اسمه.

ذكر صفته:

عن أبي بحرية قال: دخلت مسجد حمص فإذا أنا بفتى حوله الناس جَعَدٍ قَطَطٍ، فإذا تكلم كأنما يخرج من فيه نور ولؤلؤ فقلت: من هذا؟ قالوا: معاذ بن جبل.
اسم أبي بحرية: يزيد بن قطيب السكوني.

وعن أبي مسلم الخولاني قال: أتيت مسجد دمشق فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب

(١) صحيح: أخرجه مسلم في «الإمارة» حديث (١٩٠١) باب ثبوت الجنة للشهيد.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «الجهاد» حديث (٢٨٥٦) باب (٤٦) اسم الفرس والحمار.

محمد ﷺ ، وإذا شاب فيهم أكحل العين براق الثنايا ، كلما اختلفوا في شيء ردوه إلى الفتى ، قال : قلت لجليس لى : من هذا؟ قالوا : هذا معاذ بن جبل .
وعن الواقدي ، عن أشياخ له قالوا : كان معاذ رجلاً طوالاً أبيض حسن الشعر عظيم العينين مجموع الحاجبين جعداً قططاً .

ذكر نبذة من زهده:

عن مالك الدار أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أخذ أربع مائة دينار فجعلها في صرة فقال للغلام اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ، ثم تله ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع .
فذهب الغلام ، قال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك ، قال : وصله الله ورحمه ، ثم قال : تعالى يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان ، حتى أنفدها .

فرجع الغلام إلى عمر فأخبره ، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل فقال : اذهب بها إلى معاذ بن جبل ، وتله في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع ، فذهب بها إليه قال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك ، فقال : رحمه الله ووصله ، تعالى يا جارية ، اذهبي إلى بيت فلان بكذا ، اذهبي إلى بيت فلان بكذا ، فاطلعت امرأته فقالت : ونحن والله مساكين فأعطنا ، ولم يبق في الخرق إلا ديناران ، فدحا بهما إليها فرجع الغلام إلى عمر فأخبره بذلك فقال : إنهم إخوة بعضهم من بعض (١) .

ذكر نبذة من ورعه:

عن يحيى بن سعيد قال : كانت تحت معاذ بن جبل امرأتان فإذا كان عند إحداهما لم يشرب في بيت الأخرى الماء .
وعن يحيى بن سعيد أن معاذ بن جبل كانت له امرأتان ، فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ في بيت الأخرى ، ثم توفي في السقم الذي بالشام ، والناس في شغل ، فدفنتا في حفرة فأسهم بينهما أيتهما تقدم في القبر .

ذكر نبذة من تعبده واجتهاده:

عن ثور بن يزيد قال : كان معاذ بن جبل إذا تهجد من الليل قال : اللهم قد نامت العيون ،

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٨٦) و «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٣٠٠) و «حلية الأولياء» (١/ ٣٠١) رقم (٨٠٧) .

وغارت النجوم وأنت حي قيوم، اللهم طلبى للجنة بطيء، وهربى من النار ضعيف، اللهم اجعل لى عندك هُدًى ترده إلى يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد.

ذكر جوده وكرمه:

عن ابن كعب بن مالك قال: كان معاذ بن جبل شاباً جميلاً سمحاً، من خير شباب قومه لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه، حتى أدان ديناً أغلق ماله، فكلّم رسول الله ﷺ أن يكلم غرماءه أن يضعوا له شيئاً ففعل، فلم يضعوا له شيئاً، فدعاه النبي ﷺ فلم يبرح حتى باع ماله فقسّمه بين غرمائه، فقام معاذ لا مال له^(١).

قال الشيخ رحمه الله: كان غرماؤه من اليهود فلماذا لم يضعوا له شيئاً.

ذكر ثناء رسول الله ﷺ على معاذ ومشيه معه وهو راكب:

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل»^(٢). رواه الإمام أحمد.

وعن عاصم بن حميد، عن معاذ بن جبل قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشى تحت راحلته، فلما فرغ قال: يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك تمر بمسجدى هذا وقبرى، فبكى معاذ خشعاً لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: إن أولى الناس بى المتقون من كانوا وحيث كانوا^(٣).

ذكر ثناء الصحابة عليه:

عن شهر بن حوشب قال: قال عمر بن الخطاب: لو استخلفت معاذ بن جبل فسألنى عنه ربى عز وجل: ما حملك على ذلك؟ لقلت: سمعت نبيك ﷺ يقول: إن العلماء إذا حضروا ربهم عز وجل كان بين أيديهم رتوة بحجر^(٤).

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٢٩٥) رقم (٧٨٣) والحاكم فى «معرفه الصحابة» (٥١٧٩).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى فى «المناقب» حديث (٣٧٩١) باب (٣٢) فضائل معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبى، وأبى عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وأحمد فى «المسند» (١٢٩٠٣).

(٣) حسن: أخرجه أحمد فى «المسند» حديث (٢٢١١٥).

(٤) حسن: أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» حديث (٧٧١) وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى «الصحيحه» حديث (١٠٩١) والرتوة أى الرمية.

وعن الشعبي قال: حدثني فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال ابن مسعود: إن معاذ بن جبل كان أمة قانتا لله حنيفا، فقيل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ (النحل: ١٢٠) فقال: ما نسيت، هل تدري ما الأمة؟ وما القانت؟ فقلت: الله أعلم، فقال: الأمة الذي يعلم الخير، والقانت، المطيع لله عز وجل وللرسول، وكان معاذ بن جبل يعلم الناس الخير، وكان مطيعا لله عز وجل ورسوله^(١).

وعن شهر بن حوشب قال: كان أصحاب محمد إذا تحدثوا وفيهم معاذ نظروا إليه هية له.

ذكر نبذة من مواعظه وكلامه:

عن أبي إدريس الخولاني أن معاذ بن جبل قال: إن من ورائكم فتنا يكثُر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرأه المؤمن والمنافق، والصغير والكبير، والأحمر والأسود، فيوشك قائل أن يقول: ما لى أقرأ على الناس القرآن فلا يتبعونى عليه، فما أظنهم يتبعونى عليه حتى ابتدع لهم غيره، إياكم وإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة، وأحذركم زيغة الحكيم فإن الشيطان يقول على فى الحكيم كلمة الضلالة، وقد يقول المنافق كلمة الحق، فاقبلوا الحق فإن على الحق نوراً، قالوا: وما يدرينا رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة؟ قال: هى كلمة تنكرونها منه وتقولون ما هذه؟ فلا يثنىكم، فإنه يوشك أن يفىء ويراجع بعض ما تعرفون.

وعن عبد الله بن سلمة قال: قال رجل لمعاذ بن جبل: علمنى، قال: وهل أنت مطيعى؟ قال: إنى على طاعتك لحريص، قال: صم وأفطر، وصل ونم، واكتسب ولا تأثم، ولا تموتن إلا وأنت مسلم، وإياك ودعوة المظلوم.

وعن معاوية بن قررة قال: قال معاذ بن جبل لابنه يا بنى إذا صليت فصل صلاة مودع، لا تظن أنك تعود إليها أبداً، واعلم يا بنى أن المؤمن يموت بين حستين، حسنة قدمها وحسنة أخرها.

وعن أبي إدريس الخولاني قال: قال معاذ: إنك تجالس قوما لا محالة يخوضون فى الحديث فإذا رأيتهم غفلوا فارغب إلى ربك عند ذلك رغبات. رواهما الإمام أحمد.

(١) صحيح: أخرجه الحاكم فى «معرفة الصحابة» رقم (٥١٨٨) وأبو نعيم فى «الحلية» رقم (٧٧٧) - (٧٧٨).

وعن محمد بن سيرين قال: أتى رجل معاذ بن جبل ومعه أصحابه يسلمون عليه ويودعون، فقال: إني موصيك بأمرين، إن حفظتهما حفظت، إنه لا غنى بك عن نصيكتك من الدنيا وأنت إلى نصيكتك من الآخرة أفقر، فأثر [نصيكتك] من الآخرة على نصيكتك من الدنيا حتى يتنظم لك انتظاما فتزول به معك أينما زلت.

وعن الأسود بن هلال قال: كنا نمشي مع معاذ فقال: اجلسوا بنا نؤمن ساعة.
وعن أشعث بن سليم قال: سمعت رجاء بن حيوة، عن معاذ بن جبل قال: ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وستبتلون بفتنة السراء، وأخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسورن الذهب، ولبسن رباط الشام وعصب اليمن فأتعبن الغنى وكلفن الفقير ما لا يجد.

ذكر مرضه ووفاته:

عن طارق بن عبد الرحمن قال: وقع الطاعون بالشام فاستغرقها فقال الناس: ما هذا إلا الطوفان إلا أنه ليس بماء، فبلغ معاذ بن جبل فقام خطيباً فقال: إنه قد بلغني ما تقولون، وإنما هذه رحمة ربكم، ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، ولكن خافوا ما هو أشد من ذلك: أن يغدو الرجل منكم من منزله لا يدرى أمؤمن هو أو منافق، وخافوا إمارة الصبيان.

وعن شهر بن حوشب، عن رابعه - رجل من قومه كان شهد طاعون عمواس - قال: لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة بن الجراح في الناس خطيباً فقال: أيها الناس إن هذا الوجع رحمة من ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه.

قال: وطعن فمات - رحمة الله عليه - واستخلف على الناس معاذ بن جبل، فقام خطيباً بعده فقال: أيها الناس إن هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وإن معاذاً يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظه.

قال: فطعن ابنه عبد الرحمن، قال: ثم قام فدعا ربه لنفسه فطعن في راحته، فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقبل ظهر كفه ثم يقول: ما أحب أن لي بما فيك شيئاً من الدنيا، فلمص مات استخلف على الناس عمرو بن العاص.

وعن عبد الله بن رافع قال: لما أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس استخلف على الناس معاذ بن جبل، واشتد الوجع فقال الناس لمعاذ: ادع الله أن يرفع عنا هذا الرجز، فقال: إنه ليس برجز، ولكنه دعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وشهادة يختص الله بها من يشاء من عباده منكم، أيها الناس، أربع خلال من استطاع منكم أن لا يدركه شيء منها فلا يدركه شيء.

منها قالوا: وما هن؟ قال: يأتي زمان يظهر فيه الباطل، ويصبح الرجل على دين ويمسى على آخر، ويقول الرجل: والله لا أدري علام أنا؟ لا يعيش على بصيرة ولا يموت على بصيرة، ويعطى الرجل من المال مال الله على أن يتكلم بكلام الزور الذى يسخط الله، اللهم آت آل معاذ نصيبهم الأوفى من هذه الرحمة، فطعن ابنه فقال: كيف تجدانكما؟ قال: يا أبانا ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (آل عمران) قال: وأنا ستجدانى إن شاء الله من الصابرين. ثم طعنت امرأته فهلكتا، وطعن هو فى إبهامه فجعل يمسهما بفيه ويقول: اللهم إنها صغيرة فبارك فيها، فإنك تبارك فى الصغيرة، حتى هلك.

وعن الحارث بن عمير قال: طعن معاذ وأبو عبيدة وشرحبيل ابن حسنة، وأبو مالك الأشعرى فى يوم واحد، فقال معاذ: إنه رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وقبض الصالحين من قبلكم، اللهم آت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة، فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن بكره الذى كان يكنى به وأحب الخلق إليه، فرجع من المسجد فوجده مكروبا فقال: يا عبد الرحمن كيف أنت؟ فقال: يا أبة ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (آل عمران) فقال معاذ: وأنا إن شاء الله ستجدنى من الصابرين، فأمسكه ليلته ثم دفنه من الغد، فطعن معاذ فقال حين اشتد به نزع الموت - فنزع نزعا لم ينزعه أحد، وكان كلما أفاق من غمرة فتح عينيه ثم قال - رب اخنقنى خنقك، فوعزتك إنك لتعلم أن قلبى يحبك^(١).

وعن عمر بن قيس عمن حدثه عن معاذ قال: لما حضره الموت قال: انظروا أصبحنا، قال: فأنتى فقيل: لم نصبح حتى أتى فى بعض ذلك فقيل له: قد أصبحت، فقال: أعوذ بالله من ليلة صباحها النار، مرحبا بالموت مرحبا، زائر مغب، حبيب جاء على فاقة، اللهم إنى قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، إنك لتعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار، ولا لغرس الأشجار ولكن لظما الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند خلق الذكر.

اتفق أهل التاريخ أن معاذًا - رضي الله عنه - مات فى طاعون عمواس بناحية الأردن من الشام سنة ثمانى عشرة، واختلفوا فى عمره على قولين: أحدهما: ثمان وثلاثون سنة، والثانى: ثلاث وثلاثون.

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٨٩) و «حلية الأولياء» (٨١٢).

وعن سعيد بن المسيب قال رفع عيسى ابن مريم وهو ابن ثلاث وثلاثين، ومات معاذ وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

وعن سعيد بن المسيب قال: قبض معاذ بن جبل وهو ابن ثلاث وثلاثين أو أربع وثلاثين سنة.

٥٢ - أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك

يكنى أبا يحيى كان من النقباء وكان أبو أسيد رئيس الأوس يوم بعث وقتل يومئذ، وكان ابنه بعده شريفاً في الجاهلية وفي الإسلام، وكان يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي، وكانوا في الجاهلية يسمون من كانت فيه هذه الخصال الكامل.

أسلم أسيد على يد مصعب بن عمير قبل سعد بن معاذ بساعة، وشهد العقبة الأخيرة مع السبعين ولم يشهد بدرًا ولكنه شهد أحداً وجرح يومئذ سبع جراحات، وثبت يومئذ مع رسول الله ﷺ حين انكشف الناس وشهد الخندق والمشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ وتوفي في شعبان سنة عشرين.

عن أنس قال: كان أسيد بن حضير وعباد بن بشر عند رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء حندس، فتحدثا عنده حتى إذا خرجا أضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا في ضوئها، فلما تفرق بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما عصاه فمشى في ضوئها. انفراد بإخراجه البخاري^(١).

٥٣ - سعد بن عباد بن دليم بن حارثة

يكنى أبا ثابت، أمه: عمرة بنت مسعود، من المبايعات، وهو أحد النقباء، شهد العقبة مع السبعين والمشاهد كلها ما خلا بدرًا، فإنه تهيأ للخروج فلُدغ فأقام.

وكان جوادا، وكانت جفنته تدور مع رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه^(٢)، وكان له من الولد: سعيد، ومحمد، وعبد الرحمن، وأمامة، وقيس، ومندوس.

وكان سعد يكتب في الجاهلية بالعربية، ويحسن الرمي، والعوم، وقد ذكرنا أن العرب كانت تسمى من اجتمعت هذه الأشياء فيه: الكامل.

عن محمد بن سيرين، قال: كان أهل الصفة إذا أمسوا انطلق الرجل بالرجل، والرجل بالرجلين، والرجل بالخمسة، فأما سعد بن عباد فكان ينطلق بشمانين كل ليلة.

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «مناقب الأنصار» حديث (٣٨٠٥) باب (١٣) منقبة أسيد بن حضير، وعباد بن بشر رضي الله عنه.

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٧٠) و«الإصابة» (٣/ ٨٠).

وعن يحيى بن أبى كثير قال: كانت لرسول الله ﷺ من سعد بن عبادَةَ جفنة من ثريد فى كل يوم، تدور معه أينما دار من نسائه، وكان إذا انصرف من صلاة مكتوبة قال: اللهم ارزقنى مالا أستعين به على فعالى فإنه لا يصلح الفعال إلا المال.

وعن عروة، عن أبيه أن سعد بن عبادَةَ كان يدعو: اللهم هب لى حمدا وهب لى مجدا، لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال، اللهم لا يصلحنى القليل ولا أصلح عليه^(١).

قال محمد بن سعد: توفى سعد بن عبادَةَ بحوران من أرض الشام لستين ونصف من خلافة عمر كأنه مات فى سنة خمس عشرة.

قال عبد العزيز بن سعيد بن سعد بن عبادَةَ: ما علم بموته بالمدينة حتى سمع غلمان، قد اقتحموا فى بئر نصف النهار فى حر شديد، قائلاً يقول فى البئر:

نحن قتلنا سيد الخرج سعد بن عبادَةَ رميناه بسهمين فلم تُخَطِ فؤاده

فذعر الغلمان، فحفظ ذلك اليوم فوجدوه اليوم الذى مات فيه سعد، وإنما جلس يبول فى نفق فاقتتل فمات من ساعته، فوجدوه قد اخضر جلده.

٥٤- البراء بن معرور بن صخر بن خنساء

أحد النقباء، شهد العقبة، وله من الولد: بشير، ومبشر، وهند، وسلافة، والرباب، مبايعات، وهو أول من مات من النقباء، مات فى صفر قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة بشهر.

عن محمد بن سعد قال: كان البراء أول من تكلم من النقباء ليلة العقبة حين لقى رسول الله ﷺ السبعون من الأنصار فبايعوه، وأخذ منهم النقباء فقام البراء، فحمد الله وأثنى عليه فقال: الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد وحبانا به فكنّا أول من أجاب، فأجبتنا الله ورسوله وسمعنا وأطعنا، يا معشر الأوس والخرج، قد أكرمكم الله بدينه، فإن أخذتم السمع والطاعة والمؤازرة بالشكر فأطيعوا الله ورسوله، ثم جلس - رضي الله عنه - (٢).

(١) ضعيف: أخرجه الحاكم فى «معركة الصحابة» (٥١٠٥)
(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٦٧) و «الاستيعاب» (١/ ٢٨١).

ومن الطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار

ممن لم يشهد بدرا وله إسلام قديم:

٥٥- العباس بن عبد المطلب

ابن هاشم، أبو الفضل، أمه نائلة بنت خباب، وكان أسن من رسول الله ﷺ بثلاث سنين، وله من الولد: الفضل، وهو أكبر ولده وبه يكنى، وعبد الله، وهو الجبر، وعبيد الله، وكان جوادا، وعبد الرحمن، وقثم، ومعبد، وحبيبة، وأهمهم جميعا أم الفضل، واسمها لبابة بنت الحارث بن حزن، وكثير، وتمام، وصفية، وأميمة: أهمهم أم ولد، والحارث: وأمه حجيلة بنت جندب.

أسلم العباس قديما وكان يكتن إسلامه، وخرج مع المشركين يوم بدر فقال النبي ﷺ: من لقي العباس فلا يقتله، فإنه خرج مستكرها فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو، ففادى نفسه ورجع إلى مكة ثم أقبل إلى المدينة مهاجرا.

قال أهل السير والتواريخ: جاء قوم من أهل العقبة يطلبون رسول الله ﷺ، فقبل لهم: هو في بيت العباس، فدخلوا عليه فقال العباس: إن معكم من قومكم من هو مخالف لكم من دينكم فأخفوا أمركم حتى ينصدع هذا الحاج ونلتقى نحن وأنتم فنوضح لكم هذا الأمر، فتدخلون فيه على أمر بين، فوعدهم رسول الله ﷺ الليلة التي في صبيحتها نفر الآخر أن يوافيهم أسفل العقبة وأمرهم أن لا ينبهوا نائما، ولا ينتظروا غائبا.

فخرج القوم تلك الليلة بعد هذه يتسللون وقد سبقهم رسول الله ﷺ ومعه العباس ليس معه غيره، وكان يثق به في أمره كله، فلما اجتمعوا كان أول من تكلم العباس فقال:

يا معشر الخزرج - وكانت الأوس والخزرج تدعى الخزرج - إنكم قد دعوتهم محمدا إلى ما دعوتهمو إليه، ومحمد من أعز الناس في عشيرته، يمنعه والله من كان منا على قوله، ومن لم يكن منعه للحسب والشرف، وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم، فإن كنتم أهل قوة وجلد، وبصر بالحرب، واستقلال بعداوة العرب قاطبة سترميكم عن قوس واحدة فارتثوا رأيكم واثمروا أمركم ولا تفتروا إلا عن اجتماع فإن أحسن الحديث أصدقه، وأخرى: صفوا لى الحرب كيف تقاتلون عدوكم؟

فأسكت القوم وتكلم عبد الله بن عمرو بن حرام فقال:

نحن والله أهل الحرب غُذينا بها ومرنا ورثناها عن آبائنا كآبرا فكأبر، نرمى بالنبل حتى تنفى ثم نطاعن بالرماح حتى نكسرها، ثم نمشى بالسيوف فنضارب بها حتى يموت الأعجل منا أو من عدونا.

فقال العباس: هل فيكم دروع؟ قالوا: نعم شاملة.

قال البراء بن معرور: قد سمعنا ما قلت، إنا والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه، ولكننا نريد الوفاء، والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله ﷺ، فبايعهم رسول الله ﷺ والعباس آخذ بيد رسول الله ﷺ يؤكد له البيعة تلك الليلة على الانتصار^(١).

وعن الشعبي، قال: انطلق النبي ﷺ بالعباس إلى السبعين عند العقبة تحت الشجرة فقال العباس: ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة، فإن عليكم من المشركين عينا، وإن تعلموا بكم يفضحوكم، فقال قائلهم، وهو أسعد: يا محمد سل لربك ما شئت، ثم سل لنفسك ولأصحابك ما شئت، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله إذا فعلنا ذلك.

فقال: أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأسألكم لنفسى ولأصحابى أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم.

قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: الجنة، قالوا: فلك ذلك.

وعن يزيد بن الأصم قال: لما كانت أسارى بدر فيهم العباس فسهر نبي الله ﷺ ليلته فقال له بعض أصحابه ما يسهرك يا نبي الله؟ قال: أئين العباس، فقام رجل من القوم فأرخى من وثاقه، فقال رسول الله ﷺ: ما لى لا أسمع أئين العباس؟ فقال رجل من القوم: إنى أرخيت من وثاقه شيئا، قال: فافعل ذلك بالأسارى كلهم^(٢).

وعن أنس بن مالك أنهم كانوا إذا قحطوا على عهد عمر خرج بالعباس فاستسقى به وقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا إذا قطحنا فتسقيننا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. انفرد بإخراجه البخارى^(٣).

توفى العباس يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من رجب سنة اثنتين وثلاثين، فى خلافة عثمان، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، ودفن بالبقيع، والله أعلم.

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (٧ / ٤) فيه الواقدى متروك.

(٢) ضعيف: أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (٩ / ٤).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى فى «فضائل الصحابة» حديث (٣٧١٠) باب (١١) ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

٥٦- جعفر بن أبي طالب

أمه فاطمة بنت أسد، وكان أسن من علي - عليه السلام - بعشر سنين، وله من الولد: عبد الله، وبه كان يكنى، ومحمد، وعون: ولد بأرض الحبشة، أمهم أسماء بنت عميس، أسلم جعفر قديما وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ومعه امرأته أسماء، فلم يزل هنالك حتى قدم على النبي ﷺ وهو بخير سنة سبع فقال النبي ﷺ: ما أدري بأيهما أنا أفرح بقدوم جعفر أم بفتح خيبر.

عن أم سلمة قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار: النجاشي، آمننا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤدّي، فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدلين وأن يهدوا إلى النجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، فجمعوا له أدما كثيرا ولم يتركوا من بطارقه بطريقا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمر بن العاص، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا إلى النجاشي هداياه، ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم.

فخرجنا فقدمنا على النجاشي فدفعا إلى كل بطريق هديته وقالوا: إنه قد صبا إلى بلدكم منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا على الملك بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا، فقالوا: نعم.

ثم قربوا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهم ثم كلماه فقالا له: أيها الملك إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشرف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرتهم لتردهم إليهم فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالت بطارقتهم: صدقوا فأسلمهم إليهما.

فغضب النجاشي ثم قال: لا، هيم الله إذا لا أسلمهم إليهما، ولا أكاد قوما جاوروني، نزلوا بلادى، واختاروني على من سواي، حتى أدعوه فأسألهم ماذا يقول هذان في أمرهم؟ فإن كانوا كما يقولان سلمتهم إليهما، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسن جوارهم ما جاوروني.

قال: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما أن جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به

نبينا ﷺ ، كائن في ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوه ، وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم فقال : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين آخر من هذه الأمم ؟ .

قالت : وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له : أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، يأكل القوي الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله عز وجل إلينا رسولا منا نعرف نسبه ، وصدقته ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا إلى الله عز وجل لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار ، وكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، فصدقناه وآمنا به فعبدنا الله عز وجل وحده فلم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا على ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين قومنا خرجنا إلى بلدك فاخترناك على من سواك ، ورجبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك .

قالت : فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله عز وجل شيء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، قال : فاقرأه على ، فقرأ عليه صدرا من ﴿ كَهَيْهَاتَ ١ ﴾ (مريم) فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبدا .

قالت : فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدا أعييهم عنده بما أستأصل به خضراءهم ، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة ، وكان أتقى الرجلين فينا : لا تفعل فإن لهم أرحاما .

فقال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد .

قالت : ثم غدا عليه من الغد فقال له : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولا

عظيما فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه .

قالت : فأرسل إليهم يسألهم عنه ، قالت : ولم ينزل بنا مثلها ، فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض ، ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله فيه ما قال فيه الله عز وجل وما جاء به نبينا ، كائن في ذلك ما هو كائن .

فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون فى عيسى ابن مريم؟ قال لى جعفر بن أبى طالب: نقول فيه الذى جاء به نبينا عليه السلام، هو عبد الله وروحه ورسوله وكلمته التى فى رحمته. ثم قال: ففرض النجاشى يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: ما عند عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، ثم قال: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضى - والسيوم: الأمنون - من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى. رواه الإمام أحمد بن حنبل ^(١) عليه السلام.

وعن أبى بردة، عن أبيه قال: أمرنا رسول الله عليه السلام أن نطلق مع جعفر بن أبى طالب إلى أرض النجاشى، فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد، وجمعوا للنجاشى هدية فأتياه بها، فقبلها، ثم قالوا: إن ناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم فى أرض الملك، فبعث إلينا فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد، أنا خطيبكم اليوم، فلما انتهينا بدرنا من عنده فقال: اسجدوا للملك، فقال جعفر: لا نسجد إلا لله... فذكر نحو الحديث المتقدم، فقال النجاشى: مرحباً بكم، وبمن جئتم من عنده، وأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه بشر به عيسى، عليه السلام، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعله.

وعن عمير بن إسحاق قال: حدثنى عمرو بن العاص قال: لما أتينا باب النجاشى ناديت: ائذن لعمرو بن العاص، فنادى جعفر من خلفى: ائذن لحزب الله، فسمع صوته فأذن له قبلى. وعن أبى هريرة قال: كان جعفر يحب المساكين، ويجلس إليهم، ويحدثهم ويحدثونه وكان رسول الله عليه السلام يسميه أبا المساكين ^(٢).

ذكر وفاته عليه السلام:

قتل جعفر بن أبى طالب بمؤتة سنة ثمان من الهجرة.

عن ابن عمر قال: وجدنا فيما أقبل من بدن جعفر ما بين منكبيه تسعين ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف.

وعن أنس بن مالك أن النبى عليه السلام نعى جعفرًا وزيدًا، نعاهما قبل أن يجيء خبرهما وعينه تذر فان.

(١) حسن: أخرجه أحمد فى «المسند» حديث (١٧٤٠ - ٤٤٠٠).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى فى «فضائل الصحابة» حديث (٣٧٠٨) باب (١٠) مناقب جعفر بن أبى طالب الهاشمى عليه السلام.

٥٧- أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم - رضي الله عنه

واسمه المغيرة، وكان أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة أرضعته حليمة أيما، وكان ترب رسول الله ﷺ، يألفه إلفا شديداً، فلما بعث رسول الله ﷺ عاداه وهجا أصحابه، وكان شاعراً.

فلما كان عام الفتح ألقى الله في قلبه الإسلام، فخرج متنكراً، فتصدى لرسول الله ﷺ فأعرض عنه فتحول إلى الجانب الآخر فأعرض عنه، قال: فقلت: أنا مقتول قبل أن أصل إليه، فأسلمت وخرجت معه حتى شهدت فتح مكة وحنينا، فلما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسى ويدي السيف صلتا والله يعلم أني أريد الموت دونه وهو ينظر إليّ، فقال العباس: يا رسول الله أخوك وابن عمك أبو سفيان فارض عنه، فقال: «قد فعلت، فغفر الله له كل عداوة عادانيها» ثم التفت إليّ فقال: «أخي لعمرى» فقبلت رجله في الركاب.

وعن أبي إسحاق قال: لما حضر أبا سفيان بن الحارث الوفاة قال لأهله: لا تبكوا عليّ فإنني لم أتنطق بخطيئة منذ أسلمت.

قال أهل السير: مات أبو سفيان بن الحارث بعد أن استُخلف عمر بسنة وسبعة أشهر، ويقال: بل مات سنة عشرين، وصلى عليه عمر، ودفن بالبقيع.

٥٨- أسامة بن زيد بن حارثة

ويقال له أسامة الحب، وهو حب رسول الله ﷺ، ويكنى بأبي محمد، وأمه أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ.

عن ابن عمر أن النبي ﷺ بعث سرية فيهم أبو بكر وعمر فاستعمله عليهم فكان الناس طعنوا فيه، أي لصغره، فبلغ رسول الله ﷺ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «إن الناس قد طعنوا في إمارة أسامة، وقد كانوا طعنوا في إمارة أبيه من قبله، وإنهما لخليقان لها - أو كانا خليقين لذلك - وإنه لمن أحب الناس إليّ، وكان أبوه من أحب الناس إليّ، ألا فأوصيكم بأسامة خيراً»^(١).

وعن حنش قال: سمعت أبي يقول: استعمل النبي ﷺ أسامة وهو ابن ثمانى عشرة

سنة.

(١) صحيح: أخرجه البخارى في «فضائل الصحابة» حديث (٣٧٣٠) باب (١٧) مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ.

وعن محمد بن سيرين قال: بلغت النخلة من عهد عثمان بن عفان ألف درهم، قال: فعمد أسامة إلى نخلة فعقرها فأخرج جمارها فأطعمه أمه، فقالوا له: ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم؟ قال: إن أمي سألتني ولا تسألني شيئا أقدر عليه إلا أعطيتها.

قال ابن سعد، قال الواقدي: قُبِضَ النبي ﷺ وأَسَامَةُ ابن عشرين سنة، وكان قد سكن بعد النبي ﷺ وادي القرى، ثم نزل المدينة فمات بالجُرف في آخر خلافة معاوية. قال الزهري: حُمِلَ أسامة حين مات من الجرف^(١) إلى المدينة^(٢).

٥٩- سلمان الفارسي رضي الله عنه

يكنى أبا عبد الله، من أصبهان، من قرية يقال لها جى، وقيل من رامهرمز، سافر يطلب الدين مع قوم، فغدروا به فباعوه من اليهود، ثم إنه كوتب فأعانه النبي ﷺ في كتابته، أسلم مقدم النبي ﷺ المدينة، ومنعه الرق من شهود بدر وأحد، وأول غزاة غزاها مع النبي ﷺ الخندق، وشهد ما بعدها، وولاه عمر المدائن.

عن عبد الله بن العباس قال: حدثني سلمان الفارسي قال: كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان، من أهل قرية منها يقال لها جى، وكان أبى دهقان قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة.

قال: وكانت لأبى ضيعة عظيمة، قال: فشغل في بنيان له يوما، قال لى: يا بنى إني قد شغلت في بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى فاذهب فاطلعهها، وأمرنى فيها ببعض ما يريد، فخرجت أريد ضيعتي، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبى إياي في بيته، فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، قال: فلما رأيتهم أعجبت بصلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت: هذا والله خير من الذى نحن عليه، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبى ولم آتها فقلت لهم أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام.

قال: ثم رجعت إلى أبى وقد بعث في طلبى وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أى

(١) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٢٥).

بنى أين كنت؟ ألم أكرّم عهديت إليك ما عهدت؟ قال: قلت: يا أبة، مررت بناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أى بنى، ليس فى ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه، قلت: كلا، والله إنه لخير من ديننا، قال: فخافنى فجعل فى رجلى قيذا ثم حبسنى فى بيته.

قال: وبعثت إلى النصارى، فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجاراً من النصارى فأخبرونى بهم، قال: فقدم عليهم ركب من الشام، تجار من النصارى، قال: فأخبرونى بقدم تجار، فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذّنونى بهم، قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم ألقيت الحديد من رجلى ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف فى الكنيسة، قال: فجئته فقلت: إني قد رغبت فى هذا الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك فى كنيستك وأتعلم منك وأصلى معك، قال: فادخل، فدخلت معه.

قال: فكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا إليه منها شيئاً اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب، قال: وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع، قال: ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزه لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً، قالوا: وما علمك بذلك؟ قلت: أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدلنا عليه، قال: فأريتهم موضعه، قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً، قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً، قال: فصلبوه ثم رجموه بالحجارة.

ثم جاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه فما رأيت رجلاً يصلّى الخمس أرى أنه أفضل منه وأزهد فى الدنيا، ولا أرغب فى الآخرة، ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه، قال فأحببته حباً لم أحبه من قبله، فأقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة، قلت له: يا فلان، إني كنت معك فأحببتك حباً لم أحبه من قبلك، وقد حضرتك الوفاة، فإلى من توصى بى، وما تأمرنى؟ قال: أى بنى، والله ما أعلم أحداً اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس، وبدلوا، وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالموصل وهو فلان، وهو على ما كنت عليه فالحق به.

قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له: يا فلان، إن فلانا أوصانى عند موته أن ألحق بك وأخبرنى أنك على أمره، قال: فقال لى: أقم عندى، قال: فأقمت عنده

فوجدته خير رجل، على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان، إن فلانا أوصى بى إليك وأمرنى باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصى بى وما تأمرنى؟ قال: أى بنى، والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه إلا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به.

قال: فلما مات وغُيِّبَ لحقت بصاحب نصيبين، فجئت فأخبرته بما جرى وما أمرنى به صاحبه قال: فأقم عندى، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر قلت له: يا فلان إن فلانا كان أوصى بى إلى فلان، ثم أوصى بى فلان إليك فإلى من توصى بى، وما تأمرنى؟ قال: أى بنى والله ما أعلم أحدا بقى على أمرنا آمرك أن تأتبه إلا رجلا بعمورية فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأتبه فإنه على مثل أمرنا.

قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبرى فقال: أقم عندى، فأقمت عند رجل على هدى أصحابه وأمرهم، قال: وكنت اكتسبت حتى كانت لى بقرات وغنيمة، قال: ثم [نزل] به أمر الله عز وجل، فلما حضر قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلان فأوصى بى إلى فلان، وأوصى بى فلان إلى فلان، وأوصى بى فلان الى فلان، وأوصى بى فلان إليك، فإلى من توصى بى؟ وما تأمرنى؟ قال: أى بنى، والله ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتبه، ولكنه قد أظلك زمان نبى مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال: ثم مات وغيب، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بى نفر من كلب تجارا فقلت لهم: تحملونى إلى أرض العرب وأعطيك بقراتى هذه وغنيمتى هذه؟ قالوا: نعم، فأعطيتهم إياها وحملونى حتى إذا قدموا بى وادى القرى ظلمونى فباعونى من رجل من يهود، فكنت عنده ورأيت النخل ورجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبه ولم يحق لى فى نفسى.

فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بنى قريظة فابتاعنى منه فاحتملنى إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتهَا فعرفتهَا بصفة صاحبه، فأقمت بها، وبعث الله رسوله ﷺ فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة،

فوالله إننى لفى رأس عذق لسيدى أعمل فيه بعض العمل، وسيدى جالس إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه، فقال: فلان، قاتل الله بنى قيلة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقاء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم زعم أنه نبي.

قال: فلما سمعتها أخذتني العرواء حتى ظننت أنى ساقط على سيدى، قال: ونزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه: ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدى فلكنى لكمة شديدة وقال: ما لك ولهذا؟ أقبل على عملك، قال: قلت: لا شيء، إنما أردت أن أستبته عما قال.

وقد كان شيء عندى قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقاء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغنى أنك رجل صالح معك أصحاب لك غباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، قال: فقربته إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: كلوا، وأمسك يده هو فلم يأكل، فقال: فقلت فى نفسى: هذه واحدة.

ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم جئته به فقلت: إنى رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها، فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال: فقلت فى نفسى: هاتان اثنتان.

قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببيقع الغرقد - قد تبع جنازة من أصحابه عليه شملتان - وهو جالس فى أصحابه، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى؟ فلما رآنى رسول الله ﷺ استدبرته عرف أنى أستثيت فى شيء وُصف لى، قال: فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته فانكبت عليه أقبله وأبكى، فقال رسول الله ﷺ: تحول.

فتحولت فقصصت عليه حديثى كما حدثك يا بن عباس، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه.

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ: بدر وأحد، قال: ثم قال لى رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان، فكاتب صاحبى على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير وبأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أعينوا أحاكم، فأعانونى بالنخل: الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين، والرجل بخمسة عشر، والرجل بعشرة، يعين الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لى ثلاثمائة ودية، فقال لى رسول الله ﷺ: اذهب يا سلمان ففقر لها، فإذا فرغت أكون أنا أضعها بيدى.

قال: ففقرت لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جثته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فوالذي نفس سلمان بيده ما مات منها ودية واحدة، فأدبت النخل، فبقي على المال، فأتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال: «ما فعل الفارسي المكاتب؟» قال: فدعيت له، قال: «فخذ هذه فأدب بها ما عليك يا سلمان» قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما على؟ قال: «خذها فإن الله عز وجل سيؤدى بها عنك» قال: فأخذتها فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وعُتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد. رواه الإمام أحمد^(١).

وقد رويت بداية سلمان من حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة وأنه قال: كنت من أهل جى، وكان أهل قريتي يعبدون الخيل البلق، فطلبت الدين... فذكر نحو ما ذكرناه، وأنه قدم على رسول الله ﷺ مكة، والذي ذكرناه من لقائه له بالمدينة هو الصحيح. وفي الصحيح عن سلمان أنه قال: تداولني بضعة عشر من رب إلى رب^(٢).

ذكر نبذة من فضائله:

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: السَّبَّاقُ أربعة: أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة. وعن كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ خط الخندق، وجعل لكل عشرة أربعين ذراعاً، فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان وكان رجلاً قويا، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقالت الأنصار: لا، بل سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت»^(٣).

وعن أبي حاتم عن العتبي قال: بُعث إلى عمر بحلل فقسمها، فأصاب كل رجل ثوب، ثم صعد المنبر وعليه حلة، والحلة ثوبان، فقال: أيها الناس، ألا تسمعون؟ فقال سلمان: لا نسمع، فقال عمر: لم يا أبا عبد الله؟ قال: إنك قسمت علينا ثوباً ثوباً وعليك حلة، فقال:

(١) حسن: أخرجه أحمد في «المستد» حديث (٢٣٧٩٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «مناقب الأنصار» حديث (٣٩٤٦) باب (٥٣) إسلام سلمان الفارسي عليه السلام.

(٣) ضعيف جداً: أخرجه الحاكم في «معرفه الصحابة» حديث (٦٥٣٩) وفيه - كثير بن عبد المزني - متروك، انظر «تحرير تقريب التهذيب» (٣/ ١٩٣).

لا تعجل يا أبا عبد الله، ثم نادى: يا عبد الله، فلم يجبه أحد، فقال: يا عبد الله بن عمر، فقال: لييك يا أمير المؤمنين، فقال: نشدتك الله، الشوب الذى اتتورت به أهو ثوبك؟ قال: اللهم نعم، قال سلمان: فقل الآن نسمع.

ذكر غزارة علمه ﷺ:

عن أبى جحيفة قال: آخى رسول الله ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء مبتذلة، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: إن أخاك أبا الدرداء ليست له حاجة فى الدنيا، قال: فلما جاء أبو الدرداء قرب طعاما فقال: كُلْ فإنى صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل.

فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم، فقال له سلمان: نم، فنام، فلما كان من آخر الليل قال له سلمان: قم الآن، فقاما فصليا، فقال: إن لنفسك عليك حقا، ولربك عليك حقا، وإن لضيفك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، فأعط كل ذى حق حقه، فأثيا النبى ﷺ فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان. انفرد بإخراجه البخارى^(١).

وعن محمد بن سيرين قال: دخل سلمان على أبى الدرداء فى يوم جمعة فقبل له: هو نائم، فقال: ما له؟ فقالوا: إنه إذا كانت ليلة جمعة أحيهاها، ويصوم يوم الجمعة، قال: فأمرهم فصنعوا طعاما فى يوم جمعة ثم أتاهم فقال: كُلْ، قال: إنى صائم، فلم يزل به حتى أكل، فأثيا النبى ﷺ فذكرا ذلك له، فقال النبى ﷺ: «عويمر، سلمان أعلم منك - وهو بضرب بيده على فخذ أبى الدرداء - عويمر، سلمان أعلم منك» ثلاث مرات «لا تخصص ليلة الجمعة بقيام من بين الليالى، ولا تخصص يوم الجمعة بصيام من بين الأيام»^(٢).

وعن ثابت البنانى أن أبا الدرداء ذهب مع سلمان يخطب عليه امرأة من بنى ليث، فدخل فذكر فضل سلمان وسابقته وإسلامه، وذكر أنه يخطب إليهم فتاتهم فلانة، فقالوا؟ أما سلمان فلا نزوجه ولكننا نزوجك، فتزوجها ثم خرج، فقال له: إنه قد كان شىء وأنا أستحى أن أذكره لك، قال: وما ذاك؟ فأخبره الخبر، فقال سلمان: أنا أحق أن أستحى منك أن أخطبها وقد قضاها الله لك، ﷺ.

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «الأدب» حديث (٦١٣٩) باب (٨٦) صنع الطعام والتكلف للضيف.

(٢) صحيح: أخرجه البخارى فى «كتاب الصوم» حديث (١٩٦٨) باب (٥١) من أقسم على أخيه ليفطر فى التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفى له، وأحمد فى «المسند» حديث (٢٧٥٧٧).

ذكر نبذة من زهده:

عن الحسن قال: كان عطاء سلمان الفارسي خمسة آلاف، وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين، وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها، فإذا خرج عطاؤه أمضاه، ويأكل من سفيف يديه.

وعن عمار - يعني الدهني - قال: كان عطاء سلمان الفارسي أربعة آلاف وكارة من ثياب، فيتصدق بها، ويعمل الخوص.

وعن مالك بن أنس أن سلمان الفارسي كان يستظل بالنفء حيثما دار، ولم يكن له بيت، فقال له رجل: ألا بنى لك بيتاً تستظل به من الحر، وتسكن فيه من البرد؟ فقال له سلمان: نعم، فلما أدبر صاح به فسأله سلمان: كيف تبنيه؟ قال: أبنيه إن قمت فيه أصاب رأسك وإن اضطجعت فيه أصاب رجلك، فقال سلمان: نعم.

وقال عبادة بن سليم: كان لسلمان خباء من عباء، وهو أمير الناس.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي، عن سلمان أنه تزوج امرأة من كندة، فلما كان ليلة البناء مشى معه أصحابه حتى أتى بيت المرأة، فلما بلغ البيت قال: ارجعوا أجركم الله ولم يدخلهم، فلما نظر إلى البيت والبيت منجد - قال: أمحموم بيتكم أم تحولت الكعبة في كندة؟! فلم يدخل حتى نزع كل ستر في البيت غير ستر الباب فلما دخل رأى متاعاً كثيراً فقال: لمن هذا المتاع؟ قالوا: متاعك ومتاع امرأتك فقال: ما بهذا أوصاني خليلي رسول الله ﷺ، أوصاني خليلي أن لا يكون متاعى من الدنيا إلا كزاد الراكب، ورأى خدماً فقال: لمن هذا الخدم؟ قالوا: خدمك وخدم امرأتك، فقال: ما بهذا أوصاني خليلي ﷺ، أوصاني خليلي أن لا أمسك إلا ما أنكح، أو أنكح، فإن فعلت فبغين كان عليّ مثل أوزارهن من غير أن ينقص من أوزارهن شيء، ثم قال للنسوة اللاتي عند امرأته: هل أنتن مخليات بيني وبين امرأتى؟ قلن: نعم، فخرجن، فذهب إلى الباب فأجافه، وأرخى الستر ثم جاء فجلس عند امرأته فمسح بناصيتها ودعا بالبركة، فقال لها: هل أنت مطيعتى في شيء أمرك به؟ قالت: جلست مجلس من يطيع، قال فإن خليلي أوصاني إذا اجتمعت إلى أهلى أن أجمع على طاعة الله، فقام وقامت إلى المسجد، فصليا ما بدا لهما، ثم خرجا ففضى منها ما يقضى الرجل من امرأته، فلما أصبح غدا عليه أصحابه فقالوا: كيف وجدت أهللك؟ فأعرض عنهم، ثم أعادوا فأعرض عنهم، ثم أعادوا، فأعرض عنهم، ثم قال: إنما جعل الله عز وجل الستور والخدور

والأبواب لتواري ما فيها، حسب كل امرئ منكم أن يسأل عما ظهر له، فأما ما غاب عنه فلا يسألنَّ عن ذلك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المتحدث عن ذلك كالحمارين يتسافدان في الطريق»^(١).

وعن أبي قلابة أن رجلاً دخل على سلمان وهو يعجن فقال: ما هذا؟ قال: بعثنا الخادم في عمل فكرهنا أن نجمع عليه عملين، ثم قال: فلان يقرؤك السلام، قال: متى قدمت؟ قال منذ كذا وكذا فقال: أما إنك لو لم تؤدها كانت أمانة لم تؤدها. رواه أحمد.

ذكر كسبه وعمله بيده:

عن النعمان بن حميد قال: دخلت مع خالي على سلمان الفارسي بالمدائن وهو يعمل الخوص فسمعته يقول: أشتري خوصاً بدرهم، فأعمله، فأبيعه بثلاثة دراهم فأعيد درهما فيه وأنفق درهما على عيالي وأتصدق بدرهم، ولو أن عمر بن الخطاب نهاني عنه ما انتهيت. وعن الحسن قال: كان سلمان يأكل من سفيف يده.

ذكر نبذة من ورعه:

عن أبي ليلى الكندي قال: قال غلام سلمان لسلمان: كاتبني، قال: ألك شيء؟ قال: لا، قال: فمن أين؟ قال: أسأل الناس، قال: تريد أن تطعمني غسالة الناس.

ذكر نبذة من تواضعه:

عن ثابت قال: كان سلمان أميراً على المدائن، فجاء رجل من أهل الشام ومعه حمل تبين وعلى سلمان أندرا ويرد وعباءة، فقال لسلمان: تعال احمل، وهو لا يعرف سلمان، فحمل سلمان فرآه الناس فعرفوه، فقالوا: هذا الأمير، فقال: لم أعرفك، فقال له سلمان: لا، حتى أبلغ منزلك، وفي رواية أخرى: إني قد نويت فيه نية فلا أضعه حتى أبلغ بيتك. وعن عبد الله بن بريدة قال: كان سلمان إذا أصاب الشيء اشتري به لحماً، ثم دعا المجذومين فأكلوا معه.

وعن عمر بن أبي قرّة الكندي قال: عرض أبي على سلمان أخته أن يزوجه فأبى، فتزوج مولاة يقال لها بقيرة، فاتاه أبو قرّة فأخبر أنه في مبقلة له، فتوجه إليه فلقيه معه زنبيل فيه بقل قد أدخل عصاه في عروة الزنبيل وهو على عاتقه.

(١) ضعيف جداً: أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» حديث (٥٩٩) وفيه - محمد بن مزاحم - متروك، انظر «ميزان الاعتدال» (٦ / ٣٢٩).

وعن ميمون بن مهران، عن رجل من عبد القيس قال: رأيت سلمان في سرية وهو أميرها على حمار عليه سراويل، وخدمته تذبذبان والجند يقولون: قد جاء الأمير، قال سلمان: إنما الخير والشر بعد اليوم.

وعن أبي الأحوص قال افتخرت قریش عند سلمان، فقال سلمان: لكنى خلقت من نطفة قدرة ثم أعود جيفة متنتة، ثم يؤدي بي إلى الميزان فإن ثقلت فأنا كريم وإن خفّت فأنا لئيم. وعن أبي البختری قال: صحب سلمان رجلاً من بنى عبس ليتعلم منه، فخرج معه، فجعل لا يستطيع أن يفضل في عمل: إن عجن جاء سلمان فخبز، وإن هيا الرجل علفا للدواب ذهب سلمان فسقاها، حتى انتهوا إلى شط دجلة وهى تطفح، فقال سلمان للعبسى: انزل فاشرب، فنزل فاشرب، فقال له سلمان: ازدد، فازداد، فقال له سلمان: كم تراك نقصت منها؟ فقال العبسى له: وما عسى أن أنقص منها، فقال سلمان: كذلك العلم، تأخذ منه ولا ينقص، فعليك بالعلم بما ينفعك.

قال: ثم عبر إلى نهر دن فإذا الأكداس عليه من الحنطة والشعير فقال سلمان: يا أخا بنى عبس، أما ترى إلى الذى فتح خزائن هذه علينا كأن نراها ومحمد حى؟ قال فقلت: بلى، قال: فوالذى لا إله غيره لقد كانوا يمسون ويصبحون وما فيهم قفيز من قمح، قال: ثم سرنا حتى انتهينا إلى جلولاء قال فذكر ما فتح الله عليهم وما أصابوا فيها من الذهب والفضة، فقال: يا أخا بنى عبس، أما ترى إلى الذى فتح خزائن هذه علينا كأن نراها ومحمد حى؟ قال: قلت: بلى، قال: والذى لا إله غيره لقد كانوا يمسون ويصبحون وما فيهم دينار ولا درهم.

ذكر ثناء الناس على سلمان واعترافهم بفضله:

عن ابن عباس قال: قدم سلمان من غيبة له فتلقيه عمر فقال: أرضاك الله عبدا، قال: فزوجنى، فسكت عنه فقال: أترضانى الله عبدا ولا ترضانى لنفسك؟! فلما أصبح أتاه قوم فقال: حاجة؟ قالوا: نعم، قال: ما هى؟ قالوا: تضرب عن هذا الأمر، يعنون خطبته إلى عمر قال: أما والله ما حملنى على هذا إمرته، ولا سلطانه، ولكن قلت: رجل صالح عسى الله عز وجل أن يخرج منى ومنه نسمة صالحة.

وعن أبى الأسود الدؤلى قال: كنا عند على ذات يوم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، حدثنا عن سلمان، قال: من لكم بمثل لقمان الحكيم؟ ذلك امرؤ منا وإلينا أهل البيت، أدرك العلم الأول والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول والآخر، وبحر لا يتزف، وأوصى معاذ بن جبل رجلا أن يطلب العلم من أربعة، سلمان أحدهم.

ذكر نبذة من كلامه ومواظبه:

عن حفص بن عمرو السعدي عن عمه قال: قال سلمان لحذيفة: يا أخا بني عيس، العلم كثير، والعمر قصير، فخذ من العلم ما تحتاج إليه في أمر دينك، ودع ما سواه فلا تعانه. وعن أبي سعيد الوهبي عن سلمان قال: إنما مثل المؤمن في الدنيا كمثل المريض معه طبيبه الذي يعلم داءه ودواءه، فإذا اشتهى ما يضره منعه وقال: لا تقربه، فإنك إن آتيته أهلكك، فلا يزال يمنعه حتى يبرأ من وجعه، وكذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة مما قد فُضِّلَ به غيره من العيش فيمنعه الله عز وجل إياه، ويحجزه حتى يتوفاه، فيدخله الجنة.

وعن جرير قال: قال سلمان: يا جرير، تواضع لله عز وجل، فإنه من تواضع لله عز وجل في الدنيا رفعه الله يوم القيامة، يا جرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا، قال: ظلم الناس بينهم في الدنيا، قال: ثم أخذ عويدا لا أكاد أراه بين إصبعيه قال: يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده، قال: قلت: يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها للؤلؤ والذهب، وأعلاها الثمر.

وعن أبي البختري عن سلمان قال: مثل القلب والجسد مثل أعمى ومقعّد، قال المقعّد: إني أرى تمرة ولا أستطيع أن أقوم إليها فاحملني، فحمله فأكل وأطعمه.

وعن قتادة قال: قال سلمان: إذا أسأت سيئة في سريرة فأحسن حسنة في سريرة، وإذا أسأت سيئة في علانية فأحسن حسنة في علانية لكي تكون هذه بهذه.

وعن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد، أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان: هلم إلى الأرض المقدسة، فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقدس أحدا، وإنما يقدر الإنسان عمله، وقد بلغني أنك جعلت طبيبا فإن كنت تبرئ فنعماً لك، وإن كنت متطببا فاحذر أن تقتل إنسانا فتدخل النار، فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين فأدبرا عنه نظر إليهما وقال: متطبب والله، ارجعا إليّ أعيدا قصتكما.

عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال: ثلاث أعجبتني حتى أضحكنتي: مؤمل دنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه لا يدرى أساخط رب العالمين عليه أم راض عنه، وثلاث أحزنني حتى أبكينني: فراق محمد وحزبه، وهول المطلع، والوقوف بين يدي ربي عز وجل ولا أدري إلى جنة أو إلى نار.

وعن حماد بن سلمة، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان عن سلمان قال: ما من مسلم

يكون بقاء من الأرض فيتوضأ أو يتيمم ثم يؤذن ويقيم إلا أم جنوداً من الملائكة لا يرى طرفهم، أو قال: طرفاهم.

وعن ميمون بن مهران قال: جاء رجل إلى سلمان، فقال: أوصني، قال: لا تكلم، قال: لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يتكلم، قال: فإن تكلمت فتكلم بحق أو اسكت، قال: زدني، قال: لا تغضب، قال: إنه ليغشاني ما لا أملكه، قال: فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك، قال زدني، قال: لا تلبس الناس، قال: لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يلبسهم، قال: فإن لابسهم فأصدق الحديث وأد الأمانة.

وعن أبي عثمان عن سلمان قال: إن العبد إذا كان يدعو الله في السراء فنزلت به الضراء فدعا قالت الملائكة: صوت معروف من آدمي ضعيف، فيشفعون له، وإذا كان لا يدعو الله في السراء فنزلت به الضراء قالت الملائكة: صوت منكر من آدمي ضعيف فلا يشفعون له. وعن حارثة بن مضرب قال: سمعت سلمان يقول: إني لأعد العراق على الخادم خشية الظن. ورواه زهير عن أبي إسحق قال: إني لأعد عراق القدر مخافة الظن بخادمي.

وعن سالم مولى زيد بن صوحان قال: كنت مع مولاى زيد بن صوحان في السوق فمر علينا سلمان الفارسي وقد اشترى وسقا من طعام، فقال له زيد: يا أبا عبد الله تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت وتفرغت للعبادة ويش منها الوسواس.

وعن أبي عثمان عن سلمان، قال: لما افتتح المسلمون جَوْحَى دخلوا يمشون فيها، وأكداس الطعام فيها أمثال الجبال، قال: ورجل يمشى إلى جنب سلمان فقال: يا أبا عبد الله ألا ترى إلى ما أعطانا الله؟ فقال سلمان: وما يعجبك فما ترى إلى جنب كل حبة مما ترى حساب. رواه الإمام أحمد.

وعن سعيد بن وهب قال: دخلت مع سلمان على صديق له من كندة نعوده، فقال له سلمان: إن الله عز وجل يبتلى عبده المؤمن بالبلاء، ثم يعافيه فيكون كفارة لما مضى، فيستعقب فيما بقى، وإن الله عز وجل يبتلى عبده الفاجر بالبلاء ثم يعافيه، فيكون كالبعير عقله أهله ثم أطلقوه، فلا يدرى فيم عقلوه ولا فيم أطلقوه حين أطلقوه.

وعن محمد بن قيس، عن سالم بن عطية الأسدي قال: دخل سلمان على رجل يعودوه وهو في النزع فقال: أيها الملك ارفق به، قال: يقول الرجل: إنه يقول إني بكل مؤمن رفيق والسلام.

ذكر وفاة سلمان رضي الله عنه:

عن حبيب بن الحسن وحميد بن مورك العجلي أن سلمان لما حضرته الوفاة بكى فقبل له: ما يبكيك؟ قال: عهد عهده إلينا رسول الله ﷺ، قال: «ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب».

قال: فلما مات نظروا في بيته فلم يجدوا في بيته إلا إكافًا ووطاء ومتاعا قومًا نحوًا من عشرين درهمًا^(١).

وعن عامر بن عبد الله، عن سلمان أنه حين حضر الموت عرفنا به بعض الجزع فقالوا: ما يجزعك يا أبا عبد الله وقد كان لك سابقة في الخير؟ شهدت مع رسول الله ﷺ مغازي حسنة، وفتوحا عظاما، قال: يحزنني أن حبيبنا محمدا ﷺ عهد إلينا حين فارقنا فقال: «ليكيف المؤمن كزاد الراكب» فهذا الذي أحزنني.

قال: فجمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر دينارًا، هكذا قال عامر والباقون من الرواة يذكرون الدراهم.

عن أبي سفيان، عن أشياخه قال: ودخل سعد بن أبي وقاص على سلمان يعوده، فبكى سلمان، فقال له سعد: ما يبكيك يا أبا عبد الله، توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ، وترد عليه الحوض، قال: فقال سلمان: أما إنني ما أبكي جزعا من الموت، ولا حرصا على الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا فقال: «لتكن بلغة أحدكم مثل زاد الراكب» وحولي هذه الأساود وإنما حوله إجانة أو جفنة أو مطهرة، قال فقال له سعد: يا أبا عبد الله اعهد إلينا بعهد فنأخذ به بعدك، فقال: يا سعد، اذكر الله عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند بذل إذا قسمت^(٢).

وعن الشعبي قال: أصاب سلمان حصرة مسك يوم فتح جلولاء فاستودعها امرأته، فلما حضرته الوفاة قال: هاتي المسك، فمرسها في ماء ثم قال: انضحها حولي، فإنه يأتيني زوار الآن ليس بإنس ولا جان، ففعلت فلم يمكث بعد ذلك إلا قليلا حتى قبض، وفي أخرى أنه قال: يجدون الريح ولا يأكلون الطعام.

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه في «كتاب الزهد» حديث (١٤٠٤) باب (١) الزهد في الدنيا.

(٢) صحيح: انظر التخریج المتقدم.

وعن سعيد بن سوقة قال: دخلنا على سلمان نعوذه وهو مبطون فقال لامرأته: ما فعلت بالمسك الذي جئنا به من بلنجر؟ قالت: هو ذا، قال: ألقيه في الماء ثم اضربي بعضه ببعض ثم انضحي حول فراشي، فإنه الآن يأتينا قوم ليس بإنس ولا جن، ففعلت، وخرجنا عنه ثم أتينا فوجدناه قد قبض - رضي الله عنه - .

وعن الشعبي قال: حدثني الجزل عن امرأة سلمان، بغيرة، قالت: لما حضر سلمان الموت دعاني، وهو في عليّة لها أربعة أبواب، فقال: افتحي هذه الأبواب يا بغيرة، فإن لي اليوم زوارا لا أدرى من أي هذه الأبواب يدخلون عليّ، ثم دعا بمسك له ثم قال لها: اديفيه في تور، ففعلت، ثم قال: انضحيه حول فراشي، ثم انزلي فامكثي، فسوف تطلعين فتريني على فراشي، فاطلعت فإذا قد أخذ روحه كأنه نائم على فراشه، أو نحو هذا.

قال أهل العلم بالسير: كان سلمان من المعمرين، أدرك وصي عيسى ابن مريم عليه السلام، وعاش مائتين وخمسين سنة، ويقال أكثر، وتوفي بالمدائن في خلافة عثمان، وقيل مات سنة ثنتين وثلاثين.

قال أبو بكر بن أبي داود: لسلمان ثلاث بنات، بنت بأصبهان، وبتان بمصر.

وعن عبد الله بن سلام أن سلمان قال له: يا أخي أين مات قبل صاحبه فليتريا له، قال عبد الله بن سلام: أويكون ذلك؟ قال: نعم، إن نسمة المؤمن مخلقة تذهب في الأرض حيث شاءت، ونسمة الكافر في سجين، فمات سلمان.

قال عبد الله: فينا ذات أنا يوم قاتل بنصف النهار على سرير لي فأغفيت إغفاءة إذ جاء سلمان فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقلت: السلام عليك ورحمة الله يا أبا عبد الله، كيف وجدت منزلك؟ قال: خيرا، وعليك بالتوكل، فنعم الشيء التوكل، رده ثلاث مرات - رحمه الله - .

٦٠- أبو موسى الأشعري

عبد الله بن قيس بن سليم

أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة، ثم قدم مع أهل السفيتين ورسول الله صلّى الله عليه وآله بخيبر، وبعضهم ينكر هجرته إلى الحبشة.

عن أبي موسى أن رسول الله صلّى الله عليه وآله بعث معاذا وأبا موسى إلى اليمن، وأمرهما أن يُعلِّما الناس القرآن. رواه الإمام أحمد.

وقد صح من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «لو رأيته وأنا أستمع قراءتك البارحة، لقد أوتيت زمماراً من مزامير آل داود» فقلت: يا رسول الله، لو علمت أنك تسمع قراءتي لحببته لك تحبيراً.

وفى الصحيحين من حديث أبي موسى قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر على بعيراً نعتقه، قال فنُقبت أقدامنا، ونُقبت قدميا وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزاة ذات الرقاع لما كنا نعصب على أرجلنا من الخرق.

قال أبو بردة: فحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم كره ذلك، وقال: ما كنت أصنع بأن أذكره.

قال: كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه.

وعن أبي سلمة قال: كان عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى: ذكّرنا ربنا تعالى فيقرأ. وعن أبي عثمان النهدي قال: صلى بنا أبو موسى الأشعري صلاة الصبح فما سمعت صوت صبح ولا بربة كان أحسن صوتاً منه.

وعن أبي كبشة السدوسي قال: خطبنا أبو موسى الأشعري فقال:

«إن المجلس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من المجلس السوء، ومثل المجلس الصالح كمثّل صاحب العطر إلا يحذك يعبق من ريحه، ألا وإنما سوى القلب من قلبه، وإن مثل القلب كمثّل ريشة بأرض فضاء تضربها الريح ظهراً لبطن، ألا وإن من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويسمى كافراً، والقاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الراكب».

قالوا فما تأمرنا؟ قال: كونوا أحلاس البيوت

وعن أبي كنانة، عن أبي موسى الأشعري أنه جمع الذين قرأوا القرآن فإذا هم قريبٌ من ثلاثمائة، فعظم القرآن وقال: إن هذا القرآن كائن لكم أجراً وكائن عليكم وزراً، فاتبعوا القرآن ولا يتبعنكم القرآن، فإنه من اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة، ومن تبعه القرآن رجع في قفاه فقذفه في النار.

وعن أنس أن أبا موسى كان له تبا نيام فيه مخافة أن ينكشف.

وعن أبي مجلز قال: قال أبو موسى: إني لأغتسل في البيت المظلم فما أقيم صلي حتى آخذ ثوبي حياء من ربي عز وجل.

وعن قسامة بن زهير قال: خطبنا أبو موسى فقال: أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتيكوا فإن أهل النار سيكون الدموع حتى تنقطع، ثم سيكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت. روى هذه الأحاديث الثلاثة الإمام أحمد رحمه الله.

وعن أبي بردة، عن أبي موسى قال: خرجنا غازين في البحر والريح لنا طيبة والشرع لنا مرفوع فسمعنا مناديا ينادي: يا أهل السفينة قفوا أخبركم، حتى والى بين سبعة أصوات، قال أبو موسى: فقامت على صدر السفينة فقلت من أنت ومن أين أنت؟ أو ما ترى أين نحن؟ وهل نستطيع وقوفا؟ قال: فأجابني الصوت: ألا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه؟ قال: قلت: بلى أخبرنا، قال: فإن الله قضى على نفسه أنه من عطش نفسه الله في يوم حار كان حقا على الله أن يرويه يوم القيامة، قال: فكان أبو موسى يتوخى ذلك اليوم الحار الشديد الحر الذي يكاد ينسلخ فيه الإنسان فيصومه^(١).

وعن أبي إدريس قال: صام أبو موسى حتى عاد كأنه خلال فقيل له: لو أجممت نفسك، فقال: أيها، إنما يسبق من الخيل المضمرة، قال: وربما خرج من منزله فيقول لامرأته: شدي رحلك فليس على جسر جهنم معبر.

عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب قال: دعا أبو موسى فتياته حين حضرته الوفاة فقال: اذهبوا فاحفروا، وأوسعوا، وأعمقوا، فجاءوا فقالوا: قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا، فقال: والله إنها لإحدى المنزلتين: إما ليوسعنَّ على قبري حتى يكون كل زاوية منه أربعين ذراعاً، ثم ليفتحنَّ لي باب إلى الجنة فلا نظرنَّ إلى أزواجي ومنازلي وما أعد الله عز وجل لي من الكرامة، ثم ليصينني من ريحها وروحها حتى أبعث، ولئن كانت الأخرى - ونعوذ بالله منها - ليضيقنَّ على قبري حتى أكون في أضيق من القناة في الزج، ثم ليفتحنَّ لي باب من أبواب جهنم فلا نظرنَّ إلى سلاسل وأغلال وقرنائ، ثم ليصينني من سمومها وحميمها حتى أبعث.

وعن أبي بردة قال: لما حضرت أبا موسى الوفاة قال: يا بني اذكروا صاحب الرغبة، قال: كان رجل يتعبد في صومعته، أراه قال سبعين سنة، لا ينزل إلا في يوم واحد، قال فشبه أو شب الشيطان في عينه امرأة، قال: فكان معها سبعة أيام أو سبع ليال، قال: ثم كُشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائباً، فكان كلما خطا خطوة صلى وسجد فأواه الليل إلى دكان عليه اثنا

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» حديث (٨٦٩).

عشر مسكيناً فأدركه الإعياء فرمى بنفسه بين رجلين منهم، وكان ثمَّ راهب يبعث إليهم كل ليلة بأرغفة فيعطى كل إنسان رغيفاً، فجاء صاحب الرُّغف فأعطى كل إنسان رغيفاً، فقال المتروك لصاحب الرغيف: ما لك لم تعطيني رغيفي؟ قال: أتراني أمسكه عنك؟ سل هل أعطيت أحداً منكم رغيفين؟ قالوا: لا، قال أتراني أمسكه عنك؟ والله لا أعطيك الليلة شيئاً، فعمد التائب إلى الرغيف الذي دفعه إليه فدفعه إلى الرجل الذي ترك، فأصبح التائب ميتاً، قال: فوزنت السبعون سنة بالسبع ليالي فرجحت الليالي، فوزن الرغيف بالسبع الليالي فرجح الرغيف، فقال أبو موسى: يا بني اذكروا صاحب الرغيف، ^(١) رواه الشيخ.

قال: أصحاب السير: توفي أبو موسى سنة اثنتين وخمسين، وقيل: اثنتين وأربعين، وقيل: أربع وأربعين، ودُفن بمكة، وقيل دُفن بالثوية على ميلين من الكوفة.

٦١- ياسر بن عامر بن مالك [أبو عمار]

قدم مكة فحالف أبا حذيفة بن المغيرة فزوجه أبو حذيفة أمة له يقال لها سمية بنت خياط، فولدت له عماراً، رحمهم الله.
ثم جاء الله بالإسلام فأسلم ياسر وعمار، فلما أسلم ياسر أخذته بنو مخزوم فجعلوا يعذبونه، ليرجع عن دينه.

قال عثمان بن عفان، أقبلت أنا ورسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي حتى أتينا على أبي عمار وعمار وأمه وهم يعذبون، فقال ياسر: الدهر هكذا، فقال النبي ﷺ: اصبر، اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت ^(٢) رواه الشيخ.

٦٢- عبد الله بن عمر بن الخطاب

يكنى أبا عبد الرحمن، أمه: زينب بنت مظعون، أسلم بمكة مع أبيه، ولم يكن بالغاً حيثئذ وهاجر مع أبيه إلى المدينة وعُرض على رسول الله ﷺ يوم بدر فرده ويوم أحد فرده لصغر سنه، وعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه.
عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة فلم يجزه، ثم عرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فأجازه ^(١).

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» حديث (٨٨١).

(٢) ضعيف: أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٤٨).

وعن سالم عن ابن عمر قال: كان الرجل في حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ قال: وكنت غلامًا شابًا عزبًا، فكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار فإذا هي مطوية كطي البئر وإذا لها قرنان، وأرى فيها ناسًا قد عرفتهم فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار، فلقيهما ملك آخر فقال لي: لن ترع، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل» قال سالم: فكان عبد الله بعد لا ينام من الليل إلا قليلًا. أخرجاه في الصحيحين (٢).

وعن نافع قال: قال لي عبد الله بن عمر: رأيت في المنام كأن بيدي قطعة من إستبرق ولا أشير بها إلى مكان من الجنة إلا طارت بي إليه، فقصصتها حفصة على النبي ﷺ فقال: إن أخاك رجل صالح، أو إن عبد الله رجل صالح. أخرجاه في الصحيحين.

وعن أبي الزناد قال: اجتمع في الحِجر مصعب وعروة وعبد الله بنو الزبير، وعبد الله ابن عمر فقالوا: تمنوا، فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة، وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم، وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين، قال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة. قال: فقالوا ما تمنوا، ولعل ابن عمر غُفر له.

وعن نافع قال: دخل ابن عمر الكعبة فسمعتة وهو ساجد يقول: قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك.

عن طاوس قال: ما رأيت رجلاً أروع من ابن عمر، ولا رأيت رجلاً أعلم من ابن عباس. وقال سعيد بن المنسيب: لو كنت شاهداً لرجل من أهل العلم أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر.

وعن عروة قال: سئل ابن عمر عن شيء فقال: لا علم لي به، فلما أدبر الرجل قال لنفسه: سئل ابن عمر عما لا علم له به، فقال لا علم لي به.

وعن نافع أن رجلاً سأل ابن عمر عن مسألة، فطأ رأسه ولم يجبه، حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسأله، فقال له: يرحمك الله أما سمعت مسألتى؟ قال: بلى، ولكنكم كأنكم ترون

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «المغازي» حديث (٤٠٩٧) باب (٢٩) غزوة الخندق.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «التهجيد» حديث (١١٢١) باب (٢) فضل قيام الليل، ومسلم في «فضائل

الصحابة» حديث (٢٤٧٩) باب (٣١) من فضائل ابن عمر رضي الله عنه.

أن الله تعالى ليس بسائلنا عما تسألونا عنه، اتركنا رحمك الله حتى نتفهم في مسألتك، فإن كان لها جواب عندنا وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به.

وعن إبراهيم قال: قال عبد الله: إن أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر. وعن محمد قال: نبئت أن ابن عمر كان يقول: إني لقيت أصحابي على أمر، وإني أخاف إن خالفتهم أن لا الحق بهم.

وعن سعيد بن المسيب قال: كان أشبه ولد عمر بعمر عبد الله، وأشبه ولد عبد الله بعبد الله سالم.

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: ما ناقة أضلت فصيلها في فلاة من الأرض بأطلب لأثرها من ابن عمر لعمر بن الخطاب.

وعن المطعم بن مقدم الصنعاني قال: كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن عمر: بلغني أنك طلبت الخلافة، وإن الخلافة لا تصلح لعي ولا بخيل ولا غيور.

فكتب إليه ابن عمر: أما ما ذكرت من أمر الخلافة أنى طلبتها فما طلبتها، وما هي من بالي، وأما ما ذكرت من العي والبخل والغيرة، فإن من جمع كتاب الله عز وجل فليس بعي، ومن أدى زكاة ماله فليس ببخيل، وأما ما ذكرت فيه من الغيرة فإن أحق ما غرت فيه ولدى، أن يشركني فيه غيري.

وعن عائشة قالت: ما رأيت أحدا ألزم للأمر الأول من عبد الله بن عمر. وعن عائشة قالت: ما رأيت أحدا أشبه بأصحاب رسول الله ﷺ الذين دفنوا في النمار من عبد الله بن عمر.

وعن عبد الله بن أبي عثمان قال: كان عبد الله بن عمر أعتق جاريته التي يقال لها رميثة، فقيل: إني سمعت الله عز وجل قال في كتابه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢) وإني والله إن كنت لأحبك في الدنيا، اذهبي فأنت حرة لوجه الله (١).

وعن حمزة بن عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر قال: خطرت هذه الآية ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فتذكرت ما أعطاني الله فما وجدت شيئا أحب إلي من جاريتي رميثة، فقلت: هذه حرة لوجه الله، فلا أعود في شيء جعلته لله، ولولا ذلك لنكحتها، فأنكحها نافعا وهي أم ولده (١).

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» رقم (١٠٢).

قال . وعن نافع قال: كان ابن عمر إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه لربه عز وجل، قال نافع: كان رقيقه قد عرفوا ذلك منه فربما شمر أحدهم فلزم المسجد فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنه أعتقه، فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن، والله ما بهم إلا أن يخدعوك، فيقول ابن عمر: فمن خدعنا بالله انخدعنا له.

قال نافع: فلقد رأيتنا ذات عشية وراح ابن عمر على نجيب له قد أخذه بمال، فلما أعجبه سيره أنأخه مكانه ثم نزل عنه فقال: يا نافع، انزعوا زمامه ورحله، وجللوه وأشعروه وأدخلوه في البدن.

وعن سعيد بن أبي هلال أن عبد الله بن عمر نزل الجحفة وهو شاك فقال: إني لأشتهى حيتانا، فالتمسوا له فلم يجدوا إلا حوتا واحدا فأخذته امرأته صفية بنت أبي عبيد فصنعتة ثم قربته إليه، فأتى مسكين حتى وقف عليه، فقال له ابن عمر: خذه، فقال أهله: سبحان الله، قد عنتنا ومعنا زاد نعطينه، فقال: إن عبد الله يحبه.

وعن أبي بكر بن حفص قال: لما اشتكى ابن عمر اشتهى حوتا فصنع له، فلما وضع بين يديه جاء سائل فقال: أعطوه الحوت فقالت امرأته: نعطينه درهما فهو أنفع له من هذا واقض أنت شهوتك منه، فقال: شهوتي ما أريد.

وعن نافع، عن ابن عمر أنه كان لا يعجبه شيء من ماله إلا خرج منه لله عز وجل، قال: وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفا، قال: وأعطاه ابن عامر مرتين ثلاثين ألفا، قال: فقال ابن عمر: يا نافع إني أخاف أن تفتنني دراهم ابن عامر، اذهب فأنت حر. وكان لا يذوق فيه مزعة لحم.

وعن ميمون بن مهران قال: أتت ابن عمر اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس فلم يقم حتى فرقها.

وعن عاصم بن محمد، عن أبيه، قال: أعطى ابن عمر بنافع عشرة آلاف أو ألف دينار فقلت: يا أبا عبد الرحمن ما تنظر أن تبيع؟ قال: فهلا ما هو خير من ذلك؟ فهو حر لوجه الله عز وجل. روى هذه الثلاثة أحاديث الإمام أحمد.

وعن أبي بكر بن حفص أن عبد الله بن عمر كان لا يأكل طعاما إلا وعلى خوانه يتيم. رواه الإمام أحمد.

وعن نافع قال: ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان أو زاد.

وعنه قال: أتى ابن عمر بيضة وعشرين ألفا فما قام من مجلسه حتى أعطاهما وزاد عليها، قال: ولم يزل يعطى حتى أنفد ما كان عنده فجاءه بعض من كان يعطيه فاستقرض من بعض من كان أعطاه فأعطاه إياه.

وعنه قال: كان يرسل إلى عبد الله بن عمر بالمال فيقبله ويقول: لا أسأل أحدا شيئا ولا أرد ما رزقني الله.

وعنه قال: كان ابن عمر يقبض على لحيته ويأخذ ما جاوز القبضة.

وعنه أن معاوية بعث إلى ابن عمر بمائة ألف فلما أراد أن يبايع ليزيد قال: أرى ذلك أراد، إن ديني عندي إذا لرخيص. رواه محمد بن سعد.

وعنه أن معاوية بعث إلى ابن عمر بمائة ألف فما حال الحول وعنده منها شيء.

وعن أبي الوازع قال: قلت لابن عمر: لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله لهم، قال: فغضب ثم قال: إني لأحسبك عراقيا وما يدريك ما يعلق عليه ابن أمك بابه^(١).

عن عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر، عن نافع أن ابن عمر اشتكى فاشترى له عنقود عنب بدرهم، فجاءه مسكين فقال: أعطوه إياه، فخالف إليه إنسان فاشتراه منه بدرهم ثم جاء به إليه، فجاء المسكين يسأل فقال: أعطوه إليه، ثم خالف إليه إنسان فاشتراه منه بدرهم، فأراد أن يرجع فمنع ولو علم ابن عمر بذلك العنقود ما ذاقه.

وفى رواية أخرى: انتهى ابن عمر عبنا وهو مريض... فذكر نحو ذلك.

وعن ميمون بن مهران أن امرأة ابن عمر عوتبت فيه فقيل لها: ما تلطفين هذا الشيخ؟ قالت: فما أصنع؟ لا نصنع له طعاما إلا دعا عليه من يأكله، فأرسلت إلى قوم من المساكين كانوا يجلسون بطريقه إذا خرج من المسجد فأطعمتهم، قالت لهم لا تجلسوا بطريقه، ثم جاء إلى بيته فقال: أرسلوا إلى فلان وإلى فلان، وكانت امرأته أرسلت إليهم بطعام، وقالت إن دعاكم فلا تأتوه، فقال ابن عمر: أردتم أن لا أتعشى الليلة، فلم يتعش تلك الليلة.

وعن حمزة بن عبد الله بن عمر قال: لو أن طعاما كثيرا كان عند عبد الله بن عمر ما شبع منه بعد أن يجد له أكلا، فدخل عليه ابن مطيع يعوده فرآه وقد نحل جسمه فقال لصفية: ألا تلطفيه؟ فلعله أن يرتد إليه جسمه، تصنعين له طعاما، قالت: إنا لنفعل ذلك ولكنه لا يدع

(١) حسن: أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٦١).

أحدا من أهله ولا من يحضره إلا دعاه عليه، فكلمه أنت في ذلك، فقال ابن مطيع: يا أبا عبد الرحمن، لو اتخذت طعاما فرجع إليك جسمك، فقال: إنه ليأتى على ثمان سنين ما أشبع فيها شبعة واحدة، أو قال: لا أشبع فيها إلا شبعة واحدة - فالآن تريد أن أشبع حين لم يبق من عمري إلا ظمء حمار.

وعن عبد الله بن عدى - وكان مولى لابن عمر - أنه قدم من العراق فجاءه فسلم عليه فقال: أهديت لك هدية، فقال: وما هي؟ قال: جوارش، قال: وما جوارش؟ قال: يهضم الطعام، قال: ما ملأت بطني طعاما منذ أربعين سنة، فما أصنع به؟.

وعن ميمون بن مهران أن رجلا من بنى عبد الله بن عمر استكساه إزارا وقال: قد تخرق إزارى، فقال: ارقع إزارك، ثم البسه، فكره الفتى ذلك فقال له عبد الله: ويحك اتق الله ولا تكون من القوم الذين يجعلون ما رزقهم الله عز وجل فى بطونهم وعلى ظهورهم.

وعن سفيان قال: أراد ابن عمر مرة الصدر من مكة فاتخذ له ابن صفوان سفرة من نقى، وفالودج وأخبصة، وبعث بها إليه فأثنى بها، فلما نظر إليها بكى وقال: ما هكذا كنا؛ ما شبعنا منذ أسلمت، وأمر بها فقسمت على أهل الماء، ودعا بسفرته وقال لا خير إلا فيما يبقى نفعه غدا.

وعن القاسم بن أبى بزة قال: حدثنى من سمع ابن عمر قرأ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ حتى بلغ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين: ١ - ٦) قال: فبكى حتى حن وامتنع من قراءة ما بعد (١).

وعن البراء بن سليم قال: سمعت نافعا يقول: ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلا بكى ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَآ فِى أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ﴾ (البقرة: ٢٨٤) ثم يقول: إن هذا لإحصاء شديد. رواهما الإمام أحمد (٢).

وعن هشام بن يحيى الغسانى عن أبيه قال: جاء سائل إلى ابن عمر، فقال لابنه: أعطه دينارا، فلما انصرف قال له ابنه تقبل الله منك يا أبتاه، فقال: لو علمت أن الله يقبل منى سجدة واحدة وصدقة درهم لم يكن غائب أحب إلى من الموت، أتدرى ممن يتقبل؟ إنما يتقبل الله من المتقين.

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم فى «حلية الأولياء» رقم (١٠٦٠).

(٢) صحيح: أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (١٠٦١).

وعن مجاهد قال: صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه فكان يخدمني أكثر.
وعن وهيب أن ابن عمر رحمه الله باع جملاً فقيل: لو أمسكته، فقال: لقد كان موافقاً ولكنه أذهب شعبة من قلبي فكرهت أن أشغل قلبي بشيء. رواهما الإمام أحمد.
وعن محمد بن زيد أن أباه أخبره أن عبد الله بن عمر كان له مهراس فيه ماء فيصلى ما قدر له ثم يصير إلى الفراش فيغشى إغشاء الطير، ثم يثب فيتوضأ ثم يصلى، يفعل ذلك الليلة أربع مرار أو خمس مرار.

وعن نافع، عن ابن عمر أنه كان يحيى الليل صلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا! فأقول: لا، فيعاود الصلاة، ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فأقول: نعم، فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح، وعنه عن ابن عمر أنه كان يحيى ما بين الظهر إلى العصر.
وعن طاوس قال: ما رأيت مصلياً كهيئة عبد الله بن عمر أشد استقبالا للكعبة بوجهه وكفيه وقدميه.

وعن عبد الله بن سبرة قال: كان ابن عمر إذا أصبح قال: اللهم اجعلني من أعظم عبادك نصيباً في كل خير تقسمه الغداة، ونور تهدي به، ورحمة تنشرها، ورزق تبسطه، وضر تكشفه، وبلاء ترفعه، وفتنة تصرفها.

وعن سمير الرياحي عن أبيه قال: شرب عبد الله بن عمر ماء مبرداً فبكى فاشتد بكاءه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت آية في كتاب الله عز وجل: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (سبا: ٥٤) فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً، شهوتهم الماء، وقد قال الله عز وجل: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ (الأعراف: ٥٠).

وعن جابر بن عبد الله قال: ما أدركنا أحداً - أو قال: ما رأينا أحداً - إلا قد مالت به الدنيا أو مال بها إلا عبد الله بن عمر.

وعن نافع قال: كان ابن عمر إذا قرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الحديد: ١٦) بكى حتى يغلبه البكاء^(١).

وعن مجاهد عن ابن عمر قال: لا يصيب عبد شيئاً من الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله عز وجل وإن كان عليه كريماً.

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» رقم (١٠٦٤).

وعن عمر بن ميمون، عن أبيه قال: قيل لعبد الله بن عمر: توفي فلان الأنصاري، قال: رحمه الله، فقال: ترك مائة ألف: قال: لكن هي لم تتركه.

وقال رجل لابن عمر: يا خير الناس وابن خير الناس، فقال ابن عمر: ما أنا بخير الناس ولا ابن خير الناس، ولكنني عبد من عباد الله عز وجل، أرجو الله عز وجل وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه^(١).

وعن نافع قال: كان البر لا يُعرف في عمر ولا في ابنه حتى يقولوا أو يعملوا. وعنه، عن ابن عمر أنه نزل على رجل فلما مضت ثلاث قال: يا نافع أنفق علينا من مالنا. وعن قتادة قال: سئل ابن عمر عن «لا إله إلا الله» هل يضر معها عمل، كما ينفع مع تركها عمل؟ قال ابن عمر: عش ولا تغتر.

وعن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «أحب في الله وأبغض في الله وعاد في الله فإنك لن تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك، وصارت مؤاخاة الناس في أمر الدنيا، وإن ذلك لا يجزى عند الله شيئاً».

قال: وقال لي ابن عمر: إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك لسقمك ومن حياتك لموتك، فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غداً.

قال: وأخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: كن في الدنيا غريباً أو عابراً سبيل وعد نفسك من أهل القبور. رواه الطبراني.

ذكر وفاة ابن عمر:

عن عطية العوفي قال: سألت مولى لعبد الله بن عمر عن موت عبد الله بن عمر فقال: أصابه رجل من أهل الشام بزجه في رجله، فأتاه الحجاج يعوده فقال: لو أعلم الذي أصابك لضربت عنقه فقال عبد الله: أنت الذي أصبتني، قال: كيف؟ قال: يوم أدخلت حرم الله السلاح.

وعن أيوب قال: قلت لنافع: ما كان بدء موت ابن عمر؟ قال: أصابته عارضة محمل بين

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» رقم (١٠٧٨).

إصبعين من أصابعه عند الجمرة في الزحام فمرض، فأتاه الحجاج يعوده فغمض عينيه، فكلمه الحجاج فلم يكلمه.

وعن نافع قال: كان زج رمح رجل من أصحاب الحجاج قد أصاب رجل ابن عمر، فاندمل الجرح، فلما صدر انتقض عليه، فدخل الحجاج يعوده فقال: من أصابك؟ قال: أنت قتلتني، قال: وفيم؟ قال: حملت السلاح في حرم الله فأصابني بعض أصحابك.

فلما حضرته الوفاة أوصى أن لا يدفن في الحرم، فغلب، فدفن في الحرم، وصلى عليه الحجاج.

وفى رواية عن نافع قال: لم يقدر على ذلك، من الحجاج، فدفناه في مقبرة المهاجرين بفخ نحو ذى طوى، ومات بمكة سنة أربع وسبعين، وقيل سنة ثلاث وسبعين وهو ابن أربع وثمانين سنة، رحمته الله.

٦٣- عمرو ابن أم مكتوم

وهو عمرو بن قيس، وقيل: اسمه عبد الله، واسم أمه عاتكة وتكنى أم مكتوم. أسلم بمكة وهو ضرير البصر، وهاجر إلى المدينة، وكان يؤذن للنبي ﷺ بالمدينة مع بلال، وكان رسول الله ﷺ يستخلفه على المدينة يصلى بالناس في عامة غزواته.

عن البراء بن عازب قال: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى. رواه أحمد.

وعن ابن عباس قال: بينا رسول الله ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام - وذكر آخر - وكان يتصدى لهم كثيرا ويقبل عليهم رجاء أن يؤمنوا، فأقبل عليه رجل أعمى يقال له عبد الله ابن أم مكتوم وهو يناجيهم، فجعل عبد الله يستقرئ رسول الله ﷺ آية من القرآن وقال: يا رسول الله علمنى مما علمك الله، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه وتولى عنه وكره كلامه وأقبل على الآخرين، فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه، وأخذ ينقلب إلى أهله أنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢)﴾ (عبس) فلما نزل فيه ما نزل أكرمه النبي ﷺ وكلمه، يقول له: ما حاجتك؟ وهل تريد منى شيئا؟ وإذا ذهب من عنده قال: هل لك حاجة في شيء؟^(١).

وعن البراء أن النبي ﷺ قال: اثنوني بالكثف أو اللوح فكتب: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ

(١) حسن: أخرجه الترمذى فى «كتاب التفسير» حديث (٣٣٣١) باب (٧٣) ومن سورة عبس.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (النساء: ٩٥) وعمرو ابن أم مكتوم خلف ظهره فقال: هل لى من رخصة؟ فتزلت: ﴿غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ﴾.

وعن عبد الرحمن بن أبى لىلى قال: نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ فقال ابن أم مكتوم: أى رب، أنزل عذرى، فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ﴾ فجعل بينهما^(١). وكان بعد ذلك يغزو ويقول: ادفعوا إلى اللواء فإنى أعمى لا أستطيع أن أفر، وأقيمونى بين الصفين، قال أنس بن مالك: كان مع ابن أم مكتوم يوم القادسية راية ولواء. قال الواقدى: مات ابن أم مكتوم بالمدينة ولم نسمع له بذكر بعد عمر، رضي الله عنه.

٦٤- أبو ذر جندب بن جنادة

وفى اسمه خلاف كثير قد ذكرته فى كتابى المسمى «بالتلقيح». وكان أبو ذر طوالا، آدم، وكان يتعبد قبل مبعث رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأسلم بمكة قديما وقال: كنت فى الإسلام رابعا، ورجع إلى بلاد قومه فأقام بها حتى مضت بدر وأحد والخندق، ثم قدم المدينة، قال خفاف بن إيماء: كان أبو ذر شجاعا ينفرد وحده فيقطع الطريق ويغير على الصرم كأنه السبع، ثم إن الله تعالى قذف فى قلبه الإسلام وسمع بالنبي صلّى الله عليه وآله بمكة فاتاه.

وعن عبد الله بن صامت قال: قال أبو ذر: لقد صليت يا بن أخى قبل أن ألقى رسول الله صلّى الله عليه وآله بثلاث سنين، قال فقلت: لمن؟ قال: لله، قلت: فأين تتوجه؟ قال: حيث وجهنى الله عز وجل، قال: وأصلى عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأنى خفاء حتى تعلقونى الشمس.

قال أبو ذر: فانطلقنا حتى نزلت بحضرة مكة وانطلق أخى أنيس فراث على فقلت: ما حبسك؟ قال: لقيت رجلا يزعم أن الله - عز وجل - أرسله على دينك، قال: فقلت: ما يقول الناس فيه؟ قال: يقولون: إنه شاعر وساحر وكاهن.

قال أنيس: قد سمعت قول الكهان فما يقول بقولهم، وقد وضعت قوله على أقراء الشعراء فوالله ما يلتام، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون.

قال: فقلت له: هل أنت كافى حتى أنطلق فأنظر؟ قال: نعم، فكن من أهل مكة على حذر فإنهم قد شنفوا له وتجهموا له، فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعفت رجلا منهم فقلت

(١) أخرجه ابن سعد فى «الطبقات الكبرى» (٤/ ٢١٠).

له: أين هذا الرجل الذى يدعونه الصابئ؟ قال: فأشار إلى، قال الصابئ، قال: فمال أهل الوادى على بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً على، فارتفعت حين ارتفعت كأنى نصب أحمر، فأيتت زمزم فشربت من مائها وغسلت عنى الدم فدخلت بين الكعبة وأستارها فلبثت به يا بن أخى ثلاثين، من بين ليلة ويوم، ما لى طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى وما وجدت فى كبدى سخفة جوع.

قال: بينما أهل مكة فى ليلة قمرء - أى مضيئة - إضحيان، وضرب الله على أصمخة أهل مكة وما يطوف بالبيت غير امرأتين فأتتا على وهما تدعوان إسافاً ونائلة، فقلت: أنكحوا أحدهما الآخر قال: فما ثنهما ذلك، قال: فأتتا على فقلت: هن مثل الخشبة غير أنى لم أكن، فانطلقتا تولولان وتقولان: لو كان ههنا أحد من أنفارنا، قال: فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقالا: ما لكما؟ قالتا: الصابئ بين الكعبة وأستارها، قال: فما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمة تملأ الفم.

قال: فجاء رسول الله ﷺ هو وصاحبه حتى استلم الحجر فطاف بالبيت ثم صلى ركعتين، قال: فأتيته، فكننت أول من حياه بتحية الإسلام، فقال: وعليك السلام ورحمة الله، ممن أنت؟ قال: قلت: من غفار، قال: فأهوى بيده فوضعها على جبهته، قال: فقلت فى نفسى: كره أن انتميت إلى غفار، قال: فأردت أن آخذ بيده فقدعنى صاحبه وكان أعلم به منى، قال: متى أنت ههنا؟ قال: قلت: كنت ههنا منذ ثلاثين من بين يوم وليلة، قال: فمن كان يطعمك؟ قلت: ما كان لى طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى، وما وجدت على كبدى سخفة جوع، فقال رسول الله ﷺ: إنها مباركة، إنها طعام طعم.

قال أبو بكر: ائذن لى يا رسول الله ﷺ فى طعامه الليلة، قال: ففعل، قال: فانطلق النبى ﷺ وانطلقت معهما حتى فتح أبو بكر باباً فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، قال: فكان ذلك أول طعام أكلته بها.

فلبث ما لبثت ثم قال لى رسول الله ﷺ: إنى وُجِّهْتُ إلى أرض ذات نخل فلا أحسبها إلا يشرب فهل أنت مبلغ عنى قومك لعل الله عز وجل ينفعهم بك ويأجرك فيهم، قال: فانطلقت حتى أتيت أخى أنيساً، قال: فقال لى: ما صنعت؟ قال: قلت: صنعت أنى قد

أسلمت وصدقت، قال: فما بي رغبة عن دينك، فإني قد أسلمت وصدقت، ثم أتينا أمتنا فقالت: ما بي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت.

فتحملنا حتى أتينا قومنا غفارا فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان يؤمهم خفاف بن إيماء بن رخصة الغفاري وكان سيدهم يومئذ، وقال بقيتهم: إذا قدم رسول الله ﷺ أسلمنا، فقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأسلم بقيتهم فقال رسول الله ﷺ: «غفار غفر الله وأسلم سالمها الله»^(١) انفراد بإخراجه مسلم.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس أن أبا ذر لما دخل على رسول الله ﷺ وأسلم قال له النبي ﷺ: ارجع إلى قومك حتى يأتيك أموي، فقال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» وثار القوم فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكب عليه فقال: ويلكم أستم تعلمون أنه من غفار وأنه طريق تجارتكم إلى الشام؟ يعني عليهم، فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها وثاروا إليه فضربوه، فأكب عليه العباس فأنقذه^(٢).

وعن أبي حرب بن أبي الأسود قال: سمعت عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق من أبي ذر» رواه الإمام أحمد^(٣).

وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موته فسألها عن عبادة أبي ذر قالت: كان نهاره أجمع في ناحية يتفكر.

وعن عبد الله بن سيدان عن أبي ذر أنه قال: في المال ثلاثة شركاء: القدر؛ لا يستأمر أن يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت، والوارث ينتظر أن تضع رأسك ثم يستاقها وأنت ذميم، وأنت الثالث فإن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكونن، إن الله عز وجل يقول ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢) وإن هذا الجمل مما كنت أحب من مالي فأحببت أن أقدمه لنفسي.

(١) صحيح: أخرجه مسلم في «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٧٣) باب (٢٨) من فضائل أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب مناقب الأنصار» حديث (٣٨٦١) باب (٣٣) إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، ومسلم في «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٧٤) باب (٢٨) من فضائل أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) حسن: أخرجه الترمذي في «المناقب» حديث (٣٨٠١) باب (٣٦) مناقب أبي ذر رضي الله عنه، وقال: وهذا حديث حسن، وأحمد في «المسند».

وعن سفيان الثوري قال: قام أبو ذر الغفاري عند الكعبة فقال: يا أيها الناس، أنا جندب الغفاري، هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق، فاكتنفه الناس فقال: رأيتم لو أن أحدكم أراد سفرًا أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه؟ قالوا: بلى، قال: فإن سفر طريق القيامة أبعد ما تريدون، فخذوا ما يصلحكم، قالوا: وما يصلحنا؟ قال: حجوا حجة لعظام الأمور، وصوموا يومًا شديدًا حره لطول النشور، وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور، كلمة خير تقولها، أو كلمة شر تسكت عنها لوقوف يوم عظيم، تصدق بمالك لعلك تنجو من عسیرها، اجعل الدنيا مجلسين: مجلسا في طلب الحلال ومجلسا في طلب الآخرة، الثالث يضرك ولا ينفعك، لا ترده، اجعل المال درهمين: درهما تنفقه على عيالك من حله، ودرهما تقدمه لآخرتك، الثالث يضرك ولا ينفعك، لا ترده.

ثم نادى بأعلى صوته: يا أيها الناس، قد قتلکم حرصٌ لا تدركونه أبداً.

وعن عطاء بن محمد، قال إبراهيم التيمي: قال أبي: خرجنا حجاجا فوجدنا أبا ذر بالريذة قائما يصلي، فانتظرناه حتى فرغ من صلاته ثم أقبل علينا بوجهه فقال: هلم إلى الأخ الناصح الشفيق، ثم بكى فاشتد بكاءه وقال: قتلني حب يوم لا أدركه، قيل: وما يوم لا تدركه؟ قال: طول الأمل.

وعن بكر بن عبد الله عن أبي ذر قال: يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح.

وعن عراك بن مالك قال: قال أبو ذر: إني لأقربكم مجلساً من رسول الله ﷺ يوم القيامة، وذلك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئة ما تركته فيها» وإنه والله ما منكم من أحد إلا وقد تشبث بشيء منها، غيري^(١).

وعن أبي السليل قال: جاءت ابنة أبي ذر عليها صوف، سفعاء الخدين، ومعها قفة لها، فمكثت بين يديه وعنده أصحابه فقالت: يا أبتاه، زعم الخازنون والزارعون أن أفلسك هذه بهرجة، فقال: يا بنية ضعيفا فإن أباك أصبح بحمد الله لا يملك من صفراء ولا بيضاء إلا أفلسه هذه.

وعن نافع الطاحي قال: مررت بأبي ذر فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل العراق،

(١) ضعيف: أخرجه أحمد في «المسند» حديث (٢١٥١٤) والطبراني في «الكبير» حديث (١٦٢٣).

قال: أتعرف عبد الله بن عامر؟ قلت: نعم، قال: فإنه كان يتقرأ معي ويلزمني، ثم طلب الإمارة، فإذا قدمت البصرة فترأيا له، فإنه سيقول: ألك حاجة فقل له: أخلني، فقل له: أنا رسول أبي ذر إليك، وهو يقرئك السلام ويقول لك: إنا نأكل من التمر، ونشرب من الماء، ونعيش كما تعيش.

فلما قدمت تراءيت له فقال: ألك حاجة؟ فقلت: أخلني أصلحك الله، فقلت: أنا رسول أبي ذر إليك - فلما قلتها خضع لها قلبه - وهو يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنا نأكل من التمر ونشرب من الماء ونعيش كما تعيش، قال: فحلل إزاره ثم أدخل رأسه في جيبه ثم بكى حتى ملأ جيبه بالبكاء.

وعن أبي بكر بن المنكدر، قال: بعث حبيب بن مسلمة، وهو أمير بالشام، إلى أبي ذر بثلاث مائة دينار وقال: استعن بها على حاجتك، فقال أبو ذر: ارجع بها إليه، أو ما وجد أحدا أغر بالله عز وجل منا؟ ما لنا إلا ظل تنواري به، وثلة من غنم تروح علينا، ومولاة لنا تصدقت علينا بخدمتها، ثم إنني لا تخوف الفضل.

وعن جعفر بن سليمان قال: دخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال: يا أبا ذر أين متاعكم؟ قال: لنا بيت نوجه إليه صالح متاعنا، قال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت ههنا، قال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلي، عن أبي ذر قال: والله لو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم ولا تقاررتم على فرشكم، والله لوددت أن الله عز وجل خلقني يوم خلقني شجرة تعضد ويؤكل ثمرها.

وعن ابن عمر بن الخطاب عن أبيه قال: قال أبو ذر: الصاحب الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من صاحب السوء، ومملئ الخير خير من الصامت، والصامت خير من مملئ الشر، والأمانة خير من الخاتم، والخاتم خير من ظن السوء.

ذكر خروج أبي ذر - رضي الله عنه - إلى الربرة:

روى البخاري في أفراده من حديث زيد بن وهب، قال: مررت بالربة فقلت لأبي ذر: ما أنزلك هنا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ (التوبة: ٣٤) فقال: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: فينا وفيهم، فكتب يشكوني إلى عثمان، فكتب عثمان: أقدم المدينة فقدمت فكثر الناس عليّ كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكر ذلك لعثمان فقال: إن شئت تنحيت فكنيت قريبا، فذلك الذي أنزلني هذا المنزل.

وروى ابن سيرين قال: قدم أبو ذر المدينة، فقال عثمان: كن عندى تغدو عليك وتروح اللقاح، قال لا حاجة لى فى دنياكم، ثم قال: ائذن لى حتى أخرج إلى الربذة، فأذن له فخرج.

ذكر وفاة أبى ذر رضي الله عنه:

عن إبراهيم الأشتري عن أبيه، عن أم ذر قالت: لما حضر أبا ذر الوفاة بكيت فقال: ما ييكك؟ فقلت: ما لى لا أبكى وأنت تموت بفلاة من الأرض ولا يدان لى بنعشك، وليس معنا ثوب يسعك كفنا، ولا لك، فقال: لا تبكى وأبشري؛ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدا» وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم: «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين» وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد مات فى قرية أو جماعة، وإنى أنا الذى أموت بالفلاة، والله ما كذبتُ ولا كُذبتُ، فأبصرى الطريق، قالت: فقلت: أتى وقد ذهب الحاج وتقطعت الطرق؟ فقال: انظرى، فكنت أشدت إلى الكتيب فأقوم عليه ثم أرجع إليه فأمرضه.

قالت: فبينما أنا كذلك إذ أنا برجال على رواحهم كأنهم الرخم، فالتحت بهم فأسرعوا إلىَّ، ووضعوا السياط فى نحوها يستبقون إلىَّ، فقالوا: ما لك يا أمة الله؟ فقلت: امرؤ من المسلمين تكفونونه، يموت، قالوا: ومن هو؟ قلت: أبو ذر، قالوا: صاحب رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم.

قالت: ففدوه بآبائهم وأمهاتهم، وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه، فسلموا عليه فرحب بهم وقال: أبشروا فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يموت بين امرأين من المسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدا» وسمعتة يقول لنفر أنا فيهم: «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين» وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك فى قرية أو جماعة، وأنا الذى أموت بفلاة من الأرض، والله ما كذبتُ ولا كُذبتُ، وإنه لو كان عندى ثوب يسعنى كفنا أو لامرأتى ثوب يسعنى كفنا، لم أكفن إلا فى ثوب هو لى أو لها، وإنى أنشدكم الله لا يكفننى رجل منكم كان أميرا أو عريفا أو بريدا أو نقيبا، قال: فليس من القوم أحد إلا وقد قارف من ذلك شيئا إلا فئتى من الأنصار، فقال: أنا أكفئك فى ردائى هذا وفى ثوبين فى عيبتى من غزل أمى، قال: أنت فكفنى، فكفنه الأنصارى ودفنه فى النفر الذين معه منهم -جبر بن عدى بن الأدبر، ومالك بن الأشتري فى نفر كلهم يمان^(١).

(١) صحيح: أخرجه أحمد فى «المسند» حديث (٢١٥٢٣).

وقد ذكر محمد بن إسحاق في المغازي أن أبا ذر مات بالربذة سنة اثنتين وثلاثين وصلى عليه ابن مسعود متصرفه من الكوفة .

وعن القرظي قال، خرج أبو ذر إلى الربذة فأصابه قدره، فأوصاهم أن كفونني، ثم ضعوني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم فقولوا لهم: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على غسله ودفنه، فأقبل ابن مسعود في ركب من أهل العراق، رضي الله عنه.

٦٥- الطفيل بن عمرو بن طريف الدوسي رضي الله عنه

عن عبد الواحد بن أبي عون قال: كان طفيل الدوسي رجلا شريفا شاعرا كثير الضيافة، فقدم مكة فلقيه رجال من قريش فقالوا: إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وفرق جماعتنا وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين ابنه وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك مثل ما دخل علينا منه، فلا تسمع منه .

قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئا ولا أكلمه، فغدوت إلى المسجد وقد حشوت أذني قطنا، فكان يقال لي ذو القطنتين، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي فقامت قريبا منه فسمعت بعض قوله، فقلت في نفسي: واثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفي على الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا، فإن كان حسنا قبلته وإن كان قبيحا تركته .

فمكثت حتى انصرف إلى بيته فدخل، فدخلت معه، فقلت: إن قومك قالوا لي كذا وكذا فاعرض أمرك علي، فعرض علي الإسلام، وتلا علي القرآن، فقلت: لا والله ما سمعت قولاً قط أحسن من هذا ولا أمراً أعديل منه، فأسلمت وقلت: يا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي وإنني راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يكون لي عوناً عليهم، فقال: «اللهم اجعل له آية» .

فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بشنية تطلعي على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت: اللهم في غير وجهي، فإني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم، فتحول النور فوقع في رأس سوطي، فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق، فأتاني أبي فقلت: إليك عني فإنك لست مني، ولست منك، قال: ولم يا بني؟ قلت: إني أسلمت واتبعت محمداً، قال: يا بني، ديني دينك، فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك، ففعل ثم جاء فعرضت عليه الإسلام، ثم أتتني صاحبتى فقلت: إليك

عنى فلست منك، ولست منى، قالت: ولم بأبى أنت؟ قلت: فرق بينى وبينك الإسلام، إني أسلمت وتابعت دين محمد، قالت: فدينى دينك، فأسلمت.

ثم دعوت دوسا إلى الإسلام فأبطئوا علىّ، ثم جئت رسول الله ﷺ إلى المدينة فقلت: قد غلبتني دوس فادع الله عليهم، فقال «اللهم اهد دوسا» وقال لى اخرج إلى قومك فادعهم وارفق بهم، فخرجت أدعوهم حتى هاجر النبي ﷺ إلى المدينة.

ومضت بدر وأحد والخندق، ثم قدمت بمن أسلم ورسول الله ﷺ بخير، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس، ولحقنا رسول الله ﷺ بخير، فأسهم لنا مع المسلمين، وقلنا: يا رسول الله، اجعلنا في ميمتك واجعل شعارنا مبرورا، ففعل.

فلم أزل مع النبي ﷺ حتى فتح مكة فقلت: ابعثني يا رسول الله إلى ذى الكفين - صنم عمرو بن حممة - أحرقه، فبعثه إليه فحرقه، فلما أحرقه بان لمن تمسك به أنه ليس على شيء، فأسلموا جميعا ورجع الطفيل فكان مع النبي ﷺ حتى مات.

فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين فجاهد ثم خرج إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو فقتل الطفيل باليمامة وخرج ابنه عمرو وقطعت يده، ثم استبل وصحت يده، فبينما هو عند عمر بن الخطاب إذ أتى بطعام فتنحى عنه، فقال عمر: ما لك لعلك تنحيت لمكان يدك؟ قال: أجل، قال: والله لا أدوقه حتى تسوطه، فوالله ما فى القوم أحد بعضه فى الجنة غيرك. ثم خرج عام اليرموك فى خلافة عمر مع المسلمين فقتل شهيدا^(١).

٦٦- ضماد الازدى [من أزد شنوءة]

عن ابن عباس أن ضمادا قدم مكة، وكان من أزد شنوءة، وكان يرقى من الريح، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمدا مجنون فقال: لو أنى رأيت هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي.

قال: فلقية فقال: يا محمد إني أرقى من الريح، وإن الله يشفى على يدي من شاء، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد».

قال: فقال: أعد علىّ كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات،

(١) انظر. «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٤ / ١٧٥).

فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، لقد بلغن قاموس البحر، هات يدك أبياعك على الإسلام، فبايعه، فقال رسول الله ﷺ: «وعلى قومك» فقال: وعلى قومي، فبعث رسول الله ﷺ سرية فمروا بقومه فقال صاحب الجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئا؟ فقال رجل: أصبت منهم مطهرة، فقال: ردها فإن هؤلاء قوم ضمام^(١). انفرد بإخراجه مسلم.

٦٧- أبو رهم كلثوم بن الحصين الغفاري رحمته الله

قال محمد بن سعد: أسلم أبو رهم بعد قدوم النبي ﷺ المدينة وشهد معه أحدا ورمى يومئذ بسهم فوق في نحره، فجاء إلى رسول الله ﷺ فبصق عليه فبرئ، فكان يسمى المنحور.

قال: وقال محمد بن عمر: وبينما رسول الله ﷺ يسير من الطائف إلى الجعرانة، وأبو رهم إلى جنبه على ناقة له وفي رجليه نعلان له غليظان، إذ زحمت ناقته ناقة رسول الله ﷺ، قال أبو رهم: فوقع حرف نعلي على ساقه فأوجعه، فقال رسول الله ﷺ: «أوجعتني، أخرّ رجلك» وقرع رجلى بالسوط، فأخذني ما تقدم وما تأخر وخشيت أن ينزل في قرآن لعظيم ما صنعت.

فلما أصبحنا بالجعرانة خرجت أرعى الظهر، وما هو يومي، فرقا أن يأتي النبي ﷺ رسول يطلبني، فلما رocht الركاب سألت فقالوا: طلبك النبي ﷺ، فقلت: إحداهن والله، فجنّته وأنا أترقب فقال: «إنك أوجعتني برجلك فقرعتك بالسوط فأوجعتك، فخذ هذه الغنم عوضا من ضربتي».

قال: فرضاه عني كان أحب إليّ من الدنيا وما فيها.

قال: وبعثه رسول الله ﷺ إلى قومه يستنفرهم حين أراد تبوكًا.

٦٨- وهب بن قابوس المزني

قال محمد بن سعد: أقبل وهب بن قابوس ومعه ابن أخته الحارث بن عقبة بغنم لهما من

(١) صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب الجمعة» حديث (٨٦٨) باب (١٣) تخفيف الصلاة والخطبة.

(٦٧) هو: كلثوم بن الحصين بن عبيد بن خلف بن بدر بن أحيمس بن غفار بن مُكَيْل بن حمزة، استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة مرتين، مرة في عمرة القضاء، ومرة عام الفتح.

(٦٨) هو: وهب بن قابوس المزني، قدم من أرض مزينة مع ابن أخيه الحارث بن عقبة بن قابوس بغنم لهما إلى المدينة فوجداها خلوا فسالّا: أين الناس؟ فقيل: بأحد تقاتل المشركين فأسلما.

جبل مزينة فوجدا المدينة خالية فسألوا أين الناس؟ فقالوا: بأحد، خرج رسول الله ﷺ يقاتل المشركين، فقالوا: لا نسأل أثرًا بعد عين، فأسلمنا، ثم خرجا فأتيا النبي ﷺ بأحد فإذا الدولة للمسلمين فأغاروا مع المسلمين في النهب، وقاتلا أشد القتال، وكانت قد انفردت فرقة من المشركين فقال النبي ﷺ: من لهذه الفرقة؟ فقال وهب: أنا، فرماهم بالنبل حتى انصرفوا ثم رجع، فانفردت أخرى فقال النبي ﷺ: من لهذه؟ فقال المزني: أنا فقام فذبحها بالسيف حتى ولوا ورجع المزني، ثم طلعت كتيبة أخرى فقال: من يقوم لهؤلاء؟ فقال المزني: أنا، فقال: قم وأبشر بالجنة، فقام المزني مسرورا يقول: والله لا أقيلا ولا أستقيلا، فجعل يقوم فيهم فيضرب بالسيف حتى يخرج من أقصاهم، حتى قتلوه ومثلوا به، ثم قام ابن أخته الحارث فقاتل كنهو قتاله حتى قُتل، فوقف عليهما رسول الله ﷺ وهما مقتولان فقال: «رضى الله عنك فإنني عنك راض» يعنى وهبا، ثم قام على قدميه وقد نال ما ناله من الجرح وإن القيام ليشق عليه، فلم يزل قائما حتى وضع المزني في لحده، فكان عمر وسعد بن مالك يقولان: ما حالٌ نموت عليها أحب إلينا من أن نلقى الله على حال المزني.

٦٩- حنظلة بن أبي عامر الراهب

وكان أبوه - أبو عامر - يسأل عن ظهور رسول الله ﷺ ويستوصف صفته الأخبار ويلبس المسوح ويترب، فلما بعث رسول الله ﷺ حسده فلم يؤمن به، وكان ابنه حنظلة من خيار المسلمين، استأذن رسول الله ﷺ أن يقتل أباه فنهاه عن قتله.

وتزوج حنظلة جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول، فأدخلت في الليلة التي في صبيحتها كان قتال أحد، وكان قد استأذن رسول الله ﷺ أن يبيت عندها فأذن له، فلما أسفر الصبح غدا يريد رسول الله ﷺ بأحد ثم مال إلى جميلة فأجنب منها، وكانت قد أرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه دخل بها، فقبل لها في ذلك فقالت: رأيت كأن السماء قد فُرجت له فدخل فيها ثم أطبقت، فقلت هذه الشهادة، وعلقت بعبد الله بن حنظلة.

وأخذ حنظلة سلاحه فلحق بالنبي ﷺ وهو يسوى الصفوف فلما انكشف المسلمون اعترض حنظلة لأبي سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فوقع أبو سفيان، فحمل رجل منهم على حنظلة فأنفذه بالرمح، فقال رسول الله ﷺ: «إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة»^(١).

(١) صحيح: أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٣٣).

قال أبو أسيد الساعدي: فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته أنه خرج وهو جنب، فولده يقال لهم «بنو غسيل الملائكة».

٧٠- حذيفة بن اليمان

يكنى أبا عبد الله، رضي الله عنه، واسم اليمان: حسيل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جزوة، وقيل جزوة هو اليمان.

خرج حذيفة وأبوه فأخذهما كفار قريش فقالوا: إنكما تريدان محمدا، فقالا: ما نريد إلا المدينة، فأتيا رسول الله ﷺ فأخبراه وقالا: إن شئت قاتلنا معك، قال: بل نفى ونستعين الله عليهما، فقاتهما بدر، وشهد حذيفة أحدا وما بعدها.

عن أبي إدريس الخولاني قال: سمعت حذيفة يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني.

وعن أبي عمار، عن حذيفة قال: إن الفتنة تعرض على القلوب فأى قلب أنس بها نكتت فيه نكتة سوداء فإن أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، فمن أحب منكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا فلينظر، فإن كان يرى حراما كان يراه حلالا أو يرى حلالا كان يراه حراما فقد أصابته الفتنة.

وعن إبراهيم بن همام، عن حذيفة قال: ليأتين على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغريق.

وعن ساعدة بن سعد، عن حذيفة أنه كان يقول: ما من يوم أقر لعيني ولا أحب لنفسي من يوم أتى أهلى فلا أجد عندهم طعاما ويقولون ما نقدر على قليل ولا كثير، وذلك أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى أشد حمية للعبد من الدنيا، من المريض أهله الطعام، والله تعالى أشد تعاهدا للمؤمن بالبلاء من الوالد لولده بالخير»^(١).

ذكر ولاية حذيفة:

عن ابن سيرين قال: كان عمر بن الخطاب إذا بعث أميرا كتب إليهم: إني قد بعثت إليكم فلانا وأمرته بكذا وكذا، فاسمعوا له وأطيعوا، فلما بعث حذيفة إلى المدائن كتب إليهم: إني قد بعثت إليكم فلانا فأطيعوه، فقالوا هذا رجل له شأن، فركبوا ليلتقوه فلقوه على بغل تحته إكاف، وهو معترض عليه، رجلا من جانب واحد، فلم يعرفوه فأجازوه.

فلقيهم الناس فقالوا: أين الأمير؟ قالوا: هو الذى لقيتم، قال: فركضوا فى أثره، فأدركوه

(١) انظر «مجمع الزوائد» (١٠ / ٢٨٥)، «الجامع الكبير» (٤٦٧٩) وأبو نعيم فى «الحلية» (٩٢٩).

من لم يشهد بدرًا وله إسلام قديم

وفى يده رغيف وفى الأخرى عرق وهو يأكل، فسلموا عليه فنظر إلى عظيم منهم فناولوه العرق والرغيف قال: فلما غفل ألقاه، وقال: أعطاه خادمه.

وفى رواية أخرى عن ابن سيرين: أن حذيفة كان راكبا على حمار له إكاف، وبيده رغيف وعرق من لحم فقالوا: سلنا ما شئت، فقال: أسألكم طعاما آكله وعلفنا لحمارى هذا ما دمت فيكم، فأقام ما شاء الله، ثم كتب إليه عمر أن أقدم، فقدم فلما بلغ عمر قدومه كمن له على الطريق فى مكان لا يراه، فلما رآه على الحال التى خرج من عنده عليها أتاه فالتزمه وقال: أنت أخى وأنا أخوك^(١).

عن ابن سيرين قال: إن حذيفة لما قدم المدائن قدم على حمار له إكاف وبيده رغيف وعرق، وهو يأكل على الحمار.

عن طلحة بن مصرف مثله وزاد: وهو سادل رجله من جانب.

ذكر نبذة من كلامه:

عن يوسف بن أسباط، عن سفيان قال: قال حذيفة: إن الرجل ليدخل المدخل الذى يجب أن يتكلم فيه لله، ولا يتكلم، فلا يعود قلبه إلى ما كان أبدا، قال يوسف: فحدثت به أبا إسحاق الفزاري حين قدم من عند هارون فبكى ثم قال: أنت سمعت هذا من سفيان؟
عن عمارة بن عبد عن حذيفة قال: إياكم ومواقف الفتن، قيل وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدق به بالكذب ويقول ما ليس فيه.
وعن أم سلمة قالت: قال حذيفة: والله لوددت أن لى إنسانا يكون فى مالى ثم أغلق على بابا فلا يدخل على أحد [حتى] ألحق بالله عز وجل (أم سلمة: هى أم موسى بن عبد الله).
وعن الأعمش قال: بكى حذيفة فى صلاته، فلما فرغ التفت فإذا رجل خلفه فقال: لا تعلمن بهذا أحدا.

ذكر وفاة حذيفة رضي الله عنه (٢):

عن زياد، مولى ابن عياش، قال: حدثني من دخل على حذيفة فى مرضه الذى مات فيه فقال: لولا أنى أرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به، اللهم إنك تعلم أنى كنت أحب الفقر على الغنى، وأحب الذلة على العز، وأحب الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، ثم مات رحمه الله.

(١) انظر «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧/ ٣١٧) و «حلية الأولياء».

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٣).

وعن أبي وائل قال: لما ثقل حذيفة أتاه أناس من بنى عبس فأخبرني خالد بن الربيع العبسي قال: أتيناوه وهو بالمداثن حين دخلنا عليه جوف الليل فقال لنا: أى ساعة هذه؟ قلنا: جوف الليل أو آخر الليل، فقال: أعوذ بالله من صباح إلى النار، ثم قال: أجئتم معكم بأكفان؟ قلنا: نعم، قال: فلا تغالوا بكفاني فإنه إن يكن لصاحبكم عند الله خير فإنه يبدل بكسوته كسوة خيرا منها وإلا يسلب سلبا.

وعن أبي إسحاق أن صلة بن زفر حدثه: إن حذيفة بعثنى وأبا مسعود فابتعنا له كفنا حلة قصب بثلاثمائة درهم، قال: أرياني ما ابتعثما لى، فأريناه فقال: ما هذا لى بكفن إنما يكفنتى ريطتان بيضاوان ليس معهما قميص، فإني لا أترك إلا قليلا حتى أبدل خيرا منهما، فابتعنا له ريطتين بيضاوين.

قال أهل السير: مات حذيفة بعد قتل عثمان رضي الله عنه بأشهر.

٧١- أبو الدحداح ثابت بن الدحداح رضي الله عنه

شهد أحدا وقتل يومئذ - روى الواقدي عن عبد الله بن عامر قال: قال ثابت بن الدحداح يوم أحد والمسلمون أوزاع: يا معشر الأنصار، إلىّ إلىّ، إن كان محمد قد قُتل فإن الله حى لا يموت، فقاتلوا عن دينكم، فنهض إليه نفر من الأنصار فجعل يحمل بمن معه وقد وقفت له كتيبة خشناء فيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة، فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فأنفذه فوق ميتا وقتل من كان معه.

قال الواقدي: وبعض أصحابنا من رواة العلم يقولون: إنه برئ من جراحه ومات على فراشه من جرح كان أصابه، وانتقص عليه مرجع رسول الله صلّى الله عليه وآله من الحديدية.

وعن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ (البقرة: ٢٤٥) قال أبو الدحداح الأنصارى: وإن الله ليريد منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح، قال: أرني يدك يا رسول الله، قال: فنأوله رسول الله يده، قال: فإني قد أقرضت ربى حائطى، قال: وحائطه له فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها، قال: فجاء أبو الدحداح فنأدى: يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: اخرجى من الحائط فقد أقرضته ربى عز وجل.

وفى رواية أخرى أنها لما سمعته يقول ذلك عمدت إلى صبيانها تخرج ما فى أفواههم وتنفض ما فى أكمامهم، فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «كم من عذق رداح فى الجنة لأبى الدحداح»^(١).

(١) صحيح: أخرجه مسلم فى «الجنائز» حديث (٩٦٥) باب (٣٧) نهى النساء عن اتباع الجنائز وغسل الميت.

وعن أنس أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لفلان نخلة، وإن قوام حائطي بها فأمره أن يعطيني إياها حتى أقيم بها حائطي، فقال النبي ﷺ: أعطها إياه بنخلة في الجنة، فأبى، فأتى أبو الدحداح الرجل فقال: بعني نخلتك بحائطي، ففعل، فأتى أبو الدحداح النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني ابتعت النخلة بحائطي فاجعلها له فقد أعطيتكها، فقال النبي ﷺ: «كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة» قالها مرارا، فأتى أبو الدحداح امرأته فقال: يا أم الدحداح، اخرجي من الحائط فقد بعته بنخلة في الجنة، فقالت: ربح البيع، ربح البيع، أو كلمة تشبهها^(١).

٧٢- خبيب بن عدي بن مالك

شهد أحدا مع النبي ﷺ وكان فيمن بعثه رسول الله ﷺ مع بني لحيان، فأسروه هو وزيد بن دثنة، فباعوهما من قريش فقتلوهما وصلبوهما بمكة بالتنعيم.

وروى البخاري من حديث أبي هريرة، قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة عينا فأمروهم عاصم بن ثابت، حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل، يقال لهم بنو لحيان، فنفروا إليهم بقريب من مائة رجل رام فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلمهم التمر في منزل نزلوه فقالوا: تمر يثرب، فاتبعوا آثارهم، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجثوا إلى موضع، فأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدا، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فرماهم بالنبل فقتلوا عاصما في سبعة، ونزل إليهم نقر على العهد والميثاق، منهم: خبيب، وزيد بن الدثنة، ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، فوالله لا أصحابكم، إن لى بهؤلاء أسوة، يريد القتلى، فجروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبا، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيرا حتى أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحذ بها فأعارته، فدرج بنى لها وهى غافلة حتى أتاه فوجدته مُجْلِسَهُ على فخذه والموسى بيده، قالت: ففزعت فزعة عرفها خبيب فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك، قالت والله ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب، والله لقد وجدته يوما يأكل قطفا من عنب فى يده وإنه لموثق بالحديد وما

بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبا، فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل، قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين وقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لذت، اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تبق منهم أحدا. وقال:

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلوي ممزع

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله، وكان خبيب هو سن لكل مسلم قُتل صبْرًا الصلاة^(١).

وأبو سروعة أسلم وروى الحديث عن رسول الله ﷺ، وأخرج له البخاري في الصحيح ثلاثة أحاديث.

وقال سعيد بن عامر بن حذيم: شهدت مصرع خبيب وقد بضعت قريش لحمه، ثم حملوه على جذعة فقالوا: أتحب أن محمدا مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمداً شيك بشوكة، ثم نادى: يا محمد.

عن إبراهيم بن إسماعيل قال: أخبرني جعفر بن عمرو بن أمية، عن أبيه أن رسول الله ﷺ بعثه وحده عينا إلى قريش، قال: فجئت إلى خشبة خبيب وأنا أتخوف العيون فرقيت فيها فحللت خبيبا فوقع إلى الأرض فانتبذت عنه غير بعيد ثم التفت فلم أر خبيبا ولكأنما ابتلعتة الأرض فلم ير لخبيب أثر حتى الساعة.

وقد روى عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال: كنت فيمن حضر قتل خبيب فلقد رأيت أبا سفيان حين دعا خبيب فقال: اللهم أحصهم عددا، يلقيني إلى الأرض فزعا من دعوة خبيب، وكان يقولون: إن الرجل إذا دُعِيَ عليه فاضطجع زالت عنه الدعوة.

٧٣- أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد

عم أنس بن مالك

شهد أحدا وقتل يومئذ، قال الواقدي لما جال المسلمون يوم أحد تلك الجولة ونادى

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «الجهاد والسير» حديث (٣٠٤٥) باب (١٧٠) هل يستأسر الرجل؟ ومن يستأسر ومن ركع ركعتين عند القتل.

(٧٣) هو: أنس بن النضر بن ضمضم، بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار، انظر «أسد الغابة» (١/ ١٨٢) رقم (٢٦٣).

إيليس: قتل محمد، مر أنس بن النضر يقاتل فرأى عمر ومعه رهط فقال: ما يقعدكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه، ثم جال بسيفه حتى قتل.

وعن أنس أن عمه غاب عن بدر فقال: غبت عن أول قتال قاتله النبي ﷺ، لئن أشهدني الله مع النبي ﷺ ليرين الله ما أفعل، فلقى يوم أحد فهُزم الناس فقال: اللهم إني أعترز إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين، وأبرأ إليك مما جاء به المشركون، فتقدم بسيفه فلقى سعد بن معاذ فقال: إلى أين يا سعد؟ إني أجد ريح الجنة دون أحد، فمضى فقتل فما عُرف حتى عرفته أخته بشامة أو بينانه، وبه بضع وثمانون من بين طعنة وضربة ورمية بسهم. أخرجاه في الصحيحين.

وعن أنس أن الربيع بنت النضر عمته لطمت جارية فكسرت سنها فعرضوا عليهم الأرش فأبوا فطلبوا العفو، فأتوا النبي ﷺ فأمرهم بالقصاص فجاء أخوها أنس بن النضر فقال: يا رسول الله أنكسر سن الربيع؟ والذي بعثك بالحق لا تكسر سنها، قال: يا أنس كتاب الله القصاص، فعفا القوم، فقال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»^(١) أخرجه البخاري عن الأنصاري.

٧٤- البراء بن مالك

ابن النضر بن ضمضم، أخو أنس بن مالك لأبيه ولأمه، شهد أحدا وما بعدها مع رسول الله ﷺ وكان شجاعا قتل مائة مبارزة.

قال ابن سيرين: كتب عمر: لا تستعملوا البراء على جيش من جيوش المسلمين فإنه مهلكة يقدم بهم.

وقال أنس بن مالك: ركب البراء فرسا يوم اليمامة ثم قال: أيها الناس، إنها والله الجنة وما لى إلى المدينة سبيل، فمصع فرسه مصعات، ثم كبس وكبس الناس معه، فهزم الله المشركين فكانت في مدينتهم ثلثة.

وعن محمد بن سيرين أن المسلمين انتهوا إلى حائط قد أغلق باب فيه رجال من المشركين، فجلس البراء بن مالك على ترس وقال: ارفعوني برماحكم فآلقوني إليهم، ففعلوا، فأدركوه وقتل منهم عشرة.

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «الجهاد» حديث (٢٨٠٦) باب (١٢) قول الله عز وجل ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا﴾.

وعن أنس بن مالك قال: استلقى البراء بن مالك على ظهره ثم ترنم، فقال له أنس: أي أخي، تغني؟ إلى متى هذا؟ فاستوى جالسا فقال: أتراني أموت على فراشي وقد قتلت مائة من المشركين مبارزة سوى من شاركت في قتله^(١).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك»^(٢) وإن البراء لقي زحفا من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين فقالوا له: يا براء إن رسول الله ﷺ قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرك فأقسم على الله، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم فمُنحوا أكتافهم، ثم التقوا على قنطرة السوس، فأوجعوا في المسلمين فقالوا: أقسم يا براء على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبي ﷺ، فمُنحوا أكتافهم وقُتل البراء شهيدا.

وفي رواية أخرى: لما كان يوم تستر انكشف المسلمون فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك ﷺ فاستشهد.

٧٥- ثابت بن قيس بن شماس

كان خطيب رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يقول: «نعم الرجل ثابت بن قيس»^(٣) فلما كان يوم اليمامة انهزم المسلمون، فقال ثابت، أف لهؤلاء ولما يعبدون، ولهؤلاء ولما يصنعون، يا معشر الأنصار خلو ثنيتي لعل أصلي بحرّها ساعة، قال: ورجل قائم على ثلثة فقتله وقتل.

وعن أنس أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنط ولبس ثوبين أبيضين يكفن فيهما وقد انهزم القوم، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، ثم قال: بئس ما عودكم أقرانكم منذ اليوم، خلوا بيننا وبينهم ساعة، فحمل فقاتل حتى قُتل.

(١) ضعيف: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٧ / ١٧) وفيه أبو سهل البصري - ضعيف، وقيل: متروك، قاله مسلم، وابن المبارك، وعمرو بن علي وغيرهم، انظر «تحرير تقريب التهذيب» (٣ / ٢٤٥).

(٢) حسن: أخرجه الترمذي في «المناقب» حديث (٣٨٥٤) باب (٥٥) مناقب البراء بن مالك رضي الله عنه.
(٧٥) هو: ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك، أمه امرأة من طيء، يكنى: أبا محمد بابنه محمد، وقيل: عبد الرحمن.

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي في «كتاب المناقب» حديث (٣٧٩٥) باب (٣٣) مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت وأبي، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم.

٧٦- أبو الدرداء عويمر بن زيد

وقيل: ابن عامر

وفى اسمه خلاف قد ذكرته فى كتاب التلقيح، ويختلفون هل شهد أحدا أم لا؟ وقد شهد مع رسول الله ﷺ مشاهد كثيرة وولاه عمر بن الخطاب القضاء بدمشق.

عن معاوية بن قرة قال: قال أبو الدرداء: اطلبوا العلم، فإن عجزتم فأحبوا أهله، فإن لم تحبوه فلا تبغضوهم.

وعن ميمون بن مهران، قال: قال أبو الدرداء: ويل للذى لا يعلم مرة ولو شاء الله علمه، ويل للذى يعلم ولا يعمل، سبع مرات.

وعن أبى وائل قال: قال أبو الدرداء: إني لأمركم بالأمر وما أفعله ولكنى أرجو فيه الأجر، وإن أبغض الناس إلى أن أظلمه من لا يستعين على إلا الله.

عن سالم بن أبى الجعد، عن أم الدرداء، قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة^(١).

وعن عون، هو ابن عبد الله، قال: سألت أم الدرداء: ما كان أفضل عمل أبى الدرداء؟ قالت: التفكير والاعتبار، رواهما الإمام أحمد^(٢).

وعن الضحاك قال: قال أبو الدرداء: يا أهل دمشق، أنتم الإخوان فى الدين، والجيران فى الدار، والأنصار على الأعداء، ما يمنعكم من مودتى، وإنما مؤنتى على غيركم؟ ما لى أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون؟ وأراكم قد أقبلتم على ما تُكْفَلُ لكم به وتركتم ما أمرتم به، ألا إن قوما بنوا شديدا وجمعوا كثيرا وأملوا بعيدا فأصبح بنيانهم قبورا وأملهم غرورا وجمعهم بورا، ألا فتعلموا وعلموا، فإن العالم والمتعلم فى الأجر سواء، ولا خير فى الناس بعدهما.

وعن ابن أبى لیلی قال: كتب أبو الدرداء إلى مسلمة بن مخلد الأنصارى: أما بعد، فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله، فإذا أحبه الله حبيه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، فإذا أبغضه الله بغضه إلى خلقه.

وعن أنس، عن أبى الدرداء، قال: اغد عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تك الرابع فتهلك، قلت للحسن: ما الرابع؟ قال: المبتدع.

(١) أخرجه أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (٦٧١).

(٢) أخرجهما الإمام أحمد فى «الزهد» (ص: ١٦٨) ط. الريان، وأبو نعيم فى «الحلية» (٦٦٩، ٦٧٠).

وعن حبيب بن عبيد أن رجلا أتى أبا الدرداء فقال له: أوصني، فقال له: اذكر الله عز وجل في السراء يذكرك في الضراء، فإذا أشرفت على شيء من الدنيا فانظر إلى ماذا يصير. رواه أحمد.

أنبأ أبو سعيد الكندي عن أخبره عن أبي الدرداء أنه قال: يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم، ومثقال ذرة من بر مع تقوى ودين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين. الحلية لأبي نعيم عن الإمام أحمد^(١).
وعن علي بن حوشب، عن أبي الدرداء قال: أخوف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: أعلمت أم جهلت؟ فإن قلت: علمت، لا تبقى آية أمرة أو زاجرة إلا أخذت بفريضتها الأمرة هل ائتمرت والزاجرة هل ازدجرت؟ فأعوذ بالله من علم لا يتفع ونفس لا تشبع، ودعاء لا يسمع^(٢). رواه الإمام أحمد.

وعن لقمان بن عامر، عن أبي الدرداء قال: إنما أخشى على نفسي أن يقال لي على رءوس الخلائق: يا عويمر، هل علمت؟ فأقول: نعم، فيقال: ماذا عملت فيما علمت؟
وعن سالم، عن أم الدرداء قالت: دخل علينا يوما أبو الدرداء مغضبا فقلت: ما لك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم شيئا من أمر محمد ﷺ إلا أنهم يصلون جميعا.
وعن سالم بن أبي الجعد أن رجلا صعد إلى أبي الدرداء، إلى غرفة له، وهو يلتقط حبا، فقال أبو الدرداء: إن من فقه الرجل رفقته في معيشته.

عن عبد الرزاق قال ابنا معمر عن صاحب له إن أبا الدرداء كتب إلى سليمان: يا أخي اغتنم صحتك وفراغك قبل أن يتزل بك من البلاء ما لا يستطيع العباد رده، واغتنم دعوة المبتلى، يا أخي ليكن المسجد بيتك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المساجد بيت كل تقى، وقد ضمن الله عز وجل لمن كانت المساجد بيوتهم بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله عز وجل» ويا أخي ارحم اليتيم وأدنه وأطعمه من طعامك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول، وأتاه رجل يشتكى قساوة قلبه، فقال رسول الله ﷺ: «أتحب أن يلين قلبك؟» فقال: نعم، قال: «ادن اليتيم منك، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك» يا أخي لا تجمع ما لا تستطيع شكره فإني

(١) صحيح: أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٧١) وأبو نعيم في «الحلية» (٦٨٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» رقم (٧٠٠).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بصاحب الدنيا يوم القيامة الذي أطاع الله عز وجل فيها، وهو بين يدي ماله وماله خلفه وكلما تكفأ به الصراط قال له صاحبه: امض فقد أدبت الحق الذي كان عليك» قال: «ويجاء بالذي لم يطع الله عز وجل فيه وماله بين كتفيه فيعثره ماله ويقول له: ويلك هلا عملت بطاعة الله عز وجل؟ فلا يزال كذلك حتى يدعو بالويل» ويا أخى حدثت أنك اشتريت خادمًا، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال العبد من الله وهو منه ما لم يُخَدَم فإذا خُدِمَ وجب عليه الحساب» وإن أم الدرداء سألتني خادما وأنا يومئذ موسر فكرهت ذلك لما سمعت من الحساب، ويا أخى لا تغترن بصحابة رسول الله ﷺ فإننا عشنا بعده دهرا طويلا، والله أعلم بالذي أصبنا بعده^(١).

وعن جابر قال خطب يزيد بن معاوية إلى أبي الدرداء ابنة أم الدرداء، فقال رجل من جلساء يزيد: أصلحك الله، تأذن لى أن أتزوجها، قال: اعزب ويليك، قال: فأذن لى أصلحك الله، فأذن له، فأنكحها أبو الدرداء الرجل، قال: فسار ذلك فى الناس أن يزيد خطب إلى أبي الدرداء فردّه وخطب إليه رجل من ضعفاء المسلمين فأنكحه، قال: فقال أبو الدرداء: إنى نظرت للدرداء فما ظنكم بالدرداء إذا قامت على رأسها الخصيان، ونظرت فى بيوت يلتمع فيها بصرها أين دينها منها يومئذ؟. رواه الإمام أحمد^(٢).

وروى أيضا من حديث لقمان بن عامر، عن أبي الدرداء قال: معاتبة الأخ خير له من فقده، ومن لك بأخيك كله، أعط أخاك، ولن له، ولا تطع به حاسدا فتكون مثله، غدا يأتيك الموت فيكفيك قتله كيف تبكيه بعد الموت وفى الحياة تركت وصله؟.

وقال: إن ناقدت الناس ناقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك وإن هربت منهم أدركوك، قال: يا أبا الدرداء فما تأمرنى؟ قال: هب عرضك ليوم فقرك، وما تجرع مؤمن جرعة أحب إلى الله عز وجل من غيظ كظمه فاعفوا يعزكم الله.

وقال: إياكم ودعوة اليتيم ودعوة المظلوم فإنها تسرى بالليل والناس نيام.

وقال: ما تصدق مؤمن بصدقة أحب إلى الله عز وجل من موعظة يعظ بها قومه يفترقون قد نفعهم الله عز وجل بها.

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (٧٠٢) وعبد الرزاق فى «المصنف» حديث (٢٩٠٢٠).

(٢) صحيح: أخرجه الإمام أحمد فى «الزهد» (ص: ١٧٥).

وعن حزام بن حكييم قال: قال أبو الدرداء: لو تعلمون ما أنتم راءون بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة، ولا شربتم شرابا على شهوة، ولا دخلتم بيتا تستظلون به، ولخرجتم إلى الصعدات تضربون نفوسكم تبكون على أنفسكم، ولوددت أنى شجرة تعضد ثم تؤكل.

يزيد بن مرثد أبو عثمان عن أبي الدرداء أنه قال: ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر، والإخلاص للتوكل، والاستسلام للرب عز وجل.

وروى أحمد عن فرات بن سليمان أن أبا الدرداء كان يقول: ويل لكل جماع فاجر فاه كأنه مجنون يرى ما عند الناس ولا يرى ما عند الله عز وجل، لو يستطيع لوصل الليل بالنهار، ويله من حساب غليظ وعذاب شديد.

قال، وكان يقول: أحب الموت وتكروهونه، وأحب الفقر وتكروهونه، أين الذين أملوا بعيدا، وجمعوا كثيرا، وبنوا شديدا، فأصبح أملهم غرورا، وأصبح جمعهم بورا، وأصبحت منازلهم قبورا؟.

وفى رواية أخرى: أحب الموت اشتياقا إلى ربي عز وجل، وأحب الفقر تواضعا لربي عز وجل، وأحب المرض تكفيرا لخطيئتي.

وعن ابن جابر قال: كان أبو الدرداء يقول: تبنون شديدا، وتأملون بعيدا، وتموتون قريبا.

وعن محمد بن سعد الأنصاري، عن أبي الدرداء قال: استعيذوا بالله من خشوع النفاق، قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع. رواه الإمام أحمد.

وعن معاوية بن صالح، عن أبي الدرداء قال: إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله فإن كان عمله تبعا لهواه فيومه يوم سوء، وإن كان هواه تبعا لعمله فيومه يوم صالح.

وعن عبد الرحمن بن محمد المحاربي، قال: بلغني أن أبا الدرداء كتب إلى أخ له: أما بعد، فلست في شيء من أمر الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وهو صائر له أهل بعدك، وليس لك منه إلا ما قدمت لنفسك فأثرها على المصلح من ولدك فإنك تقدم على من لا يعذك وتجمع لمن لا يحمدك، وإنما تجمع لواحد من اثنين: إما عامل فيه بطاعة الله - عز وجل - فيسعد بما شقيت، وإما عامل فيه بمعصية الله عز وجل فيشقى بما جمعت له، وليس - والله -

واحد منهما بأهل أن تُبرَدَ له على ظهرك وأن تؤثره على نفسك، ارجُ لمن مضى منهم رحمة الله وثق لمن بقى منهم برزق الله عز وجل والسلام. من الحلية^(١).

وعن محمد بن يزيد الرحبي قال: قيل لأبي الدرداء: ما لك لا تُشعر، فإنه ليس رجل له بيت في الأنصار إلا وقد قال شعرا؟ قال وأنا قد قلت، فاسمعوا:

يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا _____ أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفادا^(٢)

وعن يحيى بن سعيد، قال: قال أبو الدرداء: أدركت الناس ورقا لا شوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورقة فيه، إن نقدتهم نقدوك، وإن تركتهم لا يتركوك، قالوا: فكيف نصنع؟ قال: تقرضهم من عرضك ليوم ففرك.

وعن قتادة قال: قال أبو الدرداء: ابن آدم، طأ الأرض بقدم، فإنها عن قليل تكون قبرك، ابن آدم إنما أنت أيام فكلما ذهب يوم ذهب بعضك، ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك من يوم ولدتك أمك.

وعن روح بن الزبرقان، قال: قال أبو الدرداء: ما من أحد إلا وفي عقله نقص عن حلمه وعلمه، وذلك أنه إذا أتته الدنيا بزيادة في مال ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان في هدم عمره لا يحزنه ذلك، ضل ضلاله ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص؟.

وعن جبير بن نقيير قال: لما فتحت قبرس فُرقَ بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء جالسا وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء، ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا تركوا أمره، بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فرأيتهم كما نرى.

وعن شرحبيل، أن أبا الدرداء كان إذا رأى جنازة قال: اغدوا فإننا رائحون، وروحوا فإننا غادون، موعظة بليغة، وغفلة سريعة، كفى بالموت واعظا، يذهب الأول فالأول ويبقى الآخر لا حلم له.

عن الأوزاعي، وعن بلال بن سعيد أنه سمعه يقول: كان أبو الدرداء يقول: اللهم إني أعوذ بك من تفرقة القلب، قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يوضع في كل واد مال.

(١) انظر «حلية الأولياء» رقم (٧٠٨).

(٢) انظر «حلية الأولياء» رقم (٧٥٩).

وعن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء، قال: إن الذين ألسنتهم رطبة بذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك.

وعن حسان بن معطية أن أصحابا لأبي الدرداء تضيفوه، فضيفهم، فمنهم من بات على ثيابه كما هو، فلما أصبح غدا عليهم فعرف ذلك منهم فقال: إن لنا دارا لها نجمع وإليها نرجع.

وعن محمد بن كعب أن ناسا نزلوا على أبي الدرداء ليلة قرّة فأرسل إليهم بطعام سخن ولم يرسل إليهم بلحف، فقال بعضهم: لقد أرسل إلينا بالطعام فما هنأنا مع القر، لا أنتهى أو أبين له، قال الآخر: دعه، فأبى فجاء حتى وقف على الباب رآه جالسا وامراته ليس عليها من الثياب إلا ما لا يذكر، فرجع الرجل وقال: ما أراك بت إلا بنحو ما بتنا به، قال: إن لنا دارا ننتقل إليها قدمنا فرشنا ولحفنا إليها، لو ألفت عندنا منه شيئا لأرسلنا إليك به، وإن بين أيدينا عقبة كئودا، المخف فيها خير من المثقل، أفهمت ما أقول لك؟ قال: نعم. رواه الإمام أحمد^(١).

وعن أبي قلابة أن أبا الدرداء مر على رجل قد أصاب ذنبا فكانوا يسبون، فقال: أرايتم لو وجدتموه فى قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى، قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله عز وجل الذى عافاكم، قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخى. رواه الطبرانى.

وعن سليم بن عامر، عن أبي الدرداء، قال: نعم صومعة المرء المسلم بيته، يكف لسانه وفرجه وبصره، وإياكم ومجالس الأسواق فإنها تلهى وتلغى.

ذكر وفاة أبي الدرداء رضي الله عنه:

عن معاوية بن قرّة أن أبا الدرداء اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا: ما تشكى؟ قال: أشتكى ذنوبى، قالوا: فما تشتهى؟ قال: أشتهى الجنة، قالوا: أفلا ندعو لك طبيبا؟ قال: هو الذى أضجعتنى.

عن لقمان بن عامر، عن أم الدرداء أنها قالت: اللهم إن أبا الدرداء خطبنى فتزوجنى فى الدنيا، اللهم فانا أخطبه إليك، فأسألك أن تزوجنيه فى الجنة، فقال لها أبو الدرداء: فإن أردت ذلك وكنت أنا الأول فلا تزوجى بعدى، قال: فمات أبو الدرداء، وكان لها جمال وحسن،

(١) صحيح: أخرجه الإمام أحمد فى «الزهد» (ص: ١٧١).

(٢) صحيح: أخرجه أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (٧٥٧).

من لم يشهد بدرًا وله إسلام قديم

فخطبها معاوية فقالت: لا والله لا أتزوج زوجا فى الدنيا حتى أتزوج أبا الدرداء، إن شاء الله عز وجل، فى الجنة.

عمر بن ميمون بن مهران عن أبيه قال: قالت أم الدرداء لأبى الدرداء: إن احتجت بعدك أآكل الصدقة؟ قال: لا، اعملى وكلى، قالت: فإن ضعفت عن العمل، قال: التقطى السنبُل ولا تأكلى الصدقة.

عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء أن أبا الدرداء لما احتضر جعل يقول: من يعمل لمثل يومى هذا؟ من يعمل لمثل ساعتى هذه؟ من يعمل لمثل مضجعى هذا؟ ثم يقول: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الأنعام: ١١٠).

عن إسماعيل بن عبيد الله: أن أبا مسلم قال: جثت أبا الدرداء: وهو وجود بنفسه فقال: ألا رجل يعمل لمثل مصرعى هذا؟ ألا رجل يعمل لمثل ساعتى هذه؟ ثم قبض رحمه الله.

وعن عوف بن مالك الأشجعى قال: رأيت فى المنام كأنى أتيت مرجا أخضر، فيه قبة من آدم، حولها غنم ربوض تجتر وتبعر العجوة، فقلت: لمن هذه؟ فقليل: لعبد الرحمن بن عوف، فانتظرت حتى خرج من القبة فقال: يا عوف بن مالك، هذا ما أعطانا الله عز وجل بالقرآن، ولو أشرفت على هذه الثنية لرأيت ما لم تر عينك وسمعت ما لم تسمع أذنك ولم يخطر على قلبك، أعده الله عز وجل لأبى الدرداء لأنه كان يدفع الدنيا بالراحتين والنحر.

عن محمد بن سعد قال: أخبرنا الواقدى توفى أبو الدرداء بدمشق سنة اثنتين وثلاثين فى خلافة عثمان، وله عقب بالشام.

وأخبرنى غير الواقدى، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، قال: توفى أبو الدرداء بالشام سنة إحدى وثلاثين.

٧٧- عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام السلمى

شهد أحدا، وله من الولد: معاذ، ومعوذ وخلاد، شهدوا بدرًا، وقتل عمرو بن الجموح هو وابنه خلاد يوم أحد.

عن عكرمة أن عمرو بن الجموح كان منافٍ فى بيته، يعنى صنما، فلما قدم مصعب بن

(٧٧) هو: عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة الخزرجى الأنصارى، والد معاذ ومعوذ وخلاد وعبد الرحمن وهند «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٥٧) ترجمة (٤٩).

عمير المدينة يعلم الناس القرآن بعث إليهم عمرو: ما هذا الذي جئتمونا به؟ فقالوا: إن شئت جئناك فأسمعناك، فواعدهم يوماً فقرأوا عليه: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (يوسف: ١، ٢) فقال: إن لنا مؤامرة في قومنا، وكان سيد بنى سلمة، قال: فخرجوا فدخل على مناف فقال: يا مناف تعلم والله ما يريد القوم غيرك فهل عندك من نكير؟ فقلده السيف وخرج لحاجته، فقام أهله، فأخذوا السيف فلما رجع دخل عليه فلم ير السيف فقال: أين السيف ويحك؟ والله إن العنز ل تمنع إستها والله ما أرى في أبى جعار غدا من خير ثم قال: إني ذاهب إلى مالى بعلياء المدينة فاستوصوا بمناف خيراً، فإنى أكره أن أرى له يوم سوء، فذهب فأخذه فربطوه وكسروه وربطوه إلى جنب كلب ميت وألقوه فى بئر، فلما جاء قال: كيف أنتم؟ قالوا: بخير يا سيدنا، وسع الله عز وجل فى منازلنا، وطهر بيوتنا من الرجس، قال: والله إنى لأراكم قد أسأتم خلافتى فى مناف، قالوا: هو ذاك انظر إليه فى جنب البئر، فأشرف فإذا هم قد ربطوه إلى جنب كلب، فبعث إلى قومه فجاءوا فقال: ألستم على ما أنا عليه؟ قالوا: بلى أنت سيدنا، قال: فإنى أشهدكم أنى قد آمنت بما أنزل على محمد صلّى الله عليه وآله. فلما كان يوم أحد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: قوموا بنا إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، فقام وهو أعرج فقال: والله لأحفرن عليها فى الجنة فقاتل حتى قتل (١). وفى رواية أخرى أنه لما رأى صمته فى البئر أنشأ يقول:

الحمد لله العلى ذى المنن الواهب الرزاق ديان الدين
هو الذى أنقذنى من قبل أن أكون فى ظلمة قبر مرتهن
والله لو كنت إلها لم تكن أنت وكلب وسط بئر فى قرن

فالآن فتشناك عن شر الغبن (٢)

وعن جابر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «يا بنى سلمة من سيدكم الأبيض عمرو بن الجموح؟» (٣). على أننا نبخله، قال: وأى داء أدوأ من البخل؟ بل سيدكم الأبيض عمرو بن الجموح (٣). محمد بن سعد قال: أنبأ الواقدي لم يشهد عمرو بدرًا، وكان أعرج، فلما أراد رسول الله صلّى الله عليه وآله الخروج إلى أحد منعه بنوه وقالوا: قد عذرك الله، فأتى النبي صلّى الله عليه وآله فقال: إن بنى

(١) صحيح: أخرجه مسلم فى «الإمارة» حديث (١٩٠١) باب (١) ثبوت الجنة للشهيد.

(٢) انظر: «أسد الغابة» (٢٠٧، ٢٠٨).

(٣) حسن أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» حديث (٢٩٦).

يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك، والله أنى لأرجو أن أظأ بعرجتى هذه فى الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك، ثم قال لبنيه، لا عليكم أن لا تمتنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة، فخلوا عنه».

قالت امرأته هند بنت عمرو بن حرام: كأتى أنظر إليه موليا وقد أخذ درقته وهو يقول: اللهم لا تردنى إلى أهل حزبي، وهى منازل بنى سلمة.

قال أبو طلحة فنظرت إلى عمرو حين انكشف المسلمون ثم تابوا، وهو فى الرعيل الأول لكأتى أنظر إلى ظلع فى رجله يقول: أنا والله مشتاق إلى الجنة، ثم أنظر إلى ابنه خلاد يعدو فى أثره حتى قُتلا جميعًا.

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح، وعبد الله ابن عمرو بن حرام الأنصارين كان السيل قد خرب قبرهما وكسانا فى قبر واحد وهما ممن استشهد يوم أحد، فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما، فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأعطيت يده عن جرحه ثم أرسلت فعادت كما كانت، وكان بين أحد ويوم حفر عنهما ست وأربعون سنة - (رضي الله عنهما) -.

٧٨- أبو قتادة الحارث بن ربعي (رضي الله عنه)

شهد أحدا وما بعدها من المشاهد، وكان من الفرسان المذكورين ودعا له رسول الله ﷺ فقال: «اللهم بارك له فى شعره ويشره»^(١) فتوفى وهو ابن سبعين سنة، وكأنه ابن خمس عشرة سنة، وبصق رسول الله ﷺ على جرح كان به، قال: فما ضرب على قط ولا قاح، وتوفى بالمدينة سنة أربع وخمسين، وقيل بالواقفة.

٧٩- جابر بن عبد الله بن عامر بن حرام

يكنى أبا عبد الله، شهد العقبة مع السبعين وكان أصغرهم يومئذ، أراد شهود بدر فخلفه أبوه على أخواته - وكن تسعا - وخلفه أيضا يوم أحد، ثم شهد ما بعد ذلك.

عن جابر قال^(٢): أقبلت غير يوم الجمعة ونحن مع رسول الله ﷺ فانقتل الناس فلم

(١) ضعيف: أخرجه الحاكم فى «المستدرک» حديث (٦٠٣٢).

(٢) حسن: أخرجه الشاشى فى «المسند» حديث (٦١٧) فى مناقب أبى عبيدة بن الجراح وغيره.

يبقى مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً أنا فيهم، فأنزل الله عز وجل ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ (الجمعة: ١١).

توفي جابر سنة ثمان وسبعين بالمدينة بعد أن ذهب بصره.

٨٠- زيد بن الدثنة بن معاوية رضي الله عنه

شهد أحداً، واستؤسر يوم الرجيع مع خبيب بن عدي فباعوهما من قريش، فقتلا بمكة، وكان الذي ابتاع زيداً صفوان بن أمية فقتله بأبيه، فحضره نفر من قريش فيهم أبو سفيان فقال قائل: يا زيد أنشدك بالله أتحب أنك الآن في أهلك وأن محمداً عندنا مكانك؟ فقال: والله ما أحب أن محمداً يشاك في مكانه شوكاً تؤذيه وأنا جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: والله ما رأيت من قوم قط أشد حبا لصاحبهم من أصحاب محمد له ^(١).

(٨٠) هو: زيد بن الدثنة - بفتح الدال وكسر المثناة بعدها نون - ابن معاوية الأنصاري البياضي، شهد بدرًا وأحداً، وكان في غزوة بئر معونة فأسره المشركون وقتلته بالتنعيم «الإصابة» (١/ ٥٤٨).

(١) صحيح: أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٣٢٦) في أمر خبيب.

ومن الطبقة الثالثة من المهاجرين

والأنصار ممن شهد الخندق وما بعدها:

٨١- خالد بن الوليد

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم

يكنى أبا سليمان، وأمه عصماء، وهي لبابة الصغرى بنت الحارث أخت أم الفضل امرأة العباس.

المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث قال: سمعت أبي يحدث قال: قال خالد بن الوليد رضي الله عنه:

لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي حب الإسلام وحضرني رشدي وقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد، فليس موطن أشهده إلا انصرفت وأنا أرى في نفسي أنى موضع في غير شيء وأن محمداً سيظهر، ودافعت قريش بالراح يوم الحديبية فقلت أين المذهب؟ وقلت أخرج إلى هرقل، ثم قلت: أخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية فأقيم مع عجم تابعا لها مع عيب ذلك على؟ ودخل رسول الله ﷺ مكة عام القضية فتغييت فكتب إلى أخي:

«لم أر أعجب [من] ذهاب رأيك عن الإسلام، وعقلك عقلك، ومثل الإسلام جهله أحد؟ وقد سألني رسول الله ﷺ عنك فقال: أين خالد؟ فقلت: يأتي الله به، فقال: ما مثل خالد جهل الإسلام، فاستدرك يا أخي ما فاتك».

فلما أتاني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام، وسرتني مقالة النبي ﷺ فأرى في المنام كأنني في بلاد ضيقة جدبة، فخرجت إلى بلد أخضر واسع، فقلت: إن هذه لرؤيا، فذكرتها بعد لأبي بكر فقال: هو مخرجك الذي هداك الله فيه للإسلام، والضيق الشرك، فأجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ، وطلبت من أصحاب، فلقيت عثمان بن طلحة فذكرت له الذي أريد فأسرع الإجابة، وخرجنا جميعاً فأدلجنا سحراً، فلما كنا بالهدة إذا

(٨١) هو: خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن كعب، سيف الله، وفارس الإسلام، وليث المشاهد، السيد الإمام الكبير، قائد المجاهدين، توفي سنة (٢١) هـ.

عمرو بن العاص فقال: مرحبا بالقوم، فقلنا: ويك، فقال: أين مسيركم؟ فأخبرناه وأخبرنا أنه يريد أيضا النبي ﷺ.

فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة على رسول الله ﷺ أول يوم من صفر سنة ثمان، فلما طلعت على رسول الله ﷺ سلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق فأسلمت، فقال رسول الله ﷺ: قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير، وبايعت رسول الله ﷺ وقلت: استغفر لي كل ما أوضعت فيه من صدٍّ عن سبيل الله فقال: إن الإسلام يَجِبُ ما قبله، ثم استغفر لي، وتقدم عمرو وعثمان بن طلحة فأسلما، فوالله ما كان رسول الله ﷺ من يوم أسلمت يعدل بي أحداً من أصحابه فيما يحزبه.

وعن إبراهيم بن يحيى بن زيد بن ثابت قال: لما كان يوم مؤتة وقُتل الأمراء أخذ اللواء ثابت بن أقرم وجعل يصيح يا للأَنْصار، فجعل الناس يثيرون إليه، فنظر إلى خالد بن الوليد فقال: خذ اللواء يا أبا سليمان، فقال لا آخذه، أنت أحق به، لك سن وقد شهدت بدرا، قال ثابت: خذه أيها الرجل فوالله ما أخذته إلا لك، وقال ثابت للناس: اصطلحتم على خالد؟ قالوا: نعم، فحمل اللواء وحمل بأصحابه ففض جمعا من جمع المشركين.

وعن قيس بن أبي حازم قال: سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد انقطع في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وصبرت، في يدي صفيحة لى يمانية.

وعن عبد الملك بن عمير قال: استعمل عمر أبا عبيدة بن الجراح على الشام، وعزل خالد ابن الوليد، قال: فقال خالد بن الوليد: بعث عليكم أمين هذه الأمة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح فقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خالد سيف من سيوف الله، نعم فتى العشيرة»^(١).

قال العلماء بالسير: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في سرايا، وخرج معه في غزاة الفتح، وإلى حنين، وتبوك، وفي حجة الوداع، فلما حلق رسول الله ﷺ رأسه أعطاه ناصيته فكانت في مقدم قلنسوته، فكان لا يلقي أحدا إلا هزمه.

ولما خرج أبو بكر - رضي الله عنه - إلى أهل الردة كان خالد بن الوليد يحمل لواءه، فلما تلاحق الناس به استعمل خالدًا، ورجع إلى المدينة، وكان خالد يقول: ما أدري من أي يومى أفر؟

(١) حسن: أخرجه الشاشي في «مسنده» (٢/ ٩٣) حديث (٦١٧) في مناقب أبي عبيدة بن الجراح وغيره.

من يوم أراد الله عز وجل أن يهدي لى فيه شهادة، أو من يوم أراد الله عز وجل أن يهدي لى فيه كرامة؟.

ولما عزله عمر بن الخطاب لم يزل مرابطا بحمص حتى مرض، فدخل عليه أبو الدرداء عائدا فقال: إن خيلى وسلاحى على ما جعلته فى سبيل الله عز وجل، ودارى بالمدينة صدقة، قد كنت أشهدت عليها عمر بن الخطاب، ونعم العون هو على الإسلام، وقد جعلت وصيتى، وإنفاذ عهدي إلى عمر، فقدم بالوصية على عمر فقبلها وترحم عليه، ومات خالد فقبر فى بعض قرى حمص على ميل من حمص سنة إحدى وعشرين، فحكى من غسله أنه ما كان فى جسمه موضع صحيح من بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم.

وعن عبد الرحمن بن أبى الزناد أن خالد بن الوليد لما حضرته الوفاة بكى فقال: لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، وها أنا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء.

وعن شقيق بن سلمة قال: لما مات خالد بن الوليد اجتمع نسوة بنى المغيرة فى دار خالد يبكين عليه، فقيل لعمر إنهن قد اجتمعن فانههن، فقال عمر: وما عليهن أن يرقن دموعهن على أبى سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة.

قال وكيع: النقع الشق، واللقلة الصوت، تجويد، والله أعلم.

٨٢- عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل رضي الله عنه

أسلم قبل أبيه واستأذن النبی ﷺ فى كتابة ما يسمع منه فأذن له رسول الله ﷺ، وقال: قد حفظت عن رسول الله ﷺ ألف مثل، وكان عالما متعبدا.

عن صفوان بن سليم عن عبد الله بن عمرو قال: استأذنت النبی ﷺ فى كتابة ما سمعت منه فأذن لى فكتبته فكان عبد الله يسمى صحيفته الصادقة.

وعن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو قال: زوجنى أبى امرأة من قريش فلما دخلت على جعلت لا أنحاش لها مما بى من القوة على العبادة من الصلاة والصوم، فجاء عمرو بن العاص إلى كتته حتى دخل عليها فقال: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير الرجال، أو كخير البعولة، من رجل لم يفتش لنا كنفا، ولم يعرف لنا فراشا، فأقبل على فعذلنى وعصنى بلسانه فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فضلتها وفعلت؟.

قال: ثم انطلق إلى النبی ﷺ فشكاني، فأرسل إلى النبی ﷺ فأتيته فقال لى: أتصوم

النهار؟ قلت: نعم، قال: وتقوم الليل؟ قلت: نعم، قال: «ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمس النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» وقال: اقرأ القرآن في كل شهر، قلت: إني أجدني أقوى من ذلك، قال: فافراه في كل عشرة أيام، قلت: إني أجدني أقوى من ذلك، قال أحدهما، إما حصين وإما مغيرة، قال: فافراه في كل ثلاث، قال: ثم قال: صم في كل شهر ثلاثة أيام، قلت: إني أقوى من ذلك، قال: فلم يزل يرفقني حتى قال صم يوماً وأفطر يوماً، فإنه أفضل الصيام، وهو صيام أخى داود، قال حصين في حديثه: ثم قال: عليه السلام: فإن لكل عابد شرة ولكل شرة فترة، فلما إلى سنة وإما إلى بدعة فمن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك.

قال مجاهد: فكان عبد الله بن عمرو حين ضعف وكبر يصوم الأيام يصل بعضها إلى بعض ليتقوى بذلك، ثم يفطر بعد تلك الأيام، قال: وكان يقرأ من حزه كذلك يزيد أحياناً وينقص أحياناً، غير أنه يوفى العدد، إما في سبع وإما في ثلاث، قال: ثم كان يقول بعد ذلك: لأن أكون قبلت رخصة رسول الله ﷺ أحب إليّ مما عدل به، لكنني فارقت على أمر أكره أن أخالقه إلى غيره^(١). انفرد بإخراجه البخاري.

وعن أبي كثير، عن عبد الله بن عمرو، قال: تجمعون فيقال: أين فقراء هذه الأمة ومساكينها؟ قال: فيبرزون فيقال: ما عندكم؟ فيقولون: يا رب، ابتليتنا فصبرنا، وأنت أعلم، ووليت الأموال والسلطان غيرنا، قال: فيقال: صدقتم، قال: فيدخلون الجنة قبل سائر الناس بزمان، وتبقى شدة الحساب على ذوى الأموال.

وعن خالد بن معدان، عن ابن عمرو قال: أرواح المؤمنين في جوف طير خضر كالزراير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة.

وعن عبد الله بن أبي مليكة، عن عبد الله بن عمرو قال: لو تعلمون حق العلم لسجدتم حتى تنقص ظهوركم، ولصرختم حتى تنقطع أصواتكم، فابكوا فإن لم تجدوا البكاء فتابكوا. وعن يعلى بن عطاء عن أمه أنها كانت تصنع الكحل لعبد الله بن عمرو، قالت: وإن كان يقوم بالليل فيطفئ السراج ثم يبكي حتى رصعت عيناه.

وعن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لأن أدمع دمعة من خشية الله عز وجل أحب إليّ من أن أتصدق بألف دينار.

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «التهجيد» حديث (١١٣١) باب (٧) من نام عند السحر (٥٠٥٢) في «فضائل القرآن» وأبو نعيم في «الحلية» (٩٧٣) واللفظ له.

وعن سلمان بن ربيعة أنه حج في عصابة من قراء أهل البصرة فقال: والله لا نرجع حتى نلقى رجلاً من أصحاب محمد ﷺ مرضياً يحدثنا بحديث، فلم نزل نسأل حتى حدثنا أن عبد الله بن عمرو نازل في أسفل مكة، فعمدنا إليه فإذا نحن بشقل عظيم ويرتحلون ثلاثمائة راحلة، منها مائة راحلة ومائتا زاملة، فقلنا: لمن هذا الثقل؟ فقالوا: لعبد الله بن عمرو، فقلنا: أكل هذا له؟ وكنا نُحدِّث أنه من أشد الناس تواضعاً، فقالوا لنا: أما هذه المائة راحلة فلاخوانه يحملهم عليهما، وأما المائتان فلمن نزل عليه من أهل الأمصار ولأضيافه، فعجبنا من ذلك، فقالوا: لا تعجبوا من هذا فإن عبد الله رجل غنى وإنه يرى حقاً عليه أن يكثر من الزاد لمن نزل عليه من الناس، فقلنا: دلونا عليه، فقالوا: إنه في المسجد الحرام، قال: فانطلقنا نطلبه حتى وجدناه في دبر الكعبة جالسا بين بردتين وعمامة ليس عليه قميص، قد علق نعليه في شماله^(١).

وعن هارون بن رثاب قال: لما حضرت عبد الله بن عمرو الوفاة قال: إنه كان خطب إلى ابنتي رجل من قريش وقد كان منى إليه شبيهه بالوعد، فوالله لا ألقى الله عز وجل بثلاث النفاق، اشهدوا أنى قد زوجها إياه.

قال محمد بن سعد: قال محمد بن عمر وتوفى عبد الله بن عمرو بالشام سنة خمس وستين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

قلت: وقد زعم قوم أنه مات بمكة، ويقال بالطائف، ويقال بمصر، رحمه الله ورضى عنه^(٢).

٨٣ - سعيد بن عامر بن حذيم

ابن سلامان بن ربيعة الجمحي، أسلم قبل خيبر وشهدا مع رسول الله ﷺ وما بعدها.

عن عبد الرحمن بن سابط قال: أرسل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى سعيد بن عامر فقال: إنا مستعملوك على هؤلاء، فسر بهم إلى أرض العدو فتجاهد بهم، فقال: يا عمر لا تفتني، فقال عمر: والله لا أدعكم، جعلتموها في عنقي ثم تخليتم مني.

وعنه قال: دعا عمر بن الخطاب رجلاً من بني جمح يقال له سعيد بن عامر بن حذيم، فقال له: إني مستعملك على أرض كذا وكذا، فقال: لا تفتني يا أمير المؤمنين، فقال: والله لا

(١) أبو نعيم في «الحلية» حديث (٩٩٩) وهو صحيح.

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (٤ / ٢٦٦).

أدعك، فلدتموها في عنقي وتركتموني، فقال عمر: ألا نفرض لك رزقا؟ قال: قد جعل الله تعالى في عطائي ما يكفيني دونه أو فضلا على ما أريد.

قال: وكان إذا خرج عطاؤه ابتاع لأهله قوتهم وتصدق ببقيته، فتقول له امرأته: أين فضل عطائك؟ فيقول لها: قد أقرضته، فأناه ناس فقالوا: إن لأهلك عليك حقا وإن لأصهارك عليك حقا، فقال: ما أنا بمستأثر عليهم، ولا بملتمس رضا أحد من الناس لطلب الحور العين، ولو اطلعت خيرة من خيرات الجنة لأشرفت لها الأرض كما تشرق الشمس، وما أنا بمتخلف عن العنق الأول بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجمع الله عز وجل الناس ليوم، فيجىء فقراء المؤمنين فيزفون كما يزف الحمام، فيقال لهم قفوا عند الحساب، فيقولون: ما عندنا حساب ولا آتيمونا شيئا، فيقول ربهم عز وجل: صدق عبادي، فيفتح لهم باب الجنة فيدخلونها قبل الناس بسبعين عاما».

فبلغ عمر أنه يمر به كذا وكذا لا يدخل في بيته فأرسل إليه عمر بمال فأخذه فصرره صررا فتصدق به يمينا وشمالا، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أن حوراء أطلعت إصبعا من أصابعها لوجد ريحها كل ذى روح، فأنا أدعهن لكن؟ فوالله لأنتن أخرى أن أدعكن لهن منهن لكن»^(١).

وعن حسان بن عطية قال: لما عزل عمر بن الخطاب معاوية بن أبي سفيان عن الشام بعث سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي، قال: فخرج معه بجارية من قريش نظيرة الوجه، قال: فما لبث إلا يسيرا حتى أصابته حاجة شديدة، قال: فبلغ ذلك عمر فبعث إليه بألف دينار، قال: فدخل بها على امرأته فقال: إن عمر بعث إلينا بما ترين، فقالت: لو أنك اشتريت أدما وطعاما وادخرت سائرهما، فقال لها: أولا أدلك على أفضل من ذلك؟ نعطي هذا المال من يتجر لنا فيه فنأكل من ربحها وضمانها عليه، قالت: فنعلم إذا، قاشتري أدما وطعاما واشتري غلامين ويعيرين يمتاران عليهما حوائجهم وفرقها على المساكين وأهل الحاجة.

قال: فما لبث إلا يسيرا حتى قالت له امرأته: إنه قد نفذ كذا وكذا، فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه، قالت: فسكت عنها، ثم عاودته فسكت عنها، حتى أذته ولم يدخل بيته إلا من ليل إلى ليل.

قال: وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله، فقال لها: ما تصنعين؟ إنك قد آذيت، وإنه قد تصدق بذلك، قال: فبكت أسفا على ذلك المال.

(١) أخرجه الطبراني وابن عساكر في «تاريخ دمشق» وعزاه صاحب «كنز العمال» للحسن بن سفيان، انظر «كنز العمال» (٣٩٤٦٩).

قال: ثم إنه دخل عليها يوما فقال: على رسلك إنه كان لى أصحاب فارقونى منذ قريب ما أحب أنى صددت عنهم وإن لى الدنيا وما فيها، ولو أن خيرة من خيرات الجنان اطلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر، ولنصف تكسا خير من الدنيا وما فيها، فلأنت فى نفسى أخرى أن أدعك لهن من أن أدعهن لك، قال: فسمحت ورضيت^(١).

وعن مالك بن دينار قال: لما أتى عمر - رضي الله عنه - الشام طاف بكورها، قال: فنزل بحضرة حمص فأمر أن يكتبوا له فقراءهم، قال: فرفع إليه الكتاب فإذا فيه سعيد بن عامر بن حذيم أميرها فقال: من سعيد بن عامر؟ قالوا: أميرنا، قال أميركم؟ قالوا: نعم، فعجب عمر، ثم قال: كيف يكون أميركم فقيراً، أين عطاؤه، أين رزقه؟ قالوا: يا أمير المؤمنين لا يمك شيئا، قال: فبكى عمر ثم عمد إلى ألف دينار فصرها ثم بعث بها إليه وقال: أقرئوه منى السلام وقولوا: بعث بهذه إليك أمير المؤمنين تستعين بها على حاجتك، قال فجاء بها إليه الرسول فنظر فإذا هى دنانير، قال: فجعل يسترجع قال: تقول له امرأته: ما شأنك يا فلان، أمات أمير المؤمنين، قال: بل أعظم من ذلك، قالت: فما شأنك؟ قال: الدنيا أتتني، الفتنة دخلت على، قالت: فاصنع فيها ما شئت، قال: عندك عون؟ قالت: نعم، قال فأخذ دُرَيْعَةً فصرَّ الدنانير فيها صراراً ثم جعلها فى مخلاة ثم اعترض جيشاً من جيوش المسلمين فأمضاها كلها، فقالت له امرأته: رحمك الله لو كنت حبست منها شيئاً نستعين به، قال: فقال لها: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى أهل الأرض لمألت ريح مسك» وإنى والله ما كنت لأختارك عليهن، فسكتت.

وعن خالد بن معدان قال: استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحمص سعيد بن عامر بن حذيم، فلما قدم عمر حمص قال: يا أهل حمص كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه، وكان يقال لأهل حمص: الكويفة الصغرى، لشكايتهم العمال، قالوا: نشكوا أربعاً: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: أعظم بها، قال: وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحداً بليل، قال: وعظيمة، قال: وماذا؟ قالوا: له يوم فى الشهر لا يخرج فيه إلينا، قال: عظيمة، قال: وماذا؟ قالوا: يغضب الغنظة بين الأيام، أى تأخذه موتة.

(١) انظر «حلية الأولياء» (٨٢٣).

قال: فجمع عمر بينهم وبينه، وقال: اللهم لا تفيل رأيي فيه اليوم، ما تشكون منه؟ قالوا: لا يخرج حتى يتعالى النهار، قال: والله إن كنت لأكره ذكره، إنه ليس لأهلي خادم فأعجن عجينهم، ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم، فقال: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يجيب أحدا ليل، قال: ما يقولون؟ قال: إن كنت لأكره ذكره، إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل، قال: وما تشكون منه؟ قالوا: إن له يوما في الشهر لا يخرج إلينا فيه، قال: ما يقولون؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي، ولا لي ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجف، ثم أدلكها، ثم أخرج إليهم من آخر النهار، قال: ما تشكون منه؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام، قال: ما يقولون؟ قال: شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذع فقالوا: أتحب أن محمدا مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمدا شيك بشوكة، ثم نادى: يا محمد، فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أومن بالله العظيم، إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لي بذلك الذنب أبدا فتصينني تلك الغنظة، فقال عمر: الحمد لله الذي لم يفيل فراستي، فبعث إليه بالف دينار وقال: استعن بها على حاجتك، فقالت امرأته: الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك فقال لها: فهل لك في خير من ذلك؟ ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها، قالت: نعم، فدعا رجلا من أهله يثق به فصررها صررا ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى مسكين آل فلان، وإلى مبتلى آل فلان، فبقيت منها ذهبية، فقال: أنفقى هذه، ثم عاد إلى عمله فقالت: ألا تشتري لنا خادما؟ ما فعل ذلك المال؟ قال: سيأتيك أحوج ما تكونين^(١).

ذكر وفاة سعيد:

محمد بن سعد قال: قال الواقدي: مات سعيد في سنة عشرين في خلافة عمر رضي الله عنه.

٨٤- أبو جندل بن سهيل بن عمرو رضي الله عنه

أسلم قديما بمكة فحبسه أبوه في الحديد ومنعه الهجرة، فلما نزل رسول الله ﷺ الحديدية وأتاه سهيل بن عمرو فقا ضاه على ما قاضاه عليه، أقبل أبو جندل يرسف في قيده إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه أبوه قال: يا محمد، هذا أول من أقاضيك عليه فرده رسول الله ﷺ إلى أبيه، لأن الصلح كان قد تم بينهم، وكان فيه أن من جاء من المسلمين إلى المشركين لم يردوه عليه، ومن جاء من المشركين إلى المسلمين ردوه عليهم.

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨٢٤).

فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين أُرِد إلى المشركين ليفتنوني عن ديني؟ فقال النبي ﷺ: يا أبا جندل، إنا قد قاضيناهم ولا بد من الوفاء، فاصبر فإن الله عز وجل سيجعل لك فرجا ومخرجا.

ثم إنه أفلت منهم ولم يزل يغزو مع رسول الله ﷺ حتى مات، ثم خرج إلى الشام مجاهداً، فمات بها في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة^(١).

٨٥- عياض بن غنم بن زهير رضي الله عنه

أسلم قبل الحديبية، وشهدا مع رسول الله ﷺ ولما حضرت أبا عبد الوفاة ولاه عمله فأقره عمر.

وكان سمحا يعطى ما يملك، فكُلَّم عمر فيه وقيل: يبذر المال، فقال: إن سماحه في ذات يده، فإذا بلغ مال الله عز وجل لم يعط منه شيئا ولا أعزل من ولاه أبو عبيدة، وكان عياض على حمص فكان افتتاح الجزيرة والرهاء وحران والرقعة على يديه سنة ثمان عشرة، صالحهم فكتب كتابا.

وعن موسى بن عقبة قال: لما ولى عياض بن غنم قدم عليه نفر من أهل بيته يطلبون صلته فلقاهم بالبشر وأنزلهم وأكرمهم، فأقاموا أياما ثم كلموه في الصلوة وأخبروه بما لقوا من المشقة في السفر رجاء صلته، فأعطى كل رجل منهم عشرة دنانير، وكانوا خمسة، فردوها وتسخطوا ونالوا منه، فقال: أى بنى عم، والله ما أنكر قرابتكم ولا حقكم، ولا بُعد شقتكم، ولكن والله ما حصلت إلى ما وصلتكم به إلا ببيع خادمي وبيع ما لا غنى بي عنه فاعذروني، قالوا: والله ما عذرك الله فإنك والى نصف الشام وتعطى الرجل منا ما جهده أن يبلغه إلى أهله؟ قال: فتأمروني أسرق مال الله؟ فوالله لأن أشق بالمنشار أحب إليّ من أن أخون فلسا أو أتعدى، قالوا: قد عذرناك في ذات يدك فولنا أعمالا من أعمالك نؤدى ما يؤدى الناس إليك ونصيب من المنفعة ما يصيبون، وأنت تعرف حالنا، وإنا ليس نعدو ما جعلت لنا، قال: والله إنى لأعرفكم بالفضل والخير، ولكن يبلغ عمر أنى وليت نفرا من قومي فيلومنى، قالوا: فقد

(١) صحيح: أخرجه البخارى في «كتاب الشروط» حديث (٢٧٣١، ٢٧٣٢) باب (١٥) الشروط في

الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

(٨٥) هو: عياض بن غنم بن زهير بن أبى شداد، أبو سعد الفهرى، ممن بايع بيعة الرضوان، واستخلفه قرابته أبو عبيدة بن الجراح لما احتضر على الشام، توفى سنة (٢٠هـ).

ولأك أبو عبيدة وأنت منه فى القرابة بحيث أنت فأنفذ ذلك عمر، فلو وليتنا لأنفذه قال: إني لست عند عمر كأبى عبيدة، فمضوا لائمين له.
ومات - ﷺ - وما له مال، فى سنة عشرين، وهو ابن ستين سنة ﷺ.

٨٦- ثوبان مولى رسول الله ﷺ

يكنى أبا عبد الله، أصابه سباء فاشتراه رسول الله ﷺ، فأعتقه، فلم يزل معه حتى قبض، ثم نزل حمص فمات سنة أربع وخمسين.
عن عبد الرحمن بن يزيد، عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «من يتقبل لى بواحدة وأتقبل له بالجنة؟» قال: قلت: أنا، قال: «فلا تسأل الناس شيئاً».
فكان ثوبان يقع سوطه وهو راكب فلا يقول لأحد ناولنيه، حتى ينزل فيتناوله^(١).

٨٧- سفينة مولى رسول الله ﷺ

واسمه مهران، ويكنى أبا عبد الرحمن، من مولدى الأعراب.
عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال: اشترتنى أم سلمة فأعتقتنى واشترطت على أن أخدم النبى ﷺ ما عشت، فقلت: أنا ما أحب أن أفارق النبى ﷺ ما عشت.
وعن سعيد بن جمهان قال: سألت سفينة عن اسمه، فقال: سمانى رسول الله ﷺ سفينة، قلت: وبم سماك سفينة؟ قال: خرج معه أصحابه فثقل عليهم متاعهم فقال لى: ابسط كساءك، فبسطته فحولوا فيه متاعهم، ثم حملوه عليه، فقال رسول الله ﷺ: «احمل فما أنت إلا سفينة»^(٢).

وعن محمد بن المنكدر عن سفينة أنه ركب سفينة فى البحر فانكسرت بهم، قال: فتعلقت بشىء منها حتى خرجت إلى جزيرة فإذا فيها الأسد، فقلت: أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ فطأ رأسه وجعل يدفعنى بجانبه يدلنى على الطريق، فلما خرجت إلى الطريق همهم فظننت أنه يودعنى، ﷺ.

(٨٦) هو: ثوبان النبوى مولى رسول الله ﷺ يكنى أبا عبد الله، ويقال: أبا عبد الرحمن، وقيل: هو يمانى، واسم أبيه جحدر، وقيل: بجدر، توفى سنة (٥٤هـ).

(١) صحيح: أخرجه أبو داود فى «الزكاة» حديث (١٦٤٣) باب كراهية المسألة، وابن ماجه فى «الزكاة» حديث (١٨٣٧) باب (٢٥) كراهية المسألة.

(٨٧) هو: سفينة مولى رسول الله ﷺ أبو عبد الرحمن، كان عبداً لأم سلمة فأعتقته، وشرطت عليه خدمة رسول الله ﷺ ما عاش، توفى سنة (٧١هـ).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد فى «المسند» حديث (٢١٩٨٣).

٨٨- الحكم بن عمرو بن مجدع رضي الله عنه

صحب رسول الله ﷺ حتى قبض، ثم تحول إلى البصرة، فولاه زياد بن سفيان خراسان فخرج إليها.

عن الحسن أن زيادا بعث الحكم بن عمرو على خراسان، ففتح الله عز وجل عليهم وأصابوا أموالا عظيمة فكتب إليه زياد: أما بعد، فإن أمير المؤمنين كتب إلي أن أصفى الصفراء والبيضاء، ولا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة.

فكتب إليه: سلام عليك، أما بعد، فإنك كتبت تذكر كتاب أمير المؤمنين، وإنني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، وإنه والله لو كانت السموات والأرض رتقا على عبد، فاتقى الله عز وجل لجعل الله له منهما فرجا ومخرجا، والسلام عليك.

ثم قال للناس: اغدوا على فيثكم فاقتسموه^(١).

قال ابن سعد: وأنبأ علي بن محمد القرشي، قال: فلم يزل الحكم على خراسان حتى مات بها سنة خمسين، رحمه الله.

٨٩- جندع بن ضمرة الضمري رضي الله عنه

عن يزيد بن عبد الله بن قسيط أن جندع بن ضمرة كان بمكة فمرض فقال لأهله أخرجوني من مكة فإنه قد قتلني غمها، فقالوا: إلى أين؟ فأومأ بيده إلى ههنا، نحو المدينة يريد الهجرة، فخرجوا فلما بلغوا أضواء بني غفار مات فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (النساء: ١٠٠) رحمه الله^(٢).

(٨٨) هو: الحكم بن عمرو الغفاري الأمير، أخو رافع بن عمرو، وهما من بني ثعلبة، وثعلبة أخو غفار،

نزل الحكم البصرة وله صحبة ورواية وفضل وصلاح ورأى وإقدام، توفي سنة (٥٠هـ).

(١) ضعيف: أخرجه الحاكم في «المستدرک» حديث (٥٨٦٩) وابن سعد في «الطبقات الكبرى».

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» في تفسير سورة النساء الآية: ١٠٠.

فائدة:

قال عكرمة مولى ابن عباس: طلبت اسم هذا الرجل أربع عشرة سنة حتى وجدته، والذي ذكره

عكرمة هو: ضمرة بن العيص أو العيص بن ضمرة زنبع.

٩٠- وائلة بن الأسقع رضي الله عنه

يكنى أبا قرصافة، عن محمد بن سعد قال: أتى وائلة رسول الله ﷺ فصلى معه الصبح، وكان رسول الله ﷺ إذا صلى وانصرف تصفح أصحابه، فلما دنا من وائلة قال: من أنت؟ فأخبره قال: ما جاء بك؟ قال: جئت أبايع، فقال رسول الله ﷺ فيما أحبت وكرهت؟ قال: نعم، قال: فيما أطقت؟ قال: نعم، فأسلم وبايعه.

وكان رسول الله ﷺ يتجهز يومئذ إلى تبوك فخرج وائلة إلى أهله، فلقي أباه الأسقع، فلما رأى حاله قال: قد فعلتها؟ قال: نعم، قال أبوه: والله لا أكلمك أبدا، فأتى عمه فسلم عليه فقال: قد فعلتها؟ قال: نعم، قال: فلا مه أيسر من ملامه أبيه وقال: لم يكن ينبغي لك أن تسبقنا بأمر.

فسمعت أخت وائلة كلامه فخرجت إليه وسلمت عليه بتحية الإسلام، فقال وائلة: أنى لك هذا يا أخية؟ قالت: سمعت كلامك وكلام عمك فأسلمت، فقال: جهزى أخاك جهاز غاز فإن رسول الله ﷺ على جناح سفر، فجهزته فلاحق برسول الله ﷺ قد تحمل إلى تبوك وبقي غبرات من الناس وهم على الشخوص فجعل ينادى بسوق بنى قينقاع: من يحملني وله سهمي؟ قال: وكنت رجلا لا رحلة بي، قال: فدعاني كعب بن عجرة فقال: أنا أحملك عقبه بالليل وعقبه بالنهار ويدك أسوة يدي وسهمك لي، قال وائلة: نعم، قال وائلة: جزاه الله خيرا لقد كان يحملني ويزيدني وأكل معه، ويرفع لي، حتى إذا بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل خرج كعب في جيش خالد وخرجت معه فأصبنا فينا كثيرا فقسمه خالد بيننا فأصابني ست قلائص فأقبلت أسوقها حتى جئت لها خيمة كعب بن عجرة فقلت: اخرج رحمك الله فانظر إلى قلائصك فاقبضها، فخرج وهو يتسم ويقول: بارك الله لك فيها ما حملتك وأنا أريد أن آخذ منك شيئا.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أنا أحمد بن أحمد قال: أنا أحمد بن عبد الله قال: أنا محمد بن علي قال: أنا عبد الله بن سلام قال: أنا هشام بن عمار قال: أنا صدقة بن خالد قال: أنا زيد بن واقد، عن بشر بن عبد الله، عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: كنا أصحاب

(٩٠) هو: وائلة بن الأسقع بن كعب بن عامر، وقيل: وائلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب الليثي، أسلم سنة تسع، وشهد غزوة تبوك، وكان من فقراء المسلمين رضي الله عنه، طال عمره، توفي سنة (٨٥).

الصفة في مسجد رسول الله ﷺ وما فينا رجل له ثوب، ولقد اتخذ العرق في جلودنا طرقا من الغبار، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ليشرف فقراء المهاجرين» ثلاثا^(١).
كان واثلة من أهل الصفة، فلما قبض رسول الله ﷺ خرج إلى الشام فمات بها سنة خمس وثمانين، وهو ابن ثمان وتسعين سنة.

٩١- معاوية بن معاوية الليثي العلائي - رضى الله عنه .

أبو محمد الثقفي، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: «كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى، فأتى جبريل النبي ﷺ فقال له: يا جبريل، ما لى أرى الشمس اليوم طلعت بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت به فيما مضى؟ قال: ذاك أن معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم، فبعث الله عز وجل إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه، قال: وفيم ذاك؟ قال: كان يكثر قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ بالليل والنهار، وفي ممشاه وقيامه وقعوده - قال يزيد: أو قائما أو قاعدا - فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض حتى تصلى عليه؟ قال: نعم، قال: فصلى عليه ثم رجع» رحمة الله عليه، والسلام.

٩٢- ذو البجادين

واسمه: عبد الله بن عبد نهم بن عفيف - رضى الله عنه - .

عن محمد بن سعد، قال: كان ذو البجادين يتيما لا مال له، فمات أبوه ولم يورثه شيئا، وكفله عمه حتى أيسر، فلما قدم النبي المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه من عمه حتى مضت السنون والمشاهد، فقال لعمه: يا عم إنى قد انتظرت إسلامك فلا أراك تريد محمدا، فأذن لى فى الإسلام، فقال: والله لئن اتبعت محمدا لا أترك بيدك شيئا كنت أعطيتكه إلا نزعته منه، حتى ثوبيك، قال: فأنا والله متبع محمدا وتارك عبادة الحجر، وهذا ما بيدى فخذ، فأخذ ما أعطاه حتى جرده من إزاره، فأتى أمه فقطعت بجادا لها بائنين فائتزر بواحد، وارتدى بالآخر ثم أقبل إلى المدينة وكان بورقان فاضطجع فى المسجد فى السحر، وكان رسول الله ﷺ يتصفح الناس إذا انصرف من الصبح فنظر إليه فقال: من أنت؟ فانتسب له، وكان اسمه عبد العزى، فقال: أنت عبد الله ذو البجادين، ثم قال: انزل منى

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (١٣٩٥).

قريبا، فكان يكون في أضيافه حتى قرأ قرآنًا كثيرا، فلما خرج النبي ﷺ إلى تبوك قال: ادع لى بالشهادة فربط النبي ﷺ على عضده لحى سمرة وقال: اللهم إني أحرم دمه على الكفار، فقال: ليس هذا أردت، قال النبي ﷺ: إنك إذا خرجت غازيا فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد، أو وقصتك دابتك فأنت شهيد، فأقاموا بتبوك أياما ثم توفي.

قال بلال بن الحارث: حضرت رسول الله ﷺ ومع بلال المؤذن شعلة من نار عند القبر واقفا بها وإذا رسول الله ﷺ وهو يقول: «أدنيا إلى أخاكما، فلما هياها لشقه في اللحد قال: اللهم إني قد أمسيت عنه راضيا فارض عنه» فقال ابن مسعود: ليتنى كنت صاحب اللحد (١).

وعن أبي وائل، عن عبد الله قال: والله لكأنى أرى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبر عبد الله ذى البجادين، وأبو بكر وعمر، يقول أدنيا إلى أخاكما، وأخذه من قبل القبلة حتى أسكنه في لحدته ثم خرج النبي ﷺ ووليا هما العمل، فلما فرغ من دفنه استقبل القبلة رافعا يديه يقول: «اللهم إني أمسيت عنه راضيا فارض عنه» وكان ذلك ليلا فوالله لوددت أنى مكانه، ولقد أسلمت قبله بخمس عشرة سنة (٢).

٩٣- عبد الله بن مغفل. أبو سعيد. رضي الله عنه.

وكان من البكائين، ومن الذين بعثهم عمر إلى البصرة يفقهونهم. عن خزاعي بن يزيد قال أرى عبد الله بن مغفل أن الساعة قد قامت والناس يُعرضون على مكان قال: قد علمت أنه من جاز المكان نجسا، فذهبت أدنو منه فقال: وراءك، أتريد أن تنجو وعندك ما عندك، قال: كلا والله، قال: فاستيقظت من الفزع فأيقظ أهله، وعنده تلك الساعة عيبة مملوءة دنانير فقال: يا فلانة، أريني تلك العيبة قببحها الله وقبح ما فيها، فما أصبح حتى قسمها فلم يدع دينارا، فلما كان المرض الذى مات فيه أوصى أهله فقال لا يلينى إلا أصحابى ولا يصلى على ابن زياد.

فلما مات أرسلوا إلى أبى برزة، وعائذ بن عمرو، ونفر من أصحاب النبي ﷺ فولوا

(١) انظر «حلية الأولياء» (٣٧٢، ٣٧٣).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٩٣) هو: عبد الله بن مُغفَل بن عبد نهم بن عفيف المزنى، صحابى جليل من أهل بيعة الرضوان، سكن المدينة ثم البصرة، توفي سنة (٦٠).

غسله وتكفينه، فلما أخرجوه إذا بابن زياد في موكبه بالباب، فقيل له: إنه قد أوصى ألا تصلى عليه، فسار معه حتى إذا بلغ حد «البيضاء» مال إلى «البيضاء» وتركه. وتوفى عبد الله بالبصرة، رحمة الله عليه.

٩٤- عمران بن حصين بن عبيد

يكنى أبا نجيد، أسلم قديما وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات، ولم يزل في بلاد قومه، ثم تحول إلى البصرة فترلها ومرض بها فسقى بطنه فبقي ثلاثين سنة على سرير مثقوب. عن محمد بن سيرين قال: ما قدم البصرة أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يفضل على عمران بن حصين^(١).

وعنه قال: سقى بطن عمران بن حصين ثلاثين سنة كل ذلك يُعرض عليه الكي فيأبى أن يكتوى، حتى كان قبل وفاته بستين فاكثوى.

وعن مطرف عن عمران قال: قد اکتوينا وما أفلحنا وما أنجحن، يعني المكاوى. وعنه قال: أرسل إلى عمران بن حصين في مرضه فقال: إنه كان يسلم على، يعني الملائكة، فإن عشت فاكتم على وإن مت فحدث به إن شئت.

وفي رواية عن قتادة: كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين حتى اکتوى فتنحت^(٢). وقال مطرف: قلت لعمران: ما يمنعني من عيادتك إلا ما أرى من حالك، قال: فلا تفعل فإن أحبه إلىَّ أحبه إلى الله عز وجل، وعن مطرف قال: قال لي عمران بن حصين: أشعرت أنه كان يُسلم على فلما اکتويت انقطع التسليم، فقلت له: أمن قبل رأسك كان يأتيك التسليم أم من قبل رجلك؟ قال: بل من قبل رأسي، فقلت إنى لأرى ألا تموت حتى يعود ذلك، فلما كان بعد قال لي: أشعرت أن التسليم عاد إلى^(٣)، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى مات رحمه الله. قال الواقدي: توفى عمران بالبصرة قبل وفاة زياد بن أبي سفيان، وكانت وفاة زياد في

سنة ثلاث وخمسين.

(٩٤) هو: عمران بن حصين بن عبيد بن خلف، القدوة الإمام، صاحب رسول الله ﷺ، أبو نجيد الخزاعي، أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في وقت سنة سبع، وهو ممن اعتزل الفتنة، توفى سنة (٥٢هـ).

(١) انظر «الإصابة» (٥/ ٢٦) و «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٢٦).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم في «الحج» حديث (١٢٢٦) باب (٣) جواز التمتع.

(٣) انظر المتقدم.

٩٥- سلمة بن الأكوع . رضي الله عنه .

غزا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، وقال رسول الله ﷺ يوما: «خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة»^(١).

وعن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه كان لا يسأله أحد بوجه الله تعالى إلا أعطاه، وكان يكرهها، ويقول: هي الإلحاف.
وتوفي سلمة بالمدينة سنة أربع وسبعين وهو ابن ثمانين سنة رحمه الله.

٩٦- ربيعة بن كعب الأسلمي . رضي الله عنه .

أسلم قديما وكان من أهل الصفة، وكان يخدم النبي ﷺ ويبيت على بابه لحوائجه.
عن نعيم بن ربيعة بن كعب قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ وأقوم له في حوائجه نهاري أجمع، حتى يصلي رسول الله ﷺ العشاء الآخرة فأجلس على بابه إذا دخل بيته، أقول: لعلها أن تحدث لرسول الله ﷺ حاجة، فما أزال أسمع [يقول]: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله وبحمده حتى أملّ فأرجع أو تغلبنى عيني فأرقد، فقال لي يوما لما رأى من خفتي له وخدمتي إياه، يا ربيعة سلني أعطك، قال: فقلت: أنظر في أمري يا رسول الله ثم أعلمك ذلك، فقال: ففكرت في نفسي فعلمت أن الدنيا منقطعة وزائلة وأن لي فيها رزقا سيأتيني، قال: فقلت أسأل رسول الله ﷺ لآخرتي فإنه من الله عز وجل بالمنزل الذي هو به، فجيئته فقال: ما فعلت يا ربيعة؟ فقلت: أسألك يا رسول الله أن تشفع لي إلى ربك فيعتقني من النار، فقال: من أمرك بهذا يا ربيعة؟ فقلت: لا والذي بعثك بالحق ما أمرني به أحد، ولكنك لما قلت سلني أعطك، وكنت من الله بالمنزل أنت به، نظرت في أمري فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة، وأن لي فيها رزقا سيأتيني، فقلت: أسأل رسول الله ﷺ لآخرتي، قال: فصمت رسول الله ﷺ طويلا ثم قال لي: إني فاعل فأعني على نفسك بكثرة السجود^(٢).

(٩٥) هو: سلمة بن الأكوع، واسم الأكوع: سنان بن عبد الله، أبو عامر، وأبو مسلم، ويقال: أبو إياس الأسلمي الحجازي من أهل بيعة الرضوان، توفي سنة (٧٤هـ).

(١) صحيح: أخرجه مسلم في «الجهاد والسير» حديث (١٨٠٧) باب (٤٥) غزوة ذي قرد وغيرها.

(٩٦) هو: ربيعة بن كعب بن مالك الأسلمي، أبو فراس المدني، صحابي، من أهل الصفة، ومنهم من فرق بين ربيعة وأبي فراس، مات ربيعة سنة ثلاث وستين بعد الهجرة.
(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٤١٦).

ما زال ربيعة يلزم رسول الله ﷺ ويغزو معه، فلما مات رسول الله ﷺ خرج فتزل على بريد من المدينة وبقي إلى أيام الحرة، رحمه الله.

٩٧- أبو هريرة. رضي الله عنه.

واختلفوا في اسمه واسم أبيه على ثمانية عشر قولاً قد ذكرتها في التلخيص وأشهرها، عبد شمس بن عامر، فسمى في الإسلام عبد الله وكان له هرة صغيرة فكنى بها. وقدم المدينة في سنة سبع ورسول الله ﷺ بخيبر فصار إلى خيبر حتى قدم مع رسول الله ﷺ المدينة.

عن قيس عن أبي هريرة قال: لما قدمت على النبي ﷺ قلت في الطريق شعراً: يا ليلة في طولها وعنائها على أنها من دارة الكفر نجت قال: وأبق مني غلام لي في الطريق، فلما قدمت على رسول الله ﷺ بايعته، فبينما أنا عنده إذ طلع الغلام فقال لي رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة، هذا غلامك، فقلت: هو حر لوجه الله تعالى، فأعتقه (١).

وعن سليمان بن حيان قال سمعت أبي يقول: سمعت أبا هريرة يقول: نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لبرة بنت غزوان بطعام بطني وعقبة رحلي، فكنت أخدم إذا نزلوا وأحدو إذا ركبوا، فزوجنيها الله عز وجل، فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً وجعل أبا هريرة إماماً.

وعن أبي كثير قال: حدثني أبو هريرة، قال: ما خلق الله عز مؤمناً يسمع بي، ولا يراني إلا أحبنى، قلت: وما علمت بذلك يا أبا هريرة؟ قال: إن أمي كانت مشركة وإني كنت أدعوها إلى الإسلام وكانت تأبى عليّ، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره فأثيت رسول الله ﷺ وأنا أبكى فقلت: يا رسول الله، إنني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فكانت تأبى عليّ، وإنني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله عز وجل أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اهد أم أبي هريرة» فخرجت أعدو لأبشرها بدعاء رسول

(٩٧) هو: أبو هريرة الدوسي، الصحابي الجليل، حافظ الصحابة، اختلفوا في اسمه واسم أبيه، فذهب كثير إلى أن اسمه: عبد الرحمن بن صخر، وذهب جمع من النسائيين إلى أن اسمه: عمرو بن عامر، مات سنة سبع، وقيل سنة ثمان، وقيل: تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة.

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «العتق» حديث (٢٥٣٠، ٢٥٣١) باب (٧) إذا قال لعبده: هو لله ونوى العتق والإشهاد في العتق.

الله ﷺ فلما أتيت الباب إذا هو مجاف، وسمعت خضخضة الماء، وسمعت خشخشة رجل فقالت: يا أبا هريرة كما أنت، ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها فقالت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فرجعت إلى رسول الله ﷺ أبكى من الفرح كما بكيت من الحزن، فقلت: يا رسول الله، أبشر فقد أستجاب الله دعائك وقد هدى أم أبي هريرة، وقلت: يا رسول الله، ادع الله لى أن يحيينى وأمى إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حبب عبديك هذا إلى عبادك المؤمنين» فما خلق الله مؤمنا يسمع بى ولا يرانى أو يرى أمى إلا وهو يحبنى (١).

عن الأعرج قال: قال أبو هريرة: إنكم تقولون: ما بال المهاجرين لا يحدثون عن رسول الله ﷺ بهذه الأحاديث؟ وما بال الأنصار لا يحدثون بهذه الأحاديث؟ وإن أصحابى من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم فى الأسواق، وإن أصحابى من الأنصار كانت تشغلهم أرضوهم والقيام عليها، وإنى كنت امرأ معتكفا، وكنت أكثر مجالسة رسول الله ﷺ، أحضر إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا، وإن النبى ﷺ حدثنا يوما فقال: «من يسط ثوبه حتى أفرغ من حديثى ثم يقبضه إليه فإنه ليس ينسى شيئا سمعه منى أبدا» فبسطت ثوبى - أو قال نمرتى - ثم حدثنا فقبضته إلى، فوالله ما نسيت شيئا سمعته منه، وإيم الله لولا آية من كتاب الله ما حدثتكم بشيء أبدا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى...﴾ (البقرة: ١٥٩) الآية كلها. أخرجه فى الصحيحين (٢).

وعن مجاهد أن أبى هريرة - رضي الله عنه - كان يقول: والله إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع ولقد قعدت يوما على الذى يخرجون منه فمر أبو بكر فسأله عن آية من كتاب الله عز وجل، ما سأله إلا ليستبغنى، فلم يفعل، ثم مر عمر فسأله عن آية من كتاب الله عز وجل، ما سأله إلا ليستبغنى فلم يفعل، فمر أبو القاسم رضي الله عنه فعرف ما فى وجهى وما فى نفسى فقال: يا أبا هريرة، فقلت: لبيك يا رسول الله، فقال الحق، فتبعته فدخل فاستأذنت فأذن لى فوجد قدحا فيه لبن فقال: من أين لكم هذا اللبن؟ فقالوا: أهدها لنا فلان، أو آكل فلان، فقال: أبا هريرة قلت: لبيك يا رسول الله، قال:

(١) صحيح: أخرجه مسلم فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٩١) باب (٣٥) من فضائل أبى هريرة رضي الله عنه.
(٢) صحيح: أخرجه البخارى فى «البيوع» حديث (٢٠٤٧) ومسلم فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٩٢) باب (٣٥) من فضائل أبى هريرة رضي الله عنه.

انطلق إلى أهل الصفة، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام ولم يأووا إلى أهل ولا مال، وإذا جاءت رسول الله ﷺ هدية أصاب منها وبعث إليهم منها، وإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم ولم يصيب منها.

قال: فأحزننى ذلك، وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوى بها بقية يومى وليلتى، فقلت: أنا الرسول، فإذا جاء القوم كنت أنا الذى أعطيهم، فما يبقى لى من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد، فانطلقت فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم فأخذوا مجالسهم من البيت ثم قال: أبا هر خذ فأعطهم، فأخذت القدح فجعلت أعطيهم فياخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح حتى أتيت إلى آخرهم ودفعته إلى رسول الله ﷺ فأخذ القدح فوضعه فى يده وقد بقى فيه فضلة، ثم رفع رأسه إلى وتبسم فقال: أبا هر، فقلت: لبيك يا رسول الله، قال: بقيت أنا وأنت، فقلت: صدقت يا رسول الله، قال: فاقعد فاشرب، قال: فقعدت فشربت، ثم قال لى: اشرب، فشربت، فما زال يقول لى: اشرب، وأشرب حتى قلت: والذى بعثك بالحق ما أجد لها فى مسلكا، قال: ناولنى القدح، فرددت إليه القدح فشرب من الفضلة. (انفرد بإخراجه البخارى)(١).

وعن عبد الرحمن بن عبيد عن أبى هريرة قال: إن كنت لأتبع الرجل أسأله عن الآية من كتاب الله عز وجل، لأننا أعلم بها منه ومن عشرته، وما أتبعه إلا ليطعمنى القبضة من التمر أو السفة من السويق أو الدقيق أسد بها جوعى.

فأقبلت أمشى مع عمر بن الخطاب ذات ليلة أحدثه حتى بلغ بابه فأسند ظهره إلى الباب فاستقبلنى بوجهه فكلمنا فرغت من حديث حديثه آخر، حتى إذا لم أر شيئا انطلقت فلما كان بعد ذلك لقينى فقال: أبا هريرة: أما لو أنه فى البيت شيء لأطعمناك.

وعن أبى رافع أن أبا هريرة قال: ما أحد من الناس يهدى لى هدية إلا قبلتها، فأما أن أسأل فلم أكن لأسأل.

وعن عكرمة أن أبا هريرة كان يسبح فى كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة ويقول: أسبح بقدر ذنبى.

وعن نعيم بن محرز بن أبى هريرة عن جده أبى هريرة أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به.

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «الرقاق» حديث (٦٤٥٢) باب (١٧) كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه.

وعن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: لقد رأيتني أصرع بين منبر رسول الله ﷺ وبين حجرة عائشة، فيقول الناس: إنه لمجنون، وما بي جنون، ما بي إلا الجوع.

وعن سليمان بن أبي سليمان عن أبيه قال: رأى أبو هريرة زنجية كأنها شيطان فقال: يا أبا سليمان اشتر لي هذه الزنجية، فانطلقت فاشتريتها وهو على حمار معه ابن له، فقال لابنه: أردفها خلفي، فكره ابنه ذلك فجعل ابنه يزجيه ليخرجه من السوق فقال: أردفها خلفي ويحك، والله لشعلة من نار أجد مسها خلفي أحب إليّ من أن أرغب عن هذه ألا أحملها، إني لو انتسبت وانتسبت لم نتجاوز إلا قليلا حتى نجتمع، أردفها، أردفها خلفه.

وعن أبي المتوكل أن أبا هريرة كانت له زنجية فرفع عليها السوط يوما فقال: لولا القصاص لأغشيتك به، ولكني سأبيعك ممن يوفيني ثمنك، اذهبي فأنت لله عز وجل.

وعن أبي عثمان النهدي قال: تضيفت أبا هريرة سبعا، فكان هو وامراته وخادمه يتعقبون الليل أثلاثا، يصلى هذا ثم يوقظ هذا، ويصلى هذا ثم يوقظ هذا.

وعن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال: ما وجع أحب إليّ من الحمى لأنها تعطى كل مفصل قسطه من الوجع، وإن الله تعالى يعطى كل مفصل قسطه من الأجر.

وعن أبي العالية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ بتمرات فدعا فيهن بالبركة وقال: اجعلن في مزودك، فإذا أردت أن تأخذ منه شيئا فأدخل يدك فخذ ولا تنثره، فجعلته في مزودى فوجهته منه رواحل في سبيل الله تعالى، وكنت أكل منه وأطعم، وكان من حقوتي، حتى كان يوم قتل عثمان فوقع فذهب^(١).

وعن ثعلبة بن أبي مالك القرظي أن أبا هريرة أقبل في السوق يحمل حزمة حطب، وهو يومئذ خليفة لمروان، فقال: أوسع الطريق للأمير يا بن أبي مالك، فقلت: أصلحك الله، تكفي هذا، فقال: أوسع الطريق للأمير، والحزمة عليه.

ذكر وفاة أبي هريرة رضي الله عنه:

عن سالم بن بشير بن حجل أن أبا هريرة بكى في مرضه فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما إنه ما أبكى على دنياكم هذه ولكن أبكى على بعد سفرى وقلة زادى، وإنى أصبحت في صعود مهبط على جنة ونار، لا أدري أيهما يؤخذ بي.

(١) حسن: أخرجه الترمذى في «المناقب» حديث (٣٨٣٩) باب (٤٧) مناقب لأبي هريرة رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن غريب.

وعن ابن شاذب قال: لما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى فليل له: ما يبكيك؟ فقال: بعد المفازة وقلة الزاد وعقبة كثود، المهبط منها إلى الجنة أو النار.

توفي أبو هريرة بالمدينة ويقال بالعقيق سنة سبع وخمسين، وقيل سنة تسع، في آخر خلافة معاوية، وله ثمان وسبعون سنة - رحمه الله - والله أعلم.

٩٨- العلاء بن الحضرمي

واسم الحضرمي عبد الله بن عماد بن سلمى من حضرموت.

أسلم قديما، وبعثه رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى العبدى بالبحرين بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، وولاه رسول الله ﷺ البحرين ثم عزله عنها، وولاه أبان بن سعيد، ثم أعاد أبو بكر الصديق العلاء إلى البحرين، وكتب إليه عمر رضي الله عنه أن سر إلى عتبة بن غزوان فقد وليتك عمله، يعنى البصرة، فسار إليها فمات في الطريق سنة إحدى وعشرين، وقيل: أربع عشرة، وقيل خمس عشرة.

وعن سهم بن منجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي دارين فدعا بثلاث دعوات فاستجيب له فيهن: نزلنا منزلا فطلب الماء ليتوضأ فلم يجده فقام فصلى ركعتين وقال: اللهم إنا عبيدك، وفي سبيلك، نقاتل عدوك، اللهم اسقنا غيثا نتوضأ منه ونشرب، فإذا توضأنا لم يكن لأحد فيه نصيب غيرنا، فسرنا قليلا فإذا نحن بماء حين أقلعت عنه السماء فتوضأنا منه وتزودنا وملأت إداوتى وتركتها مكانها حتى أنظر هل أستجيب له أم لا؟ فسرنا قليلا ثم قلت لأصحابي: نسيت إداوتى، فجئت إلى ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط، ثم سرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم فقال: يا عليم يا حليم يا على يا عظيم إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلا، فتقحم البحر فخضنا ما يبلغ لبودنا، فخرجنا إليهم، فلما رجع أخذه وجع البطن فمات فطلبنا ماء نغسله فلم نجده فلففناه في ثيابه ودفناه.

فسرنا غير بعيد فإذا نحن بماء كثير فقال بعضنا لبعض: لو رجعنا فاستخرجناه فغسلناه فرجعنا فطلبناه فلم نجده، فقال رجل من القوم: إني سمعته يقول: يا على يا عظيم يا حليم أخف عليهم موتى، أو كلمة نحوها، ولا تطلع على عورتى أحدا، فرجعنا وتركناه.

وعن عمرو بن ثابت قال: دخلت في أذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجتها الأطباء

(٩٨) هو: العلاء بن الحضرمي، واسم أبيه: عبد الله بن عماد، وكان حليف بنى أمية، صحابي جليل، عمل على البحرين للنبي ﷺ وأبى بكر وعمر ومات سنة أربع عشرة، وقيل: بعد ذلك.

فلم يقدروا عليها حتى وصلت إلى صماخه فأسهرت ليله ونغصت عليه نهاره، فأتى رجلا من أصحاب الحسن فشكا ذلك إليه فقال: ويحك، إن كان شيء ينفعك الله به فدعوه العلاء بن الحضرمي التي دعا بها في البحر وفي المفازة، قال: وما هي رحمك الله؟ قال: يا على يا عظيم يا حليم يا عليم، فدعا بها فوالله ما برحنا حتى خرجت من أذنه ولها طنين حتى صكت الحائط، وبرئ رحمه الله.

٩٩- عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس

صحاب رسول الله ﷺ وولاه عمر - رضي الله عنه - حمص، فأما أبوه سعد فشهد بدرا، يقال له سعد القارئ وهو الذي يروي الكوفيون أنه أبو زيد الذي جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وقتل سعد بالقادسية شهيدا.

عن أبي طلحة الخولاني قال: أتينا عمير بن سعد في داره بفلسطين وكان يقال له نسيج وحده.

وعن عبد الله بن هارون بن عنترة قال: حدثني أبي عن جدي عن عمير بن سعد الأنصاري قال: بعثه عمر بن الخطاب عاملا على حمص فمكث حولا لا يأتيه خبره، فقال عمر لكاتبه: اكتب إلى عمير، فوالله ما أراه إلا قد خائنا: إذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل بما جيت من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا.

قال: فأخذ عمير جرابه فوضع فيه زاده وقصعته وعلق إدواته وأخذ عزته ثم أقبل يمشي من حمص حتى قدم المدينة، قال: فقدم وقد شحب لونه واغبر وجهه وطالت شعرته فدخل على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله، قال عمر: ما شأنك؟ قال: ما ترى من شأني! ألسنت تراني صحيح البدن ظاهر الدم، معي الدنيا أجراها بقرونها؟ قال عمر: وما معك؟ وظن عمر أنه جاءه بمال، قال: معي جراي أجعل فيه زادي، وقصعتي أكل فيها، وأغسل فيها رأسي وثيابي، وإداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي، وعزتي أتوكأ عليها، وأجاهد بها عدوا إن عرض لي، فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعى، قال عمر: فجئت تمشي؟ قال: نعم، قال: أما كان لك أحد يتبرع لك بدابة تركبها؟ قال: ما فعلوا وما سألتهم ذلك، فقال عمر:

(٩٩) هو: عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس الأنصاري الأوسى، صحابي، كان عمر يسميه: نسيج وحده بفتح النون وكسر المهملة بعدها تحتانية ساكنة ثم جيم ثم واو مفتوحة، ومهملة ساكنة، وهي كلمة تطلق على الفائق.

بش المسلمون خرجت من عندهم، فقال عمير: اتق الله يا عمر قد نهاك الله عن الغيبة، وقد رأيتهم يصلون صلاة الغداة، قال عمر: فأين بعثتك وأى شيء صنعت؟ قال: وما سؤالك يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: سبحان الله، فقال عمير: أما إنى لولا أخشى أن أغمك ما أخبرتك: بعثتني حتى أتيت البلد فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيهم حتى إذا جمعوه وضعته مواضعه، ولو نالك منه شيء لأتيتك به، قال: فما جئنا بشيء؟ قال: لا، قال جددوا لعمير عهدا، قال: إن ذلك شيء لا أعمله لك ولا لأحد بعدك، والله ما سلمت بل لم أسلم، لقد قلت لنصراني: أخزأك الله، فهذا ما عرضتني له يا عمر، وإن أشقى أيامي يوم خلفت معك.

ثم استأذنه فأذن له فرجع إلى منزله وبينه وبين المدينة أميال، فقال عمر حين انصرف عمير: ما أراه إلا قد خاننا، فبعث رجلا يقال له: الحارث وأعطاه مائة دينار وقال: انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنك ضيف فإن رأيت أثر شيء فأقبل، وإن رأيت حالا شديداً فادفع إليه هذه المائة الدينار، فانطلق الحارث فإذا هو بعمير جالس يفلو قميصه إلى جنب الحائط فقال له عمير: انزل رحمك الله، فنزل ثم ساءله فقال: من أين جئت؟ فقال: من المدينة، فقال: كيف تركت أمير المؤمنين؟ فقال صالحا، قال: فكيف تركت المسلمين؟ قال: صالحين، قال: أليس يقيم الحدود؟ قال: بلى، ضرب ابنا له على فاحشة فمات من ضربه، فقال عمير: اللهم أعن عمر فإنى لا أعلمه إلا شديدا حبه لك.

قال فنزل به ثلاثة أيام وليس لهم إلا قرصة من شعير كانوا يخصونه بها ويطوون حتى أتاهم الجهد، فقال له عمير: إنك قد أجعتنا، فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل، قال فأخرج الدنانير فدفعها إليه فقال: بعث بها أمير المؤمنين فاستعن بها، قال: فصاح وقال: لا حاجة لى فيها فردها، فقالت له امرأته: إن احتجت إليها وإلا فضعها فى مواضعها، فقال عمير: والله ما لى شيء أجعلها فيه، فشقت المرأة أسفل درعها فأعطته خرقة فجعلها فيها ثم خرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء، ثم رجع والرسول يظن أنه يعطيه منها شيئا، فقال له عمير: أقرئ منى أمير المؤمنين السلام.

فرجع الحارث إلى عمر فقال: ما رأيت؟ قال: رأيت يا أمير المؤمنين حالا شديدا، قال فما صنع بالدنانير؟ قال: لا أدري، قال: فكتب إليه عمر: إذا جاءك كتابى هذا فلا تضعه من يدك حتى تقبل، فأقبل إلى عمر فدخل عليه فقال له عمر: ما صنعت بالدنانير؟ قال: صنعت ما صنعت، وما سؤالك عنها؟ قال أنشد عليك لتخبرنى ما صنعت بها، قال: قدمتها لنفسى،

قال: رحمك الله، فأمر له بوسق من طعام وثوبين، فقال: أما الطعام فلا حاجة لي فيه، قد تركت في المنزل صاعين من شعير، إلى أن أكل ذلك قد جاء الله بالرزق، ولم يأخذ الطعام، وأما الثوبان فإن أم فلان عارية، فأخذهما ورجع إلى منزله.

فلم يلبث أن هلك رحمه الله، فبلغ ذلك عمر فشق عليه وترحم عليه، وخرج يمشى ومعه المشاءون إلى بقيع الغرقد، فقال لأصحابه: ليتمنَّ كل رجل منكم أمنية، فقال رجل: يا أمير المؤمنين وددت أن عندى مالا فأنفق فى سبيل الله، وقال آخر: وددت أن لى قوة فأُمِيح بدلو زمزم لحجاج بيت الله، فقال عمر بن الخطاب: وددت أن لى رجلا مثل عمير بن سعد أستعين به فى أعمال المسلمين^(١) رحمه الله ورضى الله عنه.

١٠٠- خزيمة بن ثابت بن الفاكه

ويكنى أبا عمارة - رضي الله عنه - كانت معه راية بنى خطمة فى غزاة الفتح، وكان يقال له: ذو الشهادتين، وشهد صفين مع على - رضي الله عنه - وقتل يومئذ سنة سبع وثلاثين.

عن عمارة بن خزيمة الأنصارى أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبی صلی الله علیه وسلم أن النبی صلی الله علیه وسلم ابتاع فرسا من أعرابي فاستتبعه النبی صلی الله علیه وسلم ليقتضيه ثمن فرسه، فأسرع النبی صلی الله علیه وسلم المشى وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومون بالفرس لا يشعرون أن النبی صلی الله علیه وسلم ابتاعه، حتى زاد بعضهم الأعرابي فى السوم على ثمن الفرس الذى ابتاعه به النبی صلی الله علیه وسلم فنادى الأعرابي النبی صلی الله علیه وسلم فقال: إن كنت متباعا هذا الفرس فابتعه وإلا بعته.

فقام النبی صلی الله علیه وسلم حين سمع نداء الأعرابي فقال أوليس قد ابتعته منك؟ قال الأعرابي: لا والله ما بعتك، فقال النبی صلی الله علیه وسلم: بلى قد ابتعته منك، فطفق الناس يلوذون بالنبی صلی الله علیه وسلم والأعرابي وهما يتراجعان، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدا يشهد أنى بايعتك، فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي: ويلك إن النبی صلی الله علیه وسلم لم يكن ليقول إلا حقا.

حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبی صلی الله علیه وسلم ومراجعة الأعرابي وطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدا يشهد أنى بايعتك، فقال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته، فأقبل النبی صلی الله علیه وسلم على

(١) انظر «حلية الأولياء» (٨٢٦).

(١٠٠) هو: خزيمة بن ثابت الفاكه بن ثعلبة الأنصارى الخطمى، بفتح المعجمة، أبو عمارة المدنى، ذو الشهادتين، من كبار الصحابة شهد بدرًا، وقُتل مع علىٍّ بصفين سنة سبع وثلاثين.

خزيمة فقال: بم تشهد؟ قال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة شهادة رجلين^(١).

وقد روى في بعض طرق هذا الحديث أن النبي ﷺ قال لخزيمة: بم تشهد ولم تكن معنا؟ قال: يا رسول الله، أنا أصدقك بخبر السماء أفلا أصدقك بما تقول؟
قال الواقدي: لم يسم لنا أخو خزيمة الذي روى هذا الحديث، وله أخوان يقال لأحدهما عبد الله وللآخر وحوح.

قال الخطابي: ووجه هذا الحديث أن النبي ﷺ حكم على الأعرابي بعلمه إذ كان النبي ﷺ صادقا بارا وجرت شهادة خزيمة في ذلك مجرى التوكيد لقوله له ﷺ والاستظهار بها على خصمه، فصارت في التقدير مع قول رسول الله ﷺ كشهادة رجلين في سائر القضايا، رحمه الله.

١٠١- زيد بن ثابت بن الضحاك

أبو سعيد، وقيل أبو خارجة، قدم رسول الله ﷺ المدينة وهو ابن إحدى عشرة سنة وأجيز في الخندق، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وأمره أبو بكر رضي الله عنه أن يجمع القرآن، وأمره عثمان فكتب المصحف وأبى بن كعب يملأ عليه.

عن الزهري قال: أخبرني ابن السباق أن زيد بن ثابت الأنصاري كان ممن يكتب الوحي، قال: أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإنى أرى أن يجمع القرآن، قال أبو بكر: فقلت لعمر: كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله عز وجل لذلك صدرى ورأيت الذي رأى عمر، قال أبو بكر: وإنك رجل شاب عاقل ولا تنهك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه.

(١) صحيح: أخرجه أبو داود في «كتاب الأقضية» حديث (٣٦٠٧) باب إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد يجوز له أن يحكم به والنسائي (٧/ ٣٠١) والطبراني في «الكبير» (٣٧٣٠) وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله كلهم ثقات «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٢٠) باب ما جاء في خزيمة ابن ثابت رضي الله عنه.

(١٠١) هو: زيد بن ثابت بن الضحاك بن كوزان الأنصاري البخاري، أبو سعيد، وأبو خارجة، صحابي مشهور، كتب الوحي، قال مسروق: كان من الراسخين في العلم، مات سنة خمس أو ثمان وأربعين، وقيل: بعد الخمسين.

فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن.
قال: قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجع حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبى بكر وعمر، فقمت فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والكتاف والعصب وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ (التوبة: ١٢٨) إلى آخرها، وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه الله عز وجل، ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر. انفرد بإخراجه البخارى ^(١).
وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتى أبو بكر، وأشدّها في دين الله عز وجل عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت» ^(٢).
وعن ابن عباس أنه أخذ لزيد بن ثابت بالركاب فقال: تنح يا بن عم رسول الله ﷺ، فقال: هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا.

وعن موسى بن على قال: سمعت أبى قال: إن كان الرجل ليأتى زيد بن ثابت فيسأله عن الشيء فيقول: الله أنزل هذا؟ فإن قال: الله أنزل هذا، أفناه وإن لم يحلف تركه.
وعن محمد بن سيرين قال: خرج زيد بن ثابت يريد الجمعة فاستقبله الناس راجعين فدخل داراً فقليل له، فقال: إنه من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله.
وعن ثابت بن عبيد قال: كان زيد بن ثابت من أفكه الناس في بيته وأزمته إذا خرج إلى الرجال.

وعنه قال: ما رأيت أحداً كان أفكه في بيته ولا أحلم في مجلسه إذا جلس مع القوم من زيد بن ثابت.

ذكر وفاة زيد رضي الله عنه:

قال الواقدي: مات زيد بن ثابت بالمدينة سنة خمس وأربعين، وهو ابن ست وخمسين سنة وقال غير الواقدي: مات سنة إحدى أو اثنين وخمسين وقال آخر: مات سنة خمس وخمسين.
وعن عمار بن أبى عمار، قال: لما مات زيد بن ثابت جلسنا إلى ابن عباس في ظل قصر فقال: هكذا ذهاب العلم لقد ذهب اليوم علم كثير.

(١) صحيح: أخرجه البخارى في «التفسير» حديث (٤٦٧٩) باب (٢٠) ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى في «المناقب» حديث (٣٧٩١) باب (٣٣) مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبى، وأبى عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وعن يحيى بن سعيد، قال: لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة: مات حبر هذه الأمة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً رضي الله عنه.

١٠٢- أبو جهم عبد الله بن الحارث بن الصمة الأنصاري رضي الله عنه

عن ابن غزية قال: كان أبو جهم بن الحارث بن الصمة الأنصاري لا يجالس الأنصار، فإذا قيل له، قال: الناس شر من الوحدة.

وكان يقول: لا أؤم أحدا ما عشت، وكان - فيما زعموا - من أعبد الناس وأشدهم اجتهداً، وكان لا يفارق المسجد.

١٠٣- شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر

يكنى أبا يعلى، وكانت له عبادة واجتهاد.

عن حسان بن عطية قال: كان شداد بن أوس في سفر فنزل منزلاً فقال لغلامه: اثنا بالسفرة نعبث بها، فأنكرت عليه فقال: ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها، غير كلمتي هذه فلا تحفظوها عليّ، واحفظوا عني ما أقول لكم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكثروا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، وأسألك لساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب»^(١).

وعن ثابت البناني قال: قال شداد بن أوس يوماً لرجل من أصحابه هات السفارة نتعلل

(١٠٢) هو: أبو جهيم، بالتصغير، ابن الحارث بن الصمة، بكسر المهملة وتشديد الميم، ابن عمرو الأنصاري، قيل: اسمه عبد الله وقد ينسب لجدّه، وقيل: هو عبد الله بن جهيم بن الحارث بن الصمة، قيل: اسمه الحارث بن الصمة، وقيل هو آخر غيره، صحابي معروف، وهو ابن أخت أبي بن كعب، بقي إلى خلافة معاوية.

(١٠٣) هو: شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري، أبو يعلى، صحابي مات بالشام قبل الستين أو بعدها، وهو ابن أخي حسان بن ثابت.

(١) ضعيف: أخرجه الترمذی فی «الدعوات» حديث (٣٤٠٧) باب (٢٣) ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام، وقال: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه.

بها، قال: فقال رجل من أصحابه: ما سمعت منك هذه الكلمة منذ صحبتك، فقال: ما أفلتت مني كلمة منذ فارقت رسول الله ﷺ إلا مخطومة أو مزومة غير هذه، وإيم الله لا تنفلت. وعن أسد بن وداعة، عن شداد بن أوس أنه كان إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه لا يأتيه النوم، فيقول: اللهم إن النار أذهبت مني النوم، فيقوم فيصلّي حتى يصبح^(١). وعنه قال: كان شداد بن أوس إذا أوى إلى فراشه كأنه حبة على مِقلَى، فيقول: اللهم إن النار قد أسهرتني، ثم يقوم إلى الصلاة.

وعن زياد بن ماهك قال: كان شداد بن أوس يقول: إنكم لن تروا من الخير إلا أسبابه، ولن تروا من الشر إلا أسبابه، الخير كله بحذافيره في الجنة، والشر بحذافيره في النار، وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر، ولكل بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا. وقال أبو الدرداء: وإن من الناس من يؤتى علما ولا يؤتى حلما، وإن أبا يعلى قد أوتى علما وحلما^(٢).

وعن أبي الدرداء أنه كان يقول: إن لكل أمة فقيها، وإن فقيه هذه الأمة شداد بن أوس. وعن محمود بن الربيع قال: قال شداد بن أوس لما حضرته الوفاة: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة الرياء والشهوة الخفية^(٣). قال ابن سعد: نزل شداد بن أوس فلسطين، ومات بها سنة ثمان وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين سنة - رضي الله عنه -.

١٠٤- أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم رضي الله عنه

أمه: أم سليم بنت ملحان، ذهبت به أمه إلى رسول الله ﷺ حين قدم المدينة، فكان يخدمه، وكان له يومئذ تسع سنين، ويقال ثمان، ويقال عشر. عن حميد، عن أنس قال: أخذت أم سليم بيدي مقدم النبي ﷺ المدينة، فأتت بي رسول الله ﷺ فقالت: هذا ابني وهو غلام كاتب. قال: فخدمته تسع سنين، فما قال لشيء صنعت: أسأت، أو بش ما صنعت.

(١) ضعيف: أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨٨٤).

(٢) ضعيف: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨٨٥). (٣) انظر «حلية الأولياء» (٨٩٨).

(١٠٤) هو: أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين، مشهور مات سنة اثنتين، وقيل: ثلاث وتسعين، وقد جاوز المائة.

وعن سيار بن ربيعة قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ذهبت بى أُمى إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، خويدمك، ادع الله له، فقال: اللهم أكثر ماله وولده وأطل عمره واغفر ذنبه^(١).

قال أنس: فلقد دفنت من صلبى مائة غير اثنين، أو قال: مائة واثنين، وإن ثمرتى لتحمل فى السنة مرتين، ولقد بقيت حتى سئمت الحياة، وأنا أرجو الرابعة.

وعن ثمامة بن عبد الله بن أنس قال: كان أنس يصلى فيطيل القيام حتى تقطر قدماه دما. وكان كرم أنس يحمل فى كل سنة مرتين.

وعن ثابت أن أبا هريرة قال: ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم، يعنى أنس بن مالك.

وعن معتمر بن سليمان قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ما بقى أحد صلى القبلتين كليهما غيرى.

وعن ثابت البنانى قال: شكا قثم لأنس بن مالك فى أرضه العطش، فصلى أنس فدعا، فثارت سحابة حتى غشيت أرضه ثم ملأت صهريججه، فأرسل غلامه فقال: انظر أين بلغت هذه؟ فنظر فإذا هى لم تعد أرضه.

وعن أبى غالب قال: لم أر أحدا كان أضن بكلامه من أنس بن مالك.

وعن ثابت قال: كان أنس إذا أشفى على ختم القرآن من الليل بقى منه سورة حتى يختمه عند عياله.

وعنه قال: كان أنس بن مالك إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم.

وعن ثمامة بن عبد الله بن أنس قال: كان لأنس ثوبان على المشجب كل يوم، فإذا صلى المغرب لبسهما فلم نقدر عليه ما بين المغرب والعشاء قائما يصلى.

وعن يزيد بن خصيفة قال: تنخم أنس بن مالك فى المسجد ونسى أن يدفنها، ثم خرج حتى جاء إلى أهله فذكرها فجاء بشعلة من نار حتى وجدها، ثم حفر لها فأعمق فدفنها.

قال أهل السير: مات أنس بالبصرة سنة اثنتين وتسعين، وقيل ثلاث وتسعين، وقيل إحدى وتسعين وهو ابن تسع وتسعين.

عن حميد أن أنسا عمّر مائة سنة، ومات سنة إحدى وتسعين.

قلت: وقد قيل: إنه مات ابن مائة وثلاث سنين، وقيل: تسع سنين، وغسله محمد بن سيرين، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة، رضى الله عنهم أجمعين.

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «الصوم» حديث (١٩٨٢) باب (٦١) من زار قوماً فلم يفرط عندهم، وفى «الدعوات» حديث (٦٣٤٤) باب (٢٦) دعوة رسول الله ﷺ لخادمه بطول العمر وبكثرة ماله.

١٠٥- أبو سعيد الخدري رضي الله عنه

واسمه سعد بن مالك بن سنان، استصغر يوم أحد فرد، فخرج فيمن يتلقى رسول الله ﷺ حين رجع من أحد، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: «سعد بن مالك؟» قال: قلت: نعم بأبي وأمي أنت، قال: فدنوت منه فقبلت ركبتيه فقال: «آجرك الله في أبيك» وكان قد قتل يومئذ شهيداً، ثم شهد أبو سعيد الخندق وما بعدها.

وعن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رجلاً من الأنصار كانت له حاجة فقال له أهله: انت النبي ﷺ فاسأله، فأتاه وهو يخطب ويقول: «من استعف أعفه الله، ومن استغنى أغناه الله، ومن سألنا فوجدنا له أعطياه» فذهب ولم يسأل^(١).

قلت: إنما أشار بهذا إلى نفسه، فهو الأنصاري الذي جرت له هذه القصة، وقد بين ذلك في حديث آخر، وقد قال فيه أبو سعيد:

أصبحت وليس عندنا طعام، وقد ربطت حجراً من الجوع، قالت لي امرأتى: انت النبي ﷺ فاسأله فقد أتاه فلان فسأله فأعطاه، وأتاه فلان فسأله فأعطاه، وأتاه فلان فسأله فأعطاه، فقلت: لا، حتى لا أجد شيئاً، فطلبت فلم نجد شيئاً فأتيت النبي ﷺ وهو يخطب فأدركت من قوله: «من يستغن يغنه الله، ومن يستعفف يعفه الله» قال: فما سألت أحداً بعده، وما زال الله يرزقنا حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالاً منا، ﷺ^(٢).

١٠٦- قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه

وكان من رسول الله ﷺ بمنزلة الشرط من الأمير.

عن داود بن قيس ومالك بن أنس، وإبراهيم بن محمد الأنصاري، وخارجة بن الحارث، وبعضهم قد زاد على صاحبه في الحديث، قالوا: بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في سرية فيها المهاجرون والأنصار، وهم ثلاث مائة رجل، وكان فيهم قيس بن سعد بن عبادة (١٠٥) هو: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري أبو سعيد الخدري، له ولأبيه صحبة، واستصغر بأحد، ثم شهد ما بعدها، وروى الكثير، مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين، وقيل سنة أربع وستين.

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» حديث (١٠٩٣١) والنسائي (في الزكاة) حديث (٢٥٩٥).

(٢) حسن: أخرجه أحمد في «المسند» حديث (١١٠٠١).

(١٠٦) هو: قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل، مات سنة ستين تقريباً، وقيل: بعد ذلك.

فأصابهم جوع شديد فقال قيس بن سعد: من يشتري منى تمرًا بعُزْرُ يوفيني الجزر ههنا وأوفيه التمر بالمدينة؟ فجعل عمر يقول: واعجبنا لهذا الغلام؟ لا مال له يدين في مال غيره، فوجد رجلا من جهينة يعطيه ما سأل، وقال: والله ما أعرفك ومن أنت؟ قال: أنا قيس بن سعد بن عبادة، فقال الجهني: ما أعرفني بنسبك.

فابتاع منه خمس جزائر كل جزور بوسقين من تمر، فقال الجهني: أشهد لى، فقال قيس: أشهد من تحب، فكان فيمن استشهد: عمر بن الخطاب، فقال: لا أشهد على هذا بدين، ولا مال له، إنما المال لأبيه، فقال الجهني: والله ما كان سعد ليخنى بابنه فى سفة فى تمر، وأرى وجها حسنا وفعالا شريفا.

وأخذ قيس الجزر فنحرها فى مواطن ثلاثة، كل يوم بعير فلما كان الرابع نهاه أميره وقال: تريد أن تخرب ذمتك ولا مال لك؟ قال قيس: يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت وهو يقضى ديون الناس ويحمل الكل ويُسَمِّى فى المجاعة ولا يقضى عنه سفة من تمر لقوم مجاهدين فى سبيل الله عز وجل؟.

فبلغ سعدا ما أصاب القوم من المجاعة فقال: ما صنعت فى مجاعة القوم حيث أصابتهم؟ قال: نحرت لهم، قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: ثم نحرت، قال: أصبت ثم ماذا؟ قال: نحرت، قال: أصبت ثم ماذا؟ قال: نُهِيت، قال: ومن نهاك؟ قال: أبو عبيدة أميرى، قال: ولم؟ قال: زعم أنه لا مال لى، إنما المال لك، فقلت: أبى يقضى عن الأبعاد ويحمل الكلَّ ويطعم فى المجاعة، أفلا يصنع هذا لى؟ قال: فلك أربع حوائط.

فكتب له بذلك كتابا وأتى بالكتاب إلى أبى عبيدة، فشهد فيه أدنى حائط منها يجد خمسين وسقا، وقدم البدوى مع قيس فأوفاه أوسقته وحمله وكساه، فقال الأعرابى لسعد: يا أبا ثابت، والله ما مثل ابنك ضيعت، ولا تركت بغير مال، فابنك سيد من سادات قومه، نهانى الأمير أن أبيع، وقال: لا مال له، فلما انتسب إليك عرفته فتقدمت إليه لما أعرف أنك تسمو إلى معالى الأخلاق وجسيمها.

وبلغ النبى ﷺ فعل قيس فقال: إنه فى بيت جود^(١).

وتوفى قيس بالمدينة فى آخر خلافة معاوية رضي الله عنه.

(١) ضعيف: أخرجه ابن عساكر، وفيه الواقدى وهو متروك.

١٠٧- عبد الله بن سلام رضي الله عنه

يكنى أبا يوسف، وكان اسمه الحصين، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله، وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وهو حليف القواقلة، من بنى عوف بن الخزرج. عن زرارة بن أبي أوفى، عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن أتى، فلما رأيت وجهه عرفت أنه غير وجه كذاب، فسمعته يقول: «أيها الناس، أفسحوا السلام، وصلوا الأرحام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»^(١).

عن أنس أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله ﷺ مقدمه المدينة فقال: يا رسول الله، إني سائلك عن ثلاث خصال لا يعلمها إلا نبي، قال: سل، قال: ما أول أشرط الساعة؟ وما أول ما يأكل منه أهل الجنة؟ ومن أين يشبه الولد أباه وأمه؟.

قال رسول الله ﷺ: أخبرني بهن جبريل آتفا، قال: قال جبريل! ذاك عدو اليهود من الملائكة، قال: أما أول أشرط الساعة فنار تخرج من المشرق تحشر الناس إلى المغرب، وأما أول ما يأكل منه أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما شبه الولد أباه وأمه فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع إليه الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع إليها.

قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، وقال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن علموا بإسلامي يبهتوني عندك، فأرسل إليهم فسلهم عنى أى رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قال: فأرسل إليهم فقال: أى رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وعالمنا وابن عالمنا، وأفقهنا وابن أفقهنا، قال: أرايتم إن أسلم تسلمون؟ قالوا: أعاده الله من ذلك، قال فخرج ابن سلام فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قالوا: شرنا وابن شرنا، وجاهلنا وابن جاهلنا، فقال ابن سلام: هذا الذى كنت أتخوف منهم. انفراد بإخراجه البخارى^(٢).

وأخرجا فى الصحيحين، من حديث قيس بن عباد قال: كنت جالسا فى مسجد المدينة

(١٠٧) هو: عبد الله بن سلام، الإسرائيلي، أبو يوسف، حليف بنى الخزرج، قيل: كان اسمه الحصين

فسماه النبي ﷺ عبد الله، مشهور له أحاديث وفضل، مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين.

(١) صحيح: أخرجه الترمذى فى «صفة القيامة» حديث (٢٤٨٥) باب (٤٢) وقال: هذا حديث

حسن صحيح، وابن ماجه فى «إقامة الصلاة والسنة فيها» حديث (١٣٣٤) باب (١٧٤) ما جاء فى قيام الليل.

(٢) صحيح: أخرجه البخارى فى «مناقب الأنصار» حديث (٣٩٣٨) باب (٥١).

فى ناس فىهم بعض أصحاب النبى ﷺ ، فجاء رجل فى وجهه أثر خشوع فقال بعض القوم: هذا رجل من أهل الجنة، فصلى ركعتين تجوزُ فيهما، ثم خرج فاتبعته فدخل منزله فدخلت فأخبرته، فقال: لا ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك لم ذاك؟ رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ فقصصتها عليه: رأيتنى فى روضة، وسط الروضة عمود من حديد، أسفله فى الأرض وأعلاه فى السماء، فى أعلاه عروة، فقبل لى إرقه، فقلت: لا أستطيع، فجاءنى مُنصفٌ، يعنى خادما، فقال بياىبى من خلفى، فأخذت بالعروة، فقصصتها على رسول الله ﷺ فقال: تلك الروضة الإسلام، وذاك العمود عمود الإسلام، وتلك العروة العروة الوثقى، وأنت على الإسلام حتى تموت، والرجل عبد الله بن سلام^(١).

وعن أبى بردة بن أبى موسى قال: قدمت المدينة فأتيت عبد الله بن سلام، فإذا رجل متخشع، فجلست إليه فقال: يا بن أخى، إنك جلست إلينا وقد حان قيامنا، فتأذن؟ قال ابن سعد: وتوفى عبد الله بن سلام بالمدينة سنة ثلاث وأربعين - رحمه الله -.

١٠٨- جلييب الصحابى ﷺ

عن أبى برزة الأسلمى أن جلييباً كان امراً من الأنصار، وكان أصحاب النبى ﷺ إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجه حتى يعلم النبى ﷺ: هل له فيها حاجة أم لا؟.

فقال رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار: يا فلان زوجنى ابتك، قال: نعم ونعمة عين، قال: إنى لست لنفسى أريدها، قال: لمن؟ قال لجلييب، قال: يا رسول الله حتى أستمّر أمها، فأتاها فقال: إن رسول الله ﷺ يخطب ابتك، قالت: نعم ونعمة عين، زوج رسول الله ﷺ، قال: إنه ليس لنفسه يريدها، قالت: فلمن؟ قال: لجلييب، قالت: حلقي، أجلييب؟ لا، لعمر الله، لا أزوج جلييبا.

فلما قام أبوها لياتى النبى ﷺ قالت الفتاة من خدرها لأبويها: من خطبنى إليكما؟ قال: رسول الله ﷺ، قالت: أفتردون على رسول الله ﷺ أمره؟ ادفعونى إلى رسول الله فإنه لن يضيعنى، فذهب أبوها إلى النبى ﷺ فقال: شأنك بها، فزوجها جلييبا.

قال إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة لثابت: أتدرى ما دعا لها به النبى ﷺ؟ قال: وما دعا لها به النبى ﷺ؟ قال: اللهم صب عليها الخير صبا صبا ولا تجعل عيشها كدا.

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «التعبير» حديث (٧٠١٤) باب (٢٣) التعليق بالعروة والحلقة، ومسلم فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٨٤) باب (٣٣) فضائل عبد الله بن سلام ﷺ.

قال ثابت: فزوجها إياه، فبينما رسول الله ﷺ في مغزى له قال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا نفقد فلانا، ونفقد فلانا ونفقد فلانا، ثم قال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نفقد فلانا ونفقد فلانا، ثم قال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا لا، قال: لكنى أفقد جلييبا، فاطلبوه في القتلى، فنظروا فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فقال رسول الله ﷺ: هذا منى وأنا منه، أقتل سبعة ثم قتلوه؟ هذا منى وأنا منه، أقتل سبعة ثم قتلوه؟ هذا منى وأنا منه، فوضعه رسول الله ﷺ على ساعديه ثم حفوا له، ما له سرير إلا ساعدى رسول الله ﷺ، حتى وضعه في قبره (١).

قال ثابت: فما فى الأنصار أيم أنفق منها.

قال ابن سعد: وسمعت من يذكر أن جلييبا كان رجلا من بنى ثعلبة حليفا فى الأنصار، والمرأة التى زوجها النبى ﷺ إياه من بنى الحارث بن الخزرج - مؤلفه.

(١) صحيح: أخرجه مسلم فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٧٢) باب (١٧) فضائل جلييب ﷺ.

ومن الطبقة الرابعة

ممن أسلم عند الفتح وفيما بعد ذلك:

١٠٩- حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ابن عبد العزى

يكنى أبا خالد.

مصعب بن عثمان قال: دخلت أم حكيم بن حزام الكعبة مع نسوة من قريش وهى حامل متم بحكيم بن حزام فضربها المخاض فى الكعبة فأُتيت بنطع حيث أعجلها الولادة فولدت حكيم بن حزام فى الكعبة على النطع، وكان حكيم من سادات قريش ووجهها فى الجاهلية وفى الإسلام.

قال الزبير: وحدثنى عمى مصعب بن عبد الله قال: جاء الإسلام ودار الندوة بيد حكيم ابن حزام فباعها بعد من معاوية بن أبى سفيان بمائة ألف درهم، فقال له عبد الله بن الزبير: بعت مكرمة قريش؟ فقال حكيم: ذهبت المكارم إلا التقوى، يا بن أخى، إني اشتريت بها دارا فى الجنة، أشهدك أنى قد جعلتها فى سبيل الله^(١).

وعن أبى بكر بن سليمان قال: حج حكيم بن حزام معه مائة بدنة قد أهداها وجللها الحبرة، وكفها عن أعجازها ووقف مائة وصيف يوم عرفة فى أعناقهم أطوقه الفضة قد نقش فى رؤوسها «عتقاء الله - عز وجل - عن حكيم بن حزام». وأعتقهم وأهدى ألف شاة.

وعن محمد بن سعد يرفعه: أن حكيم بن حزام بكى يوما، فقال له ابنه: ما يبكيك؟ قال: خصال كلها أبكاني: أما أولها فبطء إسلامى حتى سُبقت فى مواطن كلها صالحة، ونجوت يوم بدر وأحد فقلت: لا أخرج أبدا من مكة ولا أوضع مع قريش ما بقيت، فأقمت بمكة ويأبى الله - عز وجل - أن يشرح صدرى للإسلام، وذلك أنى أنظر إلى بقايا من قريش لهم أسنان متمسكين بما هم عليه من أمر الجاهلية فأقتدى بهم، ويا ليت أنى لم أقتد بهم، فما أهلكنا إلا الاقتداء بآبائنا وكبرائنا.

(١٠٩) هو: حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى الأسدى، أبو خالد المكى، ابن أخى خديجة أم المؤمنين، أسلم يوم الفتح، وصحب، وله أربع وسبعون سنة، ثم عاش إلى سنة أربع وخمسين أو بعدها، وكان عالما بالنسب.

(١) حسن: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» حديث (٣٠٧٣).

فلما غزا النبي ﷺ مكة جعلت أفكر، فخرجت أنا وأبو سفيان نستروح الخبر فلقي العباس أبا سفيان فذهب به إلى النبي ﷺ ورجعت فدخلت بيتي، فأغلقت عليّ، ودخل النبي ﷺ مكة فآمن الناس، فجئته فأسلمت وخرجت معه إلى حنين. وعن عروة أن حكيم بن حزام أعتق في الجاهلية مائة رقبة، وفي الإسلام مائة رقبة وحمل على مائة بعير.

قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: قدم حكيم بن حزام المدينة ونزلها وبنى بها داراً، ومات بها سنة أربع وخمسين وهو ابن مائة وعشرين سنة، رحمه الله.

١١٠- شعبة بن عثمان بن طلحة رضي الله عنه

قال الواقدي عن أشياخ له: إن شعبة بن عثمان كان يحدث عن إسلامه فيقول: ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم ما مضى عليه آبائنا من الضلالات، فلما كان عام الفتح ودخل النبي ﷺ عنوة قلت: أسير مع قريش إلى هوازن بحنين، فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأنار منه، فأكون أنا الذي قمت بئار قريش كلها، وأقول: ولو لم يبق من العرب والعجم، أحد إلا اتبع محمداً ما اتبعته أبداً.

فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته، وأصلت السيف فدنوت أريد ما أريد منه ورفعت سيفي، فرفع لي شواظ من نار كالبرق حتى كاد يمحشني، فوضعت يدي على بصرى خوفاً عليه، فالتفت إليّ رسول الله ﷺ وناداني: يا شعبة، ادنُ مني، فدنوت منه فمسح صدرى وقال: «اللهم أعذه من الشيطان» فوالله لهو كان ساعتئذ أحب إلي من سمعي وبصري ونفسي، وأذهب الله عز وجل ما كان بي.

ثم قال: ادن، فقاتل، فتقدمت أمامه أضرب بسيفي، الله يعلم أنني أحب أن أقيه بنفسى وكل شيء، ولو لقيت تلك الساعة أبي لو كان حياً لأوقعت به السيف.

فلما تراجع المسلمون وكروا كرة رجل واحد قربت بغلة رسول الله ﷺ فاستوى عليها فخرج في أثرهم حتى تفوقوا في كل وجه، ورجع إلى معسكره فدخل خباءه، فدخلت عليه فقال: يا شيب، الذي أراد الله بك خير مما أردت بنفسك.

(١١٠) هو: شعبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدي الحنفي، المكي، من مسلمة الفتح، وله صحبة وأحاديث، مات سنة تسع وخمسين.

من أسلم عند الفتح وفيما بعد ذلك

ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسي مما لم أكن أذكره لأحد قط، فقلت: فإنني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، ثم قلت: استغفر لي يا رسول الله، فقال: غفر الله لك^(١). قال الواقدي: كان عثمان بن أبي طلحة يلي فتح البيت إلى أن توفي فدفع ذلك إلى شيبة ابن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عمه، فبقيت الحجابة في ولد شيبة، وبقي شيبة حتى أدرك يزيد بن معاوية.

١١١- عكرمة بن أبي جهل

واسمه عمرو بن هشام:

عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح ركب عكرمة بن أبي جهل البحر هاربا فخب بهم البحر، فجعلت الصراري يدعون الله ويوحدونه، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله، قال: هذا إله محمد الذي يدعوننا إليه، فارجعوا بنا، فرجع فأسلم. وعن مصعب بن سعد، عن عكرمة بن أبي جهل قال: قال النبي ﷺ يوم جثته: مرحبا بالراكب المهاجر، قلت: والله يا رسول الله لا أدع نفقة أنفقتها عليك إلا أنفقت مثلها في سبيل الله^(٢).

وعن عبد الله بن أبي مليكة، أن عكرمة بن أبي جهل كان إذا اجتهد في اليمين قال: لا والذي نجاني يوم بدر، وكان يضع المصحف على وجهه ويقول: كتاب ربي، كتاب ربي. استشهد عكرمة يوم اليرموك في خلافة أبي بكر، فوجدوا فيه بضعا وسبعين من بين ضربة وطعنة ورمية.

١١٢- سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر

يكنى أبا يزيد، أسر يوم بدر وفدى، وهو الذي تولى المصالحة على «القضية» التي كتبت بالحديبية، وأقام على دينه إلى يوم الفتح، وكان ابنه عبد الله من المهاجرين الأولين وممن

(١) ضعيف: فيه - الواقدي - وهو متروك.

(١١١) هو: عكرمة بن أبي جهل بن هشام المخزومي، صحابي، أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، واستشهد بالشام في خلافة أبي بكر الصديق على الصحيح.

(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي في «الاستئذان» حديث (٢٧٣٥) باب (٣٤) ما جاء في مرحبا، وقال: هذا حديث ليس إسناده بصحيح لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه من حديث موسى بن مسعود، عن سفيان، وموسى بن مسعود ضعيف في الحديث.

(١١٢) هو: سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن ملك بن حسل بن عاهر بن لوى القرشي العامري، يكنى أبا زيد.

شهد بدرا، فبعث إليه يسأله أن يستأمن له رسول الله ﷺ فآمنه يوم الفتح، ثم خرج مع رسول الله ﷺ إلى حنين وهو على شركه حتى أسلم بالجعرانة.

عن ابن قمادين قال: لم يكن أحد من كبراء قريش، الذين تأخر إسلامهم فأسلموا يوم فتح مكة، أكثر صلاة ولا صوما ولا صدقة ولا أقبل على ما يعنيه من أمر الآخرة، من سهيل بن عمرو، حتى إن كان لقد شحب لونه، وكان كثير البكاء رقيقا عند قراءة القرآن، لقد رثي يختلف إلى معاذ بن جبل حتى يقرئه القرآن وهو بمكة، حتى خرج معاذ من مكة، فقال له ضرار بن الخطاب: يا أبا يزيد، تختلف إلى هذا الخزرجي يقرئك القرآن؟ ألا يكون اختلافك إلى رجل من قومك من قريش؟ فقال: يا ضرار، هذا الذي صنع بنا ما صنع حتى سبقنا كل سبق، أي لعمرى أختلف إليه، لقد وضع الإسلام أمر الجاهلية، ورفع الله بالإسلام قوما كانوا لا يذكرون في الجاهلية فليتنا كنا مع أولئك فتقدمنا.

وعن الحسن قال: حضر باب عمر بن الخطاب - رحمته - سهيل بن عمرو، والحرث، وبلال، وتلك الموالى الذين شهدوا بدرا، فخرج آذن عمر فأذن لهم، وترك هؤلاء، فقال أبو سفيان: لم أر كاليوم قط، يأذن لهؤلاء العبيد ونحن على بابه لا يلتفت إلينا؟ فقال سهيل بن عمرو، وكان رجلا عاقلا: أيها القوم إني والله لقد أرى الذي في وجوهكم، إن كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم، دُعِ القوم ودُعِيتم فأسرعوا وأبطأتم، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتهم؟ أما والله لما سبقوكم إليه من الفضل مما لا ترون أشد عليكم فوتا من بابكم هذا الذي كنتم تنافسونهم عليه، قال: ونفض ثوبه وانطلق.

قال الحسن: وصدق والله سهيل، لا يجعل الله عبدا أسرع إليه كعبد أبطأ عنه.

خرج سهيل بن عمرو إلى الشام مرابطا فمات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة - رحمته - (١).

١١٣- أبو أمانة الباهلي

واسمه صدى بن عجلان:

عن رجاء بن حيوة، عن أبي أمانة قال: أنشأ رسول الله ﷺ غزوا فأتيته فقلت: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة، فقال: اللهم سلمهم وغنمهم، قال: فغزونا وسلمنا وغنمنا.

(١) حكاه الشافعي والواقدي، كما في «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٢٣) ط. دار الفكر.

(١١٣) هو: صدى - بالتصغير - ابن عجلان، أبو أمانة الباهلي، صحابي مشهور، سكن الشام ومات بها سنة ست وثمانين.

من أسلم عند الفتح وفيما بعد ذلك

ثم أتيته بعد ذلك فقلت: يا رسول الله، مرني بعمل آخذك عنك ينفعني الله عز وجل به، قال: عليك بالصوم فإنه لا مثل له.

قال: فكان أبو أمامة وامرأته وخادمه لا يلقون إلا صياماً، فإذا رأوا نارا أو دخاناً بالنهار في منزلهم عرفوا أنه قد اعتراهم ضيف^(١).

قال: ثم أتيته بعد ذلك فقلت: يا رسول الله إنك قد أمرتني بأمر وأرجو أن يكون الله عز وجل قد نفعني به، فمرني بأمر آخر ينفعني الله عز وجل به، قال: اعلم أنك لا تسجد لله عز وجل سجدة إلا رفع الله عز وجل لك بها درجة أو حط بها عنك خطيئة.

وعن مولاة لأبي أمامة الباهلي قالت: كان أبو أمامة رجلاً يحب الصدقة ويجمع لها من بين الدينار والدرهم والفلس، وما يأكل حتى البصلة ونحوها، ولا يقف به سائل إلا أعطاه ما تهيأ له، حتى يضع في يد أحدهم البصلة.

قالت: فأصبحنا ذات يوم وليس في بيته شيء من الطعام لذلك ولا لنا، وليس عنده إلا ثلاثة دنانير، فوقف به سائل فأعطاه ديناراً، ثم وقف به سائل فأعطاه ديناراً، ثم وقف سائل فأعطاه ديناراً.

قالت: فغضبت وقلت: لم يبق لنا شيء، فاستلقي على فراشه، وأغلقت عليه باب البيت حتى أذن المؤذن للظهر فجئته فأيقظته فراح إلى مسجده صائماً، فرققت عليه فاستقرضت ما اشتريت به عشاء فهيأت سراجاً وعشاءً ووضعت مائدة ودنوت من فراشه لأمهده له، فرفعت المرفقة، فإذا بذهب، فقلت في نفسي: ما صنع إلا ثقة بما جاء به، قالت: فعددتها فإذا ثلاثمائة دينار، فتركته على حالها حتى أنصرف على العشاء.

قالت: فلما دخل ورأى ما هيأت له حمد الله تعالى وتبسم في وجهي، وقال: هذا خير من غيره، فجلس فتعشى، فقلت: يغفر الله لك جئت بما جئت به ثم وضعت بموضع مضيعة؟ فقال: وما ذاك؟ فقلت: ما جئت به من الدنانير، ورفعت المرفقة عنها، ففزع لما رأى تحتها وقال: ويحك ما هذا؟ فقلت: علم لي به إلا أني وجدته على ما ترى.

قالت: فكثر فزعه، رحمه الله^(٢) ورضى عنه.

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المستدرك» حديث (٢٢٢٠٢) وابن خزيمة في «صحيحه» حديث (١٨٩٣).

١١٤- لييد بن ربيعة بن مالك الشاعر - رضي الله عنه .

عن الشعبي قال: كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى المغيرة بن شعبة، وهو عامله على الكوفة، أن ادع من قبلك من الشعراء فاستنشدهم ما قالوا من الشعر في الجاهلية والإسلام، ثم اكتب بذلك إلى.

فدعاهم المغيرة فقال للييد بن ربيعة: أنشدني ما قلت من الشعر في الجاهلية والإسلام، فقلت: لقد أبدلني الله بذلك سورة البقرة وآل عمران.

وقال للأغلب العجلي: أنشدني، فقال:

أرجزا تريد أم قصيدا لقد سألت هينا موجودا

قال: فكتب المغيرة بذلك إلى عمر، فكتب عمر أن انقص الأغلب خمسمائة من عطائه

وزدها في عطاء لييد.

فرحل إليه الأغلب وقال: أنتقصني أن أطعك؟ فكتب عمر إلى المغيرة أن رد على

الأغلب الخمس مائة التي نقصته وأقرها زيادة في عطاء لييد.

قال ابن سعد: وقال عبد الملك بن عمير: مات لييد ليلة نزل معاوية النخيلة لمصالحة

الحسن بن علي - رضي الله عنه - .

١١٥- تميم بن أوس بن خارجة بن سويد الداري - رضي الله عنه .

وفد على رسول الله ﷺ في جماعة من الدارين منصرفه من تبوك، فأسلم واستأذن

عمر رضي الله عنه في القصص، فكان يقص.

عن حماد بن زيد قال: ثنا أيوب عن محمد أن تميما الداري اشترى حلة بألف فكان يقوم

فيها بالليل إلى صلاته، قالوا لحماذ بن زيد: ألف درهم؟ قال: نعم ^(١).

وعن ثابت أن تميما الداري كانت له حلة قد ابتاعها بألف درهم وكان يلبسها في الليلة

التي ترجى فيها ليلة القدر.

وعن محمد بن سيرين، قال: كان تميم الداري يقرأ القرآن في ركعة.

وعن أبي قلابة قال: كان تميم الداري يختم القرآن في سبع ليال.

(١١٥) هو: تميم بن أوس بن خارجة الداري، أبو رقية - بقاف - مصغر، صحابي مشهور، سكن بيت

المقدس بعد قتل عثمان، قيل: مات سنة أربعين.

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (٤ / ٨٦).

وعن مسروق قال^(١): قال لى رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الدارى، صلى ليلة حتى أصبح أو كرب أن يصبح، يقرأ آية ويردها ويبكى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (البجائية: ٢١) الآية.

وعن محمد بن أبى بكر عن أبيه قال: زارتنا «عمرة» فباتت عندنا فقمت من الليل فلم أرفع صوتى بالقراءة فقالت: يا بن أخى، ما منعك أن ترفع صوتك بالقراءة؟ فما كان يوقظنا إلا صوت معاذ القارئ وتميم الدارى.

وعن يزيد بن عبد الله قال: قال رجل لتميم الدارى: ما صلاتك بالليل؟ فغضب غضبا شديدا، ثم قال: والله لركعة أصليها فى جوف الليل فى سر أحب إلى من أن أصلى الليل كله ثم أقصه على الناس.

فغضب الرجل فقال: الله أعلم بكم يا أصحاب رسول الله ﷺ، إن سألناكم عنفتونا، وإن [لم] نسألکم حفيتونا، فأقبل عليه تميم فقال: أرأيتك لو كنت مؤمنا قويا وأنا مؤمن ضعيف سأعطيك أنا على ما أعطاك الله؟ ولكن خذ من دينك لنفسك، ومن نفسك لديك حتى تستقيم على عبادة تطبيقها^(٢).

وعن صفوان بن سليم قال: قام تميم الدارى فى المسجد بعد أن صلى العشاء فمر بهذه الآية ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالْحُونِ﴾ (١٠٤) ﴿المؤمنون: ١٠٤﴾ فما خرج منها حتى سمع أذان الصبح. وعن محمد بن المنكدر أن تميما الدارى نام ليلة لم يقم يتهجد فيها حتى أصبح، فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذى صنع.

١١٦- جرير بن عبد الله بن جابر . رضى الله عنه .

قدم المدينة فى رمضان سنة عشر، وقال: لما دنوت من المدينة أنخت راحلتى ثم حللت عيبتى ولبست حلتى فدخلت ورسول الله ﷺ يخطب، فسلمت عليه فرمانى الناس بالحدق، فقلت لجليسى: هل ذكر رسول الله ﷺ من أمرى شيئا؟ قال: نعم ذكرك فأحسن الذكر، بينا هو يخطب إذ قال: «إنه سيدخل عليكم من هذا الفج، أو من هذا الباب الآن خير ذى يمن، ألا وإن على وجهه مسحة ملك» فحمدت الله عز وجل على ما أبلانى^(٣).

(١) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» رقم (١٢٥٠).

(٢) ضعيف: انظر «مختصر دمشق» (٥/ ٣٢٠) و «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٨٥).

(١١٦) هو: جرير بن عبد الله بن جابر البجلي، صحابى مشهور، مات سنة إحدى وخمسين، وقيل بعدها.

(٣) حسن: أخرجه أحمد فى «المسند» (١٩٢٤٧).

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول: إن جريرا يوسف هذه الأمة، يعنى بذلك حسنه (١).

وبعثه رسول الله ﷺ إلى هدم ذى الخلصة وهو بيت لخنم كان يسمى الكعبة اليمانية، فأضرمه بالنار.

وعن الشعبي أن عمر - رضي الله عنه - كان في بيت ومعه جرير بن عبد الله، فوجد عمر ريحا فقال: عزمت على صاحب هذه الريح لما قام فتوضأ، فقال جرير: يا أمير المؤمنين أو يتوضأ القوم جميعا؟ فقال عمر رضي الله عنه: رحمك الله، نعم السيد كنت في الجاهلية، ونعم السيد أنت في الإسلام (٢).

وعن قيس قال: شهدت الأشعث وجريرا حضرا جنازة، فقدم الأشعث جريرا، ثم التفت إلى الناس فقال إنني ارتددت وإنه لم يرتد.

قال ابن سعد: وقال يزيد بن جرير عن أبيه أن عمر قال له - والناس يتحامون العراق وقتال الأعاجم: سر بقومك فما غلبت عليه فلك ربه.

فلما جمعت الغنائم، غنائم جلولاء، ادعى جرير أن له ربع ذلك كله، فكتب سعد إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بذلك فكتب عمر: صدق جرير، قد قلت ذلك له، قال: فإن شاء أن يكون قاتل وهو وقومه على جُعَلٍ فأعطوه جعله، وإن يكن إنما قاتل الله ولدينه وجنته فهو رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم.

فلما قدم الكتاب على سعد أخبر جريرا بذلك، فقال جرير: صدق أمير المؤمنين، لا حاجة لي بذلك، أنا رجل من المسلمين.

١٧٧- حممة حمزة رضي الله عنه.

قال حميد بن عبد الرحمن: كان رجل يقال له حممة من أصحاب رسول الله ﷺ، خرج إلى أصبهان غازيا وفتحت في خلافة عمر فقال: اللهم إن حممة يزعم أنه يحب لقاءك، فإن كان صادقا فاعزم له عليه بصدقه، وإن كان كاذبا فاعزم له عليه وإن كره، اللهم لا ترد حممة من سفره هذا، فمات بأصبهان.

(١) ضعيف جداً: فهو من رواية - عمرو بن إسماعيل بن مجالد - قال الدارقطني والنسائي وابن حجر: متروك، انظر «تحرير تقريب التهذيب» (٣/ ٦٦).

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٤٥).

فقام أبو موسى فقال: ألا إنا والله ما سمعنا فيما سمعنا من بينكم، وما بلغ علمنا إلا أن حممة شهيد.

وعن عبد الأعلى بن عبد الله قال: أصابت حممة شرارة فكان لا يضحك، فقبل له: ما لك لا تضحك؟ قال: حتى أعلم أفي الجنة أنا أم في النار؟.

قلت: وقد روي أن حممة هذا هبط واديا فأقام يصلى فيه أربعين يوما، وسيأتي ذكر هذا في أخبار عامر بن عبد قيس.

وروي أنه بات عند هرم بن حيان، فبات يبكي إلى الصباح، وسيأتي في أخبار هرم، إن شاء الله تعالى.

١١٨- حدير عليه السلام

عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث جيشا فيهم رجل يقال له: حدير، وكانت تلك السنة قد أصابتهم سنة من قلة الطعام، فزودهم رسول الله ﷺ ونسى أن يزود حديرا. فخرج حدير صابرا محتسبا، وهو في آخر الركب يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، وسبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ويقول: نعم الزاد هو يا رب، فهو يرددها وهو في آخر الركب.

قال: فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له: إن ربى أرسلنى إليك يخبرك أنك زودت أصحابك ونسيت أن تزود حديرا، وهو في آخر الركب يقول: لا إله إلا الله والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ويقول: نعم الزاد هو يا رب، قال: فكلامه ذلك له نور يوم القيامة ما بين السماء والأرض، فابعث إليه بزاد.

فدعا النبي ﷺ رجلا فدفع إليه زاد حدير، وأمره إذا انتهى إليه حفظ عليه ما يقول، وإذا دفع إليه الزاد حفظ عليه ما يقول، ويقول له: إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله، ويخبرك أنه كان نسي أن يزودك، وإن ربى تبارك وتعالى أرسل إلى جبريل يذكرنى بك، فذكره جبريل وأعلمه مكانك.

فانتهى إليه وهو يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ويقول: نعم الزاد هذا يا رب، قال: فدنا منه ثم قال له: إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله، وقد أرسلنى إليك بزاد معى، ويقول: إنى إنما نسيتك

فأرسل إلى جبريل من السماء يذكرني بك، قال فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ ثم قال: الحمد لله رب العالمين، ذكرني ربي من فوق سبع سموات، ومن فوق عرشه، ورحم جوعي وضعفي، يا رب كما لم تنس حديرا فاجعل حديرا لا ينساك.

قال: فحفظ ما قال ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره بما سمع منه حين أتاه، وبما قال حين أخبره، فقال رسول الله ﷺ: أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيت لكلامه ذلك نوراً ساطعاً ما بين السماء والأرض.

ومن الطبقة الخامسة وهم الذين توفى

رسول الله ﷺ وهم أحداث الأسنان:

١١٩- عبد الله بن العباس بن عبد المطلب

يكنى أبا العباس، ولد في الشعب وبو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين.

وتوفى النبي ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة^(١) وكان حبر الأمة ويسمى البحر لغزارة علمه، وكان عمر وعثمان - رضي الله عنهما - يدعوانه فيشير عليهما مع أهل بدر، وكان يفتي في عهدهما إلى أن مات، وكان له من الولد: العباس، وعلي السجاد، والفضل، ومحمد، وعبيد الله، ولبابة، وأسماء.

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان في بيت ميمونة فوضعت له وضوءاً من الليل، قال: فقالت له ميمونة: وضع لك هذا يا رسول الله عبد الله بن عباس، فقال ﷺ: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»^(٢).

وعن عكرمه عن ابن عباس قال: ضمنى إليه رسول الله ﷺ وقال: «اللهم علمه بالحكمة»^(٣).

وعنه، عن ابن عباس قال: رأيت جبريل عليه السلام مرتين، ودعا لى رسول الله ﷺ بالحكمة مرتين.

(١١٩) هو: عبد الله بن العباس بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن فكان يسمى: البحر، والحبر، لسعة علمه، وقال عمر: لو أدرك ابن عباس أستاذنا ما عشره منا أحد، مات سنة ثمان وستين بالطائف.

(١) روى أبو بشر، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: توفى النبي ﷺ وأنا ابن عشر، أخرجه أحمد في «المسند» (٢٢٨٣) وقال شعبة عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: توفى رسول الله ﷺ وأنا ابن خمس عشرة سنة وأنا ختن. أخرجه أحمد في «المسند» (٣٥٤٣) والطبراني في «الكبير» (١٠٥٧٨).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٢٣٩٧).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري في «العلم» حديث (٧٥) باب (١٧) قول النبي ﷺ: «اللهم علمه الكتاب».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس فقال: «اللهم بارك فيه وانشر منه».

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان عمر - رضي الله عنه - يأذن لأهل بدر ويأذن لى معهم، فقال بعضهم: أتأذن لهذا الفتى ومن أبناثنا من هو مثله؟ فقال: فإنه ممن قد علمتم. فأذن لهم يوماً وأذن لى معهم، فسألهم عن هذه السورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ (النصر: ١، ٢) فقالوا: أمر الله - عز وجل - نبيه إذا فتح الله عليه أن يستغفر وأن يتوب إليه، فقال لى: ما تقول يا ابن عباس؟ فقال: ليس كذلك، ولكنه أخبر نبيه ﷺ بحضور أجله فقال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ أى: فعند ذلك علامة موتك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٣) ﴿١﴾.

فقال لهم: كيف تلوهمونى عليه بعد ما ترونه؟.

وعن الأوزاعى قال: قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن عباس: والله إنك لأصبح فتياننا وجهاً، وأحسنهم عقلاً، وأفقههم فى كتاب الله عز وجل.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان عمر يسألنى مع أصحاب محمد، وكان يقول لى: لا تكلم حتى يتكلموا، فإذا تكلمت قال: غلبتمونى أن تأتوا بمثل ما جاء به هذا الغلام الذى لم يجتمع شئون رأسه.

قال ابن إدريس: وشئون رأسه: الشيب الذى يكون فى الرأس.

وعن الحسن قال: كان ابن عباس يقوم على منبرنا هذا فيقرأ البقرة، وآل عمران فيفسرهما آية آية.

وكان عمر إذا ذكره قال: ذاكم فتى الكهول، له لسان سئول وقلب عقول.

وعن المغيرة قال: قيل لابن عباس: أنى أصبت هذا العلم؟ قال: لسان سئول، وقلب عقول.

وعن مسروق قال: قال عبد الله: لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد، قال: وكان يقول: نعم ترجمان القرآن ابن عباس.

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «المغازى» حديث (٤٢٩٤) باب (٥١) منزل النبى ﷺ يوم الفتح.

من توفي رسول الله ﷺ وهم أحداث الأسنان

وعن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجبا لك يا بن عباس، أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟ قال: فتركت ذلك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فأتى بابه وهو قائل فأتوسد التراب فيخرج فيراني فيقول: يا بن عم رسول الله، ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلى فأتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن أتيك فأسألك عن الحديث. فعاش ذلك الفتى الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني^(١).

وعن أبي صالح قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخرا، رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا أن يذهب، قال فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه فقال: ضع لي وضوءا، قال: فتوضأ وجلس، وقال: اخرج فقل لهم: من أراد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل. قال: فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر.

ثم قال: إخوانكم، قال: فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل، قال: فخرجت فأذنتهم، فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر.

ثم قال: إخوانكم، قال: فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقهاء فليدخل، قال فخرجت فقلت لهم، فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله.

ثم قال: إخوانكم، قال: فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل، قال: فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله.

ثم قال: إخوانكم، قال: فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن العرية والشعر، والغريب من الكلام فليدخل، قال: فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله.

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠٥٩٢).

قال أبو صالح: فلو أن قريشاً كلها فخرت بذلك لكان لها فخراً، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس^(١).

وعن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر أن رجلاً أتاه يسأله عن السموات والأرض ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (الأنبياء: ٣٠) قال: اذهب إلى ذلك الشيخ فسله، ثم تعالى فأخبرني ما قال. فذهب إلى ابن عباس فسأله فقال ابن عباس: كانت السموات رتقا لا تمطر، وكانت [الأرض] رتقا لا تنبت، ففتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره فقال: إن ابن عباس قد أوتى علماً، صدق، هكذا كانت. ثم قال ابن عمر: لقد كنت أقول: ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن علمت أنه قد أوتى علماً^(٢).

وعن مجاهد قال: كان ابن عباس يسمى البحر، من كثرة علمه. وعن شقيق قال: خطب ابن عباس وهو على الموسم، فافتتح سورة البقرة فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله، ولو سمعته فارس والروم لأسلمت. وكان طاوس يقول: كان ابن عباس قد بسق على الناس في العلم كما بسق النخلة السحوق على الودي الصغار.

وعن ابن بريده قال: شتم رجل ابن عباس فقال ابن عباس: إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال: إني لآتي على الآية من كتاب الله عز وجل، فلو ددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به، ولعلي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلداً من بلدان المسلمين فأفرح به وما لي به من سائمة.

وعن ميمون بن مهران قال: سمعت ابن عباس يقول: ما بلغني عن أخ مكروه قط إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل: إن كان فوقى عرفت له قدره، وإن كان نظيرى تفضلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به، هذه سيرتي في نفسي، فمن رغب عنها فأرض الله واسعة. وعن أبي حمزة، عن ابن عباس قال: لأن أقرأ البقرة في ليلة وأنفكر فيها أحب إلي من أن أقرأ القرآن هذرمة.

(١) انظر «حلية الأولياء» رقم (١١٢٩).

(٢) انظر «حلية الأولياء» (١١٢٨).

من توفى رسول الله ﷺ وهم أحداث الأستان

وعن الضحاك، عن ابن عباس أنه قال: يا صاحب الذنب لا تأمن سوء عاقبته، ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته، قلة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظم من الذنب الذى صنعت، وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانع بك، أعظم من الذنب، وفرحك بالذنب إذا عملته أعظم من الذنب، وحزنك على الذنب إذا فاتك، أعظم من الذنب إذا ظفرت به، وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا عملته.

وعن عبد الله بن أبي مليكة قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان إذا نزل قام شطر الليل يرتل ويكثر فى ذلك التسييح.

وعن أبى رجاء قال: كان هذا الموضع من ابن عباس مجرى الدموع كأنه الشراك البالى.

وعن طاوس، كان يقول: ما رأيت أحدا أشد تعظيما لحرمان الله عز وجل من ابن عباس، والله لو أشاء - إذا ذكرته - أن أبكى لبكيت.

وعن سماك أن ابن عباس سقط فى عينيه الماء فذهب بصره، فأتاه هؤلاء الذين يتقبن العيون ويسيلون الماء، فقالوا: خل بيننا وبين عينيك نسيل ماءهما، ولكنك تمكث خمسة أيام لا تصلى يعنى قائما، قال: لا والله ولا ركعة واحدة، إنى حدثت أنه من ترك صلاة واحدة متعمدا لقى الله - عز وجل - وهو عليه غضبان.

وعن عكرمة، عن ابن عباس قال: لأن أعول أهل البيت من المسلمين شهرا أو جمعة أو ما شاء الله، أحب إلى من حجة بعد حجة، ولطبق بدائق أهديه إلى أخ لى فى الله أحب إلى من دينار أنفقه فى سبيل الله عز وجل.

وعن الضحاك: عن ابن عباس قال: لما ضرب الدينار والدرهم أخذه إبليس فوضعه على عينيه، وقال: أنت ثمرة قلبى وقررة عيني، بك أطغى، وبك أكفر، وبك أدخل الناس النار، رضيت من ابن آدم بحب الدنيا أن يعبدنى.

وعن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: آخر شدة يلقاها المؤمن: الموت.

وعن عكرمة، عن ابن عباس قال: خذ الحكمة ممن سمعت، فإن الرجل ليتكلم بالحكمة وليس بحكيم، فتكون كالرمية خرجت من غير رام.

ذكر وفاة ابن عباس رضي الله عنه:

توفى ابن عباس بالطائف سنة ثمان وستين، وهو ابن إحدى وسبعين سنة.

وعن ميمون بن مهران قال: شهدت جنازة عبد الله بن عباس بالطائف، فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى دخل في أكفانه فالتمس فلم يوجد، فلما سوى عليه سمعنا صوتاً نسمع صوته ولا نرى شخصه: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾ (الفجر) (١).

ولما بلغ جابر بن عبد الله وفاة ابن عباس صفق بإحدى يديه على الأخرى وقال: مات أعلم الناس وأحلم الناس، ولقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق.
وعن منذر قال: لما مات ابن عباس قال ابن الحنفية: اليوم مات رباني هذه الأمة.

١٢٠- الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

يكنى أبا محمد، ولد في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وأذن رسول الله ﷺ في أذنه، وكان له من الولد خمسة عشر ذكراً وثمان بنات.
عن البراء قال: رأيت رسول الله ﷺ واضعاً الحسن بن عليٍّ على عاتقه وهو يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه» أخرجاه في الصحيحين (٢).
وعن عقبة بن الحارث قال: خرجت مع أبي بكر من صلاة العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليال، وعلى يمشى إلى جنبه، فمر بالحسن بن علي يلعب مع غلمان، فاحتمله على رقبته وهو يقول: وإبأبي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي، قال: وعلى يضحك. انفرد بإخراجه البخاري (٣).

وفي أفراد من حديث أبي بكر قال: رأيت النبي ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٠٥٨١).

(١٢٠) هو: الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وقد صحبه وحفظ عنه، مات شهيداً بالسهم، سنة تسع وأربعين وهو ابن سبع وأربعين، وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل بعدها.

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «فضائل الصحابة» حديث (٣٧٤٩) باب (٢٢) مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، ومسلم في «الفضائل» حديث (٢٤٢٢) باب (٨، ٩) من فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «فضائل الصحابة» حديث (٣٧٥٠) باب (٢٢) مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيد ولعل الله عز وجل، أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(١).

وأخرجنا من حديث أبي جحيفة قال: رأيت النبي ﷺ، وكان الحسن يشبهه^(٢).

وعن أنس بن مالك قال: كان الحسن بن علي أشبههم وجهها برسول الله ﷺ.

وعن سعيد بن عبد العزيز: قال: إن الحسن بن علي سمع رجلا يسأل ربه عز وجل أن يرزقه عشرة آلاف، فانصرف الحسن فبعث بها إليه.

وعن محمد بن علي قال: قال الحسن: إني لأستحي من ربي عز وجل أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فمشى عشرين مرة من المدينة على رجله.

وعن علي بن زيد قال: حج الحسن خمس عشرة حجة ماشيا وإن التجائب لتقاد بين يديه، وخرج من ماله لله مرتين، وقاسم الله عز وجل ماله ثلاث مرار حتى إن كان ليعطى نعلا ويمسك نعلا.

ذكر وفاة الحسن - رضي الله عنه -:

عن عمير بن إسحاق قال: دخلت أنا ورجل علي الحسن بن علي نعوذه، فقال يا فلان: سلني، فقال: لا والله لا نسألك حتى يعافيك الله، قال: ثم دخل، ثم خرج إلينا فقال: سلني قبل ألا تسألني، قال: بل يعافيك الله عز وجل، قال: لقد ألقيت طائفة من كبدي وإني قد سقيت السم مرارا، فلم أسق مثل هذه المرة.

ثم دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه والحسين عن رأسه، قال: يا أخي، من تتهم؟ قال: لم؟ لتقتله؟ قال: نعم، قال: إن يكن الذي أظن فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا، وإلا يكن فما أحب أن يقتل بي برىء، ثم قضى - رضي الله عنه -.

وعن رقية بن مصقلة قال: لما نزل بالحسن بن علي الموت قال: أخرجوا فراشي إلى صحن الدار، فأخرج، فقال: اللهم إني أحسب نفسي عندك، فإني لم أصب بمثلها، غير رسول الله ﷺ.

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «الصلح» حديث (٢٧٠٤) باب (٩) قول النبي ﷺ للحسن رضي الله عنه: «إن ابني هذا سيد

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «فضائل الصحابة» حديث (٣٧٥٢) باب (٢٢) مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وقد ذكر يعقوب بن سفيان في تاريخه أن بنت الأشعث بن قيس كانت تحت الحسن بن علي فزعموا أنها هي التي سمته.

مرض الحسن بن علي - (عليه السلام) - أربعين يوما، وتوفي لخمس ليال خلون من ربيع الأول سنة خمسين، وقيل: سنة تسع وأربعين ودفن بالبقيع، (عليه السلام).

١٢١- الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام

ولد في شعبان سنة أربع من الهجرة، وله من الولد: علي الأكبر، وعلي الأصغر، وله العقب، وجعفر، وفاطمة، وسكينة.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ﷺ): «هما ريحانتاي من الدنيا»^(١) يعني الحسن والحسين عليهما السلام. انفراد بإخراجه البخارى.

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله (ﷺ): «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح^(٢).

وعن زر، عن عبد الله قال: قال رسول الله (ﷺ): «هذان ابنائى فمن أحبهما فقد أحبنى»^(٣) يعني الحسن والحسين عليهما السلام.

وعن علي عليه السلام قال: الحسن أشبه الناس برسول الله (ﷺ) ما بين الصدر الى الرأس، والحسين أشبه الناس بالنبي (ﷺ) ما كان أسفل من ذلك.

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: حج الحسين بن علي - (عليه السلام) - خمسا وعشرين حجة ماشيا ونجائبه تقاد معه.

قتل الحسين صلوات الله عليه يوم الجمعة يوم عاشوراء في محرم سنة إحدى وستين، وهو ابن ست وخمسين سنة وخمسة أشهر وقيل: كان ابن ثمان وخمسين (و(عليه السلام)).

(١٢١) هو: الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبد الله المدني، سبط رسول الله (ﷺ)، وريحانته حفظ عنه، استشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وله ست وخمسون سنة.

(١) صحيح: أخرجه البخارى في «فضائل الصحابة» حديث (٣٧٥٣) باب (٢٢) مناقب الحسن والحسين (عليه السلام).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى في «المناقب» حديث (٣٧٦٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) حسن: أخرجه البزار في «مسنده» حديث (٢٦٢٣) والترمذى بمعناه حديث (٣٧٦٩) وقال: هذا حديث حسن غريب.

١٢٢- عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه

- يكنى أبا بكر، أمه: أسماء بنت أبي بكر الصديق، رضي الله عنه وهو أول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة بعد الهجرة، وأذن أبو بكر الصديق في أذنه، وحنكه رسول الله ﷺ بتمر. عن هشام، عن أبيه عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة، قالت: فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة فزلنا بقاء، فولدته بقاء ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعت في حجره، ثم دعا بتمر فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول ما دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ. قالت: ثم حنكه بتمر ثم دعا له وبرك عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام. قال الشيخ: إنما تعنى أول مولود ولد بالمدينة بعد الهجرة.
- وفي رواية أخرى: خرجت أسماء بنت أبي بكر مهاجرة إلى النبي ﷺ، وهي حبلى بعبد الله بن الزبير، فوضعت ولم ترضعه، حتى أتت به رسول الله ﷺ. وعن مجاهد بن جبير قال: ما كان باب من العبادة يعجز عنه الناس إلا تكلفه عبد الله بن الزبير، ولقد جاء سيل طبق البيت فجعل ابن الزبير يطوف سباحة.
- وعن عمرو بن دينار قال: رأيت ابن الزبير يصلي في الحجر خافضا بصره فجاء حجر قدامه فذهب ببعض ثوبه فما انقفل.
- وعن مجاهد قال: كان ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع.
- وعن يحيى بن وثاب أن ابن الزبير كان يسجد حتى تنزل العصافير على ظهره ولا تحسبه إلا جذم حائط.
- وعن عمرو بن دينار قال: ما رأيت مصليا قط أحسن صلاة من عبد الله بن الزبير.
- وعن ابن المنكدر قال: لو رأيت ابن الزبير يصلي كأنه غصن شجرة تصفقه الرياح والمنجنيق يقع ههنا وههنا.
- قال سفيان: كأنه لا يبالى.
- وعن عمر بن قيس، عن أمه أنها قالت: دخلت على عبد الله بن الزبير بيته فإذا هو يصلي، قالت: فسقطت حية من السقف على ابنه هاشم فتطوقت على بطنه وهو نائم فصاح
- (١٢٢) هو: عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر وأبو خبيب - بالمعجمة مصفرا، كان أول مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين، وولى الخلافة تسع سنين، إلى أن قُتل في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين.

أهل البيت: الحية، ولم يزالوا بها حتى قتلوها، وعبد الله بن الزبير يصلى، ما التفت ولا عجل، ثم فرغ بعدما قتلت، فقال: ما بالكم؟ قالت أم هاشم: أى - رحمك الله - رأيت إن كنا هنا عليك أيهون عليك ابنك؟ قال: فقال: ويحك، ما كانت التفاتة، لو التفتها، مبقية من صلاتي.

وعن محمد بن حميد قال: كان عبد الله بن الزبير يحيى الدهر أجمع، ليلة قائما حتى يصبح، وليلة يحييها راکعاً حتى الصباح، وليلة يحييها ساجداً حتى الصباح.

وعن مسلم بن ينّاق المكي قال: ركع ابن الزبير يوماً ركعة، فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة، وما رفع رأسه.

قال الزبير: وحدثني محمد بن الضحاك بن زامى، وعبد الملك بن عبد العزيز، ومن لا أحصى كثرة من أصحابنا أن عبد الله بن الزبير كان يواصل الصيام سبعا: يصوم الجمعة ولا يفطر إلا ليلة الجمعة الأخرى، ويصوم بالمدينة فلا يفطر إلا بمكة، ويصوم بمكة ولا يفطر إلا بالمدينة.

قال عبد الملك: وكان إذا أفطر كان أول ما يفطر عليه لبن لقحة بسمن بقر وزادني غيره: وصبر.

وعن أم جعفر بنت النعمان، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: كان ابن الزبير قوام الليل، صوام النهار، وكان يسمى حمام المسجد.

وعن ابن أبي مليكة قال: كان ابن الزبير يواصل سبعة أيام، ويصبح اليوم السابع وهو أليثنا.

وعن محمد بن عبيد الله الثقفي، قال: شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم، خرج علينا قبل يوم التروية بيوم وهو محرم، فلبى بأحسن تلبية سمعتها قط، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد: فإنكم جئتم من آفاق شتى وفوداً إلى الله عز وجل، فحق على الله أن يكرم وفده، فمن كان جاء يطلب ما عند الله فإن طالب الله لا يخيب، فصدقوا قولكم بفعل، فإن ملاك القول الفعل، والنية النية، القلوب القلوب، الله الله فى أيامكم هذه فإنها أيام تغفر فيها الذنوب.

وعن وهب بن كيسان قال: كتب إلى عبد الله بن الزبير بموعظة:

أما بعد فإن لأهل التقوى علامات يعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم، من صبر على

من توفي رسول الله ﷺ وهم أحداث الأسنان

البلاء، ورضى بالقضاء، وشكر النعماء، ودُلَّ لحكم القرآن وإنما الإمام كالسوق؛ ما نفق فيها حُمِلَ إليها، إن نفق الحق عنده حمل إليه وجاءه أهل الحق، وإن نفق عنده الباطل جاءه أهل الباطل.

وعن أبي الضحى قال: رأيت على رأس ابن الزبير من المسك ما لو كان لى كان رأس مال.

ذكر مقتل ابن الزبير رضي الله عنه (١):

عن عروة قال: لما كانت الغداة التي قتل فيها ابن الزبير دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر وهي يومئذ ابنة مائة سنة لم يسقط لها سن، فقالت: يا عبد الله ما بلغت في حريك؟ قال: بلغوا مكان كذا وكذا، وضحك وقال: إن في الموت لراحة، فقالت أسماء: يا بني لعلك تتمناه لى، ما أحب أن أموت حتى آتى على أحد طرفيك: إما أن تملك فتقر بذلك عيني، وإما أن تقتل فأحتسبك.

ثم ودعها، فقالت له: يا بني إياك أن تعطى خصلة من دينك مخافة القتل، وخرج عنها وأنشأ يقول:

ولست بمبتاع الحياة بسُبة ولا مرتق من خشية الموت سلماً

وقال: والله ما لقيت زحفاً قط إلا في الرعيل الأول، وما ألت جرحاً قط إلا أن أكم الدواء.

ثم حمل عليهم فأصابته أجرة في مفرقه حتى فلق رأسه، فوقف قائماً وهو يقول:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدماء (٢)

وعن عروة قال: أتيت عبد الله بن الزبير حين دنا الحجاج منه فقلت: قد لحق فلان بالحجاج ولحق فلان بالحجاج، فقال:

فرت سلامان وفرت النمر وقد نلاقي معهم فلا نفر
فقلت له: لقد أخذت دار فلان ودار فلان، فقال:

اصبر عصام إنه شرُّ باق قد سك أصحابك ضرب الأعناق

وقامت الحرب بنا على ساق

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٥٩) و«حلية الأولياء» (١/ ٤٠٥) و«تهذيب الكمال» (١٤/ ٥٠٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٠).

قال: فعرفت أنه لا يسلم نفسه، قال: فغاضني، فقلت: إنهم والله - إن يأخذوك يقطعوك إربا إربا، فقال:

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع
قال: فعرفت أنه لا يمكن من نفسه.

وعن مجاهد قال: كنت مع ابن عمر، فمر على ابن الزبير فوقف عليه فقال: يرحمك الله فإنك كنت ما علمت صواما، قواما، وصولا للرحم، وإنني لأرجو ألا يعذبك الله عز وجل.
قال الواقدي عن أشياخ له، قالوا: حصر ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة سنة ثنتين وسبعين ستة أشهر وسبع عشرة ليلة، ونصب الحجاج المنجنيق يرمي به أحث الرمي، وألح عليهم بالقتال من كل وجه وحبس عنهم الميرة، وحصرهم أشد الحصار، فقامت أسماء يوما فصلت ودعت فقالت: اللهم لا تخيب عبد الله بن الزبير، اللهم ارحم ذلك السجود والنحيب والظما في تلك الهواجر.
وقُتل يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

١٢٣- المسور بن مخزومة بن نوفل

يكنى أبا عبد الرحمن، قبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان سنين، وقد حفظ عنه أحاديث ورواها^(١).

عن محمد بن سعد قال: احتكر المسور طعاما فرأى سحابا من سحاب الخريف فكرهه، فلما أصبح أتى السوق فقال: من جاءني وليته فبلغ ذلك عمر فأتاه بالسوق فقال: أجننت يا مسور؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكني رأيت سحابا فكرهته، فكرهت ما ينفع الناس، فكرهت أن أربح فيه، فقال عمر: جزاك الله خيرا.

(١٢٣) هو: المسور بن مخزومة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن قصي بن كلاب، الإمام الجليل، أبو عبد الرحمن، وأبو عثمان القرشي الزهري، أمه: عاتكة أخت عبد الرحمن بن عوف زهرية أيضا.

(١) عن أم بكر قالت: ولدت المسور بمكة بعد الهجرة بعامين.

وكان المسور لا يشرب من الماء الذى يوضع فى المسجد ويكرهه، ويرى أنه صدقة، وكان يصوم الدهر.

وتوفى سنة أربع وستين وهو ابن اثنتين وستين^(١).

١٢٤- رجل من الأنصار لم يذكر اسمه

عن جابر بن عبد الله الأنصارى، فيما يذكر من اجتهاد أصحاب النبى ﷺ فى العبادة، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة فغشنا دارا من دور المشركين، فأصبنا امرأة رجل منهم، ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعا وجاء صاحبها وكان غائبا، فذكر له مصابها فحلف لا يرجع حتى يهريق فى أصحاب رسول الله ﷺ دما.

فلما كان رسول الله ﷺ فى بعض الطريق، نزل فى شعب من الشعاب، وقال: من رجلان يكلأنا فى ليلتنا هذه من عدونا؟ قال: فقال رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار: نحن نكلؤك يا رسول الله، قال: فخرجا إلى فم الشعب دون العسكر.

ثم قال الأنصارى للمهاجرى: أتكفينى أول الليل وأكفيك آخره، أو تكفينى آخره وأكفيك أوله؟ قال: فقال له المهاجرى: بل اكفى أوله، وأكفيك آخره.

فنام المهاجرى وقام الأنصارى يصلى، قال: فافتتح سورة من القرآن، فينا هو فيها يقرؤها جاء زوج المرأة فلما رأى الرجل قائما عرف أنه ربيبة القوم، فتنزع له بسهم فيضعه فيه، قال: فيتزعه فيضعه، وهو قائم يقرأ فى السورة التى هو فيها ولم يتحرك كراهية أنه يقطعها، قال: ثم عاد له زوج المرأة بسهم آخر فوضعه فيه، قال: فانتزعه فوضعه، وهو قائم يصلى فى السورة التى هو فيها ولم يتحرك كراهية أن يقطعها، ثم عاد له زوج المرأة الثالثة بسهم فوضعه فيه، قال فانتزعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم قال لصاحبه: أقعد فقد أتيت، قال: فجلس المهاجرى فلما رأهما صاحب المرأة هرب وعرف أنه قد نذر به، قال: وإذا الأنصارى يفوح دما من رميات صاحب المرأة، قال: فقال له أخوه المهاجرى: يغفر الله لك ألا كنت آذنتنى أول ما رماك؟ قال: كنت فى سورة من القرآن قد افتتحتها أصلى بها فكرهت أن أقطعها وأجيم الله لولا أنى أضيع ثغرا أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها.

هذا آخر المختار ذكرهم من علماء الصحابة ومتبعيهم

(١) قال الذهبى: وغلط المدائنى فقال: مات سنة ثلاث وسبعين من حجر المنجنيق.

ذكر المصطفيات من طبقات

الصحابيات رضيه الله عنهن

١٢٥- خديجة بنت خويلد بن أسد

ابن عبد العزى بن قصي رضي الله عنها

خرج رسول الله ﷺ لها في تجارة فرأت عند قدومه غمامة تظله فتزوجته، وقد كانت عرفت قبله زوجين، وكانت يوم تزوجها بنت أربعين سنة، وجاءت النبوة فأسلمت، فهي أول امرأة آمنت به، ولم ينكح امرأة غيرها حتى ماتت، وجميع أولاده منها سوى إبراهيم.

عن علي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خير نساؤها مريم بنت عمران، وخير نساها خديجة عليها السلام «أخرجاه في الصحيحين» (١).

عن أبي هريرة قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه إدام أو طعام، أو شراب - فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها ببيت في الجنة، من قصب، لا صخب فيه ولا نصب «أخرجاه في الصحيحين» (٢).

وعن عائشة قال: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان رسول الله ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول «إنها كانت وكان لى منها ولد» «أخرجاه في الصحيحين» (٣).

(١٢٥) هي: خديجة أم المؤمنين وحيدة نساء العالمين في زمانها، أم القاسم ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، القرشية الأسدية، أم أولاد رسول الله ﷺ وأول من آمن به وصدقه قبل كل أحد، وثبتت جأشه ومضت به إلى ابن عمها ورقة.

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «مناقب الأنصار» حديث (٣٨١٥) باب (٢٠) تزويج النبي ﷺ

خديجة وفضلها رضي الله عنها ومسلم في «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٣٠) باب (١٢) فضائل خديجة.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «مناقب الأنصار» حديث (٣٨١٦) باب (٢٠) تزويج النبي ﷺ

خديجة وفضلها رضي الله عنها ومسلم في «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٣٢) باب (٩١٢) فضائل خديجة رضي الله عنها.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري في «مناقب الأنصار» حديث (٣٨١٨) باب (٢٠) تزويج النبي ﷺ

خديجة وفضلها رضي الله عنها ومسلم في «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٣٥) باب (١٢) فضائل خديجة

رضي الله عنها.

وعنها قالت: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن عليها الشاء فذكرها يوماً من الأيام فأدركتني الغيرة؛ فقلت: هل كانت إلا عجوزاً قد أخلف الله لك خيراً منها؟ قالت: فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال: لا والله ما أخلف الله لي خيراً منها، لقد آمنت إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل أولادها إذ حرمني أولاد النساء، قالت: فقلت بيني وبين نفسي: لا أذكرها بسوء أبداً.

توفيت خديجة - رضي الله عنها - بعد أن مضى من النبوة عشر سنين، وهي بنت خمس وستين سنة، قال حكيم بن حزام: دفناها بالحجون ونزل رسول الله ﷺ في حفرتها ولم يكن يومئذ سنة الجنائز الصلاة عليها ﷺ (١).

١٢٦- فاطمة بنت رسول الله ﷺ

أمها خديجة بنت خويلد، ولدتها وقريش تبني البيت قبل النبوة بخمس سنين، وهي أصغر بناته تزوجها على عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة في رمضان وبني بها في ذى الحجة، وقيل: تزوجها في رجب وقيل: في صفر على بدن من حديد، فولدت له الحسن والحسين، وزينب، وأم كلثوم، فتزوج زينب عبد الله بن جعفر، فولدت له عبد الله وعوناً وماتت عنده، وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب فولدت له زيداً، ثم خلف عليها بعد عمر عون بن عبد الله بن جعفر فلم تلد له شيئاً، ثم مات، وخلف عليها محمد بن جعفر فولدت له جارية، ثم خلف عليها بعده عبد الله بن جعفر فلم تلد له وماتت عنده.

وزاد ابن إسحاق في أولاد فاطمة من علي: محسنًا، قال: ومات صغيراً، وزاد الليث بن سعد: رقية، قال: وماتت ولم تبلغ.

عن عامر الشعبي قال: قال علي عليه السلام: لقد تزوجت فاطمة وما لي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار وما لي ولها خادم غيرها.

وعن علي - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين، فقال علي لفاطمة ذات يوم: والله سنوت حتى اشتكيت

(١) روى عروة عن عائشة قالت: توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة.

(١٢٦) هي: فاطمة الزهراء، بنت رسول الله ﷺ، أم الحسن، سيدة نساء هذه الأمة، تزوجها علي في السنة الثانية من الهجرة، ومات بعد النبي ﷺ بستة أشهر، وقد جاوزت العشرين بقليل.

صدرى وقد جاء الله أباك بسبى فاذهبى فاستخدميه، فقالت: وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت يداى، فأنت النبى ﷺ فقال: ما جاء بك وما حاجتك أى بنية؟ قالت: جئت لأسلم عليك، واستحييت أن تسأله فرجعت، فقال: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله، فأتياه جميعا، فقال على: يا رسول الله، والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدرى، وقالت فاطمة: لقد طحنت حتى مجلت يداى، وقد جاءك الله عز وجل بسبى وسعة فأخدمنا، فقال: والله لا أعطيكما وأهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكنى أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم، فرجعا وأتاهما النبى ﷺ وقد دخلا فى قطيفتهما إذا غطيا رءوسهما تكشف أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشف رءوسهما فثارا فقال: مكانكما، ثم قال: ألا أخبركما بخير مما سألتانى؟ قالوا: بلى، قال: كلمات علمنيهن جبريل، تسبحان فى دبر كل صلاة عشرا وتحمدان عشرا وتكبران عشرا، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين قال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ، قال: فقال له ابن الكواء: ولا ليلة صفين؟ قال: قاتلكم الله يا أهل العراق، نعم ولا ليلة صفين.

وعن أبى لىلى قال: حدثنى على عليه السلام أن فاطمة عليها السلام أتت النبى ﷺ تشكو إليه ما تلقى من يدها فى الرحى، وبلغها أنه جاءه رقيق فلم تصادفه فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخبرته عائشة، قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال: على مكانكما، فجاء فقعد بينى وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطنى فقال: ألا أدلكما على خير مما سألتانى؟ إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم. أخرجاه فى الصحيحين^(١).

وعن عائشة قالت: أقبلت فاطمة عليها السلام كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ، فقال: مرحبا بابنتى، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم إنه أسر إليها حديثا فبكت، فقلت لها: اختصك رسول الله ﷺ بحديثه ثم تبكين؟ ثم إنه أسر إليها حديثا فضحكت، فقلت: ما رأيت كالיום فرحا أقرب من حزن فسألتهما عما قال، فقالت: ما كنت أفشى سر رسول الله ﷺ.

فلما قبض ﷺ سألتها فقالت: إنه أسر إلىَّ فقال: «إن جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «فرض الخمس» حديث (٣١١٣) وأطرافه فى (٣٧٠٥)، (٥٣٦١)، (٥٣٦٢)، (٦٣١٨) ومسلم فى «كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار» (٢٧٢٧) باب (١٩) التسييح أول النهار وعند النوم.

كل عام مرة وإنه عارضني به العام مرتين، ولا أراه إلا قد حضر أجلى وإنك أول أهل بيتي لحوقاً بى ونعم السلف أنا لك» فبكيت لذلك، ثم قال: ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء هذه الأمة أو سيدة نساء المؤمنين؟ قالت: فضحكت لذلك. أخرجاه فى الصحيحين^(١) وليس لفاطمة عليها السلام فى الصحيحين غير هذا الحديث.

وعن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: «إن فاطمة بضعة منى، فمن أغضبها فقد أغضبني» أخرجه مسلم أيضاً فى صحيحه^(٢) وعنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول وهو على المنبر: «إن بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا بتهمة بعلى بن أبى طالب، فلا أذن إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم، فإنها بضعة منى يرينى ما أرابها ويؤذنى ما آذاها» أخرجاه فى الصحيحين^(٣).

وهذه المرأة المذكورة فى هذا الحديث جويرية بنت أبى جهل بن هشام بن المغيرة كان عليه السلام قد خطبها فجاء بنو هشام يستأمرون رسول الله ﷺ فى ذلك فلم يأذن لهم أن يزوجه، وأسلمت جويرية وبايعت وتزوجها عتاب بن أسيد، ثم تزوجها أبان بن سعيد بن العاضى.

وعن ابن أعبد قال: قال على عليه السلام: يا بن أعبد ألا أخبرك عنى وعن فاطمة؟ كانت ابنة رسول الله ﷺ وأكرم أهله عليه، وكانت زوجتى فجرت بالرحى حتى أثرت الرحى بيدها، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها وقمت البيت حتى اغبرت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها وأصابها من ذلك ضرر.

وعن عطاء بن أبى رباح قال: إن كانت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ لتعجن وإن قصتها لتضرب الأرض والجفنة.

توفيت فاطمة الزهراء عليها السلام بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر فى ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة، وهى بنت ثمان وعشرين سنة ونصف، وغسلها على عليه السلام وصلى عليها، وقالت عمرة: صلى عليها العباس بن عبد المطلب ودفنت ليلاً.

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «المناقب» حديث (٣٦٢٣) باب (٢٥) علامات النبوة فى الإسلام، ومسلم فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٥٠) باب (١٥) فضائل فاطمة ﷺ.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٤٩) باب (١٥) فضائل فاطمة ﷺ.

(٣) صحيح: أخرجه البخارى فى «فضائل الصحابة» حديث (٣٧٢٩) باب (١٦) ذكر أصهار النبى ﷺ منهم أبو العاص بن الربيع ومسلم فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٤٩) باب (١٥) فضائل فاطمة ﷺ.

وعن عائشة قالت: عاشت فاطمة بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر، رضي الله عنها.

عن أبى جعفر قال: ماتت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر، قيل لسفيان: عمرو عن أبى جعفر؟ قال: نعم.

عن عمرو بن دينار قال: توفيت فاطمة عليها السلام بعد رسول الله ﷺ بثلاثة أشهر.

عن الزهرى: ماتت بعد النبى ﷺ بثلاثة أشهر، يعنى فاطمة عليها السلام.

عن عائشة قالت: كان بين النبى ﷺ وبين فاطمة شهران.

عن أبى الزبير قال: لم تمكث بعده إلا شهرين، والأول أصح.

١٢٧- عائشة بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنه

كانت مسماة لجبير بن مطعم فخطبها رسول الله ﷺ فقال أبو بكر - رضي الله عنه -: دعنى حتى أسلها من جبير سلا رفيقا، فتزوجها رسول الله ﷺ بمكة فى شوال قبل الهجرة بستتين، وقيل: بثلاث، وهى بنت ست سنين، وبنى بها بالمدينة وهى بنت تسع سنين، وبقيت عنده تسع سنين ولم يتزوج بكراً غيرها، وعن عباد بن حمزة عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله ألا تكنينى؟ قال: تكنى بابنك، يعنى عبد الله بن الزبير، فكانت تكنى أم عبد الله.

وعن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: أريتكم فى المنام مرتين ورجل يحملك فى سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك، فأقول: إن كان هذا من عند الله عز وجل يُمضه. أخرجه فى الصحيحين (١).

وعنها قالت: تزوجنى النبى ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج، فوعكت فتمزق شعرى فوفى جميعه فأنتنى أمى أم رومان، وإنى لفى أرجوحة ومعى صواحب لى فصرخت بى فأتيها ما أدرى ما تريد منى؟ فأخذت بىدى حتى أوقفتنى على باب الدار، وإنى لأنهج حتى سكن بعض نفسى ثم أخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهى ورأسى، ثم أدخلتنى الدار فلإذا نسوة من الأنصار فى البيت فقلن: على الخير

(١٢٧) هى: عائشة بنت أبى بكر الصديق، أم المؤمنين، أفقه النساء مطلقا، وأفضل أزواج النبى ﷺ، إلا خديجة ففهيما خلاف مشهور، ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح.

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «مناقب الأنصار» حديث (٣٨٩٥) باب (٤٤) تزويج عائشة رضي الله عنها، ومسلم فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٣٨) باب (١٣) فى فضائل عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأنى فلم يرعنى إلا رسول الله ﷺ
ضحى فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين^(١). أخرجاه فى الصحيحين.
وعن عمرو بن العاص أنه أتى النبى ﷺ فقال: أى الناس أحب إليك يا رسول الله؟
قال: عائشة، قال من الرجال؟ قال: أبوها، قال ثم من؟ قال: ثم عمر. أخرجاه فى
الصحيحين^(٢).

وعن أبى موسى الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل
من النساء إلا مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد
على سائر الطعام» أخرجاه فى الصحيحين^(٣).
عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إن جبريل عليه السلام يقرأ عليك السلام» قلت:
وعليه السلام ورحمة الله. أخرجاه فى الصحيحين^(٤).

وعن أبى سلمة عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت إذ نزلت وادياً فيه شجرة قد
أكل منها ووجدت شجرة لم يؤكل منها: فى أيهما كنت ترتع بعيرك؟ قال: فى التى لم يؤكل
منها، تعنى أن النبى ﷺ لم يتزوج بكرةً غيرها انفرد بإخراجه البخارى^(٥).

وعن الزهرى قال: أخبرنى محمد بن عبد الرحمن بن هشام، أن عائشة زوجة النبى
ﷺ قالت: أرسل أزواج النبى ﷺ فاطمة بنت النبى ﷺ فاستأذنت والنبى ﷺ مع
عائشة فى مرضها فاذن لها فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله أزواجك أرسلتنى إليك يسألنك
العدل فى ابنة أبى قحافة، فقال النبى ﷺ: أى بنية، ألت تحبين ما أحب؟ فقالت: بلى،
قال: فأجبنى هذه، لعائشة، قالت: فقامت فاطمة عليها السلام فخرجت فجاءت أزواج النبى

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «مناقب الأنصار» حديث (٣٨٩٤) باب (٤٤) تزويج عائشة ؓ،
ومسلم.

(٢) صحيح: أخرجه البخارى فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٦٦٢) باب (٥) قول النبى ﷺ:
«لو كنت متخذاً خليلاً» ومسلم فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٣٨٤) باب (١) من فضائل أبى بكر
الصديق ؓ.

(٣) صحيح: أخرجه البخارى فى «فضائل الصحابة» حديث (٣٧٦٩) باب (٣٠) فضل عائشة ؓ، ومسلم
فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٣١) باب (١٣) فضل عائشة أم المؤمنين ؓ.

(٤) صحيح: أخرجه البخارى فى «فضائل الصحابة» حديث (٣٧٦٨) باب (٣٠) فضل عائشة ؓ، ومسلم
فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٤٧) باب (١٣) فضل عائشة أم المؤمنين ؓ.

(٥) صحيح: أخرجه البخارى فى «النكاح» حديث (٥٠٧٧) باب (٩) نكاح الأبكار.

عليها السلام فحدثتهن بما قالت وبما قال لها، فقلن: ما أغنيت عنا من شيء فارجعى إلى النبي عليه السلام، فقالت فاطمة عليها السلام: والله لا أكلمه فيها أبداً، فأرسل أزواج النبي عليهم السلام زينب بنت جحش فاستأذنت لها فدخلت فقالت: يا رسول الله أرسلنى إليك أزواجك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة، قالت عائشة: ووقعت فى زينب، قالت عائشة: فطفقت أنظر إلى النبي عليه السلام متى يأذن لى فيها، فلم أزل حتى عرفت أن النبي عليه السلام لا يكره أن أنتصر، قالت: فوقعت بزينب فلم أنسبها أن أفحمتها، فتبسم النبي عليه السلام ثم قال: إنها ابنة أبى بكر^(١).

وعن عروة عن عائشة: أن رسول الله عليه السلام كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه: أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟ يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء فكان فى بيت عائشة حتى مات عندها.

قالت عائشة: فمات فى اليوم الذى كان يدور فيه نوبتى فقبضه الله عز وجل وإن رأسه بين نحري وسحري وخالط ريقه ريقى. أخرجاه فى الصحيحين.

وعنه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة قالت: فاجتمع صواحبى إلى بيت أم سلمة فقالوا: يا أم سلمة إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريد عائشة فمرى رسول الله عليه السلام أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي عليه السلام، قالت: فأعرض عني فلما كان فى الثالثة ذكرت له ذلك فقال: يا أم سلمة لا تؤذيني فى عائشة فإنه والله ما نزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها.

وعنه عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله عليه السلام لما فرغ من الأحزاب دخل المقتسل فجاءه جبريل - عليه السلام - فقال: أوقد وضعتم السلاح؟ ما وضعنا أسلحتنا بعد، انهده إلى بنى قريظة فقالت عائشة: كأنى أنظر إلى جبريل عليه السلام من خلل الباب قد عصب رأسه الغبار. وعن أبى سلمة قال: قالت عائشة: رأيت النبي عليه السلام واضعاً يديه على معرفة فرس دحية الكلبي وهو يكلمه قالت: فقلت: يا رسول الله رأيتك واضعاً يدك على معرفة فرس دحية الكلبي أنت تكلمه، قال: أورايت؟ قلت: نعم، قال: ذاك جبريل وهو يقرئك السلام، قالت: وعليه السلام، جزاه الله من صاحب ودخيل خيراً، فنعم الصاحب ونعم الدخيل. قال سفيان: الدخيل: الضيف.

وعن القاسم عن عائشة قالت: وثب رسول الله عليه السلام وثبة شديدة فنظرت فإذا رجل معه

(١) صحيح: أخرجه مسلم فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٤٢) باب (١٣) فضل عائشة أم المؤمنين.

واقف على بردون وعليه عمامة بيضاء طرفها بين كتفيه، ورسول الله ﷺ واضع يده على معرفة بردونه، فقلت: يا رسول الله لقد راعنتي وثبتك، من هذا؟ قال: أرايته؟ قلت: نعم، قال: ومن أريت؟ قلت: دحية بن خليفة الكلبي، قال: ذلك جبريل عليه السلام.

حديث الإفك:

عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله عز وجل، وكلهم حدثني بطائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصا، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني وبعض حديثهم يصدق بعضاً.

ذكروا أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أفرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه.

قالت عائشة: فأفرع بيننا في غزاة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ وذلك بعدما أنزل الحجاب، فأنا أُحمل في هودجى وأنزل فيه مسيرنا، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل ودنونا من المدينة أذن ليلة بالرحيل فقممت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت إلى الرحل فلمست صدرى فإذا عقدى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بهودجى فحملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون أنى فيه.

قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام؛ فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه، وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعدما استمر الجيش، فجنث منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فتيممت منزلى الذى كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونى فيرجعون إلى، فبينما أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى، قد عرس من وراء الجيش وأدلىج فأصبح عند منزلى فرأى سواد إنسان نائم فأتانى فعرفنى حين رأتى، وقد كان يرانى قبل أن يضرب الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى، والله ما كلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته على يديها فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة، فهلك من هلك فى شأنى.

وكان الذى تولى كبره عبداً لله بن أبى^(١) ابن سلول، فقدمت المدينة فاشتكت حين قدمها شهراً والناس يفيضون فى قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يرينى فى وجعى أنى لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ فذلك يرينى ولا أشعر بالشر، حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت معى أم مسطح قبل المناصع، وهو متبرزنا، ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول فى التتزه، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح، وهى بنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها: بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق - رضي الله عنه - وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب.

فأقبلت أنا وبنت أبى رهم قبل بيتى حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بش ما قلت، تسبين رجلاً قد شهد بدرًا؟ فقالت: أى هتاه أولم تسمعى ما قال؟ قلت: وما ذاك؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً إلى مرضى، فلما رجعت إلى بيتى دخل على رسول الله ﷺ، فسلم ثم قال: كيف تيكم؟ قلت: أتأذن لى أن آتى أبوى؟.

قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلكهما، فأذن لى رسول الله ﷺ فجئت أبوى، فقلت لأمى: يا أمته ما يتحدث الناس؟ فقالت: أى بنية، هونى عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط حظية عند زوجها، ولها ضرائر إلا أكثرن عليها القول، قالت: قلت: أى سبحان الله، وقد تحدث الناس بهذا؟.

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا ترقأ لى دمة، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكى.

ودعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحى يستشيرهما فى فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله وبالذى يعلم فى نفسه لهم من الود، فقال: يا رسول الله ﷺ هم أهلك ولا أعلم إلا خيراً، وأما على بن أبى طالب رضي الله عنه فقال: لن يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك.

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «المغازى» حديث (٤٤٥٠) باب (٨٣) مرض النبى ﷺ ووفاته، ومسلم فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٤٣) باب (١٣) فضل عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

قال: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: أى بريرة، هل رأيت من شيء يريك من عائشة؟ قالت له بريرة: لا والذي بعثك بالحق نبيا، إن رأيت عليها أمراً قط أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تام عن عجين أهلها فيأتى الداجن فيأكله.

فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله بن أبى ابن سلول فقال وهو على المنبر: يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغنى أذاه فى أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلى إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلى إلا معي.

فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا فقبلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عباد، وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ: لعمرك لا تقتله ولا تقدر على قتله.

فقال أسيد بن حضير، وهو ابن سعد بن عباد: كذبت، والله لنقتله، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت عائشة رضي الله عنها: وبكيت يومى ذلك لا ترقأ لى دمة ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتى المقبلة لا ترقأ لى دمة ولا أكتحل بنوم، وأبوأى يظن أن البكاء فالتق كبدى، قالت: فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى استأذنت على امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكى معي، فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ، فسلم ثم جلس عندى، قالت: ولم يجلس عندى منذ قيل لى ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه فى شأنى شيء، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة، فإنه بلغنى عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيروك الله عز وجل، وإن كنت هممت أو لممت بذنب فاستغفرى الله عز وجل وتوبى إليه فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه.

قال: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبى: أجب عنى رسول الله ﷺ، فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمى: أجبى عنى رسول الله ﷺ فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ؟ فقالت عائشة: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن بلى إني والله قد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلب لكم إني بريئة - والله عز وجل يعلم

أني بريئة - لا تصدقوني وإن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أنني بريئة - تصدقوني، وإني والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ١٨).

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا والله حيثذا أعلم أنني بريئة، وأن الله عز وجل مبرئى براءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحى يتلى، ولشأنى كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل فيّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله عز وجل بها.

قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحى، حتى إنه كان ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتى من ثقل القول الذى أنزل عليه، قالت: فلما سرى عنه، يعنى رسول الله ﷺ، وهو يضحك، كان أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشرى يا عائشة؛ أما إن الله تعالى قد برأك، فقالت لى أمى: قومى إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله تعالى، وهو الذى أنزل براءتى، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ (النور: ١١) العشر الآيات... فأنزل الله تعالى هذه الآيات براءتى.

فقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وكان ينفق على مسطح لقربته منه وفقره فقال: والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً، إن شاء الله تعالى، بعد الذى قال فى عائشة ما قال، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولَ الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور) فقال أبو بكر الصديق: إنى لأحب أن يغفر الله عز وجل لى، فرجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال: لا أنزعها منه أبداً.

قالت عائشة: فكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمرى ما علمت، أو ما رأيت أو ما بلغك؟ قالت: يا رسول الله صلى الله عليك أحمى سمعى وبصرى، والله ما علمت إلا خيراً.

قالت عائشة: وهى التى كانت تسامينى من أزواج النبى ﷺ فعصمها الله تعالى عنى بالورع، وطفقت أختها حمته بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك.

قال ابن شهاب: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط. أخرجاه فى الصحيحين^(١).

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «الشهادات» حديث (٢٦٦١) باب (١٥) تعديل النساء بعضهن بعضاً، ومسلم فى «التوبة» حديث (٢٧٧٠).

ذكر نبذة من كرمها وزهدا ﷺ:

عن عطاء قال: بعث معاوية إلى عائشة بطوق من ذهب فيه جوهر قوّم مائة ألف فقسمته بين أزواج النبي ﷺ.

وعن أم ذرة، وكانت تغشى عائشة قالت: بعث إليها ابن الزبير بمال في غرارتين قالت: أراه ثمانين ومائة ألف، فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة فجلست تقسمه بين الناس فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت: يا جارية هلمى فطرى، فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم ذرة: أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه؟ فقالت لها: لا تعنّفيني، لو كنت ذكرتني لفعلت.

وعن عروة قال: لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفا وهي ترقع درعها.

ذكر نبذة من خوفها من الله تعالى:

عن مالك بن الطفيل أن عائشة ؓ حدثت أن عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة: والله لئن تهين أو لأحجرنّ عليها، فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم، قالت: هو لله على نذر أن لا أكلّم ابن الزبير أبدا، فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة فقالت: والله لا أشفع فيه أبدا ولا أتحنث إلى نذري أبدا، فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور ابن مخرمة وعبد الله بن الأسود بن عبد يغوث وهما من بنى زهرة بن كلاب وقال لهما: أنشدكما الله إلا ما أدخلتما نى على عائشة فإنها لا يحل أن تنذر قطيعتى.

فأقبل به المسور بن مخرمة وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة ؓ، فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا، قالوا: كلنا؟ قالت عائشة: نعم ادخلوا كلكم، ولا تعلم أن معهما ابن الزبير فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة وطفق يقبل رأسها ويبكى، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبلت منه، ويقولان لها: إن النبي ﷺ نهى عما قد علمت من الهجرة؛ فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام أو ليل، فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكي وتقول لهما: إنى نذرت والنذر شديد فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت في نذرهما أربعين رقبة، وكانت تذكر نذرهما بعد ذلك فتبكي حتى تبل بدموعها خمارها. انفرد بإخراجه البخارى (١).

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «الاستئذان» حديث (٦٢٣٧) باب (٩) السلام للمعرفة وغير المعرفة.

ذكر تعبدها واجتهادها رضي الله عنها:

عن عروة عن أبيه أن عائشة - رضي الله عنها - كانت تسرد الصوم .

وعن القاسم أن عائشة كانت تصوم الدهر ولا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر .

وعنه قال: كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها، فغدوت يوماً فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ: ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧)﴾ (الطور) وتدعو وتبكي وتردها، فقممت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي، تصلى وتبكي^(١).

ذكر طرف من مواعظها وكلامها:

عن عامر قال: كتبت عائشة إلى معاوية: أما بعد، فإن العبد إذا عمل بمعصية الله عز وجل عاد حامده من الناس دأماً.

وعن إبراهيم عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنكم لن تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب، فمن سره أن يسبق الدائب المجتهد فليكيف نفسه عن كثرة الذنوب.

ذكر غزارة علمها رضي الله عنها:

عن أبي موسى الأشعري قال؟ ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلی الله علیه وسلم حديث قط فسألنا عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علماً.

وعن مسروق قال: نحلف بالله لقد رأينا الأكابر من أصحاب رسول الله صلی الله علیه وسلم يسألون عائشة عن الفرائض.

وعن عروة عن أبيه قال: ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن، ولا بفريضة، ولا بحلال، ولا بحرام، ولا بشعر، ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة رضي الله عنها.

وعن هشام بن عروة قال: كان عروة يقول لعائشة: يا أمتا، لا أعجب من فقهك، أقول: زوجة رسول الله صلی الله علیه وسلم، وابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام العرب، أقول: ابنة أبي بكر، وكان أعلم الناس أو من أعلم الناس، لكن أعجب من علمك بالطب، قال: فضربت على منكبه وقالت: أي عروة، إن رسول الله صلی الله علیه وسلم كان بسقم عند آخر عمره، أو في آخر عمره، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات فكنت أعالجها، فمن ثم.

(١) انظر «حلية الأولياء» رقم (١٤٧٧).

وعن سفيان بن عيينة قال: قال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي عليه السلام وجميع النساء كان علم عائشة عليها السلام أكثر.

ذكر فصاحتها عليها السلام:

عن هشام بن عروة، لا أدري ذكره عن أبيه أم لا - الشك من أبي يعقوب - قال: بلغ عائشة عليها السلام أن أقواما يتناولون من أبي بكر رضي الله عنه فأرسلت إلى أزفلة منهم، فلما حضروا سذلت أستارها ثم دنت فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه محمد عليه السلام وعذلت وقرعت، ثم قالت:

أبى وما أبيه؟ أبى والله لا تعطوه الأيدي، ذاك طود منيف وفرع مديد، هيهات كذبت الظنون أنجح إذ أكديتم وسبق إذ نيتهم، سبق الجواد إذا استولى على الأمد، فتى قريش ناشئا وكهفها كهلا، يفك عانيها ويريش مملقها ويرأب شعبها حتى حليت قلوبها، ثم استشرى فى الله تعالى فما برحت شكيمته فى ذات الله تعالى حتى اتخذ بفنائها مسجدا يحيى فيه ما أمات المبطلون، وكان رحمه الله غزير الدمعة وقيد الجوارح شجى الشيخ فانقصت إليه نسوان مكة وولدانها يسخرون منه ويستهزئون به ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٥) فأكبرت ذلك رجالات قريش فحنت له قسيها وفوقت له سهامها وانثلوه غرضا، فما فلوا له صفاة ولا قصفوا له قناة، ومر على سيسائه حتى إذا ضرب الدين بجرانه ألقى بركه ورست أوتاده، ودخل الناس فيه أفواجا، ومن كل فرقة أرسالا وأشتاتا، اختار الله عز وجل لنبيه عليه السلام ما عنده، فلما قبض عليه السلام نصب الشيطان رواقه، ومد طنيه ونصب حباله وظن رجال أن قد تحققت أطماعهم، ولات حين مناص، وأبى الصديق بين أظهرهم، فقام حاسرا مشمرا فجمع حاشيته ورفع قطريه فرد نشر الإسلام على غربه، ولم شعته بطيه، وأقام أوده بثقافه، فاندفر النفاق بوطاته وانتاش الدين فنعشه، فلما أراح الحق إلى أهله وقرر الرؤوس على كواهلها وحقن الدماء فى أهبها، أنه ميتته فسد ثلمته بنظيره فى المرحمة، وشقيقه فى السيرة والمعدلة، ذاك عمر بن الخطاب، لله أم حملت به ودرت عليه، لقد أوحدت به ففخ الكفرة وديخها، وشرذ الشرك شذر مذر، وبعج الأرض وبخعها، فقاءت أكلها ولفظت خبيثها ترأمة ويصدف عنها، وتصدى له : أناها، ثم ورع فيها وودعها كما صحبها، فأرونى ما تريون وأى يوم تنقمون؟ أيوم إقامته إذ عدل فيكم، أم يوم ظعنه فقد نظر لكم؟ استغفر الله العظيم لى ولكم - وقد روى هذا الحديث جعفر بن عون بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عليها السلام.

تفسير كلمات غريبة فيه:

الأزفة: الجماعة، وتعطوه: تناوله، والطود: الجبل، والمنيف: المشرف، وأكدتم: خبئتم ويئس من خيركم، وونيتم: فترتم، والأمد: الغاية، والمملق: الفقير، ويرأب: يجمع، والشعب: المتفرق، واستشرى: احتد، والشكيمة: الأنفة والحمية، والوقيذ: العليل، والجوارح: معروفة، وفي رواية: الجوانح وهي: الضلوع القصار التي تقرب من الفؤاد، والشحبي: الحزين، والنشيج: صوت البكاء، وانتثلوه: مأخوذ من النثلة وهي الجعبة، وفلوا: كسروا، والصفاة الصخرة الملساء، وقولها: على سيسائه: أى على شدة، والجران: الصدر وهو البرك، ومعنى فرفع حاشيته وجمع قطريه: تحزم للأمر وتأهب، والقطر: الناحية، فرد نشر الإسلام على غربه كذا وقع فى الرواية، والصواب «على غره» أى على طيه، والأود العوج، والشقاف: تقويم الرماح وغيرها، واندفر: تفرق، وانتاش الدين: أى أزال عنه ما يخاف عليه، ونعشه: رفعه، فنخ الكفرة: أى أذلها، وديخها أى دوحها - وفى رواية: دنخها، بالنون، أى: صغرها، شذر مذر أى: تفريقا، وبعج الأرض: أى شقها، وكذلك بخعها، وتر أمه، أى تعطف عليه، وتصدى له: تعرض.

وعن الأحنف بن قيس قال: سمعت خطبة أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب، فما سمعت الكلام من فى مخلوق أحسن ولا أفخم من فى عائشة رحمة الله عليهم أجمعين.

وعن سفيان قال: سأل معاوية زياداً: أى الناس أبلغ؟ قال: أنت يا أمير المؤمنين، قال: أعزم عليك، قال: إذا عزمتم على فعائشة، فقال معاوية: ما فتحت باباً قط تريد أن تغلقه إلا أغلقته ولا أغلقت باباً قط تريد أن تفتحه إلا فتحته.

ذكر وفاة عائشة رضي الله عنها:

عن ذكوان حاجب عائشة أنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة فجئت وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن فقلت: هذا ابن عباس يستأذن، فأكب عليها ابن أخيها عبد الله فقال: هذا ابن عباس، فقالت: دعنى من ابن عباس، فقال لها: يا أمه إن ابن عباس من صالحى بنيك يسلم عليك ويودعك، فقالت: ائذن له إن شئت، فأدخلته، فلما دخل قال: أبشرى فما بينك وبين أن تلقى محمداً صلوات الله عليه والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد، كنت أحب نساء رسول الله صلوات الله عليه إلى رسول الله صلوات الله عليه ولم يكن رسول الله صلوات الله عليه يحب إلا طيباً

وسقطت قلاذك ليلة الأبناء فأصبح رسول الله ﷺ حتى تصبح في المنزل وأصبح الناس ليس معهم ماء فأنزل الله عز وجل: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا﴾ (النساء: ٤٣) فكان هذا من سبيك، وما أنزل الله عز وجل لهذه الأمة من الرخصة، وأنزل الله عز وجل براءتك من فوق سبع سموات، جاء به الروح الأمين، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله عز وجل يذكر فيه الله إلا تتلى فيه آناء الليل وآناء النهار.

فقلت: دعني منك يا بن العباس، فوالذي نفسى بيده لوددت أنى كنت نسيا منسيا^(١). قال الواقدي: توفيت عائشة - رضي الله عنها - ليلة الثلاثاء لسبع عشرة من رمضان سنة ثمان وخمسين وهى ابنة ست وستين سنة.

وقال غيره: توفيت سنة سبع وخمسين، وأوصت أن تدفن بالبيع مع صواحباتها، وصلى عليها أبو هريرة، وكان خليفة مروان بالمدينة. وعن هشام بن عروة قال: مات أبو هريرة وعائشة سنة سبع وخمسين.

١٢٨- حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

كانت عند خنيس بن حذافة السهمي، وهاجرت معه إلى المدينة، فمات عنها بعد الهجرة مقدم النبي ﷺ من بدر، فخلف عليها رسول الله ﷺ.

وعن ابن عمر، عن عمر بن الخطاب قال: تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذيفة، أو حذافة (شك عبد الرزاق) وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدرًا فتوفى بالمدينة.

قال عمر: فلقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة، فقال: سأنظر في ذلك، فلبثت ليالى فلقينى فقال: ما أريد أن أتزوج يومى هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة، فلم يرجع إلى شئنا فكنيت أوجد عليه منى على عثمان، فلبثت ليالى فخطبها إلى رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقينى أبو بكر فقال: لعلك وجدت على حين عرضت على حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال: قلت: نعم،

(١) صحيح: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» حديث (١٠٧٨٣) وأبو نعيم فى «حلية الأولياء» (١٤٦٢).

(١٢٨) هـ: حفصة بنت عمر بن الخطاب، أم المؤمنين، تزوجها النبي ﷺ بعد خنيس بن حذامة سنة ثلاث، وماتت سنة خمس وأربعين.

قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك شيئاً حين عرضتها عليّ إلا أنني سمعت رسول الله ﷺ يذكرها، ولم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها لنكحتها. انفرد بإخراجه البخاري^(١).

وعن قيس بن زيد أن النبي ﷺ طلق حفصة بنت عمر فدخل عليها خالاهما قدامة وعثمان ابنا مظعون فبكت وقالت: والله ما طلقني عن شبع، وجاء النبي ﷺ فتجلبت قال: فقال لي جبريل عليه السلام: راجع حفصة فإنها صوامة قوامه، وإنها زوجتك في الجنة^(٢).
عن عمار بن ياسر قال: أراد رسول الله ﷺ أن يطلق حفصة فجاء جبريل عليه السلام فقال: لا تطلقها فإنها صوامة قوامه وإنها زوجتك في الجنة.
قال الواقدي: توفيت حفصة في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية وهي ابنة ستين سنة، وقيل: ماتت في خلافة عثمان بالمدينة.

١٢٩- أم سلمة، واسمها هند بنت أبي أمية، واسمها سهيل

ويقال له زاد الركب بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانت عند أبي سلمة بن عبد الأسد فهاجر بها إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً، ومات أبو سلمة سنة أربع من الهجرة فتزوجها رسول الله ﷺ.

عن ابن أم سلمة أن أبا سلمة جاء إلى أم سلمة فقال: لقد سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً أحب إليّ من كذا وكذا لا أدري ما عدل به، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يصيب أحداً مصيبة فيسترجع عند ذلك ويقول: اللهم عندك أحسب مصيبتى هذه، اللهم اخلفني فيها خيراً منها، إلا أعطاه الله عز وجل».

قالت أم سلمة: فلما أصبت بأبي سلمة قلت: اللهم عندك أحسب مصيبتى هذه، ولم تطب نفسي أن أقول: اللهم اخلفني فيها بخير منها، ثم قالت: من خير من أبي سلمة أليس أليس؟ ثم قالت ذلك.

فلما انقضت عدتها أرسل إليها أبو بكر يخطبها فأبت، ثم أرسل إليها عمر يخطبها فأبت،

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «النكاح» حديث (٥١٢٢).

(٢) حسن: أخرجه أبو داود في «الطلاق» حديث (٢٢٨٣) باب (٣٨) في المراجعة.

(١٢٩) هي: هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومية أم سلمة، تزوجها النبي ﷺ بعد أبي سلمة سنة أربع وقيل: سنة ثلاث وعاشت بعد ذلك ستين سنة، ماتت سنة اثنتين وستين، وقيل سنة إحدى، وقيل قبل ذلك والأول أصح.

ثم أرسل إليها رسول الله ﷺ يخطبها فقالت: مرحبا برسول الله ﷺ إن فيّ خلا لا ثلاثا: امرأة شديدة الغيرة، وأنا امرأة مصيبة، وأنا امرأة ليس لي ههنا أحد من أوليائي فيزوجني. فغضب عمر لرسول الله ﷺ أشد مما غضب لنفسه حين رده، فأتاها عمر فقال: أنت التي تردين رسول الله ﷺ بما تردينه؟ فقالت: يا بن الخطاب لي كذا وكذا. فأتاها رسول الله ﷺ فقال: «أما ما ذكرت من غيرتك فإني أدعو الله عز وجل أن يذهبها عنك، وأما ما ذكرت من صبتك فإن الله عز وجل سيكفيكهم، وأما ما ذكرت من أنه ليس من أوليائك أحد شاهد فليس من أوليائك أحد شاهد ولا غائب يكرهني» وقال لابنها: زوج رسول الله ﷺ فزوجّه، فقال رسول الله ﷺ: أما إني لم أنقصك مما أعطيت فلانة (١).

قال ثابت: قلت لابن أم سلمة: ما أعطى فلانة؟ قال: أعطاهما جرتين تضع فيهما حاجتهما، ورحى ووسادة من آدم حشوها ليف.

ثم انصرف رسول الله ﷺ، ثم أقبل رسول الله ﷺ بابنها، فلما رآته وضعت زينب أصغر ولدها في حجرها، فلما رآها انصرف وأقبل رسول الله ﷺ بابتها، فوضعتها في حجرها وأقبل عمار مسرعا بين يدي رسول الله ﷺ فانتزعها من حجرها وقال: هاتي هذه المشقوحة التي قد منعت رسول الله ﷺ حاجته، فجاء رسول الله ﷺ فلما لم يرها في حجرها قال: أين زنا ب؟ قالت: أخذها عمار، فدخل رسول الله ﷺ على أهله.

قال: وكانت في النساء كأنها ليست فيهن، لا تجد ما يجدن من الغيرة. توفيت أم سلمة في سنة تسع وخمسين، وقيل: سنة اثنتين وستين، وقُبرت بالبقيع، وهي ابنة أربع وثمانين سنة - ﷺ -.

١٣٠- أم حبيبة واسمها رملة. ﷺ.

بنت أبي سفيان بن حرب، كانت عند عبيد الله بن جحش وهاجر بها إلى الحبشة في الهجرة الثانية ثم ارتد عن الإسلام وتنصر ومات هنالك، وثبتت أم حبيبة على دينها فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة ليخطبها عليه فزوجها إياها

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٢٦٧٣١) والنسائي في «النكاح» حديث (٣٢٥٤) باب (٢٨) إنكاح الابن أمه.

(١٣٠) هي: رملة بنت أبي سفيان بن حرب الأموية، أم المؤمنين، أم حبيبة، مشهورة بكينيتها، ماتت سنة اثنتين - أو أربع - وقيل: سنة تسع وأربعين، وقيل: وخمسين.

وأصدق عنه النجاشي أربعمائة دينار وبعث بها مع شرحبيل ابن حسنة، وقيل: وكلت خالد بن سعيد بن العاص فزوجها، وذلك في سنة سبع من الهجرة.

قال سعيد بن العاص: قالت أم حبيبة: رأيت في النوم كأن عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهه، ففزعت فقلت: تغيرت والله حاله، فإذا هو يقول حين أصبح: يا أم حبيبة، إنني نظرت في الدين فلم أر دينا خيرا من النصرانية، وكنت قد دنت بها ثم دخلت في دين محمد، ثم رجعت في النصرانية.

فقلت: والله ما خير لك، وأخبرته بالرؤيا التي رأيته فلم يحفل بها وأكب على الخمر حتى مات، فأرى في النوم كأن آتيا، يقول: يا أم المؤمنين، ففزعت فأولتها أن رسول الله ﷺ يتزوجني.

قالت: فما هو إلا أن قد انقضت عدتي فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن، فإذا جارية له يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فدخلت على فقالت: إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إلى أن أزوجه، فقالت: بشرك الله بخير، قالت: يقول لك الملك: وكلني من يزوجه.

فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته وأعطت أبرهة سوارين من فضة وخدمتين كانتا في رجليها وخواتيم فضة كانت في أصابع رجليها سرورا بما بشرتها.

فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشي فقال:

الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم صلى الله عليهما وسلم.

أما بعد فإن رسول الله ﷺ كتب إلى أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقته أربعمائة دينار.

ثم سكب الدنانير بين يدي القوم، فتكلم خالد بن سعيد فقال:

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستنصره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

المشركون، أما بعد [فقد] أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فبارك الله لرسول الله ﷺ.

ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها، ثم أرادوا أن يقوموا فقال: اجلسوا، فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج، فدعا بطعام وأكلوا ثم تفرقوا. قالت أم حبيبة: فلما وصل إلى المال أرسلت إلى أبرهة التي بشرتني فقلت لها: إني كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدي، فهذه خمسون مثقالا فخذها فاستعيني بها، فأبت وأخرجت حقا فيه كل ما كنت أعطيتها فردته عليّ وقالت: عزم على الملك أن لا أرزأك شيئا وأنا التي أقوم على ثيابه ودهنه، وقد اتبعت دين محمد رسول الله ﷺ وأسلمت لله عز وجل وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر.

قالت: فلما كان الغد جاءتنى بعود وورس وعنبر وزباد كثير فقدمت بذلك كله على رسول الله ﷺ فكان يراه على وعندي فلا ينكره، ثم قالت: فحاجتني إليك أن تقرئني على رسول الله ﷺ مني السلام وتعلمني أنني قد اتبعت دينه، قالت: ثم لطفت بي وكانت التي جهزتنى، وكانت كلما دخلت على تقول لا تنسى حاجتي إليك.

قالت: فلما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت بي أبرهة فتبسم، وأقرأته منها السلام فقال: وعليها السلام ورحمة الله وبركاته^(١).

قال الزهري: لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ، وهو يريد غزو مكة، فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية فلم يقبل عليه رسول الله ﷺ فقام ودخل على ابنته أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عنى أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: يا بنية لقد أصابك بعدى شر^(٢).

قالت عائشة رضي الله عنها: دعتنى أم حبيبة عند موتها فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فغفر الله لى ولك ما كان من ذلك، فقلت: غفر الله لك ذلك كله وتجاوز وحلك من ذلك كله، فقالت: سررتنى شرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك^(٣). وتوفيت سنة أربع وأربعين فى خلافة معاوية.

(١) ضعيف جداً: أخرجه الحاكم فى «معرفة الصحابة» رقم (٦٧٧٠) قال الذهبى: وذكرت القصة بطولها وهى منكورة.

(٢)، (٣) ضعيفان جداً: أخرجهما ابن سعد فى «الطبقات» من طريق الواقدى، وهو متروك، وهو آفة الرواية السابقة أيضاً.

١٣١- زينب بنت جحش بن رثاب. رضي الله عنها.

أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمه رسول الله ﷺ زوجها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، فلما طلقها زيد بن حارثة تزوجها رسول الله ﷺ في سنة خمس من الهجرة وكانت من المهاجرات.

عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب بنت جحش قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: اذهب فاذكرني لها، فلما قال ذلك عظمت نفسي فذهبت إليها فجعلت تظهرى إلى الباب فقلت: يا زينب بعثني إليك رسول الله ﷺ يذكرك، فقالت ما كنت لأحدث شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل، فقامت إلى مسجد لها فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ (الأحزاب: ٣٧) فجاء رسول الله ﷺ فدخل - بغير إذن. أخرجه مسلم ^(١).

وقد أخرج البخاري من حديث أنس أن زينب كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله عز وجل من فوق سبع سموات. وعنه قال: كانت زينب بنت جحش تفخر على نساء النبي ﷺ، تقول: إن الله عز وجل أنكحنى من السماء، وأطعم النبي ﷺ يومئذ عليها خبزاً ولحماً، قال: وكان القوم جلوساً في البيت فخرج النبي ﷺ فلبث هنية، فرجع والقوم جلوس فشق ذلك عليه وعرفت ذلك في وجهه فتزلت آية الحجاب.

قلت: نزول آية الحجاب في قصة زينب في الصحيحين من حديث أنس بن مالك الأنصاري، وفيهما من حديثه أيضاً قال: ما أولم رسول الله ﷺ على امرأة من نسائه أكثر وأفضل مما أولم على زينب، فقال له ثابت: بم أولم؟ قال: أطعمهم خبزاً ولحماً حتى تركوه ^(٢).

وعن عائشة قالت: كانت زينب بنت جحش هي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله عز وجل بالورع، ولم أر امرأة أكثر خيراً وأكثر صدقة وأوصل للرحم وأبذل لنفسها في كل شيء يتقرب به إلى الله عز وجل من زينب، ما عدا سورة من حدة كانت فيها، يوشك منه الفيتة.

(١٣١) هي: زينب بنت جحش بن رثاب بن يَعمَر الأسدية، أم المؤمنين، أمها أميمة بنت عبد المطلب، يقال: ماتت سنة عشرين في خلافة عمر.

(١) صحيح: أخرجه مسلم في «النكاح» حديث (١٤٢٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «النكاح» حديث (٥١٦٦) باب (٦٧) الوليمة حق.

وعن برزة ابنة رافع قالت: لما جاء العطاء بعث عمر إلى زينب بنت جحش بالذى لها، فلما دخل عليها قالت: غفر الله لعمر، لغيرى من أخواتى كان أقوى على قسم هذا منى، قالوا: هذا كله لك، قالت: سبحان الله، واسترت دونه بثوب وقالت: صبوه واطرحوا عليه ثوبا، فصبوه واطرحوا عليه ثوبا، فقالت لى: أدخلى يدك فاقبضى منه قبضة فاذهبى إلى آل فلان وآل فلان من أيتامها وذوى رحمها فقسمته حتى بقيت منه بقية فقالت لها برزة: غفر الله لك، والله لقد كان لنا فى هذا حظ، قالت: فلكم ما تحت الثوب، قالت: فرفعنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهما، ثم رفعت يديها فقالت: اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بعد عامى هذا، قال: فمات.

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ لأزواجه: «أولكن يتبعنى أطولكن يدا» قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا فى الحائط فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا يداً، فعرفنا أن النبى ﷺ أراد بطول اليد الصدقة، وكانت امرأة صناعاً، وكانت تعمل بيدها وتتصدق به فى سبيل الله عز وجل (١).

توفيت زينب بنت جحش فى سنة عشرين وهى بنت ثلاث وخمسين سنة - رحمه الله - .

١٣٢- جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار رضي الله عنها

قالت عائشة: أصاب رسول الله ﷺ نساء بنى المصطلق، ف وقعت جويرية فى سهم ثابت بن قيس، فكاتبها على تسع أواق، وكانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فبينا رسول الله ﷺ عندى إذ دخلت عليه جويرية تسأله فى كتابتها، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبى ﷺ عرفت أنه سيرى منها مثل الذى رأيت فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث، سيد قومى، وقد أصابنى من الأمر ما قد علمت، ف وقعت فى سهم ثابت بن قيس فكاتبنى على تسع أواق فأعنى فى كتابتى، فقال: أواخر من ذلك؟ فقالت: ما هو؟ فقال: أودى عنك كتابتك وأتزوجك، قالت: نعم يا رسول الله، فقال: قد فعلت، فخرج الخبر إلى الناس فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ يُسرقون، فأعتقوا ما كان

(١) صحيح: أخرجه مسلم فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٥٣).

(١٣٢) هى: جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار الخزاعية، تزوجها النبى ﷺ، كان اسمها برة فغيرها النبى ﷺ، وسبأها فى غزوة المريسيع ثم تزوجها ومات سنة خمسين على الصحيح.

في أيديهم من نساء بنى المصطلق، فبلغ عتقهم مائة بيت بتزويجه إياها، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها^(١).

قال ابن عباس: كان اسمها برة فحول رسول الله ﷺ فسمها جويرية، كره أن يقال خرج من عند برة.

وعن ابن عباس، عن جويرية: انطلق على رسول الله ﷺ غدوة وأنا أسبح، ثم انطلق لحاجته ثم رجع قريبا من نصف النهار فقال: أما زلت قاعدة؟ قلت: نعم، قال: ألا أعلمك كلمات لو عدلن بهن لعدلنهن، ولو وزن بهن وزنهن، يعني جميع ما سبحت: «سبحان الله عدد خلقه، ثلاث مرات، سبحان الله زنة عرشه، ثلاث مرات، سبحان الله رضا نفسه، ثلاث مرات، سبحان الله مداد كلماته، ثلاث مرات» انفرد بإخراجه مسلم^(٢).

تزوج رسول الله ﷺ جويرية وهي بنت عشرين سنة، وتوفيت سنة خمسين، وفي رواية ست وخمسين، وهي بنت خمس وستين، رحمها الله.

١٣٣- صفية بنت حبي بن الخطب (رضي الله عنها).

من سبط هاورن بن عمران، سبها النبي ﷺ يوم خيبر فاصطفها لنفسه فأسلمت وأعتقها، وجعل عتقها صداقها، وقيل: وقعت في سهم دحية الكلبي فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أروس.

عن جابر أن رسول الله ﷺ أتى بصفية يوم خيبر وإنه قتل أخاها وزوجها، وقال لبلال: خذ بيد صفية فأخذ بيدها فمر بها بين القتلى فكره ذلك رسول الله ﷺ حتى رأى في وجهه. ثم قام رسول الله ﷺ فدخل عليها، فنزعت شيئا كانت عليه جالسة، فألقته لرسول الله ﷺ ثم خيرها بين أن يعتقها فترجع إلى من بقى من أهلها أو تسلم فيتخذها لنفسه، فقالت: أختار الله ورسوله، فلما كان عند رواحه احتقب بغيره ثم خرجت معه تمشي حتى ثنى لها ركبته على فخذه، فأجلت رسول الله ﷺ أن تضع قدمها على فخذه فوضعت ركبته على فخذه فركبت، ثم ركب النبي ﷺ فألقى عليها كساء، ثم سارا فقال المسلمون حجبتها

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني في «الكبير» وعبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٣١٨).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم في «الذكر» حديث (٢٧٢٦) باب (١٩) التسيح أول النهار.

(١٣٣) هي: صفية بنت حبي بن الخطب الإسرائيلية، أم المؤمنين، تزوجها النبي ﷺ بعد خيبر وماتت سنة ست وثلاثين وقيل في خلافة معاوية، وهو الصحيح.

رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان على ستة أميال من خيبر مال يريد أن يعرس بها فأبت صفية ، فوجد النبي ﷺ عليها في نفسه .

فلما كان بالصهباء مال إلى دومة هناك فطاوعته فقال لها : ما حملك على إيائك حين أردت المنزل الأول؟ قالت : يا رسول الله ، خشيت عليك قرب يهود ، فأعرس بها رسول الله ﷺ بالصهباء ، وبات أبو أيوب ليلته يحرس رسول الله ﷺ ، ويدور حول خباء رسول الله ﷺ ، فلما سمع رسول الله ﷺ الوطء قال : من هذا؟ قال : أنا خالد بن زيد ، فقال : ما لك؟ قال : ما نمت هذه الليلة مخافة هذه الجارية عليك ، فأمره رسول الله ﷺ فرجع (١) .

توفيت صفية سنة خمسين ، وقيل اثنتين وخمسين ، وقيل ست وثلاثين ، ودفنت بالبقيع .

١٣٤- أم شريك رضي الله عنها (٢) .

واسمها غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية ، قال الأكثرون : هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فلم يقبلها ، فلم تتزوج حتى ماتت (٣) .

عن ابن عباس قال : وقع في قلب أم شريك الإسلام فأسلمت وهي بمكة وكانت تحت أبي العسكر الدوسي ، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرّاً فتدعوهم وترغبهن في الإسلام ، حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا : لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا لكنا سنردك إليهم .

فالت : فحملوني على بعير ليس تحتي شيء ثم تركوني ثلاثاً لا يطعموني ولا يسقوني ، وكانوا إذا نزلوا منزلاً أو ثقوني في الشمس واستظلوا هم منها ، وحبسوني عن الطعام والشراب ، فبينما هم قد نزلوا منزلاً وأوثقوني في الشمس إذا أنا ببرد شيء على صدرى فتناولته فإذا هو دلو من ماء فشربت منه قليلاً ثم نزع مني فرفع ، ثم عاد فتناولته فشربت منه ثم رفع ، ثم عاد فتناولته ثم رفع مراراً ، ثم تُركت فشربت حتى رويت ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي ، فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء ورأوني حسنة الهيئة فقالوا لي : انحلت فأخذت سقاء فشربت منه؟ قلت : لا والله ولكنه كان من الأمر كذا وكذا ، قالوا : لئن كنت صادقة لدينا

(١) انظر «حلية الأولياء» (٢ / ٦٦) و «الطبقات الكبرى» (٨ / ١٢٨) و «سير أعلام النبلاء» (٣ / ٥١٥) .

(١٣٤) هي : أم شريك العامرية ، ويقال : الدوسية ، ويقال : الأنصارية ، اسمها غزية ، ويقال : غزيلة ، صحابية ، ويقال : هي الواهة .

(٢) انظر «حلية الأولياء» (٢ / ٧٩) و «سير أعلام النبلاء» (٣ / ٥٠٧) .

(٣) انظر : «حلية الأولياء» (٢ / ٧٩) رقم (١٥٣٠) و «المستدرک» (٦٨١٠) .

خير من ديننا، فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك، وأقبلت إلى النبي ﷺ فوهبت نفسها له بغير مهر، فقبلها ودخل عليها.

١٣٥- فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد المناف

أم علي بن أبي طالب عليه السلام، أسلمت وكانت صالحة، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقبل في بيتها، ولما ماتت نزع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه^(١). وقال علي بن أبي طالب: قلت لأُمِّي فاطمة بنت أسد: اكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهب في الحاجة، وتكفيك خدمة الداخل والطحن والعجين.

١٣٦- أم أيمن واسمها بركة

مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، ورثها من أبيه فأعتقها حين تزوج خديجة فتزوجها عبيد ابن زيد من بني الحارث فولدت له أيمن، ثم تزوجها زيد بن حارثة بعد النبوة فولدت له أسامة - رضي الله عنه -.

عن عثمان بن القاسم قال: خرجت أم أيمن مهاجرة إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وهي ماشية ليس معها زاد، وهي صائمة في يوم شديد الحر، فأصابها عطش شديد حتى كادت تموت من شدة العطش، قال: وهي بالروحاء أو قريباً، قالت: فلما غابت الشمس إذا أنا بحفيف شيء فوق رأسي، فرفعت رأسي فإذا أنا بدلو من السماء مدلى برشاء أبيض، قالت: فدنا مني حتى إذا كان بحيث أستمكن منه تناولته فشربت منه حتى رويت، قالت: فلقد كنت بعد ذلك في اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش فما عطشت بعدها^(٢).

وعن أنس قال: ذهبت مع النبي ﷺ إلى أم أيمن نزورها فقربت له طعاماً أو شرباً فإذا كان صائماً وإما لم يردّه فجعلت تخاصمه، أي كُلْ، فلما توفي النبي ﷺ قال أبو بكر لعمر رضي الله عنه: مر بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما رأتهما بكت، فقلا لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما أبكي، إني لأعلم أن رسول الله ﷺ قد صار إلى خير مما كان فيه ولكن أبكي لخبر السماء انقطع عنا، فهيجتهما على البكاء فجعلتا يبكيان معها^(٣).

(١٣٥) هي: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمية، أول هاشمية ولدت هاشمياً.

(١) ضعيف: قال الهيثمي: فيه سعدان بن الوليد، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(١٣٦) هي: أم أيمن حاضنة النبي ﷺ يُقال: اسمها بركة، وهي والددة أسامة بن زيد، ماتت في خلافة عثمان.

(٢) ضعيف: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٨ / ٢٢٤).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم في «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٥٤) باب (١٨) من فضائل أم أيمن.

قال الواقدي: حضرت أم أيمن أحدًا وكانت تسقى الماء، وتداوى الجرحى، وشهدت خبير، وتوفيت في آخر خلافة عثمان - رضي الله عنه - .

١٣٧- أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط

أسلمت بمكة وبايعت قبل الهجرة، وهي أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وهاجرت في هدنة الحديبية.

عن ربيعة بن عثمان وقدامة قالاً: لا نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلا أم كلثوم، قالت: كنت أخرج إلى بادية لنا فيها أهلى فأقيم بها الثلاث والأربع، وهي ناحية التنعيم، ثم أرجع إلى أهلى فلا ينكرون ذهابى البادية، حتى أجمعت المسير فخرجت يوماً من مكة كأنى أريد البادية، فلما رجعت من تبغنى إذا رجل من خزاعة قال: أين تريدان؟ قلت ما سألتك؟ ومن أنت؟ قال: رجل من خزاعة، فلما ذكر خزاعة اطمأننت إليه لدخول خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وعقده، فقلت: إني امرأة من قريش وإني أريد اللحق برسول الله ﷺ ولا علم لى بالطريق، فقال: أنا صاحبك حتى أوردك المدينة، ثم جاءنى ببعير فركبته فكان يقود بى البعير، ولا والله ما يكلمنى بكلمة، حتى إذا أناخ البعير تنحى عنى فإذا نزلت جاء إلى البعير فقيده بالشجرة وتنحى إلى فىء شجرة، حتى إذا كان الرواح حدى البعير فقربه وولى عنى فإذا أركبت أخذ برأسه فلم يلتفت وراءه حتى أنزل فلم يزل كذلك حتى قدمنا المدينة، فجزاه الله من صاحب خيراً، فدخلت على أم سلمة وأنا متقببة فما عرفتني حتى انتسبت وكشفت النقاب فالتزمتني وقالت هاجرت إلى الله عز وجل وإلى رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم، وأنا أخاف أن يردنى كما رد أبا جندل وأبا بصير، وحال الرجال ليس كحال النساء والقوم مصبحى، قد طالت غيبتى اليوم عنهم خمسة أيام منذ فارقتهم، وهم يتسحنون قدر ما كنت أغيب، ثم يطلبونى، فإن لم يجدونى رحلوا.

فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمة فأخبرته خبر أم كلثوم فرحب بها وسهّل، فقلت: إني فررت إليك بدينى فامنعنى ولا تردنى إليهم يفتنونى ويعذبونى، ولا صبر لى على العذاب، إنما أنا امرأة وضعف النساء إلى ما تعرف، وقد رأيتك رددت رجلين حتى امتنع أحدهما فقال: إن الله عز وجل قد نقض العهد فى النساء وحكم فى ذلك بحكم رضوه كلهم، وكان يرد

(١٣٧) هى: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط الأموية، أسلمت قديماً وهي أخت عثمان لأمه، صحابية، لها أحاديث، ماتت فى خلافة على.

النساء، فقدم أخوها الوليد وعمارة من الغد فقالا: أوف لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه، فقال: قد نقص الله العهد، فانصرفا.

قلت: واعلم أن نقض العهد فى النساء معناه نزول الامتحان فى حقوقهن فامتنحنها رسول الله ﷺ وامتنحن النساء بعدها، وذلك أنه كان يقول لهن: والله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام وما خرجتن لزوج ولا مال، فإذا قلن ذلك تركهن ولم يردن إلى أهليهن، وكانت أم كلثوم عاتقا حينئذ فتزوجها زيد بن حارثة، فلما قتل عنها تزوجها الزبير فولدت له زينب، ثم تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له إبراهيم وحמידاً، ثم تزوجها عمرو بن العاص فماتت عنده - رحمها الله -.

١٣٨- الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى

أسلمت وبايعت - رضي الله عنها -

عن عائشة رضي الله عنها أن الحولاء مرت بها وعندها رسول الله ﷺ فقالت: هذه الحولاء، وزعموا أنها لا تنام الليل، فقال: لا تنام الليل؟ خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا.

١٣٩- أسماء بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنها

أسلمت بمكة قديماً، وبايعت، وشقت نطاقها ليلة خرج رسول الله ﷺ إلى الغار فجعلت واحداً لسفرة رسول الله ﷺ والآخر عصاماً لقربته، فسميت ذات النطاقين، تزوجها الزبير، وكانت صالحة كانت تمرض المرضى فتعتق كل مملوك لها^(١).

عن عبد الله بن الزبير قال: ما رأيت امرأتين قط أجود من عائشة وأسماء، وجودهما مختلف، أما عائشة فكانت تجمع الشئ حتى إذا اجتمع عندها قسمت، وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئاً لغد. رواه البخارى^(٢).

وروى أيضاً من حديث عروة قال: دخلت أنا وعبد الله بن الزبير على أسماء قبل قتل عبد الله بعشر ليال، وأسماء وجعة، فقال لها عبد الله: كيف تجدينك؟ قالت: وجعة، قال: إن فى الموت لراحة، قالت: لعلك تشتهى موتى فلذلك تمناه، فلا تفعل، فوالله ما أشتهى أن أموت

(١٣٩) هـ: أم عبد الله القرشية المكية ثم المدنية، والددة الخليفة عبد الله بن الزبير، وأخت أم المؤمنين عائشة، وآخر المهاجرات موتاً.

(١) صحيح: أخرجه أحمد فى «المسند» (١٢٠٢٧).

حتى أتى على أحد طرفيك: إما أن تقتل فأحتسبك وإما أن تطفر فتقر عيني، فإياك أن تعرض عليك خصلة لا توافقك فتقبلها كراهية الموت.

وإنما عني ابن الزبير أن يقتل فيحزنها ذلك.

توفيت أسماء بعد قتل ابنها عبد الله، رضي الله عنه، بليال.

١٤٠- سمية بنت خطاب. رضي الله عنها.

مولاة أبي حذيفة بن المغيرة، وهى أم عمار بن ياسر، أسلمت بمكة قديما وكانت ممن يعذب فى الله عز وجل لترجع عن دينها فلم تفعل، فمر بها يوما أبو جهل فطعنها فى قبلها فماتت، وكانت عجوزا كبيرة فهى أول شهيدة فى الإسلام (رحمها الله).

عن مجاهد قال: أول شهيد كان فى الإسلام استشهد: أم عمار، طعنها أبو جهل بحربة فى قبلها، والسلام.

١٤١- فاطمة بنت الخطاب. رضي الله عنها.

أخت عمر، أسلمت قبل عمر هى وزوجها سعيد بن عمر بن نفيل، فلما علم عمر بإسلامها دخل عليها فشجها فبكت وقالت: يا بن الخطاب، ما كنت صانعا فاصنعه فقد أسلمت.

وقد ذكرنا هذا فى قصة إسلام عمر - رحمها الله -.

١٤٢- أم رومان بنت عامر

أسلمت بمكة قديما وبايعت وتزوجها أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - فولدت له عبد الرحمن وعائشة، وهاجرت إلى المدينة.

وقد ذكر محمد بن سعد وإبراهيم الحري أنها توفيت على عهد رسول الله ﷺ وقال آخرون بل عاشت بعده دهرًا طويلا، رحمها الله.

(١٤٢) هى: أم رومان الفراسية، زوج أبى بكر الصديق، وأم عائشة وعبد الرحمن، صحابية، يقال: اسمها زينب، وقيل: دعد، زعم الواقدي ومن تبعه أنها ماتت فى زمن النبى ﷺ ونزل قبرها، والصحيح أنها عاشت بعده، ورواية مسروق عنها مصرح فيها بالسماع منها فى صحيح البخارى وليست بخطأ كما زعم بعضهم، والله أعلم.

١٤٣- أم الفضل

وهي لبابة الكبرى ابنة الحارث بن حزن، وهي أول امرأة أسلمت بعد خديجة، تزوجها العباس فولدت له الفضل وعبد الله وعبيد الله ومعبدًا وقثم وعبد الرحمن وأم حبيب، وفيها يقول عبد الله بن يزيد الهلالي:

ما ولدت نجيبة من فحل كستة من بطن أم الفضل

أكرم بها من كهلة وكهل

وهاجرت إلى المدينة بعد إسلام العباس، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيم في بيتها، وكانت تصوم الاثنين والخميس.

١٤٤- أسماء بنت عميس رضي الله عنها

أسلمت بمكة قديما، وبايعت، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب ثم قتل عنها فتزوجها أبو بكر - رضي الله عنه - ومات عنها وأوصى أن تغسله، ثم تزوجها علي بن أبي طالب.

عن موسى قال: بلغنا مخرج رسول الله ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأخوان لي أنا أصغرهم، أحدهما: أبو بردة والآخر أبو رهم، إما قال بضع وإما قال: ثلاثة وخمسون وإما اثنان وخمسون رجلا من قومي، فركبنا سفينة فآلقنا سفيتنا إلى النجاشي فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا ههنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا، قال: فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً.

قال: فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر فأسهم لنا، أو قال أعطانا منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئا إلا لمن شهد معه إلا أصحاب سفيتنا مع جعفر وأصحابه، فقسم لهم معهم، قال: فكان ناس من النساء يقولون لنا، يعني لأصحاب السفينة: سبقناكم بالهجرة. قال: فدخلت أسماء بنت عميس - وهي ممن قدم معنا - على حفصة زوج النبي ﷺ

(١٤٣) هي: لبابة - بتخفيف الموحدة - بنت الحارث بن حزن - بفتح المهملة وسكون الزاي بعدها نون - الهلالية، أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب، وأخت ميمونة زوج النبي ﷺ، قال ابن حبان: ماتت بعد العباس في خلافة عثمان.

(١٤٤) هي: أسماء بنت عميس الخنعمية، صحابية، تزوجها جعفر بن أبي طالب، ثم أبو بكر، ثم علي، وولدت لهم، وهي أخت ميمونة بنت الحارث، أم المؤمنين، لأما، ماتت بعد علي.

زائرة وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ فقالت أسماء بنت عميس: فقال عمر: الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ فقالت: أسماء: نعم، فقال عمر: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت وقالت: كلا يا عمر، كلا والله كتنم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعط هالككم وكنا في دار - أو في أرض - البعد بالحبشة، وذلك في ذات الله عز وجل، وفي رسول الله ﷺ، وإيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيد على ذلك.

فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ فما قلت له؟ قالت: قلت له كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم يا أهل السفينة هجرتان، قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالا ليسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم أفرح به ولا أعظم في أنفسهم مما قال رسول الله ﷺ لهم ^(١). أخرجاه في الصحيحين.

١٤٥- أم عمارة

واسمها نسيبة - بفتح النون وكسر السين - بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية، أسلمت وبايعت وشهدت أحداً والحديبية وخيبر وحنينا وعمرة القضية ويوم اليمامة. وروى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «ما التفت يوم أحد يميناً ولا شمالاً إلا ورأها تقاتل دوني».

قال الواقدي: قاتلت يوم أحد وجرحت اثنتي عشرة جراحة وداوت جرحاً في عنقها سنة، ثم نادى منادى رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد، فشدت عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم.

وعن محمد بن إسحاق قال: وحضرت البيعة بالعقبة امرأتان قد بايعتا: إحداهما نسيبة بنت

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «المغازي» حديث (٤٢٣٠، ٤٢٣١) باب (٣٨) غزوة خيبر، ومسلم في «فضائل الصحابة» حديث (٢٥٠٢، ٢٥٠٣) باب (٤١) من فضائل جعفر وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم رضي الله عنهم.

(١٤٥) هي: نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية، أم عمارة، شهدت ليلة العقبة، وشهدت أحداً والحديبية، ويوم حنين ويوم اليمامة وقطعت يدها في الجهاد، انظر «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٥٢٠).

كعب، وكانت تشهد الحرب مع رسول الله ﷺ، وشهدت معه أحدا وخرجت مع المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر في الردة، فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة ورجعت وبها عشر جراحات من طعنة وضربة.

قال ابن إسحاق: حدثني بهذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حبان، ومحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، والسلام.

١٤٦- أم سليط الانصارية

أسلمت، وبايعت وشهدت أحداً وخيبر وحنينا، قال ثعلبة بن أبي مالك: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطا بين نساء من نساء أهل المدينة فبقى منها مرط جيد، فقال له بعض من حضر عنده: يا أمير المؤمنين أعط هذا ابنة رسول الله ﷺ التي عندك، يريدون أم كلثوم فقال: أم سليط أحق بها، فإنها ممن بايع رسول الله ﷺ وكانت تزفر لنا القرب يوم أحد. انفرد بإخراجه البخاري.

١٤٧- أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام

وهي الغميصاء، وقيل الرميضاء، واختلفوا في اسمها قيل: سهلة، وقيل رميلة، وقيل: رميثة وقيل أنيفة، تزوجها مالك بن النضر فولدت له أنس بن مالك، ثم قتل فخطبها أبو طلحة.

عن أنس قال: خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يسلم فقالت: أما إني فيك لراغبة وما مثلك يرد ولكنتك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم فذلك مهري لا أسألك غيره، فأسلم أبو طلحة وتزوجها^(١).

وعنه أن أبا طلحة خطب أم سليم فقالت: يا أبا طلحة أأست تعلم أن إلهك الذي تعبد خشيبة نبت من الأرض نجرها حبشى بنى فلان؟ قال: بلى، قالت: أفلا تستحي أن تعبد خشيبة من نبات الأرض نجرها حبشى بنى فلان؟ لئن أنت أسلمت لم أرد منك من الصداق

(١٤٧) هي: أم سليم بنت ملحان بن خالد الانصارية، والدة أنس بن مالك، يقال: اسمها سهلة أو رميلة، أو مليكة أو أنيسة، وهي الغميصاء، أو الرميضاء، اشتهرت بكنتيتها، وكانت من الصحابيات الفاضلات، ماتت في خلافة عثمان.

(١) صحيح: أخرجه النسائي في «النكاح» حديث (٣٣٤٠) باب (٦٣) التزويج على الإسلام.

غيره، قال: حتى أنظر في أمري، فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قالت: يا أنس زوج أبا طلحة^(١).

عن أنس بن مالك قال: خطب أبو طلحة أم سليم فقالت: ما مثلك يرد ولكن لا يحل أن أتزوجك، أنا مسلمة وأنت كافر، فإن تسلم فذاك مهري لا أسألك غيره، فأسلم فتزوجها. قال ثابت: فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم: الإسلام.

وعنه: أن النبي ﷺ لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة غير بيت أم سليم إلا على أزواجه، ف قيل له، فقال: إني أرحمها، قتل أخوها معي.

وعنه قال: كان النبي ﷺ يدخل على أم سليم فتبسط له النطع فيقبل عندها فتأخذ من عرقه فتجعله في طيبها^(٢).

وعنه - رواه - قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فإذا هي الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك»^(٣).

وعنه قال: جاء أبو طلحة يوم حنين يضحك رسول الله ﷺ من أم سليم فقال: يا رسول الله، ألم تر إلى أم سليم معها خنجر؟ فقال لها رسول الله ﷺ: ما تصنعين به يا أم سليم؟ قالت: أردت إن دنا أحد منهم مني طعته^(٤).

وعنه قال: كلان يوم أحد رأيت عائشة وأم سليم وإنهما لمشمртان أرى خدام سوقهما تتقلان القرب على متونهما ثم تفرغانها في أفواه القوم ثم ترجعان فتملاكنها ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم.

وعنه قال: زار رسول الله ﷺ أم سليم فصلى في بيتها تطوعاً وقال: يا أم سليم إذا صليت المكتوبة فقل: سبحان الله عشراً، والحمد لله عشراً، والله أكبر عشراً، ثم سلى الله عز وجل ما شئت فإنه يقال لك: نعم نعم نعم.

وعنه قال: كان ابن طلحة يشتكى فخرج أبو طلحة فقبض الصبي فلما رجع أبو طلحة

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٥٣٨) و«الطبقات الكبرى» (٨/ ٤٢٥).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم في «فضائل الصحابة» (٢٣٣١، ٢٣٣٢، ٢٣٣٣) باب (٢) طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم في «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٥٦) باب (١٩) من فضائل أم سليم أم أنس ابن مالك وبلال رضي الله عنهما.

(٤) صحيح: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٤٢٥).

قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم: هو أسكن ما كان، فقربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبي، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: أعرستم الليلة؟ قال نعم: قال اللهم بارك لهما، فولدت له غلامًا، فقال لى أبو طلحة: احمله حتى تأتى به النبي ﷺ وبعث معه بتمرات فقال: أمعك شيء؟ قلت: نعم تمرات، فأخذها النبي ﷺ فمضغها ثم أخذها من فيه فجعلها فى فى الصبي ثم حنكه وسماه عبد الله. أخرجاه فى الصحيحين (١).

وعنه قال: مات ابن لأبى طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه، قال: فجاء فقربت له عشاء فأكل وشرب وقال: ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع له قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة أرايت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا علويتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك.

فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: بارك الله لكما فى ليلتكما، قال: فحملت.

قال: وكان رسول الله ﷺ فى سفر وهى معه، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطررها طروقًا فدنوا من المدينة فضر بها المخاض، فاحتبس عليها أبو طلحة وانطلق رسول الله ﷺ، فقال أبو طلحة: إنك لتعلم يا رب أنه ليعجنى أن أخرج مع رسول الله ﷺ إذا خرج وأدخل معه إذا دخل وقد احتسبت بما ترى، قال: تقول له أم سليم: يا أبا طلحة ما أجد الذى كنت أجد، فانطلقنا.

قال: فضر بها المخاض حين قدمنا فولدت غلاما، فقالت لى أمى: يا أنس لا يرضعنه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ، قال: فلما أصبحت احتملته فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فصادفته ومعه ميسم، فلما رآنى قال: لعل أم سليم ولدت؟ قلت: نعم، فوضع الميسم وجئت به فوضعت فى حجره قال: ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة فلاكها فى فيه حتى ذابت فى فى الصبي فجعل الصبي يتلمظ، فقال رسول الله ﷺ: انظروا إلى حب الأنصار التمر، قال: فمسح وجهه وسماه عبد الله.

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى «العقيقة» حديث (٥٤٧٠) ومسلم فى «فضائل الصحابة» حديث (٢٤٥٧) باب (١٩) من فضائل أم سليم أم أنس بن مالك وبلال رضي الله عنهما.

وقد روى لنا من طريق آخر أن الولد الذي مات كان اسمه حفص وكان قد ترعرع.
وعن عباية بن رفاعه، عن أم سليم قالت: توفي ابن لي وزوجي غائب، فقممت فسجّيته في ناحية من البيت، فقدم زوجي فقممت فتطيت له فوق عليّ، ثم أتته بطعام فجعل يأكل فقلت: ألا أعجبك من جيراننا؟ قال: وما لهم؟ قلت: أعيروا عارية فلما طلبت منهم جزعوا فقال: بشّ ما صنعوا، فقلت: هذا ابنك، فقال: لا جرم لا تغلبنى على الصبر الليلة، فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: اللهم بارك لهم في ليلتهم، فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأ القرآن^(١).

١٤٨- أم حرام بنت ملحان

أخت أم سليم، وبايعت رسول الله ﷺ وكان يقبل في بيتها.
عن أنس بن مالك، عن أم حرام قالت: بينا رسول الله ﷺ قائل في بيتي إذ استيقظ وهو يضحك، فقلت: بأبي أنت وأمي ما يضحك؟ قال: عرض عليّ ناس من أمتي يركبون ظهر هذا البحر كالملوك على الأسرة، فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: اللهم اجعلها منهم، ثم نام أيضاً فاستيقظ وهو يضحك، فقلت: بأبي أنت وأمي ما يضحك؟ قال عرض عليّ ناس من أمتي يركبون ظهر هذا البحر كالملوك على الأسرة فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت من الأولين، فغزت مع عبادة بن الصامت وكان زوجها فوقصتها بغلة لها شهباء فوقعت فماتت. أخرجاه في الصحيحين^(٢).

وعن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عمير بن الأسود العنسي أنه حدثه أنه أتى عبادة ابن الصامت وهو بساحل حمص في بناء له ومعه امرأته أم حرام، قال عمير فحدثتنا أم حرام أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا، قالت أم حرام: يا رسول الله أنا منهم؟ قال: أنت منهم^(٣).
قال هشام: رأيت قبرها ووقفت عليه بالساحل بقايس.

(١) انظر التخریج المتقدم.

(١٤٨) هي: أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام الأنصارية، خالة أنس، صحابية، مشهورة، ماتت في خلافة عثمان.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «التعبير» حديث (٧٠٠٢) باب (١٢) رؤيا النهار، ومسلم في «الإمارة» حديث (١٩١٢) باب (٤٩) فضل الغزو في البحر.

(٣) انظر التخریج المتقدم.

وعن هشام بن الغلاء قال: قبر أم حرام بنت ملحان بقبرس وهم يقولون: هذا قبر المرأة الصالحة - رحمها الله - .

١٤٩- عفراء بنت عبيد بن ثعلبة

أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ ورزقها الله سبعة بنين كلهم شهدوا بدرًا مسلمين، وذلك أنها تزوجت الحارث بن رفاعة فولدت له معاذًا ومعوذًا، ثم طلقها فقدمت مكة فتزوجت بكير بن عبد ياليل، فولدت له خالدًا وإياسًا وعاقلاً وعامراً، ثم رجعت إلى المدينة فراجعها الحارث بن رفاعة فولدت له عوفاً، فشهدوا كلهم بدرًا مسلمين، فاستشهد معاذ ومعوذ وعافل بيدر وخالد يوم الرגיע، وعامر يوم بئر معونة، وإياس يوم اليمامة، والبقية منهم لعوف.

١٥٠- الربيع بنت معوذ ابن عفراء

أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ وحدثت عنه، وكانت تخرج معه في الغزوات. عن خالد بن ذكوان عن الربيع قالت: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فنخدم القوم ونسقيهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة. والسلام.

١٥١- أم عطية الأنصارية

واسمها نسيبة بنت كعب، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ وهذه بضم النون على خلاف اسم أم عمارة المتقدمة. عن حفصة بنت سيرين، عن أم عطية قالت: غزت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، وكنت أخلفهم في الرحال، وأصنع لهم الطعام، وأقوم على المرضى، وأداوى الجرحى.

١٥٢- أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث

أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ. أخبرنا ابن الحصين بالإسناد، عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية، وكانت قد جمعت القرآن، وكان النبي ﷺ قد أمرها أن تؤم أهل دارها، وكان لها مؤذن، وكانت تؤم أهل دارها.

(١٥٠) هي: الربيع، بالتصغير والتثقل، بنت معوذ ابن عفراء الأنصارية البخارية، من صغار الصحابة.
(١٥١) هي: أم عطية الأنصارية، نسيبة، ويقال: بفتح أولها، بنت الحارث، صحابية مشهورة، مدنية ثم سكنت البصرة.

(١٥٢) هي: أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث بن عويمر الأنصارية صحابية، كانت تؤم أهل دارها، وماتت في خلافة عمر، قتلها خدماها، وكان النبي ﷺ يسميها: الشهيدة - محمد بن علي.

وعنه عنه جدته عن أمها أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصاري: وكان رسول الله ﷺ يزورها يسميها الشهيدة، وكانت قد جمعت القرآن وكان رسول الله ﷺ حين غزا بدرًا قالت له: ائذن لي فأخرج معك فأداوى جرحاكم وأمراض مرضاكم لعل الله عز وجل يهدي إلى الشهادة، قال: إن الله عز وجل مهد لك الشهادة، وكان رسول الله ﷺ أمرها أن تؤم أهل دارها، حتى غدا عليها جارية و غلام لها كانت قد دبرتهما فقتلها في إمارة عمر رضي الله عنه، فقيل: إن أم ورقة قد قتلها غلامها وجاريتها، فقال عمر: صدق رسول الله ﷺ، كان يقول: انطلقوا بنا نزور الشهيدة - رحمها الله -.

١٥٣- امرأة من المهاجرات لم يذكر اسمها

عن أنس قال: دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض ثقيل، فلم نبرح حتى قضى، فبسطنا عليه ثوبه، وأم له عجوز كبيرة عند رأسه، فالتفت إليها بعضنا فقال: يا هذه احتسبي مصيبتك عند الله عز وجل، قالت: وما ذاك؟ أمات ابني؟ قلنا: نعم، قالت: أحق ما تقولون؟ قلنا: نعم، قالت: أحق ما تقولون؟ قلنا: نعم، فمدت يدها إلى الله فقالت: اللهم إنك تعلم أني أسلمت وهاجرت إلى رسولك ﷺ رجاء أن تعينني عند كل شدة ورخاء، فلا تحملني هذه المصيبة اليوم، قال فكشف عن وجهه فما برحنا حتى طعمنا معه.

١٥٤- امرأة أخرى من المهاجرات

عن ابن سيرين أن أبا بكر أتى بمال فقسمه بين الناس، فبعث منه إلى امرأة من المهاجرات، فلما أتيت به قالت: ما هذا؟ قالوا: أبو بكر جاءه مال فقسمه في الناس، فقسم منه في نظرائك، قالت: أتخافوني أن أدع الإسلام؟ قالوا: لا، قالت: أفترشونني على ديني؟ قالوا: لا، قالت: فلا حاجة لي فيه.

١٥٥- اليمنية

عن أبي هريرة قال: جاءت امرأة من اليمن إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله عز وجل أن يشفيني، قال: إن شئت دعوت الله لك فشفاك، وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك، قالت: بل أصبر ولا حساب علي - رحمها الله -.

١٥٦- امرأة من الأنصار

عن أنس قال: لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة وقالوا: قتل محمد، حتى كثرت الصواريخ في نواحي المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار فاستقبلت بأخيها وأبيها وزوجها

وابنها، لا أدري بأيهم استقبلت أولاً، فلما مرت على آخرهم قالت: من هذا؟ قالوا: أخوك وأبوك وزوجك وابنك، قالت: فما فعل النبي ﷺ؟ قالوا: أمامك، فذهبت إلى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ، لا أبالي إذا سلمت من عطب.

١٥٧- أمة لبعض العرب

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: أسلمت أمة سوداء لبعض العرب فكان لها حفش في المسجد، قالت: فكانت تأتينا فتحدث عندنا، فإذا فرغت من حديثها قالت:

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا ألا إنه من بلدة الكفر نجاني

فلما أكثرت قلت لها: وما يوم الوشاح؟ قالت: خرجت جويرة لبعض أهلي وعليها وشاح من آدم فسقط منها فانحطت عليه الحداة وهي تحسبه لحماً فأخذته، فاتهموني به فعذبوني، حتى بلغ من أمرى أنهم طلبوه في قبلي، فبينما هم حولي وأنا في كربي إذ أقبلت الحديد حتى وازت رءوسنا ثم ألقتة فأخذوه، فقلت لهم: هذا الذي اتهمتموني به وأنا منه بريئة.

انتهى ذكر المصطفيات من عالمات الصحابيات ومتعبداتهن

ذكر المصطفين من التابعين ومن بعدهم على طبقاتهم في بلدانهم

عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم تسبق شهادتهم إيمانهم، وإيمانهم شهادتهم أخرجاه في الصحيحين. عمران بن حصين، يقول رسول الله ﷺ: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم لا أدري مرتين أو ثلاثا. أخرجاه في الصحيحين.

ذكر المصطفين من طبقات أهل المدينة من التابعين ومن بعدهم

فمن الطبقة الأولى:

١٥٨- محمد بن علي بن أبي طالب

وهو ابن الحنفية، ويكنى أبا القاسم، أمه الحنفية خولة بنت جعفر بن قيس، ويقال: بل كانت أمة من سبي اليمامة فصارت إلى علي.

قالت أسماء بنت أبي بكر - رضى الله عنها -: رأيت أم محمد ابن الحنفية سندية سوداء وكانت أمة لبنى حنيفة.

عن ابن الحنفية قال: قال علي: يا رسول الله أرأيت إن ولد لى ولد بعدك أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك؟ قال: نعم، فكانت رخصة من رسول الله ﷺ لعلي (١).

وعن محمد ابن الحنفية قال: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بدأ حتى يجعل الله فرجاً، أو قال مخرجاً.

قال محمد ابن الحنفية: من كرمته عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر.

وعنه قال: إن الله عز وجل جعل الجنة ثمناً لأنفسكم فلا تبيعوها بغيرها.

قال أبو بكر بن عبيد، وثنا محمد بن عبد المجيد أنه سمع ابن عيينة يقول: قال محمد ابن الحنفية: يا منذر، قلت: لبيك، قال: كل ما لا يُبتَغى به وجهُ الله يضمحل.

(١) صحيح: أخرجه أبو داود في «الأدب» حديث (٤٩٦٧) والترمذى في «الأدب» حديث (٢٨٤٣) باب (٦٨) وقال: هذا حديث صحيح.

وعن على بن الحسين قال: كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتوعده ويحلف له ليحملن إليه مائة ألف في البر ومائة ألف في البحر، أو يؤدي إليه الجزية، فسقط في ذرعه فكتب إلى الحجاج أن اكتب إلى ابن الحنفية فتهدده وتوعده ثم أعلمني ما يرد وتواعده عليك منه.

فكتب الحجاج إلى ابن الحنفية بكتاب شديد يتهدده ويتوعده بالقتل، قال: فكتب إليه ابن الحنفية: إن لله عز وجل ثلثمائة وستين نظرة إلى خلقه وأنا أرجو أن ينظر الله عز وجل إلى نظرة يمنعي بها منك.

قال: فبعث الحجاج بكتابه إلى عبد الملك بن مروان، فكتب عبد الملك إلى ملك الروم نسخته، فقال ملك الروم: ما خرج هذا منك، ولا أنت كتبت به، ولا خرج إلا من بيت نبوة. أسند محمد ابن الحنفية الحديث عن جماعة من الصحابة، وعامة حديثه عن أبيه على بن أبي طالب عليهما السلام.

فمن حديثه عن أبيه على بن أبي طالب قال: كثر على مارية أم إبراهيم في قبطنى - ابن عم لها - كان يزورها ويختلف إليها، فقال لى رسول الله ﷺ: خذ هذا السيف فانطلق إليه فإن وجدته عندها فاقتله، فقلت: يا رسول الله أكون فى أمرك إذا أرسلتنى، كالسكة المحممة لا يثينى شىء، حتى أمضى لما أرسلتنى به، أو الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ قال: بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فأقبلت متوشحا السيف فوجدته عندها فاخترطت السيف، فلما أقبلت نحوه عرف أنى أريده فأثنى نخلة فرقى فيها ثم رمى بنفسه على قفاه وشعر برجليه فإذا هو أجب أمسح ما له ما للرجل، لا قليل ولا كثير، فأغمدت السيف، ثم أتيت النبى ﷺ فأخبرته فقال: الحمد لله الذى يصرف عنا أهل البيت^(١).

وعن محمد بن سعد قال: بعث ابن الزبير إلى محمد ابن الحنفية: بايع لى، وبعث إليه عبد الملك، فقال: أنا رجل من المسلمين فإذا اجتمعوا على أحدكما بايعت، فلما قتل ابن الزبير بايع لعبد الملك.

ومات فى سنة إحدى وثمانين وله خمس وستون سنة ودفن بالبقيع رحمه الله.

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» حديث (٣٧٢١) وصححه العلامة الألبانى فى «الصحيحة» حديث (١٩٠٤).

١٥٩- سعيد بن المسيب بن حزن

يكنى أبا محمد، ولد لستين خلثا من خلافة عمر رضي الله عنه.

عن سعيد بن إبراهيم عن سعيد بن المسيب قال: ما بقى أحد أعلم بقضاء قضاء رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر مني.

عن عبد الرحمن بن حرملة قال: ما كان إنسان يجترئ على سعيد بن المسيب يسأله عن شيء حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير.

وعن مالك أن رجلاً جاء إلى سعيد بن المسيب وهو مريض فسأله عن حديث وهو مضطجع، فجلس فحدثه، فقال له ذلك الرجل: وددت أنك لم تتعن، فقال: إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع.

وعن مالك قال: كان عمر بن عبد العزيز يقول: ما كان عالم بالمدينة إلا يأتيني بعلمه وأوتى بما عند سعيد بن المسيب.

وعن أبي عيسى الخراساني عن سعيد بن المسيب قال: لا تملثوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لكي لا تحبط أعمالكم الصالحة.

وعن يزيد بن حازم قال: كان سعد بن المسيب يسرد الصوم.

وعن برد مولى ابن المسيب قال: ما نودي بالصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد.

وعن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال: صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة.

وعن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال: ما يؤس الشيطان من شيء إلا أتاها من قبل النساء، وقال لنا سعيد وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى: ما من شيء أخوف عندي من النساء.

وعن عبد الله بن محمد، قال: قال سعيد بن المسيب: ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله عز وجل، ولا أهانت أنفسها بمثل معصية الله، وكفى بالمؤمن نصرة من الله عز وجل أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله.

وعن سعيد بن المسيب قال: من استغنى بالله افتقر إليه الناس.

(١٥٩) هو أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، اتفقوا أن مراسلاته من أصح المراسيل، قال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه.

وعن سفيان بن عيينة قال: قال سعيد بن المسيب: إن الدنيا نذالة هي إلى كل نذل أميل، وأنذل منها من أخذها بغير حقها، وطلبها بغير وجهها ووضعها في غير سبلها.
وعن مالك بن أنس قال: قال سعيد بن المسيب: إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه: من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله.

اقتصرننا على هذه النبذة اليسيرة من أخبار سعيد بن المسيب؛ لأننا قد أفردنا لجميع أخباره كتابا مبسوطا فمن أراد الزيادة في أخباره فلينظر في ذلك.

وقد أسند سعيد عن عمر بن الخطاب، وعثمان، وعلى، وسعد بن أبي وقاص، وأبي بن كعب، وعمار بن ياسر، ومعاذ بن جبل، وابن عمر، وأبي الدرداء، وعقبة بن عامر، وصهيب، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وسلمان، وأنس بن مالك، وأبي هريرة، وابن عباس، وعمر بن أبي سلمة، وعائشة، وأم سلمة في آخرين.
ومات - رحمته الله - بالمدينة وهو ابن أربع وثمانين سنة على خلاف بينهم في ذلك رحمه الله.

١٦٠- سليمان بن يسار

مولى ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ ويقال: كان مكاتبا لها، يكنى أبا أيوب.
عن مصعب بن عثمان قال: كان سليمان بن يسار من أحسن الناس وجها، فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها، فقالت له: ادن، فخرج هاربا عن منزله وتركها فيه، قال سليمان: فرأيت بعد ذلك يوسف عليه السلام فيما يرى النائم، وكأني أقول له: أنت يوسف؟ قال: نعم أنا يوسف الذي هممت وأنت سليمان الذي لم تهمل.
وقد رويت لنا هذه القصة عن عطاء بن يسار أخى سليمان، والله أعلم.

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: خرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حاجين من المدينة، ومعهما أصحاب لهما، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلا، فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم وبقي عطاء بن يسار قائما في المنزل يصلى.
قال: فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة فلما رآها عطاء ظن أن لها حاجة فأوجز في صلاته، ثم قال: ألك حاجة؟ قالت: نعم، قال: ما هي؟ قالت: قم فأصب مني فإني قد ودقت ولا بعل لى، فقال: إليك عنى لا تحرقينى ونفسك بالنار.

(١٦٠) هو سليمان بن يسار الهلالي، المدني، مولى ميمونة، وقيل أم سلمة، ثقة فاضل أحد الفقهاء السبعة، من كبار الثالثة، مات بعد المائة وقيل قبلها.

ونظر إلى امرأة جميلة، فجعلت تراوده عن نفسه ويأبى إلا ما يريد، قال: فجعل عطاء يبكى ويقول: ويحك إليك عنى، قال: اشتد بكاؤه فلما نظرت المرأة إليه وما داخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه، قال: فجعل يبكى والمرأة بين يديه تبكى، فبينما هو كذلك إذ جاء سليمان من حاجته فلما نظر إلى عطاء يبكى والمرأة بين يديه تبكى فى ناحية البيت بكى لبكائهما لا يدرى ما أبكاهما، وجعل أصحابهما يأتون رجلا رجلا كلما أتى رجل فرأهم سيكون جلس يبكى لبكائهم لا يسألهم عن أمرهم حتى كثر البكاء وعلا الصوت، فلما رأت الأعرابية ذلك قامت فخرجت.

قال: فقام القوم فدخلوا، فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالا له وهيبة، قال: وكان أسن منه.

قال: ثم إنهما قدما مصر لبعض حاجتهما فلبثا بها ما شاء الله، فبينما عطاء ذات ليلة نائم إذ استيقظ وهو يبكى، فقال سليمان: ما يبكيك يا أخى؟ قال: فاشتد بكاؤه، قال: ما يبكيك يا أخى؟ قال: رؤيا رأيته الليلة، قال، وما هى؟ قال: لا تخبر بها أحدا ما دمت حيا، رأيت يوسف النبی - عليه السلام - فى النوم فجئت أنظر إليه فيمن ينظر إليه فلما رأيت حسنه بكيت فنظر إلى فى الناس فقال: ما يبكيك أيها الرجل؟ فقلت: بأبى أنت وأمى يا نبي الله ذكرك وامرأة العزيز وما ابتليت به من أمرها وما لقيت من السجن وفرقة يعقوب، فبكيت من ذلك وجعلت أتعجب منه، قال: فهلا تعجبت من صاحب المرأة البدوية بالأبواء؟ فعرفت الذى أراد فبكيت واستيقظت باكيا.

قال سليمان: أى أخى وما كان من حال تلك المرأة؟ فقص عليه عطاء القصة فما أخبر بها سليمان أحدا حتى مات عطاء فحدث بها بعده امرأة من أهله قال: وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلا بعد موت سليمان بن يسار رضي الله عنه.

وعن ابن أبى الزناد عن أبيه قال: كان سليمان بن يسار يصوم الدهر وكان عطاء بن يسار يصوم يوما ويفطر يوما.

أسند سليمان عن أبى هريرة وابن عمرو، وابن عباس فى خلق كثير من الصحابة.

وتوفى سنة سبع ومائة، وقيل سنة ثلاث ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

وأسند عطاء عن أبى بن كعب، وابن مسعود، وأبى أيوب الأنصارى فى خلق كثير من الصحابة، توفى سنة ثلاث ومائة وقيل سنة أربع وتسعين وكان يكنى أبا محمد وهو مولى ميمونة أيضا - رضي الله عنه.

ومن الطبقة الثانية من أهل المدينة

١٦١- عروة بن الزبير بن العوام

أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - .

عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: يا بني سلوني فلقد تركت حتى كدت أنسى وإنى لأسأل عن الحديث فيفتح لى حديث يومى .
وعن أبي الزناد، قال: اجتمع فى الحجر قوم فقالوا: تمنوا، فقال عروة: أنا أتمنى أن يؤخذ عنى العلم .

وعن الزهرى قال: كان عروة يتألف الناس على حديثه .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال عروة بن الزبير: رب كلمة ذل احتملتها أورثتني عزا طويلا .

وعنه عن أبيه قال: إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخوات، وإذا رأيتك يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده أخوات، فإن الحسنة تدل على أختها، وإن السيئة تدل على أختها .

وعنه قال: قال عروة لبنيه: يا بني تعلموا فإنكم إن تكونوا صغار قوم عسى أن تكونوا كبارهم، واسوأته ماذا أقبح من شيخ جاهل .

وعن ابن شوذب قال: كان عروة بن الزبير إذا كان أيام الرطب ثلم حائطه فيدخل الناس فيأكلون ويحملون، وكان إذا دخله ردّد هذه الآية فيه حتى يخرج منه ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (الكهف: ٣٩) حتى يخرج .

وكان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم نظراً فى المصحف، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله ثم عاود من الليلة المقبلة .

وعن هشام بن عروة قال: خرج أبى إلى الوليد بن عبد الملك، ف وقعت فى رجله الأكلة

(١٦١) هو: عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى أبو عبد الله المدنى ثقة فقيه مشهور، من الثالثة، مات سنة أربع وتسعين على الصحيح، ومولده فى خلافة عثمان .

فقال له الوليد: يا أبا عبد الله أرى لك قطعها، قال: فقطعت وإنه لصائم فما تضور وجهه، قال: ودخل ابن له أكبر ولده اصطبله فرفسته دابة فقتلته فما سمع من أبي في ذلك شيء، حتى قدم المدينة فقال: اللهم إنه كان لى بنون أربعة فأخذت واحدا وأبقيت لى ثلاثة فلك الحمد، وإيم الله لئن أخذت فلقد أبقيت، ولئن ابتليت طالما عافيت.

وعن مسلمة بن محارب، قال: وقعت فى رجل عروة الأكلة، وقطعت ولم يدع تلك الليلة ورده، وقطعت ولم يمسه أحد.

العباس بن مزيد قال: أخبرنى أبى قال: قال أبو عمرو الأوزاعى، خرجت فى بطن قدمه - يعنى عروة - بثرة فترامى به ذلك إلى أن نُشرت ساقه، فقال لما نشرت: اللهم إنك تعلم أنى لم أمش بها إلى حرام قط أو إلى سوء قط.

وعن نافع بن ذؤيب قال لما قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك فخرج برجله الأكلة فبعث إليه - يعنى الوليد - بالأطباء فأجمع رأيهم على إن لم ينشروها قتلته، فقال: شأنكم بها، قالوا: نسقيك شيئا لئلا تحس بما نضع بك، قال: لا، شأنكم بها، قال فنشروها بالمشار فما حرك عضوا عن عضو وصبر فلما رأى القدم بأيديهم دعا بها فقبلها فى يده ثم قال: أما الذى حملنى عليك إنه ليعلم أنى ما مشيت بك إلى حرام قط أو قال معصية.

وعن هشام بن عروة أن أباه كان يسرد الصوم.

وعن مالك بن أنس قال: رأى عروة رجلا يصلى، فخفف، فدعاه وقال: أما كانت لك إلى ربك سبحانه وتعالى حاجة إنى لأسأل الله تبارك وتعالى فى صلاتى حتى أسأله الملح.

وعن هشام عن أبيه قال: إذا جعل أحدكم لله عز وجل شيئا فلا يجعل له ما يستحى أن يجعله لكريمه فإن الله تبارك وتعالى أكرم الكرماء وأحق من اختيار له.

هشام قال: كان أبى لا يفطر ولقد مات يوم مات وهو صائم.

أسند عروة عن على بن أبى طالب عليه السلام والزبير، وعبد الرحمن بن عوف وسعيد ابن زيد وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو وأبى أيوب الأنصارى وأسامة وأبى هريرة وابن عباس، ومعاوية والمسور بن مخزومة والنعمان بن بشير وعبد الله بن الأرقم وعائشة فى خلق يطول إحصاؤهم، توفى سنة أربع وتسعين فى ناحية الفرع ودفن هنالك، رحمه الله.

١٦٢- القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق

رحمهم الله تعالى

وأمه أم ولد، يكنى أبا محمد.

عن يحيى بن سعيد قال: ما أدركنا أحداً بالمدينة نفضله على القاسم بن محمد.

وعن أيوب قال: رأيت على القاسم رداء قد صبغ بشيء من زعفران ويدع مائة ألف لم يتلجلج في نفسه شيء منها.

وعنه قال: ما رأيت رجلاً أفضل من القاسم ولقد ترك مائة ألف وهى له حلال.

وعن مالك أن عمر بن عبد العزيز قال: لو كان لى من الأمر شيء لوليت القاسم بن محمد الخلافة.

وعن أبي الزناد قال: ما رأيت أحداً أعلم بالسنة من القاسم بن محمد، وكان الرجل لا يعد رجلاً حتى يعرف السنة.

وعن أيوب قال: سمعت القاسم يسأل بمنى فيقول لا أدري، لا أعلم، فلما أكثروا عليه قال: والله لا نعلم كل ما تسألونا عنه، ولو علمنا ما كتمناكم ولا حل لنا أن نكتمكم.

وعن يحيى بن سعيد قال: سمعت القاسم يقول: ما نعلم كل ما نسأل عنه ولأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله تعالى عليه خير له من أن يقول ما لا يعلم.

وعن محمد بن إسحاق قال: جاء أعرابي إلى القاسم بن محمد فقال: أنت أعلم أم سالم؟ قال: ذاك منزل سالم: يزده عليها، حتى قام الأعرابي.

قال محمد بن إسحاق: كره أن يقول هو أعلم منى فيكذب، أو يقول أنا أعلم منه فيزكى نفسه.

وعن أبي الزناد عن أبيه قال: ما كان القاسم يجب إلا فى الشيء الظاهر.

وعن سفيان قال: اجتمعوا إلى القاسم بن محمد فى صدقة قسمها، قال وهو يصلى: فجعلوا يتكلمون فقال ابنه: إنكم اجتمعتم إلى رجل والله ما نال منها درهما ولا دانقاً، قال: فأوجز القاسم ثم قال: يا بنى قل فيما علمت، قال سفيان: صدق ابنه ولكنه أراد تأديبه فى النطق وحفظه.

(١٦٢) هو: القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، ثقة، أحد الفقهاء بالمدينة، قال أيوب: ما رأيت أفضل منه، من كبار الثالثة، مات سنة ست ومائة على الصحيح.

أسند القاسم عن أبي هريرة وابن عباس، وعائشة، وأسلم مولى عمر، وصالح بن خوات في آخرين، وتوفي سنة ثمان ومائة: وقيل: سنة تسع، وهو ابن سبعين أو اثنتين وسبعين سنة، وكان قد ذهب بصره.

عن رجاء بن أبي سلمة قال: مات القاسم بن محمد بين مكة والمدينة حاجا أو معتمرا فقال لابنه: سُنَّ عَلَى التراب سَنًا، وَسَوَّ عَلَى قَبْرِى والحق بأهلك وإياك أن تقول: كان وكان، رحمه الله.

١٦٣- سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب

رحمهم الله تعالى

أمه أم ولد، يكنى أبا عمر، وكان أشبه أولاد أبيه به، وكان أبوه يحبه حبا شديدا فإذا قيل له فى ذلك أنشد:

يلومونى فى سالم وألومهم وجلدة بين العين والأنف سالم

عن حنظلة قال: رأيت سالم بن عبد الله بن عمر يخرج إلى السوق فيشتري حوائج نفسه. وعن هوزة بن عبد العزيز قال: رحم سالم بن عبد الله بن عمرو رجل فقال سالم: بعض هذا رحمك الله، فقال له الرجل: ما أراك إلا رجلا سوء، فقال سالم: ما أحسبك أبعدت. عن مالك قال: لم يكن أحد فى زمن سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين فى الزهد والقصص والعيش منه: كان يلبس الثوب بدرهمين، قال له سليمان بن عبد الملك ورآه حسن السحنة: أى شىء تأكل؟ قال: الخبز والزيت، وإذا وجدت اللحم أكلته، فقال له أو تشتهي؟ قال: إذا لم أشته تركته حتى أشتهيه.

وعن محمد بن أبى سارة قال: رأيت سالم بن عبد الله قدم علينا حاجا فصلى العشاء ثم قام إلى ناحية مما يلى باب بنى سهم فى الصلاة، فلم يزل يميل يمينا وشمالا حتى طلع الفجر، ثم جلس فاحتبى بثوبه.

وعن سفيان بن عيينة قال: دخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبد الله فقال له: يا سالم سلنى حاجة، ال له: إني لأستحيى من الله أن أسأل فى بيت الله غير الله.

(١٦٣) هو: سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى، أبو عمر، أو أبو عبد الله المدني، أحد الفقهاء السبعة، وكان ثبًا عابدًا فاضلا، كان يُشَبَّه بأبيه فى الهدى والسمت، من كبار الثالثة.

فلما خرج خرج فى أثره فقال له: الآن قد خرجت فسلنى حاجة، فقال له سالم: حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: بل من حوائج الدنيا، فقال له سالم: ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها.

أسند سالم عن أبيه وأبى أيوب وأبى هريرة وغيرهم من الصحابة، وتوفى فى آخر ذى الحجة سنة ست ومائة، وقيل سنة ثمان، رحمه الله تعالى.

١٦٤- أبو بكر بن عبد الرحمن بن

الحارث بن هشام بن المغيرة

ليس له اسم، كنيته اسمه، ولد فى خلافة عمر رضي الله عنه.

محمد بن إسحاق الثقفى قال: رأيت فى كتاب أبى بكر بن حسان أن أبا بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث وكان يقال له راهب قريش لكثرة صلاته - وقال الزبير بن بكار: كان أبو بكر بن عبد الرحمن يقال له راهب المدينة.

أسند أبو بكر بن عبد الرحمن عن أبى مسعود الأنصارى، وأبى هريرة، وعائشة، وأم سلمة وغيرهم، وكان حارسا لعرضه حتى إنه أودع مالا فأصيب، فقال له عروة: لا ضمان عليك، قال: قد علمت، ولكن لا تتحدث قريش أن أمانتى خربت، فباع مالا له فقضاه، وقد كان قد ذهب بصره ودخل يوما إلى مغتسله فمات فيه فجاءه، وذلك فى سنة أربع وتسعين، وهى سنة الفقهاء.

١٦٥- على بن الحسين بن على بن

أبى طالب عليهم السلام

أمه أم ولد اسمها غزالة، هو على الأصغر، وأما الأكبر فإنه قتل مع الحسين عليهما السلام، وكان على هذا مع أبيه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة إلا أنه كان مريضا نائما على فراش فلم يقتل: وكان يكنى أبا الحسين، وقيل: أبا محمد.

(١٦٤) هو: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى، قيل اسمه محمد، وقيل: المغيرة، وقيل: أبو بكر اسمه، وكنيته أبو عبد الرحمن، وقيل: اسمه كنيته، ثقة فقيه عابد، من الثالثة.

(١٦٥) هو: على بن الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى، زين العابدين، ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور، قال ابن عيينة عن الزهرى: ما رأيت قرشياً أفضل منه، من الثالثة، مات سنة ثلاث وتسعين.

عن عبد الرحمن بن حفص القرشي قال: كان على بن الحسين إذا توضأ يصفرُ فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: تدرّون بين يدي من أريد أن أقوم.

وعن عبد الله بن أبي سليم قال: كان على بن الحسين إذا مشى لا تجاوز يده فخذه ولا يخطر بيده، وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، فقيل له: ما لك؟ فقال: ما تدرّون بين يدي من أقوم؟ ومن أناجى؟

وعن أبي نوح الأنصاري قال: وقع حريق في بيت فيه على بن الحسين، وهو ساجد، فجعلوا يقولون له: يا بن رسول الله النار، يا بن رسول الله النار، فما رفع رأسه حتى أطفئت، فقيل له: ما الذي أهلك عنها؟ قال: ألهمتني عنها النار الأخرى.

وعن سفيان قال: جاء رجل إلى على بن الحسين رضي الله عنه فقال له: إن فلانا قد آذاك ووقع فيك، قال: فانطلق بنا إليه، فانطلق معه وهو يرى أنه سيتنصر لنفسه فلما أتاه قال: يا هذا إن كان ما قلت في حقّ فغفر الله لي، وإن كان ما قلت في باطلا فغفر الله لك.

وعن أبي يعقوب المدني قال: كان بين حسن بن حسن وبين على بن الحسين بعض الأمر، فجاء حسن بن حسن إلى على بن الحسين وهو مع أصحابه في المسجد، فما ترك شيئا إلا قاله له، قال: وعلى ساكت، فانصرف حسن فلما كان في الليل أتاه في منزله فقرع عليه بابه فخرج إليه فقال له على: يا أخى إن كنت صادقا فيما قلت لي فغفر الله لي، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك، السلام عليكم، وولى، قال: فاتبعه حسن فالتزمه من خلفه وبكى حتى رثى له ثم قال: لا جرم لا عدت في أمر تكرهه، فقال على: وأنت في حل مما قلت لي.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال على بن الحسين: فقد الأحبة غربة، وكان يقول: اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوامع العيون علانيتي وتقبح سريرتي، الله كما أسأت وأحسنّت إليّ فإذا عدتُ فعُدْ عليّ.

وكان يقول: إن قوما عبدوا الله عز وجل رهبة فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وقوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار.

وعنه، عن أبيه أن على بن الحسين كان لا يحب أن يعينه أحد على طهوره وكان يستقي الماء لطهوره ويخمره قبل أن ينام، فإذا قام من الليل بدأ بالسواك ثم يتوضأ ثم يأخذ في صلاته

وكان يقضى ما فاته من صلاة النهار بالليل ثم يقول: يا بني ليس هذا عليكم بواجب ولكن أحب لمن عود نفسه منكم عادة من الخير أن يدوم عليها.

وكان لا يدع صلاة الليل في الحضر والسفر، وكان يقول: عجبت للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة ثم هو غدا جيفة، وعجبت كل العجب لمن شك في الله وهو يرى خلقه، وعجبت كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء.

وكان إذا أتاه السائل رَحَّبَ به وقال مرحبا بمن يحمل زادي إلى الآخرة، وكلمه رجل فافترى عليه فقال: إن كنا كما قلت فنستغفر الله، وإن لم تكن كما قلت فغفر الله لك، فقام إليه الرجل فقبل رأسه وقال: جعلتُ فداك، ليس كما قلتُ أنا فأغفر لي، قال: غفر الله لك، فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وعن شيبه بن نعامه قال: كان على بن الحسين يخل فلما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة.

وعن محمد بن إسحاق قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات على بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به بالليل.

وعن أبي حمزة الثمالي قال: كان على بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول: إن صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل.

وعن عمرو بن ثابت قال: لما مات على بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سواد في ظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقالوا: كان يحمل جُرْبَ الدقيق ليلا على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة.

وعن ابن عائشة قال: قال أبي: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات على بن الحسين.

وعن سفيان قال: أراد على بن الحسين الخروج في حج أو عمرة فاتخذت له سكينه بنت الحسين سفرة أنفقت عليها ألف درهم أو نحو ذلك، وأرسلت بها إليه فلما كان بظهر الحرة أمر بها فقسمت على المساكين.

وعن سعيد بن مرجانة أنه قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب منها إربا منه من النار، حتى إنه يعتق باليد اليد وبالرجل

الرجل، وبالفرج الفرج» فقال على بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟ قال سعيد: نعم، فقال لغلام له أفره غلماناه: ادع مطرفا، فلما قام بين يديه قال: اذهب فأنت حر لوجه الله عز وجل. أخرجاه في الصحيحين^(١).

وكان عبد الله بن جعفر قد أعطى على بن الحسين بهذا الغلام الذي أعتقه ألف دينار.

وعن محمد بن حاطب، عن على بن الحسين أنه أتاه نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا فقال: ألا تخبروني: أنتم المهاجرون الأولون ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨) ﴿(الحشر)﴾ قالوا: لا، قال: فأنتم ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩)؟ قالوا: لا، قال: أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، ثم قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحشر: ١٠) أخرجوا فعل الله بكم.

وقال نافع بن جبير لعلى بن الحسين: أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه؟ يعني زيد بن أسلم، فقال: إنه ينبغي للعلم أن يتبع حيثما كان. وعن ابن عائشة، عن أبيه قال: حج هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافة فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه، قال: وجاء على بن الحسين فوقف له الناس وتنحوا حتى استلم، فقال الناس لهشام: من هذا؟ قال: لا أعرفه.

فقال الفرزدق: لكنى أعرفه، هذا على بن الحسين.

| | |
|------------------------------|-----------------------------------|
| هذا ابن خير عباد الله كلهم | هذا التقى النقى الطاهر العلم |
| هذا الذى تعرف البطحاء وطأته | والبيت يعرفه والحل والحرم |
| يكاد يمسكه عرفان راحته | ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم |
| إذا رآته قریش قال قائلها | إلى مكارم هذا ينتهى الكرم |
| إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم | أو قيل: من خير أهل الأرض؟ قيل: هم |

(١) صحيح: أخرجه البخارى في «الكفارات» حديث (٦٧١٥) ومسلم في «العتق» حديث (٢٢، ٢٣).

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا

وليس قولك: من هذا؟ بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم

يُغضى حياء ويغضى من مهابته ولا يكلم إلا حين يبتسم

وعن صالح بن حسان قال: قال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيت أحدا أروع من فلان، قال: هل رأيت على بن الحسين؟ قال: لا، قال: ما رأيت أحدا أروع منه.

وقال الزهري: لم أر هاشيما أفضل من على بن الحسين، وما رأيت أحدا كان أفقه منه.

وعن طاوس قال: رأيت على بن الحسين ساجدا في الحجر فقلت: رجل صالح من أهل بيت طيب، لأسمعن ما يقول، فأصغيت إليه فسمعتة يقول: عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك، فوالله ما دعوت الله بها في كرب إلا كشف الله عني.

وعن أبي جعفر قال: كان على بن الحسين رحمه الله يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة وتهيج الريح فيسقط مغشيا عليه.

وعن عبد الغفار بن القاسم قال: كان على بن الحسين خارجا من المسجد فلقيه رجل فسبه، فثارت إليه العبيد والموالي فقال على بن الحسين: مهلا عن الرجل، ثم أقبل على الرجل فقال: ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل فألقى عليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول.

وعن رجل من ولد عمار بن ياسر قال: كان عند على بن الحسين قوم فاستعجل خادما له بشواء كان له في التنور، فأقبل به الخادم مسرعا وسقط السفود من يده على بنى لعلى أسفل الدرجة فأصاب رأسه فقتله، فقال على للغلام: أنت حر، لم تعمده، وأخذ في جهاز ابنه.

وعن عمرو بن دينار قال: دخل على بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد في مرضه فجعل محمد يكي فقال على: ما شأنك؟ قال: على دين، قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار، قال: فهو على.

وعن أبي جعفر محمد بن على قال: أوصاني أبي قال: لا تصحب خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق، قال: قلت: جعلت فداك يا أبت من هؤلاء الخمسة؟ قال: لا تصحب فاسقا فإنه يبيعك بأكلة فما دونها، قال: قلت: يا أبة وما دونها؟ قال: يطمع فيها ثم لا ينالها.

قال قلت: يا أبة ومن الثاني؟ قال: قال: لا تصحبن البخيل فإنه يقطع بك فى ماله أحوج ما كنت إليه،

قال قلت: يا أبة، ومن الثالث؟ قال: لا تصحبن كذابا فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد.

قال قلت: يا أبة، ومن الرابع؟ قال: لا تصحبن أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

قال قلت: يا أبة ومن الخامس؟ قال: لا تصحبن قاطع رحم؛ فلانى وجدته ملعونا فى كتاب الله فى ثلاثة مواضع.

أسند على بن الحسين عن أبيه وابن عباس وجابر بن عبد الله وصفية وأم سلمة وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ، وعن خلق كثير من التابعين.

وتوفى بالمدينة سنة أربع وتسعين وقيل: اثنتين وتسعين، ودفن بالبقيع وهو ابن ثمان وخمسين سنة، رحمه الله.

١٦٦- عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

يكنى أبا عبد الله وكان بعرا من البحور فى العلم.

عن الزهرى قال: أدركت أربعة بحور من قريش: سعيد بن المسيب، وأبا سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله، وعروة بن الزبير.

وعن المغيرة، قال عمر بن عبد العزيز: لو أدركنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة إذ وقعت فيما وقعت فيه لهان على ما أنا فيه.

وعن ابن أبى الزناد، عن أبيه قال، ربما كنت أرى عمر بن عبد العزيز فى إمارته يأتى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، فرىما حجبه وربما أذن له.

أسند عبيد الله عن أبى طلحة وأبى سعيد الخدرى، وأبى هريرة وابن عباس، وسهل بن حنيف، وزيد بن خالد الجهنى وعائشة فى آخرين وذهب بصره.

وتوفى بالمدينة فى سنة ثمان وتسعين، ويقال: سبع وتسعين، رحمه الله تعالى.

(١٦٦) هو: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى، أبو عبد الله المدنى، ثقة فقيه ثبت، من الثالثة.

١٦٧- بسر بن سعيد مولى الحضرميين

روى عن سعد بن أبي وقاص وزيد بن ثابت وأبى هريرة وأبى سعيد، وكان من العباد المنقطعين وأهل الزهد فى الدنيا.

عن مالك قال: مات بسر ولم يدع كفنًا.

وعن مالك بن أنس قال: مات رجل من بنى أمية من مترفيهم ومات يومئذ بسر بن سعيد، فقال عمر بن عبد العزيز: إن كان المدخلان واحدًا فعيش فلان أحب إلينا، فقال مزاحم: إنك لا تزال توغر من أخيك عليك، فقال: إذا رأيت الحق قلته.

١٦٨- عكرمة مولى عبد الله بن عباس

يكنى أبا عبد الله، مات ابن عباس وهو عبد فاشتره خالد بن زيد بن معاوية من على بن عبد الله بن عباس بأربعة آلاف دينار، فبلغ ذلك عكرمة فأتى عليا فقال بعث علم أيبك بأربعة آلاف دينار؟ فراح على إلى خالد فاستقاله فأقاله فأعتقه.

وعن الزبير بن الخريت عن عكرمة قال: كان ابن عباس يجعل فى رجلى الكبل، ويعلمنى القرآن والسنن.

وعن جابر بن زيد قال: هذا عكرمة مولى ابن عباس، هذا أعلم الناس.

وقال الشعبي: ما بقى أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة.

وقال قتادة: أعلمهم بالتفسير عكرمة.

وعن إبراهيم بن الحكم بن أبان قال: ثنا أبى قال: كنت جالسا مع عكرمة بالساحل فذكروا الذين يغرقون فى البحار، فقال عكرمة: إن الذين يغرقون فى البحار تنقسم لحومهم الحيتان فلا يبقى منهم شئ إلا العظام تلوح فتلقىها الأمواج إلى البر فتمكث العظام حينًا حتى تصير نخرة فتمر بها الإبل فتأكلها ثم تسير الإبل فتبعر ثم يجىء قوم فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه ثم تخدم تلك النار فتجىء ريح فتلقى ذلك الرماد على الأرض فإذا جاءت النفخة خرج أولئك وأهل القبور سواء.

(١٦٧) هو: بسر بن سعيد المدني العابد، مولى ابن الحضرمي، ثقة جليل من الثانية، مات سنة مائة.

(١٦٨) هو: عكرمة أبو عبد الله، مولى ابن عباس، أصله بربري، ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا ثبت عنه بدعة، من الثالثة.

قال إبراهيم: وحدثني أبي عن عكرمة قال: لكل شيء أساس، وأساس الإسلام الخلق الحسن.

أسند عكرمة عن ابن عمرو، وابن عباس، وأبي سعيد، وأبي هريرة والحسين بن علي وعائشة في آخرين.

وعن خالد السخيتاني، عن عكرمة قال: أدركت مئين من أصحاب رسول الله ﷺ في هذا المسجد.

ومات عكرمة في سنة أربع ومائة، وقيل سنة خمس، وقيل: سنة ست، وقيل: سنة سبع وهو ابن ثمانين سنة.

ومات هو وكثير عزة في يوم واحد، فقال الناس: مات أفقه الناس وأشعر الناس.

١٦٩- زياد بن أبي زياد

مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة القرشي:

واسم أبي زياد: ميسرة، وكان زياد عبدا، وكان عمر بن عبد العزيز يستزيه ويكرمه، وبعث إلى مولاه ليبيعه إياه فأبى وأعتقه.

وقد روى زياد عن أنس بن مالك، وقال مالك بن أنس: كان زياد عبدا معتزلا لا يزال يذكر الله تعالى، ويلبس الصوف ولا يأكل اللحم.

وقال محمد بن المنكدر: إنني خلقت زياد بن أبي زياد وهو يخاطب نفسه في المسجد، يقول: اجلسي، أين تريد أن تذهبي؟ أخرجين إلى أحسن من هذا المسجد؟ انظري إلى ما فيه، تريد أن تبصري دار فلان، ودار فلان، ودار فلان؟ قال: وكان يقول لنفسه: ما لك من الطعام يا نفس إلا هذا الخبز والزيت، وما لك من الثياب إلا هذان الثوبان، وما لك من النساء إلا هذه العجوز، أفتحبين أن تموتي؟ فقالت: أنا أصبر على هذا العيش.

(١٦٩) هو: زياد بن أبي زياد الفقيه الرباني، من مشايخ وقته بدمشق، وله بها دار وذرية، قال فيه الفرزدق:

يا أيها الشيخ المرخى عمامته
هذا زمانك أنا قد مضى زمني

«ومن الطبقة الثالثة من أهل المدينة»

١٧٠- على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب

أمه: زُرعة بنت مشرح، ولد ليلة قتل على بن أبى طالب عليه السلام فى رمضان سنة أربعين فسمى باسمه وكنى بكنيته، فقال له عبد الملك بن مروان: لا أحتمل لك الاسم والكنية، فغير كنيته فصيرها أباً محمد، وكان أجمل قرشى على وجه الأرض وأكثر صلاة، وكان يقال له السجاد.

وعن على بن أبى جملة والأوزاعى قالا: كان على بن عبد الله بن عباس يسجد كل يوم ألف سجدة.

وعن هشام بن سليمان المخزومى أن على بن عبد الله بن عباس كان إذا قدم مكة حاجاً أو معتمراً عطلت قريش مجالسها فى المسجد الحرام وهجرت مواضع حلقتها ولزمت مجلس على ابن عبد الله إعظاماً وإجلالاً وتبجيلاً، فإن قعد قعدوا، وإن نهض نهضوا وإن مشى مشوا جميعاً حوله، وكان لا يرى لقرشى فى المسجد الحرام مجلس ذكر يجتمع إليه فيه حتى يخرج على بن عبد الله من الحرم.

عامة مسانيد على بن عبد الله عن أبيه، وتوفى بالشام سنة سبع عشرة ومائة، ويقال ثمان عشرة - وَلَمْ يَكُنْ - .

١٧١- أبو جعفر محمد بن على بن

الحسين بن على بن أبى طالب عليهما السلام

أمه: أم عبد الله بنت الحسن بن على بن أبى طالب، واسم ولده: جعفر وعبد الله وأمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق - وَلَمْ يَكُنْ - وإبراهيم وعلى، وزينب، وأم سلمة.

(١٧٠) هو: على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمى، أبو محمد، ثقة عابد، مات سنة ثمانى عشرة على الصحيح.

(١٧١) هو: محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، أبو جعفر الباقر، ثقة فاضل، من الرابعة، مات سنة بضع عشرة.

وعن زياد بن خيثمة عن أبي جعفر قال: الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن ولا تصيب الذاكِر.

وعن منصور قال: سمعت محمد بن علي يقول: الغنى والعز يجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان التوكل أوطناه.

وعن عمر مولى غفرة عن محمد بن علي أنه قال: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك، قل أو كثر.

وعن جابر، يعنى الجعفى، قال: قال لى محمد بن علي: يا جابر إني لمحزون وإني لمشتغل القلب، قلت: وما حزنك؟ وما شغل قلبك؟ قال: يا جابر، إنه من دخل قلبه صافى خالص دين الله شغله عما سواه، يا جابر ما الدنيا ما عسى أن تكون؟ هل هو إلا مركب ركبه أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها؟ يا جابر إن المؤمنين لم يطمئنا إلى الدنيا لبقاء فيها ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم ولم يصمهم عن ذكر الله ما سمعوا بأذانهم من الفتنة، ولم يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة ففازوا بثواب الأبرار، إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مثونة وأكثرهم لك معونة، إن نسيت ذكروك وإن ذكرت أعانوك، قوالين بحق الله قوامين بأمر الله فأنزل الدنيا كمترل نزلت به وارتحلت منه أو كمال أصبته فى منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء، واحفظ الله تعالى ما استرعاك من دينه وحكمته.

وعن حسين بن حسن قال: كان محمد بن علي يقول: سلاح اللئام قبيح الكلام.

وعنه قال: والله لموت عالم أحب إلى إبليس من موت سبعين عبدا.

وعن خالد بن أبى الهيثم، عن محمد بن علي بن الحسين قال: ما اغرورقت عين بمائها إلا حرم الله وجه صاحبها على النار فإن سألت على الخدين لم يرهق وجهه قطر ولا ذلة، وما من شيء إلا له جزاء، إلا الدمعة فإن الله يكفر بها بحور الخطايا ولو أن باكيا بكى فى أمة لحرم الله تلك الأمة على النار.

وعن الأصمعى قال: قال محمد بن علي لابنه: يا بنى إياك والكسل والضجر فإنهما مفتاح كل شر إنك إن كسلت لم تؤد حقا وإن ضجرت لم تصبر على حق.

عن عروة بن عبد الله قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف فقال: لا بأس به، قد حلى أبو بكر الصديق سيفه، قال: قلت: وتقول: الصديق؟ قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة ثم قال: نعم الصديق، نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً فى الدنيا ولا فى الآخرة.

وعن عمرو بن شمر عن جابر قال: قال لي محمد بن علي: يا جابر بلغني أن قوما بالعراق يزعمون أنهم يحبونا وينالون أبا بكر وعمر، ويزعمون أنني أمرتهم بذلك فأبلغهم أنني إلى الله منهم برىء، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله عز وجل بدمائهم، لا نالتي شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما إن أعداء الله لغافلون عنهما.

وعن أفلح، مولى محمد بن علي، قال: خرجت مع محمد بن علي حاجا فلما دخل المسجد نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته فقلت: بأبي أنت وأمي، إن الناس ينظرون إليك فلو رفقت بصوتك قليلا، قال: ويحك يا أفلح، ولم لا أبكي؟ لعل الله ينظر إليّ مئة برحمة فأفوز بها عنده غدا، قال: ثم طاف بالبيت ثم جاء حتى ركع عند المقام فرفع رأسه من سجوده فإذا موضع سجوده مبتل من دموع عينيه.

وعن خالد بن دينار عن أبي جعفر أنه كان إذا ضحك قال: اللهم لا تمقتني.

وعن عبد الله بن عطاء قال: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم علما عند أبي جعفر محمد بن علي لقد رأيت الحكم عنده كأنه متعلم.

وعن أحمد بن يحيى قال: قال محمد بن علي: كان لي أخ في عيني عظيم، وكان الذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه.

، وعن موسى بن عمير، عن جعفر بن محمد، عن أبيه أنه كان يقول في جوف الليل: أمرتني فلم أتمر، وزجرتني فلم أزدرج، هذا عبدك بين يديك، ولا أعتذر.

محمد بن مسعر قال: قال جعفر بن محمد: فقد أبي بغلة له فقال: لئن ردها الله عز وجل لأحمدنه محامدا يرضاهها، فما لبث أن أتى بها بسرجهما ولجامها، فركبها، فلما استوى عليها وضم عليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء وقال: الحمد لله، لم يزد عليها، فقليل له في ذلك، فقال: وهل تركت أو أبقيت شيئا؟ جعلت الحمد كله لله عز وجل.

وعن أبي حمزة عن أبي جعفر محمد بن علي قال: ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج، وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يسأل، وما يدفع القضاء إلا الدعاء، وإن أسرع الخير ثوابا البر وأسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه، وأن يؤذى جليسه بما لا يعنيه.

وعن عبد الله بن الوليد قال: قال لنا أبو جعفر محمد بن علي: يدخل أحدكم يده كيس صاحبه فيأخذ ما يريد؟ قال: قلنا: لا، قال: فلستم إخوانا كما تزعمون.

وعن سلمى مولاة أبي جعفر قالت: كان يدخل إليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ويكسوهم الثياب الحسنة ويهب لهم الدراهم، قالت: فأقول له: بعض ما تصنع، فيقول: يا سلمى ما يؤمل في الدنيا بعد المعارف والإخوان؟.

وعن سليمان بن قرم قال: كان محمد بن علي يجيز بالخمسمائة والستمائة إلى الألف، وكان لا يملّ من مجالسة إخوانه غنياً.

وعن الأسود بن كثير قال: شكوت إلى محمد بن علي الحاجة وجفاء الإخوان فقال: بش الأخ أخ يركاك غنياً ويقطعك فقيراً، ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم فقال: استنفق هذه فإذا نفدت فأعلمني.

وعن أبي جعفر قال: اعرف المودة لك في قلب أخيك بما له في قلبك.

أسند أبو جعفر عن جابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة وابن عباس وأنس والحسن والحسين، وروى عن سعيد بن المسيب وغيره من التابعين، ومات في سنة سبع عشرة ومائة، وقيل ثمان عشرة، وقيل أربع عشرة، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وقيل: ثمان وخمسين، وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه (فُرض) وأرضاه).

١٧٢- عمر بن عبد العزيز بن مروان

يكنى أبا حفص، أمه: أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

محمد بن سعد قال: قال ابن شاذب: لما أراد عبد العزيز بن مروان أن يتزوج أم عمر بن عبد العزيز قال لقيمه: اجمع لي أربع مائة دينار من طيب مالي فإنني أريد أن أتزوج إلى أهل بيت لهم صلاح، فتزوج أم عمر بن عبد العزيز.

قال سفيان الثوري: الخلفاء خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان علي وعمر بن عبد العزيز (عليه السلام). حميد بن زنجويه قال: قال أحمد بن حنبل: يروى في الحديث أن الله تبارك وتعالى يعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الأمة دينها، فنظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز، ونظرنا في المائة الثانية فإذا هو الشافعي.

(١٧٢) هو: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، أمير المؤمنين، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولي إمرة المدينة للوليد، وكان مع سليمان كالوزير، وولي الخلافة بعده، فعُدَّ مع الخلفاء الراشدين، من الرابعة، مات في رجب سنة إحدى ومائة، وله أربعون سنة، ومدة خلافته ستان ونصف.

وعن الضحاك بن عثمان قال: لما انصرف عمر بن عبد العزيز عن قبر سليمان بن عبد الملك صفت له مراكب سليمان فقال:

ولولا التقى ثم النهى خشية الردى لعاصيت فى حب الصبا كل زاجر
قضى ما قضى فيما مضى ثم لا يرى له صبوة أخرى الليالى الغواير

ثم قال: إن شاء الله لا قوة إلا بالله، قدموا إلى بغلتي.

وعن سهل بن يحيى محمد المروزي قال: أخبرني أبي عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: لما دفن عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك وخرج من قبره سمع للأرض هدة أو رجة فقال: ما هذه؟ فقيل: هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين قربت إليك لتركبها، فقال: ما لي ولها؟ نحوها عني، قربوا إلى بغلتي، ففقت إليه بغلته فركبها، فجاءه صاحب الشرط يسير بين يديه بالحربة فقال: تنح عني ما لي ولك؟ إنما أنا رجل من المسلمين.

فسار وسار معه الناس حتى دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع الناس إليه فقال: يا أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه ولا طلبه له ولا مشورة من المسلمين، وإنني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختراروا لأنفسكم.

فصاح المسلمون صيحة واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك، فل أمرنا باليمن والبركة، فلما رأى الأصوات قد هدأت ورضى به الناس جميعا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقال:

أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله خلف من كل شيء، ليس من تهوى الله عز وجل خلف، فاعملوا لآخرتكم، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه، وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم وأكثروا ذكر الموت وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم فإنه هادم اللذات، وإن من لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم عليه السلام إيا حيا لمعرق في الموت، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل ولا في نبيها ولا في كتابها، إنما اختلفوا في الدينار والدرهم، وإنني والله لا أعطى أحداً باطلاً ولا أمنع أحداً حقاً.

ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال:

يا أيها الناس، من أطاع الله فقد وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم.

ثم نزل، فدخل، فأمر بالسستور فهتكت، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت وأمر

بيعها وإدخال أثمانها في بيت مال المسلمين، ثم ذهب يتبوأ مقبلاً فأثاه ابنه عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، ماذا تريد أن تصنع؟ قال: أي بني أقيـل، قال: تقيل ولا ترد المظالم؟ قال: أي بني قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان فإذا صليت الظهر رددت المظالم، قال: يا أمير المؤمنين من لك أن تعيش إلى الظهر؟ قال: ادن مني أي بني، فدنا منه فالتزمه وقبل بين عينيه وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبى من يعيننى على دينى، فخرج ولم يقل وأمر مناديه أن ينادى: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، فقام إليه رجل ذمى من أهل حمص أبيض الرأس واللحية فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله، قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضى، والعباس جالس، فقال له: يا عباس ما تقول؟ قال: أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لى بها سجلاً، فقال عمر: ما تقول يا ذمى؟ قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل، فقال عمر: كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك، قم فاردد عليه يا عباس ضيعته، فرد عليه، فجعل لا يدع شيئاً مما كان فى يده وفى يد أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمة مظلمة، فلما بلغت الخوارج سيرة عمر وما رد من المظالم اجتمعوا فقالوا: ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل، فبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك فكتب إليه: إنك قد أزريت على من كان قبلك من الخلفاء وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضا لهم وشئتاً لمن بعدهم من أولادهم، قطعت ما أمر الله به أن يوصل إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها في بيت المال جوراً وعدواناً، ولن تترك على هذا.

فلما قرأ كتابه كتب إليه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد، السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، أما بعد فإنه بلغنى كتابك وسأجيبك بنحو منه: أما أول شأنك ابن الوليد كما زعم فأملك «بنانة» أمة السكون كانت تطوف فى سوق حمص، وتدخل وتودور فى حوانيتها ثم الله أعلم بها اشتراها ذبيان من فـيء المسلمين فأهداها لأبيك فحملت بك فبئس المحمول وبئس المولود، ثم نشأت فكنت جباراً عنيدا تزعم أنى من الظالمين، لم حرمتك وأهل بيتك فىء الله عز وجل الذى فيه حق القرابة والمساكين والأرامل، وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعملك صيباً سفياً على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك ولم تكن له فى ذلك نية ولا حب الوالد لولده، فويل لك وويل لأبيك ما أكثر خصماء كما يوم القيامة،

وكيف ينجو أبوك من خصمائه؟ وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف يسفك الدم الحرام ويأخذ مال الحرام، وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل قرة ابن شريك أعرابيا جافيا على مصر أذن له فى المعازف واللهو والشرب، وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من جعل لعالية البربرية سهما فى خمس العرب، فزويدا يا بن بنانة فلو التقى حلقتا البطان وردّ الفئ إلى أهله لتفرغت لك ولأهل بيتك فوضعتهم على المحجة البيضاء، فطالما تركتم الحق وأخذتم فى بنيات الطريق، ومن وراء هذا ما أرجو أن أكون رأيته بيع رقتك وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل، فإن لكل فيك حقا، والسلام علينا ولا ينال سلام الله الظالمين.

عن عمر بن ذر قال: قال مولى لعمر بن عبد العزيز حين رجع من جنازة سليمان: ما لى أراك مغتما؟ قال: لمثل ما أنا فيه يغتم إنه ليس من أمة محمد ﷺ أحد فى شرق الأرض وغربها إلا وأنا أريد أن أودى إليه حقه غير كاتب إلى فيه ولا طالبه منى.

وعن بعض خاصة عمر بن عبد العزيز أنه حين أفضت إليه الخلافة سمعوا فى منزله بكاء عاليا فسئل عن البكاء فقليل: إن عمر بن عبد العزيز خير جواريه فقال: إنه قد نزل لى أمر قد شغلنى عنكن فمن أحب أن أعتقه أعتقته ومن أراد أن أمسكه أمسكته ولم يكن منى إليها شىء فبكين يأسا منه.

وعن مالك بن دينار قال: لما ولى عمر بن عبد العزيز قالت رعاء الشاء فى رءوس الجبال: من هذا الخليفة الصالح الذى قد قام على الناس؟ قال: قليل لهم: وما علمكم بذلك؟ قالوا: إنه إذا قام خليفة صالح كفت الذئاب والأسد عن شائنا.

وعن مسلم قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده كاتب يكتب وشمعة تزهو وهو ينظر فى أمور المسلمين قال: فخرج الرجل فأطفئت الشمعة، وجرىء بسراج إلى عمر فدنوت منه فرأيت عليه قميصا فيه رقعة قد طبق ما بين كفيه، قال: فنظر فى أمرى.

وعن الثقة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أما بعد فإنك كتبت إلى سليمان كتبا لم ينظر فيها حتى قبض رحمه الله، وقد بليت بجوابك، كتبت إلى سليمان تذكر أنه يقطع لعمال المدينة من بيت مال المسلمين ثمن شمع كانوا يستضيئون به حين يخرجون إلى صلاة العشاء وصلاة الفجر، وتذكر أنه قد نفذ الذى كان يستضاء به وتسال

أن يقطع لك من ثمنه بمثل ما كان للعمال، وقد عهدتك وأنت تخرج من بيتك في الليلة المظلمة الماطرة الوحلة بغير سراج، ولعمري لأنت يومئذ خير منك اليوم والسلام.

وعن رجاء بن حيوة قال: كان عمر بن عبد العزيز من أعطر الناس وأخيلهم في مشيته، فلما استخلف قوموا ثيابه اثني عشر درهما: كتمته، وعمامته، وقميصه، وقبائه وقرطقه، ورداءه وخفيه.

وعن يونس بن أبي شبيب قال: شهدت عمر بن عبد العزيز وهو يطوف بالبيت وإن حجرة إزاره لغائبة في عكته، ثم رأيته بعدما استخلف ولو شئت أعد أضلاعه من غير أن أمسها لفعلت.

وعن مسلمة بن عبد الملك قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه فإذا عليه قميص وسخ فقلت لفاطمة بنت عبد الملك: يا فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين، قالت: نفعل إن شاء الله، ثم عدت فإذا القميص على حاله فقلت: يا فاطمة ألم أمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين، فإن الناس يعودونه؟ قالت: والله ما له قميص غيره.

وعن الفهرى عن أبيه قال: كان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاح الفيء فتناول ابن له صغير تفاحة فانتزعها من فيه فأوجعه فسعى إلى أمه مستعبراً فأرسلت إلى السوق فاشتريت له تفاحاً فلما رجع عمر وجد ريح التفاح فقال: يا فاطمة هل أتيت شيئاً من هذا الفيء؟ قالت: لا، وقصت عليه القصة فقال: والله لقد انتزعتها من ابني لكانما نزعته عن قلبي، ولكن كرهت أن أضحى نصيبى من الله عز وجل بتفاحة من فيء المسلمين.

وعن شيخ من أهل الشام قال: لما مات عمر بن عبد العزيز كان استودع مولى له سफطا يكون عنده، فجاءوه، فقالوا: السفط الذي كان استودعك عمر؟ قال: ما لكم فيه خير فأبوا حتى رفعوا ذلك إلى يزيد بن عبد الملك فدعا بالسفط ودعا بنى أمية وقال: خيركم هذا فقد وجدنا له سफطا وديعة قد استودعها: ففتحوه فإذا فيه مقطعات من مسوح كان يلبسها بالليل.

وعن عبد السلام مولى مسلمة بن عبد الملك قال: بكى عمر بن عبد العزيز فبكت فاطمة، فبكى أهل الدار لا يدرى هؤلاء ما أبكى هؤلاء، فلما تجلت عنهم العبرة قالت له فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت؟ قال: ذكرت منصرف القوم من بين يدي الله عز وجل، فريق في الجنة وفريق في السعير، ثم صرخ وغشى عليه.

وعن زياد بن أبي زياد المدني قال: أرسلني ابن عامر بن أبي ربيعة إلى عمر بن عبد العزيز

فى حوائج له فدخلت عليه وعنده كاتب يكتب فقلت: السلام عليكم، فقال: وعليك السلام، ثم انتبهت فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال: يا بن أبى زياد إننا لسنا ننكر الأولى التى قلت: والكاتب يقرأ عليه مظالم جاءت من البصرة، فقال لى: اجلس، فجلست على أسكفة الباب وهو يقرأ وعمر يتنفس صعدا، فلما فرغ أخرج من كان فى البيت حتى وصيفا كان فيه ثم قام يمشى إلىّ حتى جلس بين يدى ووضع يديه على ركبتى ثم قال: يا بن أبى زياد استدفأت فى مدرعتك هذه؟ قال: وعلى مدرعة من صوف واسترحت مما نحن فيه، ثم سألتنى عن صلحاء أهل المدينة رجالهم ونسائهم فما ترك منهم أحداً إلا سألتنى عنه وسألتنى عن أمور كان أمر بها بالمدينة فأخبرته، ثم قال لى: يا بن أبى زياد ألا ترى ما وقعت فيه؟ قال: قلت: أبشر يا أمير المؤمنين، إنى أرجو لك خير، قال: هيهات هيهات، قال: ثم بكى حتى جعلت أرثى له فقلت: يا أمير المؤمنين بعض ما تصنع، فإنى أرجو لك خيرا، قال: هيهات هيهات أشتم ولا أضرب ولا أضرب وأوذى ولا أوذى، ثم بكى حتى جعلت أرثى له، فأقمت حتى قضى حوائجى ثم أخرج من تحت فراشه عشرين ديناراً فقال: استعن بهذه فإنه لو كان لك فى الفء حق أعطيناك حقك إنما أنت عبد، فأبيت أن أخذها فقال: إنما هى من نفقتى فلم يزل بى حتى أخذتها وكتب إلى مولاي يسأله أن يبيعنى منه فأبى وأعتقنى.

وعن عمرو بن مهاجر قال: قال لى عمر بن عبد العزيز: إذا رأيتنى قد ملت عن الحق فضع يدك فى تلبابى ثم هزنى ثم قل: يا عمر ما تصنع؟

وعن عبيد الله بن محمد التميمى قال: سمعت أبى وغيره يحدث أن عمر بن عبد العزيز لما ولى منع قرابته ما كان يجرى عليهم وأخذ منهم القطائع التى كانت فى أيديهم، فشكوا إلى عمته أم عمر فدخلت فقالت: إن قرابتك يشكونك ويزعمون أنك أخذت منه خير غيرك، قال: منعهم حقا ولا أخذت منهم حقا، فقالت: إنى رأيتهم يتكلمون وإنى أخاف أن يهجوا عليك يوما عصيبا، فقال: كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقانى الله شره، قال: ودعا بدينار وخبث ومجمره فألقى الدينار فى النار وجعل ينفخ على الدينار حتى إذا احمر تناوله بشيء فآلقاه على الخبث فنش فقال: أى عمه، أما تأوين لابن أخيك من مثل هذا؟ فقامت فخرجت على قرابته فقالت: تزوجون الى آل عمر فإذا نزعوا الشبه جزعتم؟ اصبروا له.

وعن أبى سليم الهذلى قال: وخطب عمر بن عبد العزيز فقال:

أما بعد فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ولم يدع شيئاً من أمركم سدى، وإن لكم معاداً، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض واشترى قليلاً بكثير وفانياً بباقي وخوفاً بأمن ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون؟ كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين، فى كل يوم ليلة تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله عز وجل قد قضى نحبهُ وانقضى أجله حتى تغيبوه فى صدع من الأرض فى بطن صدع ثم تدعونه غير ممهّد ولا موسّد قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وسكن التراب وواجه الحساب مرتبها بعمله فقيراً إلى ما قدم، غنيا عما ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموت، وإيم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب ما أعلم عندى وما يبلغنى عن أحد منكم ما يسعه ما عندى إلا وددت أنه يمكننى تغييره حتى يستوى عيشنا وعيشه، وإيم الله لو أردت غير ذلك من الغضارة والعيش لكان اللسان منى به ذلولاً عالماً بأسبابه، ولكن سبق من الله عز وجل كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى فيها عن معصيته.

ثم وضع طرف رداءه على وجهه فبكى وشهق وبكى الناس، وكانت آخر خطبة خطبها.
سعيد بن محمد الثقفى قال: سمعت القاسم بن غزوان قال: كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات:

| | |
|----------------------------------|------------------------------|
| أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم | وكيف يطيق النوم حيران هائم |
| فلو كنت يقظان الغداة لحقرت | مدامع عينيك الدموع السواجم |
| بل أصبحت فى النوم الطويل وقد دنت | إليك أمور مفضعات عظامم |
| نهارك يا مغرور سهو وغفلة | وليلك نوم والردى لك لازم |
| يغرك ما يفنى وتشغل بالمنى | كما غر باللذات فى النوم حالم |
| وتشغل فيما سوف تكره غبه | كذلك فى الدنيا تعيش البهائم |

وعن القاسم بن غزوان قال: كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات.

وعن هاشم قال: لما كانت الصرعة التى هلك فيها عمر دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إنك أفقرت أفواه ولدك من هذا المال وتركتهم عيلة لا شىء لهم فلو وصيت بهم إلى وإلى نظرائى من أهل بيتك.

قال: فقال: أسندونى، ثم قال: أما قولك إني أفقرت أفواه ولدك من هذا المال، فوالله إني ما منعتهم حقاً هو لهم ولم أعطهم ما ليس لهم، وأما قولك لو أوصيت بهم فإن وصيتى

وولى فيهم الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، بنى أحد الرجلين: إما رجل يتقى الله فسيجعل الله له مخرجا، وإما رجل مكب على المعاصى فإنى لم أكن أقوى على معاصى الله. ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكرا قال: فنظر إليهم فذرفت عيناه ثم قال: بنفسى الفتية الذين تركتهم عيلة لا شىء لهم، فإنى بحمد الله قد تركتهم بخير أى بنى إن أباكم مثل بين أمرين: بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار، قوموا عصمكم الله.

وعن ليث بن أبى رقية عن عمر أنه لما كان مرضه الذى قبض فيه قال: أجلسونى فأجلسوه، ثم قال: أنا الذى أمرتى فقصرت ونهيتى فعصيت ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه وأحد النظر، فقالوا له: إنك لتنظر نظراً شديداً، فقال: إنى لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جان ثم قبض رحمته.

أسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب، وعمر بن أبى سلمة، والسائب بن يزيد، ويوسف بن عبد الله بن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم: عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الدارى وعائشة وأم هانئ.

وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وعبد الله بن إبراهيم بن قارظ وسالم وأبى سلمة وعروة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وخارجة بن زيد وعامر بن سعد بن أبى وقاص وأبى بردة بن أبى موسى والربيع بن سبرة وعراك بن مالك وأبى حازم والزهرى والقرظى، فى خلق كثير يطول ذكرهم وقد ذكرنا مسنده عنهم فى كتاب أفردناه لأخباره وفضائله، ولهذا اقتصرنا على هذه النبذة من أخباره هاهنا.

وتوفى رحمته لعشر ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، ومات بدير سمعان وقبر هناك، وكان له رحمته أولاد إلا أنه كان عينهم.

١٧٣- عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز

ونحن نذكر ههنا طرفا من أخباره، وإن كان دون طبقة أبيه لكننا ألحقناه به لأنه مات فى حياة أبيه.

وعن بعض مشيخة أهل الشام قال: كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما أدخله فى العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك.

وعن إسماعيل بن أبي حكيم قال: غضب عمر بن عبد العزيز يوما، فاشتد غضبه وكان فيه حدة، وعبد الملك حاضر، فلما سكن غضبه قال: يا أمير المؤمنين أنت في قدر نعمة الله عليك وموضعك الذي وضعك الله به وما ولاك من أمر عباده يبلغ بك الغضب ما أرى؟ قال: كيف قلت؟ فأعاد عليه كلامه فقال: أما تغضب يا عبد الملك؟ فقال: ما تغنى سعة جوفى إن لم أردد فيه الغضب حتى لا يظهر منه شيء أكرهه.

دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على عمر فقال: يا أمير المؤمنين إن لى إليك حاجة فأخلى، وعنده مسلمة بن عبد الملك: فقال عمر: أسرُّ دون عمك؟ قال: نعم، فقال مسلمة وخرج وجلس بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين ما أنت قائل لربك غدا إذا سألك فقال: رأيت بدعة فلم تمتها أو سنة فلم تحيها؟ فقال له: يا بنى أشتى حملك الرغبة إلى أم رأى رأيته من قبل نفسك؟ قال: لا والله ولكن رأى رأيته من قبل نفسى، عرفت أنك مسئول، فما أنت قائل؟ فقال له أبوه: رحمك الله وجزاك من ولد خيرا فوالله إنى لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير، يا بنى إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة وعروة عروة ومتى ما أريد مكابرتهم على انتزاع ما فى أيديهم لم آمن أن يفتقوا على فتقا تكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون على من أن يهراق فى سببى محجة من دم، أو ما ترضى أن لا يأتى على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيى فيه سنة؟ حتى يحكم الله بيننا بالحق وهو خير الحاكمين.

وعن إسماعيل بن أبي حكيم قال: دخل عبد الملك على أبيه عمر فقال: أين وقع لك رأيك فيما ذكر لك مزاحم من رد المظالم؟ فقال: على إنفاذه فرفع عمر يده ثم قال: الحمد لله الذى جعل لى من ذريتى من يعيننى على أمر دينى: نعم يا بنى أصلى الظهر إن شاء الله ثم أصدد المنبر فأردھا على رءوس الناس، فقال عبد الملك: يا أمير المؤمنين من لك بالظهر؟ ومن لك إن بقيت أن تسلم لك نيتك؟ فقال عمر: فقد تفرق الناس للقائلة، فقال عبد الملك تأمر مناديك فينادى: الصلاة جامعة ثم يجتمع الناس، فأمر مناديه فنادى.

وعن ابن أبي عتبة قال: جلس عمر يوما للناس فلما انتصف النهار ضجر ومل فقال للناس مكانكم حتى أنصرف إليكم، ودخل ليستريح ساعة فجاء إليه ابنه عبد الملك فسأل عنه فقالوا: دخل، فاستأذن عليه فأذن له فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين ما أدخلك؟ قال: أردت أن

أستريح ساعة، قال أوأمنت الموت أن يأتيك ورعيتك على بابك ينتظرونك وأنت محتجب عنهم؟ فقام عمر فخرج إلى الناس.

وعن زياد بن أبي حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك استوى قائما وأحاط به الناس فقال: والله يا بنى لقد كنت برا بأبيك، والله ما زلت منذ وهبك الله لى مسرورا بك ولا والله ما كنت قط أشد سرورا ولا أرجى لحظى من الله فيك منذ وضعتك فى المنزل الذى صيرك الله إليه، فرحمك الله وغفر لك ذنبك وجزاك بأحسن عملك، ورحم كل شافع يشفع لك بخير من شاهد وغائب، رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره، الحمد لله رب العالمين، ثم انصرف.

اقتصرونا على هذا القدر من أخبار عبد الملك لأننا قد أدرجنا أخبارا فى الكتاب الذى جمعنا فيه أخبار أبيه والله الموفق، رحمه الله ورحم أباه.

١٧٤- عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام

عن مالك بن أنس قال: كان عامر بن عبد الله بن الزبير يقف عند موضع الجنائز يدعو وعليه قطيفة، فربما سقطت عنه القطيفة وما يشعر بها.

وعنه قال: ربما خرج عامر بن عبد الله بن الزبير منصرفا من العتمة من مسجد رسول الله ﷺ فيعرض له الدعاء قبل أن يصل إلى منزله فيرفع يديه، فما يزال كذلك حتى ينادى بالصبح فيرجع إلى المسجد فيصلى الصبح بوضوء العتمة.

قال معن: وسمعت أن عامر بن عبد الله ربما أخرج البدره فيها عشرة آلاف درهم فيقسمها فما يصلى العتمة ومعه منها درهم.

وعن سفيان بن عيينة قال: اشترى عامر بن عبد الله بن الزبير نفسه من الله عز وجل بتسع ديات.

وعن أبى مودود قال: كان عامر بن عبد الله بن الزبير يتحين العباد وهم سجود: أبا حازم وصفوان بن سليم، وسليمان بن شحم، وأشباههم فيأتيهم بالصرة فيها الدنانير والدراهم فيضعها عند نعالهم بحيث يحسون بها ولا يشعرون بمكانه، فيقال له: ما يمنعك أن ترسل بها إليهم؟ فيقول: أكره أن يتمر وجه أحدهم إذا نظر إلى رسولى وإذا لقينى.

وعن عياش بن المغيرة قال: كان عامر بن عبد الله بن الزبير إذا شهد جنازة وقف على

(١٧٤) هو: عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدى، أبو الحارث المدنى، ثقة عابد، من الرابعة، مات سنة إحدى وعشرين.

القبر فقال: ألا أراك ضيقاً؟ ألا أراك دقعا؟ ألا أراك مظلماً؟ إن أسلمتُ لأتأهبن لك أهبتك، فأول شيء تراه عيناه من ماله يتقرب به إلى ربه وإن كان رقيقه ليتعرضون له عند انصرافه من الجنائز ليعتقهم.

وعن مصعب بن عبد الله قال: سمع عامر بن عبد الله المؤذن، وهو يجود بنفسه، ومنزله قريب من المسجد فقال: خذوا بيدي، فقليل له: إنك عليل، فقال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟ فأخذوا بيده فدخل في صلاة المغرب فركع مع الإمام ركعة ثم مات. أسند عامر عن أبيه وغيره من الصحابة وحدث عن خلق كثير من التابعين. قال محمد بن سعد: توفي عامر قبل هشام بن عبد الملك أو بعده بقليل ومات سنة أربع وعشرين ومائة.

١٧٥- أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم

كان على قضاء المدينة فلما ولي عمر بن عبد العزيز ولاه إمرة المدينة. عطف بن خالد عن أمه عن امرأة أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم أنها قالت: ما اضطجع أبو بكر على فراشه منذ أربعين سنة بالليل. توفي أبو بكر في سنة عشرين ومائة، وهو ابن أربع وثمانين سنة، رحمه الله.

١٧٦- محمد بن كعب القرظي يكنى أبا حمزة

عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي قال: إذا أراد الله بعبد خيراً جعل فيه ثلاث خصال: فقها في الدين، وزهادة في الدنيا، وبصراً بعيوبه. عن يزيد بن عبد الملك بن المغيرة، عن محمد بن كعب قال: من قرأ القرآن متع بعقله وإن بلغ مائتي سنة.

أبو كثير النصري قال: قالت أم محمد بن كعب القرظي لمحمد: يا بني لولا أنني أعرفك صغيراً طيباً وكبيراً طيباً لظننت أنك أحدثت ذنباً موبقاً لما أراك تصنع بنفسك في الليل والنهار، قال: يا أماه وما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع عليّ وأنا في بعض ذنوبي فمقتني فقال اذهب لا أغفر لك؟ مع أن عجائب القرآن ترد بي على أمور حتى إنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي.

(١٧٥) هو: أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري البخاري، المدني القاضي، اسمه وكنيته واحد، وقيل: إنه يكنى أبا محمد، ثقة عابد من الخامسة، مات سنة عشرين ومائة.

(١٧٦) هو: محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبو حمزة القرظي، المدني، ثقة عالم ولد سنة أربعين على الصحيح، قال البخاري: إن أباه كان ممن لم ينبت من سبي قريظة، مات محمد سنة عشرين ومائة.

وقال محمد بن كعب: لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (الزلزلة: ١) و«القارعة» لا أزيد عليهما، وأفكر فيهما وأتردد أحب إلى من أن أهد القرآن هذا، أو قال: أنثره نثرًا.

وعن عيسى بن يونس قال: كنا عند محمد بن كعب القرظي فأتاه رجل فقال: يا عبد الله، ما تقول في التوبة؟ قال: ما أحسنها، قال: أفرأيت إن أعطيت الله عهدا أن لا أعصية أبدًا؟ فقال له محمد: فمن حيثئذ أعظم جرماً منك؟ تتألى على الله أن لا ينفذ فيك أمره.

أسند محمد بن كعب عن زيد بن أرقم، والمغيرة بن شعبة، وأبى هريرة، وأنس وابن عباس وعبد الله بن يزيد الخطمي في آخرين من الصحابة رضي الله عنهم.

قال الواقدي: مات سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة ومائة، وقال غيره: سنة تسع وعشرين، وقيل: كان يقص على أصحابه فسقط المسجد عليه وعليهم فقتلهم رحمه الله.

١٧٧- أبو عمرو بن حماس

وقد اختلف علينا في اسمه، فقيل: يوسف بن يونس، وقيل يونس بن يوسف.

قال محمد بن طلحة: كان أبو عمرو متعبداً مجتهداً يصلى الليل، وكان شديد النظر إلى النساء فدعا الله أن يذهب بصره فذهب بصره، فلم يحتمل العمى فدعا الله أن يرد عليه بصره، فبينما هو في المسجد إذ رفع رأسه فنظر إلى القنديل فدعا غلامه فقال: ما هذا؟ قال: القنديل، قال وذاك، وذاك، يعدُّ قناديل المسجد، وخر ساجداً، شكر الله إذ رد عليه بصره، فكان بعد ذلك إذا رأى المرأة طأطأ رأسه، وكان يصوم الدهر.

وعن مالك بن أنس قال: كان يونس بن يوسف من العباد أو من خيار الناس - شك عبد الرحمن - فأقبل ذات يوم وهو رائح من المسجد فلقىته امرأة فوقع في نفسه منها فقال: اللهم إنك جعلت لى بصرى نعمة وقد خشيت أن يكون على نقمة فأقبضه إليك، قال فعمى، وكان يروح إلى المسجد يقوده ابن أخ له فإذا استقبل به الأسطوانة اشتغل الصبى يلعب مع الصبيان فإن نابته حاجة حصبه، فأقبل إليه فبينما هو ذات يوم ضحوة في المسجد إذ أحس في بطنه بشيء فحصب الصبى فشغل الصبى مع الصبيان حتى خاف الشيخ على نفسه فقال: اللهم إنك كنت جعلت لى بصرى نعمة وخشيت أن يكون نقمة فسألتك فقبضته إليك وقد خشيت الفضيحة فردته إلىَّ فانصرف إلى منزله صحيحاً يمشى قال مالك: فرأيته أعمى ورأيته صحيحاً.

(١٧٧) هو: أبو عمرو بن حماس، الليثي، مقبول، من السادسة، مات سنة تسع وثلاثين ومائة.

ومن الطبقة الرابعة من أهل المدينة

١٧٨- محمد بن مسلم بن شهاب الزهري

يكنى أبا بكر

عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: ما أرى أحدا جمع بعد رسول الله ﷺ ما جمع ابن شهاب.

وقال مالك بن أنس: ما أدركت فقيها محدثا غير واحد، فقلت: من هو؟ فقال: ابن شهاب الزهري.

وعنه أنه قال: إن هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم والله لقد أدركت هاهنا - وأشار إلى مسجد رسول الله ﷺ - سبعين رجلا كلهم يقول: قال فلان، قال رسول الله ﷺ، فلم آخذ عن أحد منهم حرفا لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، ولقد قدم علينا محمد بن شهاب الزهري وهو شاب فازدحمنا على بابه لأنه كان من أهل هذا الشأن.

وقال أيوب: ما رأيت أحدا أعلم من الزهري، فقال صخر بن جويرية: ولا الحسن؟ قال: ما رأيت أحدا أعلم من الزهري.

وعن جعفر بن ربيعة قال: قلت لعراك بن مالك: من أفقه أهل المدينة؟ قال: أما أعلمهم بقضايا رسول الله ﷺ وقضايا أبي بكر وعمر وعثمان وأفقههم فقها وأعلمهم بما مضى من أمر الناس فسعيد بن المسيب، وأما أغزرهم حديثا فعروة بن الزبير، ولا تشاء أن تفجر من عبيد الله بن عبد الله بحرا إلا فجرته، قال عراك: فأعلمهم عندئذ جميعا ابن شهاب فإنه جمع علمهم جميعا إلى علمه.

وعن معمر: قال رجل من قریش: قال لنا عمر بن عبد العزيز: أتأتون الزهري؟ قلنا: نعم، قال: فأتوه فإنه لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية منه، قال: والحسن ونظراؤه يومئذ أحياء. وقال سفيان: مات الزهري يوم مات وليس أحد أعلم بالسنة منه، وعن ابن شهاب أنه كان يقول: ما استودعت قلبي شيئا قط فنسيته.

وعن الليث قال: ما رأيت عالما قط أجمع من ابن شهاب، ولا أكثر علما منه، ولو

(١٧٨) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، أبو بكر الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة.

سمعت ابن شهاب يحدث في الترغيب لقلت لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب لقلت لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن الأعراب والأنساب لقلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه جامعاً.

وعن مالك بن أنس قال: أول من دون العلم ابن شهاب.

وعن الزهري قال: ما استعدت حديثاً قط، ولا شككت في حديث قط إلا حديثاً واحداً فسألت صاحبي فإذا هو كما حفظت.

وعن يونس بن يزيد قال: سمعت الزهري يقول: إن هذا العلم إن أخذته بالمكابرة غلبك، ولم تظفر منه بشيء، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذاً رقيقاً تظفر به.

وعن سفيان قال: سمعت الزهري يقول: العلم ذكر لا يحبه إلا الذكور من الرجال.

وعن معمر، عن الزهري قال: ما عبد الله بشيء أفضل من العلم.

وعن عمرو بن دينار قال: ما وأيت أحداً أهون عليه الدينار والدرهم من ابن شهاب، وما كانت عنده إلا مثل البعر.

وعن عقيل بن خالد، عن ابن شهاب أنه كان يكون معه في السفر، قال: فكان يعطى من جاءه وسأله حتى إذا لم يبق معه شيء تسلف من أصحابه فلا يزالون يسلفونه حتى لا يبق معهم شيء، فيحلفون أنه لم يبق معهم شيء فيستسلف من عبيده فيقول: أي فلان أسلفني وأضعف لك كما تعلم فيسلفونه ولا يرى بذلك بأساً فربما جاء السائل فيقول: أبشر فسيأتي الله بخير، فيقيض الله لابن شهاب أحد رجلين إما رجل يهدي له ما يسعهم وإما رجل يبيعه وينظره قال: وكان يطعمهم الشريد ويسقيهم العسل.

أسند ابن شهاب عن ابن عمر وأنس بن مالك، وسهل بن سعد والسائب بن يزيد وعبد الله بن ثعلبة، وأبى أمامة بن سهل بن حنيف وعبد الله بن عامر بن ربيعة وعبد الرحمن بن أزهر ومحمود بن الربيع ومحمود بن لييد ومسعود بن الحكم وكثير بن العباس وسنين أبى جميلة وأبى مويهبة وأبى الطفيل في آخرين من الصحابة، ويذكر أنه رأى ابن الزبير والحسن والحسين وسمع منهم.

قال الواقدي: ولد الزهري في سنة ثمان وخمسين في آخر خلافة معاوية، وهي السنة التي ماتت فيها عائشة، ومريض وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق، ومات لسبع عشرة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة وهو ابن خمس وسبعين سنة.

قال الحسن بن المتوكل: رأيت قبره بأدامي، وهي أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز، رحمه الله.

١٧٩- محمد بن المنكدر بن عبد الله بن

الهدير بن محرز بن عبد العزى

ابن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة، يكنى أبا عبد الله، أمه أم ولد. عن الزبير بن بكار قال: جاء المنكدر بن عبد الله إلى عائشة أم المؤمنين فشكها إليها الحاجة فقالت: أول شيء يأتيني أبعث به إليك فجاءتها عشرة آلاف درهم فقالت: سرع ما امتحنت به يا عائشة، وبعثت بها إليه فاتخذ منها جارية فولدت له بنيه، محمدا وأبا بكر وعمر، وكلهم يذكر بالصلاح والعبادة، ويحمل عنه الحديث.

وعن أبي معشر قال: دخل المنكدر على عائشة فقالت: لك ولد؟ قال، لا، فقالت: لو كان عندي عشرة آلاف درهم لوهبته لك، قال: فما أمتست إلا بعث إليها معاوية بمال، فقالت: ما أسرع ما ابتليت، وبعثت إلى المنكدر بعشرة آلاف فاشتري منها جارية فهي أم محمد وعمر وأبى بكر.

قال الشيخ - رحمه الله -: وإنما شكا المنكدر إلى عائشة للقرابة التي بينهما؛ فإنه من ولد حارثة بن سعد بن تيم، وأبو بكر رضي الله عنه من ولد كعب بن سعد بن تيم. وعن الحارث بن الصواف قال: قال محمد بن المنكدر: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت.

وعن سفيان قال: كان محمد بن المنكدر ربما قام من الليل يصلى ويقول: كم من عين الآن ساهرة في رزقى.

وكان له جار مبتلى، فكان يرفع صوته من الليل يصيح وكان محمد يرفع صوته بالحمد، ف قيل له من ذلك فقال: يرفع صوته بالبلاء وأرفع صوتي بالنعمة.

بحيى بن الفضل الأبيسى قال: سمعت بعض من يذكر عن محمد بن المنكدر أنه بينا هو ذات ليلة قائم يصلى إذ استبكى فكثر بكاءه حتى فزع له أهله فسألوه: ما الذى أبكاك؟ فاستعجم عليهم، فتمادى فى البكاء فأرسلوا إلى أبى حازم وأخبروه بأمره، فجاء أبو حازم إليه فإذا هو يبكى فقال: يا أخى ما الذى أبكاك قد رعت أهلك؟ فقال له: إني مرت بى آية من

(١٧٩) هو: محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير، التيمي، المدنى، ثقة فاضل، من الثالثة.

كتاب الله عز وجل، قال: ما هي؟ قال: قول الله عز وجل ﴿وَبَدَأَ لَهُمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (الزمر: ٤٧) قال، فبكى أبو حازم معه واشتد بكاءهما، قال: فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرج عنه فردته، قال: فأخبرهم ما الذي أبكاهما.

وعن عمر بن محمد بن المنكدر قال: كنت أمسك على أبي المصحف، قال: فمريت مولاة له فكلمها فضحك إليها، ثم أقبل يقول: إنا لله إنا لله حتى ظننت أنه قد حدث شيء، فقلت: ما لك؟ فقال: أما كان لي في القرآن شغل حتى مرت هذه فكلمتها.

وعن محمد بن سوقة، عن محمد بن المنكدر قال: إن الله تعالى يحفظ المؤمن في ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته وفي دويرات حوله، فما يزالون في حفظ وعافية ما كان بين أظهرهم.

وعن سفيان قال: صلى ابن المنكدر على رجل، فقيل له: تصلى على فلان؟ فقال: إني أستحي من الله عز وجل أن يعلم مني أن رحمته تعجز عن أحد من خلقه.

وعن أبي معشر قال: بعث محمد بن المنكدر إلى صفوان بن سليم بأربعين ديناراً ثم قال لبيته: يا بني ما ظنكم برجل فرغ صفوان لعبادة ربه عز وجل.

وعن عبد الله بن المبارك قال: قال محمد بن المنكدر: بات عمر، يعنى أخاه، يصلى، وبت أغمز رجل أُمى، وما أحب أن ليلتي بليته.

وعن جعفر بن سليمان، عن محمد بن المنكدر أنه كان يضع خده بالأرض ثم يقول لأمه: قومي ضعى قدمك على خدي.

وعن محمد بن سوقة قال: سمعت ابن المنكدر يقول: نعم العون على تقوى الله عز وجل الغنى.

قال سفيان بن عيينة: قيل لمحمد بن المنكدر: أى العمل أحب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن، قيل: فما بقى من لذتك؟ قال: الإفضال على الإخوان.

وعن عبد العزيز بن يعقوب الماجشون، أخى يوسف قال: قال أبى: إن رؤية محمد بن المنكدر تنفعنى فى دينى.

وعن سفيان بن عيينة قال: قال محمد بن المنكدر: الفقيه يدخل بين الله عز وجل وبين عباده، فلينظر كيف يدخل.

أسند محمد بن المنكدر عن ابن عمر، وأبى قتادة، وجابر، وأبى هريرة، وابن عباس، وأنس بن مالك، وأميمة بنت رقيقة.

وروى عن كبار التابعين كالحسن وعروة وسعيد بن جبير والزهرى وأبى حازم ويحيى بن سعيد وأيوب ويونس بن عبيد فى خلق يطول ذكرهم.

ذكر وفاته رضي الله عنه:

عن عكرمة عن محمد بن المنكدر أنه جزع عند الموت فقيل له: لم تجزع؟ قال: أخشى آية من كتاب الله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (الزمر: ٤٧) فإنى أخشى أن يبدو لى من الله ما لم أكن أحسب.

وعن ابن زيد قال: أتى صفوان بن سليم إلى محمد بن المنكدر وهو فى الموت فقال: يا أبا عبد الله، كأنى أراك قد شق عليك الموت، قال: فما زال يهون عليه الأمر وينجلي عن محمد حتى لكان فى وجهه المصابيح، ثم قال له محمد: لو ترى ما أنا فيه لقرت عينك، ثم قضى رحمه الله.

توفى محمد بن المنكدر بالمدينة سنة ثلاثين أو إحدى وثلاثين ومائة.

١٨٠- عمر بن المنكدر

عن نافع بن عمر قال: قالت أم عمر بن المنكدر لعمر: إنى أشتهى أن أراك نائما، فقال: يا أماه والله إن الليل ليرد على فيهلونى، فينقضى عنى وما قضيت منه أربى.

وعن سالم بن أبى بسطام قال: كان عمر بن المنكدر لا ينام الليل يكثر البكاء على نفسه فشق ذلك على أمه فقالت لأخيه محمد بن المنكدر: إن الذى يصنع عمر يشق على فلو كلمته فى ذلك، فاستعان عليه بأبى حازم فقالا له: إن الذى تصنع يشق على أمك، قال: فكيف أصنع؟ إن الليل إذا دخل على هالنى فاستفتح القرآن، وما تنقضى نهمتى فيه، قال: فالبكاء؟ قال: آية من كتاب الله أبكتنى، قال: وما هى؟ قال: قوله عز وجل ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (الزمر: ٤٧).

وعن عبد الرحمن بن حفص القرشى، قال: بعث بعض الأمراء إلى عمر بن المنكدر بمال فجاء به الرسول، فوضعه بين يديه، فجعل عمر ينظر إليه ويبكى ثم جاء أبو بكر فلما رأى عمر يبكى جلس يبكى لبكائه ثم جاء محمد فجلس يبكى لبكائهما، فاشتد بكاءهم جميعا، فبكى الرسول أيضا لبكائهم، ثم أرسل إلى صاحبه فأخبره بذلك فأرسل ربيعة بن أبى عبد الرحمن

ليستعلم علم ذلك البكاء، فجاء ربعة فذكر ذلك لمحمد فقال محمد: سلّه فهو أعلم بيكاته، فاستأذن عليه ربعة فقال: يا أخى ما الذى أبكاك من صلة الأمير؟ قال: والله إني خشيت أن تغلب الدنيا على قلبى فلا يكون للآخرة فيه نصيب فذلك الذى أبكاني، قال: وأمر بالمال فتصدق به على فقراء أهل المدينة، قال: فجاء ربعة فأخبر الأمير بذلك فبكى وقال: هكذا يكون والله أهل الخير، رحمه الله.

١٨١- سعد بن إبراهيم بن

عبد الرحمن بن عوف

يكنى أبا إسحاق، ولى قضاء المدينة.

عن شعبة قال: كان سعد يصوم الدهر ويقرأ القرآن فى كل يوم وليلة.

وعن عبيد الله بن سعد الزهرى قال: قال عمى عن أبيه، قال: سرد أبى سعد بن إبراهيم الصوم أربعين سنة.

وعن مسعر عن سعد بن إبراهيم قال، قيل له: من أفقه أهل المدينة؟ قال: أتقاهم لربه.

وعن ابن سعد بن إبراهيم قال: كان أبى يحتبى فما يحل حبوته حتى يقرأ القرآن.

وعنه قال: كان أبى سعد بن إبراهيم إذا كانت ليلة إحدى وعشرين وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين لم يفطر حتى يختم القرآن وكان يفطر فيما بين المغرب والعشاء الآخرة، وكان كثيرا إذا أفطر يرسلنى إلى مساكين فيأكلون معه، رحمه الله.

أسند سعد بن إبراهيم عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وأنس بن مالك ومحمد بن حاطب وسهل بن حنيف، ورأى ابن عمر.

وروى عن أبيه وأبى سلمة وابن المسيب فى خلق كثير من كبار التابعين.

وروى عنه من التابعين: أيوب ويحيى بن سعيد.

وتوفى بالمدينة سنة سبع وعشرين ومائة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، رحمه الله.

(١٨١) هو: سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، ولى قضاء المدينة، وكان ثقة فاضلاً عابداً، من

١٨٢- عبد الرحمن بن أبان بن عثمان ابن عفان - رحمهم الله

روى عن أبيه .

عن مصعب بن عثمان قال: كان عبد الرحمن بن أبان يشتري أهل البيت ثم يأمر بهم فيكسون ويدهنون ثم يعرضون عليه فيقول أنتم أحرار لوجه الله أستعين بكم على غمرات الموت، قال: فمات وهو قائم في مسجده يصلى السبحة، يعنى الضحى .

١٨٣- ربيعة بن أبي عبد الرحمن

واسم أبي عبد الرحمن فروخ مولى آل المنكدر، ويكنى ربيعة: أبا عثمان، ويقال أبا عبد الرحمن .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز بالإسناد عن مشيخة أهل المدينة أن فروخا أبا عبد الرحمن أبا ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بنى أمية غازيا وربيعه حمل في بطن أمه وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسا وفي يده رمح فتزل عن فرسه ثم دفع الباب برمحه فخرج ربيعة فقال له: يا عدو الله أتتهجم على منزلي؟ فقال: لا، وقال فروخ: يا عدو الله أنت رجل دخلت على حرمة فتواثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران فبلغ مالك بن أنس والمشيفة فأتوا يعينون ربيعة فجعل ربيعة يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان، وجعل فروخ يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان وأنت مع امرأتى، وكثر الضجيج فلما بصروا بمالك سكت الناس كلهم، فقال مالك: أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ: هي دارى وأنا فروخ مولى بنى فلان، فسمعت امرأته كلامه فخرجت فقالت: هذا زوجى، وهذا ابنه الذى خلفه وأنا حامل به فاعتنقا جميعا وبكى فدخل فروخ المنزل فقال: هذا ابنى؟ قالت: نعم، قال فأخرجنى المال الذى عندك وهذه معى أربعة آلاف دينار، فقالت: المال قد دفتته وأنا أخرجه بعد أيام .

فخرج ربيعة إلى المسجد وجلس فى حلقة وأناه مالك بن أنس والحسن بن زيد وابن أبى

(١٨٢) هو: عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان الأموى، المدنى، ثقة مقل عابد، من السادسة.

(١٨٣) هو: ربيعة بن أبى عبد الرحمن، التيمى، أبو عثمان المدنى، المعروف بريبعة الرأى، واسم أبيه

فروخ، ثقة فقيه مشهور.

على اللهيب والمساحتى وأشرف المدينة وأحدق الناس به فقالت امرأته: اخرج فصل في مسجد رسول الله ﷺ، فخرج فنظر إلى حلقة وافرة، فأتاه فوقف عليه ففرجوا له قليلا ونكس ربيعة رأسه يومه أنه لم يره فقال: من هذا الرجل؟ فقالوا: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فقال أبو عبد الرحمن: لقد رفع الله ابني، فرجع إلى منزله فقال لوالدته: لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحدا من أهل الفقه والعلم عليها، فقالت أمه: فأیما أحب إليك: ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه من الجاه؟ قال: لا والله إلا هذا، قالت: فلأني أنفقت المال كله عليه، قال: فوالله ما ضيعته.

وعن ابن زيد قال: مكث ربيعة دهرا طويلا عابدا يصلي الليل والنهار، فجالس القاسم فنطق بلب وعقل، فكان القاسم إذا سئل عن شيء قال: سئلوا هذا لربيعة.

وعن يحيى بن سعيد قال: ما رأيت أحدا أفطن من ربيعة.

قال الليث: وقال لي عبيد الله بن عمر في ربيعة: هو صاحب معضلاتنا وأعلمنا وأفضلنا.

وعن يحيى بن سعيد أنه قال: ما رأيت أحدا أسد عقلا من ربيعة.

وعن سوار بن عبد الله قال: ما رأيت أحدا أعلم من ربيعة بالرأى، قلت: ولا الحسن وابن سيرين؟ قال: ولا الحسن وابن سيرين.

وعن يونس بن يزيد قال: رأيت أبا حنيفة عند ربيعة وكان مجهود أبي حنيفة أن يفهم ما يقول ربيعة.

وعن بكر بن عبد الله الشروذ الصنعاني قال: أتينا مالك بن أنس فجعل حديثنا عن ربيعة الرأي فكنا نستزيده من حديث ربيعة، فقال لنا ذات يوم: ما تصنعون بربيعة؟ هو نائم في ذاك الطاق، فأتينا ربيعة فأنبهناه فقلنا له: أنت ربيعة الذي يحدث عنك مالك؟ قال: نعم، فقلنا له: كيف حظى بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك؟ قال: أما علمتم أن مثقالا من دولة خير من حمل علم.

قال الشيخ رحمه الله: وكان السفاح قد أقدم عليه ربيعة الأنبار ليؤليه القضاء فلم يفعل، وعرض عليه العطاء فلم يقبل.

وعن مالك قال: قال لي ربيعة حين أراد الخروج إلى العراق: إن سمعت أني حدثتهم شيئا أو أفيتهم فلا تعدني شيئا، فكان كما قال: لما قدمها لزم بيته فلم يخرج إليهم ولم يحدثهم بشيء حتى رجع، قال مالك: لما قدم على أمير المؤمنين أبي العباس أمر له بجائزة فأبى أن يقبلها فأعطاه خمسة آلاف درهم ليشتري بها جارية فأبى أن يقبلها.

وعن سفیان قال: كان ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوما جالسا فغطى رأسه ثم اضطجع فبكى فقليل له: ما يبكيك؟ فقال رياء ظاهر وشهوة خفية.

وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: لقد رأيت مشيخة المدينة وإن لهم لغدائر وعليهم الممصّر والمورد في أيديهم مخاصر، وفي أيديهم آثار الحناء في هيئة الفتیان ودين أخذهم أبعد من الثريا إذا أريد على دينه.

قال الشيخ: قد سمع ربيعة من أنس بن مالك والسائب بن يزيد وعامة التابعين من أهل المدينة.

وروى عنه: مالك والثوري وشعبة والليث بن سعد.

وقال أحمد بن حنبل: ربيعة بن أبي عبد الرحمن ثقة، وتوفى بالأنبار، وقيل: بل رجع إلى المدينة فمات بها، وذلك في سنة ست وثلاثين ومائة.

وعن مالك بن أنس قال: ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة بن أبي عبد الرحمن.

١٨٤- صفوان بن سليم الزهري

مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف، يكنى أبا عبد الله.

عن عبد العزيز بن أبي حازم قال: عادلتني صفوان بن سليم إلى مكة فما وضع جنبه في المحمل حتى رجع.

وعن سليمان بن سالم قال: كان صفوان بن سليم في الصيف يصلي بالليل في البيت، فإذا كان الشتاء صلى في السطح لثلا ينام.

عن أبي ضمرة أنس بن عياض قال: رأيت صفوان بن سليم ولو قيل له غدا القيامة ما كان عنده مزيد على ما هو عليه من العبادة.

وعن أبي علقمة المديني قال: كان صفوان بن سليم لا يكاد يخرج من مسجد النبي

ﷺ فإذا أراد أن يخرج بكى وقال: أخشى أن لا أعود إليه.

وعن محمد بن أبي منصور قال: قال صفوان بن سليم: أعطى الله عهدا أن لا أضع جنبى على فراش حتى ألحق بربي، قال: فبلغني أن صفوان عاش بعد ذلك أربعين سنة لم يضع جنبه فلما نزل به الموت قال له: رحمك الله ألا تضطجع؟ قال: ما وفيتُ الله بالعهد إذا.

(١٨٤) هو: صفوان بن سليم المدني، أبو عبد الله الزهري مولا هم، وثقة مفت عابد، رُمى بالقدر، من الرابعة.

قال: فأسند فما زال كذلك حتى خرجت نفسه، قال: ويقول أهل المدينة، إنه ثُقنتُ جبهته من أثر السجود.

وعن أبي مروان مولى بنى تميم قال: انصرفت مع صفوان بن سليم من العيد إلى منزله فجاء بخبز يابس فجاء سائل فوقف على الباب وسأل فقام صفوان إلى كوة في البيت فأخذ منها شيئاً فأعطاه فاتبعت ذلك السائل لأنظر ما أعطاه، فإذا هو يقول: أعطاه الله أفضل ما أعطى أحداً من خلقه، فقلت: ما أعطاك؟ قال: أعطاني ديناراً.

وعن سفيان قال: جاء رجل من أهل الشام فقال: دلوني على صفوان بن سليم، فإني رأيته دخل الجنة، فقلت: بأى شيء؟ قال: بقميص كساه إنساناً.

قال بعض إخوان صفوان: سألت صفوان عن قصة القميص قال: خرجت من المسجد في ليلة باردة فإذا برجل عريان، فتزعت قميصي فكسوته.

عن سعيد بن كثير بن يحيى قال: قدم سليمان بن عبد الملك المدينة وعمر بن عبد العزيز عامله عليها، قال: فصلى بالناس الظهر ثم فتح باب المقصورة واستند إلى المحراب واستقبل الناس بوجهه، فنظر إلى صفوان بن سليم عن غير معرفة فقال: يا عمر من هذا الرجل؟ ما رأيته سمته أحسن منه، قال: يا أمير المؤمنين هذا صفوان بن سليم، قال: يا غلام كيس فيه خمس مائة دينار، فأتى بكيس فيه خمس مائة دينار فقال لخادمه: ترى هذا الرجل القائم يصلى فوصفه للغلام حتى أثبتته فخرج الغلام بالكيس حتى جلس إلى صفوان، فلما نظر إليه صفوان ركع وسجد ثم سلم وأقبل عليه فقال: ما حاجتك؟ قال: أمرنى أمير المؤمنين، وهو ذا ينظر إليك وإلى، أن أدفع هذا الكيس وفيه خمس مائة دينار إليك وهو يقول: استعن بهذا على زمانك وعلى عيالك، فقال صفوان للغلام: ليس أنا بالذى أرسلت إليه، فقال له الغلام: أأنت صفوان بن سليم؟ قال: بلى أنا صفوان بن سليم، قال: فإليك أرسلت، قال: اذهب فاستثبت فإذا أثبت فهل، فقال الغلام: فأمسك الكيس معك وأذهب، قال: لا، إذا أمسكتُ كنتُ قد أخذتُ، لكن اذهب فاستثبت فأنا هاهنا جالس، فولى الغلام فأخذ صفوان نعليه وخرج فلم ير بها حتى خرج سليمان من المدينة.

أبو مصعب: قال لى ابن أبى حازم: دخلت أنا وأبى نسال عنه، يعنى صفوان بن سليم وهو فى مصلاه فما زال به أبى حتى رده إلى فراشه، فأخبرتني مولاته أن ساعة خرجتم مات.

أسند صفوان بن سليم عن ابن عمر وجابر بن عبد الله وعبد الله بن جعفر وسهل بن

حنيف فى آخرين، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وأبى سلمة وعروة وسالم وعكرمة وطاوس فى خلق كثير.

عن أبى بكر بن صدقة قال: ذكر لأحمد بن حنبل صفوان بن سليم وقلة حديثه وأشياء خولف فيها، فقال: هذا رجل إنما كان يستشفى بحديثه ويستنزل القطر بذكره. توفي صفوان بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

١٨٥- أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج

مولى لقوم من بنى ليث بن بكر

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: ما رأيت أحدا الحكمة إلى فيه أقرب من أبى حازم.

وعن سفيان قال: قيل لأبى حازم: ما مالك؟ قال: ثقى بالله عز وجل ويأسى مما فى أيدى الناس.

وعن ثوبة بن رافع قال: قال أبو حازم: ما مضى من الدنيا فحلم وما بقى فأمانى.

وعن محمد مطرف قال: ثنا أبو حازم قال: لا يحسن عبد فيما بينه وبين الله إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد، ولا يُغور فيما بينه وبين الله عز وجل إلا أغور فيما بينه وبين العباد، ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها، إنك إذا صانعت هذا الوجه مالت الوجوه كلها إليك، وإذا فسدت ما بينك وبينه شفتك الوجوه كلها.

وعن عمر بن سعيد بن حسين عن أبى حازم قال: إذا رأيت الله عز وجل يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره.

محمد بن عبيد قال: أنا بعض أهل الحجاز قال: قال أبو حازم: كل نعمة لا تقرب من الله عز وجل فهى بلية.

وعن أبى معشر قال: رأيت أبا حازم لم يقص فى المسجد ويكى ويمسح بدموعه وجهه، فقلت: يا أبا حازم لم تفعل هذا؟ قال: بلغنى أن النار لا تصيب موضعا أصابته الدموع من خشية الله تعالى.

وعن سفيان قال: قال أبو حازم: ينبغى للمؤمن أن يكون أشد حفظا للسانه منه لموضع قدميه.

(١٨٥) هو: سلمة بن دينار الأعرج، أبو حازم، الأفزر التمار، المدنى القاص، مولى الأسود بن سفيان، ثقة عابد، من الخامسة.

وعن سعيد بن عامر قال: قال أبو حازم: نعمة الله فيما زوى عني من الدنيا أفضل من نعمته فيما أعطاني منها.

وقال أبو حازم: إن وقينا شر ما أعطينا لم نبال ما فاتنا.

وقال ابن عيينة: قال أبو حازم: إن كان يغنيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى عيش من الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء يكفيك.

وعن عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبي حازم قال: حدثني أبي قال: بعث سليمان بن عبد الملك إلى أبي حازم فجاءه فقال: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم أخرجتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب، قال: صدقت، فكيف القدوم على الله عز وجل؟ قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه، فبكى سليمان وقال: ليت شعري ما لنا عند الله يا أبا حازم؟ قال: اعرض نفسك على كتاب الله عز وجل فإنك تعلم ما لك عند الله قال: يا أبا حازم وأنى أصيب ذلك؟ قال: عند قوله ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤)﴾ (الانفطار) فقال سليمان فأين رحمة الله؟ قال ﴿قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦) قال: ما تقول فيما نحن فيه؟ قال: اعفني عن هذا، قال سليمان: نصيحة تلقىها، قال أبو حازم: إن أناسا أخذوا هذا الأمر عنوة من غير مشاورة من المسلمين ولا اجتماع من رأيهم فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا ثم ارتحلوا عنها فليت شعري ما قالوا؟ وما قيل لهم؟ فقال بعض جلسائه: بش ما قلت يا شيخ، قال أبو حازم: كذبت، إن الله تعالى أخذ على العلماء لبيئته للناس ولا يكتُمونه، قال سليمان: أصبحنا يا أبا حازم تصب منا ونصب منك، قال: أعوذ بالله من ذلك، قال: ولم؟ قال: أخاف أن أركن إليكم شيئا قليلا فيذيقني ضعف الحياة وضعف الممات، قال: فأشر على، قال: اتق الله أن يراك حيث نهاك، وأن يفقدك حيث أمرك، قال: يا أبا حازم ادع لنا بخير، قال: اللهم إن كان سليمان وليك فيسره للخير، وإن كان عدوك فخذة إلى الخير بناصيته، فقال: يا غلام هات مائة دينار، ثم قال: خذها يا أبا حازم، فقال: لا حاجة لي فيها، أني أخاف أن يكون لما سمعت من كلامي.

فكان سليمان أعجب بأبي حازم، فقال الزهري: إنه لجارى منذ ثلاثين سنة ما كلمته قط، قال أبو حازم: إنك نسيت الله فنسيتني ولو أحببت الله لأحببتني، قال الزهري: أتشتمني؟ قال سليمان: بل أنت شتمت نفسك، أما علمت أن للجار على جاره حقاً؟ قال أبو حازم: إن بني

إسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء وكانت العلماء تفر بدنيها من الأمراء فلما رأى ذلك قوم من أذلة الناس تعلموا ذلك العلم وأتوا به إلى الأمراء فاستغنت به عن العلماء واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وانتكسوا ولو كان علماؤنا يصونون علمهم لم نزل الأمراء تهابهم، قال الزهري: كأنك إياي تريد وبى تعرض، قال: هو ما تسمع.

وعن الذيال بن عباد قال: كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك: أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله عليك فيما أصبح من بدنك وأطال من عمرك وعلمت حجج الله تعالى مما علمك من كتابه، وفقهك فيه من دينه، وفهمك من سنة نبيه ﷺ فرمى بك فى كل نعمة أنعمها عليك وكل حجة يحتج بها عليك الغرض الأقصى ابتلى فى ذلك شكرك وأبدا فيه فضله عليك وقد قال عز وجل: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٧) فانظر أى رجل تكون إذا وقفت بين يدى الله عز وجل فسألك عن نعمه عليك كيف رعيته؟ وعن حججه عليك كيف قضيتها؟ فلا تحسبن الله عز وجل راضيا منك بالتعذير، ولا قابلا منك التقصير هيهات ليس ذاك أخذ على العلماء فى كتابه إذ قال ﴿لَتَبَيَّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (عمران: ١٨٧) إنك تقول: إنك جدل ماهر عالم قد جادلت الناس فجادلتهم وخاصمتهم فخصمتهم إدلالا منك بفهمك واقتدارا منك برأيك فأين تذهب عن قول الله عز وجل: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (النساء: ١٠٩) اعلم أن أدنى ما ارتكبت وأعظم ما احتقبت أن آتست الظالم وسهلت له طريق الغى بدنوك حين أدنيت وإجابتك حين دعيت. فما أخلقك أن يُنَوَّه غدا باسمك مع الجريمة، وأن تسأل عما أردت بإغضائك عن ظلم الظلمة، إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك، جعلوك قطبا تدور عليه رضى باطلهم وجسرا يعبرون بك إلى بلائهم وسلموا إلى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم فلم يبلغ أحصى وزرائهم ولا أقوى أعوانهم لهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم فما أيسر ما عمروا لك فى جنب ما خربوا عليك، وما أقل ما أعطوك فى قدر ما أخذوا منك، فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسئول وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيرا وكبيرا، وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدنيه فى الناس مبعلا، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته مستترا، وكيف قربك وبعذك ممن أمرك أن تكون منه قريبا، ما لك لا تتبه من نعستك وتستقيل من عثرتك فتقول:

والله ما قمت لله عز وجل مقاماً واحداً أحیی له فيه دینا ولا أمیت له فيه باطلاً، این شکرک لمن استحملک کتابه واستودعک علمه؟ ما یؤمنک أن تكون من الذین قال الله (عز وجل) ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ (الاعراف: ١٦٩) الآية، إنک لست فی دار مقام قد أودنت بالرحیل فما بقاء المرء بعد أقرانه؟ طوبی لمن کان فی الدنیا علی وجل ما یؤمن من أن یموت وتبقى ذنبه من بعده إنک لم تؤمر بالنظر لوارثک علی نفسك، لیس أحد أهلاً أن ترد له علی ظهرک، ذهبت اللذة وبقيت التبعة، ما أشقى من سعد بکسبه غیره، احذر فقد أتیت وتخلصت منه وهلت، إنک تعامل من لا یجھل والذی یحفظ علیک لا یغفل، تجهز فقد دنا منک سفر بعيد وداو دینک فقد دخله سقم شدید، ولا تحسبن أنى أردت توبیخک وتعیرک وتعینفک، ولكنى أردت أن تنعش ما فات من رأیک، وترد علیک ما عزب عنک من حلمک، وذاکرتُ قوله تعالى ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاریات: ٥٥) أغفلت ذکر من مضى من أسنانک وأقراک وبقيت بعدهم کقرن أعضب فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به؟ أو دخلوا فی مثل ما دخلت فيه؟ وهل تراه دخر لك خیرا منعه؟ أو علّمک شیئا جهلوه؟ فإذا كانت الدنیا تبلغ من مثلك هذا فی کبر سنک ورسوخ علمک وحضور أجلك فمن یلوم الحدث فی سنة، الجاهل فی علمه، المأفون فی رأیه، المدخول فی عقله؟ ونحمد لله الذی عافانا مما ابتلاک به، والسلام علیک ورحمة الله وبرکاته.

وعن محمد بن إسحاق الموصلى قال: قال أبو حازم: إن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثروا منها فی أوان کسادها فإنه لو جاء يوم نفاقها لم تصل منها إلى قليل ولا إلى كثير.

قال ابن أبی الحواری: وسمعت مروان بن محمد یقول: قال أبو حازم: ویحك یا أعرج یدعی يوم القيامة بأهل خطیئة کذا وكذا فتقوم معهم، ثم یدعی بأهل خطیئة.

وعن عبد الرحمن بن جریر قال: سمعت أبا حازم یقول: عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر، وإذا عزم العبد علی ترک الآثام أتته الفتوح.

وعن محمد بن مطرف قال: قال أبو حازم: ما فی الدنیا شیء یسرك إلا وقد ألزق به شیء یسوءک.

وعن سعید بن عبد الرحمن عن أبی حازم قال: إن العبد لیعمل الحسنة تسره حین یعملها وما خلق الله من سیئة هی علیه أضر منها، وإن العبد لیعمل السيئة ثم تسوؤه حین یعملها، وما خلق الله عز وجل من حسنة أنفع له منها، وذلك أن العبد حین یعمل الحسنة یتجبر فیها یرى

أن له فضلا على غيره، ولعل الله عز وجل يحبطها ويحبط معها عملا كثيراً، وإن العبد ليعمل السيئة تسوؤه ولعل الله عز وجل يحدث له فيها وجلا فيلقى الله وإن خوفها لفي جوفه باق.

وعن عون بن جرير قال: سمعت أبي يقول: كان أبو حازم يمر على الفاكهة فيقول: موعذك الجنة.

وعن جويرية بن أسماء قال: مر أبو حازم بجزار فقال: يا أبا حازم خذ من هذا اللحم فإنه سمين، قال: ليس معي درهم، قال: أنظرك، قال: أنا أنظر نفسي.

وعن الفضل قال: قال حازم المدني: وجدت الدنيا شيئين: فشيء منها هو لى فلن أعجله قبل أجله ولو طلبته بقوة السماوات والأرض وشيء منها هو لغيرى، فلم أنله فيما مضى، ولا أرجوه فيما بقى، يُمنع الذى لى من غيرى، كما يُمنع الذى لغيرى منى، ففى أى هذين أفنى عمرى؟ ووجدت ما أعطيت من الدنيا شيئين: فشيء يأتى أجله قبل أجلى فأغلب عليه، وشيء يأتى أجلى قبل أجله فأموت وأخلفه لمن بعدى، ففى أى هذين أعصى ربى عز وجل؟

وعن حفص بن ميسرة قال: قال أبو حازم: عجا لقوم يعملون لدار يرحلون عنها كل يوم مرحلة، ويدعون أن يعملوا لدار يرحلون إليها كل يوم مرحلة!

وعن ابن عيينة قال أبو حازم: إنى لأعظ وما أرى له موضعاً وما أريد إلا نفسى، وقال: لو أن أحدكم قيل له: ضع ثوبك على هذا الهوف حتى يُرمى لقال: ما كنت لأخرق ثوبى وهو يخرق دينه، وحلف أبو حازم لجلسائه: لوددت أن أحدكم يبقى على دينه كما يبقى على نعله.

وعن فضيل بن عياض قال: قال أبو حازم: اضمّنوا لى اثنين أضمن لكم الجنة: عملاً بما تكرهون إذا أحبه الله تعالى، وترك ما تحبون إذا كرهه الله عز وجل.

وعن يعقوب بن عبد الرحمن قال: سمعت أبا حازم يقول: يسير الدنيا يشغل عن كثير من الآخرة، وقال: ما أحببت أن يكون معك فى الآخرة فقدّمه اليوم، وما كرهت أن يكون معك فى الآخرة فاتركه اليوم.

وقال: كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى مت، وقال: إنك لتجد الرجل يعمل بالمعاصى فإذا قيل له: أنتحب أن تموت؟ قال: يقول: وكيف وعندى ما عندى؟ فيقال له: أفلا تترك ما تعمل من المعاصى؟ فيقول: ما أريد تركه وما أحب أن أموت حتى أترك..

وقال: شيئان إذا عملت بهما أصبت بهما خير الدنيا والآخرة: لا أطوّل عليك، قيل: وما هما يا أبا حازم؟ قال: تعمل ما تكره إذا أحبه الله، وتترك ما تحب إذا كرهه الله.
وعن محمد بن يحيى المازني قال: قال أبو حازم: رضى الناس من العمل بالعلم ومن الفعل بالقول.

وعن سليمان بن سليمان العُمري قال: رأيت أبا جعفر الفارسي، يعنى فى المنام، على الكعبة فقلت له: يا أبا جعفر، قال: نعم أقرئ إخوانى منى السلام وخبرهم أن الله عز وجل جعلنى من الشهداء الأحياء المرزوقين، وأقرئ أبا حازم السلام وقل له: يقول لك أبو جعفر: الكيس الكيس فإن الله وملائكته يتراءون مجلسك بالعشيات.

أسند أبو حازم عن ابن عمر وسهل بن سعد وأنس بن مالك، وقيل إنه رأى أبا هريرة وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وأبى سلمة وعروة وغيرهم.
وتوفى بعد ستة أربعين ومائة فى خلافة المنصور.

ومن الطبقة الخامسة من أهل المدينة:

١٨٦- جعفر بن محمد بن على بن الحسين عليهم السلام

يكنى أبا عبد الله، أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق، كان مشغولا بالعبادة عن حب الرياسة.

وعن عمرو بن أبى المقدام قال: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين.

وعن مالك بن أنس قال: قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري: يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها فإن الله عز وجل قال فى كتابه ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم: ٧) وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالى قال فى كتابه ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ (نوح: ١٠ - ١٢) يعنى فى الدنيا ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ (نوح: ١٢) فى الآخرة، يا سفيان إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة.

(١٨٦) هو: جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى أبو عبد الله، المعروف بالصادق، صدوق فقيه إمام، من السادسة.

وعن ابن أبي حازم قال: كنت عند جعفر بن محمد إذ جاءه أذنه فقال: سفيان الثوري بالباب، فقال: ائذن له، فدخل فقال جعفر: يا سفيان إنك رجل يطلبك السلطان وأنا أتقى السلطان، قم فاخرج غير مطرود، فقال سفيان: حدثني حتى أسمع وأقوم، فقال جعفر: حدثنا أبي عن جدي أن رسول الله ﷺ قال: «من أنعم الله عليه نعمة فليحمد الله ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله، ومن حزنه أمر فليقل: لا حول ولا قوة إلا الله»^(١) فلما قام سفيان قال جعفر: خذها يا سفيان، ثلاث وأى ثلاث.

وعن الهياج بن بسطام قال: كان جعفر بن محمد يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء.
وعن يحيى بن الفرات قال: قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري: لا يتم المعروف إلا بثلاثة: بتعجيله وتصغيره وستره.

وسئل جعفر بن محمد: لم حرم الله لربا؟ قال: لثلاث يمتنع الناس المعروف.
وعن بعض أصحاب جعفر الصادق قال: دخلت على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية فكان مما حفظت منها أن قال:

يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فإنك إن حفظتها تعيش سعيدا وتمت حميدا، يا بني إنه من قنع بما قسم الله له استغنى ومن مد عينه إلى ما في يد غيره مات فقيرا، ومن لم يرض بما قسم الله عز وجل له اتهم الله تعالى في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه، يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ومن سل سيف البغى قتل به، ومن احتقر لأخيه بثرا سقط فيها، ومن داخل السفهاء حُقر ومن خالط العلماء وُقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، يا بني قل الحق لك وعليك، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال، يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه.

وعن أحمد بن عمرو بن المقدم الرأزي قال: وقع الذباب على المنصور فذبه عنه، فعاد فذبه حتى أضجره، فدخل جعفر بن محمد فقال له المنصور: يا أبا عبد الله لم خلق الله عز وجل الذباب؟ قال ليذل به الجبابرة.

وعن الحسن بن عيسى اللخمي عن جعفر بن محمد قال: من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة.

(١) أخرجه البيهقي، انظر «كتر العمال» حديث (٦٤٤٢).

وعن الحرمازي قال: كان رجل من أهل السواد يلزم جعفر بن محمد ففقدته فسأل عنه فقال له رجل: إنه نبطي يريد أن يضع منه، فقال جعفر: أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، وكرمه تقواه، والناس في آدم مستون.

وعن سفيان الثوري قال: سمعت جعفر بن محمد الصادق يقول: عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها، فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول، فإن طلبت في الخمول ولم توجد فيوشك أن تكون في التخلي، وليس كالخمول، فإن طلبت في التخلي ولم توجد فيوشك أن تكون في الصمت وليس كالتخلي، فإن طلبت في الصمت فلم توجد فيوشك أن تكون في كلام السلف الصالح، والسعيد من وجد في نفسه خلوة يشغل بها.

وعن عبد الله بن الفضيل بن الربيع عن أبيه ولم يحفظ على الدعاء وبعضه عن غيره قال: حج أبو جعفر سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة وقال: ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به تعباً، قتلني الله إن لم أقتله، فتغافل عنه الربيع لينساه، ثم أعاد ذكره للربيع وقال: أرسل إليه من يأتي به متعباً فتشاغل عنه، ثم أرسل إلى الربيع برسالة قبيحة في جعفر وأمره أن يبعث إليه، ففعل، فلما أتاه قال له: يا أبا عبد الله اذكر الله فإنه قد أرسل إليك التي لا سوى لها، قال جعفر: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم أعلم أبا جعفر حضوره، فلما دخل أوعده وقال: أي عدو الله اتخذك أهل العراق إماماً يجيئون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتبغيه الفوائل؟ قتلني الله إن لم أقتلك، فقال: يا أمير المؤمنين إن سليمان عليه السلام أعطى فشكر، وإن أيوب ابتلى فصبر، وإن يوسف ظلم فغفر، وأنت من ذلك السنخ فقال له أبو جعفر: إلى وعندي، أبا عبد الله، البريء الساحة، السليم الناحية، القليل الغائلة، جزاك الله من ذي رحم أفضل ما جرى ذوى الأرحام عن أرحامهم.

ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه ثم قال: على بالمنجفة فأني بدهن فيه غالية فغلفه بيده حتى خلَّتْ لحيته قاطرة، ثم قال: في حفظ الله وفي كلاءته، ثم قال: يا ربيع الحق أبا عبد الله جائزته وكسوته، انصرف أبا عبد الله في حفظ الله وفي كنفه، فانصرف ولحقته فقلت له: إني قد رأيت قبل ذلك ما لم تره، ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت، فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت؟ قال: قلت: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكفني بركنك الذي لا يرام واغفر لي بقدرتك على لا أهلك وأنت رجائي، اللهم إنك أكبر وأجل ممن أخاف وأحذر، اللهم بك أدفع في نحره وأستعيز بك من شره.

وعن الليث بن سعد قال: حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فأتيت مكة فلما أن صليت العصر رقيت أبا قبيس فإذا أنا برجل جالس وهو يدعو فقال: يا رب يا رب حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا رباه، حتى انقطع نفسه، ثم قال يا رب، حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا رحيم، حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا أرحم الراحمين، حتى انقطع نفسه، سبع مرات، ثم قال: اللهم إني أشتي من هذا العنب فأطعمنيه، اللهم إن بردى قد أخلقا، قال الليث: فوالله ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنباً وليس على الأرض يومئذ عنب، وبردين موضوعين فأراد أن يأكل فقلت: أنا شريكك، فقال لى: تقدم وكل ولا تأخذ منه شيئاً، فتقدمت فأكلت شيئاً لم أكل مثله قط وإذا عنب لا عجم له فأكلت حتى شبع، والسلة بحالها، ثم قال لى: خذ أحب البردين إليك، فقلت له: أما البردان فأنا غنى عنهما، فقال لى: توار عنى حتى ألبسهما، فتواريت عنه فارتدى أحدهما وائتزر الآخر، ثم أخذ البردين اللذين كانا عليه فجعلهما على عاتقه فنزل فاتبعته حتى إذا كان بالمسعى لقيه رجل فقال: اكسنى كسائك الله يا بن رسول الله، فدفعهما إليه، فلحقت الرجل فقلت له من هذا؟ قال: جعفر، قال: ابن محمد، قال الليث: فطلبته لأسمع منه فلم أجده.

أسند جعفر بن محمد عن أبيه، وعن عطاء بن أبي رباح، وعكرمة فى آخرين.
وروى عنه من التابعين جماعة منهم: أيوب السخيتاني، ومن الأئمة مالك والثورى وشعبة فى آخرين.
وتوفى بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة، رحمه الله.

١٨٧- محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبى ذئب

عن محمد بن عمر قال: كان محمد بن عبد الرحمن يكنى أبا الحارث ولد فى سنة ثمانين عام الجحاف وكان من أروع الناس وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدرباً، وكان يصلى الليل أجمع.

وأخبرنى أخوه قال: كان يصوم يوماً ويفطر يوماً فوقع الرجفة بالشام فقدم رجل من أهل الشام فحدثه عن الرجفة وكان يوم إفطاره فقلت له: قم تغذى، قال: دعه اليوم، فسرده الصوم (١٨٧) هو: محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبى ذئب القرشى العامري، أبو الحارث المدنى، ثقة فقيه فاضل، من السابقة.

من ذلك اليوم إلى أن مات، وكان يتعشى بالخبز والزيت وله طيلسان وقميص يشتر فيه ويصيف ويحفظ حديثه كله.

ودخل على عبد الصمد بن علي وهو والي المدينة فكلّمه في شيء فقال له عبد الصمد: إني لأراك مرآيا فأخذ عودا أو شيئا من الأرض فقال: من أرائي؟ فوالله للناس عندي أهون من هذا.

وحجّ أبو جعفر فدعا ابن أبي ذئب فقال: نشدتك بالله أأست أعمل بالحق؟ أليس تراني أعدل؟ فقال ابن أبي ذئب: أما إذا نشدتني بالله فأقول: اللهم لا ما أراك تعدل، وإنك لجائر وإنك لتستعمل الظلمة وتدع أهل الخير.

قال محمد بن عمر: فحدثني محمد بن إبراهيم وإبراهيم بن يحيى وأخبرت عن عيسى بن علي، قالوا: فظننا أن أبا جعفر سيعالجه، فجعلنا نكف إلينا ثيابنا مخافة أن يصيبنا من دمه، فجنّ أبو جعفر واغتم وقال له: فم فاخرج.

ومات ابن أبي ذئب فدفن بالكوفة سنة تسع وخمسين ومائة وهو ابن تسع وسبعين. وعن أحمد بن علي الحافظ قال: سمع ابن أبي ذئب من عكرمة ونافع وسعيد المقبري وأبي الزناد ومحمد بن المنكدر والزهرى وغيرهم. وكان فقيها صالحا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أقدمه المهدي ببغداد فحدث بها ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة. وقال أحمد بن حنبل: كان ابن أبي ذئب يشبه بسعيد بن المسيب، قيل لأحمد: خلف مثله ببلاذه؟ قال: لا ولا بغيرها.

١٨٨- مصعب بن ثابت بن عبد الله

ابن الزبير أبو عبد الله القرشي

عن الزبير بكار قال: كان مصعب بن ثابت من أعبد أهل زمانه صام خمسين سنة. قال الزبير: وحدثني يحيى بن مسكين قال: ما رأيت أحدا قط أكثر ركوعا وسجودا من مصعب بن ثابت، كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة، ويصوم الدهر. قال محمد بن سعد: توفي مصعب بن ثابت سنة سبع وخمسين ومائة، رحمه الله.

(١٨٨) هو: مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، لين الحديث وكان عابداً، من السابقة.

«ومن الطبقة السادسة من أهل المدينة»

١٨٩- مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي

عن محمد بن عمر قال: سمعت مالك بن أنس يقول: قد يكون الحمل ثلاث سنين وقد حمل ببعض الناس ثلاث سنين، يعنى نفسه، قال: وسمعت غير واحد يقول: حمل بمالك ثلاث سنين.

وعن مطرف بن عبد الله قال: كان مالك بن أنس طويلاً عظيم الهامة أصلع أبيض الرأس واللحية، شديد البياض إلى الشقرة، ولباسه الثياب العدنية الجياد ويكره حلق الشارب، ويعيبه ويراه من المثل.

وعن أبي مصعب قال: سمعت مالك بن أنس يقول: ما أفتيت حتى شهد لى سبعون أنى أهل لذلك.

وعنه قال: ما أجبت فى الفتيا حتى سألت من هو أعلم منى: هل يرانى موضعاً لذلك؟ سألت ربيعة وسألت يحيى بن سعيد فأمرانى بذلك، فقلت: يا أبا عبد الله فلو نهوك؟ قال: كنت أنتهى، لا ينبغى للرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه.

وقال خلف: دخلت على مالك بن أنس فقال لى: انظر ما تحت مصلاى أو حصيرى، فنظرت فإذا بكتاب فقال: اقرأه فإذا فيه رؤيا رآها له بعض إخوانه، فقال: رأيت النبى ﷺ فى المنام فى مسجده وقد اجتمع الناس عليه فقال لهم: إنى قد خبأت لكم تحت منبرى طيباً أو علماً وأمرت مالكا أن يفرقه على الناس، فأنصرف الناس وهم يقولون إذاً ينفذ مالك ما أمره به رسول الله ﷺ ثم بكى فقمتم عنه.

وعن ابن أبى أويس قال: كان مالك إذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن فى الجلوس بوقار وهيبة ثم حدث، فقليل له فى ذلك، فقال: أحب أن أعظم حديث النبى ﷺ ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا، وكان يكره أن يحدث فى الطريق وهو قائم أو مستعجل، فقال: أحب أن يفهم ما أحدث به عن رسول الله ﷺ.

(١٨٩) هو: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عبد الله، المدنى الفقيه، إمام دار الهجرة، رأس المتقنين وكبير المثبتين، حتى قال البخارى: أصح الأسانيد: مالك عن نافع عن ابن عمر، من السابقة.

إبراهيم بن المنذر قال: سمعت معن بن عيسى يقول: كان مالك بن أنس إذا أراد أن يحدث بحديث رسول الله ﷺ اغتسل وتبخر وتطيب، وإذا رفع أحد صوته عنده قال: اغضض من صوتك فإن الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات: ٢) فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكانما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ.

وعن عبد الله بن وهب قال: سمعت مالك بن أنس يقول: ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يضعه الله في القلب.

وعنه: قيل لمالك بن أنس: ما تقول في طلب العلم؟ قال: حسن جميل، ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمشي فالزمه.

وعن ابن مهدي قال: سأل رجل مالكا عن مسألة فقال: لا أحسنها، فقال الرجل: إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها، فقال له مالك: فإذا رجعت إلى مكانك وموضعك فأخبرهم أنني قلت لك: لا أحسنها.

وعن حنبل بن إسحاق قال: سألت أبا عبد الله عن مالك فقال: مالك سيد من سادات أهل العلم، وهو إمام في العلم والفقه، ثم قال: ومن مثل مالك متبع لآثار من تقدم مع عقل وأدب؟

مسانيد مالك أشهر من أن تذكر وهو النجم الثاقب في أهل النقل.

وعن ابن أبي أويس قال: اشتكى مالك بن أنس أياما يسيرة فسألت بعض أهلنا عما قال عند الموت فقال: تشهد، ثم قال: لله الأمر من قبل ومن بعد.

وتوفي صبيحة أربع عشرة من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة في خلافة هارون ودفن بالبقيع وهو ابن خمس وثمانين سنة، فذكرت ذلك لمصعب الزبيري فقال: مات في صفر، رحمه الله.

«ومن الطبقة السابعة من أهل المدينة»

١٩٠- عبد الله بن عبد العزيز العمرى ويكنى أبا عبد الرحمن

عن عبد الله بن خبيق قال: تعبد عبد الله العمرى وسكن المقابر، وكان لا يرى إلا وفي يده كتاب يقرؤه، وترك مجالسة الناس فسئل عن فعله فقال: لم أر أوعظ من قبر، ولا آنس من كتاب، ولا أسلم من الوحدة، فقيل له: قد جاء فى الوحدة ما جاء، قال: لا تفسد إلا جاهلاً. وعن الفضل بن غسان عن أبيه قال: رأى العمرى رجلاً من آل على يمشى يخطر، فأسرع إليه فأخذ بيده فقال: يا هذا إن الذى أكرمك الله به لم تكن هذه مشيته، قال: فتركها الرجل بعد.

عن أبى المنذر إسماعيل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الرحمن العمرى يقول: إن من غفلتك عن نفسك إعراضك عن الله بأن ترى ما يسخطه فتجاوزوه، ولا تأمر ولا تنهى خوفاً ممن لا يملك ضراً ولا نفعاً.

وقال سمعته يقول: من ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من مخافة المخلوقين نزعت منه هبة الله تعالى فلو أمر بعض ولده أو بعض مواليه لاستخف به. وعن أبى قدامة السرخسى قال: قام العمرى للخليفة على الطريق فقال له: فعلت وفعلت، فقال له: ماذا تريد؟ قال: تعمل بكذا وتعمل بكذا، فقال له هارون: نعم يا عم، نعم يا عم.

وعن سعيد بن سلمان قال: كنت بمكة فى زقاق الشطوى وإلى جنبى عبد الله بن عبد العزيز العمرى وقد حج هارون الرشيد فقال له إنسان: يا أبا عبد الرحمن هو ذا أمير المؤمنين يسعى قد أخلى له المسعى، قال العمرى للرجل: لا جزاك الله عنى خيراً، كلفتنى أمراً كنت عنه غنياً، ثم تعلق نعليه وقام، فتبعته وأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا فصاح به: يا هارون، فلما نظر إليه قال: لبيك يا عم، قال: ارق الصفا، فلما رقيه قال: ارم بطرفك إلى البيت، قال: قد فعلت، قال: كم هم؟ قال: ومن يحصيهم؟ قال: فكم فى الناس مثلهم؟ قال: خلق لا يحصيهم إلا الله، قال: اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة (١٩٠) هو: عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العمرى، الزاهد، ثقة، من السابقة.

نفسه وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون؟ قال: فبكى هارون وجلس وجعلوا يعطونه منديلا منديلا للدموع.

قال العمرى: وأخرى أقولها، قال: قل يا عم، قال: والله إن الرجل ليسرف فى ماله فيستحق الحجر عليه، فكيف بمن يسرف فى مال المسلمين؟ ثم مضى وهارون يبكى.

قال محمد بن خلف: سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول: يلغنى أن هارون الرشيد قال: إني لأحب أن أحج كل سنة ما يمنعنى إلا رجل من ولد عمر ثم يسمعى ما أكره.

وقد روى لنا من طريق آخر أنه لقيه فى المسعى فأخذ بلجام دابته فأهوت إليه الأجناد فكفهم عنه الرشيد فكلمه فإذا دموع الرشيد تسيل على معرفة دابته، ثم انصرف وأنه لقيه مرة فقال: يا هارون فعلت وفعلت، فجعل يسمع منه ويقول: مقبول منك يا عم، على الرأس والعين، فقال: يا أمير المؤمنين من حال الناس كيت وكيت، فقال: عن غير علمى وأمرى، وخرج العمرى إلى الرشيد مرة ليعظه فلما نزل الكوفة زحف العسكر حتى لو كان نزل بهم مائة ألف من العدو ما زادوا على هيئته، ثم رجع ولم يصل إليه.

وعن أبى يحيى الزهرى قال: قال عبد الله بن عبد العزيز العمرى عند موته: بنعمة ربى أحدث أنى لم أصبح أملك إلا سبعة دراهم من لحاء شجر فتلته بيدي، وبنعمة ربى أحدث: لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمى ما يمنعنى أخذها إلا أن أزيل قدمى عنها، ما أزلتها.

وعن أبى إسماعيل المؤدب قال: جاء رجل إلى العمرى فقال: عظمى، قال: فأخذ حصاة من الأرض فقال: زنة هذه من الورع يدخل قلبك خير لك من صلاة أهل الأرض، قال: زدنى قال: كما تحب أن يكون الله عز وجل لك غدا فكن له اليوم.

أسند العمرى الحديث وأدرك من التابعين أبا طوالة وروى عن أبيه وعن إبراهيم بن سعد. وتوفى بالمدينة سنة أربع وثمانين ومائة وهو ابن ست وستين سنة.

١٩١- موسى بن جعفر بن محمد بن على

ابن الحسين بن على أبو الحسن الهاشمى عليهم السلام. كان يدعى العبد الصالح لأجل عبادته واجتهاده وقيامه بالليل، وكان كريما حلما إذا بلغه عن رجل أنه يؤذيه بعث إليه بمال.

(١٩١) هو: موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على، أبو الحسن الهاشمى، المعروف بالكاظم، صدوق عابد، من السابقة.

عن الفضل بن الربيع عن أبيه أنه لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى المهدي في النوم على بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول: يا محمد ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (محمد: ٢٢).

قال الربيع: فأرسل إلى ليلا فراعني ذلك فجئته فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتا فقال: على بموسى بن جعفر، فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال: يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين على بن أبي طالب في النوم يقرأ على كذا فتؤمنني أن تخرج على أو على أحد من ولدي، فقال: والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني، قال: صدقت، يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى أهله إلى المدينة.

قال الربيع: فأحكمت أمره ليلا فما أصبح إلا وهو في الطريق خوف العوائق. وعن شقيق بن إبراهيم البلخي قال: خرجت حاجا في سنة تسع وأربعين ومائتين فنزلت القادسية فبينا أنا أنظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة يعلو فوق ثيابه ثوب من صوف، مشتمل بشملة، في رجله نعلان وقد جلس منفردا فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلا على الناس في طريقهم، والله لأمضين إليه ولا وبخنه، فذنوت منه فلما رآني مقبلا قال: يا شقيق ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: ١٢) ثم تركني ومضى، فقلت في نفسي: إن هذا الأمر عظيم قد تكلم على ما في نفسي ونطق باسمي وما هذا إلا عبد صالح لألحقه ولأسأله أن يحالني، فأسرعت في أثره فلم ألحقه وغاب عن عيني فلما نزلنا واقصة إذا به يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري فقلت: هذا صاحبي أمضى إليّ وأستحله فصبرت حتى جلس وأقبلت نحوه، فلما رآني مقبلا قال: يا شقيق اتل: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (طه: ٨٢) ثم تركني ومضى فقلت: إن هذا الفتى لمن الأبدال وقد تكلم على سري مرتين فلما نزلنا رمالا إذا بالفتى قائم على البئر ويده ركوة يريد أن يستقي ماء فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر إليه فرثيت قد رمق السماء وسمعته يقول:

أنت ربي إذا ظمئت من الماء وقوتى إذا أردت الطعام

اللهم سيدى ما لى سواها فلا تعدمنها، قال شقيق: فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فمد يده فأخذ الركوة وملاها ماء وتوضأ وصلى أربع ركعات، ثم مال إلى كتيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويحركه ويشرب، فأقبلت إليه وسلمت عليه فرد على السلام،

فقلت: أطعمنى من فضل ما أنعم الله به عليك، فقال: يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك، ثم ناولنى الركوة فشربت منها فإذا سويق وسكر فوالله ما شربت قط ألد منه ولا أطيب ريحا منه، فشبت ورويت، فأقمت أياما لا أشتهى طعاما ولا شرابا، ثم لم أره حتى دخلنا مكة فرأيت ليلة إلى جنب قبة الشراب فى نصف الليل يصلى بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل، فلما رأى الفجر جلس فى مصلاه يسبح الله، ثم قام فصلى الغداة وطاف بالبيت أسبوعا وخرج فتبعته فإذا له حاشية وأموال وهو على خلاف ما رأيته فى الطريق ودار به الناس من حوله يسلمون عليه، فقلت لبعض من رأيته يقرب منه: من هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رحمهم الله فقلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد.

وعن أحمد بن إسماعيل قال: بعث موسى بن جعفر إلى الرشيد من الحبس رسالة كانت: إنه لن ينقضى عنى يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء حتى نقضى جميعا إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبتلون.

ولد موسى بن جعفر عليه السلام بالمدينة فى سنة ثمان وعشرين، وقيل: تسع وعشرين ومائة وأقدمه المهدي بغداد ثم رده إلى المدينة فأقام بها إلى أيام الرشيد فقدم الرشيد المدينة فحمله معه وحبسه بغداد إلى أن توفى بها لخمس بقين من رجب فى سنة ثلاث وثمانين ومائة.

آخر المصطفين من المدنيين المعروفين

ذكر المصطفين من عبّاد المدينة

الذين لم تعرف أسماؤهم

١٩٢- عابد من رعاة المدينة

عبد العزيز قال: قال نافع: خرجت مع ابن عمر فى بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له فوضعوا سفرة فمر بهم راع فقال له عبد الله: هلم يا راعى فأصب من هذه السفرة، فقال: إني صائم، فقال له عبد الله: فى مثل هذا اليوم الشديد حره وأنت فى هذه الشعاب فى آثار هذه الغنم وبين الجبال ترعى هذه الغنم وأنت صائم؟ فقال الراعى: أبادر أيامى الخالية، فعجب ابن عمر وقال: هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك نجترها ونطعمك من لحمها ما تقطّر عليه ونعطيك ثمنها؟ قال: إنها ليست لى، إنها لمولاي، قال: فما عسيت أن يقول لك مولاك إن قلت أكلها الذئب؟ فمضى الراعى وهو رافع إصبه إلى السماء وهو يقول: فأين الله؟ قال: فلم يزل ابن عمر يقول: قال الرعى: فأين الله؟ فما عدا أن قدم المدينة فبعث إلى سيده فاشترى منه الراعى والغنم فأعتق الراعى ووهب له الغنم، رحمه الله.

١٩٣- عابد آخر

ابن يزيد بن أسلم قال: قال محمد بن المنكدر: إني لليلة مواجهة هذا المنبر جوف الليل أدعو إذا أنا بإنسان عند أسطوانة مقنع رأسه فأسمعه يقول: أى رب إن القحط قد اشتد على عبادك وإني مقسم عليك يا رب إلا سقيتهم، قال: فما كان إلا ساعة إذا سحابة قد أقبلت ثم أرسلها الله عز وجل وكان عزيزا على ابن المنكدر أن يخفى عليه أحد من أهل الخير فقال: هذا بالمدينة ولا أعرفه؟ فلما سلم الإمام تقنع وانصرف وأتبعه ولم يجلس للقاص حتى أتى دار أنس فدخل موضعا فأخرج مفتاحا ففتح ثم دخل، قال: فرجعت فلما أصبحت أتيت فإذا أنا أسمع نجرا فى بيته فسلمت وقلت: أدخل؟ قال: ادخل، فإذا هو ينجر أقداحا يعملها، فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: فاستشهرها وأعظمها منى فلما رأيت ذلك قلت: أخى سمعت أقسامك البارحة على الله - عز وجل - يا أخى هل لك فى نفقة تغنيك عن هذا وتفرغك لما تريد من الآخرة؟ قال: لا ولكن غير ذلك، لا تذكرنى لأحد ولا تذكر هذا لأحد حتى أموت ولا تأتيني يا بن المنكدر فإنك إن تأتني تشهرنى للناس، فقلت إني أحب أن

ألقاك، قال: القنى فى المسجد، وكان فارسياً، قال: فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحد حتى مات الرجل.

قال ابن وهب: بلغنى أنه انتقل من تلك الدار فلم يُرَ ولم يدر أين ذهب؟ فقال أهل تلك الدار: الله بيننا وبين ابن المنكدر أخرج عنا الرجل الصالح.

١٩٤- عابد آخر

عن محمد بن المنكدر قال: كانت لى سارية فى مسجد رسول الله ﷺ أجلس أصلى إليها بالليل فمحط أهل المدينة سنة فخرجوا يستسقون فلم يسقوا فلما كان من الليل صليت عشاء الآخرة فى مسجد رسول الله ﷺ ثم جئت فتساندت إلى ساريتى فجاء رجل أسود تعلوه صفرة متزر بكساء وعلى رقبته كساء أصغر منه، فتقدم إلى السارية التى بين يدى وكنت خلفه، فقام فصلى ركعتين ثم جلس فقال: أى رب خرج أهل حرم نبيك يستسقون فلم تسقهم فأنا أقسم عليك لما سقيتهم.

قال ابن المنكدر: فقلت: مجنون، قال: فما وضع يده حتى سمعت الرعد ثم جاء السماء بشيء من المطر أهمنى الرجوع إلى أهلى فلما سمع المطر حمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها قط، قال: ثم قال: ومن أنا وما أنا حيث استجبت لى، ولكنى عذت بحمدك وعذت بطولك، ثم قام فتوشح بكسائه الذى كان متزرا به وألقى الكساء الآخر الذى كان على ظهره فى رجله، ثم قام فلم يزل قائماً يصلى حتى إذا أحسن الصبح سجد وأوتر وصلى ركعتى الصبح ثم أقيمت صلاة الصبح فدخل فى الصلاة مع الناس ودخلت معه فلما سلم الإمام قام فخرج وخرجت خلفه حتى انتهى إلى باب المسجد فخرج يرفع ثوبه ويخوض الماء فخرجت خلفه رافعا ثوبى أخوض الماء فلم أدر أين ذهب.

فلما كانت الليلة الثانية صليت العشاء فى مسجد رسول الله ﷺ ثم جئت إلى ساريتى فتوسدت إليها وجاء فقام فتوشح بكسائه وألقى الكساء الآخر الذى كان على ظهره فى رجله وقام يصلى، فلم يزل قائماً حتى إذا خشى الصبح سجد ثم أوتر ثم صلى ركعتى الفجر وأقيمت الصلاة فدخل مع الناس فى الصلاة ودخلت معه، فلما سلم الإمام خرج من المسجد وخرجت خلفه فجعل يمشى وأتبعه حتى دخل داراً قد عرفتها من دور المدينة ورجعت إلى المسجد.

فلما طلعت الشمس وصليت خرجت حتى أتيت الدار فإذا أنا به قاعد يخرز وإذا هو

إسكاف، فلما رأى عرفنى وقال: أبا عبد الله مرحبا، ألك حاجة، تريد أن أعمل لك خفا؟ فجلست فقلت: أأست صاحبى بارحة الأولى؟ فاسود وجهه وصاح بى وقال: ابن المنكدر ما أنت وذاك؟ قال: وغضب، قال: ففرقت والله منه وقلت: اخرج من عنده الآن.

فلما كان فى الليلة الثالثة صليت العشاء الآخرة فى مسجد رسول الله ﷺ ثم أتيت ساريتى فتساندت إليها فلم يجىء، قال: قلت: إنا لله ما صنعت؟ فلما أصبحت جلست فى المسجد حتى طلعت الشمس ثم خرجت حتى أتيت الدار التى كان فيها فإذا باب البيت مفتوح وإذا ليس فى البيت شىء: فقال لى أهل الدار: يا أبا عبد الله ما كان بينك وبين هذا أمس؟ قلت: ما له؟ قالوا: لما خرجت من عنده أمس بسط كساءه فى وسط البيت ثم لم يدع فى بيته جلدا ولا قالبا إلا وضعه فى كسائه ثم حمله ثم خرج فلم ندر أين ذهب؟.

قال محمد بن المنكدر فما تركت بالمدينة دارا أعلمها إلا طلبته فيها فلم أجده رحمه الله.

١٩٥- عابد آخر

عن محمد بن المنكدر قال: جئت إلى المسجد فإذا أنا برجل عند المنبر يدعو بالمطر فجاء المطر بصوت ورعد فقال: يا رب ليس هكذا، قال: فمطرت، قال: فتبعته حتى دخل دار آل حزم أو دار آل عمر فعرفت مكانه فجئته من الغد فعرضت عليه شيئا فأبى وقال: لا حاجة لى بهذا، فقلت: حج معى، فقال: هذا شىء لك فيه أجر فأكره أن أنفس عليك فأما شىء أخذه فلا.

١٩٦- عابد آخر

عن محمد بن سويد أن أهل المدينة قحطوا وكان فيها رجل صالح لازما لمسجد النبى ﷺ فبينما هم فى دعائهم إذا أنا برجل عليه طمران خلقتان فصلى ركعتين أوجز فيهما ثم بسط يديه إلى الله تعالى، فقال: يا رب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة، فلم يرد يده ولم يقطع دعاءه حتى تغشت بالغيوم ومطروا حتى صاح أهل المدينة: الغرق، فقال: يا رب إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم، فسكن، وتبع الرجل صاحب المطر حتى عرف موضعه ثم بكر عليه فنادى: يا أهل البيت! فخرج الرجل فقال: قد أتيتك فى حاجة، قال: وما هى؟ قال: تخصنى بدعوة فقال: سبحان الله أنت أنت وتسالنى أن أخصك بدعوة؟ ما الذى بلغك ما رأيت عني؟ فأخبره، فقال: ورأيتنى؟ قال: نعم، قال: أطعت الله فيما أمرنى ونهانى، وسألته فأعطانى.

١٩٧- عابد علوى من أهل المدينة

عن أبى عامر الواعظ قال: بينا أنا جالس فى مسجد رسول الله ﷺ إذ جاءنى غلام أسود برقعة فقرأتها فإذا فيها مكتوب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، متعك الله بمسامرة الفكرة، ونعمك بمؤانسة العبرة، وأفردك بحب الخلوة: يا أبا عامر أنا رجل من إخوانك بلغنى قدومك المدينة فسررت بذلك وأحببت زيارتك وبى من الشوق إلى مجالستك والاستماع إلى محادثتك ما لو كان فوقى لأظلى، ولو كان تحتى لأقلنى فسألتك بالذى حباك بالبلاغة لما ألحفتنى جناح التوصل بزيارتك والسلام.

قال أبو عامر: فقممت مع الرسول حتى أتى بى إلى قباء فأدخلنى منزلا رحبا خربا فقال لى: قف هاهنا حتى أستأذن لك: فوقفت فخرج فقال لى: لج، فدخلت عليه فإذا بيت مفرد فى الخربة له باب من جريد النخل، وإذا بكهل قاعد مستقبل القبلة تخاله من الوله مكروبا ومن الخشية محزوبا قد ظهرت فى وجهه أحزانه وذهبت من البكاء عيناه ومرضت أجفانه فسلمت عليه فرد على السلام ثم تحلل فإذا هو أعمى أعرج مسقام، فقال لى: يا أبا عامر غسل الله من ران الذنوب قلبك لم يزل قلبى إليك تواقا وإلى استماع الموعظة منك مشتاقا، وبى جرح نغل قد أعيا الواعظين دواؤه وأعجز المتطبيين شفاؤه وقد وصف لى: نفع مراهمك للجراح والألم فلا تأل يرحمك الله فى إيقاع الترياق وإن كان مر المذاق فإنى ممن يصبر على ألم الدواء رجاء الشفاء.

قال أبو عامر: فنظرت إلى منظر بهرنى وسمعت كلاما قطعنى فأفكرت طويلا ثم تأتى لى من كلامى ما تأتى وسهل من صعوبته ما منه رق لى، فقلت: يا شيخ ارم ببصر قلبك فى ملكوت السماء وأجل سمع معرفتك فى سكان الأرجاء فتنتقل بحقيقة إيمانك إلى جنة المأوى فترى ما أعد الله فيها للأولياء، ثم تشرف على نار لظى فترى ما أعد الله للأشقياء، فستان ما بين الدارين، أليس الفريقان فى الأموات سواء؟

قال أبو عامر: فأنه وصاح صيحة وزفر والتوى وقال: الله يا أبا عامر وقع دواؤك على دائى وأرجو أن يكون عندك شفائى، زدنى يرحمك الله، قال: فقلت له: يا شيخ، الله عالم بسريرتك مطلع على حقيقتك شاهدا فى خلوتك، بعينه كنت عند استتارك من خلقه ومبارزته، قال: فصاح صيحة كصيحته الأولى ثم قال: من لفقرى؟ من لفاقتى؟ من لذنبى؟ من لخطيئتى؟ أنت لى يا مولاي وإليك منقلبى، ثم خر ميتا، رحمه الله.

قال أبو عامر: فأسقط في يدي وقلت: ماذا جنيت على نفسي؟ إذ خرجت علىّ جارية عليها مدرعة من صوف وخمار من صوف قد ذهب السجود بجبهتها وأنفها واصفر لظول القيام لونها وتورمت قدمها، فقالت: أحسنت والله يا حادي قلوب العارفين ومثير أشجان غليل المحزونين لا نسي لك هذا المقام رب العالمين، يا أبا عامر هذا الشيخ والدى مبتلى بالسقم منذ عشر سنين صلى حتى أقعد وبكى حتى عمت وكان يتمناك على الله ويقول حضرت مجلس أبى عامر البناني فأحيا موات فكرى وطرد وسن نومي وإن سمعته ثانيا قتلنى فجزاك الله من واعظ ومتعك من حكمتك بما أعطاك.

ثم أكبت على أبيها تقبل عينيه وتبكي وتقول: يا أبى يا أبتاه، يا من أعماه البكاء على ذنبه، يا أبى يا أبتاه يا من قتله ذكر وعيد ربه، ثم علا البكاء والنحيب والاستغفار والدعاء وجعلت تقول: يا أبى يا أبتاه يا حليف الحرقه والبكاء، يا أبى يا أبتاه يا جليس الابتهال والدعاء، يا أبى يا أبتاه يا صريع المذكرين والخطباء، يا أبى يا أبتاه يا قتيل الوعاظ والحكماء.

قال أبو عامر: فأجبتها وقلت: أيها الباكية الحيرى النادبة الثكلى إن أباك نحبه قد قضى وورد دار الجزاء وعاین كل ما عمل، وعليه يحصى فى كتاب عند ربى لا يفضل ربى ولا ينسى، فمحسن فله الزلفى، أو مسيء فوارد دار من أساء.

فصاحت الجارية كصيحة أبيها وجعلت ترشح عرقا وخرجت مبادرا إلى مسجد المصطفى محمد ﷺ وفزعت إلى الصلاة والدعاء والاستغفار والتضرع والبكاء حتى كان عند العصر فجاءنى الغلام الأسود فأذننى بجنائزتهما فقلت: أحضر الصلاة عليهما ودفنهما، فحضرت وسألت عنهما فقبل لى: من ولد الحسين بن على بن أبى طالب.

قال أبو عامر: فما زلت جزعا مما جنيت حتى رأيتهما فى المنام عليهما حلتان خضراوان، فقلت: مرحبا بكما وأهلا، فما زلت حذرا مما وعظتكما به، فماذا صنع الله بكما؟ فقال الشيخ:

| | |
|------------------------|------------------------|
| أنت شريكى فى الذى نلته | مستاهلا ذاك أبا عامر |
| وكل من أيقظ ذا غفلة | نصف ما يعطاه للأمر |
| من رد عبدا أبقا مذنبا | كان كمن قد راقب القاهر |
| واجتمع فى دار عدن وفى | جوار رب سيد غافر |

١٩٨- عابد آخر

عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير - وكان مصعب يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة ويصوم الدهر - قال: بت ليلة فى المسجد بعدما خرج الناس منه، فإذا برجل قد جاء إلى بيت النبى ﷺ فأسند ظهره إلى الجدار فقال: اللهم إنك تعلم أنى كنت أمسى صائما ثم أمسيت فلم أفطر على شىء اللهم فإنى أمسيت أشتى الثريد فأطعمنيه من عندك، قال: فنظرت إلى وصيف داخل من خوخة المنارة ليس فى خلقة وصفاء الناس، ومعه قصعة فأهوى بها الرجل فوضعها بين يديه وجعل الرجل يأكل، وحصبني فقال: هلم، فجئته وطننت أنها من الجنة فأحببت أن أكل منها فأكلت منها لقمة فأكلت طعاما لا يشبه طعام أهل الدنيا ثم احتشمت ففقت فرجعت للمجلس فلما فرغ من أكله أخذ الوصيف القصعة ثم أهوى راجعا من حيث جاء وقام الرجل منصرفا فتبعته لأعرفه فلا أدري أين سلك؟ فظننته الخضر عليه السلام.

ومن عقلاء المجانين بالمدينة:

١٩٩- أبو نصر المصاب

عن محمد بن إسماعيل بن أبى فديك قال: كان عندنا رجل مجنون يكنى أبا نصر من جهينة ذاهب العقل فى غير ما الناس فيه، لا يتكلم حتى يكلم وكان يجلس مع أهل الصفة فى آخر مسجد الرسول ﷺ، وكان إذا سئل عن شىء أجاب فيه جوابا حسنا معجبا. فأتيته يوما وهو فى آخر المسجد مع أهل الصفة منكسا رأسه واضعا جبهته بين ركبتيه فجلست إلى جنبه فحركته فانتبه فزعا فأعطيته شيئا كان معى، فأخذه وقال قد صادف منا حاجة، فقلت له: يا أبا نصر ما الشرف؟ قال: حمل ما ناب العشيرة أدناها وأقصاها، والقبول من محسنها والتجاوز عن مسيئها.

قلت له: فما المروءة؟ قال: إطعام الطعام، وإفشاء السلام وتوقى الأذناس. قلت له: فما السخاء؟ قال: جهل مقل، قلت له: فما البخل؟ قال: أف وحول وجهه عنى فقلت: تجيبنى، قال: قد أجبتك.

قال: وقدم علينا هارون فأخلى له المسجد فوقف على قبر رسول الله ﷺ وعلى منبره وفى موقف جبريل عليه السلام واعتنق أسطوانة التوبة ثم قال: قفوا بى على أصحاب الصفة، فلما أتاهم حرك أبو نصر وقيل هذا أمير المؤمنين فرفع رأسه وقال: أيها الرجل إنه ليس بين عباد الله وأمة نبيه ﷺ ورعيتك وبين الله خلق غيرك، وإن الله سائلك عنهم فأعد للمسألة

جواباً، وقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لو ضاعت سحلة على شاطئ الفرات لخاف عمر أن يسأله الله عنها.

فبكى هارون وقال: يا أبا نصر إن رعيتي ودهري على غير رعية عمر ودهره، فقال له: هذا والله غير مغن فانظر لنفسك فإنك وعمر تسألان عما خولكما الله.

فدعا هارون بصرة فيها ثلاث مائة دينار وقال: ادفعوها إلى أبي نصر، فقال أبو نصر: ما أنا إلا رجل من أهل الصفة فادفعوها إلى فلان يفرقها عليهم ويجعلني رجلاً منهم.

وكان أبو نصر يخرج في كل يوم جمعة، صلاة الغداة، فيدخل السوق مما يلي الثنية فلا يزال يقف على مربعة مربعة ويقول: أيها الناس ﴿اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ (البقرة: ١٢٣) إن العبد إذا مات صحبه أهله وماله وعمله، فإذا أوضع في قبره رجع أهله وماله وبقي عمله، فاختاروا لأنفسكم ما يؤنسكم في قبوركم - رحمكم الله - ثم لا يزال كذلك مربعة مربعة حتى يأتي مصلى رسول الله ﷺ ثم يمضي إلى الجمعة فلا يخرج من المسجد حتى يصلى العشاء الأخيرة - رحمه الله -.

ذكر المصطفیات من عابدات المدينة

٢٠٠- فمن المعروفات (ملیكة بنت المنكدر)

عن موسى بن عبد الملك أبو عبد الرحمن المروزی قال: قال مالك بن دينار: بینا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بامرأة جهیرة فی الحجر وهی تقول: أتيتك من شقة بعيدة مؤملة لمعروفك فأتلنی معروفًا من معروفك تغنیني به عن معروف من سواك، یا معروفًا یا لمعروف، فعرفت أيوب السخيتاني، فسألنا عن منزلها وقصدناها وسلمنا عليها فقال لها أيوب: قولي خيرا یرحمك الله قالت: وما أقول أشكو إلى الله قلبی وهواي فقد أضرا بی وشغلانی عن عبادة ربی، قوما فإني أبادر طی صحيفتی.

قال أيوب: فما حدثت نفسی بامرأة قبلها فقلت لها: لو تزوجت رجلا كان يعینك على ما أنت عليه، قالت: لو كان مالك بن دينار أو أيوب السخيتاني ما أردته، فقلت: أنا مالك بن دينار، وهذا أيوب السخيتاني، فقالت: أف لقد ظننت أنه يشغلكما ذكر الله عن محادثة النساء، وأقبلت على صلاتها فسألنا عنها فقالوا: هذه ملیكة بنت المنكدر.

وعن أبي خالد البراد قال: كلمنا ابنة المنكدر فی تخفيف بعض العبادة فقالت: دعوني أبادر طی صحيفتی - رحمها الله -.

٢٠١- فاطمة بنت محمد بن المنكدر

عن إبراهيم بن مسلم القرشي قال: كانت فاطمة بنت محمد بن المنكدر تكون نهارها صائمة فإذا جنبها الليل تنادی بصوت حزين: هدا الليل واختلط الظلام وأوى كل حبيب إلى حبيبه وخلوتي بك أيها المحبوب أن تعتقني من النار، رحمها الله.

ومن المجهولات الأسماء:

٢٠٢- امرأة كانت فی زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم - قال: بینا أنا مع عمر بن الخطاب وهو يعس المدينة إذ عيا واثكأ على جانب جدار فی جوف الليل وإذا امرأة تقول لابنتها: یا ابنتی قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء، فقالت لها: یا أمتاه وما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عزمته یا بنية؟ قالت: إنه أمر مناديا فنادی ألا يشاب

اللبن بالماء، فقالت لها: يا بنية قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادى عمر، فقالت الصبية لأُمها: يا أمتاه ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلاء. وعمر يسمع كل ذلك فقال: يا أسلم علّم الباب واعرف الموضع، ثم مضى فى عسسه حتى أصبح فلما أصبح قال: يا أسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها؟ وهل لهم من بعل؟ فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيم لا بعل لها وإذا تيك أُمها وإذا ليس لهم رجل.

فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته فدعا عمر ولده فجمعهم فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه، ولو كان بأييكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه المرأة، فقال عبد الله: لى زوجة، وقال عبد الرحمن: لى زوجة، وقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لى فزوجنى، فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم فولدت لعاصم بنتا وولدت البنت بنتا وولدت الابنة عمر ابن عبد العزيز.

قال الشيخ: كذا وقع فى رواية الآجرى وهو غلط ولا أدرى من أى الرواة، وإنما الصواب: فولدت لعاصم بنتا وولدت البنت عمر بن عبد العزيز، كذلك نسبه العلماء.

٢٠٣- عابدة أخرى

عن عبد الله بن المبارك أن امرأة قالت لعائشة: اكشفى لى عن قبر النبى ﷺ، فكشفت لها عنه فبكت حتى مات.

٢٠٤- عابدة أخرى

عن إبراهيم بن عبد الله المدينى قال: حدثنى أصحابنا أن امرأة كانت بالمدينة ترهق فدخلت المقابر ذات يوم فإذا هى بجمجمة قد بدت، فوالله ما عاودتنى تلك الوسوسة بعد تلك الليلة.

قال: فصرخت، ثم رجعت منيبة، فدخل عليها نساؤها فقلن: ما هذا؟ فقلت.

بكى قلبى لذكر الموت لما رأيت جماجا جوف القبور

ثم قالت: اخرجن عنى فلا تأتينى منكن امرأة ترغب فى خدمة الله تعالى.

ثم أقبلت على العبادة حتى ماتت على ذلك.

٢٠٥- عابدة أخرى

عن أبي أيوب رجل من قريش، أن امرأة من أهله كانت تجتهد في العبادة وتديم الصيام وتطيل القيام فاتاها الملعون فقال: إلى كم تعذبين هذا الجسم وهذه الروح؟ لو أفطرت وقصرت عن الصيام والقيام كان أدوم لك وأقوى.

قالت: فلم يزل يوسوس لى حتى هممت والله بالتقصير.

قالت: ثم دخلت مسجد رسول الله ﷺ معتصمة بقبْره وذلك بين المغرب والعشاء فحمدت الله وصليت على رسوله ثم ذكرت ما نزل بى من وسواس الشيطان واستغفرت وجعلت أدعو الله أن يصرف عني كيده ووساوسه، قالت: فسمعت صوتاً من ناحية القبر يقول: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر: ٦) قالت: فرجعت مذعورة وجلة القلب فوالله ما عاودتنى تلك الوسوسة بعد تلك الليلة.

٢٠٦- عابدتان مدينتان

بلغنا عن عبد الله ابن أخت مسلم بن سعد أنه قال: أردت الحج فدفعت إلى خالى مسلم عشرة آلاف درهم وقال لى: إذا قدمت المدينة فانظر أفقر أهل بيت بالمدينة فأعطيهم إياها، فلما دخلت سألت عن أفقر أهل بيت بالمدينة فدللت على أهل بيت فطرقت الباب فأجابتنى امرأة: من أنت؟ فقلت: أنا رجل من أهل بغداد أودعت عشرة آلاف وأمرت أن أسلمها إلى أفقر أهل بيت بالمدينة وقد وصفهم لى فخذوها، فقالت: يا عبد الله إن صاحبك اشترط أفقر أهل بيت وهؤلاء الذين بإزائنا أفقر منا فتركهم وأتيت أولئك، فطرقت الباب فأجابتنى امرأة فقلت لها: مثل الذى قلت لتلك المرأة فقالت: يا عبد الله نحن وجيراننا فى الفقر سواء فاقسمها بينهما وبينهم.

انتهى ذكر أهل المدينة

ذكر المصطفين من طبقات أهل مكة من التابعين ومن بعدهم

فمن الطبقة الأولى:

٢٠٧- عبيد بن عمير بن قتادة الليثي

يكنى أبا عاصم

عن مجاهد قال: كنا نفتخر بفتيها وقاضينا: فأما فتيها فابن عباس وأما قاضينا فعبيد بن عمير.

وعنه عن عبيد بن عمير قال: إن أعظمكم هذا الليل أن تكابدوه، وبخلتم بالمال أن تنفقوه، وجبتم عن العدو أن تقاتلوه فأكثرُوا من ذكر الله عز وجل.

وعنه عن عبيد بن عمير قال: ما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيما مضى.

وعن قيس بن سعد عن عبيد بن عمير قال: إن أهل ليتلقون الميت يتلقى الراكب يسألونه فإذا سألوه ما فعل فلان؟ فمن كان قد مات يقول: ألم يأتكم؟ فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب به إلى أمه الهاوية.

أسند عبيد بن عمير عن: أبي بن كعب وأبي ذر وأبي قتادة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وأبي هريرة وابن عباس وعائشة في جماعة من الصحابة.

وروى عنه من كبار التابعين: مجاهد وعطاء وأبو حازم في آخرين، رحمه الله.

(٢٠٧) هو: عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، أبو عاصم المكي، ولد على عهد النبي ﷺ، قاله مسلم، وعده غيره في كبار التابعين. كان قاص أهل مكة، مجمع على ثقته، مات قبل ابن عمر.

ومن الطبقة الثانية:

٢٠٨- مجاهد بن جبير يكنى أبا الحجاج

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: هو مولى عبد الله بن السائب بن أبي السائب المخزومي ويقال: مولى زيد بن الحارث المخزومي.

عن الأعمش قال: كنت إذا رأيت مجاهدا ظننت أنه خر بندق ضل حماره فهو مهتم.

وعن ليث عن مجاهد قال: من أعز نفسه أذل دينه ومن أذل نفسه أعز دينه.

وعنه عن مجاهد قال: إن الله عز وجل ليصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده.

وعنه عن مجاهد قال: إن العبد إذا أقبل إلى الله عز وجل بقلبه أقبل الله بقلوب المؤمنين

إليه؟.

وعنه عن مجاهد قال: لا تحد النظر إلى أخيك ولا تسأله من أين جئت وأين تذهب.

وعنه عن مجاهد قال: كانوا يكتفون من الكلام باليسير.

عن محمد بن إسحاق بن أبان بن صالح عن مجاهد قال: عرضت القرآن على ابن عباس

ثلاث عرضات أفقه على كل آية أسأله كيف أنزلت وكيف كانت؟.

وعن خالد بن زيد عن مجاهد قال: إن القرآن يقول: إني معك ما اتبعنتي فإذا لم تعمل

بى اتبعتك.

وعن مجاهد قال: إن لبنى آدم جلساء من الملائكة فإذا ذكر الرجل أخاه المسلم بخير

قالت الملائكة: ولك بمثله، وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة: ابن آدم المستور عورته أربع

على نفسك واحمد الله الذى ستر عورتك.

وعن عمر بن ذر قال: قال مجاهد: ما من مرض يمرضه العبد إلا ورسول ملك الموت

عنده حتى إذا كان آخر مرض يمرضه العبد أتاه ملك الموت فقال: أتاك رسول بعد رسول فلم

تعبأ به وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا.

وعن مجاهد قال: يؤمر بالعبد إلى النار يوم القيامة فيقول: ما كان هذا ظني؟ فيقال: ما

كان ظنك؟ فيقول: أن تغفر لى، فيقول: خلوا سبيله.

(٢٠٨) هو: مجاهد بن جبير أبو الحجاج المخزومي مولاهم، المكي، ثقة إمام فى التفسير وفى العلم، من

الثالثة.

وعن الأعمش عن مجاهد قال: كان بالمدينة أهل بيت ذوو حاجة عندهم رأس شاة فأصابوا شيئا فقالوا: لو بعثنا هذا الرأس إلى من هو أحوج إليه منا، قال: فبعثوا به فلم يزل يدور بالمدينة حتى رجع إلى أصحابه الذين خرج من عندهم.

وعنه قال: كنا عند مجاهد فقال: القلب هكذا، وبسط كفه، فإذا أذنب الرجل ذنبا قال: هكذا، وعقد واحدا، ثم أذنب وعقد اثنين ثم ثلاثا ثم أربعاً ثم رد الإبهام على الأصابع في الذنب الخامس ثم يطبع على قلبه.

قال مجاهد: فأيكم يرى أنه لم يطبع على قلبه.

وعن عمر بن زر عن مجاهد قال: إذا أراد أحدكم أن ينام فليستقبل القبلة ولينم على يمينه وليذكر الله وليكن آخر كلامه عند منامه: لا إله إلا الله، فإنها وفاء لا يدرى لعلها تكون منيته ثم قرأ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ (الأنعام: ٦٠).

أسند مجاهد عن ابن عباس وابن عمر وابن عمرو وجابر بن عبد الله وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة ورافع بن خديج في آخرين وحدث عن عائشة إلا أن حديثه عنها مرسل لأنه لم يسمع منها.

وحدث عنه من أعلام التابعين: عطاء وطاوس وعكرمة، في خلق كثير.

ذكر وفاته:

قال الفضل بن دكين: مات مجاهد سنة اثنتين ومائة يوم السبت وهو ساجد، وقال يوسف ابن سليمان: توفي مجاهد بمكة سنة ثلاث ومائة.

وعن يحيى بن سعيد قال: مات مجاهد سنة أربع ومائة وقال ابن جريج بلغ مجاهد يوم مات ثلاثا وثمانين سنة، رحمه الله تعالى.

٢٠٩- عطاء بن أبى رباح

واسم أبى رباح أسلم، وكان عطاء من مولدى الجند نشأ بمكة وهو مولى آل أبى ميسرة الفهري، وكان عطاء يكنى أباً محمد.

عن أبى عبد الله يعنى أحمد بن حنبل قال: العلم خزائن يقسم الله لمن أحب، لو كان يُخصُّ بالعلم أحد لكان بيت النبى ﷺ أولى، كان عطاء بن أبى رباح حبشياً وكان يزيد بن أبى حبيب نوبياً أسود وكان الحسن مولى للأنصار وكان ابن سيرين مولى للأنصار.

(٢٠٩) هو: عطاء بن أبى رباح، واسم أبى رباح: أسلم، القرشى مولا هم المكى، ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال، من الثالثة.

وقال إبراهيم بن إسحاق الحرى: كان عطاء بن أبي رباح عبداً أسود لامرأة من أهل مكة وكان أنفه كأنه باقلاة، قال: وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه فجلسوا إليه وهو يصلى فلما صلى انفتل إليهم فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قوماً، فقاما، فقال: يا ابني لا تنيا في طلب العلم فإنى لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود.

وعن أحمد بن محمد قال: كانت الحلقة في الفتيا بمكة في المسجد الحرام لابن عباس وبعد ابن عباس لعطاء بن أبي رباح.

وعن سلمة بن كهيل قال: ما رأيت أحداً يريد بهذا العلم وجه الله عز وجل غير هؤلاء الثلاثة عطاء وطاوس ومجاهد.

وعن ابن جريج قال: كان المسجد فراش عطاء بن أبي رباح عشرين سنة. وعن عمر بن ذر قال: ما رأيت مثل عطاء قط وما رأيت على عطاء قميصاً قط ولا رأيت عليه ثوباً يساوى خمسة دراهم.

وعن إسماعيل بن أمية قال: كان عطاء يطيل الصمت فإذا نكلم يخيل إلينا أنه يؤيد. وعن عمرو بن سعيد عن أمه قالت: قدم ابن عمر مكة فسألوه فقال: أتجمعون لى يا أهل مكة المسائل وفيكم ابن أبي رباح؟!.

وعن عبد الله بن إبراهيم بن عمرو بن كيسان قال: أخبرنى أبى قال: أذكرهم فى زمان بنى أمية يأمرؤن فى الحاج صائحا يصيح: لا يفتى الناس إلا عطاء بن أبى رباح فإن لم يكن عطاء فعبد الله بن أبى نجيح، وعن الأوزاعى قال: ما رأيت أحداً أخشع لله من عطاء ولا أطول حزناً من يحيى بن أبى كثير.

وعن يعلى بن عبيد قال: دخلنا على محمد بن سودة فقال: أحدثكم بحديث لعله أن ينفعكم فإنه قد نفعنى، ثم قال: قال لنا عطاء بن أبى رباح: يا بنى أخى إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضوله ما عدا كتاب الله عز وجل أن تقرأه وتأمر بمعروف أو تنهى عن منكر أو تنطق بحاجتك فى معيشك التى لا بد لك منها، أنكروا أن عليكم حافظين كراما كاتبين، عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد؟ أما يستحيى أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته التى أمل صدر نهاره فإن أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه.

وعن ابن جريج قال كان عطاء بعدما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من البقرة وهو قائم ما يزول منه شيء ولا يتحرك.

وعن ابن عيينة قال: قلت لابن جريج: ما رأيت مصليا مثلك، قال: لو رأيت عطاء.

وعن معاذ بن سعيد قال: كنا عند عطاء بن أبي رباح فتحدث رجل بحديث فاعترض له آخر في حديثه فقال عطاء: سبحان الله ما هذه الأخلاق ما هذه الأخلاق؟ إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه به فأريه أنني لا أحسن منه شيئا.

وعن عثمان بن الأسود قال: قلت لعطاء: الرجل يمر بالقوم فيقذفه بعضهم، أيخبره؟ قال: لا، المجالس بالأمانة.

وعن ابن أبي ليلي قال: حج عطاء سبعين حجة وعاش مائة سنة.

أسند عطاء عن ابن عمر وابن عمرو وأبي سعيد وأبي هريرة وزيد بن خالد الجهني وابن عباس وابن الزبير في آخرين من الصحابة.

وروى عنه جماعة من التابعين: كعمرو بن دينار والزهرى وقتادة وأيوب في آخرين.

ومات عطاء بمكة في سنة خمس عشرة ومائة، وقيل سنة أربع عشرة وهو ابن ثمان وثمانين سنة، رحمه الله.

٢١٠- عبد الله بن عبيد بن عمير

وكان من أفصح أهل مكة

عن هارون البربرى عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: الإيمان قائد والعمل سائق والنفس حرون فإذا ونى قائدها لم تستقم لسائقها وإذا ونى سائقها لم تستقم لقائدتها ولا يصلح هذا إلا مع هذا حتى تقوم على الخير الإيمان بالله مع العمل لله والعمل لله مع الإيمان بالله.

وعن الوصافي عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: لا ينبغي لمن أخذ بالتقوى وزين بالورع أن يذل لصاحب الدنيا.

وعن وهب بن جرير قال أنبأ أبي قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول: بعث سليمان ابن داود إلى مارد من مردة الجن فأتى به فلما كان على باب سليمان أخذ عودا وذرعه بذراعه ثم رمى به من وراء الحائط فوق بين يدي سليمان فقال: ما هذا؟ فأخبر بما صنع المارد فقال: أتدرون ما أراد؟ قالوا: لا، قال: يقول: اصنع ما شئت فإنك تصير إلى مثل هذا من الأرض.

أسند عبد الله عن أبيه وغيره وتوفى سنة ثلاث عشرة ومائة بمكة، وكان صالحا.

(٢١٠) هو: عبد الله بن عبيد بن عمير، اللبثي، المكي، ثقة من الثالثة استشهد غازيا.

ومن الطبقة الثالثة من أهل مكة:

٢١١- عبد الملك بن عبد العزيز

ابن جريج مولى أمية بن خالد

يكنى أبا الوليد.

عن عبد الرزاق قال: كنت إذا رأيت ابن جريج علمت أنه يخشى الله وما رأيت مصلياً مثله قط.

وعنه قال: أهل مكة يقولون: أخذ ابن جريج الصلاة من عطاء وأخذها عطاء من ابن الزبير وأخذها ابن الزبير من أبي بكر الصديق وأخذها أبو بكر من النبي ﷺ.

قال عبد الرزاق: وكان ابن جريج حسن الصلاة.

وعن مالك بن أنس قال: كان ابن جريج صاحب ليل.

سمع ابن جريج من طاوس مسألة واحدة ومن مجاهد حرفين من القرآن وسمع الكثير من عطاء بن أبي رباح.

وكان عطاء يقول: هو سيد شباب أهل الحجاز، وسمع من عمرو بن دينار وأبي الزبير وابن المنكدر ونافع والزهرى فى خلق كثير، وقيل إنه أول من صنف الكتب.

وتوفى سنة خمسين، وقيل إحدى وخمسين ومائة وقيل تسع وأربعين، رحمه الله.

٢١٢- محمد بن طارق المكي

روى عن طاوس، وروى عنه الثورى.

عن محمد بن فضيل قال: رأيت ابن طارق فى الطواف قد انفرج له أهل الطواف عليه نعلان مطرقتان فحزروا طوافه فى ذلك الزمان فإذا هو يطوف فى اليوم واللييلة عشرة فراسخ.

(٢١١) هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموى مولا هم، المكي، ثقة فقيه فاضل، وكان يدلس ويرسل، من السادسة.

(٢١٢) هو: محمد بن طارق المكي، ثقة عابد، من الرابعة.

وعنه قال: سمعت ابن شبرمة يقول:

لو شئت كنت ككرز في تعبده أو كابن طارق حول البيت والحرم
قد حال دون لذيق العيش خوفهما وسارعا في طلاب الفوز والكرم

قال: وكان محمد بن طارق يطوف في اليوم واللييلة سبعين أسبوعا وكان كرز يختم القرآن في كل يوم وليلة ثلاث ختمات.

وعن ابن شبرمة قال: لو اكتفى أحد بالتراب كفى ابن طارق كف من تراب، رحمه الله.

٢١٣- عثمان بن أبي دهرش المكي

يروى عن رجل من آل الحكم عن النبي ﷺ، روى عنه ابن عيينة عن عبد الله بن المبارك عن عثمان بن أبي دهرش أنه كان إذا رأى الفجر قد أقبل عليه تنبه وقال: أصير الآن مع الناس ولا أدري ما أجنى على نفسي.

وقال عثمان بن أبي دهرش: ما صليت صلاة قط إلا استغفرت الله تعالى من تقصيري فيها.

٢١٤- وهيب بن الورد بن أبي الورد

مولى ابن مخزوم، يكنى أبا أمية، وقيل أبا عثمان، وكان اسمه عبد الوهاب فصغر ف قيل وهيب.

عن سفيان بن عيينة عن وهيب بن الورد قال: بينا أنا واقف في بطن الوادي إذا أنا برجل قد أخذ بمنكبى فقال: يا وهيب خف الله لقدرته عليك واستحي منه لقربه منك، قال: فالتفت فلم أر أحدا.

وعن بشر بن الحارث قال: أربعة رفعهم الله بطيب المطعم: وهيب بن الورد، وإبراهيم بن أدهم، ويوسف بن أسباط، وسالم الخواص.

وعن زهير بن عباد قال: كان فضيل بن عياض ووهيب بن الورد وعبد الله بن المبارك جلوسا فذكروا الرطب فقال وهيب: أوقد جاء الرطب؟ فقال عبد الله بن المبارك: رحمك الله هذا آخره أولم تأكله؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال وهيب: بلغنى أن عامة أجنة مكة من الصوافي والقطائع فكرهتها، فقال عبد الله بن المبارك: يرحمك الله أوليس قد رخص في الشرى من السوق إذا لم تعرف الصوافي والقطائع منه وإلا ضاق على الناس خبزهم؟ أوليس عامة ما يأتي

(٢١٤) هو: وهيب بن الورد، القرشي، مولا هم، المكي، أبو عثمان أو أبو أمامة، يُقال اسمه عبد الوهاب، ثقة عابد، من كبار السابعة.

من قمح مصر إنما هو من الصوافى والقطائع؟ ولا أحسبك تستغنى عن القمح فسهل عليك، قال: فصعق.

قال فضيل لعبد الله: ما صنعت بالرجل فقال ابن المبارك: ما علمت أن كل هذا الخوف قد أعطيه، فلما أفاق وهيب قال: يا بن المبارك دعنى من ترخيصك، لا جرم لا أكل من القمح إلا كما يأكل المضطر من الميتة.

فزعموا أنه نحل جسمه حتى مات هزلاً.

أبو بكر المروزي قال: قال قادم الديلمى: قيل لو هيب بن الورد: ألا تشرب من زمزم؟ قال بأى دلو؟.

قال شعيب بن حرب ما احتملوا لأحد ما احتملوا لو هيب، كان يشرب بدلوه.

وعن أحمد بن عبيد بن ناصح قال: قال يوسف بن أسباط: عن القعقاع بن عمارة، عن وهيب المكى قال: يقول الله عز وجل: وعزتى وجلالى وعظمتى ما من عبد أثر هواى على هواه إلا أقللت همومه، وجمعت عليه ضيعته، ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه، واتجرت له من وراء كل تاجر، وعزتى وعظمتى وجلالى ما من عبد أثر هواه على هواى إلا كثرت همومه، وفرت عليه ضيعته، ونزعت الغنى من قلبه، وجعلت الفقر بين عينيه ثم لم أبال فى أى أوديتها هلك.

وقال عبد الرحمن العراقى: قال وهيب بن الورد خالطت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلاً غفر لى ذنباً بينى وبينه، ولا وصلنى إذا قطعته، ولا ستر على عورة، ولا أمتته إذا غضب، فالاشتغال بهؤلاء حمق كبير.

وكان سفيان الثورى إذا حدث الناس فى المسجد الحرام وفرغ قال: قوموا إلى الطبيب، يعنى وهيباً.

وعن ابن المبارك قال: ما جلست إلى أحد كان أنفع لى مجالسة من وهيب كان لا يأكل من الفواكه وكان إذا انقضت السنة وذهبت الفواكه يكشف عن بطنه وينظر إليه ويقول: يا وهيب ما أرى بك بأساً، ما أرى تركك الفواكه ضرك شيئاً.

وعن محمد بن مزاحم عن وهيب بن الورد قال: وجدت العزلة اللسان.

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال: قال وهيب بن الورد: كان يقال الحكمة عشرة أجزاء، فتسعة منها فى الصمت والعاشرة عزلة الناس، قال: فعالجت نفسى على الصمت فلم أجدننى أضبط كل ما أريد منه، فرأيت أن هذه الأجزاء العشرة عزلة الناس.

وعن ابن رواد قال: انتهيت إلى رجل ساجد خلف المقام في ليلة باردة مطيرة يدعو ويكي فظفت أسبوعا، ثم عدت فوجدته على حاله فقمت قريبا منه الليل كله فلما أدير الليل سمعت هاتفا يقول: يا وهيب بن الورد ارفع رأسك فقد غفر لك، قال: فلم أر شيئا، فلما برق الصبح رفع رأسه ومضى فاتبعته فقلت أوما سمعت الصوت؟ فقال: وأى صوت؟ فأخبرته، فقال لا تخبر به أحدا، فما حدثت به أحدا حتى مات وهيب.

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال: قال وهيب عجباً للعالم كيف تجيبه دواعي قلبه إلى ارتياح الضحك وقد علم أن له في القيامة روعات ووقفات وفزعات؟ ثم غشى عليه. وعنه قال: كانوا يرون الرؤيا لوهيب أنه من أهل الجنة فإذا أخبر بها اشتد بكأوه وقال: قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان.

وعنه قال: حلف وهيب بن الورد ألا يراه الله ضاحكا ولا أحد من خلقه حتى يعلم ما يأتي به رسل ربه، قال: فسمعوه عند الموت يقول وفيت كى ولم أف لك. وعن عبد الرزاق قال: سمعت وهيب بن الورد يقول: من عد كلامه من عمله قل كلامه. وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال: قال وهيب بن الورد لو أن علماءنا - عفا الله عنا وعنهم - نصحوا الله في عباده فقالوا: يا عباد الله اسمعوا ما نخبركم عن نبيكم ﷺ، وصالح سلفكم من الزهد في الدنيا فاعملوا به ولا تنظروا إلى أعمال هذه الفسلة كانوا قد نصحوا الله في عباده، ولكنهم يأبون إلا أن يجرؤا عباد الله إلى فتنتهم وما هم فيه. وعن عبد الله بن المبارك قال: قيل لوهيب بن الورد أيجد طعم العبادة من يعصى الله؟ قال: لا ولا من يهم بالمعصية.

وعن جرير بن حازم عن وهيب قال: بلغني أن موسى عليه السلام قال: يا رب أخبرني عن آية رضاك عن عبدك، فأوحى الله تعالى إليه إذا رأيتني أهيب له طاعتي وأصرفه عن معصيتي فذاك آية رضاي عنه.

وعن محمد بن يزيد قال سمعت وهيبا يقول ضرب لعلماء السوء مثل فقيل: إنما مثل عالم السوء كمثل الحجر في الساقية فلا هو يشرب الماء ولا هو يخلى الماء إلى الشجر فيحيا به. وعنه عن وهيب قال: بلغنا أن عيسى عليه السلام مر هو ورجل من حواريه بلص في قلعة له فلما رأهما اللص ألقى الله في قلبه التوبة، قال: فقال في نفسه: هذا عيسى ابن مريم - عليه السلام - روح الله وكلمته، وهذا فلان حواريه، ومن أنت يا شقي؟ لص بنى إسرائيل، قطعت الطريق وأخذت الأموال وسفكت الدماء، ثم هبط إليهما تائبا نادما على ما كان منه.

فلما لحقهما قال لنفسه: تريد أن تمشي معهما؟ لست لذلك بأهل، امش خلفهما كما يمشي الخطاء المذنب مثلك، قال: قالت إليه الحوارى فعرقه فقال فى نفسه: انظر إلى هذا الخبيث الشقى ومشيه وراءنا، قال: قاطلع الله على ما فى قلوبهما، من ندامته وتوبته ومن ازدراء الحوارى إياه وتفضيله نفسه عليه.

قال فأوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم أن مر الحوارى ولص بنى إسرائيل أن يأتفعا العمل جميعاً: أما للص فقد غفرت له ما قد مضى لندامته وتوبته، وأما الحوارى فقد حبط عمله لعجبه بنفسه وازدراؤه هذا التواب.

قال وهيب: وبلغنا أن الخبيث إبليس تبدى ليعحى بن زكريا - عليهما السلام - فقال له: إني أريد أن أنصحك، قال: كذبت أنت لا تنصحنى ولكن أخبرنى عن بنى آدم، قال: هم عندنا على ثلاثة أصناف: أما صنف منهم فهم أشد الأصناف علينا، تقبل حتى تفتنه ونستمكن منه ثم يفرغ إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركتنا منه، ثم نعود له فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا، فنحن من ذلك فى عناء.

وأما الصنف الآخر فهم بين أيدينا بمنزلة الكرة فى أيدي صبيانكم تلتفهم كيف شئنا، فقد كفونا أنفسهم.

وأما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء.

فقال له يحيى: على ذاك هل قدرت منى على شيء؟ قال: لا إلا مرة واحدة فإنك قدمت طعاما تأكله فلم أزل أشهيه إليك حتى أكلت أكثر مما تريد، فمت تلك الليلة ولم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها.

قال: فقال له يحيى: لا جرم لا شبع من طعام أبداً حتى أموت، فقال له الخبيث: لا جرم لا نصحت آدميا بعدك.

محمد بن يزيد قال: رأيت وهيب بن الورد صلى ذات يوم العيد، فلما انصرف الناس جعلوا يمرون به فنظر إليهم ثم زفر ثم قال: لئن كان هؤلاء القوم أصبحوا مستيقنين أنه قد تقبل منهم شهرهم هذا لكان ينبغى لهم أن يكونوا مشاغل بأداء الشكر عما هم فيه، وإن كانت الأخرى لقد كان ينبغى لهم أن يصبحوا أشغل وأشغل.

ثم قال: كثيرا ما يأتينى من يسألنى من إخوانى فيقول: يا أبا أمية، ما بلغك عن طاف سبعا بهذا البيت ما له من الأجر؟ فأقول: يغفر الله لنا ولكم بل سلوا عما أوجب الله تعالى من أداء الشكر فى طواف هذا السبع ورزقه إياه حين حرم غيره، قال: فيقولون: إنا نرجو، فيقول

وهيب: فلا والله ما رجا عبد قط حتى يخاف، ثم يقول كيف تجترئ أن ترجو رضا من لا يخاف غضبه؟ إنما كان الراجي خليل الرحمن إذ يخبرك الله عز وجل عنه قال ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ (البقرة: ١٢٧) ثم قال: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء: ٨٢).

وعن علي بن أبي بكر قال: اشتهى وهيب لبنا فجاءته خالته به من شاة لآل عيسى بن موسى، قال: فسألها عنه فأخبرته فأبى أن يأكله فقالت له: كل، فأبى، فعاودته وقالت له: إني أرجو إن أكلته أن يغفر الله لك أى باتباع شهوتي، فقال: ما أحب أنى أكلته وأن الله تعالى غفر لى، فقالت: لم؟ قال: إني أكره أن أنال مغفرته بمعصيته.

عن عمرو بن محمد بن أبي رزين قال: وسمعت وهيبا يقول: إن العبد ليصمت فيجتمع له به. وسمعت يقول لا يكن هم أحدكم فى كثرة العمل، ولكن ليكن همه فى إحكامه وتحسينه، فإن العبد قد يصلى وهو يعصى الله فى صلاته، وقد يصوم وهو يعصى الله فى صيامه.

وعن مؤمل قال: سمعت وهيبا يقول: لو قمت قيام هذه السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك؟ حلال أو حرام؟.

وعن محمد بن يزيد عن وهيب قال: بلغنا - والله أعلم - أن موسى - عليه السلام - قال: يا رب أوصنى، قال: أوصيك بى، قالها ثلاثا، كل ذلك يقول: أوصيك بى، حتى قال فى الآخرة: أوصيك بى ألا يعرض لك أمر إلا أثرت فيه محبتى على ما سواها فمن لم يفعل ذلك لم أرحمه ولم أركه.

وعن ابن المبارك عن وهيب قال: اتق أن تسب إبليس فى العلانية وأنت صديقه فى السر. وعن أبى صالح الجدى قال: صليت إلى جنب وهيب العصر، فلما صلى جعل يقول: اللهم إن كنت نقصت منها شيئا أو قصرت فيها فاغفر لى، قال: فكأنه قد أذنب ذنبا عظيما يستغفر منه.

وعن بشر بن الحارث قال: كان وهيب بن الورد تبين خضرة البقل من بطنه من الهزال. وعنه قال: بلغنا أن وهيبا كان إذا أتى بقرصته بكى حتى ييلها.

أدرك وهيب بن الورد جماعة من التابعين: كعطاء بن أبى رباح ومنصور بن زاذان وأبان ابن أبى عياش، وكان مشغولا عن الرواية بالتعب، على أنه قد نقل عنه حديث حسن. ومات فى سنة ثلاث وخمسين ومائة، رحمه الله.

ومن الطبقة الرابعة:

٢١٥- عبد العزيز بن أبي رواد

مولى المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة.

عن شقيق البلخي قال: ذهب بصر عبد العزيز بن أبي رواد عشرين سنة لم يعلم به أهله ولا ولده، فتأمله ابنه ذات يوم فقال له يا أبت ذهبت عينك؟ قال: نعم يا بني، الرضا عن الله تعالى أذهب عين أبيك منذ عشرين سنة.

وعن شعيب بن حرب قال: جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد خمسمائة مجلس فما أحسب صاحب الشمال كتب شيئاً.

وعن يوسف بن أسباط قال: مكث عبد العزيز بن أبي رواد أربعين سنة لم يرفع طرفه إلى السماء، فبينما هو يطوف حول الكعبة إذ طعنه المنصور أبو جعفر في خاصرته بإصبعه، فالتفت إليه فقال: قد علمت أنها طعنة جبار.

وعن خلاد بن يحيى قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد قال: كان يقال: من رأس التواضع الرضا بالدون من شرف المجالس، وكان يقول: في رأس كل إنسان حكمة آخذ بها ملك، فإن تواضع لربه رفعه.

وقال: انتعش رحمك الله، وإن تكبر قمعه وقال: اخساً خساًك الله.

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال: قال رجل لعبد العزيز بن أبي رواد: كيف أصبحت؟ فبكى وقال: أصبحت والله في غفلة عظيمة عن الموت مع ذنوب كثيرة قد أحاطت بي، وأجل يسر كل يوم في عمري، وموئل لست أدري علام أهجم؟ ثم بكى.

وعن سعيد بن سالم القداح قال: سمعت عبد العزيز بن أبي رواد يقول لرجل: من لم يتعظ بثلاث لم يتعظ بشيء: الإسلام، والقرآن، والمشيب.

أسند عبد العزيز بن أبي رواد عن جماعة من كبار التابعين: كعطاء وعكرمة ونافع.

وتوفي بمكة سنة تسع وخمسين ومائة.

٢١٦- زمعة بن صالح المكي

روى عن سلمة بن وهرام وابن طاوس وروى عنه وكيع .

عن القاسم بن راشد الشيباني قال: كان زمعة نازلاً عندنا وكان له أهل وبنات وكان يقوم فيصلي ليلاً طويلاً فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته:

يا أيها الركب المعرسونا أكل هذا الليل ترقـدونا

ألا تقـومون فـتـرحلونا

قال فيتواثبون فيسمع من ههنا باك، ومن ههنا داع، ومن ههنا قارئ، ومن ههنا متوضئ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته: عند الصباح يحمد القوم السرى، رحمه الله .

(٢١٦) هو: زمعة بن صالح الجندی، الیمانی، نزیل مكة، أبو وهب، ضعيف، وحديثه عند مسلم مقرون، من السادسة.

ومن الطبقة الخامسة:

٢١٧- سفيان بن عيينة بن أبي عمران

يكنى أبا محمد.

وهو مولى لبنى عبد الله بن روية، ولد بالكوفة وسكن مكة.

عن محمد بن غمر قال: أنبأ سفيان أنه ولد سنة سبع ومائة وكان أصله من الكوفة وكان أبوه من عمال خالد بن عبد الله القسرى فلما عزل خالد عن العراق وولى يوسف بن عمر الثقفى طلب عمال خالد فهربوا منه فلحق عيينة بمكة فنزلها.

إبراهيم بن ازداد الرافقى قال: قال سفيان بن عيينة: لما بلغت خمس عشرة سنة دعانى أبى فقال لى: يا سفيان قد انقطعت عنك شرائع الصبا فاحتفظ من الخير تكن من أهله، ولا يغررك من اغتر بالله فمدحك بما يعلم الله خلافه منك، فإنه ما من أحد يقول فى أحد من الخير إذا رضى إلا وهو يقول فيه من الشر مثل ذلك إذا سخط، فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء لا تنقل أحسن ظنى بك إلى غير ذلك ولن يسعد بالعلماء إلا من أطاعهم.

قال سفيان: فجعلت وصية أبى قبله أميل معها ولا أميل عنها.

وعن صامت بن معاذ قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: من تزين للناس بشئ يعلم الله منه غير ذلك شانه الله.

وعن النعمان قال: سمعت ابن عيينة يقول: ليس من حب الدنيا طلبك ما لا بد منه.

وعن محمد بن ميمون الخياط قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: إذا كان نهارى نهار سفيه وليلى ليل جاهل فما أصنع بالعلم الذى كتبت؟

وعن على بن الجعد قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: من زيد فى عقله نقص من رزقه.

وعن ابن الأعرابى قال: قال سفيان بن عيينة: أرفع الناس منزلة من كان بين الله وبين

عباده، وهم الأنبياء والعلماء.

وعن على بن الحسن قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: من رأى أنه خير من غيره فقد

استكبر وذلك أن إبليس إنما منعه من السجود لآدم عليه السلام استكباره.

(٢١٧) هو: سفيان بن عيينة بن أبى عمران، أبو محمد الكوفى، ثم المكى، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغير حفظه بأخرة وكان ربما دلس لكن عن الثقات، من رءوس الطبقة الثامنة.

وعن سعيد بن داود عن ابن عيينة قال: من كانت معصيته فى الشهوة فارح له التوبة فإن آدم عصى مشتهيا فغفر له فإذا كانت معصيته فى كِبَرِ فاحش على صاحبه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبرا فلُعِنَ.

وعن بقية عن سفيان قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن أول من مات إبليس، وذلك أنه أول من عصانى وأنا أعد من عصانى من الموتى.

وعن إسحاق بن منيب قال: قال سفيان بن عيينة لم يعرفوا حتى أحبوا أن لا يعرفوا.

وعن بكر العابد قال: قلت لسفيان بن عيينة يا أبا محمد أبلغك أن الناس يزدحمون يوم القيامة؟ فقال: الأقدام يوم القيامة هكذا ووضع يده فوق الأخرى، ثم قال بكر: بلغنى أن الناس يخرجون من قبورهم وهم يقولون الماء الماء، العطش العطش.

وعن موسى بن إسماعيل قال: سمعت ابن عيينة يقول: أصابتنى ذات يوم رقعة فبكيت فقلت فى نفسى لو كان بعض أصحابنا لرق معى ثم غفوت فأتانى آت فى منامى فرفسنى وقال: يا سفيان خذ أجرك ممن أحببت أن يراك.

ابن وهب قال: قال سفيان بن عيينة: إنما منزلة الذى يطلب العلم ينتفع به بمنزلة العبد يطلب كل شئ يرضى سيده يطلب التحبب إليه والتقرب إليه والمنزلة عنده لثلا يجد عنده شيئا يكرهه.

وعن حرملة بن يحيى قال: أخذ سفيان بن عيينة يدي فأقامتى فى ناحية فأخرج من كمة رغيف شعير وقال لى: دع يا حرملة ما يقول الناس هذا طعامى منذ ستين سنة.

وعن أبى جعفر الحذاء قال: سمعت ابن عيينة يقول: إذا وافقت السريرة العلانية فذلك العدل وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية فذلك الفضل، وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجور.

محمد بن صباح يقول: أنبأ سفيان بن عيينة: إذا ترك العالم لا أدرى أصيبت مقاتله.

وعن حيان بن نافع بن صخر بن جويرية قال: كان سفيان بن عيينة بعدما أسن يتمثل بهذا البيت:

يَعْمَرُ وَاحِدٌ فَيَغْرُقُومًا وَيُنْسَى مِنْ يَمُوتٍ مِنَ الصَّغَارِ

وعن عبيد الله ابن عائشة قال: قال سفيان بن عيينة: لولا أن الله عز وجل طمأن ابن آدم بثلاث ما أطاقه شئ وإنهن لقيه وإنه على ذلك لوثاب: الفقر، والمرض، والموت.

وعن حيان بن صخر بن جويرية قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: ليس يضر المدح من عرف نفسه.

وعن أبي معمر عن ابن عيينة قال: العلم إن لم ينفعك ضرك.

وعن أبي موسى الأنصاري قال: قال سفيان: إن من توقيف الصلاة أن تأتي قبل الإقامة.

وعن إسحاق بن أبي إسرائيل قال: سمعت سفيان بن عيينة قال: كان يقال: اسلكوا سبل الحق ولا تستوحشوا من قلة أهلها.

وعن الحسن بن هارون عن سليمان قال: ثنا سفيان بن عيينة قال: كان يقال: الأيام ثلاثة:

فأمس حكيم مؤدب ترك حكمته وأبقاها عليك، واليوم صديق مودع كان عنك طويل الغيبة حتى أتاك ولم تأته وهو عنك سريع الظعن، وغدا لا تدري أ تكون من أهله أو لا تكون. وعن عبد الله بن وهب قال: ثنا سفيان بن عيينة قال: لم يجتهد أحد قط اجتهدا ولم يتعب أحد قط عبادة أفضل من ترك ما نهى الله عنه.

وعن إبراهيم بن الأشعث قال: ثنا سفيان بن عيينة قال: كان يقال: أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة: رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملا منه، ورجل له مال فلم يتصدق منه فمات فورثه غيره فتصدق منه، ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فعلم غيره فانتفع به.

وعن أبي السري منصور بن عرار قال: تكلمت في مجلس فيه سفيان بن عيينة وفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك فأما سفيان فتغرغرت عيناه ثم نشفت الدموع، وأما ابن المبارك فسالت دموعه، وأما الفضيل فانتحب، فلما قام فضيل وابن المبارك قلت لسفيان: يا أبا محمد ما منعك أن يجيء منك مثل ما جاء من صاحبك؟ قال: هكذا أكمد للحزن، إن الدمعة إذا خرجت استراح القلب.

وعن عيسى بن أبي موسى الأنصاري قال: سمعت سفيان بن عيينة، وسئل عن حد الرضا عن الله تعالى، فقال: الراضى عن الله لا يتمنى سوى المنزل التي هو فيها.

وعن حامد بن عمرو البكراوي قال: سمعت عبد الله بن ثعلبة يقول لسفيان بن عيينة: يا أبا محمد واحزننا على الحزن، فقال سفيان: يا عبد الله هل حزنت قط لعلم الله جل وعز فيك؟ فقال عبد الله: آه تركتني لا أفرح.

وعن سفيان قال: قال الأحنف: قال لنا عمر بن الخطاب: تفقهوا قبل أن تسودوا، قال سفيان: لأن الرجل إذا فقه لم يطلب السؤدد.

أدرك سفيان بن عيينة ستة وثمانين نفساً من أعلام التابعين، وأسند عن جمهورهم: كعمرو ابن دينار والزهرى وابن المنكدر وأبى حازم والأعمش وأيوب. وحدث عنه من كبار الأئمة: الثورى، وشعبة، والأعمش، والأوزاعى.

ذكر وفاته ومبلغ سنه:

عن سليمان بن أيوب قال: سمعت ابن عيينة يقول: شهدت ثمانين موقفاً. وعن الحسن بن عمران بن عيينة، ابن أخى سفيان بن عيينة، قال: حججت مع عمى سفيان آخر حجة حجها سنة سبع وتسعين ومائة فلما كنا بجمع وصلى استلقى على فراشه، ثم قال: قد وافيت هذا الموضع سبعين عاماً، أقول فى كل سنة: اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان، وإنى قد استحيت من الله من كثرة ما أسأله ذلك، فرجع فتوفى فى السنة الداخلة يوم السبت أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ودفن بالحجون وهو ابن إحدى وتسعين سنة.

وعن الحميدى قال: سفيان بن عيينة يقول: ولدت سنة سبع ومائة. قال الحميدى: ومات سفيان سنة ثمان وتسعين فى آخر يوم من جمادى الأولى رحمه الله.

٢١٨- الفضيل بن عياض التميمى

ثم أحد بنى يربوع يكنى أبا على ولد بخراسان بكورة أبى ورد وقدم الكوفة وهو كبير فسمع بها الحديث ثم تعبد وانتقل إلى مكة فمات بها.

عن إبراهيم بن أحمد الخزاعى قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: لو أن الدنيا كلها بحذافيرها جعلت لى حلالاً لكنت أثقلزرها.

وعن أبى الفضل الخزاز قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: أصلح ما أكون أفقر ما أكون، وإنى لأعصى الله فأعرف ذلك فى خلق حمارى وخادمى.

وعن إسحاق بن إبراهيم قال: كانت قراءة الفضيل حزينة شهية بطيئة مترسلة كأنه يخاطب إنساناً، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة يرددها.

وكان يلقي له حصير بالليل فى مسجده فيصلى من أول الليل ساعة حتى تغلبه عينه فيلقى نفسه على الحصير فينام قليلاً ثم يقوم، فإذا غلبه النوم نام، ثم يقوم هكذا حتى يصبح.

(٢١٨) هو: الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى، أبو على، الزاهد المشهور أصله من خراسان، وسكن مكة، ثقة عابد إمام، من الثامنة.

قال وسمعت الفضيل يقول: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبل ببلتك خطيئتك.

وعن منصور بن عمار قال: تكلمت يوما في المسجد الحرام فذكرت شيئا من صفة النار فرأيت الفضيل بن عياض صاح حتى غشى عليه فطرح نفسه.

وعن أبي إسحاق قال: قال الفضيل بن عياض: لو خيرت بين أن أعيش كلبا أو أموت كلبا، ولا أرى يوم القيامة لاخترت أن أعيش كلبا أو أموت كلبا ولا أرى يوم القيامة.

وعن مهران بن عمرو الأسدي قال: سمعت الفضيل بن عياض عشية عرفة بالموقف، وقد حال بينه وبين الدعاء البكاء، يقول واسوأناه، وافضيحتاه وإن عفوت.

وعن أحمد بن سهل قال قدم علينا سعد بن زبور فأتيناه فحدثنا قال كنا على باب الفضيل بن عياض فاستأذنا عليه فلم يؤذن لنا فقلنا إنه لا يخرج إليكم أو يسمع القرآن قال: وكان معنا رجل مؤذن وكان صيتا فقلنا له اقرأ ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ ورفع بها صوته، فأشرف علينا الفضيل وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع ومعه خرقة يشف بها الدموع من عينيه وأنشأ يقول:

بلغتُ الثمانين أو جزئها فـمـا إذا أوّل أو أنتظر؟

أتى لى ثمانون من مولدى وبعد الثمانين ما ينتظر؟

علتنى السنون فأبليتنى...

قال ثم خنقته العبرة، وكان معنا على بن خشرم فأتته لنا فقال:

علتنى السنون فأبليتنى فرقت عظامى وكل البصر

وعن أبي جعفر الحذاء قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: أخذت بيد سفيان بن عيينة فى هذا الوادى فقلت له: إن كنت تظن أنه بقى على وجه الأرض شر منى ومنك فبس ما تظن.

وعن على بن الحسن قال: بلغ فضيلا أن جريرا يريد أن يأتيه قال: فأقفل الباب من خارج، قال: فجاء جرير فرأى الباب مقفلا فرجع، قال على: فبلغنى ذلك فأتيته فقلت له: جرير، فقال: ما يصنع بى؟ يظهر لى محاسن كلامه وأظهر له محاسن كلامى، فلا يترين لى ولا أترين له خير له.

وعن الفيض بن إسحاق قال: سمعت فضيلا يقول: لو قيل لك: يا مرأتى، لغضبت ولشق عليك وتشكو فتقول: قال لى: يا مرأتى عساه قال حقا من حبك للدينيا تزيت للدينيا وتصنعت للدينيا.

ثم قال: اتق ألا تكون مرثيا وأنت لا تشعر تصنعت وتهيات حتى عرفك الناس فقالوا هو رجل صالح فأكرموك وقضوا لك الحوائج ووسعوا لك في المجالس، وإنما عرفوك بالله ولولا ذلك لَهنت عليهم.

قال: وسمعت الفضيل يقول: تزيت لهم بالصوم فلم ترهم يرفعون بك رأسا، تزيت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأسا، تزيت لهم بشيء بعد شيء، إنما هو لحب الدنيا. وعن الحسين بن زياد قال: دخلت على فضيل يوما فقال: عساك إن رأيت في ذلك المسجد، يعنى المسجد الحرام، رجلا شرا منك، إن كنت ترى أن فيه شرا منك فقد ابتليت بعظيم.

وعن يونس بن محمد المكي قال: قال فضيل بن عياض لرجل: لأعلمك كلمة هي خير من الدنيا وما فيها: والله لئن علم الله منك إخراج الأدميين من قلبك حتى لا يكون في قلبك مكان لغيره، لم تسأله شيئا إلا أعطاك.

وعن إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ما يؤمنك أن تكون بارزت الله بعمل مقتك عليه فأغلق دونك أبواب المغفرة وأنت تضحك كيف ترى تكون حالك.

وعن عبد الصمد بن يزيد قال: سمعت الفضيل يقول: أدركت أقواما يستحيون من الله في سواد الليل من طول الهجعة، إنما هو على الجنب فإذا تحرك قال: ليس هذا لك قومي خذى حظك من الآخرة.

وعن محمد بن حسان السمني قال: شهدت الفضيل بن عياض وجلس إليه سفيان بن عيينة، فتكلم الفضيل فقال: كنتم معشر العلماء سرج البلاد يستضاء بكم فصرتم ظلمة وكنتم نجوما يهتدى بكم فصرتم حيرة، ثم لا يستحي أحدكم أن يأخذ مال هؤلاء الظلمة، ثم يسند ظهره يقول: حدثنا فلان عن فلان، فقال سفيان: لئن كنا لسنا بصالحين فإننا نجهم.

وعن بشر بن الحارث قال: قال الفضيل بن عياض: لأن أطلب الدنيا بطل ومزمار أحب إلى من أن أطلبها بالعبادة.

وعن الفضل بن الربيع قال: حج أمير المؤمنين فأتاني فخرجت مسرعا فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيك، فقال: ويحك قد حك في نفسي شيء فانظر إلى رجلا أسأله، فقلت: ههنا سفيان بن عيينة، فقال: امض بنا إليه، فأتيناه فقرعت الباب، فقال: من ذا؟

فقلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أئبتك، فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله.

فحدثه ساعة ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم، فقال: أبا عباس اقض دينه، فلما خرجنا قال: ما أغنى عنى صاحبك شيئاً، انظر لى رجلاً أسأله، فقلت له: هاهنا عبد الرزاق بن همام: قال: امض بنا إليه: فأتيناه ففرعت الباب فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أئبتك، قال: خذ لما جئناك له.

فحدثه ساعة ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم، قال: أبا عباس اقض دينه، فلما خرجنا قال: ما أغنى صاحبك شيئاً انظر لى رجلاً أسأله، قلت: هاهنا الفضيل بن عياض، قال: امض بنا إليه، فأتيناه فإذا هو قائم يصلى يتلو آية من القرآن يرددها، فقال: اقرب الباب، ففرعت الباب فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فقال: ما لى ولأمر المؤمنين؟ فقلت: سبحان الله أما عليك طاعة؟ أليس قد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ليس للمؤمن أن يذل نفسه» فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ المصباح ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت، فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف هارون قبلى إليه، فقال: يا لها من كف ما أليها إن نجت غدا من عذاب الله - عز وجل - فقلت فى نفسى: ليكلمنه الليلة بكلام نقى من قلب تقى، فقال له: خذ لما جئناك له - رحمك الله - فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة فقال لهم: إنى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا على، فعدت الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة.

فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن إفطارك من الموت.

وقال له محمد بن كعب القرظى: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا وأوسطهم عندك أخاً وأصغرهم عندك ولداً فوق أباك وأكرم أخاك وتحسن على ولدك.

وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واکره لهم ما تكره لنفسك ثم مت إذا شئت وإنى أقول لك إنى أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل فيه الأقدام فهل معك - رحمك الله - من يشير عليك بمثل هذا؟

فبكى هارون بكاء شديداً حتى غشى عليه فقلت له: ارفق بأمر المؤمنين، فقال: يا بن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا، ثم أفاق فقال له: زدنى رحمك الله، فقال:

يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملاً لعمر بن العزيز شكاً إليه، فكتب إليه عمر:
يا أخى أذكرك طول سهر أهل النار فى النار مع خلود الأبد وإياك أن ينصرف بك من عند
الله فيكون آخر العهد واتقطاع الرجاء.

قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له ما أقدمك؟
قال: خلعت قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله عز وجل.
قال: فبكى هارون بكاء شديداً ثم قال له: زدنى رحمك الله، فقال يا أمير المؤمنين إن
العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبی ﷺ فقال: يا رسول الله أمرنى على إمارة، فقال
له النبی ﷺ «إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل».
فبكى هارون بكاء شديداً وقال له: زدنى رحمك الله.

فقال: يا حسن الوجه أنت الذى يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن
استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسى وفى قلبك غش لأحد
من رعيتك فإن النبی ﷺ قال: «من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة».
فبكى هارون وقال له: عليك دين؟ قال: نعم دين لربى يحاسبنى عليه، فالويل لى إن
سألنى، والويل لى إن ناقشنى، والويل لى إن لم ألهم حجتى، قال: إنما أعنى دين العباد،
قال: إن ربى لم يأمرنى بهذا، أمر ربى أن أوحده وأطيع أمره، فقال عز وجل ﴿وَمَا خَلَقْتُ
الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾ (الذاريات).

فقال له هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقو بها على عبادتك، فقال: سبحان
الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافتنى بمثل هذا؟ سلمك الله ووفقك.
ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال هارون: أبا عباس إذا
دللتنى على رجل قذلتنى على مثل هذا، هذا سيد المسلمين.

فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت
هذا المال ففخرجنا به، فقال لها: مثلى ومثلكم كمثل قوم كان لهم بغير يأكلون من كسبه فلما
كبر نحروه فأكلوا لحمه.

فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال فلما علم الفضيل خرج
فجلس فى السطح على باب الغرفة، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فينا

نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف رحمك الله، فانصرفنا.

اقتصرننا على هذا القدر من أخبار الفضيل لأننا قد أقردنا لكلامه ومناقبه كتابا فمن أراد الزيادة فليُنظر في ذلك الكتاب.

وقد أسند الفضيل عن جماعة من كبار التابعين منهم الأعمش ومنصور بن المعتمر وعطاء ابن السائب وحسين بن عبد الرحمن ومسلم الأعور وأبان بن أبي عياش - وروى عنه خلق كثير من العلماء وقد ذكرنا جملة من رواياته في ذلك الكتاب.

وتوفي رحمه الله في سنة سبع وثمانين ومائة.

٢١٩- علي بن الفضيل بن عياض

ألقبناه بدرجة أبيه، لأنه مات في حياة أبيه، واقتصرننا من أخباره على اليسير لأننا قد أدرجناها في كتاب فضائل أبيه رحمه الله.

عن فضيل بن عياض قال: بكى ابني عليّ فقلت: يا علي ما يبكيك؟ قال: يا أبة أخاف ألا تجمعنا القيامة.

وعن بشر بن الحارث قال: كان عشرة ينظرون في الحلال النظر الشديد، لا يدخل بطونهم إلا حلال، ولو استقوا التراب، فذكر منهم علي بن الفضيل.

وعن محمد بن الحسن قال: كان علي بن الفضيل يصلي حتى يزحف إلى فراشه ثم يلتفت إلى أبيه فيقول: يا أبة سبقني العابدون.

وعن سفيان بن عيينة قال: ما رأيت أحدا أخوف من الفضيل وابنه.

أسند علي عن عبد العزيز بن أبي رواد، وسفيان بن عيينة وغيرهما رحمه الله.

٢٢٠- محمد بن إدريس الإمام الشافعي رحمه الله

يكنى أبا عبد الله.

عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: قال الشافعي: ولدت بغزة سنة خمسين ومائة وحملت إلى مكة وأنا ابن ستين.

(٢١٩) هو: علي بن فضيل بن عياض التميمي، ثقة عابد، من التاسعة، تقدم موته على أبيه.

(٢٢٠) هو: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب المطلبى، أبو عبد الله الشافعي المكي، نزيل مصر، رأس الطبقة التاسعة، وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين.

قال: وأخبرني غيره عن الشافعي قال: لم يكن لي مال فكنت أطلب العلم في الحداثة أذهب إلى الديوان أستوهب الظهور أكتب فيها.

وعن حسن الكرابيسي قال: سمعت الشافعي يقول: كنت امرء أكتب الشعر وآتى البوادي فأسمع منهم، وقدمت مكة وخرجت وأنا أتمثل بشعر للبيد وأضرب وحشى قدمي بالسوط فضربنى رجل من ورائي من الحجة فقال: رجل من قريش ثم ابن المطلب رضى من دينه وديناه أن يكون معلما ما الشعر؟ الشعر إذا استحكمت فيه قعدت معلما، تفقه يُعَلِّكَ الله.

قال: فنفعني الله بكلام ذلك الحجي، ورجعت إلى مكة وكتبت عن ابن عينة ما شاء الله أن أكتب، ثم كنت أجالس مسلم بن خالد الزنجي، ثم قدمت على مالك فكتبت موطأه، فقلت له: يا أبا عبد الله أقرأ عليك؟ فقال: يا بن أخي تأتى برجل يقرؤه على وتسمع، فقلت: أقرأ عليك فتسمع إلى كلامي، فقال: اقرأ، فلما سمع قرأت عليه حتى بلغت كتاب السير، قال لي: اطوه يا بن أخي تفقه تعل.

وعن محمد بن إسماعيل الحميري عن أبيه، قال: كان الشافعي يطلب اللغة العربية والشعر وكان كثيرا ما يخرج إلى البدو فيحمل ما فيه من الأدب.

فبينما هو يوما في حى من أحياء العرب جاء إليه بدوى فقال له: ما تقول في امرأة تحيض يوما وتطهر يوما؟ قال: ما أدري، قال: يا بن أخي الفريضة أولى بك من النافلة، فقال له: إنما أريد هذا لذك، وعليه قد عزمت وبالله التوفيق، ثم خرج إلى مالك بن أنس.

وعن الحميدى عن الشافعي قال: كنت يتيما في حجر أمي، ولم يكن معها ما تعطى المعلم، وكان المعلم قد رضى مني أن أخلفه إذا قام قلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث والمسألة فكنت أنظر إلى العظم يلوح فأكتب فيه الحديث والمسألة وكانت لنا جرة عظيمة فإذا امتلأ العظم تركته في الجرة، وفي رواية أخرى فامتلا من ذلك حبان.

وعن إسماعيل بن يحيى قال: سمعت الشافعي يقول: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين.

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: يروى في الحديث أن الله تعالى يبعث على رأس كل مائة سنة من يصح لهذه الأمة دينها، فنظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز، ونظرنا في المائة الثانية فنراه الشافعي.

وقال مسلم بن خالد الزنجي للشافعي: يا أبا عبد الله أفت الناس، آن والله أن تفتي، وهو ابن دون عشرين سنة.

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي: يا أبة أي رجل كان الشافعي؟ سمعتك تكثر من الدعاء له، فقال: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض؟

وعن الميموني قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ستة أدعو لهم في السحر: أحدهم الشافعي.

وعن ابن راهويه قال: كنت مع أحمد بمكة فقال لي: تعال حتى أريك رجلا لم تر عيناك مثله، فأراني الشافعي.

وعن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي وحضر ميتا فلما سجدنا عليه نظر إليه وقال: اللهم بغناك عنه وفقره إليك اغفر له.

وعن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلهما مني إلا هبته واعتقدت مودته، ولا كابرنى على الحق أحد ودافع الحجة إلا سقط من عيني.

وعن أحمد بن خالد الخلال قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: ما ناظرت أحدا فأحببت أن يخطئ.

وعن الحسين الكرابيسي، يقول: سمعت الشافعي يقول: ما ناظرت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحدا إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه.

الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: أشد الأعمال ثلاثة: الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يرجى ويخاف.

وعنه قال: سمعت الشافعي يقول: لوددت أن الخلق يتعلمون مني ولا ينسب إلى منه شيء، وسمعته يقول: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

وعن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال: سمعت الشافعي يقول: طالب العلم يحتاج إلى ثلاث: إحداها: حسن ذات اليد، والثانية: طول عمر، والثالثة: يكون له ذكاء.

وعن الربيع قال: قال الشافعي: من طلب الرياسة فرت منه وإذا تصدر الحدث فاته علم كثير.

وعن يونس بن عبد الأعلى قال: قال لى الشافعى: يا يونس إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادر بالعداوة وقطع الولاية فتكون ممن أزال يقينه بشك، ولكن القه وقل له: بلغنى عنك كذا وكذا، واحذر أن تسمى له المبلغ فإن أنكر ذلك فقل له: أنت أصدق وأبر، لا تريدن على ذلك شيئاً وإن اعترف بذلك فرأيت له فى ذلك وجهاً لعذر فاقبل منه، وإن لم تر ذلك فقل له: ماذا أردت بما بلغنى عنك؟ فإن ذكر ما له وجه من العذر فاقبل منه، وإن لم تر لذلك وجهاً لعذر وضاق عليك المسلك، فحيث أنبتتها عليه سيئة، ثم أنت فى ذلك بالخيار: إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة وإن شئت عفوت عنه والعفو أقرب للتقوى وأبلغ فى الكرم لقول الله تعالى ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠) فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فأفكر فيما سبق له لديك من الإحسان فعدها ثم ابدر له إحساناً بهذه السيئة، ولا تبخسن باقى إحسانه السالف بهذه السيئة فإن ذلك الظلم بعينه يا يونس إذا كان لك صديق فشد يدك به فإن اتخاذ الصديق صعب ومفارقة سهل.

قال: وسمعت الشافعى يقول: يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط.

وعن أحمد بن الوزير قال: ثنا محمد بن إدريس الشافعى قال: قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شيء كمن قبل وأجاز. قال: وتنقص رجل محمد بن الحسن عند الشافعى فقال له: مه لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام.

وعن الربيع بن سليمان قال: قال الشافعى: استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر.

وعنه قال: سمعت الشافعى يقول: من ضحك منه فى مسألة لم ينسها أبداً.

وعنه قال: قال لى الشافعى: يا ربيع رضا الناس غاية لا تدرك، فعليك بما يصلحك فالزمه فإنه لا سبيل إلى رضاهم، واعلم أنه من تعلم القرآن جل فى عيون الناس ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تعلم النحو هيب ومن تعلم العربية رق طبعه ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن تعلم الفقه نبيل قدره ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه، وملاك ذلك كله التقوى. وعن المزنى قال: سمعت الشافعى يقول: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر فى الفقه نبيل مقداره، ومن تعلم اللغة رق طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

وعن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: اللبيب العاقل هو الفطن المتعقل.
وعن أبي الوليد الجارودي قال: سمعت الشافعي يقول: لو علمت أن الماء البارد يتقص من مروءتي ما شربته.

وعن الربيع قال: سأل رجل الشافعي عن سنه قال: ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه، سأل رجل مالكا عن سنه فقال: أقبل على شأنك.
قال لنا أبو بكر بن أبي طاهر: وجدت في هذه الحكاية زيادة من رواية أخرى: ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه لأنه إن كان صغيرا استحقروه، وإن كان كبيرا استهزموه.
وعنه قال: كان الشافعي قد جزأ الليل لثلاثة أجزاء: الثلث الأول يكتب، والثلث الثاني يصلى، والثلث الثالث ينام.

وعنه قال: كان للشافعي في رمضان ستون ختمة لا يحسب منها ما يقرأ في الصلاة.
أبو بكر النيسابوري قال: سمعت الربيع يقول: كان الشافعي يختم كل شهر ثلاثين ختمة وفي رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة.

وعن نهشل بن كثير، عن أبيه قال: أدخل الشافعي يوما إلى بعض حجر هارون الرشيد ليستأذن له ومعه سراج الخادم، فأقعدته عند أبي عبد الصمد مؤدب أولاد هارون الرشيد.
فقال سراج للشافعي: يا أبا عبد الله هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهذا مؤدبهم فلو أوصيته بهم، فأقبل عليه فقال، ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما تستحسنه والقيح عندهم ما تكرهه، علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للهم.

وقال الحميدي: قدم الشافعي مرة من اليمن ومعه عشرون ألف دينار فضرب خيمته خارجا من مكة فما قام حتى فرقها كلها.
وعن المزني قال: سمعت الشافعي يقول: من نظف ثوبه قل همه، ومن طاب ريحه زاد عقله.

وعن الربيع بن سليمان: قال سمعت الشافعي يقول: لمن يجفو فعل من يصفو.
وعنه قال: سمعت الشافعي يقول، وسأله رجل عن مسألة فقال: روى فيها كذا وكذا عن

النبي ﷺ ، فقال له السائل: يا أبا عبد الله تقول به؟ فرأيت الشافعي أعد وانتفض وقال: يا هذا أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً فلم أقل به؟ نعم على السمع والبصر.

قال: وسمعت الشافعي وقد روى حديثاً فقال له بعض من حضر: تأخذ بها؟ فقال: إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحاً فلم آخذ به فأنا أشهدكم أن عقلى قد ذهب ومد يديه. وعنه قال: سمعت الشافعي يقول: إذا وجدت في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت.

وعن أبي بيان الأصبهاني قال: رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت: يا رسول الله محمد بن إدريس الشافعي ابن عمك هل نفعته بشيء أو خصصته بشيء؟ فقال: نعم سألت الله ألا يحاسبه، فقلت: بماذا يا رسول الله؟ قال: إنه كان يصلى على صلاة لم يصل بمثل تلك الصلاة أحد، فقلت: وما تلك الصلاة يا رسول الله؟ قال: كان يصلى على: اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وصل على محمد كلما غفل عنه الغافلون.

قال المصنف: أخبرنا محمد بن أبي منصور قال: قرأت في كتاب محمد بن طاهر النيسابوري بخطه للشافعي - رحمه الله -:

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| إن امرأ وجد اليسار فلم يصب | حمدا ولا شكرا لغير موفق |
| الجد يدنى كل شيء شاسع | والجد يفتح كل باب مغلق |
| فلذا سمعت بأن مجدودا حوى | عودا فائمر في يديه فصدق |
| وإذا سمعت بأن محروما أتى | ماء ليشر به فغاض فحقق |
| ومن الدليل على القضاء وكونه | بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق |

وعن المزني قال: دخلت على الشافعي في علته التي مات فيها فقلت: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلا وإخواني مفارقا ولكأس المنية شاربا ولسوء أعمالي ملاقيا وعلى الله تعالى واردا فلا أدري روحى تصير إلى الجنة فأهنتها أو إلى النار فأعزيتها، ثم بكى وأنشأ يقول:

| | |
|--------------------------------|---------------------------|
| ولما قسا قلبي وضائق مذاهبي | جعلت الرجا منى لعفوك سلما |
| تعاطمنى ذنبى فلما قرنته | بعفوك ربى كان عفوك أعظما |
| وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل | تجود وتعفو منه وتكرما |

سمع الشافعي - رحمه الله - من مالك بن أنس وإبراهيم بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد العزيز الدراوردي ومسلم بن خالد الزنجي، في خلق كثير.

وحدث عنه: أحمد بن حنبل وغيره من العلماء.

وتوفي سنة أربع ومائتين.

الربيع بن سليمان قال: توفي الشافعي ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة آخر يوم من رجب ودفناه يوم الجمعة فانصرفنا فرأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين.

وعن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: ولد الشافعي في سنة خمسين ومائة ومات في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين، عاش أربعاً وخمسين.

وعن الربيع قال: كنا جلوساً في حلقة الشافعي بعد موته بيسير، فوقف علينا أعرابي فسلم ثم قال لنا: أين قمر هذه الحلقة وشمسها؟ فقلنا: توفي رحمه الله، فبكى بكاء شديداً ثم قال: رحمه الله وغفر له فلقد كان يفتح بيانه منغلقة الحجة، ويسد على خصمه واضح المحجة، ويغسل من العار وجوها مسودة، ويوسع بالرأى أبواباً منسدة، ثم انصرف.

وعنه قال: رأيت الشافعي بعد وفاته بالمنام فقلت: يا أبا عبد الله ما صنع الله بك؟ قال: أجلسني على كرسي من ذهب ونثر على اللؤلؤ الرطب، والسلام.

ممن بعد هؤلاء من الطبقات:

٢٢١- أبو غياث المكي مولى جعفر بن محمد

أبو حازم المعلى بن سعيد البغدادي قال: سمعت أبا جعفر محمد بن جرير الطبري في سنة ثلاثمائة يقول:

كنت بمكة سنة أربعين ومائتين فرأيت خراسانيا ينادي:

معاشر الحاج من وجد هميانا فيه ألف دينار فرده على أضعف الله له الثواب.

قال: فقام إليه شيخ من أهل مكة كبير من موالى جعفر بن محمد فقال له: يا خراساني بلدنا فقير أهله شديد حاله، أيامه معدودة ومواسمه منتظرة، لعله يقع بيد رجل مؤمن يرغب فيما تبذله له حللاً يأخذه ويرده عليك، قال الخراساني: فكم يريد؟ قال: العشر: مائة دينار، قال: لا أفعل ولكننا نحيله على الله عز وجل، وقال: وافترقا.

قال ابن جرير: فوقع لي أن الشيخ صاحب القريحة والواجد للهميان، فاتبعته فكان كما

ظننت فترى إلى دار مستغلة، خلقة الباب والمدخل فسمعتة يقول: يا لبابة، قالت له: لبيك أبا غياث، قال: وجدت صاحب الهميان ينادى عليه مطلقا فقلت له: قيده بأن تجعل لواجده شيئا، فقال: كم؟ فقلت: عشرة، فقال: لا، ولكننا نحيله على الله عز وجل، فأى شيء نعمل ولا بد لى من رده؟ فقالت له: تقاسى الفقر معك منذ خمسين ولك أربع بنات وأختان وأنا وأمى وأنت تأسع القوم، أشبعنا وأكسنا ولعل الله عز وجل يغنيك فتعطيه أو يكافئه عنك ويقضيه: فقال لها: لست أفعل ولا أحرق حشاشتى بعد ست وثمانين سنة.

قال: ثم سكت القوم وانصرفت، فلما أن كان من الغد ساعات من النهار سمعت الخراسانى يقول: يا معاشر الحاج وقد الله من الحاضر والبادى، من وجد هميانا فيه ألف دينار فرده أضعف الله له الثواب، قال: فقام إليه الشيخ فقال: يا خراسانى قد قلت لك بالأمس ونصحتك وبلدنا - والله - فقير قليل الزرع والضرع، وقد قلت لك أن تدفع إلى واجده مائة دينار فلعله أن يقع بيد رجل مؤمن يخاف الله عز وجل فامتنعت، فقل له عشرة دنانير منها فيرده عليك ويكون له فى العشرة الدنانير ستر وصيانة، قال: فقال له الخراسانى: لا نفعل، ولكن نحيله على الله عز وجل قال: ثم افترقا.

قال الطبرى: فما اتبعت الشيخ ولا الخراسانى، وجلست أكتب كتاب النسب للزبير بن بكار، فلما كان من الغد سمعت الخراسانى، ينادى ذلك النداء بعينه، فقام إليه الشيخ فقال له: يا خراسانى قلت لك أول أمس العشر منه، وقلت لك أمس عشر العشر، أعط دينارا عشر عشر العشر يشتري بنصف دينار قرية يستفى عليها للمقيمين بمكة بالأجرة وبنصف دينار شاة يحلبها ويجعل ذلك لعياله غداء، قال: لا نفعل، ولكن نحيله على الله عز وجل.

قال: فجذبه الشيخ وقال له: تعال خذ هميانك ودعنى أنام الليل، وأرحنا من محاسبتك، فقال له: امش بين يدي، فمشى الشيخ وتبعه الخراسانى وتبعتهما فدخل الشيخ فما لبث أن خرج وقال ادخل يا خراسانى فدخل ودخلت، فبش تحت درجة له مزبلة فأخرج منها الهميان أسود من خرق بخارية غلاظ فقال: هذا هميانك، فنظر إليه وقال: هذا هميانى، قال: ثم حل رأسه من شد وثيق ثم صب المال فى حجر نفسه وقلبه مرارا وقال: هذه دنانيرنا، وأمسك فم الهميان بيده الشمال ورد المال بيده اليمنى فيه ثم شده شدا سهلا ووضعاه على كتفه ثم أراد الخروج فلما بلغ باب الدار رجع فقال للشيخ: يا شيخ مات أبى رحمه الله وترك من هذه ثلاثة

آلاف دينار فقال لى: أخرج ثلثها ففرقها على أحق الناس عندك، وبيع رحلى واجعله نفقة لحجتك، ففعلت ذلك، وأخرجت ثلثها ألف دينار وشددتها فى هذا الهميان، وما رأيت منذ خرجت من خراسان إلى هاهنا رجلاً أحق به منك خذه بارك الله لك فيه، قال: ثم ولى وتركه، قال: فوليت خلف الخراسانى، فعدا أبو غياث فلحقنى وردنى وكان شيخاً مشدود الوسط بشريط معصب الحاجبين ذكر أن له ستاً وثمانين سنة، فقال لى: اجلس فقد رأيتك تتبعنى فى أول يوم وعرفت خبرنا بالأمس واليوم، سمعت أحمد بن يونس اليربوعى يقول: سمعت مالكا يقول: سمعت نافعاً يقول: عن عبد الله بن عمر أن النبى ﷺ قال لعمر وعلى ﷺ: «إذا أتاكم الله بهدية بلا مسألة ولا استشراف نفس فاقبلوها ولا ترداها فترد لها على الله عز وجل» وهذه هدية من الله والهدية لمن حضر.

ثم قال يا لبابة وفلاتة وفلاتة، فصاح بيناته وأخواته وزوجته وأمها وقعد وأقعدنى فصرنا عشرة فحل الهميان وقال: ابسطوا حجوركم فبسطت حجرى وما كان لهن قميص له حجر يسطونه، فمدوا أيديهم وأقبل يعد ديناراً ديناراً حتى إذا بلغ العاشر إلى قال: ولك دينار حتى فرغ الهميان وكانت ألفاً فيها ألف فأصابنى مائة دينار، فداخلى من سرور غناهم أشد مما داخلى من سرور صيانتى بالمائة دينار.

فلما أردت الخروج قال لى: يا فتى إنك لمبارك وما رأيت هذا المال قط ولا أملته وإنى لأنصحك أنه حلال فاحتفظ به واعلم أنى كنت أقوم فأصلى الغداة فى هذا القميص الخلق ثم أنزعه فيصليين فيه واحدة واحدة ثم أكتسب إلى ما بين الظهر والعصر ثم أعود فى آخر النهار بما فتح الله عز وجل لى من أقط وتمر وكسيرات ومن بقول نبذت ثم أنزعه فيتداولنه فيصليين فيه المغرب والعشاء الآخرة، فنفعهن الله بما أخذن ونفعنى وإياك بما أخذنا، ورحم صاحب المال فى قبره وأضعف ثواب الحامل للمال وشكر له.

قال ابن جرير: فودعته وكتبت بها العلم سنتين أتقوت بها وأشتري منها الورق، وأسافر وأعطى الأجرة، فلما كان بعد سنة ست وخمسين سألت عن الشيخ بمكة فقيل: إنه مات بعد ذلك بشهور، ووجدت بناته ملوكاً تحت ملوك، وماتت الأختان وأمهن، وكنت أنزل على أزواجهن وأولادهن فأحدثهم بذلك فيأنسون بى ويكرمونى، ولقد حدثنى محمد بن حيان البجلي فى سنة تسعين ومائتين أنه ما بقى منهم أحد، فبارك الله لهم فيما صاروا إليه.

٢٢٢- أبو جعفر المزين الكبير

جاور بمكة، وبها مات، وكان من العباد.

عن أحمد بن عبد الله، هو أبو نعيم، قال: سمعت أبا جعفر الخياط الأصبهاني بمكة يقول: سمعت أبا جعفر المزين يقول: محنتنا وبلاؤنا صفاتنا، فمتى فئت حركات صفاتنا أقبلت القلوب منقاداً للحق.

وقال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا جعفر المزين الكبير يقول: إن الله لم يؤمن الخائفين بقدر خوفهم ولكن بقدر جوده وكرمه، ولم يُفرح المحزونين بقدر حزنهم ولكن بقدر رأفته ورحمته.

٢٢٣- أبو الحسن علي بن محمد المزين الصغير

أصله من بغداد ولكنه أقام بمكة.

عن أبي عبد الله بن خفيف قال: سمعت أبا الحسن المزين بمكة يقول: كنت في بادية تبوك فتقدمت إلى بئر لأستقي منها فزلقت رجلى فوقعت في جوف البئر فرأيت في البئر زاوية واسعة فأصلحت موضعاً وجلست عليه وقلت: إن كان مني شيء لا أفسد الماء على الناس، وطابت نفسي وسكن قلبي فبينما أنا قاعد إذا بخشخشة فتأملت فإذا بأفعى ينزل على البئر فراجعت نفسي فإذا هي ساكنة، فتزل ودار بي وأنا هادئ السر لا يضطرب عليّ ثم لف بي ذنبه وأخرجني من البئر وحلل عني ذنبه، فلا أدري أرض ابتلعت أم سماء رفعت؟ وقمت ومشيت.

وعن جعفر الخلدی قال: ودعت المزين الصوفي فقلت: زودني شيئاً، فقال: إن ضاع منك شيء أو أردت أن يجمع الله بينك وبين إنسان فقل: يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد، اجمع بيني وبين كذا فإن الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء أو ذلك الإنسان، فما دعوت بها في شيء إلا استجيب.

وعن أبي بكر الرازي قال: سمعت أبا الحسن المزين يقول: الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة.

وقال أبو الحسن المزين: من استغنى بالله أحوج الله الخلق إليه.

(٢٢٣) هو: المزين، الأستاذ العارف، أبو الحسن البغدادي، علي بن محمد المزين، قال الذهبي: فأما أبو الحسن المزين الكبير البغدادي، فأخر جاور، فرقهما أبو عبد الرحمن السلمي، وما يظهر لي إلا أنها واحد.

وقال: المعجب بعلمه مستدرج، والمستحسن لشيء من أفعاله ممكور به.
قال السلمى: صحب أبو الحسن المزين الجنيد وسهل بن عبد الله، وأقام بمكة مجاوراً حتى توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

٢٢٤- أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني

طاف الآفاق ولقى المشايخ وسكن مكة فصار شيخ الحرم، وكان إذا خرج إلى الحرم يخلون المطاف ويقبلون يده أكثر من تقبيل الحجر، وكانت له كرامات.
عن أبي عبد الله محمد بن أحمد قال: لما عزم الشيخ سعد على الإقامة بالحرم عزم على نفسه نيفاً وعشرين عزمة يلزمها إياها من المجاهدات والعبادات، ومات بعد ذلك بأربعين سنة ولم يخل منها بعزيمة واحدة.

قال المصنف: أنبأنا إسماعيل بن أحمد عن سعد بن علي الزنجاني قال: أنشدني أبو عبد الله محمد بن أحمد الواعظ قال: أنشدني علي بن عبد العزيز الجرجاني:

ما تطعمت لذة العيش حتى صرتُ للبيت والكتاب جليسا

ليس شيء أعز عندي من العلم فلم أبتغي سواه أنيساً؟

إنما الذل في مخالطة الناس فدعهم وعش عزيزاً رئيساً

توفي الزنجاني في سنة سبعين، أو إحدى وسبعين، وأربع مائة، رحمه الله.

(٢٢٤) هو: سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين الزنجاني، الصوفي، الإمام، العلامة، الحافظ، القدوة، العابد، شيخ الحرم، أبو القاسم ولد سنة ثمانين وثلاثمائة تقريباً.

ذكر المصطفين من عباد كانوا

بمكة لم تعرف أسماؤهم

٢٢٥- عابسة

عن عبد الله بن المبارك قال: كنت بمكة فأصابهم قحط فخرجوا إلى المسجد الحرام يستسقون فلم يسقوا، وإلى جانبي أسود منهوك فقال: اللهم إنهم قد دعوك فلم تجبهم وإني أقسم عليك أن تسقينا، قال: فوالله ما لبثنا أن سقينا.

قال: فأنصرف الأسود وتبعته حتى دخل دارا في الخياطين فعلمتها، فلما أصبحت أخذت دنائير وأتيت الدار فإذا رجل على باب الدار فقلت: أردت رب هذه الدار، فقال: أنا، قلت: مملوك لك أردت شراءه، فقال: لى أربعة عشر مملوكا أخرجهم إليك فأخرجهم فلم يكن فيهم، فقلت له: بقى شيء؟ فقال: لى غلام مريض، فأخرجه فإذا هو الأسود: فقلت: بعنيه، قال: هو لك يا أبا عبد الرحمن، فأعطيته أربعة عشر ديناراً وأخذت المملوك فلما صرنا إلى بعض الطريق، قال لى: يا مولاي أى شيء تصنع بى وأنا مريض؟ فقلت: لما رأيت عشية أمس، قال: فاتكأ على الحائط فقال: اللهم إذ شهرتني فاقبضنى إليك، قال: فخر ميتا، قال: فأنحشر عليه أهل مكة.

وقد رويت لنا هذه الحكاية على صفة أخرى، قال ابن المبارك: قدمت مكة فإذا الناس قد قحطوا من المطر وهم يستسقون فى المسجد الحرام، وكنت فى الناس مما يلى باب بنى شيبه، إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزر بإحدهما وألقى الأخرى على عاتقه، فصار فى موضع خفى إلى جانبي فسمعتة يقول: إلهى أخلقت الوجوه كثرة الذنوب ومساوئ الأعمال، وقد منعتنا غيث السماء لتؤدب الخليفة بذلك، فأسألك، يا حليما ذا أناة، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل اسقهم الساعة الساعة.

قال ابن المبارك: فلم يزل يقول: الساعة الساعة، حتى استوت بالغمم وأقبل المطر من كل مكان وجلس مكانه يسبح وأخذت أبكى، إذ قام فاتبعته حتى عرفت موضعه فجئت إلى فضيل بن عياض فقال لى: ما لى أراك كئيبا؟ فقلت: سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا فقال: وما ذاك؟ فقصصت عليه القصة فصاح وسقط وقال: ويحك يا بن المبارك خذنى إليه، فقلت: قد ضاق الوقت وسأبحث عن شأنه.

فلما كان من الغد صليت الغداة وخرجت أريد الموضع فإذا شيخ على الباب قد بسط له وهو جالس فلما رأيته عرفني وقال: مرحبا بك يا أبا عبد الرحمن حاجتك، فقلت له: احتجت إلى غلام أسود.

قال: نعم عندي عدة فاختر أيهم شئت فصاح: يا غلام فخرج غلام جلد، فقال: هذا محمود العاقبة أرضاء لك، فقلت: ليس هذا حاجتي، فما زال يخرج واحلا بعد واحد حتى أخرج إلى الغلام، فلما بصرت به بدرت عياني فقال: هذا هو؟ قلت: نعم، قال: ليس إلى بيعه سبيل، قلت: ولم؟ قال: قد تبركت بموضعه من هذه الدار وذلك أنه لا يرزؤني شيئا، قلت: ومن أين طعامه وشرابه؟ قال: يكسب من قتل الشريط نصف دائق أو أقل أو أكثر فهو قوته، فإن باعه في يومه وإلا طوى ذلك اليوم، وأخبرني الغلمان عنه أنه لا ينام هذا الليل الطويل ولا يختلط بأحد منهم مهتم بنفسه، وقد أحبه قلبي فقلت له: انصرف إلى سفيان بن عينة وإلى فضيل بن عياض بغير قضاء حاجة؟ فقال: إن مشاك عندي كبير، خذه بما شئت.

قال: فاشتريته فأخذت نحو دار فضيل بن عياض، فمشيت ساعة فقال لي: يا مولاي، فقلت: لييك، قال: لا تقل لي لبيك فإن العبد أولى أن يلبى من المولى، قلت: حاجتك يا حبيبي، قال: أنا ضعيف البدن لا أطيق الخدمة وقد كان لك في غيري سعة وقد أخرج إليك من هو أجلد مني، فقلت: لا يراني الله أستخدمك ولكن أشتري لك منزلا وأزوجك وأخدمك أنا بنفسى، قال: فبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ قال: أنت لم تفعل هذا إلا وقد رأيت بعض متصلاتي بالله تعالى، وإلا فلم اخترتني من بين أولئك الغلمان؟ فقلت له: ليس بك حاجة إلى هذا، فقال لي: سألتك بالله إلا ما أخبرتنى، فقلت له: بإجابة دعوتك، فقال لي: إني أحسبك إن شاء الله تعالى رجلا صالحا، إن الله عز وجل خيرة من خلقه لا يكشف شأنهم إلا لمن أحب من عباده ولا يظهر عليهم إلا من قد ارتضى.

ثم قال لي: ترى أن تقف على قليلا فإنه قد بقيت على ركعات من البارحة فقلت: هذا منزل فضيل قريب: قال: لا، ههنا أحب إلى أمر الله عز وجل لا يؤخر فدخل من باب الباعة إلى المسجد، فما زال يصلى حتى إذا أتى على ما أراد التفت إلى وقال: يا أبا عبد الرحمن هل من حاجة؟ قلت: ولم؟ قال: لأنى أريد الانصراف، قلت: إلى أين؟ قال: إلى الآخرة، قلت: لا تفعل دعنى أسرك بك، فقال لي: إنما كانت تطيب الحياة حيث كانت المعاملة بيني

وبينه تعالى، فأما إذ طلعت عليها أنت فسيطلع عليها غيرك فلا حاجة لى فى ذلك، ثم خر لوجهه فجعل يقول: اللهم اقضنى الساعة الساعة الساعة. فدنوت منه فإذا هو قد مات، فوالله ما ذكرته قط إلا طال حزنى وصغرت الدنيا فى عيني، رحمه الله.

٢٢٦- عابد آخر

عن أبى سعيد الخزاز قال: كنت بمكة معى رفيق لى من الورعين، فأقمنا ثلاثة أيام لم نأكل شيئاً وكان بحذائنا فقير معه كوزة وركوة مغطاة بقطعة خيش. وربما كنت أراه يأكل خبز خُورارى فقلت فى نفسى والله لأقولن لهذا نحن الليلة فى ضيافتك، فقلت له فقال: نعم وكرامة.

فلما جاء وقت العشاء جعلت أراعيه ولم أر معه شيئاً فمسح يده على سارية فوقع على يده شئ فناولنى فإذا درهما لا تشبه الدراهم، فاشترينا خبزاً وأدماً. فلما مضى لذلك مدة جئت إليه وسلمت عليه وقلت له: إنى ما زلت أراعيك منذ تلك الليلة وأنا أحب أن تعرفنى بم وصلت إلى ذلك؟ فإن كان يبلغ بعمل حدثتى فقال: يا أبا سعيد ما هو إلا حرف واحد، قلت: وما هو؟ قال: تخرج قدر الخلق من قبلك تصل إلى حاجتك.

٢٢٧- عابد آخر

عن بيان المصرى قال: كنت فى مكة قاعدا وشاب بين يدى فجاءه إنسان وحمل إليه كيساً فيه دراهم فوضعه بين يديه، فقال: لا حاجة لى فيه، فقال: فرقه على المساكين ففرقه، فلما كان العشاء رأيته فى الوادى يطلب شيئاً لنفسه، فقلت: لو تركت شيئاً لنفسك مما كان معك، فقال: لم أعلم أنى أعيش إلى هذا الوقت.

٢٢٨- عابد آخر

عن عبيد الله بن أبى نوح قال: قال لنا عابد كان بمكة: ما تركت النار للعاقل سروراً فى أهل ولا ولد، ولبئس المصير مصير مفرط فى المهلة ومتكل على الغرة وطول الغفلة. وقال لنا: لتكن الأثرة لله فى قلوبكم، المستولية على جميع أموركم يوشك أن تفوزوا بذلك يوم يخسر المبطلون، رحمه الله.

ذكر المصطفيات من عابدات مكة

٢٢٩- حكيمة المكية

عن سلمة بن خالد المخزومي قال: وكان من خيار بني مخزوم، قال: كان هاهنا امرأة من بني مخزوم مجاورة، وكان يقال لها حكيمة، وكانت إذا نظرت إلى باب الكعبة قد فتح صرخت كما تصرخ الثكلى فلا تزال تصرخ حتى يغمى عليها وكانت لا تكاد تفارق المسجد إلا للأمر الذي لا بد منه.

قال: ففتحت الكعبة يوما وهي في بعض حاجتها فلما جاءت قالت لها امرأة كانت تجالسها: حكيمة فُتح اليوم بيت ربك فلو رأيت الطائفين يطوفون بالبيت والباب مفتوح، وهم ينتظرون الرحمة من مليكهم لقد قرت عينك.

قال: فصرخت حكيمة صرخة ثم لم تزل تضطرب حتى ماتت، رحمها الله.

٢٣٠- نقيش بنت سالم

عن أبي المورق قال: حدثني من سمع نقيش بنت سالم بمكة وهي تقول: يا سيد الأنام رحلت بي الشقة، وهذا مقام العائذ بعفوك من سخطك، وبرحمتك من غضبك، يا حبيب الأوابين، يا من لا يكديه الإعطاء يا ذا المن والآلاء، زدني بالثقة منك وصلة، واجعل قرأى عتي رقبتي وأقرر عيني برضاك.

قال: ورأيتها بالموقف وهي تقول: بهظنتني الآثام يا سيد الأنام كحلت عيني بملمول الحزن فوعزت لك لا نعمت بضحك أبدا حتى أعلم أين قرأى، وإلى أين تصير دارى؟ فلما رأت أيدى الناس مبسوطة للدعاء قالت: يا رب أقامهم هذا المقام خوف النار، يا قرة عيني وعيون الأبرار، يلتمسون نائلك ويرجون فضلك، فلما رجعوا وضعت خدها وصرخت: انصرف الناس ولم أشعر قلبي منك اليأس.

٢٣١- عائشة المكية

عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال: دخلت مكة، وكنت، ربما أقعد بحذاء الكعبة، وربما كنت أستلقى وأمد رجلى، فجاءتني عائشة المكية وكانت من العابدات ممن صحب الفضيل - فقالت لى: يا عبد الله، يقال إنك عالم، اقبل منى كلمة: لا تجالسها إلا بأدب فيمحو اسمك من ديوان القرب.

٢٣٢- ابنة أبي الحسن المكي

عن عبد الله بن أحمد بن بكر، قال: كان لأبي الحسن المكي ابنة مقيمة بمكة أشد ورعا منه وكانت لا تقتات إلا ثلاثين درهما يتفدّها إليها أبوها في كل سنة مما يستفضله من ثمن الخوص الذي يسفه ويبيعه.

فأخبرني ابن الرواس التمار، وكان جاره، قال جئت أودعه للحج، وأستعرض حاجته وأسأله أن يدعو لي فسلم إلى قرطاسا وقال: تسأل بمكة عن الموضع الفلاني عن فلانة وتسلم هذا إليها فعلمت أنها ابنته.

فأخذت القرطاس وجئت فسألت عنها فوجدتها بالعبادة والزهد أشد اشتهارا من أن تخفى فتبعت نفسي أن يصل إليها شيء من مالي يكون لي ثوابه، وعلمت أنني إن دفعت إليها ذاك لم تأخذه، ففتحت القرطاس وجعلت الثلاثين خمسين درهما ورددته كما كان وسلمته إليها فقالت: أي شيء خبر أبي، فقلت: سلامة، فقالت: قد خالط أهل الدنيا وترك الانقطاع إلى الله تعالى؟ فقلت: أسألك بالله وبمن حججت إليه عن شيء فتصدقني؟ فقلت: نعم، فقالت: خلطت بهذه الدراهم شيئا من عندك؟ فقلت: نعم فمن أين علمت بهذا؟ قالت: ما كان أبي يزيدني على الثلاثين شيئا لأن حاله لا يحتمل أكثر منها إلا أن يكون ترك العبادة فلو أخبرتنى بذلك ما أخذت منه أيضاً شيئا.

ثم قالت لي: خذ الجميع فقد عققنتي من حيث قدرت أنك تبرني، فقلت: ولم؟ قالت: لا أكل شيئا ليس هو من كسبي ولا كسب أبي ولا آخذ من مال لا أعرف كيف هو شيئا.

فقلت: خذي منها الثلاثين كما أنفذ إليك أبوك وردى الباقي، فقالت: لو عرفتها بعينها من جملة الدراهم لأخذتها ولكن قد اختلطت بما لا أعرف جهته فلا آخذ منها شيئا وأنا الآن أقات إلى الموسم الآخر من المزابل لأن هذه كانت قوتي تلك السنة، فقد أجمعتني، ولولا أنك ما قصدت أذى لدعوت عليك.

قال: فاغتممتُ وعدت إلى البصرة وجئت إلى أبي الحسن فأخبرته واعتذرت إليه فقال: لا آخذها وقد اختلطت بغير مالي، وقد عققنتي وإياها، قال: فقلت: فما أعمل بالدراهم؟ قال: لا أدري، فما زلت مدة أعتذر اليه وأسأله ما أعمل بالدراهم؟ فقال لي بعد مدة: تصدق بها، ففعلت.

ذكر المصطفيات من عابدات

مكة المجهولات الأسماء

٢٣٢- جارية سوداء

عن المثنى بن الصباح قال كان عطاء ومجاهد يختلفان إلى جارية سوداء في ناحية مكة تبكيهما ثم يرجعان .

٢٣٤- عابدة أخرى

عن مالك بن دينار قال: رأيت امرأة بمكة من أحسن الناس عيين قال: فكان النساء يجثن فينظرن إليها، فأخذت في البكاء، فقيل لها تذهب عينك، فقالت: إن كنت من أهل الجنة فيبدلني الله عيين أحسن من هاتين، وإن كنت من أهل النار فسيصيبهما أشد من هذا، فبكت حتى ذهبت إحدى عينيها - رحمها الله .

٢٣٥- عابدة أخرى

عن أبي عبد الرحمن المغازلي قال: كانت حكيمة مجاورة بمكة فدخلنا عليها ذات يوم، فقالت لها امرأة كانت تخدمها: إخوانك جاءوك يحبون أن يسمعوا كلامك .
قال: فبكت طويلا ثم أقبلت علينا فقالت: إخواني وقرة عيني مثلرا القيامة نصب أبصار قلوبكم وردوا على أنفسكم ما قدم تقدم من أعمالكم فما ظننتم أنه يجوز في ذلك اليوم فارغبوا إلى السيد في قبوله وتمام النعمة فيه، وما خفتم أن يرد في ذلك اليوم عليكم فخذوا في إصلاحه من اليوم ولا تغفلوا عن أنفسكم فترد عليكم حيث لا يوجد البذل، ولا يقدر على الفداء .

قال: ثم بكت طويلا ثم أقبلت علينا فقالت: إخواني وقرة عيني إنما صلاح الأبدان وفسادها في حسن النية وسوئها .

إخواني وقرة عيني إنما نال المتقون المحبة لمحبتهم له وانقطاعهم إليه ولولا الله ورسوله ما نالوا ذلك ولكنهم أحبوا الله ورسوله فأحبهم عباد الله لحبهم الله ورسوله، إخواني وقرة عيني، كلم الخوف قلوب أهله فاقطعهم والله وشغلهم عن مطاعم اللذات والشهوات، إخواني وقرة عيني، بقدر ما تعرضون عن الله يعرض عنكم بخيره، وبقدر ما تقبلون عليه كذلك يقبل عليكم ويزيدكم من فضله والله واسع كريم .

٢٣٦- عابدة أخرى

عن ابن أبي إرواد قال: كان عندنا امرأة بمكة تسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة، فماتت فلما بلغت القبر اختلست من أيدي الرجال، رحمها الله.

٢٣٧- عابدة أخرى

عن ابن شاذب قال: كتب عبدة بن أبي لبابة إلى شريك يقال له الحسن بن الخزاز: ادفع ثلاث مائة درهم إلى أحوج أهل بيت بمكة، فسأل فدل على أهل بيت فوقف بهم، فخرجت إليه امرأة كبيرة حسنة السميت فقال لها: بُعث إلى بثلاث مائة درهم وأمرت أن أدفعها إلى أحوج أهل بيت بمكة فقالت المرأة: إن كنت أمرت بهذا فما نحن هم وما لنا فيها من حق، وأنا أعرف أهل بيت أحوج منا.

فسألها فدلته عليهم فأعطاهم الدراهم وكتب إلى عبدة يخبره بحال المرأة فكتب عبدة أن أضعفها أعطها ستمائة درهم. وقد ذكرنا نحو هذه الحكاية عن عابدة من أهل المدينة.

٢٣٨- عابدة أخرى

عن أبي الحسن الرام، وكان من خيار الناس قال: كانت امرأة بمكة يأتيها العباد فيتحدثون عندها ويتواضعون، فقالت لهم يوماً: حجب قلوبكم الدنيا عن الله عز وجل، فلو جليتموها لجالت في ملكوت السموات ولأنتكم بطرف الفوائد.

٢٣٩- عابدة أخرى

عن صالح بن عبد الكريم قال: دلت على امرأة بمكة أو بالمدينة تتعبد فأتيته وهي تتكلم، قال: فأحسنحت حتى سكنت، قال: فصبرت حتى تفرق الناس عنها ثم دنوت منها فقلت: لقد تكلمت ولقد خشيت عليك العجب فقالت: إنما العجب من شيء هو منك فأما ما كان من غيرك فقيم العجب؟ ثم قالت:

وله خصائص مصطفون لحبه اختارهم في سالف الأزمان

اختارهم من قبل فطرة خلقه بودائع وبحكمة وبيان

ثم قالت: انهض إذا شئت.

٢٤٠- عابدة أخرى

عن عبد الرحمن بن الحكم قال: كانت عجوز من قريش بمكة تأوى في سرب ليس لها بيت غيره، فقيل لها: أترضين بهذا؟ فقالت: أوليس هذا لمن يموت كثيراً.

٢٤١- عابدة أخرى

عن محمد بن بكار قال: كانت عندنا امرأة عابدة فكانت لا تمر بها ساعة إلا وهى صارخة فقيل لها يوما: إنا لنراك على حال ما نرى غيرك عليها، فإن كان بك داء عالجنالك.
قال: فبكيت وقالت: من لى بعلاج هذا الداء؟ وهل أقرح قلبى إلا التفكير فى نيل معالجتته؟ أوليس عجيبا أن أكون حية بين أظهركم وفى قلبى من الاشتياق إلى ربى عز وجل مثل شعل النار التى لا تطفأ، حتى أصير إلى الطبيب الذى عنده برء دائى وشفاء قلب قد أنضجه طول الأحزان فى هذه الدار التى لا أجد فيها على البكاء مسعدا؟
انتهى ذكر أهل مكة

ومن المصطفين من أهل الطائف:

٢٤٢- سعيد بن السائب الطائفى

روى عن أبيه ونوح بن صعصعة وغيرهما وروى عنه وكيع ومعن بن عيسى.
عن سفيان قال: كان سعيد بن السائب الطائفى لا تكاد تجف له دمعة إنما دموعه جارية دهره: إن صلى فهو يبكى وإن طاف فهو يبكى، وإن جلس يقرأ فى المصحف فهو يبكى وإن لقينته فى طريق فهو يبكى.
قال سفيان: فحدثونى أن رجلا عاتبه على ذلك فبكى ثم قال: إنما ينبغى أن تعذلى وتعاتبنى على التقصير والتفريط فإنهما قد استوليا على.
وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال: ما رأيت أحدا قط أسرع دمعة من سعيد بن السائب، إنما كان يجريه أن يحرك فترى دموعه كالقطر.
عن محمد بن يزيد بن خنيس قال: قيل لسعيد بن السائب: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أنتظر الموت على غير عدة.
وعنه قال: سمعت الثورى يقول: جلست ذات يوم أحدث ومعنا سعيد بن السائب الطائفى؟ فجعل سعيد يبكى حتى رحمته، فقلت: يا سعيد، ما يبكيك، وأنت تسمعنى أذكر أهل الخير وفعالهم؟ فقال: يا سفيان، وما يمنعنى من البكاء إذا ذكرت مناقب أهل الخير وكنت عنهم بمعزل؟
قال: يقول سفيان: حُقْ له أن يبكى، رحمه الله.

(٢٤٢) هو: سعيد بن السائب بن يسار الثقفى، الطائفى، وهو ابن أبى يسار، ثقة عابد، من السابعة.

ذكر المصطفين من طبقات أهل اليمن من التابعين و من بعدهم

فمن الطبقة الثانية:

٢٤٣- طاوس بن كيسان

يكنى أبا عبد الرحمن - قال الواقدي: كان طاوس مولى بحير بن ريسان الحميري وكان ينزل الجند، وقال الفضل بن دكين: هو مولى لهمدان، وقال عبد المنعم بن إدريس: هو مولى لابن هوزة الهمداني.

عن الحسن بن حصين قال: رأيت طاوسا مر براءس بمكة وقد أخرج رأسا فلما رآه صعق. وعن عبد الله بن بشر أن طاوسا اليماني كان له طريقان إلى المسجد طريق في السوق وطريق آخر، فكان يأخذ في هذا يوما وفي هذا يوما فإذا مر في طريق السوق فرأى تلك الرؤوس المشوية لم يتعش تلك الليلة - وقد روى لنا: لم ينس.

وعن مسعر عن رجل قال: أتى طاوس رجلا في السحر فقالوا: هو نائم، فقال: ما كنت أرى أن أحدا ينام في السحر.

وعن عبد الرزاق قال: حدثني أبي قال: كان طاوس يصلى في غداة باردة فمر به محمد ابن يوسف أخو الحجاج بن يوسف، أو أيوب بن يحيى وهو ساجد في موكبه فأمر بساج أو طيلسان مرتفع فطرح عليه فلم يرفع رأسه حتى فرغ من حاجته فلما سلم نظر فإذا الساج عليه، قال: فانتفض ولم ينظر إليه ومضى إلى منزله.

وعن أبي إسحاق الصغاني قال: دخل طاوس ووهب بن منبه على محمد بن يوسف أخى الحجاج، وكان عاملا علينا، في غداة باردة فقع طاوس على الكرسي، فقال محمد: يا غلام هلم ذلك الطيلسان فألقه على أبي عبد الرحمن، فألقوه عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى عنه الطيلسان وغضب محمد بن يوسف، فقال له وهب: والله إن كنت لغنيا أن تغضبه علينا، لو أخذت الطيلسان فبعته وأعطيت ثمنه المساكين فقال: نعم لولا أن يقال من بعدي: أخذه طاوس فلا يصنع به ما أصنع، لفعلت.

(٢٤٣) هو: طاوس بن كيسان اليماني، أبو عبد الرحمن الحميري مولا هم الفارسي، يقال: اسمه ذكوان، وطاوس لقب، ثقة فقيه فاضل.

وعن النعمان بن الزبير أن محمداً بن يوسف وأيوب بن يحيى بعثا إلى طاوس بخمس مائة دينار وقالوا للرسول إن أخذها منك فإن الأمير سيكسوك ويحسن إليك: فخرج بها حتى قدم على طاوس فقال: يا أبا عبد الرحمن نفقة بعث بها إليك الأمير، قال: ما لي بها من حاجة، قال فأراده على قبضها فأبى، فغفل طاوس فرمى بها في كوة في البيت ثم ذهب، فقال لهم: قد أخذها، فلبثوا حيناً: ثم بلغهم عن طاوس شيء يكرهونه، فقال: ابعثوا إليه فليبعث إلينا بما لنا فجاءه الرسول فقال: المال الذي بعث به إليك الأمير، قال: ما قبضت منه شيئاً، فرجع الرسول فأخبرهم فعرّفوا أنه صادق.

ف قيل للرجل الذي ذهب بها، فبعثوه إليه فقال: المال الذي جئت بك به يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: هل قبضتُ منك شيئاً؟ قال: لا، قال: فهل تدري أين وضعته؟ قال: نعم في تلك الكوة، قال: فأبصره حيث وضعته، قال: فمد يده فإذا هو بالصرة قد بنت عليها العنكبوت فأخذها فذهب بها إليهم.

وعن سفيان قال: جاء ابن لسليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاوس فلم يلتفت إليه، فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه؟ قال: أردت أن يعلم أن الله عباداً يزهدون فيما في يديه.

وعن سفيان عن عمرو قال: ما رأيت أحداً أشد تنزهاً مما في أيدي الناس من طاوس. وعن ابن أبي رواد قال: رأيت طاوساً وأصحابه إذا صلوا العصر استقبلوا القبلة ولم يكلموا أحداً وابتهلوا في الدعاء.

وعن الصلت بن راشد قال: كنت عند طاوس، فسأله سلم بن قتيبة عن شيء فزبره وانتهره، قال: قلت: هذا سلم بن قتيبة صاحب خراسان، قال: ذاك أهون له عليّ.

وعن عبد الرزاق قال: قدم طاوس مكة فقدم أمير، قال: فقيل له إن من فضله ومن ومن فلو أتيت، قال: ما لي إليه حاجة، قالوا: إنا نخافه عليك، قال: فما هو كما تقولون.

وعن ابن طاوس قال: قلت لأبي: أريد أن أتزوج فلانة، قال: اذهب فانظر إليها، قال: فذهبت فلبست من صالح ثيابي وغسلت رأسي وادهنت فلما رأتني من تلك الهيئة قال: اقعد لا تذهب.

وعن بلال بن كعب قال: كان طاوس إذا خرج من اليمن يعنى إلى مكة لم يشرب إلا من تلك المياه القديمة الجاهلية.

وعن يوسف بن أسباط قال: مر طاوس بنهر قد كرى فأرادت بغلته أن تشرب فأبى أن يدعها، يعنى: كراه السلطان.

وعن عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه قال: صلى وهب بن منبه وطاوس اليماني الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة.

وعن ابن جريج قال: قال لى عطاء: قال لى طاوس: يا عطاء لا تنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه وجعل عليها حجاب، ولكن أنزلها بمن بابيه مفتوح لك إلى يوم القيامة، أمرك أن تدعوه وضمن لك أن يستجيب لك.

وعن أحمد بن أبى الحوارى قال: سمعت أبا سليمان قال: كان طاوس يفرش فراشه ثم يضطجع فيتقلّى كما تتقلّى الحبة فى المقلّى، ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح، ويقول: طير ذكر جهنم نوم العابدين.

وعن ليث عن طاوس قال: ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا أحصى عليه، حتى أنه فى مرضه.

وعن عبد الله بن أبى صالح المكى قال: دخل على طاوس يعودنى فقلت: يا أبا عبد الرحمن ادع الله لى فقال: ادع لنفسك فإنه يجب المضطر إذا دعاه.

وعن سفيان قال: قال طاوس: إن الموتى يفتنون فى قبورهم سبعا فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام.

وعن داود بن إبراهيم أن الأسد حبس الناس ليلة فى طريق الحج فذق الناس بعضهم بعضا فلما كان فى السحر ذهب عنهم فتزل الناس يمينا وشمالا ~~فألقوا أنفسهم~~ فناموا، وقام طاوس يصلى، فقال ابن طاوس: ألا تنام فقد نصبت الليلة، فقال طاوس: ومن ينام السحر؟.

أدرك طاوس خلقا كثيرا من الصحابة وأكثر روايته عن ابن عباس.

وروى عنه من كبار التابعين: مجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وأبو الزبير ومحمد بن المنكدر والزهرى وهب بن منبه.

وعن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس قال: أدركت خمسين من أصحاب رسول الله

ﷺ.

وعن سفيان قال: قلت لعبيد الله بن أبى يزيد: مع من كنت تدخل على ابن عباس؟ قال: مع عطاء والعامه، وكان طاوس يدخل مع الخاصة.

ذكر وفاته رحمه الله:

توفي طاوس بمكة قبل يوم التروية بيوم، وكان هشام بن عبد الملك قد حج في تلك السنة وهو خليفة سنة ست ومائة، فصلى على طاوس وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة. وعن ضمرة عن ابن شاذب قال: شهدت جنازة طاوس بمكة سنة ست ومائة فسمعتهم يقولون: رحمك الله أبا عبد الرحمن، حج أربعين حجة - رحمه الله -.

٢٤٤- وهب بن منبه

من الأبناء يكنى أبا عبد الله.

عن عبد العزيز بن رفيع، عن وهب بن منبه، قال: الإيمان عريان، ولباسه التقوى وزينته الحياء، وماله الفقه.

وعن عبد الصمد بن معقل أن وهب بن منبه قال في موعظة له: «يا بن آدم إنه لا أقوى من خالق ولا أضعف من مخلوق، ولا أقدر ممن طلبته في يده، ولا أضعف ممن هو من يد طالبه، يا بن آدم إنه قد ذهب منك ما لا يرجع إليك وأقام معك ما سيذهب.

يا بن آدم أقصر عن تناول ما لا تنال وعن طلب ما لا تدرك وعن ابتغاء ما لا يوجد واقطع الرجاء منك عما فقدت من الأشياء، واعلم أنه رب مطلوب هو شر لطالبه.

يا بن آدم إنما الصبر عند المصيبة، وأعظم من المصيبة سوء الخلف منها.

يا بن آدم فأى الدهر ترتجى؟ أيوما يجيء في غرة أو يوما تستأخر فيه عن أوان مجيئه؟ فانظر إلى الدهر تجده ثلاثة أيام: يوما مضى لا ترتجيه، ويوما لا بد منه، ويوما يجيء لا تأمنه، فأمس شاهد مقبول وأمين مؤد وحكيم وارد، قد فجعلك بنفسه وخلف في يديك حكمته، واليوم صديق مودع كان طويل الغيبة وهو سريع الظعن، أنك ولم تأته وقد مضى قبله شاهد عدل، فإن كان ما فيه لك فاشفعه بمثله.

يا بن آدم قد مضت لنا أصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد أصله؟!

يا بن آدم إنما أهل هذه الدار سفر لا يحلون عقدة الرحال إلا في غيرها وإنما يتبلغون بالعوارى فما أحسن الشكر للنعم، والتسليم للمعير.

فاعلم يا بن آدم أنه لا رزية أعظم من رزية في عقل ممن ضيع اليقين.

أيها الناس، إنما البقاء بعد الفناء، وقد خلقنا ولم نكن، سنبلى ثم نعود، ألا وإنما العوارى اليوم والهبات غدا.

(٢٤٤) هو: وهب بن منبه بن كامل اليماني، أبو عبد الله الأنباري ثقة، من الثالثة.

ألا وإنه قد تقارب منا سلب فاحش أو إعطاء جزيل فاستصلحوا ما تقدمون بما تظعنون عنه .

أيها الناس إنما أنتم في هذه الدار غرض فيكم المنايا تنتضل، وإن الذي أنتم فيه من دياكم نهب للمصائب، لا تتناولون فيها نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يستقبل معمر منكم يوما من عمره إلا بهدم آخر من أجله، ولا تجدد زيادة في أجله إلا بنفاد ما قبله من رزقه، ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر فנסأل الله أن يبارك لنا ولكم فيما مضى من هذه العظة .

وعن بكار بن عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه يقول: مر رجل عابد على رجل عابد فقال: ما لك؟ قال: أعجب من فلان إن كان قد بلغ من عبادته فمالت به الدنيا، فقال: لا تعجب ممن تميل به ولكن اعجب ممن استقام .

وعن أشرس، عن وهب بن منبه قال: أوحى الله عز وجل إلى داود: يا داود هل تدري من أغفر له ذنوبه من عبدي؟ قال: من هو يا رب؟ قال: الذي إذا ذكر ذنوبه ارتعدت منها فرائصه، فذلك العبد الذي أمر ملائكتي أن يمحو عنه ذنوبه .

قال: وقال داود: إلهي أين أجذك إذا ما طلبتك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من مخافتى .

وعن بكار بن عبد الله عن وهب قال: قرأت في بعض الكتب أن مناديا ينادى من السماء الرابعة كل صباح: أبناء الأربعين، زرع قد دنا حصاده، أبناء الخمسين ماذا قدمتم؟ وماذا أخرتم؟ أبناء الستين لا عذر لكم، ليت الخلق لم يخلقوا وإذا خلقوا علموا لماذا خلقوا، قد أتتكم الساعة فخذوا حذرکم .

وعن عبد الصمد بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه يقول: قرأت في التوراة: أيما دار بنيت بقوة الضعفاء جعلت عاقبتها للخراب، وأيما مال جمع من غير حل جعلت عاقبته إلى الفقر .

وعن عبد الرزاق قال: أخبرني أبي قال: سمعت وهب بن منبه يقول: ربما صليت الصبح بوضوء العتمة - وقد روى لنا من طريق آخر - .

وعن المثني بن الصباح قال: لبث وهب بن منبه عشرين سنة لم يجعل له بين العشاء والصبح وضوءاً .

وقد روي في ترجمة طاوس أن وهب بن منبه صلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة .

وعن أبي سنان القسملی قال: سمعت وهب بن منبه وأقبل على عطاء الخراسانی فقال: «ويحك يا عطاء ألم أخبر أنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا؟ ويحك يا عطاء تأتي من يخلق عنك بابه، ويظهر لك فقره ويوارى عنك غناه، وتدع من يفتح لك بابه، ويظهر لك غناه ويقول ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾» (غافر: ٦٠).

ويحك يا عطاء ارض بالدون من الدنيا مع الحكمة ولا ترض بالدون من الحكمة مع الدنيا، ويحك يا عطاء إن كان يغنيك ما يكفيك فإن أدنى ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس في الدنيا شيء يكفيك، ويحك يا عطاء إنما بطنك بحر من البحور وواد من الأودية فليس يملؤه إلا التراب».

وعن منير مولى الفضل بن أبي عياش قال: كنت جالسا مع وهب بن منبه فأتاه رجل فقال: إني مررت بفلان وهو يشتمك فغضب وقال: ما وجد الشيطان رسولا غيرك؟ فما برحت من عنده حتى جاء ذلك الرجل الشاتم فسلم على وهب. فرد عليه ومد يده وصافحه وأجلسه الى جنبه.

وعن إبراهيم بن عمر قال: قال وهب بن منبه: إذا مدحك الرجل بما ليس فيك فلا تأمنه أن يذمك بما ليس فيك.

وعن جعفر بن برقان، عن وهب بن منبه قال: الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس بينهما حرون، فإذا قاد القائد ولم يسق السائق لم يغن ذلك شيئا، وإذا ساق السائق ولم يقد القائد لم يغن ذلك شيئا، وإذا قاد القائد وساق السائق اتبعته النفس طوعا وكرها وطاب العمل.

أسند وهب بن منبه عن: جابر بن عبد الله، والنعمان بن بشير، وابن عباس (وخلق كثير يطول شرحهم).

وقد روى عن معاذ بن جبل، وأبي هريرة، في آخرين، وروى عن خلق كثير من كبار التابعين كطاوس.

وروى عنه من التابعين جماعة منهم: عمرو بن دينار، وأبان بن أبي عياش، وموسى بن عقبة في آخرين.

قال الواقدي: مات وهب بن منبه بصنعاء سنة عشر ومائة، وقيل: سنة أربع عشرة.

٢٤٥- المغيرة بن حكيم الصنعاني

من الأبناء .

عن عبد الله بن إبراهيم قال أخبرني أبي قال: سافر المغيرة بن حكيم إلى مكة أكثر من خمسين سفراً حافياً محرماً صائماً، لا يترك صلاة السحر في سفره، إذا كان السحر نزل فصلّى ويمضى وأصحابه فإذا صلى الصبح لحق متى ما لحق.

وعن إبراهيم بن عمر قال: كان جزء المغيرة بن حكيم في يومه وليلته: القرآن كله، يقرأ في صلاة الصبح من البقرة إلى هود، ويقرأ قبل الزوال إلى أن يصلى العصر من هود إلى الحج، ثم يختم.

سمع المغيرة بن حكيم من ابن عمر، وأبي هريرة، وغيرهما.

٢٤٦- الحكم بن أبان العدني أبو عيسى

عن إسحاق بن الضيف قال: سمعت مشيخة يقولون: كان الحكم بن أبان سيد أهل اليمن، وكان يصلى الليل فإذا غلبه النوم ألقى نفسه في البحر وقال: أسبح لله عز وجل مع الحيتان.

سمع الحكم من عكرمة وغيره، وتوفي سنة أربع وخمسين ومائة، رحمه الله.

٢٤٧- ضرغام بن وائل الحضرمي

عن الطلحي قال: كان رجل بأرض اليمن يقال له ضرغام بن وائل الحضرمي، وكان زاهد قومه: فقال لغلّامه ذات يوم: اشدّد كتافى، وعفر خدى بالثرى، ففعل، فقال: ملكى دنا الرحيل إليك ولا براءة لى من ذنب، ولا عذر لى فاعتذر، ولا لى قوة فأنصّر، أنت أنت لى فتغمدنى، قال ومات، فسمعوا قائلاً يقول: إسكان العبد لمولاه فقبله.

(٢٤٥) هو: المغيرة بن حكيم الصنعاني، ثقة، من الرابعة.

(٢٤٦) هو: الحكم بن أبان العدني، أبو عيسى، صدوق عابد، وله أوهام، من السادسة.

ذكر المصطفين من عباد اليمن

المجهولين الأسماء

٢٤٨- عابـد

عن علي بن زيد قال: قال طاوس: بينا أنا بمكة بعث إلى الحجاج فأجلسني إلى جنبه، وأتكاني على وساده إذ سمع ملتيا يلبي حول البيت رافعاً صوته بالتلبية، فقال: عليّ بالرجل، فأتى به، فقال: ممن الرجل؟ فقال: من المسلمين، قال: ليس عن الإسلام سألت، قال: فعم سألت؟ قال: سألتك عن البلد، قال: من أهل اليمن، قال: كيف تركت محمد بن يوسف؟ يريد أخاه، قال تركته عظيماً جسيماً لباساً ركاباً خراجاً ولاجاً، قال: ليس عن هذا سألتك: قال: فعم سألت؟ قال: سألتك عن سيرته، فقال: تركته ظلوماً غشوماً مطيعاً للمخلوق عاصياً للخالق.

فقال له الحجاج: ما حملك أن تتكلم بهذا الكلام وأنت تعلم مكانه مني، قال الرجل: أترأه بمكانه منك أعز مني بمكاني من الله عز وجل وأنا وافد بيته ومصدق نبيه وقاضي دينه؟ قال: فسكت الحجاج فما أحرار جواباً، وقام الرجل من غير أن يؤذن له فانصرف.

قال طاوس: وقمت في أثره وقلت: الرجل حكيم، فأتى البيت فتعلق بأستاره ثم قال: اللهم بك أعوذ وبك ألوذ، اللهم اجعل لي من اللفف إلى جودك والرضا بضممانك مندوحة عن منع الباخلين وغنى عما في أيدي المستأثرين، اللهم فرجك القريب القريب ومعروفك القديم وعادتك الحسنة.

ثم ذهب في الناس فرأيته عشية عرفة وهو يقول: اللهم إن كنت لم تقبل حجى وتعبي ونصبي فلا تحرمني الأجر على مصيبتى بتركك القبول مني، ثم ذهب في الناس فرأيته غداة جمع يقول: واسوأتاه، والله منك وإن عفوت، يردد ذلك.

٢٤٩- عابـد آخر

موسى بن علي الأخميمي قال: قال ذو النون: وصف لي رجل باليمن قد برز على الخائفين وسما على المجتهدين، وذكر لي باللب والحكمة، فخرجت حاجاً فلما قضيت نسكى مضيت إليه لأسمع من كلامه وأنفنع بموعظته أنا وناس كانوا معي يطلبون منه مثل ما أطلب.

وكان معنا شاب عليه سيماء الصالحين ومنظر الخائفين، كان مصفار الوجه من غير

مرض، أعمش العينين من غير عمش، ناحل الجسم من غير سقم، يحب الخلوة ويأنس بالوحدة تراه أبداً كأنه قريب العهد بالمصيبة، فخرج إلينا فجلسنا إليه فبدأ الشاب بالسلام عليه وصافحه، فأبدى الشيخ له البشر والترحيب، ثم سلمنا عليه فقال الشاب إن الله بمنه وفضله قد جعلك طبيباً لسقام القلوب معالِجاً لأوجاع الذنوب وبى جرح نغل وداء قد استكمل، فإن رأيت أن تلتطف لى ببعض مراهمك وتعالجنى برفقك.

فقال له الشيخ: سل ما بدا لك يا فتى، فقال له الشاب: يرحمك الله ما علامة الخوف من الله تعالى؟ قال: أن يؤمنه خوفه كل خوف غير خوفه، قال: متى يتبين للعبد خوفه من الله تعالى؟ قال: إذا أنزل نفسه من الدنيا منزلة السقيم فهو يحتمى من أكل الطعام مخافة السقام، ويصبر على مضض كل دواء مخافة طول الضنى.

فصاح الفتى صيحة ثم بقى باهتا ساعة ثم قال: رحمك الله ما علامة المحب لله تعالى؟ فقال له: حبيى إن درجة المحب درجة رفيعة، قال: وأنا أحب أن تصفها لى، قال: فإن المحبين لله تعالى شق لهم عن قلوبهم فأبصروا بنور القلوب عز جلال الله فصارت أبدانهم دنيوية وأرواحهم حجية، وعقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة وتشاهد تلك الأمور باليقين فعبدوه بمبلغ استطاعتهم حبا لا طمعا فى جنة ولا خوفا من نار.

فشهق الفتى وصاح صيحة كانت فيها نفسه، قال: فأكب الشيخ عليه يلثمه ويقول هذا مصرع الخائفين، وهذه درجة المجتهدين.

٢٥٠- عابـدان

أبو بكر القرشى قال: قرأت فى كتاب جعفر الآدمى بخطه: قال سلامة: كنت باليمن فى بعض مخاليفها فإذا رجل معه ابن له شاب فقال: إن هذا أبى وهو من خير الآباء ولى بقر تأتىنى مساء فأحلبها ثم أتى أبى وهو فى الصلاة فأحب أن يكون عيالى يشربون فضله فلا أزال قائما عليه والإناء فى يدي وهو مقبل على صلاته، وعسى أن لا ينقتل ويقبل علىّ حتى يطلع الفجر.

قلت للشيخ: ما تقول؟ قال: صدق، وأثنى على ابنه، ثم قال إنى أخبرك بعذرى: إذا دخلت فى الصلاة فاستفتحت القرآن ذهب بى مذاهب وشغلنى، حتى ما أذكره، حتى أصبح.

قال سلامة: ذكرت أمرهما لعبد الله بن مرزوق فقال: هذان يُدفع بهما عن أهل اليمن قال: وذكرت أمرهما لابن عيينة فقال: هذان يدفع بهما عن أهل الأرض، رحمهم الله.

ذكر المصطفيات من عابدات اليمن

٢٥١- خنساء بنت خدام وليست بالصحابية

عن حفص بن عمرو الجعفي قال: كانت باليمن امرأة من العرب جلييلة جهورية حسنا وجمالا كأنها بدنة، يقال لها خنساء بنت خدام، فصامت أربعين عاماً حتى لصق جلدها بعظمها، وبكت حتى ذهبت عيناها، وقامت حتى أقعدت من رجلها. وكان طاوس ووهب بن منبه يعظمان قدرها، وكانت إذا جن عليها الليل وهدأت العيون وسكنت الحركات تنادى بصوت لها حزين: يا حبيب المطيعين، إلى كم تحبس حدود المطيعين في التراب، ابعثهم حتى ينجزوا موعدك الصادق الذي أنعوا له أنفسهم ثم أنصبوها. قال: فيسمع البكاء من الدور حولها.

٢٥٢- سوية

عن أبي هشام - رجل من قریش من بنى عامر - قال: قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سوية، فنزلت في بعض رباعنا، فكنت أسمع لها من الليل نحييا وشهيقا، فقلت للجارية: أشرفي على هذه المرأة فانظري ما تصنع؟ فإذا هي قائمة مستقبلة القبلة رافعة رأسها إلى السماء فقلت: ما تصنع؟ قالت: ما أراها تصنع شيئا غير أنها لا ترد طرفها عن السماء، فقلت: اسمعي ما تقول، قالت: لا أفهم كثيرا من قولها، غير أني أسمعها تقول: أراك خلقت سوية من طينة لازبة غمرتها بنعمتك تغذوها من حال إلى حال وكل أحوالك لها حسنة، وكل بلائك عندها جميل، وهى مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك، فلتة في إثر فلتة أترى أنها تظن أنك لا ترى سوء فعالها؟ بلى وأنت على كل شيء قدير. ثم صرخت وسقطت، ونزلت الجارية فأخبرتني بسقطتها فلما أصبحنا نظرنا فإذا هي ماتت - والسلام -.

ومن عابدات اليمن المجهولات الأسماء:

٢٥٣- عابدة

عن محمد بن سليمان القرشى قال: بينا أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف في الطريق في أذنيه قرطان، في كل قرط جوهره، يضيء وجهه من ضوء تلك الجوهرة، وهو يمجده ربه بأبيات من الشعر، فسمعتة يقول: عليك في السماء به افتخارى عزيز القدر ليس به خفاء

فدنوت منه فسلمت عليه فقال: ما أنا براد عليك حتى تؤدى من حقى ما يجب لى عليك، قلت: وما حَقُّك؟ قال: أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل عليه السلام لا أتغدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير العيل والميلين فى طلب الضيف.

فأجبتة إلى ذلك فرحب بى وسرت معه حتى قربنا من خيمة شعر، فلما قربنا من الخيمة صاح: يا أختاه، فأجابته جارية من الخيمة: يا لبيكاه، فقال: قومى إلى ضيفنا، فقالت الجارية: حتى أبدأ بشكر المولى الذى سبب لنا هذا الضيف، فقامت فصلت ركعتين شكرا لله عز وجل.

فأدخلنى الخيمة وأجلسنى، وأخذ الغلام الشفرة وأخذ عناقا ليذبحها فلما جلست فى الخيمة نظرت إلى أحسن الناس وجهاً، فكنت أسارقها النظر ففطنت لبعض لحظاتي إليها فقالت لى: مه أما علمت أنه قد نقل إلينا عن صاحب يثرب عليه السلام أن زنى العينين النظر؟ أما إني ما أردت بهذا أن أويحك، ولكنى أردت أن أؤدبك لكى لا تعود إلى مثل هذا.

فلما كان النوم بت أنا والغلام خارجا وباتت الجارية فى الخيمة وكنت أسمع دوى القرآن الليل كله بأحسن صوت يكون وأرقه.

فلما أصبحت قلت للغلام: صوت من كان ذلك؟ فقال: تلك أختى تحى الليل كله إلى الصباح، فقلت: يا غلام أنت أحق بهذا العمل من أختك، أنت رجل وهى امرأة، قال: فتبسم وقال لى: ويحك يا فتى أما علمت أنه موفق ومخدول؟.

انتهى ذكر أهل اليمن

ذكر المصطفين من أهل بغداد

نزل بغداد خلق كثير من العلماء والزهاد والأولياء والعباد، وإنما نتخب منهم من يدخل في شرط كتابنا هذا ونذكرهم على طبقاتهم والله الموفق.

٢٥٤- أبو هاشم الزاهد

قال أبو نعيم الحافظ: أبو هاشم من قدماء زهاد بغداد، ومن أقران أبي عبد الله البرائي، وبلغني أن سفيان الثوري جلس إليه وقال: ما زلت أرائي وأنا لا أشعر حتى جالست أبا هاشم فأخذت منه ترك الرياء.

محمد بن حسين قال: حدثني بعض أصحابنا قال: قال أبو هاشم الزاهد: إن الله عز وجل وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المريدين به دونها، وليقبل المطيعون له بالإعراض عنها وأهل المعرفة بالله فيها مستوحشون وإلى الآخرة مشتاقون.

وعن حكيم بن جعفر قال: نظر أبو هاشم إلى شريك القاضي يخرج من دار يحيى بن خالد فبكى وقال: أعوذ بالله من علم لا ينفع.

وعن محمد بن الحسين قال: قال أبو هاشم الزاهد أخذ المرء نفسه بحسن الأدب تأديب أهله.

٢٥٥- أسود بن سالم

أبو محمد العابد، كان صالحا ورعا، وكان بينه وبين معروف الكرخي مؤاخاة ومودة.

عن علي بن محمد بن إبراهيم الصفار قال: حضرت أسود بن سالم ليلة فقلت:

أمامي موقف قدام ربي يسأئلني وينكشف الغطاء

وحسبي أن أمر على صراط كحد السيف أسفله لظاء

قال: فصرخ أسود صرخة ولم يزل مغشيا عليه حتى أصبح.

وعن أحمد بن الحكم الصاغاني قال: جاء رجل إلى ابن حميد فقال: إنني اغتبت أسود بن سالم فأتيت في منامي فقيل لي: تغتاب وليا من أولياء الله لو ركب حائطا ثم قال له سر لسار؟.

وعن محمد بن إبراهيم السائح قال: قال أسود بن سالم: ركعتان أصليهما أحب إلي من الجنة بما فيها، فقيل له: هذا خطأ، فقال: دعونا من كلامكم، رأيت الجنة رضا نفسي وركعتين أصليهما رضا ربي، ورضا ربي أحب إلي من رضا نفسي.

(٢٥٤) هو: أبو هاشم الزاهد المعروف، انظر «حلية الأولياء» (١٠ / ٢٣٩) و«تاريخ بغداد» (١٤ /

أسند أسود عن: حماد بن زيد وسفيان بن عيينة وإسماعيل بن علية في آخرين .
وتوفى في سنة ثلاث عشرة أو أربع عشرة ومائتين .

٢٥٦- منصور بن عمار بن كثير

أبو السرى الواعظ

أصله من خراسان - قال أبو عبد الرحمن السلمي: هو من أهل مرو، وقيل هو من أهل بوشنج، وقيل من البصرة، سكن بغداد .

عن أبي سعيد بن يونس قال: كان منصور بن عمار في قصصه وكلامه شيئاً عجبا لم يقص على الناس مثله .

وعن سليم بن منصور قال: رأيت أبا في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: إن الرب قربني وأذناني وقال لي: يا شيخ السوء تدري لم غفرت لك؟ قلت: لا يا إلهي، قال: إنك جلست للناس يوما مجلسا فبكيتهم، فبكي فيه عبد من عبادي لم يبكي من خشيتي قط فغفرت له ووهبت أهل المجلس كلهم له، ووهبتك فيمن وهبت له .

وعن أبي الحسين السعداني قال: رأيت منصور بن عمار في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: وقفت بين يديه فقال لي: أنت الذي كنت تزهد الناس في الدنيا وترغب فيها؟ قلت: قد كان ذاك ولكن ما اتخذت مجلسا إلا وبدأت بالثناء عليك، وثبتت بالصلاة على نبيك ﷺ، وثلثت بالنصيحة لعبادك، فقال: صدق، ضعوا له كرسيًا في سمائي فيمجدني في سمائي بين ملائكتي كما مجدني في أرضي بين عبادي .

أسند منصور عن معروف أبي الخطاب صاحب وائلة بن الأسقع وروى عن الليث وابن لهيعة في آخرين، وتوفى ببغداد .

٢٥٧- ولد الرشيد المعروف بالسبتي

ويقال: اسمه أحمد، رحمته الله .

عن عبد الله بن الفرج قال: خرجت يوما أطلب رجلا يرم لي شيئاً في الدار، فذهبت فأشير لي إلى رجل حسن الوجه بين يديه مر وزبيل، فقلت: تعمل لي؟ قال: نعم بدرهم ودانق، فقلت: قم، فقام فعمل لي عملا بدرهم ودانق ودانق ودانق ودانق .

(٢٥٦) هو: منصور بن عمار بن كثير، أبو السرى، خراساني، ويقال بصري، زاهد شهير، قال أبو حاتم: ليس بالقوى، وقال ابن عدي: منكر الحديث، وقال العقيلي: فيه تجهم .

قال: ثم أتيت يوما آخر فسألت عنه فقيل لى: ذلك رجل لا يرى فى الجمعة إلا يوما واحدا، يوم كذا، قال: فجئت ذلك اليوم فقلت: تعمل لى؟ قال: نعم بدرهم ودانق، فقلت: أنا: بدرهم، فقال: بدرهم ودانق، فقلت: قم، ولم يكن بى الدانق ولكن أحببت أن أستعلم ما عنده فلما كان المساء وزنت درهما فقال لى: ما هذا؟ قلت: درهم، قال: ألم أقل لك درهم ودانق؟ أف لقد أفسدت على، فقلت: وأنا ألم أقل لك بدرهم؟ فقال: لست آخذ منه شيئا، قال: فوزنت درهما ودانقا، فقلت: خذ، فأبى أن يأخذه وقال: سبحان الله أقول لا آخذه وتلح على؟ فأبى أن يأخذه ومضى.

قال: فأقبل على أهلى وقالت: فعل الله بك، ما أردت إلى رجل عمل لك عملا بدرهم أن أفسدت عليه؟ قال فجئت يوما أسأل عنه فقيل لى مريض، فاستدلت على بيته فأتيته فاستأذنت عليه فدخلت وهو مبطون، وليس فى بيته شيء إلا ذلك المر والزبيل: فسلمت عليه، وقلت له: لى إليك حاجة، وتعرف فضل إدخال السرور على المؤمن: أحب أن تجيء إلى بيتى أمرضك، قال: وتحب ذلك؟ قلت: نعم، قال: بشرائط ثلاث: قلت: نعم، قال: لا تعرض على طعاما حتى أسألك، وإذا أنا مت أن تدفنى فى كسائى وجبتى هذه، قلت: نعم، قال: والثالثة أشد منهما وهى شديدة، قلت: وإن كان.

قال: فحملته إلى منزلى عند الظهر، فلما أصبحت من الغد نادانى: يا عبد الله، فقلت: ما شأنك؟ قال: فد احتضرت، افتح صرة على كمّ جبتى، قال: ففتحتها فإذا فيها خاتم عليه فص أحمر، فقال: إذا أنا مت ودفنتنى فخذ هذا الخاتم ثم ادفعه إلى هارون أمير المؤمنين وقل له يقول لك صاحب هذا الخاتم: ويحك لا تموتن على سكرتك هذه، فإنك إن مت على سكرتك هذه ندمت.

فلما دفتته، سألت عن يوم خروج هارون أمير المؤمنين وكتبت قصة وتعرضت له، قال: فدفعتها إليه وأوذيت أذى شديدا فلما دخل قصره وقرأ القصة قال: على بصاحب هذه القصة، قال: فأدخلت عليه وهو مغضب قال: تتعرضون لنا وتفعلون؟ فلما رأيت غضبه أخرجت الخاتم فلما نظر إلى الخاتم قال: من أين لك هذا الخاتم؟ قلت: دفعه إلى رجل طيّان، فقال لى: طيان طيان، وقربنى منه، فقلت له: يا أمير المؤمنين إنه أوصانى بوصية، فقال لى: ويحك قل: فقلت: يا أمير المؤمنين إنه أوصانى إذا أوصلت إليك هذا الخاتم فقل له: يقرئك صاحب هذا الخاتم والسلام ويقول لك: ويحك لا تموتن على سكرتك هذه فإنك إن مت على سكرتك هذه ندمت.

فقام على رجله قائما وضرب بنفسه على البساط وجعل يتقلب عليه ويقول: يا بنى نصحت أباك.

فقلت فى نفسى: كأنه ابنه، ثم جلس وجاءوا بالماء فمسحوا وجهه وقال لى: كيف عرفته: فقصصت عليه قصته، قال: فبكى وقال: هذا أول مولود ولد لى، وكان أبى المهدي ذكر إلى زبيدة أن يزوجنى فبصرت بهذا المرأة فوقعت فى قلبى وكانت حسنة فتزوجت بها سرا من أبى، فأولدتها هذا المولود وأحدرتها إلى البصرة وأعطيتها هذا الخاتم وأشياء وقلت: اكتمى نفسك، فإذا بلغك أنى قد قعدت للخلافة فأتينى، فلما قعدت للخلافة سألت عنهما فذكر لى أنهما ماتا، ولم أعلم أنه باق، فأين دفنته؟ قلت: يا أمير المؤمنين دفنته فى مقابر عبد الله بن مالك.

قال: لى إليك حاجة: إذا كان بعد المغرب فقف لى بالباب حتى أخرج إليك فأخرج متنكرا إلى قبره، فوقفت له فخرج متنكرا والخدم حوله ووضع يده بيدي وصاح بالخدم فتفتحوا وجئت به إلى قبره فما زال ليلته يبكى إلى أن أصبح ويدير رأسه ولحيته على قبره يقول: يا بنى لقد نصحت أباك.

قال: فجعلت أبكى لبكائه رحمة منى له ثم سمع كلاما فقال: كأنى أسمع كلام الناس، قلت: أجل أصبحت يا أمير المؤمنين، قد طلع الفجر، فقال لى: قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم، واكتب عيالك مع عيالى، مع من تهتم به، فإن لك على حقاً بدفئك ولدى وإن أنا مت أوصيت من يلى بعدى أن يجرى عليك، ما بقى لك عقب.

ثم أخذ بيدي حتى إذا بلغ قريبا من القصر ويده بيدي إذا الخدم، فلما صاروا إلى القصر قال لى: انظر ما وصيتك به: إذا طلعت الشمس قف لى حتى أنظر إليك وأدعو بك فتحدثتى حديثه، قلت: إن شاء الله، فلم أعد إليه.

قلت: وقد رويت لنا قصته من طريق آخر، وفيها نوع مخالفة لهذه.

عن أبى بكر بن أبى الطيب قال: بلغنا عن عبد الله بن الفرج العابد قال: احتجت إلى صانع يصنع لى شيئا من أمر الروزجاريين فأتيت السوق فجعلت أرمق الصنائع فإذا فى أواخرهم شاب مصفر بين يديه زبيل كبير ومر، وعليه جبة صوف ومترز صوف، فقلت له: تعمل؟ قال: نعم، قلت: بكم؟ قال: بدرهم ودانق، قلت له: قم حتى تعمل، قال: على شريطة، قلت: ما هى؟ قال: إذا كان وقت الظهر وأذن المؤذن خرجت وتظهرت وصليت فى المسجد جماعة

ثم رجعت، فإذا كان وقت العصر فكذلك، قلت: نعم، فقام معى فجئنا المنزل، فوافقته على ما ينقله من موضع إلى موضع فشد وسطه وجعل يعمل ولا يكلمنى بشئ.*
حتى إذا أذن المؤذن للظهر قال: يا عبد الله، قد أذن المؤذن، قلت: شأنك، فخرج فصلى فلما رجع عمل أيضا عملا جيدا إلى العصر، فلما أذن المؤذن قال: يا عبد الله قد أذن المؤذن، قلت: شأنك فخرج فصلى، ثم رجع فلم يزل يعمل إلى آخر النهار فوزنت له أجرته وانصرف.

فلما كان بعد أيام احتجت إلى عمل فقالت لى زوجتى: اطلب لنا ذلك الصانع الشاب فإنه قد نصحننا فى عملنا، فجئت السوق فلم أراه، فسألت عنه فقالوا: تسأل عن ذلك المصفر المشوم الذى لا نراه إلا من سبت إلى سبت؟ لا يجلس إلا وحده فى آخر الناس، فانصرفت.
فلما كان يوم السبت أتيت السوق فصادفته فقلت: تعمل؟ فقال: قد عرفت الأجرة والشرط، قلت: استخر الله تعالى، فقام فعمل على النحو الذى كان عمل، قال: فلما وزنت له الأجرة زدته فأبى أن يأخذ الزيادة، فألححت عليه فضجر وتركنى ومضى، فغمنى ذلك فاتبعت وداريته حتى أخذ أجرته فقط.

فلما كان بعد مدة احتجنا أيضا إليه فمضيت فى يوم السبت فلم أصادفه، فسألت عنه فقبل لى: هو عليل وقال لى من كل يخبر أمره: إنما كان إلى السوق من سبت إلى سبت، يعمل بدرهم ودانق يتقوت كل يوم دانقا، وقد مرض.

فسألت عن منزله، فأثبته وهو فى بيت عجوز فقلت لها: هذا الشاب الروزجارى فقالت: هو عليل منذ أيام، فدخلت عليه فوجدته لما به وتحت رأسه لبنة، فسلمت عليه وقلت: لك حاجة؟ قال: نعم، إن قبلت، قلت: أقبل إن شاء الله تعالى، قال: إذا أنا مت فبع هذا المر واغسل جبتي هذه الصوف، وهذا المتزر، وكفنى بهما واقتن جيب العبة فإن فيها خاتما فخذ، ثم انظر يوم يركب هارون الرشيد الخليفة فقف له فى موضع يراك فكلمه وأره الخاتم فإنه سيدعو بك فسلم إليه الخاتم ولا يكن هذا إلا بعد دفنى، قلت: نعم.

فلما مات فعلت ما أمرنى، ثم نظرت اليوم الذى يركب فيه الرشيد فجلست له على الطريق فلما مر ناديته: يا أمير المؤمنين لك عندى ودیعة ولوحت بالخاتم فأمر بى فأخذت وحملت حتى دخل إلى داره ثم دعا بى ونحى جميع من عنده وقال: من أنت؟ فقلت: عبد الله بن الفرج، فقال: هذا الخاتم من أين لك؟ فحدثته قصة الشاب، فجعل يبكى حتى رحمته.

فلما أنس إلى قلت: يا أمير المؤمنين من هو منك؟ قال: ابني، قلت: كيف سار إلى هذه الحال؟ قال: ولد لي قبل أن أبتلى بالخلافة فنشأ نشوءاً حسناً وتعلم القرآن والعلم، فلما وليت الخلافة تركني ولم ينل من دنياي شيئاً، فدفعت إلى أمه هذا الخاتم وهو ياقوت ويساوي مالا كثيراً فدفعته إليها وقلت لها: تدفعين هذا إليه، وكان برا بأمه وتسأليه أن يكون معه فلعله أن يحتاج إليه يوماً من الأيام فينتفع به، وتوفيت أمه فما عرفت له خبراً إلا ما أخبرتنى به أنت، ثم قال لي: إذا كان الليل فاخرج معي إلى قبره.

فلما كان الليل خرج وحده معي يمشي حتى أتينا قبره فجلس إليه فبكى بكاء شديداً، فلما طلع الفجر فقمنا فرجع فقال لي: تعاهدني في الأيام حتى أزور قبره، فكنت أتعاهده بالليل فيخرج حتى يزور قبره ثم يرجع.

قال عبد الله بن الفرج: ولم أعلم أنه ابن الرشيد حتى أخبرني الرشيد أنه ابنه، أو كما قال ابن أبي الطيب.

قلت: هذا طريق حسن والطريق الذي قبله أصح لأنه متصل برواته ثقات، وقد زاد القصاص في حديث السبتي وأبدءوا وأعادوا وذكروا أن هذا الرجل: كان من زبيدة وأنه خرج يتصيد فوعظه صالح المري فوق فرسه - في أشياء كلها محل، فاقصرنا على ما صح، والله الموفق.

٢٥٨- عبد الله بن مرزوق أبو محمد

زعم أبو عبد الرحمن السلمي أنه كان وزير هارون الرشيد، فخرج من ذلك وتخلي من ماله وتزهّد.

عن موسى بن أبي داود قال: استأذنتُ على عبد الله بن مرزوق فدخلت عليه فإذا هو قاعد كأن حزن الخلق عليه.

وعن الصلت بن حكيم قال: كان عبد الله بن مرزوق كأنه رجل واله، كأنه رجل قد فاته شيء، وكانت له شعرات طوال عند صدغيه، فكان إذا ذكر فرق نتفها أو مدها ففاض دمه.

وعن سلامة: وصى عبد الله بن مرزوق، قال: قال عبد الله بن مرزوق في مرضه: يا سلامة إن لي إليك حاجة، قال: قلت: ما هي؟ قال: تحمّلني فتطرحني على تلك المذبة لعلّي أموت عليها فيرى مكاني فيرحمني، رحمه الله.

٢٥٩- عبد الله بن الفرّج

أبو محمد القنطري، كان متعبدا، وكان بشر بن الحارث يوده ويزوره، وقد حكى عن فتح الموصلي وغيره حكايات.

عن إبراهيم بن سهل قال: قال عبد الله بن الفرّج: سلوا الله عفوا جميلا، قال: فقلنا: يا أبا محمد، أى شيء العفو الجميل؟ قال: أن يأمر بك من الموقف إلى الجنة، يعنى لا يفتشك.

وعن صاعد قال: لما مات عبد الله بن الفرّج حضرت جنازته فلما واريته رأيته فى الليل - فى النوم - جالسا على شفير قبره معه صحيفة ينظر فيها فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لى ولكل من شيع جنازتى قال قلت: أنا كنت معهم قال: هو ذا اسمك فى الصحيفة والسلام.

٢٦٠- معروف بن الفيرزان الكرخي

يكنى أبا محفوظ، وهو منسوب إلى كرخ بغداد.

عن أبى صالح عبد الله بن صالح قال: كان أبو محفوظ معروف قد ناداه الله عز وجل بالاجتباء فى حال الصبا، يذكر أن أخاه عيسى قال: كنت أنا وأخى معروف فى الكتاب وكنا نصارى، وكان المعلم يعلم الصبيان (أب، وابن) فيصيح أخى معروف: أحد أحد، فيضربه المعلم على ذلك ضربا شديدا، حتى ضربه يوما ضربا عظيما فهرب على وجهه.

فكانت أمى تبكى وتقول: لئن رد الله على ابنى معلوما لأتبعنه على أى دين كان.

فقدم عليها معروف بعد سنين كثيرة فقالت له: يا بنى على أى دين أنت؟ قال: على دين الإسلام، قالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فأسلمت أمى وأسلمنا كلنا.

وعن ابن أخت معروف قال: قلت لخالى معروف: يا خال، أراك تجيب كل من دعاك، قال: يا بنى إنما خالك ضيف ينزل حيث ينزل.

وعن السرى بن سفيان الأنصارى قال: أقام معروف الصلاة ثم قال لمحمد بن أبى توبة: تقدم فصل بنا، وذلك أن معلوما كان لا يؤم إنما يؤذن ويقيم ويقدم غيره، قال محمد بن أبى توبة: إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم صلاة أخرى، قال معروف: وأنت تحدث نفسك أن تصلى صلاة أخرى؟ نعوذ بالله من طول الأمل، طول الأمل يمنع خير العمل.

قال محمد بن منصور الطوسي: كنا عند معروف الكرخي وجاءت امرأة سائلة فقالت: أعطوني شيئا أفطر عليه فأني صائمة، فدعاها معروف وقال لها: يا أختي سر الله أفسيتيه وتأملين أن تعيشي إلى الليل؟.

وعن يحيى بن جعفر قال: رأيت معروفا الكرخي يؤذن فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله رأيت شعر لحيته وصدغيه قائما كأنه زرع.

وعن عيسى، أخى معروف، قال: دخل رجل على معروف في مرضه الذي مات فيه، فقال: يا أبا محفوظ أخبرني عن صومك، قال: كان عيسى عليه السلام يصوم كذا، قال: أخبرني عن صومك، قال: كان داود عليه السلام يصوم كذا، قال: أخبرني عن صومك، قال: كان النبي ﷺ يصوم كذا، قال: أخبرني عن صومك، قال: أما أنا فكنت أصبح دهرى كله صائما فإن دعيت إلى الطعام أكلت ولم أقل إني صائم.

وعن أحمد بن عبد الله بن ميمون قال: كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول: يا نفس كم تبكين؟ أخلصي وتخلصي.

وعن عمرو بن موسى قال: سمعت معروفا يقول، وعنده رجل يذكر رجلا فجعل يغتابه، فجعل معروف يقول له: اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك، اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك.

وقال سرى: سألت معروفا عن الطائعين لله بأى شيء قدروه على الطاعة لله عز وجل؟ قال: بخروج الدنيا من قلوبهم، ولو كانت في قلوبهم ما صحت لهم سجدة.

وعن القاسم بن نصر قال: جاء قوم إلى معروف فأطالوا عنده الجلوس، فقال: أما تريدون أن تقوموا وملك الشمس ليس يفتر عن سوقه؟.

وعن محمد بن حماد بن المبارك قال: قال رجل لمعروف: أوصني، قال: توكل على الله حتى يكون جليسا، وأنيسك، وموضع شكواك، وأكثر ذكر الموت حتى لا يكون لك جليس غيره، واعلم أن الشفاء لما نزل بك كتمانته، وأن الناس لا يتفعلونك ولا يضرونك ولا يعطونك ولا يمنعونك.

وعن القاسم بن محمد البغدادي قال: كنت جار معروف الكرخي فسمعت في السحر ينوح ويبيكي وينشد:

شُغِفَتْ بِي فَلَيْسَ عَنِّي تَغْيِيبُ
رَحْمَةً لِي؟ فَقَدْ عَلَانِي الْمَشِيبُ

أَيُّ شَيْءٍ تَرِيدُ مِنِّي الذَّنُوبُ
مَا يَضُرُّ الذَّنُوبُ لَوْ أَعْتَقْتَنِي

وعن إبراهيم الأطرش قال: كان معروف الكرخي قاعدا على دجلة ببغداد إذ مر بنا أحداث في زورق يضربون الملامى ويشربون، فقال له أصحابه: أما ترى أن هؤلاء في هذا الماء يعصون الله؟ ادع عليهم.

فرفع يده إلى السماء وقال: إلهي وسيدي، أسألك أن تفرحهم في الجنة كما فرحتهم في الدنيا، فقال له أصحابه: إنما قلنا لك ادع الله عليهم، لم نقل ادع الله لهم، فقال: إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا ولم يضروكم بشيء.

أبو بكر بن الزيات قال: سمعت ابن شيرويه يقول: كنت أجالس معروفا الكرخي، فلما كان ذات يوم رأيت وجهه قد خلا، فقلت: يا أبا محفوظ بلغني أنك تمشي على الماء، فقال لي: ما مشيت قط على الماء ولكن إذا هممت بالعبور يجمع لي طرفاها فأتخطاها.

وعن محمد بن منصور قال: مضيت يوما إلى معروف الكرخي ثم عدت إليه من غد فرأيت في وجهه أثر شجة فهبت أن أسأله عنها، وكان عنده رجل أجراً عليه مني، فقال له: كنا عندك البارحة فلم نر في وجهك هذا الأثر، فقال له معروف: خذ فيما تنتفع به، فقال له، أسألك بحق الله، فانتفض معروف ثم قال له: وما حاجتك إلى هذا؟ مضيت البارحة إلي بيت الله الحرام، ثم صرت إلى زمزم فشربت منها فزلت رجلي فنطح وجهي الباب فهذا الذي ترى من ذلك.

وعن خليل الصياد - وكفاك به - قال: غاب ابني إلى الأنبار فوجدت أمه وجدا شديدا فأتيت معروفا فقلت له: يا أبا محفوظ ابني قد غاب فوجدت أمه وجدا شديدا، قال: فما تشاء؟ قلت: تدعو الله أن يرده عليها، فقال: اللهم إن السماء سماءك والأرض أرضك، وما بينهما لك، فأت به، قال خليل: فأتيت باب الشام فإذا ابني قائم منبر، فقلت: يا محمد قال: يا أبة، الساعة كنت بالأنبار.

وعن محمد بن صبيح قال: مر معروف على سقاء يسقى الماء وهو يقول: رحم الله من شرب فشرّب، وكان صائما، وقال: لعل الله أن يستجيب له.

وعن سري قال: هذا الذي أنا فيه من بركات معروف: انصرفت من صلاة العيد فرأيت مع معروف صبيا شعنا فقلت له: من هذا؟ قال: رأيت الصبيان يلعبون وهذا واقف منكسر فسألته: لم لا تلعب؟ قال: أنا يتيم، قال سري: فقلت له: فما ترى أنك تعمل به؟ قال: لعلني أخلو فأجمع له نوى يشتري به جوزا يفرح به، فقلت له: أعطني غير من حاله، فقال لي: أو تفعل؟ فقلت: نعم، فقال لي: خذه أغني الله قلبك، فسويت الدنيا عندي أقل من كذا.

قال عبد الله بن سعيد الأنصاري: رأيت معروفا الكرخي في المنام كأنه تحت العرش، فيقول الله عز وجل: ملائكتي مَنْ هذا؟ فقالت الملائكة: أنت أعلم، هذا معروف الكرخي، وقد سكر من حبك لا يفيق إلا بلقائك.

وقال أحمد بن الفتح: رأيت بشر بن الحارث في منامي وهو قاعد في بستان، وبين يديه مائدة وهو يأكل منها فقلت له: يا أبا نصر ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني وأباحني الجنة بأسرها وقال لي: كل من جميع ثمارها واشرب من أنهارها وتمتع بجميع ما فيها كما كنت تحرم نفسك الشهوات في دار الدنيا، فقلت له: فأين أخوك أحمد بن حنبل؟ قال: هو قائم على باب الجنة يشفع لأهل السنة ممن يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، فقلت له: فما فعل معروف الكرخي؟ فحرك رأسه ثم قال لي: هيهات، حالت بيننا وبينه الحجب، إن معروفا لم يعبد الله شوقا إلى جنته ولا خوفا من ناره وإنما عبده شوقا إليه فرفعه الله إلى الرفيع الأعلى ورفع الحجب بينه وبينه، ذاك الترياق المقدس المجرب، فمن كانت له إلى الله حاجة فليأت قبره وليدع فإنه يستجاب له إن شاء الله تعالى.

وعن أبي بكر الزجاج قال: قيل لمعروف الكرخي في عِلته: أوص، فقال: إذا مت فتصدقوا بقميصي هذا، فإني أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلت إليها عريانا. أسند معروف عن بكر بن خنيس، وعبد الله بن موسى، وابن السماك. وتوفي سنة مائتين وقبره ظاهر ببغداد يتبرك به، وكان إبراهيم الحربي يقول: قبر معروف الترياق المجرب.

وإنما اقتصرنا هاهنا على السير من أخباره لأننا قد جمعنا أخباره ومناقبه في كتاب أفردناه له فمن أراد الزيادة من أخباره فعليه بذلك الكتاب والله الموفق، رحمه الله ورضى الله عنه.

٢٦١- بشر بن الحارث الحافي

يكنى أبا نصر، ولد في سنة خمسين ومائة.

عن أيوب العطار قال: قال لي بشر بن الحارث الحافي: أحدثك عن بدو أمري؟ بينا أنا أمشي رأيت قرطاسا على وجه الأرض فيه اسم الله تعالى، فنزلت إلى النهر فغسلته وكنت لا أملك من الدنيا إلا درهما فيه خمسة دنانق، فاشترت بأربعة دنانق مسكا وبدانق ماء ورد،

(٢٦١) هو: بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، الإمام العالم المحدث الزاهد الرباني القدوة، شيخ الإسلام، أبو نصر المروزي، ثم البغدادي المشهور بالحافي، ابن عم المحدث علي بن خشرم.

وجعلت أتبع اسم الله تعالى وأطيبه، ثم رجعت إلى منزلى فمنت فأتانى آت فى منامى فقال: يا بشر كما طيبت اسمى لأطيبين اسمك، وكما طهرته لأطهرن قلبك.

وعن محمد بن بشار قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: أنا، لله، عشت إلى زمان إن لم أعمل فيه بالجفاء لم يسلم دينى.

وعن الحسين بن محمد البغدادي قال سمعت أبى يقول: زرت بشر بن الحارث فقعدت معه مليا فما زادنى على كلمة قال: ما اتقى الله من أحب الشهرة.

وعن أحمد بن نصر قال: كنا قعودا قدام بشر بن الحارث نفسين، قال: فجاء الثالث فقام فدخل.

وعن أحمد بن الفتح قال: سمعت بشرا يقول: بعث إلى عاصم بن على بأبى زكريا الصفار فقال: يا أبا نصر، إن أبا الحسن يقرأ عليك السلام ويقول: قد اشتد شوقى إليك حتى لقد كدت أن آتيك من غير إذن فعلمت كراهيتك لمجىء الرجال، فإن رأيت أن تأذن لى فأتيك لأسلم عليك، فلعل الله أن ينفعنى برؤيتك.

قال، فقلت له: قد فهمت رسالة الشيخ فأبلغه السلام وقل له: لا تأتيني فإن مجيئك إلى شهرة على وعليك.

وعن أبى حفص عمرو بن موسى قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: لقد شهرنى ربى فى الدنيا فليته لا يفضحنى فى القيامة.

ما أقبح بمثلئ يُظن فى ظن وأنا على خلافه، إنما ينبغي لى أن أكون أكثر ما يُظن بى أنى أكره الموت وما يكره الموت إلا مريب ولولا أنى مريب لأى شىء أكره الموت؟.

وقال أحمد بن الصلت: سمعت بشر بن الحارث يقول: غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وإخفاء مكانه عنهم.

أبو بكر محمد بن الفياض قال: سمعت زريقا الدلال يقول: سمعت بشر بن الحارث يقول: اللهم استر واجعل تحت السر ما تحب، فربما ستتر على ما تكره، قال: ثم التفت إلى فقال: يا أخى بادر بادر فإن ساعات الليل والنهار تذهب الأعمار.

وعن محمد بن يوسف الجوهري قال: سمعت بشر بن الحارث يقول يوم ماتت أخته: إن العبد إذا قصر فى طاعة الله سلبه الله من يؤنسه.

وعن محمد بن قدامة قال: لقي بشر بن الحارث رجلا سكران فجعل يقبله ويقول:

يا سيدى يا أبا نصر، ولا يدفعه بشر عن نفسه، فلما ولّى تغرغرت عينا بشر وقال: رجل أحب رجلا على خير توهمه، لعل المحب قد نجا والمحبوب لا يدري ما حاله.

وقال رجل: رأيت بشر بن الحارث وقف على أصحاب الفاكهة فجعل ينظر، فقلت: يا أبا نصر لعلك تشتهى من هذا شيئا؟ قال: لا ولكن نظرت فى هذا: إذا كان يطعم هذا من يعصيه فكيف من يطيعه.

وعن أبى بكر المروزي قال: سمعت بعض القطانين يقول: أهدى إلى أستاذى رطباً، وكانت بشر يقيل فى دكاننا فى الصيف، فقال له أستاذى: يا أبا نصر، هذا من وجه طيب فإن رأيت أن تأكل، قال: فجعل يمسه بيده ثم ضرب بيده إلى لحيته وقال: ينبغى أن أستحيى من الله، إني عند الناس تارك لهذا وأكله فى السر؟.

وعنه قال: سمعت أبا حفص ابن أخت بشر قال: سمعت بشرا يقول: ما شبت منذ خمسين سنة.

وعنه قال سمعت قرابة بشر الحافى يقول: قدم بشر بن عبادان ليلاً أو قال: من سفر وهو متزر بحصير.

عن يحيى بن عثمان قال: كان لبشر بن الحارث فى كل يوم رغيف. قال: وقال لى بشر: كان لى سنور فكنت إذا وضعت طعامى بين يدى جاءت فعيناها فى عيني فأكل وأرمى لها، قال: فقلت: إليك عنى تأكلين قوتى. وعن أبى بكر بن عثمان قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: إني لأشتهى شواء منذ أربعين سنة ما صفا لى درهمه.

وعن أبى عمران الوركاني قال: تخرق إزار بشر، فقالت له أخته: يا أخى قد تخرق إزارك وهذا البرد فلو جئت بقطن حتى أغزل لك، قال: فكان يجيء بالإستارين والثلاثة، قال: فقالت له: يا أخى إن الغزل قد اجتمع أفلا تسلم إزارك؟ قال: فقال لها: هاتيه، قال: فأخرجته إلى فوزنه فأخرج ألواح وجعل يحسب الأساتير فلما رآها قد زادت فيه قال لها: كما أفسدته فخذيه.

وعن الحسن بن عمرو بن الجهم قال: سمعت أبا نصر التمار يوم مات بشر يقول: لولا أن بشرا قد مات ما حدثتكم بهذا.

أتانى ليلة فقلت: يا أبا نصر الحمد لله الذى جاء بك، جاءنا قطن من خراسان فغزلته

الابنة وباعته لفلان واشترت به لحما وأشياء على أن أفطر عليه، فالحمد لله الذى جاء بك، فقال: يا أبا نصر لا تكثر على فلو أكلت عند أحد من أهل الدنيا أكلت عندك، ثم قال: إني لأشتهى الباذنجان منذ ثلاثين عاما، قلت: فإن فيها باذنجانا، فقال: حتى تصفو لى حبة الباذنجان من أين هي؟.

وعن إبراهيم بن هاشم قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: إني لأشتهى شواء ورقاقا منذ خمسين سنة ما صفا لى درهمه.

الفتح بن شحرف قال: قال عمر ابن أخت بشر: سمعت خالى بشرا يقول لأمى: جوفى وجع وخواصرى تضرب علىّ، فقالت له أمى: ائذن لى حتى أصلح لك قليل حسا بكف دقيق عندى تتحساه يرم جوفك، فقال لها: ويحك أخاف أن يقول من أين لك هذا الدقيق فلا أدري أى شيء أقول له؟ فبكت أمى وبكى معها وبكى معهم.

قال عمر: ورأت أمى ليلة ما به من شدة الجوع وجعل يتنفس تنفسا ضعيفا، فقالت له أمى: يا أخى ليت أمك لم تلدنى فقد والله تقطع كبدى مما أرى بك فسمعته يقول لها: وأنا فليت أمك لم تلدنى وإذ قد ولدتنى لم يدر لها ثدى على.

قال عمر: وكانت أمى تبكى عليه الليل والنهار.

عبد الله بن خبيق قال رجل لبشر: ما لى أراك مغموما؟ قال: ما لى لا أكون مغموما وأنا رجل مطلوب.

وعن أبى الحسن أحمد بن محمد الزعفرانى قال: سمعت أبى يحكى عن بشر أنه قال: ربما رفعت يدى فى الدعاء فأردها أو قال: فاستلها. أقول: إنما يفعل هذا من له عنده وجه.

وعن الفتح بن شحرف قال: كنت جالسا عند بشر إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة، فأطرق مليا ثم رفع رأسه ثم أطرق ثم رفع رأسه، فقال: اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن أتكلم، اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن أسكت، اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن تأخذنى فيما بين السكوت والكلام.

وعن زبدة أخت بشر بن الحارث قالت: دخل بشر علىّ ليلة من الليالى فوضع إحدى رجله داخل الدار والآخرى خارج الدار، وبقي كذلك يتفكر حتى أصبح فلما أصبح قلت له: فى ماذا تفكرت طوال الليلة؟ قال: تفكرت فى بشر النصرانى، وبشر اليهودى، وبشر

المجوسى، ونفسى واسمى بشر، فقلت: ما الذى سبق منك حتى خصك؟ فتفكرت فى تفضله علىّ وحمدته على أن جعلنى من خاصته وألبسنى لباس أحبائه.

وعن أحمد بن نصر قال: سمعت بشرا يقول: يا مازنى، ليت لا يكون حظى من الله هذا الذى يقول الناس بشر بشر، ورأيت أشفار عينيه قد ذهبت من البكاء.

وعن الحسن بن عمرو قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: لو علمت أن رضاه أن أشد فى رجلى حجرا ثم ألقى نفسى فى البحر، لفعلت.

وعن عباس بن دهقان قال: قلت لبشر بن الحارث: أحب أن أخلو معك، قال: إذا شئت، فبكرت يوما فرأيت أنه قد دخل قبة فصلى فيها أربع ركعات لا أحسن أن أصلى مثلها، فسمعتة يقول فى سجوده: اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل أحب إلى من الشرف، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحب إلى من الغنى، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أنى لا أؤثر على حبك شيئا، فلما سمعتة أخذنى الشهيق والبكاء، فلما سمعنى قال: اللهم إنك تعلم أنى لو أعلم أن هذا ههنا لم أتكلم.

وقال أحمد بن حنبل: والله إن بين أظهركم رجلا ما هو عندى بدون عامر بن عبد الله، يعنى بشر بن الحارث.

وعن أحمد بن عبد الله بن خالد قال: سئل أحمد بن حنبل عن مسألة فى الورع، فقال: أنا؟ أستغفر الله لا يحل لى أن أتكلم فى مسألة فى الورع، أنا أكل من غلة بغداد.

لو كان بشر بن الحارث صلح أن يجيبك عنه، فإنه كان لا يأكل من غلة بغداد ولا من طعام السواد، يصلح أن يتكلم فى الورع.

وعن أبى بكر أحمد بن عبد الرحمن المروزى قال: سمعت بشرا يقول: إن الجوع يصفى الفؤاد ويورث العلم الدقيق، وسمعت بشرا يقول: طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره.

وعن أحمد بن الصلت قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: حادثوا الآمال بقرب الآجال.

وعن أبى بكر الباقلوى قال: سمعت أبى يقول: سمعت بشر بن الحارث ونحن معه بباب حرب، وأراد الدخول إلى المقبرة فقال: الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور.

وعن أحمد بن الصلت قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: ليس من المودة أن تحب ما يُبغض حبيبك.

وعن عمرو بن موسى بن فيروز قال: رأيت بشرا معه رجل فتقدم إلى بئر ليشرب منها، فجذبه بشر وقال: تشرب من البئر الأخرى، حتى جاوز ثلاثة آبار، فقال له الرجل: أبا نصر أنا عطشان، فقال له بشر: اسكت فهكذا ندفع الدنيا.

وعن إبراهيم الحربى قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: بحسبك أن أقواما موتى تحيا القلوب بذكرهم وأن أقواما أحياء تعمى الأبصار بالنظر إليهم.

وعن عمرو بن موسى الأحول قال: سمعت بشرا يقول: يكون الرجل مرأثيا فى حياته، مرأثيا بعد موته، قيل: كيف يكون مرأثيا بعد موته؟ قال: يحب أن يكثر الناس على جنازته.

وعن الحسن بن عمرو قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد.

ثم قال: ذاك يركب ويرجع ويراه الناس، وهذا يعطى سرا لا يراه إلا الله عز وجل.

وسمعت بشرا يقول: ما أقبح أن يطلب العالم فيقال: هو بباب الأمير.

وعن أبى عبد الله الأسدى قال: قال لى بشر الحافى يوما:

| | |
|-----------------------------------|-------------------------------|
| قطع الليالى مع الأيام فى خلق | والنوم تحت رواق الهم والقلق |
| أحرى وأعذر لى من أن يقال غدا | إنى التمسيت الغنى من كف مختلق |
| قالوا: قنعتَ بذا، قلت: القنوع غنى | ليس الغنى كثرة الأموال والورق |
| رضيت بالله فى عسرى وفى يسرى | فلست أسلك إلا أوضح الطرق |

رحل بشر بن الحارث - رحله - فى طلب العلم إلى مكة والكوفة والبصرة، وسمع من وكيع وعيسى بن يونس وشريك بن عبد الله وأبى معاوية وأبى بك بن عياش وحفص بن غياث وإسماعيل بن عليه وحماد بن زيد ومالك بن أنس وأبى يوسف القاضى وابن المبارك وهشيم والمعافى بن عمران والفضيل بن عياض وأبى نعيم فى خلق كثير.

غير أنه لم يتصد للرواية فلم يضبط عنه من الحديث إلا اليسير.

وقد ذكرنا ما وقع إلينا من حديثه وأخباره فى كتاب أفردناه لمناقبه وأخباره فلذلك اقتصرنا ههنا على ما ذكرنا.

وتوفى - توفي - عشية الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأول، وقيل لعشر خلون من المحرم، سنة سبع وعشرين ومائتين، وقد بلغ من العمر خمسا وسبعين سنة، وقيل سبعا وسبعين.

عن يحيى بن عبد الحميد الحماني قال: رأيت أبا نصر التمار وعلى بن المدينى فى جنازة بشر بن الحارث يصيحان: هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة.

وذلك أن بشرا خرجت جنازته بعد صلاة الصبح ولم يجعل في القبر إلا في الليل وكان نهارا صائفا ولم يستقر في القبر إلى العتمة.

وعن الكندي قال: رأيت بشر بن الحارث في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وأقعدني على طيار من لؤلؤة بيضاء، وقال لي: سر في ملكي.

وعن الحسن بن مروان قال: رأيت بشر بن الحارث في المنام فقلت: يا أبا نصر ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وغفر لكل من تبع جنازتي قال: قلت: فقيم العمل؟ قال: افتقد الكسرة. وقال ابن خزيمة: لما مات أحمد بن حنبل بت من ليلتي فرأيت في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وتوجني وألبسني نعلين من ذهب، وقال لي: يا أحمد هذا بقولك: القرآن كلامي، قلت: فما فعل بشر؟ فقال لي: بخ بخ، من مثل بشر؟ تركته بين يدي الجليل وبين يديه مائدة من الطعام والجليل مقبل عليه وهو يقول له: كل يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب، وانعم يا من لم ينعم، رحمه الله ورضى عنه.

٢٦٢- أحمد بن محمد بن حنبل

أبو عبد الله الشيباني

جاء به من مرو حملا فولد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة.

فأما نسبه فأخبرنا أبو منصور القزاز قال: أنبأ أبو بكر بن ثابت، قال: أنبأ أحمد بن عبد الله الحافظ، أنبأ أحمد بن جعفر بن حمدان قال: أنبأ عبد الله بن أحمد، ثنا أبي أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن قصي بن دعي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن آد بن أد بن الهميع بن حمل بن النبت بن قidar بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

وعن أبي بكر المروزي قال: قال لي أبو عفيف - وذكر أبا عبد الله أحمد بن حنبل - فقال: كان في الكتاب معنا وهو غليم يعرف فضله وكان الخليفة بالرقعة فيكتب الناس إلى منازلهم فيبعث نساؤهم إلى المعلم: ابعث إلينا بأحمد بن حنبل ليكتب لهم جواب كتبهم، فيبعثه، فكان يجيء إليهم مطأطي الرأس فيكتب جواب كتبهم فربما أملوا عليه الشيء من المنكر فلا يكتبه لهم.

(٢٦٢) هو: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي نزيل بغداد، أبو عبد الله، أحد الأئمة، ثقة حافظ فقيه حجة، وهو رأس الطبقة العاشرة.

وعن إدريس بن عبد الكريم قال: قال خلف: جاءني أحمد بن حنبل يستمع حديث أبي عوانة فاجتهدت أن أرفعه فأبى وقال: لا أجلس إلا بين يديك أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه. وعن أبي زرعة قال: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.

أبو جعفر بن أحمد بن محمد بن سليمان التستري قال: قيل لأبي زرعة: من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ؟ فقال: أحمد بن حنبل، حرزت كتبه اليوم الذي مات فيه فبلغت اثني عشر جملاً وعدلاً، ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان، ولا في بطنه حديث فلان، وكل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبه.

وعن إبراهيم الحربي قال: رأيت أحمد بن حنبل كأن الله قد جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف، يقول ما شاء ويمسك ما شاء.

وعن أحمد بن سنان قال: ما رأيت يزيد بن هارون لأحد أشد تعظيماً منه لأحمد بن حنبل، ولا رأيت أكرم أحداً كرامته لأحمد بن حنبل، وكان يقعد إلى جنبه إذا حدثنا وكان يوقره ولا يمازحه، ومرض أحمد فركب إليه فعاده.

قال المصنف رحمه الله: قلت: كانت مخايل النجابة تظهر من أحمد رحمته من زمان الصبا، وكان حفظه للعلم من ذلك الزمان غزيراً وعمله به متوافراً، فلذلك كان مشايخه يعظمونه، فكان إسماعيل بن علية يقدمه وقت الصلاة يصلى بهم، وضحك أصحابه يوماً فقال: أتضحكون وعندي أحمد بن حنبل؟.

وقال عبد الرزاق: ما رأيت أفقه ولا أروع من أحمد بن حنبل.

وقال وكيع وحفص بن غياث: ما قدم الكوفة مثل أحمد بن حنبل.

وقال أبو الوليد الطيالسي: ما بالمصريين أحد أحب إلي من أحمد بن حنبل.

وكان ابن مهدي يقول: ما نظرت إليه إلا ذكرت به سفيان الثوري ولقد كاد هذا الغلام أن يكون إماماً في بطن أمه.

وقال يحيى بن سعيد: ما قدم على مثل أحمد بن حنبل.

وقال أبو عاصم النبيل - وقد ذكر طلاب العلم - فقال: ما رأينا في القوم مثل أحمد بن

حنبل.

وقد ذكرنا هذه الأطراف وأمثالها في كتاب فضائل الإمام أحمد بأسانيدها، فكرهنا الإعادة

ههنا.

وعن أبي بكر المروزي قال: كنت مع أبي عبد الله نحوا من أربعة أشهر بالعسكر لا يدع قيام الليل وقراءة النهار، فما علمت بختمة ختمها، كان يسر ذلك.

وعن أبي عصمة بن عصام البيهقي قال: بت ليلة عند أحمد بن حنبل، فجاء بالماء فوضعه، فلما أصبح نظر في الماء فإذا هو كما كان: فقال: سبحان الله، رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل؟.

وعن أبي داود السجستاني قال: لم يكن أحمد بن حنبل يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا، فإذا ذكر العلم تكلم.

وعن أبي عبيد القاسم بن سلام قال: جالست أبا يوسف، ومحمد بن الحسن ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، فما هبت أحدا منهم ما هبت أحمد بن حنبل، ولقد دخلت عليه في السجن لأسلم عليه فسألني رجل عن مسألة فلم أجبه هية له.

وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال: ما أعلم أني رأيت أحدا أنظف ثوبا ولا أشد تعاهدا لنفسه في شاربته وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقى ثوبا وأشد بياضا من أحمد ابن حنبل.

وعن علي بن المديني قال: قال لي أحمد بن حنبل: إني لأحب أن أصحبك إلى مكة وما يمنعي من ذاك إلا أنني أخاف أن أملك أو تملني، قال: فلما ودعته قلت: يا أبا عبد الله، توصيني بشيء؟ قال: نعم، ألزم التقوى قلبك والزم الآخرة أمامك.

وقال أبو داود السجستاني: كانت مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة، لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا، ما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط.

وعن أحمد بن عتبة قال: لما ماتت أم صالح قال أحمد لامرأة عندهم: اذهبي إلى فلانة ابنة عمي فاخطبها لي من نفسها، قال: فأنتها فأجابته، فلما رجعت إليه قال: كانت أختها تسمع كلامك قال: وكانت بعين واحدة - قالت له: نعم، قال: فاذهبي فاخطبي تلك التي بعين واحدة فأنتها فأجابتها وهي أم عبد الله، فأقام معها سبعا ثم قالت له: كيف رأيت يا بن عم أنكرت شيئا؟ قال: لا إلا أن نعلك هذه تصر.

وعن إبراهيم الحربي قال: كان أحمد بن حنبل يأتي العرس والختان والإملاك، يجيب ويأكل.

وعن إسحاق بن راهويه قال: لما خرج أحمد بن حنبل إلى عبد الرزاق انقطعت به

النفقة، فأكرى نفسه من بعض الجمالين، إلى أن وافى صنعاء، وقد كان أصحابه عرضوا عليه المواساة فلم يقبل من أحد شيئا.

وعن الرمادي قال: سمعت عبد الرزاق - وذكر أحمد بن حنبل قدمته عيناه - فقال: قدم وبلغني أن نفقته نفدت فأخذت عشرة دنائير وأقمته خلف الباب، وما معي ومعه أحد، وقلت: إنه لا تجتمع عندنا الدنانير وقد وجدت الساعة عند النساء عشرة دنائير فخذها فأرجو ألا تنفقها حتى يتهيا عندنا شيء، فتبسم وقال لي: «يا أبا بكر، لو قبلت شيئا من الناس قبلت منك» ولم يقبل.

وعن صالح بن أحمد قال: جاءني حسن فقالت: يا مولاي قد جاء رجل بتليسة فيها فاكهة يابسة وبهذا الكتاب، قال صالح: فقممت فقرأت الكتاب فإذا فيه: يا أبا عبد الله، أبضعت لك بضاعة إلى سمرقند فوقع فيها كذا وكذا، ورددتها فيها كذا وكذا، وقد بعثت بها إليك وهي أربعة آلاف درهم وفاكهة أنا لقطتها من بستانى، ورثته عن أبى، وأبى ورثته عن أبيه.

قال: فجمعت الصبيان فلما دخل دخلنا عليه فبكت وقلت له: يا أبة أما ترق لى من أكل الزكاة؟ ثم كشفت عن رأس الصبية وبكت فقال: من أين علمت؟ دع حتى أستخير الله تعالى الليلة، قال: فلما كان من الغد قال: يا صالح صي فإني قد استخرت الله تعالى الليلة فعزم لى ألا آخذها، وفتح التليسة ففرقها على الصبيان وكان عنده ثوب عشارى فبعث به إليه ورد المال، قال صالح: فبلغنى أن الرجل اتخذه كفنا.

وعن على بن الجهم قال: كان له جار فأخرج إلينا كتابا فقال: أتعرفون هذا الخط؟ قلنا: هذا خط أحمد بن حنبل، كيف كتب لك؟ قال: كنا بمكة مقيمين عند سفيان بن عيينة ففقدنا أحمد بن حنبل أياما لم نره ثم جئنا إليه لنسأل عنه فقال لنا أهل الدار التى هو فيها: هو فى ذلك البيت، فجئنا إليه والباب مردود عليه، وإذا خُلُقان فقلنا له: يا أبا عبد الله ما خبرك؟ لم نرك منذ أيام، فقال: سرقت ثيابى، فقلت له: معى دنائير فإن شئت فخذ قرضا وإن شئت فصلة، فأبى أن يفعل، فقلت لى بأجرة؟ قال: نعم، فأخرجت دينارا فأبى أن يأخذه وقال: اشتر لى ثوبا واقطعه بنصفين، فأومأ إلى أنه يأتزر بنصف ويرتدى بالنصف الآخر، وقال: جئنى بنفقته ففعلت وجئت بورق فكتب لى، وهذا خطه.

وعن صالح بن أحمد بن حنبل قال: دخلت على أبى فى أيام الواثق والله يعلم فى أى

حالة نحن وخرج لصلاة العصر، وكان له جلد يجلس عليه، قد أتت عليه سنون كثيرة حتى قد بلى فإذا تحته كتاب فيه:

بلغنى يا أبا عبد الله ما أتت فيه وعن الضيق وما عليك من الدين، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدى فلان لتقضى بها دينك وتوسع بها على عيالك وما هى من صدقة ولا زكاة، إنما هو شيء ورثته من أبى.

فقرأت الكتاب ووضعته، فلما دخل قلت له: يا أبة ما هذا الكتاب؟ فاحمر وجهه وقال: رفعتك منك، ثم قال: تذهب بجوابه إلى الرجل، وكتب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وصل كتابك إلى ونحن فى عافية فأما الدين فإنه لرجل لا يرهقنا وأما عيالنا فهم بنعمة الله والحمد لله.

فذهبت بالكتاب إلى الرجل الذى كان أوصل كتاب الرجل فقال: ويحك لو أن أبا عبد الله قبل هذا الشيء ورمى مثلاً فى دجلة كان مأجوراً لأن هذا الرجل لا يعرف له معروف. فلما كان بعد حين ورد كتاب الرجل بمثل ذلك فرد عليه الجواب بمثل ما رد، فلما مضت سنة أو أقل أو أكثر ذكرناها فقال: لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت.

وعن محمد بن موسى بن حماد الزيدى قال: حمل إلى الحسن بن عبد العزيز الحروى من ميراثه فى مصر مائة ألف دينار، فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس فى كل كيس ألف دينار فقال: يا أبا عبد الله هذه ميراث حلال فخذها فاستعن بها على عائلتك، فقال: لا حاجة لى فيها أنا فى كفاية، فردها ولم يقبل منها شيئاً.

وعن السرى بن محمد خال ولد صالح قال: جاء أحمد بن صالح يوضئ أبا عبد الله يوماً وقد بل أبو عبد الله خرقة فألقاها على رأسه، فقال له أحمد بن صالح: يا جدى أنت محموم، قال أبو عبد الله: وأنى لى بالحمى؟

وعن رحيلة قال: كنت على باب أحمد بن حنبل والباب مجاف، وأم ولده تكلمه وتقول له: إنا معك فى ضيق، منزل بيت صالح يأكلون ويفعلون وهو يقول: قولى خيراً، وخرج الصبى معه فبكى فقال له: أى شيء تريد؟ قال: زبيب، قال: اذهب فخذ من البقال حبة.

وعن أبى بكر المروزى قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إنما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل، وقال: سمعت أبا عبد الله يقول أسر أيامى إلى يوم أصبح وليس عندى شيء.

وعن صالح بن أحمد قال: ربما رأيت أبي يأخذ الكسر فينفض الغبار عنها ثم يصيرها في قصعة ثم يصب عليها ماء حتى تبتل، ثم يأكلها بالملح، وما رأيت قط اشتري رمانا ولا سفرجلا ولا شيئا من الفاكهة، إلا أن يكون يشتري بطيخة فيأكلها بخبز أو عبا أو تمرًا فأما غير ذلك فما رأيت قط اشتراه، وربما خبز له فيجعل في فخارة عدسا وشحما وتمرًا شهريز، فيخص الصبيان بقصعة فيصوت ببعضهم فيدفعه إليهم فيضحكون ولا يأكلون، وكان كثيرا ما يأتمم بالخل وكان يشتري له شحم بدرهم، فكان يأكل منه شهرا، فلما قدم من عند المتوكل أدمن الصوم وجعل لا يأكل الدسم فتوهمت أنه كان جعل على نفسه إن سلم أن يفعل ذلك.

وعن النيسابوري صاحب إسحاق بن إبراهيم: قال لى الأمير: إذا جاء إفطاره أرنيه، قال فجاءوا برغيفين خبز وخيارة، فأريته الأمير فقال: هذا لا يجيئنا إذا كان هذا يقنعه.

وعن الحسن بن خلف الصائغ قال: جاءني المروزي في علة أبي عبد الله، قال: أبو عبد الله عليل، فذهبت بالمطبيب فدخلنا عليه، قال: ما حالك؟ قال: احتجمت أمس، قال: وما أكلت؟ قال: خبزًا وكامخًا، قال: يا أبا عبد الله تحتجم، وتأكل خبزًا وكامخًا؟ قال: فما أكل؟ وعن محمد بن الحسن بن هارون قال: رأيت أبا عبد الله إذا مشى في الطريق يكره أن يتبعه أحد.

وقال المروزي: سمعت أبا عبد الله يقول: الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب فما أشتهيه.

قال المروزي: وبال أبو عبد الله في مرضه دما فأريته عبد الرحمن المتطبب فقال: هذا رجل قد فتت الغم والحزن كبده.

وعن إبراهيم بن شماس قال: كنت أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام يحيى الليل. وعن المروزي: قال سمعت أبا عبد الله يقول: قد وجدت البرد في أطرافي ما أراه إلا من إدماني أكل الخل والملح.

وعن فوران قال: كنا عند أحمد بن حنبل قبل أن يموت بليتين، وكان ثم غلام أسود لأبي يوسف، يعني عمه، اشتراه من هذا المال فذهب بروح أحمد فنهاه.

وعن سليمان بن داود الشاذكوني أن أحمد رهن سطلا عند فامي فأخذ منه شيئا يتقوته، فجاء فأعطاه فكأكه فأخرج إليه سطلين، فقال: انظر أيهما سطلك فخذ، قال: لا أدري أنت في حل منه ومما أعطيتك، ولم يأخذ، قال الفامي: والله إنه لسطله وإنما أردت أن أمتحنه فيه.

وعن أحمد بن محمد التستري قال: ذكروا لى أن أحمد بن حنبل أتى عليه ثلاثة أيام ما كان طعم فيها، فبعث إلى صديق له فاستقرض شيئا من الدقيق، فعرفوا فى البيت شدة حاجته إلى الطعام فخبزوا عاجلا، فلما وضع بين يديه قال: كيف خبزتم هذا بسرعة؟ قيل له: كان التنور فى دار صالح ابنه مسجورا فخبزنا عاجلا، فقال: ارفعوا ولم يأكل وأمر بسد بابه إلى دار صالح.

وعن عبد الله بن أحمد قال: كان أبى أصبر الناس على الوحدة، لم يره أحد إلا فى مسجد أو حضور جنازة أو عيادة مريض، وكان يكره المشى فى الأسواق.

وعنه قال: كان أبى يصلى فى كل يوم وليلة ثلاث مائة وكعة، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يصلى فى كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة، وقد كان قرب من الثمانين، وكان يقرأ فى كل يوم سبعا يختم فى سبعة أيام، وكانت له ختمة فى كل سبع ليال سوى صلاة النهار، وكان ساعة يصلى عشاء الآخرة ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلى ويدعو، وحج أبى خمس حجرات: ثلاث حجج ماشيا واثنين راكبا، وأنفق فى بعض حجاته عشرين درهما.

وعنه قال كنت أسمع أبى كثيرا يقول فى دبر الصلاة: اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك صنه عن المسألة لغيرك.

وعن أبى عيسى عبد الرحمن بن زاذان قال: صلينا، وأبو عبد الله أحمد بن حنبل حاضر، فسمعته يقول:

«اللهم من كان على هوى أو على رأى وهو يظن أنه على الحق وليس هو الحق فرده إلى الحق حتى لا يضل من هذه الأمة أحد، اللهم لا تشغل قلوبنا بما تكلفت لنا به، ولا تجعلنا فى رزقك خولا لغيرك، ولا تمنعنا خير ما عندك بشر ما عندنا، ولا ترنا حيث نهيتنا ولا تفقدنا من حيث أمرتنا، أعزنا ولا تذلنا أعزنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعصية».

وعن على بن أبى حرارة قال: كانت أمى مقعدة نحو عشرين سنة، فقالت لى يوما: اذهب إلى أحمد بن حنبل فسله أن يدعو الله لى، فمضيت فدققت عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقلت: رجل من أهل ذلك الجانب، سألتنى أمى وهى زمنة مقعدة أن أسألك أن تدعو الله لها، فسمعت كلامه كلام رجل مغضب وقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا، فوليت منصرفا فخرجت عجوز من داره فقالت: أنت الذى كلمت أبا عبد الله؟ قلت: نعم، قالت: قد تركته يدعو الله لها.

قال: فجئت من فوري إلى البيت فدفقت الباب فخرجت على رجلها تمشي حتى فتحت لي الباب وقالت: قد وهب الله لي العافية.

وعن فيمون بن الأصبع قال: كنت ببغداد فسمعت ضجة فقلت: ما هذا؟ فقالوا: أحمد ابن حنبل يمتحن، فدخلت فلما ضرب سوطا قال: باسم الله، فلما ضرب الثاني قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما ضرب الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، فلما ضرب الرابع قال: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ (التوبة: ٥١) ف ضرب تسعة وعشرين سوطا.

وكانت نكة أحمد حاشية ثوب فانقطعت، فنزل السراويل إلى عاتقه، فرمى أحمد طرفه إلى السماء وحرك شفتيه، فما كان بأسرع أن بقي السراويل لم يتزل.

فدخلت إليه بعد سبعة أيام فقلت: يا أبا عبد الرحمن رأيتك تحرك شفتيك فأى شيء قلت؟ قال: قلت اللهم إني أسألك باسمك الذي ملأت به العرش إن كنت تعلم أني على الصواب فلا تهتك لي سترا.

وعن محمد بن إسماعيل بن أبي سميئة قال: سمعت شابا يصاحف النائب يقول: لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطا لو ضربته فيلا لهدته.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كنت كثيرا أسمع والدي يقول: رحم الله أبا الهيثم، غفر الله لأبي الهيثم، عفا الله عن أبي الهيثم، فقلت: يا أبة من أبو الهيثم؟ فقال: لما أخرجت للسياط ومدت يداي للعقابين إذا أنا بشاب يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي: تعرفني؟ قلت لا، قال: أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق، وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين، قال: ف ضربت ثمانية عشر سوطا بدل ما ضرب ثمانية عشر ألفا، وخرج الخادم فقال: عفا عنه أمير المؤمنين.

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال لي أبي: يا بني لقد أعطيت المجهود من نفسي.

قال: وكتب أهل المطامير إلى أحمد بن حنبل: إن رجعت عن مقالتك ارتدنا عن الإسلام.

وعن أحمد بن سنان قال: بلغني أن أحمد بن حنبل جعل المعتصم في حل في يوم فتح بابك أو في فتح عمورية فقال: هو في حل من ضربى.

وقال إبراهيم الحربي: أحل أحمد بن حنبل من حضر ضربه وكل من شايع فيه والمعتصم، وقال: لولا أن ابن أبي دُواد داعية لأحلتته.

وقال صالح بن أحمد بن حنبل: ورد كتاب على بن الجهم: إن أمير المؤمنين، يعنى المتوكل، قد وجه إليك يعقوب المعروف بقوصرة، ومعه جائزة ويأمرك بالخروج فالله الله إن تستعفى أو ترد المال، فيتسع القول لمن ييغضك.

فلما كان من الغد ورد يعقوب فدخل عليه فقال: يا أبا عبد الله أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول: فد أحبيت أن آنس بقربك وأن أتبرك بدعائك، وقد وجهت إليك عشرة آلاف درهم معونة على سفرك.

أخرج صرة فيها بدره نحو مائتي دينار والباقي دراهم صحاح، فلم ينظر إليها ثم شدها يعقوب، وقال له: أعود غدا حتى أبصر ما تعزم عليه وانصرف.

فجئت بإجانة خضراء فكبيتها على البدره، فلما كان عند المغرب قال: يا صالح خذ هذا صيره عندك، فصيرتها عند رأسى فوق البيت، فلما كان سحرا إذا هو ينادى: يا صالح، فقامت فصعدت إليه فقال: ما نمت ليلتى هذه، فقلت: لم يا أبة؟ فجعل يبكى وقال: سلمت من هؤلاء حتى إذا كان فى آخر عمرى بليت بهم، قد عزمت على أن أفرق هذا الشيء إذا أصبحت، فقلت: ذاك إليك فلما أصبح قال: جئنى يا صالح بميزان، وقال: وجهوا الى أبناء المهاجرين والأنصار، ثم قال: وجه إلى فلان يفرق فى ناحية وإلى فلان فلم يزل حتى فرقها كلها ونفضت الكيس، ونحن فى حالة الله تعالى بها عليم.

فجاء بنى لى فقال: يا أبة أعطني درهما، فنظر إلى فأخرجت قطعة فأعطيته وكتب صاحب البريد: إنه قد تصدق بالدرهم من يومه حتى تصدق بالكيس.

قال على بن الجهم: فقلت: يا أمير المؤمنين قد علم الناس أنه قد قبل منك، وما يصنع أحمد بالمال؟ وإنما قوته رغيغ، فقال لى: صدقت يا على.

قال صالح: ثم أخرجنا ليلا معنا حراس، معهم النفاطات، فلما أضاء الفجر قال لى: يا صالح معك دراهم؟ قلت: نعم، قال: أعطهم، فأعطيتهم درهما درهما ودخلنا العسكر وأبى منكس الرأس، ثم أنزل دار إيتاخ وجاء على بن الجهم فقال: قد أمر لكم أمير المؤمنين بعشرة آلاف مكان التى فرقها وأمر أن لا يعلم بذلك فيغتم.

ثم جاءه أحمد بن معاوية فقال: إن أمير المؤمنين يكثر ذكرك ويشتهى قربك وتقيم هاهنا تحدث؟ فقال: أنا ضعيف.

ثم حمل إلى دار الخلافة، فأخبرني بعض الخدم أن المتوكل كان قاعدا وراء ستر فلما دخل أبي الدار قال لأمه: يا أماه قد أنارت الدار، ثم جاء خادماً بمندبل فيه ثياب فالبس وهو لا يحرك يديه، فلما صار إلى الدار نزع الثياب ثم جعل يبكي، ثم قال: سلمت من هؤلاء منذ ستين سنة حتى إذا كان في آخر عمري بليت بهم؟ ثم قال: يا صالح وجه هذه الثياب إلى بغداد تباع وتصدق بثمانها ولا يشتري أحد منكم شيئاً منها.

وأجريت له مائدة وثلج وضرب الخيش فلما رآه تنحى فألقى نفسه على مضربة له وجعل يواصل ويفطر في كل ثلاث على تمر شهريز، فمكث كذلك خمسة عشر يوماً ثم جعل يفطر ليلة وليلة ولا يفطر إلا على رغيف، وكان إذا جرى بالمائدة توضع في الدهليز لكي لا يراها فيأكل من حضر،

وأمر المتوكل أن تشتري لنا دار، فقال: يا صالح لئن أقررت لهم بشراء دار لتكونن القطيعة بيني وبينك فلم يزل يدفع شري الدار حتى اندفع.

ثم انحدرت إلى بغداد وخلفت عبد الله عنده فإذا عبد الله قد قدم وقد جاء بشيبي التي كانت عنده، فقلت له: ما جاء بك؟ فقال: قال لي: انحدر وقل لصالح: لا تخرج فأنتم كنتم آفتى، والله لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما أخرجت واحداً منكم معي، ولولا مكانكم لمن كانت توضع هذه المائدة؟

وفي رواية أخرى: ثم إنه مرض فأذن له المتوكل في العود إلى بغداد فعاد.

قال الشيخ: وإنما اقتصرنا على هذا السير من أخبار الإمام أحمد رحمته الله لأننا قد أفردنا لمناقبه وفضائله كتاباً كبيراً يستوفيها فكرهنا الإعادة في التصانيف - وذكرنا في ذلك الكتاب أسماء الأشياخ الذين لقيهم وروى عنهم.

وتوفى رحمته الله في سنة إحدى وأربعين ومائتين، وقد استكمل سبعا وسبعين سنة.

قال المروزي: مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين، ومرض تسعة أيام وتسامع الناس فأقبلوا لعيادته ولزموا الباب الليل والنهار يبيتون، فربما أذن للناس فيدخلون أفواجا يسلمون عليه، فيرد عليهم بيده.

وقال أبو عبد الله: جاءني حاجب لابن طاهر فقال: إن الأمير يقرئك السلام وهو يشتهي أن يراك، فقلت له: هذا مما أكره، وأمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره.

ووضأته فقال: خلل الأصابع، فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس حتى ملثوا السكك

وَالشَّوَارِعَ، فَلَمَّا كَانَ صَدْرُ النَّهَارِ قُبِضَ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَصَاحَ النَّاسُ وَعَلَتِ الْأَصْوَاتُ بِالْبُكَاءِ حَتَّى لَكَانَ الدُّنْيَا قَدْ ارْتَجَتْ.

وَعَنْ إِسْحَاقَ قَالَ: مَاتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَمَا خَلْفَ إِلَّا سِتَّةٌ قَطَعَ أَوْ سَبْعَةٌ، وَكَانَتْ فِي خَرَقَةٍ كَانَ يَسْمَحُ بِهَا وَجْهَهُ قَدْرَ دَانَقِينَ.

وَعَنْ حَنْبَلٍ قَالَ: أُعْطِيَ بَعْضُ وَلَدِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّيِّعِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ ثَلَاثَ شَعْرَاتٍ فَقَالَ: هَذَا مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَوْصَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ يُجْعَلَ عَلَى كُلِّ عَيْنٍ شَعْرَةٌ وَشَعْرَةٌ عَلَى لِسَانِهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

وَعَنْ صَالِحِ بْنِ أَحْمَدَ قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: جِئْنِي بِالْكِتَابِ الَّذِي فِيهِ حَدِيثُ ابْنِ إِدْرِيسَ عَنْ لَيْثٍ عَنْ طَاوُسٍ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ الْأَنْبِيَاءَ، فَقَرَأْتُهُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَثْنِ إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبِي الْوَفَاةَ جَلَسْتُ عِنْدَهُ وَبِيَدِي الْخَرَقَةَ لِأَشُدَّ بِهَا لَحْيَيْهِ، فَجَعَلَ يَعْزِقُ ثُمَّ يَفِيقُ، ثُمَّ يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ وَيَقُولُ بِيَدِهِ هَكَذَا: لَا بَعْدَ لَا بَعْدَ، فَفَعَلَ هَذَا مَرَّةً وَثَانِيَةً، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ قُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا أَيِّ شَيْءٍ هَذَا قَدْ لَهَجْتَ بِهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ؟ تَعْرِفُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ قَضَيْتَ، ثُمَّ تَعُودُ فَتَقُولُ: لَا بَعْدَ لَا بَعْدَ.

فَقَالَ لِي: يَا بَنِي مَا تَدْرِي مَا قُلْتَ؟ قُلْتُ: لَا، فَقَالَ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ قَائِمٌ حِذَائِي عَاضٌ عَلَى أَنْامِلِهِ يَقُولُ لِي: يَا أَحْمَدُ قُتْنِي، فَأَقُولُ: لَا بَعْدَ لَا بَعْدَ حَتَّى أَمُوتَ.

وَعَنْ بَنَانِ بْنِ أَحْمَدَ الْقَصْبَانِيِّ أَنَّهُ حَضَرَ جَنَازَةَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِيمَنْ حَضَرَ، قَالَ: فَكَانَتْ الصَّفُوفُ مِنَ الْمِيدَانِ إِلَى قَنْطَرَةِ بَابِ الْقَطِيعَةِ، وَحَزَرَ مِنْ حَضَرِهَا مِنَ الرِّجَالِ ثَمَانُ مِائَةِ أَلْفٍ وَمِنْ النِّسَاءِ سِتِّينَ أَلْفَ امْرَأَةٍ.

وَعَنْ مُوسَى بْنِ هَارُونَ قَالَ: يُقَالُ إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ لَمَّا مَاتَ مَسَحَتْ الْأُمُكْنَةُ الْمَبْسُوطَةُ الَّتِي وَقَفَ النَّاسُ عَلَيْهَا لِلصَّلَاةِ فَحَزَرَ مَقَادِيرَ النَّاسِ بِالمَسَاحَةِ عَلَى التَّقْدِيرِ سِتْمِائَةَ أَلْفٍ وَأَكْثَرَ، سِوَى مَا كَانَ فِي الْأَطْرَافِ وَالْجَوَالِي وَالسُّطُوحِ وَالْمَوَاضِعِ الْمُتَفَرِّقَةِ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْمُرُوزِيُّ: رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي النَّوْمِ كَأَنَّهُ فِي رَوْضَةٍ وَعَلَيْهِ حُلَّتَانِ خَضِرَاوَانٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مِنَ النُّورِ، وَإِذَا هُوَ يَمْشِي مَشْيَةً لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهَا فَقُلْتُ: يَا أَحْمَدُ مَا هَذِهِ الْمَشْيَةُ الَّتِي لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهَا لَكَ؟ فَقَالَ: هَذِهِ مَشْيَةُ الْخِدَامِ فِي دَارِ السَّلَامِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا التَّاجُ الَّذِي أَرَاهُ عَلَى رَأْسِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَوْقَفَنِي وَحَاسِبَنِي حَسَابًا يَسِيرًا وَحَبَانِي وَقَرَّبَنِي وَأَبَاحَنِي النَّظَرَ إِلَيْهِ، وَتَوَجَّنِي بِهَذَا التَّاجِ وَقَالَ لِي: يَا أَحْمَدُ هَذَا تَاجُ الْوَقَارِ تَوَجَّجْتُكَ بِهِ كَمَا قُلْتُ: الْقُرْآنُ كَلَامِي غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وعن أبي يوسف بن لحيان قال: لما مات أحمد بن حنبل رأى رجل في منامه كأن على كل قبر قنديلا فقال: ما هذا؟ ف قيل له: أما علمت أنه نور لأهل القبور قبورهم ينزل هذا الرجل بين أظهرهم، قد كان فيهم يعذب فرحم.

وعن أبي علي بن البناء قال: لما ماتت أم القطيعي دفنها في جوار أحمد بن حنبل، فرآها بعد ليال فقال: ما فعل الله بك؟ فقالت: يا بني رضى الله عنك فلقد دفنتني في جوار رجل تنزل على قبره في كل ليلة أو قال في كل ليلة جمعة رحمة تعم جميع أهل المقبرة، وأنا منهم.

٢٦٢- محمد بن مصعب أبو جعفر الدعاء

عن حسين بن فهم قال - وذكر محمد بن مصعب - فقال: استسقى ماء فحطت برادة فسمع صوتها فشقق وصاح وقال: يا محمد بن مصعب من أين لك في النار برادة؟ قال: ثم رفع صوته فقرا ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ الآية.

وعن محمد بن نصر بن منصور الصائغ قال: كان المأمون قد أمر محمد بن مصعب إلى الحبس فقال - وقد ذهب به إلى الحبس ورفع رأسه إلى السماء - وقال: أقسمت عليك إن حبستني عندهم الليلة فأخرج في جوف الليل، فصلى الغداة في منزله. أسند محمد بن مصعب عن ابن المبارك وغيره، وكان أحمد بن حنبل يثنى عليه ويقول: كان رجلا صالحا.

وتوفي ببغداد في ذى القعدة سنة ثمان وعشرين ومائتين.

٢٦٤- سعيد بن وهب أبو عثمان مولى بني سلمة بن لؤي

كان شاعرا ماجنا كثير القول في الغزل والخمر وكان يسكن البصرة ثم توطن ببغداد، وتاب وتعبد وحج راجلا.

عن الحسين بن عبد الرحمن قال: حج سعيد بن وهب ماشيا فبلغ منه جهد، فقال:
 قَدَمِي اعْتَوِرَا رَمْلَ الْكُثَيْبِ وَأَطْرَقَا الْأَجْنَ مِنْ مَاءِ الْقَلِيبِ
 رَبُّ يَوْمٍ رَحِمَا فِيهِ عَلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَفِي وَادِ خَصِيبِ
 وَسَمَاعِ حَسَنِ مِنْ حَسَنِ صَخْبِ الْمَزْهَرِ كَالظَّبْيِ الرِّيبِ
 فَاحْسِبَا ذَاكَ بِهَذَا وَاصْبِرَا وَخَذَا مِنْ كُلِّ فَنٍ بِنَصِيبِ
 إِنَّمَا أَمْشَى لِأَنِّي مَذْنِبٌ فَلَعَلَّ اللَّهَ يَعْفُو عَنْ ذُنُوبِي
 توفي سعيد في زمان المأمون رحمه الله.

٢٦٥- يحيى بن أيوب أبو زكريا

العابد المعروف بالمقابرى كان من خيار عباد الله ومن أهل السنة .

عن العباس بن محمد بن عبد الرحمن الأشهلى قال: حدثنى أبى قال: مررت بالمقابر فسمعت همهمة فاتبعت الأثر فإذا يحيى بن أيوب فى حفرة من تلك الحفر، وإذا هو يدعو ويكى ويقول: يا قرّة عين المطيعين، ويا قرّة عين العاصين، ولم لا تكون قرّة عين المطيعين وأنت مننت عليهم بالطاعة؟ ولم لا تكون قرّة عين العاصين وأنت سترت عليهم الذنوب؟ قال: ويعاود البكاء، قال: فغلبنى البكاء ففطن لى، فقال لى: تعال لعل الله إنما بعث بك للخير.

سمع يحيى بن أيوب من شريك واسماعيل بن عليّة فى خلق كثير وتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين.

٢٦٦- سريخ بن يونس

يكنى أبا الحارث المروزى، سكن بغداد.

عن أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الجعد قال: سمعت سريخ بن يونس يقول: رأيت رب العزة تعالى فى المنام فقال لى: يا سريخ سلنى فقلت: يا رب سر بسر. وعن إسحاق بن إبراهيم الجبلى قال: سمعت سريخ بن يونس الشيخ الصالح الصدوق يقول: رأيت فيما يرى النائم كأن الناس وقوف بين يدى الله وأنا فى أول صف فى آخره، ونحن ننظر إلى رب العزة تعالى، إذ قال: أى شىء تريدون أن أصنع بكم؟ فسكت الناس، قال سريخ: فقلت أنا فى نفسى: ويحكم قد أعطاهم كل ذا من نفسه وهم سكوت؟ ففقت رأسى بملحفتى وأبرزت عينا وجعلت أمشى وجزت الصف الأول بخطا فقال أى شىء تريد؟ فقلت: رحمان سر بسر إن أردت أن تعذبنا فلم خلقتنا؟ قال: قد خلقتكم ولا أعذبكم أبدا، ثم غاب فى السماء فذهب.

وعن موسى بن هارون قال: بلغنى أن سريخ بن يونس رأى رب العزة تعالى فى المنام

(٢٦٥) هو: يحيى بن أيوب، الإمام العالم القدوة الحافظ، أبو زكريا البغدادي المقابرى العابد، قال على ابن المدينى: صدوق، وقال أحمد بن حنبل: هو رجل صالح، صاحب سكون ودعة.

(٢٦٦) هو: سريخ بن يونس بن إبراهيم، الإمام القدوة الحافظ، أبو الحارث المروزى ثم البغدادي، سئل أحمد بن حنبل عنه فقال: صاحب خير، وقال أبو حاتم: ليس به بأس، ووثقه صالح جزرة.

فأنتيه فسألته فأخبرنا أنه رأى فيما يرى النائم كأن صفا من الناس، قال: وأنا على يمين الصف، فقال: أى شيء تريدون؟ فلم يجبه أحد فقلت: ويحكم ما لكم لا تتكلمون؟ ثم قنعت رأسي ثم تقدمت وأنا أتمايل - أراه قال من الهول - فقلت: رحمان سر بسر إذ خلقتنا فلا تعذبنا، قال: فإنني لا أعذبكم، أو قال: قد غفرت لكم، ثم رأيت بعد ذلك في رمضان كأنه قد نزل إلى الأرض فقال رجل: اللهم اغفر لي، فقال شيئاً معناه: سننزل إلى الأرض فنغفر لواحد قال سريج فقلت بيدي هكذا ولم أتكلم وفي نفسي أن يغفر للمؤمنين فقال: إنني قد غفرت للمؤمنين.

وعن أحمد بن عبد العزيز بن الجعد قال: حدثني بقال سريج بن يونس قال: جاءني سريج ليلاً وقد ولد له مولود فأعطاني ثلاثة دراهم فقال: أعطني بدرهم عسلاً وبدرهم سمناً وبدرهم سويقاً، ولم يكن عندي شيء قد عزلت الظروف لأبكر وأشتري، فقلت: ما عندي شيء قد عزلت الظروف لأبكر وأشتري، فقال لي: انظر قليلاً: أيش ما كان، امسح البراني فجننت فوجدت البراني والجراب ملاء فأعطيته شيئاً كثيراً فقال لي: ما هذا أليس قلت ما عندي شيء؟ قال: قلت خذ واسكت، فقال: ما آخذ أو تصدقني فحدثته القصة فقال لا تحدث به أحداً ما دمت حياً.

أسند سريج عن سفيان بن عيينة وهشيم وغيرهما.
وتوفي في ربيع الأول سنة خمس وثلاثين ومائتين.

٢٦٧- أحمد بن نصر الخزاعي

يكنى أبا عبد الله، كان من كبار العلماء الأمرين بالمعروف، وسمع الحديث من مالك بن أنس وحماد بن زيد وهشيم وغيرهم.

امتحنه الواثق بالقرآن فأبى أن يقول إنه مخلوق، فقتله في يوم السبت غرة رمضان سنة إحدى وثلاثين ومائتين بسر من رأى، فصلب جسده هناك وأنفذ رأسه إلى بغداد فنصبه فلم يزل كذلك ست سنين، ثم حط وجمع بين رأسه وبدنه ودفن بالجانب الشرقي من بغداد في المقبرة المعروفة بالمالكية في يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وثلاثين ومائتين.

وعن داود بن سليمان قال: حدثني أبي قال: سمعت أحمد بن نصر الخزاعي يقول:

(٢٦٧) هو: أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي المروزي ثم البغدادي الإمام الكبير الشهيد، أبو عبد الله، ثقة فاضل.

رأيت مصابا قد وقع فقرأت في أذنه، فكلمتني الجنية من جوفه: يا أبا عبد الله بالله دعني أخنقه فإنه يقول: القرآن مخلوق.

وعن أبي بكر المروزي قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، وذكر أحمد بن نصر، فقال: رحمه الله ما كان أسخاه، لقد جاد بنفسه.

وعن إبراهيم بن إسماعيل بن خلف قال: كان أحمد بن نصر خلى فلما قتل في المحنة وصلب أخبرت أن الرأس يقرأ القرآن: فمضيت وبت بقرب من الرأس مشرفا عليه، وكان عنده رجالة وفرسان يحفظونه، فلما هدأت العيون سمعت الرأس يقرأ ﴿الْم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ فاقشعر جلدي ثم رأيته بعد ذلك في المنام وعليه السندس والاستبرق، وعلى رأسه تاج فقلت: ما فعل الله بك يا أخي؟ قال: غفر لي وأدخلني الجنة، إلا أنني مغموما ثلاثة أيام، قلت: ولم؟ قال: كان رسول الله ﷺ مربي فلما بلغ خشبتي حول وجهه عني، فقلت بعد ذلك: يا رسول الله قتلت على الحق أو على الباطل؟ فقال: أنت على الحق، ولكن قتلك رجل من أهل بيتي فإذا بلغت إليك أستحيي منك، وعن إبراهيم بن الحسن قال: رأى بعض أصحابنا أحمد بن نصر في النوم بعدما قتل فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله عز وجل فضحك إليّ، رحمه الله.

٢٦٨- أبو محمد الطيب بن إسماعيل بن إبراهيم الذهلي

ويعرف بأبي حمدون الدلال، كان أحد القراء المشهورين، والزهاد الصالحين. روى القراءة عن الكسائي ويعقوب الحضرمي، وحدث عن المسيب بن شريك وسفيان بن عيينة وشعيب بن حرب.

عن أبي العباس أحمد بن مسروق قال: سمعت أبا حمدون المقرئ يقول: صليت ليلة فقرأت فأدغمت حرفا فحملتني عيني فرأيت كان نورا قد تلبب بي وهو يقول لي: بيني وبينك الله، قال: قلت: من أنت؟ قال: أنا الحرف الذي أدغمتني، قال: قلت: لا أعود، فانتبهت فما عدت أدغم حرفا.

وعن أبي محمد الحسن بن علي بن صليح قال إن أبا حمدون الطيب بن إسماعيل كف بصره فقاده قائده ليدخله المسجد، فلما بلغ المسجد قال له قائده: يا أستاذ اخلع نعليك، قال: يا بني لم أخلعهما؟ قال: لأن فيهما أذى، فاغتم أبو حمدون وكان من عباد الله الصالحين، فرفع يده ودعا بدعوات ومسح بها وجهه فرد الله إليه بصره ومشى.

وعن أبى عبد الله بن الخطيب قال: كان لأبى حمدون صحيفه فيها مكتوب ثلثمائة من أصدقائه، قال: وكان يدعو لهم كل ليلة، فتركهم ليلة فنام، فقيل له فى نومه، يا أبا حمدون لم تسرج مصابيحك الليلة، قال: ففقد وأسرج وأخذ الصحيفة فدعا لواحد واحد حتى فرغ.

وعن أبى الحسين بن المنادى قال: أبو حمدون الطيب بن إسماعيل الذهلى من خيار الزهاد المشتهرين بالقرآن، كان يقصد المواضع التى ليس فيها أحد يقرئ الناس، فيقرئهم حتى إذا حفظوا انتقل الى آخرين بهذا النعت، وكان يلتقط المنبوذ كثيراً، رحمه الله.

٢٦٩- مسرور بن أبى عوانة

واسم أبى عوانة: الوضاح، مولى يزيد بن عطاء الواسطى: نزل بغداد وكان عابداً مجتهداً.

عن أسماعيل بن زياد أبو يعقوب قال: قد رأيت العباد والمجتهدين ما رأيت أحداً قط أصبر على صلاة الليل والنهار وطول السهر والقيام من مسرور بن أبى عوانة، كان يصلى الليل والنهار لا يفتر.

قال: وقدم علينا مرة فقال: أخرجونى إلى الساحل أنظر إلى الماء حتى لا أنام.

وعن الفضل بن عبد الوهاب أبو المساور ختن أبى عوانة، قال: كان أبو عوانة من أكثر الناس صلاة بالليل وأطول اجتهاداً، فلما قدم علينا مسرور بن أبى عوانة قال لى أبو عوانة، يا أبا المساور احتقرت والله نفسى، أو قال: تصاغرت إلى نفسى.

٢٧٠- الحارث بن أسد المحاسبى أبو عبد الله

عن أحمد بن محمد بن مسروق قال: سمعت حارثاً المحاسبى يقول: ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن الخلق مع الديانة، وحسن الإخاء مع الأمانة.

وقال الجنيد: كنت كثيراً أقول للحارث عزلتى أنسى، فيقول: كم تقول أنسى وعزلتى، لو أن نصف الخلق تقربوا منى ما وجدت بهم أنسا ولو أن نصف الخلق الآخر نأى عنى ما استوحشت لبعدهم.

وقال: كان الحارث كثير الضر فاجتاز بى يوماً وأنا جالس على بابنا، فرأيت على وجهه زيادة الضر من الجوع، فقلت له: يا عم لو دخلت إلينا فنلت من شىء عندنا وعمدت إلى بيت

(٢٧٠) هو: الحارث بن أسد المحاسبى، الزاهد المشهور، أبو عبد الله البغدادى، صاحب التصانيف، مقبول، من الحادية عشرة.

عمى كان أوسع من بيتنا، لا يخلو من أطعمة فاخرة لا يكون مثلها في بيتنا سريعا، فجئت بأنواع كثيرة من الطعام، فوضعت بين يديه، فمد يده فأخذ لقمة فرفعها إلى فيه فرأيته يلوكها ولا يزدريها، ثم وثب فخرج وما كلمنى.

فلما كان الغد لقيته فقلت: يا عم سررتنى ثم نغصت علىّ فقال: يا بنى أما الفاقة فكانت شديدة وقد اجتهدت فى أن أنال من الطعام الذى قدمت إلى ولكن بينى وبين الله علامة إذا لم يكن الطعام مرضيا ارتفع إلى أنفى منه زفورة فلم تقبله نفسى، فقد رميت بتلك اللقمة فى دهليزكم وخرجت.

وقال الجنيد: مات أبو حارث المحاسبى وإن الحارث لمحتاج إلى دائق فضة، وخلف أبوه مالا كثيرا وما أخذ منه حبة واحدة وقال: أهل ملتين لا يتوارثان وكان واقفيا. أسند الحارث عن يزيد بن هارون وطبقته. وتوفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين، رحمه الله.

٢٧١- عبد الوهاب بن الحكم

ويقال ابن الحكم بن نافع الوراق، يكنى أبا الحسن.

عن أبى بكر الحسن بن عبد الوهاب الوراق قال: ما رأيت أبى ضاحكا قط إلا تبسما، وما رأيته مازحا قط، ولقد رآنى مرة وأنا أضحك مع أمى فجعل يقول: صاحب قرآن يضحك هذا الضحك؟

وعن أبى بكر المروزى قال: سمعت أبا عبد الله يقول: عبد الوهاب الوراق رجل صالح، مثله يوفق لإصابة الحق.

وعنه قال: قال لى عبد الوهاب، يعنى الوراق: أنت كيف استخرت تقيم بسر من رأى؟ فذكرت ذلك لأحمد فقال: فلم لم تقل له ما كان بد للأسير ممن يخدمه؟ ثم قال: لا نزال بخير ما كان فى الناس من ينكر علينا.

وعنه قال: سمعت إسحاق بن داود يقول: كنت أدعو عبد الوهاب فأضع الطعام بين يديه فأكل وأتركه، فيقول لى: يا أبا يعقوب قل لى: كل، فأتغافل عنه وأكل، فيأخذ بيدي ويقول لى: قل لى: كل، فأقول له: فلم دعوتك؟

(٢٧١) هو: عبد الوهاب بن الحكم بن نافع، أبو الحسن الوراق، البغدادى ويقال له: ابن الحكم، ثقة من الحادية عشرة.

أسند عبد الوهاب عن يحيى بن سليم الطائفى وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى داود ومعاذ بن معاذ العنبرى فى آخرين .

وكان مختصا بصحبة أحمد بن حنبل، وكان أحمد يقول: إني لأدعو الله له، ومن يقوى على ما يقوى عليه عبد الوهاب؟ وقيل له عند موته: من نسأل بعدك؟ فقال: سلوا عبد الوهاب .

وتوفى سنة خمسين، وقيل إحدى وخمسين ومائتين .

عن عاصم الحربى قال: رأيت فى المنام بشر بن الحارث الحافى فقلت: من أين يا أبا نصر؟ فقال: من عليين، قلت: ما فعل أحمد بن حنبل؟ قال: تركت الساعة أحمد بن حنبل وعبد الوهاب الوراق بين يدي الله تعالى يأكلان ويشربان ويتنعمان، رحمهما الله .

٢٧٢- السرى بن المغلس السقطى

يكنى أبا الحسن، خال أبى القاسم الجنيد، وأستاذه، وقد ذكرنا فى أخبار معروف أنه دعا له وقال: أغنى الله قلبك، فوقع الزهد فى قلبه حيثئذ .

عن أبى القاسم سليمان بن محمد الضراب قال: حدثنى بعض إخوانى أن سريا السقطى مرت به جارية معها إناء فيه شئ فسقط من يدها فانكسر فأخذ سرى شيئا من دكانه فدفعه إليها بدل ذلك الإناء، فنظر إليه معروف الكرخى فأعجبه ما صنع، فقال له معروف: بغض الله إليك الدنيا .

وعن مظفر بن سهل المقرئ قال: سمعت علان الخياط، وجرى بينى وبينه مناقب سرى السقطى، فقال علان: كنت جالسا مع سرى يوما فوافته امرأة فقالت: يا أبا الحسن أنا من جيرانك، أخذ ابنى الطائف وأنا أخشى أن يؤذيه، فإن رأيت أن تجيء معى أو تبعث إليه . قال علان: فتوقعت أن يبعث إليه، فقام وكبر وطول فى صلاته، فقالت المرأة: يا أبا الحسن الله الله فى، هو ذا أخشى أن يؤذيه السلطان، فسلم، وقال لها: أنا فى حاجتك . قال علان: فما برحت حتى جاءت امرأة إلى المرأة فقالت: الحقى قد خلوا ابنك .

قال علان: وأى شئ يتعجب من هذا اشترى كر لوز بستين دينارا وكتب فى روزنامه ثلاثة دنائير ربحه فصار كر اللوز بتسعين دينارا، فأتاه الدلال وقال: أريد ذاك اللوز، فقال:

(٢٧٢) هو: السرى بن المغلس السقطى، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو الحسن البغدادى، ولد فى حدود الستين ومائة، وتوفى فى شهر رمضان من سنة (٢٥٣).

خذه، فقال: بكم؟ قال: بثلاثة وستين ديناراً، قال له الدلال: إن اللوز قد صار الكر بتسعين، فقال له: قد عقدت بيني وبين الله عقداً لا أحله: ليس أبيعه إلا بثلاثين وستين ديناراً، فقال له الدلال: إني قد عقدت بيني وبين الله تعالى لا أغش مسلماً، لست آخذ منك إلا بتسعين ديناراً، فلا الدلال اشترى منه، ولا سرى باعه فكيف لا يستجاب دعاء من هذا فعله؟.

وعن ابن أبي الورد قال: دخلت على سرى السقطى وهو يبكى، ودورقه مكسور، فقلت: ما لك؟ قال: انسكر الدورق، فقلت: أنا أشتري لك بدله، فقال لى: تشتري بدله وأنا أعرف من أين الدائق الذى تشتري به الدورق؟ ومن عمله؟ ومن أين طينه؟ وأى شيء أكل عامله حتى فرغ من عمله.

وعن سعيد بن عثمان قال: سمعت سرى بن المغلس يقول: غزونا أرض الروم فمررت بروضة خضرة فيها الخيار وحجر منقور فيه ماء المطر، فقلت فى نفسى: لئن أكلت يوماً حلالاً فالיום، فتزلت عن دابتي وجعلت أكل من ذلك الخيار وشربت من ذلك الماء، فإذا هاتف يهتف بى: يا سرى، النفقة التى بلغت بها إلى هاهنا من أين.

وعن الجنيد قال: سمعت سرى بن المغلس يقول: أشتى منذ ثلاثين سنة جزيرة أغمسها فى الدبس وأكلها، فما يصح لى.

وعن حسن المسوحى قال: دفع إلى سرى السقطى قطعة، فقال: اشتر لى باقلى من رجل قدره داخل الباب، فطفت الكرخ كله فلم أجد إلا من قدره خارج الباب، فرجعت إليه فقلت: خذ قطعتك فإنى لا أجد إلا من قدره خارج.

وعن أبى عبيد على بن الحسين بن حرب القاضى قال: سمعت سرى السقطى يقول: إني لأذكر مجيء الناس إلى فأقول: اللهم هب لهم من العلم ما يشغلهم عني، فإنى لا أريد مجيئهم ولا أن يدخلوا على.

وعن على بن عبد الحميد الغضائرى قال: سمعت السرى السقطى - ودقت عليه الباب، فقام إلى الباب - فسمعه يقول: اللهم اشغل من يشغلنى عنك بك.

قال ابن المقرئ: وزادنى بعض أصحابنا عنه أنه قال: فكان من بركة دعائه أنى حججت أربعين حجة على رجلى من حلب ذاهباً وراجعاً.

وعن جنيد قال: دخلت على سرى وهو جالس يبكى وبين يديه كوز مكسور، فجلست حتى سكت فقلت: ما يبكيك؟ قال: كنت صائماً فجاءت ابنتى بكوز فيه ماء فعلقته هناك

فقلت: يبرد لك لتفطر عليه، فحملتنى عيني فرأيت كأن جارية قد دخلت علىّ من هذا الباب عليها قميص فضة وفي رجليها نعلان لم أر قدما قط فى نعل أحسن منهما فقلت لها: لمن أنت؟ قالت: لمن لا يبرد الماء فى الكيزان الخضر، وضربت بكهما الكوز فرمت به، وهو هذا، ثم انتبهت.

قال جنيد: فمكثت أختلف إليه مدة طويلة أرى الكوز بين يديه مكسورا عليه التراب وهو لا يرفعه.

وعنه قال: قال لى سرى إن أمكنك ألا تكون آلة بيتك إلا خزفا فافعل، قال لى الجنيد: وهكذا كانت آلة بيته، وسمعت سريا يقول: رأيت الفوائد ترد فى ظلم الليل، قال: وكان سرى إذا جن عليه الليل دافع أوله، ثم دافع، ثم دافع، فإذا غلبه الأمر أخذ فى النحيب والبكاء.

جعفر بن محمد بن نصير يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السرى قال: ما أرى لى على أحد فضلا، قيل: ولا على المخشئين؟ قال: ولا على المخشئين؟ قال السلمى: وسمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازى يقول: سمعت أبا عمر الأنماطى يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السرى يقول: من أراد أن يسلم دينه ويستريح قلبه وبدنه ويقل غمه فليعتزل الناس، لأن هذا زمان عزلة ووحدة.

وعن عبدوس بن القاسم قال: سمعت السرى يقول: كل الدنيا فضول إلا خمس خصال: خبز يشبعه، وماء يرويه، وثوب يستره وبيت يكنه، وعلم يستعمله. وعن على بن عبد الحميد الغضائرى قال: سمعت السرى يقول: من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم، ومن هانت عليه المصائب أحرز ثوابها.

وعنه قال: سمعت البصرى يقول: قليل فى سنة خير من كثير فى بدعة، كيف يقل عمل مع تقوى؟ وسمعت يقول: أقوى القوة غلبتك نفسك، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز، ومن أطاع من فوقه أطاعه من دونه، ومن خاف الله خافه كل شيء. وقال: إن اغتممت بما ينقص من مالك فابك على ما ينقص من عمرك.

وقال: من قلة الصدق كثرة الخلطاء، ومن علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس. وعن قال: سمعت السرى يقول: أجلد الناس من ملك غضبه، ومن تزيل للناس بما ليس فيه سقط من عين الله، ولن يكمل رجل حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

وعن الجنيد قال: سمعت سريا يقول: ما أحب أن أموت حيث أعرف أخاف ألا تقبلني الأرض فأفتضح.

وقال: سمعت سريا يقول: إني لأنظر إلى أنفى فى كل يوم مرتين مخافة أن يكون قد اسود وجهى.

أحمد بن عبد الله قال: أخبرني جعفر بن محمد فى كتابه قال: سمعت الجنيد قال: سمعت السرى بن مغلّس يقول: لو أحسست بإنسان يريد أن يدخل علىّ فقلت بلحيتى كذا - وأمر يده على لحيته كأنه يريد تسويتها من أجل دخول الداخل - لخفت أن يعذبني الله على ذلك بالنار.

وسمعه يقول: أحب أن أكل أكلة ليس لله علىّ فيها تبعة، ولا لمخلوق علىّ فيها منة فما أجد إلى ذلك سبيلا.

وسمعه يقول: خرجنا يوما من مكة فلما أصبحنا رأيت فى مجرى السيل طاقة بقل فمددت يدي فأخذتها وقلت: الحمد لله، ورجوت أن تكون حلالا ليس لمخلوق فيها منة، فقال لى بعض من رآنى وقد أخذتها: يا أبا الحسن التفت، فالتفت فإذا مثل تلك الطاقة كثير، فقال لى: خذ، فقلت له: الطاقة الأولى ليس لأحد فيها منة وهذا بدلالتك، وأنا أريد ما لا منة فيه لمخلوق، ولا لله فيه تبعة.

قال: وسمعه يقول: كنت بطرسوس فكان معى فى الدار فتيان مستعبدون وكان فى الدار تنور يخبزون فيه، فانكسر التنور فعملت بدله من مالى فتورعوا أن يخبزوا فيه. وقال له رجل: كيف أنت؟ فأنشأ يقول:

من لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الأكباد
وسمعه يقول: اللهم ما عذبتنى بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب.

وسمعه يقول: إذا فاتنى جزء من وردى لا يمكننى أن أقضيه أبدا.

وسمعه يقول: إذا ابتدأ الإنسان ثم كتب الحديث فتر وإذا ابتدأ بكتبه الحديث ثم تنسك نفذ. وذكر له أهل الحقائق من العباد فقال: أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الغرقى.

وسمعه يقول: احذر لا تكون ثناء منشورا وعيبا مستورا.

وسمعه يقول: وقد ذكر الناس، فقال: لا تعمل لهم شيئا، ولا تترك لهم شيئا، ولا تعط لهم شيئا، ولا تكشف لهم عن شيء، يريد بهذا أن تكون أعمالك كلها لله تعالى.

قال: وسمعت الحسن البزار يقول: سألت أحمد بن حنبل عن السرى بعد قدومه من الشجر، فقال: أليس الشيخ الذى يعرف بطيب الغذاء؟ قلت: بلى، فقال: هو على ستره عندنا قبل أن يخرج.

وقد كان السرى يكثر من ذكر طيب الغذاء، وتصفية القوت، وشدة الورع حتى انتشر ذلك وبلغ أحمد بن حنبل.

قال الجنيد: وكان السرى يقول لنا ونحن حوله: أنا لكم عبرة يا معشر الشباب، اعملوا فإنما العمل فى الشيبة، وكان يقول: من الناس ناس لو مات نصف أحدهم ما انزجرا النصف الآخر ولا أحسبني إلا منهم.

وسمعت السرى يقول: قلوب المؤمنين معلقة بالسوابق، وقلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، هؤلاء يقولون: بماذا يختم لنا؟ وأولئك يقولون: ماذا سبق من الله لنا؟

وعن أبى عباس المؤدب قال: دخلت على سرى السقطى يوما فقال: لأعجبك من عصفور يجىء فيسقط على هذا الرواق فأكون قد أعددت له لقيمة فأفتها فى كفى فيسقط على أطراف أناملى فيأكل، فلما كان فى وقت من الأوقات سقط على الرواق ففتت الخبز فى يدي فلم يسقط على يدي كما كان، ففكرت فى سرى: ما العلة فى وحشته منى؟ فوجدتنى قد أكلت ملحًا مطيبًا، فقلت فى نفسى: أنا تائب من الملح المطيب، فسقط على يدي فأكل وانصرف.

وعن الجنيد قال: دخلت على سرى فقال: ألا أعجبك من عصفور؟ فذكره.
وعن أبى القاسم الجوهري قال: دخلت على سرى فقال: لأعجبك من عصفور، فذكر نحوه.

وعن أبى عبيد بن حربويه قال: سمعت السرى السقطى يقول: من النذالة أن يأكل الإنسان بدينه.

وعن على بن عبد الحميد قال: سمعت السرى السقطى يقول: من حاسب نفسه استحيا الله من حسابه، وسمعتة يقول: من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل.

وعن أبى عبيد بن حربويه قال: سمعت سريا السقطى يقول: سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفياؤه، وأخرجها من قلوب أودائه لأنه لم يرضها لهم.

وعن أحمد بن محمد الصوفى قال: سمعت السرى بن مغلس يقول: انقطع من انقطع

عن الله بخصلتين، واتصل من اتصل بالله بأربع خصال: فأما من انقطع عن الله فإنه يتخطى إلى نافلة بتضييع فرض، والثاني عمل بظاهر الجوارح لم يواطئ عليه صدق القلوب، وأما الذى اتصل به المتصلون: فبلزوم الباب والتشمير فى الخدمة، والصبر على المكاره، وصيانات الكرامات.

عن أبى بكر النساج قال: سمعت السرى يقول: لو علمت أن جلوسى فى البيت أفضل من خروجى إلى المجلس ما خرجت، ولو علمت أن جلوسى معكم أفضل من جلوسى فى البيت ما جلست، ولكنى إن دخلت اقتضانى العلم لكم، وإن خرجت نافرتنى الحقيقة، فأنا عند منافرتى مستبح، وأنا عند اقتضاء العلم محجوج.

وعن الجنيد قال: سمعت السرى يقول: وددت أن حزن الخلق كلهم على، وسمعتة يقول: إن فى النفس لشغلا عن الناس.

وعن محمد بن على الحربى قال: سمعت سرى يقول: حمدت الله مرة وأنا أستغفر الله من ذلك الحمد منذ ثلاثين سنة، قيل: وكيف ذلك؟ قال: كان لى دكان وكان فيه متاع، فوقع الحريق فى سوقنا ففيل لى، فخرجت أتعرف خبر دكانى، فلقيت رجلا فقال أبشر فإن دكانك قد سلم، فقلت: الحمد لله، ثم أفكرت فرأيتها خطيئة.

وعن الجنيد بن محمد قال: دخلت على سرى السقطى فسلمت وجلست فقال لى: اقرب منى، ففكرت منه فأخذ بيدي وقال لى: اعلم يا بنى أن الشوق والأنس يرفرفان على القلب، فإن وجدا هنالك الهية والإجلال وإلا رحلا.

وعن ابن مسروق قال: سمعت سرى يقول: ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب لم يخرج به غضبه عن الحق، وإذا رضى لم يخرج به رضاءه إلى الباطل، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.

وعن جنيد قال: سمعت سرى يقول: إذا فاتنى شىء من وردى لم أقدر أن أعيده. قال جنيد: كان سرى متصل الشغل وكان إذا فاته شىء لا يقدر أن يعيده، وكذا كان عمر ابن الخطاب لم يكن له وقت ينأى فيه، فكان ينعس وهو قاعد، ففيل له: يا أمير المؤمنين ألا تنام؟ فقال: كيف أنا؟ إن نمت بالنهار ضيعت أمور المسلمين، وإن نمت بالليل ضيعت حظى من الله عز وجل.

وعنه قال: أخبرنا سرى السقطى قال: صليت ليلة ثم جلست ساعة ومددت رجلى، فنوديت فى سرى: يا سرى من جالس الملوك ينبغي أن يحسن الأدب.

وعن حسن البزار قال: كان أحمد بن حنبل هاهنا، وكان بشر بن الحارث ههنا، وكنا نرجو أن يحفظنا الله بهما، ثم ماتا وبقي سرى، فإنى أرجو أن يحفظنا الله بسرى.

وعن الجنيد قال: ما رأيت أعبد لله من السرى السقطى، أتت عليه ثمان وسبعون سنة ما رئى مضطجعا إلا فى علة الموت.

وعن القاسم بن عبد الله البزار قال: سمعت سرى بن المغلس يقول: لو أن رجلا دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى من الأشجار، عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الأطيوار، فخطبه كل طائر منها وقال: السلام عليك يا ولى الله فسكنت نفسه إلى ذلك، كانت فى يدها أسيرا.

وعن إبراهيم بن السرى السقطى قال: سمعت أبى يقول: عجبت لمن غدا وراح فى طلب الأرباح وهو مثل نفسه لا يريح أبدا، وسمعت أبى يقول: لو أشفت هذه النفوس على أديانها شفقتها على أولادها لاقت السرور فى معادها.

وعن الجنيد بن محمد قال: سمعت سريا يقول: لولا الجمعة والجماعة لشدت على نفسى الباب ولم أخرج.

وعن ابن مسروق قال: سمعت سريا يقول لإخوانه: الدهر ثلاثة أيام: يوم مضى بؤسه وشدته وغمه لم يبق منه شيء، واليوم الذى أنت فيه صديق مودع لك طويل الغيبة عنك، سريع الرحلة عنك، وغدا فى يديك تأميلة، ولعلك من غير أهله.

وقال: أمس أجل، واليوم عمل، وغدا أمل.

وقال الجنيد: كنت نائما عند سرى - رحمه الله - فأنبهنى فقال لى: يا جنيد رأيت كأنى قد وقفت بين يدى الله تعالى، فقال لى: يا سرى خلقت الخلق فكلهم ادعى محبتى، وخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقي معى العشر، وخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر وبقي معى عشر العشر، فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار العشر، فقلت للباقين معى: لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخلصتم ولا من التلو هوبتم، فملذا تريدون؟ قالوا: إنك تعلم ما نريد، فقلته لهم: فإنى ملط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم،

ما لا تقوم له الجبال الرواسي، أتصبرون؟ قالوا: إذا كنت أنت المبتلى لنا فافعل ما شئت، فهو لاء عبادى حقا.

وعنه قال: كنت يوما عند السرى بن مغلس وكنا خالين وهو متزر بمئزر فنظرت إلى جسده كأنه جسد سقيم ذنف مضنى كأجهد ما يكون، فقال: أنظر إلى جسدى هذا لو شئت أن أقول إن ما بى من المحبة لله تعالى لكان كما أقول، وكان وجهه أصفر ثم أشرب حمرة حتى تورده، ثم اعتل فدخلت عليه أعوده فقلت له: كيف تجدك؟ فقال:

كيف أشكو إلى طبيبى ما بى؟ والذى بى أصابنى من طبيبى

فأخذت المروحة أروحه فقال لى: كيف يجد روح المروحة من جوفه يحترق من داخل؟ ثم أنشأ يقول:

القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع، والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق؟
يا رب إن كان شئ فيه لى فرج فامنن على به ما دام بى رمق

وعنه قال: دخلت على سرى السقطى وهو فى النزاع، فجلست عند رأسه فوضعت خدى على خده فدمعت عيناي فوق دمعى على خده ففتح عينيه فقال لى: من أنت؟ قلت: أنا خادمك الجنيد، فقال: مرحبا، فقلت له: أيها الشيخ أوصنى بوصية أنتفع بها بعدك، قال: إياك ومصاحبة الأشرار وأن تنقطع عن الله بصحبة الأخيار. وقد رواها جعفر الخلدى عن الجنيد أيضا.

أسند سرى عن هشيم، وأبى بكر بن عياش، ويزيد بن هارون، وغيرهم، وصحب معروف الكرخى.

قال أبو عبيد على بن الحسين بن حرب القاضى: توفى سرى بن المغلس يوم الثلاثاء لست خلون من رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين.

وعن أبى الحسن بن مقسم المقرئ قال: مات سرى سنة إحدى وخمسين ومائتين. وقال المصنف رحمه الله: والأول أصح.

وعن أبى عبيد بن حربويه قال: حضرت جنازة سرى السقطى فسررت فحدثنا رجل عن آخر أنه حضر جنازة سرى السقطى فلما كان فى بعض الليل رآه فى النوم فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لى ولمن حضر جنازتى وصلى على، فقلت: فإنى ممن حضر جنازتك وصلى

عليك، قال: فأخرج درجا فنظر فيه فلم ير لى فيه اسما، فقلت: بلى قد حضرت، قال: فنظر فإذا اسمى فى الحاشية، رحمه الله ورضى عنه.

٢٧٣- علي بن الموفق، أبو الحسن العابد

عن محمد بن أحمد بن المهدي قال: سمعت علي بن الموفق، ما لا أحصيه، يقول: اللهم إن كنت تعلم أنى أعبدك خوفا من نارك فعذبني بها، وإن كنت تعلم أنى أعبدك حبا منى لجنتك وشوقا منى إليها فاحرمنيها، وإن كنت تعلم أنى أعبدك حبا منى لك وشوقا منى إلى وجهك الكريم فأبحنيه واصنع بى ما شئت.

قال: وسمعته يقول: خرجت يوما لأؤذن فأصبحت قرطاسا فأخذته ووضعته فى كمى، وأقمت وصليت فلما صليت قرأته فإذا فيه مكتوب:

«بِاللَّهِ أَرْحَمَ الرَّحِيمِ: يا علي يا بن الموفق، تخاف الفقر وأنا ربك؟».

وعن عبد الله بن العباس الطيالسى قال: سمعت علي بن الموفق يقول: قام رجل من إخوانكم فى ليلة باردة فلما تهيأ للصلاة إذا شقاق فى يديه ورجليه فبكى، فهتف به هاتف من البيت أيقظناك وأنمناهم وتبكى علينا.

وعن عبد الرحمن بن عبد الباقي بطرسوس قال: سمعت بعض مشايخنا يقول: قال علي ابن الموفق: لما تم لى ستون حجة خرجت من الطواف، وجلست بحذاء الميزاب وجعلت أتفكر، لا أدرى أى شىء حالى عند الله، وقد كثر تردى إلى هذا المكان، قال: فغلبتنى عينى، فكان قائلا يقول: يا علي أتدعو إلى بيتك إلا من تحبه؟ فانتبهت وقد سرى عنى ما كنت فيه.

وعن محمد بن إسحاق السراج قال: سمعت علي بن الموفق يقول: حججت نيفا وخمسين حجة فنظرت إلى أهل الموقف وضجيج أصواتهم فقلت: اللهم إن كان فى هؤلاء أحد لم يتقبل حجه فقد وهبت حجتى له، فرحت إلى مزدلفة فبت بها فرأيت رب العزة تعالى فى المنام فقال لى: يا علي يا بن الموفق تتسخرى على؟ قد غفرت لأهل الموقف ولأمثالهم وشفعت كل واحد منهم فى أهل بيته وعشيرته وذريته، وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة.

(٢٧٣) هو: علي بن الموفق، الزاهد المشهور، انظر «تاريخ بغداد» (١٢/ ١١٠) و «حلية الأولياء» (١٠/

وعن أحمد بن عبد الله الحفار قال: رأيت أحمد بن حنبل في النوم فقلت: يا أبا عبد الله ما فعل الله بك؟ قال: حباني وأعطاني وقرني وأدناني، قال: قلت: الشيخ الزمن على بن الموفق ما صنع الله به؟ قال: الساعة تركته في زلال يريد العرش.

قال المؤلف: أسند ابن الموفق عن منصور بن عمار وأحمد بن أبي الحواري. وتوفي سنة خمس وستين ومائتين، رحمه الله.

٢٧٤- أبو شعيب البرائي العابد

قال الجنيد بن محمد: أبو شعيب البرائي أول من سكن براءا في كوخ يتعبد فمرت بكوخه جارية من بنات الكبار أبناء الدنيا فتجردت مما كانت فيه وتزوجت به، مكثا سنين كثيرة يتعبدان أحسن عبادة، وتوفيا على ذلك متعاونين، رحمهما الله.

٢٧٥- أبو عبد الله بن أبي جعفر البرائي

عن أبي مريم قال: قلت لأبي عبد الله البرائي: كم تبكي؟ كم هذا البكاء؟ فأخرج إلى يده وإذا على أصبعه شعرة ملفوفة، فنشرها ثم قال: إذا كان المجاز على مثل هذه فأى قدم يثبت على مثل هذا؟ ثم بكى.

وعن حكيم بن جعفر قال: سمعت أبا عبد الله البرائي يقول: لمن يرد القيامة أرفع درجة من الراضين عن الله على كل حال، ومن وهب له المرض فقد بلغ أفضل الدرجات ومن زهد على حقيقة كانت مؤنته خفيفة، ومن لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال. وعنه قال: سمعت أبا عبد الله البرائي يقول: كرمك أطمعنا سيدي في عفوك، وجودك أطمعنا في فضلك، وذنوبنا قد تؤيسنا من ذلك، وتأبى قلوبنا لمعرفتها بك أن تقطع رجاءها بك منك، فتفضل أيها الكريم وجد بعفوك يا رحيم.

وعنه قال: سمعت أبا عبد الله البرائي يقول: بالمعرفة هانت على العاملين العبادة وبالرضا عن الله عز وجل في تديره زهدوا في الدنيا ورضوا منها لأنفسهم بتقديره.

وعنه قال: سمعت أبا عبد الله البرائي يقول: من كرمت نفسه عليه رغب بها عن الدنيا. وعن البرجلاني قال: سمعت أبا عبد الله البرائي يقول: حملتنا المطامع على أسوأ

(٢٧٤) هو: أبو شعيب البرائي، ذو الأحوال العالية، من مستقدمي شيوخ بغداد، انظر «حلية الأولياء» (١٠/٣٤٥) و«تاريخ بغداد» (١٤/٤١٨).

(٢٧٥) هو: أبو عبد الله البرائي، صاحب النكت المغرية والأحوال الزكية، من كبار المشايخ ومتقدميهم.

الصنائع، نذل لمن لا يقدر لنا على ضرر ولا على نفع، ونخضع لمن لا يملك رزقا ولا حياة ولا موتا ولا نشورا، فكيف أزعج أنى أعرف ربي حق معرفته وأنا أصنع ذلك؟ هيهات هيهات.

٢٧٦- أبو جعفر المحولى

سكن باب المحول من بغداد فنسب إليه.

عن إسماعيل بن إبراهيم التريمانى قال: سمعت أبا جعفر المحولى، وكان عابدا عالما يقول: حرام على قلب محب الدنيا أن يسكنه الورع الخفى، وحرام على نفس عليها رياسة الناس أن تذوق حلاوة الآخرة، وحرام على كل عالم لم يعمل بعلمه أن يتخذ المتقون إماما. وعن عبد الله بن أبى حبيب قال: سمعت أبا جعفر المحولى يقول: إليك أشكو بدنا غدى بنعمتك، ثم توثب على معاصيك.

وعن الصلت بن حكيم قال: قال أبو جعفر المحولى يوما، وذكر عنده الفالودج، فقال: إن قلبا يتفرغ لصناعة الفالودج حتى يأكله لقلب فارغ جدا ثم بكى. وعنه قال: سمعت أبا جعفر المحولى يقول: إذا جاع العبد صفا بدنه ورق قلبه وهطلت دمعته، وأسرعت إلى الطاعة أطواره وجوارحه وعاش فى الدنيا كريما.

٢٧٧- إبراهيم الآجرى الكبير

عن عبدون الزجاج قال: قال إبراهيم الآجرى، وكان من الفضالين: لأن ترد همك إلى الله عز وجل ساعة خير لك مما طلعت عليه الشمس.

٢٧٨- أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الرحمن القنطرى

عن ابن المنادى قال: أبو بكر محمد القنطرى كان ينزل قنطرة البردان، وكان يشبه فى الزهد والورع والشغل عن الدنيا وأهلها ببشر بن الحارث، وكان قوته شيئا يسيرا إنما كان فيما أخبرت عنه يكتب «جامع» سفيان الثورى لقوم لا يشك فى صلاحهم بيضعة عشر درهما، فمنها قوته.

وقالوا: كان له ابن أخت حدث فراه يلعب بالطيور فدعا الله أن يميته فما أمسى يومه ذلك إلا ميتا.

وعن أبى بكر أحمد بن محمد المروزى قال: دخلت على أبى بكر بن مسلم صاحب قنطرة البردان يوم عيد فوجدته عليه قميص مرفوع نظيف مطبق وقدامه قليل خرنوب يقرضه، (٢٧٦) هو: أبو جعفر المحولى، كان من قدماء العارفين من أهل بغداد، سكن باب المحول فنسب إليه.

فقلت: يا أبا بكر، اليوم عيد الفطور وتأكل خرنوبا؟ فقال لى: لا تنظر إلى هذا ولكن انظر إن سألتنى عنه من أين هو، أيش أقول؟

وقال الجنيد بن محمد: عبرت يوما إلى أبى بكر بن مسلم فى نصف النهار فقال: ما كان لك فى هذا الوقت عمل يشغلك عن المجىء إلى؟ قلت: إذا كان مجيئى إليك عملا فما أعمل.

وعنه قال: كان لى شيوخ كانت رؤيتهم لى قوة من الأسبوع إلى الأسبوع، وإن أبا بكر بن مسلم منهم.

وعن أبى بكر المروزى قال: سمعت أبا بكر بن مسلم يقول: الدنيا لأى شىء تراد؟ إن كان إنما تراد للذة، فلا كانت الدنيا ولا كان أهلها، إنما تراد الدنيا أن يطاع الله فيها. توفي أبو بكر بن مسلم يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذى الحجة سنة ستين ومائتين.

٢٧٩- أبو جعفر بن السماك العابد

عن سرى السقطى قال: دخل علىّ أبو جعفر بن السماك وكان شيخا متعبدا مترويا فرأى عندى جماعة فوقف ولم يقعد، ثم نظر إلىّ وقال: يا سرى صرت مناخ البطالين ورجع ولم يقعد وكره اجتماعهم حولى.

قال المؤلف: هكذا روى لنا فى نسبه أبو جعفر بن السماك.

وقال أبو عبد الرحمن السلمى: هو أبو جعفر السماك، بغدادى من مشايخ سرى السقطى.

٢٨٠- أيوب الحمال

يكنى أبا سليمان من العباد المجتهدين، من ذوى الكرامات وهو من أقران بشر وسرى، وصحب سهل بن عبد الله.

عن محمد بن خالد قال: سمعت أيوب الحمال يقول: عقدت على نفسى ألا أمشى غافلا ولا أمشى إلا ذاكرة فمشيت مشية فأخذتنى عرجة فعلمت من أين أتيت؟ فبكيت واستغثت وتبت فزال العلة والعرجة، فرجعت إلى الموضع الذى غفلت فيه، فرجعت إلى الذكر فمشيت سليما.

وعن أحمد بن محمد بن وهب عن بعض أصحابه أنه حج مع أيوب الحمال، قال: فلما

أن طعنا في البادية وسرنا منازل، إذا عصفور يحوم علينا وحولنا، فرفع أيوب رأسه فنظر إليه فقال له: قد جئت إلى هاهنا؟ وأخذ خبزاً ففتته له في كفه، فوقع العصفور على يده وجعل يأكل منها، ثم صب له ماء فشرب، ثم قال له: اذهب الآن، فطار العصفور، فلما كان من الغد رجع العصفور ففعل به أيوب مثل ما فعل في اليوم الأول ثم لم يزل يفعل به ذلك حتى انتهى إلى آخر السفارة.

٢٨١- محمد بن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن بن عبد الصمد

مولى سعيد بن العاص القرشي، يكنى أبا الحسن ويلقب بحبش، ويعرف بابن أبي الورد. عن علي بن عبد الحميد قال: سمعت محمد بن أبي الورد يقول: هلاك الناس في حرفين: اشتغال بنافلة، وتضييع فريضة وعمل بالجوارح بلا مواطأة القلب عليه، وإنما منعوا الوصول بتضييع الأصول.

وعن أبي بكر الصوفي الأسكاف قال: سمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن أبي الورد يقول: أشكر الخلق لله عز وجل من لم ير أنه شكر الله عز وجل قط. وعن جعفر بن محمد قال: سئل محمد بن أبي الورد عن قوله: ﴿أَقْمَنَ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ (فاطر: ٨) قال: من ظن في إساءته أنه محسن.

وقال: من آداب الفقير في فقره ترك الملامة، والتعبير لمن ابتلى بطلب الدنيا، والرحمة والشفقة عليه، والدعاء له ليرحبه الله من تعبته فيها.

وعن عبد الرحمن بن أحمد قال: سمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن أبي الورد يقول: إن لله عز وجل يوما لا ينجو من شره منقاد لهواه، وإن أبطأ الصرعى نهضة يوم القيامة صريع الشهوة، وإن العقل معدن والفكر معول، فبقدر الطاقة والقوة يكون انتهاؤه، وعلى العاقل مراعاة قلبه وحفظ ساعته لا غير.

وعن أبي الحسين بن المنادي قال: وأبو الحسن محمد بن محمد المعروف بحبش بن أبي الورد ما زال مشهورا بالورع والزهد والفضل والانكماش في العبادة حتى فارق الدنيا. قال المؤلف: أسند محمد بن أبي النضر هاشم بن القاسم، وبشر الحافى، وصحب

سريا، والمحاسبى.

وتوفى في رجب سنة ثلاث وستين ومائتين، رحمه الله.

٢٨٢- أخوه أحمد بن محمد بن أبي الورد

وقيل يكنى أبا الحسن أيضا.

وعن جعفر بن محمد قال: قال أحمد بن أبي الورد، ولي الله إذا زاد جاهه زاد تواضعه، وإذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده.

وقال: وصل القوم بخمس: بلزوم الباب، وترك الخلاف، والنفاذ في الخدمة، والصبر على المصائب، وصيانة الكرامات.

وعن أبي علي الروذباري قال: كان أحمد ومحمد ابنا محمد بن أبي الورد صحبا أبا عبد الله الساجي، وكان أبو عبد الله يقول: من أراد أن يخدم الفقراء فليخدم خدمة ابني أبي الورد: صحباني عشرين سنة ما سألاني مسألة قط، وما رأيت منهما منكرا قط.

صحب أحمد بن أبي الورد بشرا الحافي والحارث المحاسبى وسريا، ومات قبل أخيه محمد.

٢٨٣- الحسن الفلاس

تأدب ببشر الحافي، وعاصر سرى السقطي، وكان سرى يفخم أمره.

عن وهب بن نعيم بن الهيصم قال: جاء حسن الفلاس إلى بشر بن الحارث مرة ومرتين وثلاثا يتردد إليه في مسألة ليكون الحجة فيما بينه وبين الله تعالى، فتركه بشر وقام مرة ومرتين وثلاثا.

فلما كان بعد ذلك تبعه إلى المقابر، فلما صار إلى المقابر وقف بشر فقال له: يا حسن أيود هؤلاء أن يردوا فيصلحوا ما أفسدوا؟ ألا فاعلم يا حسن أنه من فرح قلبه بشيء من الدنيا أخطأ الحكمة قلبه، ومن جعل شهوات الدنيا تحت قدميه فرق الشيطان من ظله، ومن غلب هواه فهو الصابر الغالب، ألا واعلم أن البلاء كله في هواك، والشفاء كله في مخالفتك إياه، فإذا لقيته فقل: قال لي.

فرجع الحسن فعاهد الله ألا يأكل ما يباع ولا ما يشتري، ولا يلبس ما يباع ولا ما يشتري، ولا يمسك بيده ذهباً ولا فضة ولا يضحك أبداً، وكان يأوى ستة أشهر في العباسية وستة أشهر حول دار البطيخ ويلبس ما في المزابل.

ولقبه رجل بالذندرن منصرفاً على هذه الصورة، فقال: يا حسن من ترك شيئاً لله عوضه الله ما هو خير منه يعني فما عوضك؟ قال الحسن: الرضا بما ترى.

فلما رجع من غزاته خرج به خراج وكانت فيه ميته، فلما اشتد به الأمر قال لمولاة له: لا تسقيني ماء حتى أطلب منك، فلما قرب منه الأمر طلب منها الماء فشرب وقال: لقد أعطاني ما يتنافس فيه المتنافسون.

وعن سري السقطي قال: تعجبنى طريقة حسن الفلاس، وكان حسن الفلاس لا يأكل إلا القمامة، رحمه الله.

٢٨٤- محمد بن منصور الطوسي

يكنى أبا جعفر، أصله من طوس، سكن بغداد ومات بها، أثنى عليه أحمد بن حنبل: وعن أحمد بن محمد بن محمد بن الفضل المؤذن قال: سمعت محمد بن منصور الطوسي وحواليه قوم، فقالوا له: يا أبا جعفر أى شيء عندك اليوم؟ فقد شك الناس فيه يوم عرفة هو أو غيره، فقال: اصبروا، فدخل البيت، ثم خرج فقال: هو عندى يوم عرفة فاستحيوا أن يقولوا: من أين لك ذلك؟ فعدوا الأيام والليالي فكان اليوم الذى قال: فجاء إليه ابن سلام فقال: من أين علمت أنه يوم عرفة؟ قال: دخلت البيت فسألت ربى تعالى فأراني الناس فى الموقف. وعن الحسن بن علويه قال: قال محمد بن منصور: ست خصال يعرف بها الجاهل: الغضب فى غير شيء، والكلام فى غير نفع، والعظة فى غير موضعها، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد، ولا يعرف صديقه من عدوه.

أسند محمد بن منصور عن هاشم بن القاسم وغيره، ومسانيده كثيرة. وتوفى يوم الجمعة لست بقين من شوال سنة أربع وخمسين ومائتين، رحمه الله.

٢٨٥- محمد السمين

الخلدي قال: قال الجنيد: قال لى محمد السمين: كنت فى وقت من الأوقات أعمل على الشوق وكنت أجد من ذلك شيئاً أنه به مشغول، فخرجت إلى الغزو وهذه الحالة حالى، وغزا الناس وغزوت معهم، فكثر العدو على المسلمين وتقاربوا والتقوا ولزم المسلمين من ذلك خوف لكثرة الروم.

قال أحمد: فرأيت نفسى فى ذلك الموطن وقد لحقها ورع، فاشتد ذلك علىّ وجعلت أوبخ نفسى، وألومها وأؤدبها وأقول لها: كذابة تدعين الشوق فلما جاء الموطن الذى يؤمل فى مثله الخروج اضطربت وتغيرت؟ فأنا أوبخها إذا وقع لى أنزل إلى النهر فأغتسل، فخلعت

(٢٨٤) هو: محمد بن منصور بن داود الطوسي، نزيل بغداد، أبو جعفر، العابد، ثقة، من صفار العاشرة.

ثيابي وأتّرت ودخلت النهر فاغتسلت وخرجت وقد اشتدت لي عزيمة لا أدري ما هي؟ فخرجت بقوة تلك العزيمة ولبست ثيابي وأخذت سلاحى ودنوت من الصفوف وحملت بقوة تلك العزيمة حملة وأنا لا أدري كيف أنا، فخرقت صفوف المسلمين و صفوف الروم حتى صرت من ورائهم ثم كبرت تكبيرة فسمع الروم تكبيرا فظنوا أن كميننا قد خرج عليهم من ورائهم فولوا وحمل عليهم المسلمون فقتل من الروم بسبب تكبيرتى تلك نحو أربعة آلاف، وجعل الله عز وجل ذلك سببا للفتح والنصر.

٢٨٦- زهير بن محمد بن قمير

ابن شعبة أبو محمد، مرزوى الأصل، سكن بغداد.
عن أبى القاسم أحمد بن منيع قال: ما رأيت بعد أبى عبد الله أحمد بن حنبل أزهد من زهير بن قمير.

وعن محمد بن زهير بن قمير قال: كان أبى يجمعنا فى وقت ختمة القرآن فى شهر رمضان، فى كل يوم وليلة ثلاث مرات، تسعين ختمة فى شهر رمضان.

وعن عبد الله بن البغوى قال: سمعت زهيرا يقول: أشتهى لحما من أربعين سنة ولا أكله حتى أدخل الروم فأكله من مغنم الروم.

أسند زهير بن محمد بن قمير عن الحسن بن محمد المروزى والحسن بن موسى الأشيب ويعلى بن عبيد والقعنبي وعبد الرازق فى آخرين.

وانتقل فى آخر عمره إلى طرسوس فربط بها إلى أن توفى بها فى سنة سبع وخمسين، وقيل ثمان وخمسين ومائتين.

وذكر أبو الحسن المنادى أنه دفن فى مقابر باب حرب والصحيح الأول.

٢٨٧- إبراهيم بن هانىء

أبو إسحاق النيسابورى رحل فى طلب العلم إلى البلدان واستوطن بغداد واختفى عنده أحمد بن حنبل، وكان يثنى عليه ويقول لا أطيق ما يطيق إبراهيم من العبادة.

عن أبى بكر النيسابورى قال: حضرت إبراهيم بن هانىء عند وفاته فقال لابنه إسحاق: أنا

(٢٨٦) هو: زهير بن محمد بن قمير، الإمام الربانى المحدث الثبت أبو محمد، ويقال: أبو عبد الرحمن المروزى، ثقة فاضل.

(٢٨٧) هو: إبراهيم بن هانىء، النيسابورى، الإمام الحافظ القدوة العابد، أبو إسحاق الأرقباني الفقيه، نزيل بغداد، قال الدارقطنى: ثقة فاضل.

عطشان، فجاءه بماء، فقال: غابت الشمس؟ قال: لا، قال: فرده، ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (الصافات) ثم خرجت روحه.

وعنه قال: حضرت إبراهيم بن هانيئ النيسابوري يوم وفاته، فدعا ابنه إسحاق فقال: هل غربت الشمس؟ قال: لا، ثم قال: يا أبة رخص لك في الإفطار في الفرض وأنت متطوع، قال: امهل ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ ثم خرجت نفسه.

وعن أبي بكر بن زنجويه قال: قال أحمد بن حنبل: إن كان ببغداد من الأبدال أحد فأبو إسحاق إبراهيم بن هانيئ.

أسند إبراهيم بن هانيئ عن يعلى ومحمد ابني عبيد، وقبيصة وأبي اليمان في خلق كثير. وتوفي يوم الأربعاء لأربع خلون من ربيع الآخر سنة خمس وستين ومائتين رحمه الله.

٢٨٨- فتح بن شحرف بن داود بن مزاحم، أبو نصر الكشي

قال البربهاري: سمعت ابن شحرف يقول: رأيت رب العزة جل وعز في النوم فقال: يا فتح، احذر لا آخذك على غرة، قال: فتفتت في الجبال سبع سنين.

وعن رويم بن أحمد قال: لقيني يوما الفتح بن شحرف فقال: يا أبا محمد أنت أمين الله على نفسك لا ترى على شيء محتاج إليه، ولا عندى شيء تزحمك الحاجة إليه فتتخلف عن أخذه.

وعن محمد بن المسيب قال: قال الإمام أحمد بن حنبل: ما أخرجت خراسان مثل فتح ابن شحرف.

وعن الحسين بن يحيى الأرموي قال: كتب فتح بن شحرف على باب بيته: رحم الله ميتا دخل على هذا الميت فلم يذكر الموتى عنده إلا بخير.

وقال أحمد بن عبد الجبار: سمعت أبي يقول: صحبت فتح بن شحرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه إلى السماء، ثم رفع رأسه إلى السماء وفتح عينيه ونظر إلى السماء، ثم قال: قد طال شوقي إليك فعجل قدومي عليك.

وعن أبي الحسين الحمادي القاضي قال: سمعت الفتح بن شحرف يقول: رأيت أمير المؤمنين على بن أبي طالب - عليه السلام - في النوم، فقلت له: يا أمير المؤمنين أوصني: قال لي: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء، قال: فقلت له: زدني، فأومأ إليّ بكفه فإذا فيه مكتوب:

قد كنت ميتا فصرت حيا وعن قليل تصير ميتا
أغنى بدار الفناء بيت فابن بدار البقاء بيتا
حدث الفتح بن شحرف عن رجاء بن مرجا، وجعفر بن عبد الواحد، ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه وغيرهم.

وتوفى يوم الثلاثاء للنصف من شوال من سنة ثلاث وسبعين ومائتين، ودفن في المقبرة التي بين باب حرب وباب قطربل، وصلى عليه بدر المغازلي.

قال أبو محمد الحريري: غسلت الفتح بن شحرف فقلبته على يمينه فإذا على فخذه الأيمن مكتوب: خلقه الله - كتابة بينة - قال جعفر: ورأيت الفتح بن شحرف هذا وكان رجلا صالحا زاهدا لم يأكل الخبز ثلاثين سنة، وكان ذا أخلاق حسنة وكان يطعم الفقراء ومن يزوره من الأصحاب الطعام الطيب، وكان حسن العبادة والورع والزهد.

عن أبي محمد الحريري قال: غسلنا الفتح بن شحرف فرأينا على فخذه مكتوبا «لا إله إلا الله» فتوهمناه مكتوبا فإذا هو عرق داخل الجلد.

وعن إسحاق بن إبراهيم بن هاني قال: لما مات فتح بن شحرف ببغداد صُلِّي عليه ثلاثا وثلاثين مرة، أقل قوم كانوا يصلون عليه يعدون خمسة وعشرين ألفا إلى ثلاثين ألفا، رحمه الله.

٢٨٩- أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي

ولد سنة ثمان وتسعين ومائة، وأصله من مرو وكان إماما في جميع العلوم، وله التصانيف الحسان، وكان زاهدا في الدنيا وكان يقول: صحبت قوما من الكرخ في طلب الحديث فسموني الحربي لأن عندهم أن من جاوز قنطرة العتيقة من الحرية.

وعن أحمد بن عبد الله بن خالد قال: سمعت إبراهيم بن إسحاق الحربي يقول: أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجر مع القدر لم يتهن بعيشه، كان يكون قميصي أنظف قميص وإزارى أوسخ إزار، ما حدثت نفس أنهما يستويان قط وفرد عقبى مقطوع والآخر صحيح أمشى بهما وأدور ببغداد كلها هذا الجانب وذاك الجانب لا أحدث نفسي أن أصلحها وما شكوت إلى أمي ولا إلى أختي ولا إلى امرأتي ولا إلى بناتي قط حمى وجدتها، الرجل الذي

(٢٨٩) هو: إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير البغدادي، الحربي، الشيخ الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، عالم العراق، مولده في سنة ثمان وتسعين ومائة.

يدخل غمه على نفسه ولا يغتم عياله، وكان برأسى شقيقة خمسا وأربعين سنة ما أخبرت بها أحدا قط، ولى عشر سنين أبصر بفرد عين ما أخبرت به أحدا وأفنيت من عمرى ثلاثين سنة برغيفين إن جأتنى بهما أمى أو أختى أكلت وإلا بقيت جائعا عطشان إلى الليلة الثانية، وأفنيت ثلاثين سنة من عمرى برغيف فى اليوم والليلة، إن جاءتنى امرأتى أو إحدى بناتى به أكلته وإلا بقيت جائعا عطشان الليلة الأخرى، والآن أكل نصف رغيف وأربع عشرة ثمرة إن كانت برنيا أو نيفا وعشرين إن كان دقلا ومرضت ابنتى فمضت امرأتى فأقامت عندها شهراً فقام إفطارى فى هذا الشهر بدرهم ودانقين ونصف، دخلت الحمام واشترت لهم صابونا بدانقين فقام نفقة شهر رمضان كله بدرهم وأربعة دنانيق ونصف.

وعن القاسم بن بكير قال: سمعت إبراهيم الحربى يقول: ما كنا نعرف من هذه الأطبحة شيئاً، كنت أجيء من عشاء إلى عشاء وقد هيات لى أمى باذنجانة مشوية أو لعقة بنّ أو باقة فجل.

وقال أبو بكر بن على الخراط: كنت يوماً جالسا مع إبراهيم بن إسحاق على باب داره، فلما أن أصبحت قال لى: يا أبا على قم إلى شغلك فإن عندى فجلة قد أكلت البارحة خضرتها أقوم أتغذى بجزرتها.

وعن أبى عثمان الرازى قال: جاء رجل من أصحاب المعتضد إلى إبراهيم الحربى بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد يسأله عن أمر أمير المؤمنين يفرق ذلك فردّه، فانصرف الرسول ثم عاد فقال: إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه فى جيرانك، فقال: عافاك الله هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه فلا نشغلها بتفرقه، قل لأمير المؤمنين، إن تركتنا وإلا تحولنا من جوارك.

وعن أبى القاسم الجبلى قال: اعتل إبراهيم الحربى علة حتى أشرف على الموت فدخلت إليه يوماً فقال لى: يا أبا القاسم أنا فى أمر عظيم مع ابنتى، ثم قال لها: قومى اخرجى إلى عمك فخرجت فألقت على وجهها خمارها، فقال لها إبراهيم: هذا عمك كلميه، فقالت لى: يا عم نحن فى أمر عظيم لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، الشهر والدرهم، ما لنا طعام إلا كسر يابسة وملح وربما عدمنا الملح وبالأمس قد وجه إليه المعتضد مع بدر بألف دينار فلم يأخذها ووجه إليه فلان وفلان فلم يأخذ منهما شيئاً وهو عليل.

فالتفت الحربى إليها وتبسم وقال: يا بنية إنما خفت الفقر؟ قالت: نعم، قال: انظرى إلى

تلك الزاوية، فنظرت فإذا كتب، فقال: هناك اثنا عشر ألف جزء لغة وغريب كتبه بخطى إذا مت فوجهى كل يوم جزء فيبيعه بدرهم، فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم فليس هو فقير. وقال أحمد بن سليمان القطيعي: أضقت إضاقة، فمضيت إلى إبراهيم الحربى لأبثه ما أنا فيه، فقال لى: لا يضيق صدرك فإن الله من وراء المعونة، إنى أضقت مرة إلى أن انتهى أمرى فى الإضاقة إلى أن عدم عيالى قوتهم، فقالت لى الزوجة: هب أنى وإياك نصبر فكيف نعمل بهاتين الصبيتين؟ فهات شيئا من كتبك حتى نبيعه أو نرهنه، فضننت بذلك، فقلت: اقترضى لهما شيئا وأنظرينى بقية اليوم والليلة وكان لى بيت فى دهليز دارى فيه كتبى وكنت أجلس فيه للنسخ والنظر.

فلما كان فى تلك الليلة إذا داق يدق الباب فقلت: من هذا؟ فقال: رجل من الجيران، فقلت: ادخل، فقال: اطفئ السراج حتى أدخل فكبيت على السراج شيئا وقلت: ادخل فدخل وترك إلى جانبى شيئا وانصرف، فكشفت على السراج ونظرت فإذا منديل له قيمة وفيه أنواع من الطعام وكاغذ فيه خمسمائة درهم، فدعوت الزوجة وقلت: أنبهى الصبيان حتى يأكلوا.

ولما كان من الغد قضينا ديننا كان علينا من تلك الدراهم، وكان وقت مجيء الحاج من خراسان فجلست على بابى من غد تلك الليلة فإذا جمال يقود جملين عليهما حملان ورقا وهو يسأل عن منزل إبراهيم الحربى، فأنتهى إلى، فقلت أنا إبراهيم الحربى فحط الحملين وقال هذان الحملان أنفذهما لك رجل من أهل خراسان، فقلت: من هو؟ فقال: قد استحلقتنى ألا أقول من هو؟

وعن ثعلب قال: ما فقدت إبراهيم الحربى من مجلس نحو أو لغة نحو خمسين سنة. وعن محمد بن صالح الأنماطى قال: لا نعلم أن بغداد أخرجت مثل إبراهيم الحربى فى الأدب والحديث والفقه والزهد.

وقال أبو الحسن العتكى: سمعت إبراهيم الحربى يقول لجماعة عنده: من تعدون الغريب فى زمانكم هذا؟ فقال واحد منهم: الغريب من نأى عن وطنه، قال آخر: الغريب من فارق أحبابه وقال كل واحد منهم شيئا، فقال إبراهيم: الغريب فى زماننا رجل صالح عاش بين قوم صالحين، إن أمر بالمعروف وأزروه، وإن نهى عن المنكر أعانوه وإن احتاج إلى شىء من الدنيا مانوه، ثم ماتوا وتركوه.

وعن مقاتل بن محمد بن بنان العتكي قال: حضرت مع أبي وأخى عند ابن إسحاق، يعنى إبراهيم الحربى، فقال إبراهيم لأبى: هؤلاء أولادك؟ قال: نعم، قال: احذر لا يرونك حيث نهاك الله فتسقط من أعينهم.

وعن محمد بن خلف وكيع قال: كان لإبراهيم الحربى ابن، وكان له إحدى عشرة سنة، حفظ القرآن، ولقنه من الفقه شيئا كثيرا قال: فمات، فجنث أعزیه فقال: كنت أشتهى موت ابنى هذا، قال: قلت يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا فى صبي قد أنجب ولقنته الحديث والفقه؟ قال: نعم رأيت فى النوم كأن القيامة قد قامت وكان الصبيان بأيديهم قلال فيها ماء يستقبلون الناس يسقونهم، وكان اليوم يوما حارا شديدا حره، قال: فقلت لأحدهم: اسقنى من هذا الماء، قال: فنظر إلى وقال: ليس أنت أبى، فقلت: أى شئ أنتم؟ قال: فقال نحن الصبيان الذين متنا فى دار الدنيا وخلفنا آباءنا، نستقبلهم فنسقيهم الماء، قال: فلهذا تمنيت موته.

وعن عيسى بن محمد الطومارى قال: دخلنا على إبراهيم الحربى وهو مريض، وقد كان يحمل ماؤه إلى الطبيب، فجاءت الجارية وردت الماء وقالت: مات الطبيب فبكى وأنشأ يقول:

إذا مات المعالج من سقامى فيوشك للمعالج أن يموتا

وعن على بن الحسن البزار قال: سمعت إبراهيم بن إسحاق الحربى يقول، وقد دخل عليه قوم يعودونه، فقالوا: كيف تجدك يا أبا إسحاق؟ قال: أجدنى كما قال الشاعر:

دب فى البلاء سفلا وعلوا وأرانى أموت عضوا فعضوا

ذهبت جدتى بطاعة نفسى وتذكرت طاعة الله نضوا

أسند إبراهيم الحربى عن أبى نعيم الفضل بن دكين، وعفان ومسدّد، وأحمد بن حنبل وخلق كثير لا يحصون.

وتوفى ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين، وقبره ظاهر يتبرك الناس به، رحمه الله.

٢٩٠- يحيى الجلاء

كان من خيار الناس، وصحب بشر بن الحارث.

قال محمد بن الحسين بن الحسن: سمعت أبا عبد الله بن الجلاء قال: قلت لذى النون:

لم سمى أبى الجلاء؟ أكان يصنع صنعة؟ قال: لا، نحن سميناه الجلاء كان إذا تكلم علينا جلاء قلوبنا.

وعن أبي عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء قال: مات أبي، فلما وضع في المغسل رأيناه يضحك، فالتبس على الناس أمره فجاءوا بطبيب وغطوا وجهه فأخذ مجسه فقال: هذا ميت، فكشفوا عن وجهه الثوب فرآه يضحك، فقال الطبيب: ما أدرى أحى هو أم ميت؟ فكان إذا جاء إنسان ليغسله لبسته منه هبة، لا يقدر على غسله حتى جاء رجل من إخوانه فغسله، وكفنه وصلى عليه، ودفن.

٢٩١- أبو إبراهيم السائح

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كان في دهليزنا دكان (وكان) إذا جاء إنسان يريد أبي أن يخلو معه أجلسه على الدكان وإذا لم يرد أن يخلو معه أخذ بعضادتي الباب وكلمه. فلما كان ذات يوم جاءنا إنسان فقال لي: قل له: أبو إبراهيم السائح فجلسنا على الدكان فقال لي أبي: سلم عليه فإنه من كبار المسلمين، أو من خيار المسلمين، فسلمت عليه فقال له أبي: حدثني يا أبا إبراهيم فقال له أبو إبراهيم: خرجت إلى الموضع الفلاني بقرب الدير الفلاني فأصابتنى علة منعتنى من الحركة فقلت في نفسي: لو كنت بقرب الدير لعل من فيه من الرهبان يداويني فإذا أنا بسبع عظيم يقصد نحوي حتى جاءني فاحتملني على ظهره حملاً رقيقاً حتى ألقاني عند الدير فنظر الرهبان إلى حالي مع السبع فأسلموا كلهم وهم أربعمئة راهب، رحمه الله.

٢٩٢- إسماعيل بن يوسف أبو علي المعروف بالديلمي

جمع بين العلم والعبادة والحديث، وجالس أحمد بن حنبل، وحدث عن مجاهد بن موسى.

عن أبي الحسين بن المنادي قال: كان إسماعيل الديلمي من خيار الناس، وذكر لي أنه كان يحفظ أربعين ألف حديث.

قالوا: وكان يعبر إلى الجانب الشرقي قاصداً محمد بن أشكاب الحافظ، فيذكره بالمسند. وكان إسماعيل من أشهر الناس بالزهد والورع والتميز بالصون وأما مكسبه فكان من المشاهدة في الأرجاء.

وعن أبي علي الأبرار قال: قلت لإسماعيل الديلمي: تشهر في هذه الأرجاء بثلاثة

دراهم؟ وأى شيء تكفى ثلاثة دراهم؟ فقال: يا بنى، ما لم يتصل بنا عز التوكل فلا ينبغي أن نستعجل الذل بالتشرف.

وعن كردان قال: قال لى إسماعيل الديلمى اشتهيت حلوا وبلغت شهوته إلى فخرجت من المسجد بالليل لأبول، فإذا جنبتي الطريق أخاوين حلوا فنوديت يا إسماعيل هذا الذى اشتهيت، فإن تركته فهو خير لك، فتركته.

قال ابن مخلد: وقد كتبت أنا عن كردان كان يكون فى قنطرة بنى زريق وقد رأيت إسماعيل الديلمى وكان ما شئت من رجل، رأيته عند أبى جعفر بن أشكاب.

قال المعافى: إسماعيل هذا من خيار الناس.

والناس يزورون قبره وراء قبر معروف الكرخى، وبينهما قبور يسيرة، وقد زرته مرارا، وحدثنى بعض شيوخنا عنه أنه كان حافظا للحديث، كثير السماع، وإنه كان يذاكر بسبعين ألف حديث.

٢٩٣- زكريا بن يحيى بن عبد الملك أبو يحيى الناقد

كان من كبار الأخيار.

عن محمد بن جعفر بن سام قال: لو قيل لأبى يحيى الناقد غدا تموت ما ازداد فى عمله.

وقال أبو زرعة الطبرى: قال أبو يحيى الناقد: اشتريت من الله تعالى حوراء بأربعة آلاف ختمة، فلما كان آخر ختمة سمعت الخطاب من الحوراء تقول: وفيت بعهدك فما أنا الذى اشتريتنى، فيقال إنه مات عن قريب.

أسند أبو يحيى الناقد عن خالد بن خدّاش، وفضيل بن عبد الوهاب وأحمد بن حنبل فى آخرين.

وكان أحمد يقول فيه: هذا رجل صالح.

وتوفى ليلة الجمعة لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ومائتين.

٢٩٤- أبو بكر الرقاق واسمه محمد بن عبد الله

عن الحسن بن أحمد بن عبد العزيز قال: سمعت الرقاق يقول: لى تسعون سنة أرب هذا الفقر من لم يصحبه فى فقره الورع أكل الحرام النص.

محمد السراج قال: قال جنيد: رأيت إبليس فى منامى وكأنه عريان فقلت له: ما تستحى من الناس؟ فقال: بالله هؤلاء عندك من الناس؟ لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب

الصبيان بالكرة ولكن الناس غير الناس فقلت له: ومن هم؟ قال: قوم في مسجد الشونيزي قد أضنوا قلبي وأنحلوا جسمي كلما هممت بهم أشاروا إلى الله تعالى فأكاد أحترق.

قال جنيد: فانتبهت ولبست ثيابي وجئت إلى مسجد الشونيزي وعلى ليل، فلما دخلت المسجد إذا أنا بثلاثة أنفس جلوس ورءوسهم في مرقعاتهم فلما أحسوا بي قد دخلت أخرج أحدهم رأسه وقال: يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شيء تُقبل.

قال ابن جهضم: ذكر لي أبو عبد الله بن جمار أن الثلاثة الذين كانوا في مسجد الشونيزي: أبو حمزة وأبو الحسين النوري، وأبو بكر الرقاق.

٢٩٥- أبو يعقوب الزيات

قال الجنيد بن محمد: دقت على أبي يعقوب الزيات بابه في جماعة من أصحابنا، فقال: ما كان لكم شغل في الله يشغلكم عن المجيء إلي؟ قال الجنيد: فقلت له: إذا كان مجيئنا إليك من شغلنا به لم نقطع عنه، ففتح الباب.

وقال يوما لبعض المريدين: أتحفظ القرآن؟ فقال: لا، فقال: واغوثاه، بالله مريد لا يحفظ القرآن كأترنجة لا ريح لها فبم يتنعم؟ فبم يترنم؟ فبم يناجي ربه؟ - رحمه الله -.

٢٩٦- الجنيد بن محمد بن الجنيد

أبو القاسم الخزاز القواريري، كان أبوه يبيع الزجاج وكان هو خزازا وأصله من نهاوند إلا أن مولده ومنشأه ببغداد.

عن جعفر الخلدی قال الجنيد ذات يوم: ما أخرج الله إلى الأرض علما وجعل للخلق إليه سبيلا إلا وقد جعل لي فيه حظا ونصيبا.

قال الخدی: وبلغني عن الجنيد أنه كان في سوقه، وكان ورده في كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسيحة.

وعنه قال: كان الجنيد عشرين سنة لا يأكل إلا من الأسبوع إلى الأسبوع، ويصلي كل يوم أربعمئة ركعة.

(٢٩٥) هو: أبو يعقوب الزيات، كان مغتصما لوقته، مشغلا بنفسه، يراعى خطراته، ويشغل بخلواته، انظر «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٣٧).

(٢٩٦) هو: الجنيد بن محمد، الإمام القدوة المحدث، أبو القاسم القاسمي نزيل هراة، وشيخ الصوفية، مولده سنة ست وستين وأربعمائة، ومات في رابع عشر شوال سنة سبع وأربعين وخمسمائة.

وعنه قال: لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير أبي القاسم الجنيد ولا أكثرهم كان يكون له علم كثير ولا يكون له حال، وآخر كان يكون له حال كثير وعلم يسير، والجنيد كانت له حال خطيرة وعلم غزير فإذا رأيت حاله رجحته على علمه، وإذا رأيت علمه رجحته على حاله.

وعن أبي محمد المرتعش قال: قال الجنيد: كنت بين يدي سري السقطي ألعب، وأنا ابن سبع سنين، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي: يا غلام ما الشكر؟ فقلت: ألا تعصى الله بنعمه، فقال لي: أخشى أن يكون حظك من الله لسانك، قال الجنيد: فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السري لي.

وعن أبي الحسن المجلسي قال: قيل للجنيد: ممن استفدت هذا العلم؟ قال: من جلوسى بين يدي الله تعالى ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة، وأوماً إلى درجة في داره. قال السلمي: وسمعت جدي إسماعيل بن نجيد يقول: كان الجنيد يجيء كل يوم إلى السوق فيفتح حانوته فيدخله ويسبل السر ويصلى أربعمئة ركعة، ثم يرجع إلى بيته.

وعن أحمد بن عبد الحميد السامري قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: معاشر الفقراء إنما عرفتم بالله وتكرموا به، فإذا خلوتهم به فانظروا كيف تكونون معه؟ وعن أبي الطيب بن الفرحان قال: سمعت الجنيد يقول: علامة إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه.

وعن حامد بن إبراهيم قال: قال الجنيد بن محمد: الطريق إلى الله مسدود على خلق الله عز وجل، إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ، والتابعين لستته، كما قال الله عز وجل ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١).

وعن خير قال: كنت يوماً جالسا في بيتي فخطر لي خاطر أن أبا القاسم جنيدا بالباب أخرج إليه فنفيت ذلك عن قلبي وقلت: وسوسة، فوقع لي خاطر ثان يقتضى مني الخروج: إن جنيدا على الباب فأخرج إليه: فنفيت ذلك عن سري، فوقع لي خاطر ثالث فعلمت أنه حق وليس بوسوسة، ففتحت الباب فإذا أنا بالجنيد قائم فسلم على وقال: يا خير ألا خرجت مع الخاطر الأول؟

وعن أبي محمد الحريري قال: سمعت الجنيد يقول: لقد مشى رجال باليقين على المال، ومات بالعطش أفضل منهم يقينا.

وعن أبي عمرو بن علوان قال: خرجت يوما إلى سوق الرحبة في حاجة فرأيت جنازة فتبعتها لأصلي عليها، ووقفت حتى يدفن الميت في جملة الناس فوقعت عيني على امرأة مسفرة من غير تعمد، فألحت بالنظر واسترجعت واستغفرت الله تعالى، وعدت إلى منزلي فقالت لي عجوز: يا سيدى ما لى أرى وجهك اسود فأخذت المرأة فنظرت فإذا وجهى أسود، فرجعت إلى سرى أنظر من أين دهيت؟ فذكرت النظرة، فانفردت في موضع أستغفر الله وأسأله الإقالة أربعين يوما فخطر في قلبي أن زر شيخك الجنيد، فانهدرت إلى بغداد فلما جئت الحجرة التي هو فيها طرقت الباب فقال لى: ادخل يا أبا عمرو، تذنب بالرحبة ونستغفر لك ببغداد.

وعن أبى بكر محمد بن أحمد قال: سمعت الجنيد يقول: فتح كل باب وكل علم نفيس بذل المجهود.

وعن أحمد بن عطاء قال: قال الجنيد: لولا أنه يروى أنه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ما تكلمت عليكم.

وعن أبى القاسم المطرز قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: أضمر ما على أهل الديانات الدعاوى.

وعن أبى بكر المفيد قال: سمعت الجنيد يقول: احذر أن تكون ثناء منشورا وعيبا مستورا.

وعن العباس بن عبد الله قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: المروءة احتمال زلل الإخوان.

وعن أبى القاسم النقاش قال: سمعت الجنيد يقول: الإنسان لا يعاب بما فى طبعه إنما يعاب إذا فعل ما ينافى طبعه.

وسأله رجل: كيف الطريق إلى الله؟ فقال: توبة تحل الإصرار، وخوف يزيل الغفرة، ورجاء مزعج إلى طريق الخيرات، ومراقبة الله فى خواطر القلوب.

وقال أبو الحسن: سمعت الجنيد يقول: ليس يتسع على ما يرد على من العالم، لأننى قد أصلت أصلا وهو أن الدار دار غم وهم وبلاء وفتنة وأن العالم كله شر، ومن حكمه أن يتلقانى بكل ما أكره فإن تلقانى بما أحب فهو أفضل، وإلا فالأصل الأول.

وعن جعفر بن القاسم قال: سمعت الجنيد يقول: كان يعارضنى فى بعض أوقاتي أن

أجعل نفسى كيوسف، وأكون أنا كييعقوب، فأحزن على ما فقدت من نفسى كما حزن يعقوب على فقد يوسف، فمكثت مدة أعمل على حسب ذلك.

وعن محمد بن نصير فى كتابه قال: قال الجنيد: لو أقبل صادق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله.

وقال رجل للجنيد: علام يتأسف المحب؟ قال: على زمان بسط أورث قبضا أو زمان أنس أورث وحشة، وأنشأ يقول:

قد كان لى مشرب يصفو برؤيتكم فكدرته يد الأيام حين صفا
قال جعفر: وقال أبو العباس بن مسروق: مررت مع الجنيد فى بعض دروب بغداد وإذا

مغن يغنى:

منازل كنت تهواها وتألفها أيام أنت على الأيام منصـور
فبكى الجنيد بكاء شديدا ثم قال: يا أبا العباس، ما أطيب منازل الألفة والأنس، وأوحش مقامات المخالقات، لا أزال أحن إلى بدو إرادتى وجدة سعى:

إسماعيل بن نجيد يقول: ودخل أبو العباس بن عطاء على الجنيد وهو فى التزع فسلم عليه، فلم يرد عليه، ثم رد عليه بعد ساعة وقال: اعذرني فإنى كنت فى وردى ثم حول وجهه إلى القبلة وكبر ومات - رحمه الله -.

وقال أبو محمد الحريرى: كنت واقفا على رأس الجنيد فى وقت وفاته، وكان يوم جمعة، وهو يقرأ القرآن فقلت: يا أبا القاسم ارفق بنفسك، فقال: يا أبا محمد ما رأيت أحدا أحوج إليه منى فى هذا الوقت، وهو ذا تطوى صحيفتى.

وعنه قال: حضرت عند الجنيد قبل وفاته بساعتين، فلم يزل باكيا وساجدا، فقلت له: يا أبا القاسم قد بلغ بك ما أرى من الجهد، فقال: يا أبا محمد أحوج ما كنت إليه هذه الساعة، فلم يزل باكيا وساجدا حتى فارق الدنيا.

وعن فارس بن محمد قال: كان أبو القاسم الجنيد كثير الصلاة ثم رأيناه فى وقت موته وهو يدرس ويقدم إليه الوسادة فيسجد عليها، فقيل له: ألا روحت عن نفسك؟ فقال: طريق وصلت به إلى الله لا أقطعه.

وقال أبو بكر العطار: حضرت الجنيد عند الموت فى جماعة من أصحابنا، قال: فكان قاعدا يصلى ويثنى رجله كلما أراد أن يسجد، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله

فثقل عليه حركتها فمد رجله وقد تورمتا، فرآه بعض أصدقائه فقال: ما هذا يا أبا القاسم؟ فقال: هذه نعم، الله أكبر، فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الحريري لو اضطجعت، قال: يا أبا محمد هذا وقت يؤخذ منه، الله أكبر، فلم يزل ذلك حاله حتى مات، رحمه الله. أسند الجنيّد الحديث عن الحسن بن عرفة.

قال المصنف - رحمه الله - : أخبرنا أبو منصور الصرار قال: أنبأ أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو سعيد الماليني، قال: أنبأ أبو القاسم عمرو بن محمد بن مقبل، قال: أنبأ جعفر الخلدی، قال: أنبأ الجنيّد بن محمد، قال: حدثنا الحسن بن عرفة، قال: أنبأ محمد بن كثير الكوفي عن عمرو بن قيس الملائي عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»^(١) ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (الحجر: ٧٥).

قال أبو بكر الخطيب: لا يعرف للجنيّد غير هذا الحديث.

قال المصنف: قلت: وقد رويت له حديثاً آخر، أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أنبأ رزق الله بن عبد الوهاب، قال: أنبأ أبو عبد الرحمن السلمي قال: أنبأ أحمد بن عطاء الصوفي قال: أنبأ محمد بن علي بن الحسين قال: سئل الجنيّد عن الفراسة، قال: فقال: أنبأ الحسن ابن عرفة قال: ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر، عن عبد الله قال: كنت أرى غنما لعقبة بن أبي معيط - وذكر الحديث، وقال في آخره: قال لي النبي ﷺ : إنك عليم معلم. قلت: وقد لقي الجنيّد خلقاً من العلماء ودرس الفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقاته بحضرته وهو ابن عشرين سنة، وصحب جماعة من العباد واشتهر بصحبة خاله سري والحارث المحاسبی.

وتوفي يوم السبت في شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين، وقيل سبع وتسعين، وغسله أبو محمد الحريري، وصلى عليه ولده، وحرزوا الجمع الذي صلى عليه فكانوا نحو ستين ألفاً. وعن جعفر الخلدی في كتابه قال: رأيت الجنيّد في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في السحر، رحمه الله.

(١) ضعيف: أخرجه الترمذی، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، انظر: «تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٠٥) و«الدرر المنتثرة» (ص: ٦٧) رقم (١٠) و«ضعيف الجامع» (١٢٧).

٢٩٧- الحسن بن علي أبو علي المسوحى

قال أبو القاسم الجنيد: كلمت يوما حسنا المسوحى فى شىء من الأنس، فقال لى: ويحك ما الأنس؟ لو مات من تحت السماء ما استوحشت.

وعن الجنيد وأبى العباس بن مسروق وأبى أحمد المغازلى، وأبى محمد الحريرى وغيرهم، قالوا: سمعنا حسنا المسوحى يقول: كنت آوى باب الكناس كثيرا وكنت أقرب من مسجد ثم أتفياً فيه من الحر وأستكن فيه من البرد، فدخلت يوما وقد كظنى الحر واشتد علىّ، فحملتنى عينى فنمت، فرأيت كأن سقف المسجد قد انشق، وكأن جارية قد نزلت علىّ من السقف، عليها قميص فضة يتحشش ولها ذؤابتان، فجلست عند رجلى، فقبضت رجلى عنها، فمدت يدها فنالت رجلى، فقلت لها: يا جارية لمن أنت؟ قالت: أنا لمن دام على ما أنت عليه.

أسند حسن المسوحى حديثا عن بشر الحافى، وهو من كبار أصحاب سرى السقطى.

٢٩٨- أبو علي أحمد بن إبراهيم بن أيوب المسوحى

صحب سريا السقطى وغيره، وروى عن حسن المسوحى أيضا. وقال محمد بن الحسين السلمى: قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم المسوحى من جلة مشايخ بغداد وظرافهم ومتوكليهم.

وعن جعفر الخواص قال: كان أحمد بن إبراهيم المسوحى يحج بقميص ورداء ونعل طاق، ولا يحمل معه شيئا: لا ركوة ولا كوزا إلا كوز بلور فيه تفاح شامى يشمه من جوف بغداد إلى مكة، وكان من أفاضل الناس.

٢٩٩- سمنون بن حمزة

يكنى أبا القاسم، أصله من البصرة، ولكنه سكن بغداد.

عن أبى أحمد المغازلى قال: كان ورد سمنون فى كل يوم وليلة خمسمائة ركعة. وقال أبو أحمد القلانسى: فرق رجل ببغداد على الفقراء أربعين ألف درهم، فقال لى سمنون: يا أبا أحمد ما ترى إلى ما أنفق هذا؟ نحن ما نرجع إلى شىء نفقه فامض بنا إلى

(٢٩٧) هو: شيخ الزهاد، أبو علي، الحسن بن علي، البغدادي الصوفى المسوحى، كان عذّب العبارة، قانعاً زاهداً، يأوى إلى مسجد، توفى المسوحى بعد سنة ستين ومائتين.

موضع نصلى فيه بكل درهم أنفقه ركعة، فذهبنا إلى المدائن فصلينا أربعين ألف ركعة، وزرنا قبر سليمان، وانصرفنا.

وعن خلف بن الحسن العبادانى قال: سمعت سمنونا يقول: أول وصال العبد للحق هجرانه لنفسه، وأول هجران العبد الحق مواصلته لنفسه.

وقال أبو الطيب العكى: ذكر لى أن سمنونا كان جالسا على شط دجلة ويده قضيب يضرب به فخذَه حتى تبدد لحمه وهو يقول:

كان لى قلب أعيش به ضاع منى فى قلبه

رب فارده على فقد ضاق صدرى فى طلبه

وأغث ما دام بى رمل يا غياث المستغيث به

وعن محمد بن حمدان قال: رأيت سمنونا وقد أدخل رأسه فى زرما نقته ثم أخرج رأسه بعد ساعة وزفر، وقال:

تركت القواد عيلا يعاد وشردت نومي فما لى رقاد

وعن أبى بكر الواسطى قال: قال سمنون: يا رب قد رضيت بكل ما تقضيه علىّ، فاحتبس بوله أربعة عشر يوما فكان يتلوى كما تتلوى الحية على الرمل، يتقلب يمينا وشمالا، فلما أطلق بوله قال: يا رب تبت إليك.

وعن على بن أحمد بن جعفر قال: أنشدنى ابن فراس لسمنون:

وكان فؤادى خاليا قبل حبكم وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح

فلما دعا قلبى هواك أجابه فلست أراه عن فنائك ييـرح

رُميتُ بين منك إن كنتُ كاذبا وإن كنت فى الدنيا بغيرك أفرح

وإن كان شىء فى البلاد بأسرها إذا غبت عن عيني، لعيني يملح

فإن شئت واصلنى وإن شئت لا تصل فلست أرى قلبى لغيرك يصلح

وقال أبو الفضل بن عبد السمیع الهاشمى: سمعت سمنونا يقول:

أمتوحش أنت مما جئت فأحسن إذا شئت واستأنس

وقال:

أسفا عليك وحسرة وتلهفا ألا أكون بحيث ما ترضانى

قد صحب سمنون سرىا السقطى، وأبا أحمد القلانسى، ومحمد بن على القصاب، فى آخرين.

ولا نعلمه أسند حديثاً أصلاً، وكان قد وسوس، فانتخبنا ما ذكرنا من كلامه، وتوفى بعد الجنيد.

٣٠٠- إبراهيم بن سعد أبو إسحاق العلوى

من أهل بغداد، ثم انتقل عنها إلى الشام فاستوطنها.

قال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين قال: قال إبراهيم بن سعد العلوى أبو إسحاق: كان حسنياً من أهل بغداد، وكان يقال له الشريف الزاهد، وكان أستاذ أبي الحارث الأولاشى. حكى عنه أبو الحارث قال: كنت معه فى البحر فبسط كساءه على الماء وصلى عليه. وعن أبي الحسن الدربندى قال: رأيت إبراهيم بن سعد العلوى وكان عليه كساء، فبسط كساءه على البحر ووقف وصلى على الماء.

وقال أبو الحارث الأولاشى: خرجت من حصن أولاش أريد البحر فقال لى بعض إخوانى: لا تخرج فإنى قد هيات لك عجة حتى تأكل، قال: فجلست وأكلت معه ونزلت إلى الساحل فإذا أنا بإبراهيم بن سعد العلوى قائماً يصلى، فقلت فى نفسى: ما أشك إلا أنه يريد أن يقول لى: امش معى على الماء، ولئن قال لى لأمشين معه، فما استحكم الخاطر حتى سلم ثم قال: هيه يا أبا الحارث، امش على الخاطر، فقلت: باسم الله فمشى هو على الماء وذهبت أمشى فغاصت رجلى فالتفت إلى وقال: يا أبا الحارث العجة أخذت برجلك.

وعنه قال: أقبلنا من جبل اللكام مع أبى إسحاق العلوى الزاهد، وكان أبو إسحاق لا يأكل إلا فى كل ثلاثة أيام سفات خرنوت، فلقينا امرأة وقد سخر جندى حماراً لها، فاستغاثت بنا فكلمه العلوى فلم يرد عليها فدعا عليه فخرّ الجندى والمرأة والحمار، ثم أفاقت المرأة ثم أفاق الحمار ومات الجندى، فقلت: لا أصحبك فإنك مستجاب الدعوة وأخشى أن يبدو منى سوء أدب فتدعو علىّ، فقال: لست تأمن؟ قلت: لا، قال: فأقلل إذا من الدنيا ما استطعت. وعنه قال: خرجت سنة من السنين من مكة، فى وسط السنة، أريد الشام فإذا فى بعض الطريق ثلاثة نفر يتذاكرون، فتقدمت وسلمت عليهم وقلت: أمشى معكم؟ فقالوا: ما شئت، فمشيت معهم إلى أن تفرقوا وبقيت أنا وآخر، فقال لى: أين تريد يا شاب؟ فقلت: بلد الشام، فقال: وأنا أريد اللكام، وكان الرجل إبراهيم بن سعد العلوى.

(٣٠٠) هو: إبراهيم بن سعد بن إبراهيم، المعروف بالآيات، الموصوف بالكرامات، له الوصايا النبوية، انظر «حلية الأولياء» (١٠ / ١٦٣) رقم (٥٢٢).

فمشينا أياما وافترقنا، وكانت تأتيني كتبه، فما شعرت ذات يوم وأنا بالأولاش وقد خرجت أريد البحر، فإذا برجل صاف قدميه يصلى على الماء، فاضطرب قلبي حين رأيته وغلبتني الهيبة له فلما أحس بي أوجز في صلاته، ثم التفت إليّ فإذا هو إبراهيم بن سعد العلوي فقال لي: غيب شخصك عني ثلاثة أيام ثم ائتني بعد ذلك.

قال: فعلت ما قال، ثم جئته بعد ثلاثة أيام فإذا هو قائم مكانه يصلى، فلما أحس بي أوجز في صلاته ثم أخذ بيدى فوقفني على البحر وحرك شفتيه، فقلت في نفسي: إن مشى على الماء مشيت معه، فما لبث إلا يسيرا فإذا الحيتان قد برزت مد البصر وقد أقبلت إلينا رافعة رءوسها من الماء فاتحة أفواهها، فقلت في نفسي: أين ابن بشر الصياد؟ فلما ذكرته في نفسي تفرقت فالتفت إلى إبراهيم وقال: مر فلستَ مطلوباً لهذا الأمر ولكن عليك بالوصال، والتخلي في الجبال، ووار نفسك ما أمكنك، حتى يشغلك بذكره عن ذكر من سواه، وعليك بالتقليل من الدنيا ما استطعت، حتى يأتيك اليقين، ومضى.

وعنه قال: كان سبب رؤيتي إبراهيم بن سعد أني خرجت من أولاش إلى مكة في غير أيام الموسم، فرافقت ثلاثة، فتفرق اثنان منهم وبقيت أنا والثالث، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: الشام، قال: وأنا أريد اللكام، فإذا هو إبراهيم بن سعد العلوي وكان حسنيا ثم تفرقنا، وكانت تأتيني كتبه.

فخرجت يوما من أولاش فإذا إبراهيم بن سعد العلوي فلما رأيته قصر في صلاته وسلم على وجاء إلى البحر، فنظر إليه وحرك شفتيه فإذا بحيتان كثيرة مصفوفة قد أقبلت فلما رأيتهما قلت: أين الصيادون؟ فنظرت فإذا السمك قد تفرق، فقال لي إبراهيم: ما أنت بمطلوب في هذا الأمر، ولكن عليك بهذه الرمال فتوار فيها ما أمكنك وتقلل من الدنيا حتى يأتيك أمر الله، ثم غاب عني فلم أره، وكانت كتبه ترد علي.

فلما مات كنت قاعدا يوما فتحرك قلبي للخروج فلما خرجت صرت إلا المسجد فإذا أنا بأسود فقام إلى فقال لي: أنت أبو الحارث؟ قلت: نعم، قال: أجرك الله في أخيك إبراهيم بن سعد.

وكان هذا مولى له يسمى ناصحا، فذكر أن إبراهيم بن سعد أوصاه أن يؤدي هذه الرسالة: يا أخي إذا نزل بك أمر من أمر الله فاستعمل الرضا، فإن الله مطلع عليك يعلم ما في ضميرك، فإن رضيت فلك الثواب الجزيل، وأنت في رضاك وسخطك لست تقدر أن تزداد في

الرزق المقسوم والأمر المكتوب، فإن لم تجد إلى الرضا سبيلا فاستعمل الصبر فإنه رأس الإيمان، فإن لم تجد فعليك بالتجمل ولا تشك من ليس بأهل أن يُشكى وهو من أهل الشكر والثناء لتقدم ما أولى، فإذا اضطرت وقل صبرك فالجأ بهمك واشك إليه بشك واحذر أن تستبطئه وتسىء به ظنا فإن كل شيء بسبب ولكل سبب أجل، ولكل أجل كتاب، ولكل هم من الله فرج، ومن علم أنه بعين الله استحيا أن يراه يرجو سواه، ومن أيقن بنظر الله إليه أسقط اختيار نفسه ومن علم أن الله الضار النافع أسقط مخاوف المخلوقين، فراقب الله في قربه واطلب الأمور من معادنها واحذر أن تعتمد على مخلوق أو تفشى إليه سرا أو تشكو إليه شيئا، فإن غنيهم فقير، وفقيرهم ذليل في فقره، وعالمهم جاهل في علمه، وجاهلهم فاجر في فعله، إلا القليل ممن عصم الله، فاتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من العباد فإنهم فتنة لكل مفتون.

وقال عبد الله بن سهل: بات عندي أبو الحارث الأولاشى فسألته عن مفارقتها إبراهيم بن سعد العلوى فقال: كانت الدنيا طوع يديه، فلما انتهى إلى الساحل قال لى: ترجع؟ قلت: بل أصحبك، فتنفل في البحر فإذا جوق من سمك مصفوف فوق الماء كأنه سرير، فوثب إليه ثم قال لى: الله خليفتي عليك، قلت: ادع لى، قال: قد فعلت، فاحفظ حدود الله وارحم خلقه إلا من عانده.

٣٠١- أبو إسحاق إبراهيم الآجرى الصغير

ولا يعرف اسم أبيه.

قال أبو العباس بن مسروق وأبو محمد الحريرى وأبو أحمد المغازلى وغيرهم، عن إبراهيم الآجرى، قالوا: جاء يهودى يقتضيه شيئا من ثمن قصب، فكلمه فقال له: أرنى شيئا أعرف به شرف الإسلام وفضله على دينى حتى أسلم، فقال له: وتفضل؟ قال: نعم، قال له: هات رداءك، قال: فأخذه فجعله في رداء نفسه ولف رداءه عليه ورمى به في النار - نار أتون الآجر - ودخل في أثره، فأخذ الرداء وخرج من الباب ففتح رداء نفسه وهو صحيح، وأخرج رداء اليهودى حرقا أسود من جوف رداء نفسه، فأسلم اليهودى، رحمه الله^(١).

(٣٠١) هو: أبو إسحاق الآجرى، بغدادى، له الآيات العجيبة والكرامات اللطيفة، انظر «حلية الأولياء» (٢٣٦ / ١٠).

(١) أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (١٥٠٨٢).

٣٠٢- أبو نصر المحب

جمع بين الزهد والمروءة.

عن أبي العباس بن مسروق قال: اجتزت أنا وأبو نصر المحب في الكرخ وعلى أبي نصر إزار له قيمة، فإذا نحن بسائل يسأل وهو يقول: شفيعى إليكم محمد ﷺ، فشق أبو نصر إزاره فأعطاه النصف، ومشى خطوتين وقال: هذه نذالة، فانصرف إليه فأعطاه النصف الآخر، رحمه الله.

٣٠٣- أبو سعيد الخراز

واسمه أحمد بن عيسى.

قال الجنيد: لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد الخراز لهلكنا.
قال على: فقلت لإبراهيم: وأى شيء كان حاله؟ قال: أقام كذا وكذا سنة يخسر ما فاته الحق بين الخرزتين.

وقال أبو جعفر الصيدلاني: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: من ظن أنه يبذل الجهد يصل فمتن ومن ظن أنه بغير بذل الجهد يصل فمتن.

أبو الفضل العباس ابن الشاعر، يذكر عن تلميذة لأبي سعيد قالت: كنت أسأله مسألة والإزار بيني وبينه مشدود فاستفزني حلاوة كلامه فظرت في ثقب من الإزار فرأيت شفته فلما وقعت عيني عليه سكت وقال: جرى هاهنا حدث، فأخبريني ما هو؟ فعرفته أنى نظرت إليه، فقال: أما علمت أن نظرك إلى معصية، وهذا العلم لا يحتمل التخليط؟

وعن أبي القاسم بن مروان قال: كان عندنا بنهاوند فتى يصحبنى وكنت أصحب أبا سعيد الخراز: فكنت إذا رجعت حدثت ذلك الفتى ما أسمع من أبي سعيد، فقال لى ذات يوم: إن سهل الله لك الخروج خرجت معك حتى أرى هذا الشيخ.

فخرجت وخرج معى ووصلنا إلى مكة فقال لى: ليس نظوف حتى نلقى أبا سعيد، فقصدناه وسلمنا عليه فقال الشاب: مسألة - ولم يحدثنى أنه يريد أن يسأل عن شيء، فقال له

(٣٠٢) هو: أبو نصر المحب، بغدادى، كان للعروض بذولاً، وعن العوائق محمولاً، انظر «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٧٠) رقم (٦١٤) و«تاريخ بغداد» (١٤/ ٤٢٠).

(٣٠٣) هو: الخراز شيخ الصوفية، القدوة، أبو سعيد، أحمد بن عيسى البغدادي الخراز، قال ابن الطرسوسى: أبو سعيد الخراز قمر الصوفية، توفي سنة ٢٨٦ أو ٢٨٧ هـ.

الشيخ: سل، فقال: ما حقيقة التوكل؟ فقال له الشيخ: أن لا تأخذ الحجة من حمولا وكان الشاب قد أخذ حجة من حمولا، وهو رئيس نهاوند وما علمت.

فوزد على الشاب أمر عظيم وخجل، فلما رأى الشيخ ما حل به عطف عليه وقال: ارجع إلى سؤالك، ثم قال أبو سعيد: كنت أراعى شيئا من هذا الأمر في حدائتي فسلكت بادية الموصل فيينا أنا سائر سمعت حسا من ورائي، فحفظت قلبي عن الالتفات فإذا الحس قد دنا مني وإذا بسبعين قد صعدا على كتفي فلحسا خدي فلم أنظر إليهما حين صعدا ولا حين نزلا. وعن علي بن حفص الرازي قال: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: ذنوب المقربين حسنات الأبرار.

وعن أبي محمد الحريري قال: سمعت أبا سعيد الخراز يقول في معنى قول النبي ﷺ «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها»^(١) يا عجباً لمن لم ير محسناً غير الله، كيف لا يميل بكليته إليه؟

وعن العباس بن أحمد الرملى قال: قال أبو سعيد الخراز: المعرفة تأتي القلوب من جهتين: من عين الجود ومن بذل المجهود.

أحمد بن عبد الله قال: قال أبو سعيد الخراز إذا بكى عين الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم. وعن أحمد بن محمد الزيادى قال: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: العافية سترت البر والفاجر، فإذا جاءت البلوى يتبين عندها الرجال.

وقال أبو بكر الشقاق: سمعت أحمد بن عيسى الخراز يقول: كنت يوما أمشى في الصحراء فإذا قريب من عشرة كلاب الرعاة شدوا علىّ، فلما قربوا مني جعلت أستعمل المراقبة فإذا كلب أبيض قد خرج من بينهم وحمل على الكلاب فطردهم عنى ولم يفارقنى حتى تباعدت عنى الكلاب ثم التفت أراه.

قال أبو سعيد: وكان لى معلم يختلف إلىّ يعلمنى الخوف ثم ينصرف، فقال لى يوما: إني معلمك خوفا يجمع لك كل شيء، قلت: ما هو؟ قال: مراقبة الله عز وجل. أسند أبو سعيد عن عبد الله بن إبراهيم الغفارى، وإبراهيم بن بشارى صاحب إبراهيم بن أدهم.

(١) موضوع: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٣١) انظر: «الأسرار المرفوعة» (١٥٢)، «اللائى المشورة» (٧١) و «الصحيحة» (٢/ ٦٥) رقم (٦٠٠).

وصحب بشر بن الحارث، وسرياء، وذا النون، وأبا عبد الله الساجي وأبا عبيد السري ونظراءهم.

وتوفى في سنة سبع وسبعين، وقيل ست وثمانين ومائتين.

٣٠٤- أبو الحسين النوري

واسمه أحمد بن محمد، ببغداد المولد والمنتشأ خراساني الأصل، من قرية بين هراة ومرو الروذ يقال لها بغشور ولذلك كان يعرف بابن البغوى.

قال أبو أحمد المغازلى: ما رأيت أحدا قط أعبد من النورى، فقليل: ولا جنيد؟ قال: ولا جنيد، وكان له فنية تسع خمسة أرتال ماء يشربها في خمسة أيام، وقت إفطاره.

قال عبد الكريم: ثم حدثني أبو جعفر الفرغانى قال: مكث أبو الحسين النورى عشرين سنة يأخذ من بيته رغيفين ويخرج ليمضى إلى السوق فيتصدق بالرغيفين ويدخل المسجد فلا يزال يركع حتى يحىء وقت سوقه، فإذا جاء الوقت مضى إلى السوق فيظن أنه قد تغدى فى بيته، ومن فى بيته عندهم أنه قد أخذ معه غداءه، وهو صائم.

قال ابن جهضم: وحدثني عمر النجاد قال: دخل أبو الحسين النورى إلى الماء ليغتسل، فجاء لص فأخذ ثيابه فخرج عن الماء فلم يجد ثيابه فرجع إلى الماء، فلم يكن إلا القليل حتى جاء اللص ومعه ثيابه فوضعها مكانه وقد جفت يده اليمنى فخرج أبو الحسين من الماء ولبس ثيابه وقال: سيدى، قد رد على ثيابى فرد عليه يده، فرد الله عليه يده، ثم مضى.

وقال أبو عمر الأنساطى: اعتل النورى فبعث إليه الجنيد بصره فيها دراهم، وعاده فردها النورى، ثم اعتل الجنيد فدخل عليه النورى عائدا فقعد عند رأسه ووضع يده على جبهته فعوفى من ساعته، فقال النورى للجنيد، إذا عدت إخوانك فارفق بهم بمثل هذا البر.

وعن الصاد قال: سمعت أبا الحسين النورى يقول، وقد سئل عن الرضا، فقال: عن وجدى تسألون أو عن وجد الخلق؟ فقليل له: عن وجدك، فقال: لو كنت فى الدرك الأسفل من النار لكنت أرضى ممن هو فى الفردوس.

أسند النورى عن سري السقطى حديثا واحدا.

وتوفى قبل الجنيد فى سنة خمس وتسعين ومائتين.

(٣٠٤) هو: أحمد بن محمد الخراسانى، النورى، البغوى الزاهد، شيخ الطائفة بالمراق، وأحدقهم بلطائف المحققين، وله عبارات دقيقة، يتعلق بها من انحرف من الصوفية.

٣٠٥- عمرو بن عثمان المكي

يكنى أبا عبد الله، سكن بغداد.

عن أبي بكر القناديلي قال: قال عمر بن عثمان المكي: المروءة التغافل عن زلل الإخوان.

وقال: العلم قائد، والخوف سائق والنفس حرون بين ذلك، خداعة رواغة، فاحذرهما وراعها بسياسة العلم وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد.

وعن محمد بن علي بن الحسين قال: سمعت عمرو بن عثمان يقول: واغماء من عهد لم يَمِّ له بوفاء، ومن خلوة لم تصحب بحياء، ومن أيام تفنى ويبقى ما كان فيها أبداً.

وعن أبي بكر محمد بن أحمد القناديلي قال: قال عمرو بن عثمان المكي: لقد وبخ الله التاركين للصبر على دينهم بما أخبرنا عن الكفار أنهم قالوا: ﴿امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾ (ص: ٦) فهذا توبيخ لمن ترك الصبر من المؤمنين على دينه.

وقال عثمان بن سهل: دخلت على عمرو بن عثمان المكي في علته التي توفي فيها فقلت له: كيف تجدك؟ فقال: أجد سرى واقفا مثل الماء لا يختار النقلة ولا المقام.

سمع عمرو من يونس بن عبد الأعلى، والربيع بن سليمان بن سيف الحراني وغيرهم.

وكان يقول: ما صحبت أحداً كان أنفع لي صحبتته ورؤيته من أبي عبد الله الساجي.

وتوفي ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين، وقيل: سبع وتسعين وقيل إحدى وتسعين، ويقال مات بمكة، والأول أصح - رحمه الله -.

٣٠٦- رويم بن أحمد

ويقال: ابن محمد بن رويم بن يزيد: أبو الحسن، ويقال: أبو الحسين، من بني شيبان، وكان يتفقه لداود الأصبهاني.

ابن الهيكल الهاشمي قال: سمعت رويماً يقول: الفقر له حرمة، حرمة ستره وإخفاؤه، والغيرة عليه، والضن به، فمن كشفه وأظهره وبذله فليس هو من أهله، ولا كرامة.

(٣٠٥) عمرو بن عثمان بن كُرب بن عُصَص، الإمام الرباني، شيخ الصوفية أبو عبد الله المكي الزاهد،

توفي بعد سنة (٣٠٠) هـ.

(٣٠٦) هو: رويم بن أحمد، وقيل: بن محمد، بن يزيد بن رويم بن يزيد أبو الحسن، وقيل: أبو محمد وقيل، أبو الحسين، من أفاضل البغداديين، وكان عالماً بالقرآن ومعانيه.

وعن محمد بن إبراهيم قال: سمعت رويم بن أحمد يقول: منذ عشرين سنة لا يخطر بقلبي ذكر الطعام حتى يحضر.

وقال عبد الله بن محمد الدينوري: سمعت رويم بن أحمد يقول: مكثت عشرين سنة لا يعرض في سري ذكر الأكل حتى يحضر.

وعن جعفر الخلدی فی كتابه قال: سمعت رويم بن أحمد يقول: الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك، والفتوة أن تعذر إخوانك في زللهم، ولا تعاملهم بما يحوجك إلى الاعتذار إليهم.

وسمعه يقول: الصبر ترك الشكوى، والرضا استلذاذ البلوي، والتوكل إسقاط رؤية الوسائط.

وقال أحمد بن فارس: قال رويم: ليس إلا بذل الروح، وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية.

وعن الحسين بن هارون قال: سمعت رويما الصوفي يقول: إذا وهب الله لك مقالا وفعالا، فأخذ منك المقال وترك عليك الفعال فلا تبال، فإنها نعمة، وإن أخذ منك الفعال وترك عليك المقال فُتح على نفسك، فإنها مصيبة، وإن أخذ منك المقال والفعال فاعلم أنها نعمة.

أسند رويم عن يزيد بن سنان البصري.

وتوفى ببغداد في سنة ثلاث وثلاثمائة، رحمه الله.

٣٠٧- أبو عبد الله بن الجلاء

واسمه أحمد بن يحيى، من أهل بغداد، لكنه انتقل فسكن الشام.

قال أبو عمر الدمشقي: سمعت ابن الجلاء يقول: قلت لأبي وأمي أحب أن تهباني الله، فقالا: قد وهبناك الله، فغبت عنهما مدة ثم رجعت من غيبتى، وكانت ليلة مطيرة، فدققت عليهما الباب، فقالا: من؟ قلت: ولدك، قال: كان لنا ولد فوهبناه الله، ونحن من العرب لا نرجع فيما وهبناه، وما فتح لى الباب.

وعنه قال: سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول: من بلغ بنفسه إلى رتبة سقط عنها، ومن بلغ به ثبت عليها.

(٣٠٧) هو: أحمد بن يحيى، أبو عبد الله، المعروف بابن الجلاء، من كبار مشايخ الصوفية، انتقل عن بغداد فسكن الشام، وهو أحد الأئمة له النكت اللطيفة، «تاريخ بغداد» (٥/ ٢١٥).

وكان إذا سئل عن المحبة قال: ما لى وللمحبة؟ أنا أريد أن أتعلم التوبة.
وعن أبي عبد الرحمن السلمى قال: قال أبو عبد الله بن الجلاء: من علت همته عن
الأكوان وصل إلى مكنونها، ومن وقف بهمته على شيء سوى الحق فاتته الحق، لأنه أعز من
أن يرضى معه بشريك.
قال المصنف: لا نعلم أن ابن الجلاء أسند شيئاً، وقد صحب أبا تراب النخشبى، وذا
النون، وغيرهما.

وتوفى يوم السبت لاثنتى عشرة خلت من رجب سنة ست وثلاثمائة.

٣٠٨- أبو العباس بن عطاء

واسمه أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمى.

عن الحسن بن محمد بن عيسى بن خاقان قال: كان أبو العباس بن عطاء ينام من الليل
والنهار ساعتين.

وعن أبي الحسين بن حبيش، وذكر أبا العباس بن عطاء، فقال: كان له فى كل يوم
ختمة، وفى شهر رمضان فى كل يوم وليلة ثلاث ختمات، وبقي فى ختمة يستنبط مُودَع القرآن
بضع عشرة سنة فمات قبل أن يختمها.

وقال أبو جعفر محمد بن عبد الله الفرغانى: قال أبو العباس بن عطاء: يا أبا جعفر، لى
من سنين كثيرة - ذكرها - كل يوم ختمة لا تفوتنى، ولى فى شهر رمضان كل يوم وليلة ثلاث
ختمات، ولى ختمة منذ أربع عشرة سنة ما بلغت النصف منها - يريد الفهم منها - .
وعن أبي العباس بن عطاء قال: من ألزم نفسه بآداب السنة عمر الله قلبه بنور المعرفة،
ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب فى أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بآدابه.

وعن محمد بن على بن حبيش قال: سئل أبو العباس بن عطاء وأنا حاضر عن أقرب شيء
إلى مقت الله تعالى، قال: رؤية النفس وأفعالها وأشد من ذلك مطالعة الأغراض عن أفعالها.
وسمعه يقول: علامات الولى أربعة: صيانة سره فيما بينه وبين الله وحفظ جوارحه فيما
بينه وبين أمر الله، واحتمال الأذى فيما بينه وبين خلق الله ومداراته للخلق على تفاوت
عقولهم.

(٣٠٨) هو: أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء، أبو العباس الآدمى، الصوفى، كان أحد شيوخهم
الموصوفين بالعبادة والاجتهاد وكثرة الدرس للقرآن، «تاريخ بغداد» (٥ / ٢٦).

أسند أبو العباس بن عطاء: عن يوسف بن موسى القطان، والفضل بن زياد صاحب أحمد بن حنبل ومن في طبقتهم. وتوفي في ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة، رحمه الله.

٣٠٩- أبو الحسن علي بن محمد ابن الزاهد

عن أبي الحسن أحمد بن مقسم قال: سمعت أبا الحسن بن بشار يقول: وكان إذا أراد أن يخبر عن نفسه بشيء قال: أعرف رجلا كان حاله كذا كذا - فقال ذات يوم: أعرف رجلا يشتهي منذ ثلاثين سنة أن يشتهي ليطرك ما يشتهي، فما يجد شيئا يشتهي. ودخل أبو محمد ابن أخي معروف الكرخي إلى أبي الحسن بن بشار، وعليه جبة صوف، فقال له أبو الحسن: يا أبا محمد صوفت قلبك أو جسمك صوف قلبك والبس القوهي على القوهي.

وقال رجل لأبي الحسن بن بشار: كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقال له: كما عصيت الله تعالى سرا تطيعه سرا، حتى يدخل إلى قلبك لطائف البر.

وقال: منذ ثلاثين سنة ما تكلمت بكلمة أحتاج أن أعتذر منها.

وقال المصنف رحمه الله: كان ابن بشار يذكر الناس، وكان يفتح مجلسه فيقول: ﴿وَأَنْتَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ فسأله رجل: ما الذي تريد؟ فقال: هو يعلم أنني ما أريد من الدنيا ولا الآخرة سواه.

وحدث ابن بشار عن: صالح بن أحمد بن حنبل، وأبي بكر المروزي، وكانت له كرامات ظاهرة.

توفي في ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة، وقبره ظاهر بالجانب الغربي - رحمه الله ..

٣١٠- أبو محمد الحريري واسمه أحمد بن محمد بن الحسين

عن عبد الله الرازي قال: سمعت الحريري يقول: منذ عشرين سنة ما مددت رجلى في الخلوة، فإن حسن الأدب مع الله أولى.

(٣٠٩) هو: علي بن محمد بن بشار، الزاهد أبو الحسن، «تاريخ بغداد» (١٢ / ٦٦).

(٣١٠) هو: أحمد بن محمد بن الحسين، أبو محمد الحريري، من كبار مشايخ الصوفية، الغالب عليه كنيته، وهو عظم القدر عند طائفته، وكان الجنيد بن محمد يكرمه ويبجله، «تاريخ بغداد» (٤ / ٤٣٠).

وقال على بن عبد الله: اعتكف أبو محمد الحريري بمكة في سنة اثنتين وتسعين ومائتين، فلم يأكل، ولم ينم، ولم يمد رجله، فقال له أبو بكر الكناني: يا أبا محمد بماذا قدرت على اعتكافك؟ فقال: علم صدق باطني فأعانتني على ظاهري.

وقال أبو الحسن الفارسي: قال أبو محمد الحريري: من توهم أن عملاً من أعماله يوصله إلى مأموله الأعلى والأدنى فقد ضل عن طريقه، لأن النبي ﷺ قال: «لن ينجي أحدكم عمله»^(١) فما لا ينجي من المخوف كيف يبلغ إلى المأمول؟ ومن صح اعتماده على فضل الله تعالى فذاك الذي يرجى له الوصول.

وقال محمد بن داود الدينوري: سمعت أبا محمد الحريري يقول: أمرنا هذا كله مجموع على فصل واحد، وهو أن تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم على ظاهرك قائماً. وعنه قال: سمعت أبا محمد الحريري يقول - وكان عنده جماعة - فقال: هل فيكم من إذا أراد الله أن يحدث في المملكة حدثاً أبدى علمه إلى وليه قبل إبدائه في كونه؟ فقالوا: لا. قال: مروا وابكوا على قلوب لم تجد من الله شيئاً من هذا.

أخبرنا ابن ناصر بالإسناد عن أبي محمد الحريري قال: من استولت عليه النفس صار أسيراً في حكم الشهوات، محصوراً في سجن الهوى، فحرم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ بكلامه، ولا يستحليه وإن كثر تردده على لسانه.

أسند الحريري الحديث، وهو من كبار أصحاب الجنيد وصاحب سهل بن عبد الله. وتوفي رحمه الله في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة - رحمه الله -.

٣١١- بنان بن محمد بن حمدان الحمال

يكنى أبا الحسن أصله من واسط، لكنه ببغداد نشأ وأقام وسمع الحديث إلا أنه انتقل إلى مصر فمات بها.

وقال بنان الحمال: البريء جرىء، والخائن خائف، ومن أساء استوحش.

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «الرقاق» حديث (٦٤٦٣) باب (١٨) القصد والمداومة على العمل، ومسلم في «صفة القيامة» حديث (٢٨١٦) باب (١٧) لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى.

(٣١١) هو: بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد، أبو الحسن الزاهد، ويعرف بالجمال، كان أصله من واسط، ونشأ ببغداد وسمع بها الحديث وأقام بها دهرًا إلى أن انتقل عنها إلى مصر «تاريخ بغداد» (١٠٠/٧).

وعن أبي على الروذباري قال: سمعت بنان الحمال يقول: دخلت البرية على طريق تبوك وحدي فاستوحشت، فإذا هاتف يهتف: يا بنان نقضت العهد، لم تستوحش؟ أليس حبيبك معك؟

وقال أبو على الروذباري: كان سبب دخولي مصر حكاية بنان، وذلك أنه أمر ابن طولون بالمعروف، فأمر أن يلقي بين يدي السبع، فجعل السبع يشمه ولا يضره، فلما أخرج من بين يدي السبع قيل له: ما الذي كان في قلبك حين شمك السبع؟ قال: كنت أفكر في سؤر السباع ولعابها.

وعن عمرو بن محمد بن عراك أن رجلا كان له على رجل مائة دينار بوثيقة إلى أجل، فلما جاء الأجل طلب الوثيقة فلم يجدها، فجاء إلى بنان فسأله الدعاء، فقال له: أنا رجل قد كبرت وأنا أحب الحلواء اذهب فاشتر لي رطل معقود، وجئني به حتى أدعوك، فذهب فاشترى له ما قال، ثم جاء به فقال بنان: افتح القرطاس، ففتح الرجل القرطاس فإذا هو بالوثيقة، فقال لبنان: هذه وثيقتي، فقال: خذ وثيقتك وخذ المعقود أطعمه صبيانك، فأخذ ومضى.

وعن الحسين بن عبد الله القرشي قال: سمعت بنان يقول: من كان يسره ما يضره مت يفلح؟

سمع بنان من الحسن بن عرفة، وحميد بن الربيع، والحسن بن محمد الزعفراني، وبكار ابن قتيبة وغيرهم، وأسند الحديث.

وتوفي في رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة بمصر.

٣١٢- أبو على الحسين بن صالح بن خيران الفقيه الشافعي

جمع بين الفقه والورع، وأريد على القضاء فأبى.

قال أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبيد العسكري: أريد أبو على بن خيران للقضاء فامتنع فوكل على بن عيسى الوزير ببابه، فشاهدت الموكلين ببابه وختم الباب بضعة عشر

(٣١٢) هو: الحسين بن خيران أبو على الفقيه الشافعي، كان من أفاضل الشيوخ وأماثل الفقهاء، مع حسن المذهب، وقوة الورع، وأراده السلطان أن يلى القضاء وصعب عليه في ذلك فلم يفعل، «تاريخ بغداد» (٨/ ٥٣).

يوماً، فقال لى أبى: يا بنى انظر حتى تحدث بهذا إن عشت، إن إنساناً فعل هذا به ليلى فامتنع، وكلم الوزير فأعفاه.

وعن أبى عبد الله الحسين بن محمد الفقيه الكشفلى أن على بن عيسى وزير المقتدر بالله أمر نازوك صاحب البلد يطلب الشيخ أبا على بن خيران الفقيه الشافعى حتى يعرض عليه قضاء القضاة، فاستتر فوكل بباب داره رجاله بضعة عشر يوماً حتى احتاج إلى الماء فلم يقدر عليه إلا من عند الجيران.

فبلغ الوزير ذلك فأمر بإزالة التوكل عنه، وقال فى مجلسه، والناس حضور: ما أردنا بالشيخ أبى على بن خيران إلا خيراً، أردنا أن يعلم أن فى مملكتنا رجلاً نعرض عليه قضاء القضاة شرقاً وغرباً وهو لا يقبل.

توفى أبو على بن خيران فى حدود العشرين وثلاثمائة.

٣١٣- خير بن عبد الله أبو الحسين النساج

أصله من سر من رأى، لكنه نزل بغداد.

وحكى السلمى عن فارس البغدادى قال: كان اسم خير: محمد بن إبراهيم السامرى.

قال السلمى: وتاب فى مجلسه: إبراهيم الخواص والشبلى.

عن جعفر الخلدى، قال: سألت خير النساج: أكان النسج حرفتك؟ قال: لا، قلت: فمن أين سميت به؟ قال: كنت عاهدت الله ألا أكل الرطب يوماً، فغلبتنى نفسى يوماً، فأخذت نصف رطل، فلما أكلت واحدة إذا رجل قد نظر إلى وقال: يا خير، يا أبى، هربت منى؟ وكان له غلام اسمه خير قد هرب منه فوق عالى شبيهه، فاجتمع الناس فقالوا: هذا والله غلامك خير، فبقيت متحيراً، وعلمت بم أخذت؟ وعرفت جنايتى.

فحملنى إلى حانوته الذى كان يسجن فيه غلماناه فقالوا: يا عبد السوء تهرب من مولاك؟ ادخل فاعمل عملك الذى كنت تعمل، فأمرنى بنسج الكرباس، فدلّيت رجلى على أن أعمل، فكأنى كنت أعمل من سنين، فبقيت معه أربعة أشهر أنسج له.

فقمّت ليلة فتمسحت وقمت إلى صلاة الغداة فسجدت وقلت فى سجودى: إلهى لا أعود

(٣١٣) هو: خير بن عبد الله، أبو الحسن النساج الصوفى، من أهل سر من رأى، نزل بغداد، وكان له حلقة يتكلم فيها، وليس «خير» هذا هو اسمه، ولكن لتسميته «خير» قصة، انظر «تاريخ

إلى ما فعلت: فأصبحت فإذا الشبه قد ذهب عني وعدت إلى صورتى التى كنت عليها فأطلقت.

فثبت علىّ هذا الاسم فكان سبب النسج إتيانى شهوة عاهدت الله تعالى ألا أكلها فعاقبنى الله بما سمعت.

وكان يقول: لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله بيده فلم يعصمه، ولا علم أرفع من علم من علمه الله الأسماء كلها فلم ينفعه فى وقت جريان القضاء عليه.

قال الخطيب: هذه الحكاية طريفة جدا يسبق إلى القلب استحالتها، وقد كان الخلدى كتب إلى شيخنا أبى نعيم يعجز له رواية جمع علومه عنه، وكتب أبو نعيم هذه الحكاية عن أبى الحسن بن مقسم عن الخلدى، ورواها لنا عن الخلدى نفسه إجازة، والخلدى ثقة، وكان ابن مقسم غير ثقة، والله أعلم.

وعن عيسى بن محمد قال: سمعت أبا الحسن خيرا النساج يقول: تقدم إلى شاب من البغداديين وقد انطبقت يده فقلت له: ما لك؟ فقال: جلست إليك فحللت عقدة من طرف إزارك فجفت يدي، فقلت: كنت قد بعث به لأهلى غزلا، ثم مسحت يده بيدي فرد الله عليه يده وناولته الدرهم وقلت: اشتر به شيئا ولا تعد.

قال أبو بكر الرازى: قال خير النساج: الخوف سوط الله يقوّم به أنفسنا، وقد تعودت سوء الأدب، ومتى أساءت الجوارح الأدب فهو من غفلة القلب وظلمة السر.

وقال: العمل الذى يبلغ إلى الغايات هو رؤية التقصير والعجز والضعف.

على بن هارون الحربى يحكى عن غير واحد ممن حضر موت خير من أصحابه أنه غشى عليه عند صلاة المغرب، ثم أفاق ونظر إلى ناحية من باب البيت فقال: قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور ما أمرت به لا يفوتك، وما أمرت به يفوتنى، فدعنى أمضى لما أمرت به، ودعا بماء فتوضأ للصلاة وصلى ثم تمدد وغمض عينيه وتشهد فمات، فرآه بعض أصحابه فى المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: لا تسألنى عن هذا، ولكن استرحت من دنياكم الوضرة.

قال المؤلف: صحب خير النساج أبا حمزة البغدادى، وسريا السقطى، وكان يذكر أن إبراهيم الخواص صحبه.

وبلغ مائة وعشرين سنة وتوفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

٣١٤- أبو علي الروذباري

واسمه أحمد بن القاسم، هكذا ذكر السلمي، وصححه، وقال أبو بكر الخطيب: اسمه محمد بن أحمد وصحح ذلك.

أصله من بغداد لكنه سكن مصر وتقدم بها وكانت له معرفة بالحديث، كان يقول: أستاذي في الحديث: إبراهيم الحربي، وفي الفقه: أبو العباس بن سريج، وفي النحو: ثعلب، وفي التصوف: الجنيد.

قال محمد بن علي بن المأمون: سمعت أبا علي الروذباري يقول: من الاغترار أن تسيء فيحسن إليك فتترك الإنابة والتوبة توهما أنك تسامح في الهفوات وترى أن ذلك من بسط الحق لك.

وعن أبي منصور بن أحمد الأصبهاني قال: بلغني عن أبي علي الروذباري أنه قال: أنفقت على الفقراء كذا وكذا ألفا فما وضعت شيئا في يد فقير، كنت أضع ما أدفع إلى الفقراء في يدي فيأخذونه من يدي حتى تكون يدي تحت أيديهم ولا تكون يدي فوق يد فقير.

صحب أبا علي الجنيد، والنووري، وابن الجلاء، والمسوحى، وغيرهم وأسند الحديث. وتوفي بمصر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وقيل ثلاث وعشرين، رحمه الله.

٣١٥- أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكناني

أصله بغدادى، لكنه أقام بمكة ومات بها وكان المرتعش يقول: الكنانى سراج الحرم.

وقال محمد بن عبد الله بن شاذان، كان يقال: إن الكنانى ختم فى الطواف اثنتى عشرة ألف ختمة.

وقال أبو جعفر الأصفهاني: صحبت الكنانى سنين فكان يزداد على الأيام ارتفاعا وفى نفسه اتضاعا، وسمعتة يقول: روعة عبد عند انتباه من غفلة وارتعاد من خوف خطيئة أعود على المرید من عبادة الثقيلين.

(٢١٤) هو: محمد بن أحمد بن القاسم، أبو علي الروذباري، من كبار الصوفية سكن مصر، وكان من أهل الفضل والفهم، وله تصانيف حسان فى التصوف نقلت عنه، كان من أبناء الرؤساء والوزراء والكتبة «تاريخ بغداد» (١/ ٣٢٩).

(٣١٥) هو: محمد بن علي بن جعفر، أبو بكر الكنانى، أحد مشايخ الصوفية سكن مكة وكان فاضلاً نبيلاً حسن الشارة، «تاريخ بغداد» (٣/ ٧٤).

وعن أبي عبد الرحمن السلمى قال: قال الكنانى: إن الله تعالى نظر إلى عبيد من عبيده فلم يرههم أهلاً لمعرفته، فشغلهم بخدمته.

صحب الكنانى الجنيد والخزاز والنورى، ولا نحفظ له مسنداً.

وتوفى بمكة سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، وقيل اثنتين وعشرين (رحمه الله).

٣١٦- أبو بكر الشبلى

واختلفوا فى اسمه فقيل: دلف بن جعفر، وقيل: دلف بن جحدر، وقيل: جحدر بن دلف، وقيل: دلف بن جعبرة، وقيل: دلف بن جعبويه وقيل: اسمه جعفر بن يونس. أصله خراسانى من أهل مروسة من قرية يقال لها شبلية، ومولده بسر من رأى. وكان حاجب الموفق، وكان أبوه حاجب الحجاب، فحضر الشبلى يوماً مجلس خير النساج فتاب فيه.

وكان يقول: خلف أبى ستين ألف دينار سوى الضياع فأنفقت الكل وقعدت مع الفقراء. قال الحسين بن أحمد الصفار: سئل الشبلى وأنا حاضر: أى شىء أعجب؟ قال: قلب عرف ربه ثم عصاه.

وعن أبى الحسن على بن المثنى التميمى قال: دخلت على أبى بكر الشبلى داره وهو يهيج ويقول:

| | |
|-------------------|-----------------|
| على بعدك لا يصبر | من عادته القرب |
| ولا يقوى على هجر | ك من تيممه الحب |
| فإن لم ترك العيين | فقد أبصرك القلب |

وقال أحمد بن محمد الأملى: سمعت الشبلى يقول: مجاهدة النفس بالنفس أفضل من مجاهدة الغير بالنفس.

وقال الحسين بن أحمد الصفار: كنت يوماً عند الشبلى، وكان يذم الدنيا وأهلها، فقال: يا من باع كل شىء، واشترى لا شىء بكل شىء.

وسمعه يقول: ليس من استأنس بالذكر كمن استأنس بالمذكور.

وسئل: ما الزهد؟ فقال: نسيان الزهد.

(٣١٦) هو: أبو بكر الشبلى الصوفى، حكى الخلاف فى اسمه، الحسين بن يحيى الشافعى، كان خاله أمير الأمراء بالإسكندرية، «تاريخ بغداد» (٤١ / ٣٨٩).

ودخل بعض أصحابنا يوما على الشبلى وهو يقول: أفلا شجأ بحنين؟ أفلا رنة بأنين من قلب قريح حزين؟ أفلا شارب بكأس العارفين؟ أفلا مستيقظ عن رقدة الغافلين؟ يا مسكين ستقدم فتعلم وينكشف الغطاء فتندم.

وقال الشبلى: العارف سيار إلى الله عز وجل تعالى غير واقف.

وسئل وأنا حاضر: أى شىء أعجب؟ قال: قلب عرف ربه ثم عصاه.

وكان الشبلى ينوح يوما ويقول: مكر بك فى إحسانه فتناسيت، وأمهلك فى غيك فتماديت، وأسقطك من عينه فما دريت ولا باليت.

وقال: ليت شعرى ما اسمى عندك غدا يا علام الغيوب؟ وما أنت صانع فى ذنوبى يا غفار الذنوب؟ وبم تختم عملى يا مقلب القلوب؟

قال: وكان الشبلى يقول فى جوف الليل: قرة عيني وسرور قلبي، ما الذى أسقطنى من عينك؟ ثم يصرخ ويكى.

قال: وقال الشبلى: لا تأمن على نفسك وإن مشيت على الماء حتى تخرج من دار العزة إلى دار الأمل.

وقال الشبلى: إذا وجدت قلبك مع الله فاحذر من نفسك، وإذا وجدت قلبك مع نفسك فاحذر من الله.

وقال أحمد الحلقاتي: سمعت الشبلى يقول: من عرف الله عز وجل لا يكون له غم.

وسمعه يقول: أحبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك.

وعن أبى حاتم الطبرى قال: سمعت أبا بكر الشبلى يقول: إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها فانظر إلى مزبلة فهى الدنيا، وإذا أردت أن تنظر إلى نفسك فخذ كفا من تراب، فإنك منه خلقت وفيه تعود ومنه تخرج، وإذا أردت أن تنظر ما أنت؟ فانظر ماذا يخرج منك فى دخولك الخلاء؟ فمن كان حاله كذلك فلا يجوز أن يتناول أو يتكبر على من هو مثله.

وعن الحسين بن أحمد الهروى قال: سمعت أبا بكر الشبلى يقول: ليس للأغمى من رؤية الجوهرة إلا مسها، وليس للجاهل من الله إلا ذكره باللسان.

وسأل جعفر بن نصير بكران الدينورى، وكان يخدم الشبلى: ما الذى رأيت منه؟ يعنى عند وفاته، فقال: قال لى: على درهم مظلمة تصدقت عن صاحبه بألف، فما على قلبى شغل أعظم منه ثم قال: وضئى للصلاة، ففعلت فنسيت تخليل لحيته، وقد أمسك على لسانه، فقبض على يدى وأدخلها فى لحيته ثم مات.

فبكى جعفر وقال: ما تقولون فى رجل لم يفته فى آخر عمره أدب من آداب الشريعة؟ وعن بكير صاحب الشبلى قال: وجد الشبلى فى يوم جمعة خفة من وجع كان به فقال: تنشط تمضى إلى الجامع؟ قلت: نعم، فأتكأ على يدي حتى انتهينا إلى الوراقين من الجانب الشرقى، قال: فتلقانا رجل جاءنى من الرصافة، فقال: بكير! قلت: ليك، قال: غدا يكون لنا مع هذا الشيخ شأن.

ثم مضينا فصلينا ثم عدنا فتناول شيئا من الغداء، فلما كان الليل مات رحمه الله فقيل له: فى درب السقائين رجل شيخ صالح يغسل الموتى، فدلونى عليه فى سحر ذلك اليوم، فنقرت الباب خفيا فقلت: سلام عليكم، فقال: مات الشبلى؟ قلت: نعم، فخرج إلى فإذا به الشيخ، فقلت: لا إله إلا الله فقال: لا إله إلا الله، تعجبا، ثم قلت: قال لى الشبلى أسس لما التقينا بك فى الوراقين: غدا يكون لى مع هذا الشيخ شأن، بحق معبودك من أين لك أن الشبلى قد مات؟ قال: يا أبله فمن أين للشبلى أن يكون له معنى شأن من الشأن اليوم؟ عمر بن عبيد قال: حدثنى بكير، فذكر معنى الحكاية.

صحب الشبلى الجنيد وطبقته، وتفقه على مذهب مالك، وكتب الحديث الكثير ولا نعلم له مسندا سوى حديث واحد.

أخبرنا أبو منصور الصرار، أنبأ أبو بكر أحمد بن على، أنبأ اسماعيل بن أحمد الحيرى، أنبأ أبو عبد الرحمن السلمى أنبأ أحمد بن محمد بن أحمد بن حسن الهروى أنبأ أبو عبد الرحمن، أنبأ عبد الواحد بن العباس، أنبأ أحمد بن محمد بن ثابت، أنبأ محمد بن على الجمال قال:

سمعت أبا بكر الشبلى يقول: ثنا محمد مهدى المصرى، أنبأ عمر بن أبى سلمة، أنبأ صدقة بن عبد الله عن طلحة بن زيد عن أبى فروة الرهاوى عن عطاء عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ لبلال: «لق الله فقيرا ولا تلقه غنيا» قال: يا رسول الله كيف لى بذلك؟ قال: «ها سئلت فلا تمنع وما رزقت فلا تخبأ» قال: يا رسول الله، كيف لى بذلك؟ قال: هو ذاك وإلا فالنار.

توفى الشبلى فى ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وهو ابن سبع وثمانين سنة، رحمه الله.

٣١٧- أبو أحمد المغازلي

جعفر الخلدی قال: سمعت أبا أحمد المغازلي يقول: كنت يوما من الأيام قاعدا فخطر على قلبي ذكر من الأذكار فقلت: إن كان ذكر يُمشي به على الماء فهو هذا، فقامت إلى الماء فوضعت قدمي على الماء فتشبت، ثم رفعت قدمي الأخرى لأضعها على الماء فخطر بقلبي كيفية ثبوت الأقدام على الماء فغاصتا جميعا، رحمه الله.

٣١٨- عيسى بن إسحاق بن موسى أبو العباس الأنصاري

روى عن أبي الربيع الزهراني وغيره، وروى عنه أحمد بن كامل القاضي، قال: وكان يمشي حافيا ويلبس قميصا ناتناف تزهدا، وكان صادقا زاهدا عابدا، ومات قبل سنة ثمانين ومائتين.

قال أبو عمر الزاهد: أنبأ أبو العباس الأنصاري، وكان يقال: إنه من الأبدال في زمانه.

٣١٩- أبو محمد عبد الله بن محمد النيسابوري

ويقال له المرتعش، صاحب الجنيد، وأقام ببغداد في مسجد الشونيزي، وكانوا يقولون: عجائب ببغداد ثلاثة: إشارات الشبلي، ونكت المرتعش، وحكايات جعفر الخواص. وقال أبو الفرج الصائغ: قال المرتعش: من ظن أن أفعاله تنجيه من النار أو تبلغه درجة الرضوان فقد جعل لنفسه ولفعله خطرا، ومن اعتمد على فضل الله بلغه الله أقصى منازل الرضوان.

وقيل له: إن فلانا يمشي على الماء، فقال: إن مكنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الهواء والماء.

وعن أحمد بن علي بن جعفر قال: كنت عند المرتعش قاعدا فقال لرجل: قد طال الليل وطاب الهواء، فنظر إليه المرتعش وسكت ساعة ثم قال: لا أدري ما يقول، غير أنني أقول ما سمعت من بعضهم، يقول:

(٣١٧) هو: أبو أحمد المغازلي، الصوفي، من جُلة مشايخهم، انظر «تاريخ بغداد» (١٤ / ٤٢١).

(٣١٨) هو: عيسى بن إسحاق بن موسى، أبو العباس الخطمي الأنصاري، وهو أخو موسى بن إسحاق، وكان أسن منه، انظر «تاريخ بغداد» (١١ / ١٧١).

(٣١٩) هو: عبد الله بن محمد بن حمويه، أبو محمد النيسابوري، قدم بغداد وحدث بها عن أحمد بن حفص السلمي، روى عنه محمد بن مخلد، «تاريخ بغداد» (١٠ / ١٠١).

لست أدرى أطال ليلى أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى؟
لو تفرغت لاستطالة ليلى ولرعى النجوم كنت مخلا
قال: فبكى من حضره، واستدلوا بذلك على عمارة أوقاته.
قال السلمى: وتوفى ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة رحمه الله.

٣٢٠- أبو جعفر المجذوم

قال أبو الحسن الدراج: كنت أحج فتصحبني جماعة، فكنت أحتاج إلى القيام معهم والاشتغال بهم، فذهبت سنة من السنين، يعنى على الوحدة، وخرجت إلى القادسية، فدخلت المسجد فإذا رجل فى المحراب مجذوم، وعليه من البلاء شئ عظيم، فلما رآنى سلم على وقال: يا أبا الحسين عزمت على الحج؟ قلت: على غيظ منى وكراهية له، قال: فقال لى: فالصحبة، فقلت فى نفسى: أنا هربت من الأصحاء أقع فى يدى مجذوم؟ قلت: لا، قال لى: افعل، قلت: لا والله لا أفعل، فقال لى: يا أبا الحسين، يصنع الله للضعيف حتى يتعجب القوى، فقلت: نعم، على الإنكار عليه.

قال: فتركته، فلما صليت مشيت إلى ناحية المغيبة فبلغت كالغد ضحوة، فلما دخلت إذا بالشيخ، فسلم على وقال لى: يا أبا الحسين يصنع الله للضعيف حتى يتعجب القوى، قال: فأخذنى شبيه الوسواس فى أمره.

قال: فلم أحس حتى بلغت القراء على الغد، فبلغت مع الصبح فدخلت المسجد فإذا أنا بالشيخ قاعدا فقال لى: يا أبا الحسين، يصنع الله للضعيف حتى يتعجب القوى.

قال: فبادرت إليه فوقعت بين يديه على وجهى فقلت: المعذرة إلى الله وإليك، قال لى: ما لك؟ قلت: أخطأت، قال: وما هو؟ قلت: الصحبة، قال: أليس حلفت؟ وأنا نكره أن نحتك، قال، قلت: فأراك فى كل منزل، قال: ذاك لك.

قال: فذهب عنى الجوع والعطش والتعب فى كل منزل ليس لى هم إلا الدخول إلى المنزل فأراه، إلى أن بلغت المدينة فغاب عنى فلم أره.

فلما قدمت مكة حضر أبو بكر الكنانى وأبا الحسين المزين فذكرت ذلك لهم فقالوا:

(٣٢٠) هو: أبو جعفر المجذوم، كان شديد العزلة والانفراد، وهو من أقران أبى العباس بن عطاء، ويحكى عنه كرامات، قال السلمى: أبو جعفر المجذوم بغدادى «تاريخ بغداد» (١٤ / ٤١٥).

يا أحمق ذلك أبو جعفر المجذوم، ونحن نسأل الله أن نراه، فقالوا: إن لقيته فتعلق به لعلنا نراه، قلت: نعم.

فلما خرجنا إلى منى وعرفات لم ألقه: فلما كان يوم الجمرة رميت الجمار، فحدثني إنسان وقال: يا أبا الحسين السلام عليك، فلما رأيته لحقني من رؤيته فصحت وغشى على، وذهب عني، وجئت إلى مسجد الخيف وأخبرت أصحابنا.

فلما كان يوم الوداع صليت خلف المقام ركعتين ورفعت يدي فإذا إنسان خلفي جذبني فقال: يا أبا الحسين عزمت عليك أن تصبح قلت: لا، أسألك أن تدعوني، فقال: سل ما شئت، فسألت الله تعالى ثلاث دعوات فأمن على دعائي فغاب عني فلم أره.

فسألته عن الأدعية فقال: فأما أحدها فقلت: يا رب حبب إلى الفقر، فليس في الدنيا شيء أحب إلى منه، والثاني: قلت: اللهم لا تجعلني أبيت ليلة ولى شيء أخره لغد، وأنا منذ كذا وكذا سنة ما لى شيء أخره، والثالث: قلت: اللهم إذا أذنت لأولياك أن ينظروا إليك فاجعلني منهم وأنا أرجو.

قال السلمي: أبو جعفر المجذوم بغدادى، من أقران أبى العباس بن عطاء.

٣٢١- عباس بن المهتدي أبو الفضل

قال أبو عبد الرحمن السلمي: عباس بن المهتدي من بغداد، كنيته أبو الفضل، يرجع إلى فتوة ظاهرة وفراسة حادة، وحب للفقراء وميل إليهم، دخل مصر وصحب بها أبا سعيد الخراز.

وعن محمد بن عبد الله الفرغانى قال: تزوج عباس بن المهتدي امرأة فلما كانت الليلة التي أراد أن يدخل بها وقعت عليه ندامة فدخل عليها وهو كاره، فلما أراد أن يدنو منها زجر عنها فامتنع من وطئها وقام وخرج من عندها. فلما كان بعد ثلاثة أيام طهر للمرأة زوج.

(٣٢١) هو: العباس بن المهتدي، أبو الفضل الصوفى، قال أبو العباس النسوى: «عباس بن المهتدي أبو الفضل من أهل بغداد كثير الأسفار علم التجريد والتفكير وله قصة وفراسة» «تاريخ بغداد» (١٢/ ١٥٢).

٣٢٢- خزر ج بن علي بن العباس، أبو طالب الصوفي

قال أبو عبد الله بن خفيف: دخل أبو طالب خزر ج بن علي شيرازا فاعتل علة، فكنت أخدمه وأقدم إليه الطست في الليل مرارا كثيرة، وكنت في ذلك الوقت في حال الرياضة فكنت لا أفطر إلا على الباقلی اليابس.

فسمع أبو طالب ليلة كسرى للباقلی بأسناني فقال لي: ما هذا؟ فعرفته حالي، فبكي وقال: يا أبا عبد الله، فإنني كنت كذلك حتى حضرت ليلة مع أصحابنا في دعوة ببغداد فقدم إلينا حمل مشوى، فأمسكت يدي، فقال لي بعض أصحابنا: كل، فأكلت لقمة، وأنا منذ أربعين سنة إلى خلف.

قال ابن خفيف: ثم تماثل وخرج إلى بعض البلدان وجلس في رباط، وسود داخل الرباط وخارجه، وقال: هكذا جلوس أهل المصائب، فما خرج منه حتى مات.

قال المؤلف: أسند أبو طالب الحديث عن أحمد بن عبد الله الترمسي، وكان من أصحاب الجنيّد.

٣٢٣- أبو إسحاق إبراهيم بن حماد الأزدي

مولى آل جرير بن حازم، قال القاضي أبو الحسين الجراحي: ما جئت إلى إبراهيم بن حماد قط إلا وجدته قائما يصلي أو جالسا يقرأ.

وقال أبو بكر النيسابوري: ما رأيت أعبد منه.

أسند إبراهيم عن الحسن بن عرفة وخلق، وتوفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة.

٣٢٤- أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن النجاد

عن أبي إسحاق الطبري قال: كان أحمد بن سليمان يصوم الدهر، ويفطر كل ليلة على

(٣٢٢) هو: خزر ج بن علي بن العباس بن الغمر، أبو طالب الصوفي، من أصحاب الجنيّد، له آيات ويحكي عنه في ذلك حكايات تاريخ بغداد (٨ / ٣٤٤).

(٣٢٣) هو: إبراهيم بن حماد بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم، أبو إسحاق الأزدي، مولى آل جرير بن حازم، وثقه الدارقطني فقال: ثقة فاضل، انظر «تاريخ بغداد» (٦ / ٦١).

(٣٢٤) هو: أحمد بن سلمان، وقيل: سليمان كما في «لسان الميزان» بن الحسن بن إسرائيل بن يونس، أبو بكر الفقيه الحنبلي، المعروف بالنجاد وهو ممن اتسعت رواياته، وانتشرت أحاديثه، مات سنة ٣٤٨هـ «تاريخ بغداد» (٤ / ١٨٩) رقم (١٨٧٩).

رغيف، ويترك منه لقمة فإذا كان ليلة الجمعة تصدق بذلك الرغيف وأكل تلك اللقم التي استفضلها.

وقال أبو عبد الله أحمد بن عبد الله الحرابي: سمعت أبا بكر أحمد بن سليمان النجاد يقول: من نقر على الناس قل أصدقاًؤه، ومن نقر على ذنوبه طال بكاؤه، ومن نقر على مطعمه طال جوعه.

أسند النجاد عن أبي داود السجستاني في خلق لا يحصون، وكان يمشى في طلب الحديث حافياً.

وتوفى في سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وقد بلغ خمسا وتسعين سنة ودفن عند قبر بشر بن الحارث.

٣٢٥- جعفر بن محمد بن نصير الخلدی

يكنى أبا محمد، حج ستين حجة قال علي بن المثنى التميمي: سمعت جعفرا الخلدی يقول لرجل: كن شريف الهمة، فإن الهمم تبلغ بالرجال إلى المجاهدات. أسند جعفر الخلدی عن الحارث بن أبي أسامة وغيره، وسمع الكثير من الحديث، ولقى جماعة من المشايخ كالجنيد وغيره.

وتوفى في يوم الأحد لتسع خلون من شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة.

٣٢٦- جعفر بن حرب

عن علي بن المحسن المسوحى، عن أبيه: أن جعفر بن حرب كان يتقلد كبار الأعمال للسلطان، وكانت نعمته تقارب نعمة الوزارة، فاجتاز يوما راكباً في موكب له عظيم، ونعمته على غاية الوفور، ومنزلته بحالها في الجلالة فسمع رجلاً يقرأ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (الحديد: ١٦) فصاح: اللهم بلى يكررها دفعات، وبكى، ثم نزل عن دابته ونزع ثيابه ودخل إلى دجلة واستتر بالماء، ولم يخرج منه حتى فرق جميع ماله في المظالم التي كانت عليه وردها وتصدق بالباقي.

(٣٢٥) هو: جعفر بن محمد بن نصير الخلدی، شيخ الصوفية، كان ثقة صادقاً، ديناً فاضلاً، انظر «تاريخ

بغداد» (٧/ ٢٢٦) رقم (٣٧١٥).

فاجتاز رجل فرآه في الماء قائما وسمع بخبره فوهب له قميصا ومئزرا فاستتر بهما وخرج، فانقطع إلى العلم والعبادة حتى مات.

٣٢٧- أبو بكر محمد بن سعيد الحزبي

ويعرف بابن الضرير الزاهد

عن عبد الواحد بن أبي الحسين الفقيه قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا بكر بن الضرير الزاهد يقول: دافعت الشهوات حتى صارت شهوتي المدافعة فحسب.

قال المصنف: كان أبو بكر ينزل الحرية من بغداد وروى عن إبراهيم بن نصر المنصوري وغيره.

وتوفي في ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة.

٣٢٨- أبو بكر محمد بن الحسين الآجري

كان ثقة دينا عالما مصنفًا، وقد سمع عن أبي مسلم الكجي، وأبي شعيب الحراني، وجعفر الفريابي، في خلق يطول ذكرهم.

وحدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة، ثم انتقل إلى مكة فأقام بها حتى مات في محرم سنة ستين وثلاثمائة.

قال أبو سهل محمود بن عمرو العكبري: لما وصل أبو بكر محمد بن الحسين الآجري إلى مكة استحسناها واستطابها فهجس في نفسه أن «اللهم أحييني في هذا البلدة ولو سنة» فسمع هاتفًا يهتف ويقول: يا أبا بكر لم سنة؟ ثلاثين سنة.

فلما كان في سنة ثلاثين سمع هاتفًا يقول: يا أبا بكر قد وفينا بالوعد، فمات في تلك السنة.

(٣٢٨) هو: محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، أبو بكر، صاحب التصانيف الكثيرة، حدث ببغداد قبل سنة (٣٣٠) ثم انتقل إلى مكة فسكنها حتى توفي بها، قال محمد بن علي الصوري: توفي أبو بكر الآجري في المحرم سنة ستين وثلاثمائة قرأت ذلك على بلاطة قبره بمكة، «تاريخ بغداد» (٢) / (٢٤٣) رقم (٧٠٧).

٣٢٩- يوسف بن عمر بن مسرور

أبو الفتح القواس .

قال الأزهرى: كان أبو الفتح من الأبدال، وكان مجاب الدعوة .

وقال أبو الحسن الدارقطنى: كنا نتبرك بأبى الفتح القواس وهو صبي .

وقال أبو ذر الهروى: كنت عند أبى الفتح القواس وقد أخرج جزءً من كتبه فوجده فيه قرص الفار، فدعا الله على الفارة التى قرصته فسقطت من سقف البيت فارة ولم تزل تضطرب حتى ماتت .

سمع يوسف بن عمر القواس من البغوى، وأبى بكر بن أبى داود ويحيى بن صاعد، فى خلق كثير .

وتوفى يوم الجمعة لسبع بقين من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ودفن بمقبرة أحمد - رضي الله عنه .

٣٣٠- أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل

ابن عيسى بن سمعون وكان يلقب الناطق بالحكمة .

عن أبى بكر الأصبهاني، وكان خادم الشبلى، قال: كنت بين يدى الشبلى فى الجامع يوم الجمعة فدخل أبو الحسين بن سمعون وهو صبي على رأسه قلنسوة بشفاشك مطيلس بفضة، فجاز علينا وما سلم، فنظر الشبلى إلى ظهره وقال: يا أبا بكر أتدرى أى شئ لله من الذخائر فى هذا الصبي؟ .

وقال الحسن بن محمد الخلال: قال لى أبو الحسين بن سمعون: ما اسمك؟ فقلت: حسن، فقال: قد أعطاك الله الاسم فسله أن يعطيك المعنى .

وقال أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن المظفر: سمعت ابن سمعون يقول: رأيت المعاصى نذالة، فتركها مروءة، فاستحالت ديانة .

(٣٢٩) هو: يوسف بن عمر بن مسرور، أبو الفتح القواس، عن عبد العزيز الأزجى قال: سألت يوسف القواس عن مولده قال: مولدى سنة ثلاثمائة، كان ثقة صالحاً صادقاً زاهداً، سمع كثيراً من العلماء والحفاظ وكتب عنهم، انظر «تاريخ بغداد» (١٤ / ٣٢٥) رقم (٧٦٥٠) .

(٣٣٠) هو: محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عتب بن إسماعيل أبو الحسين الواعظ المعروف بابن سمعون، كان واحد دهره وفريد عصره فى الكلام على علم الخواطر والإشارات ولسان الوعظ، دون الناس حكمته وجمعوا كلامه، «تاريخ بغداد» (١ / ٢٧٤) رقم (١١٦) .

وقال أبو الفتح القواس: لحقتني إضاقه في وقت من الأوقات، فنظرت فلم أجد في البيت غير قوس لى وخفين كنت ألبسهما، فأصبحت وقد عزمت على بيعهما، وكان يوم مجلس أبى الحسين بن سمعون، فقلت في نفسي: أحضر المجلس ثم أنصرف فأبيع الخفين والقوس، فحضرت فلما أردت الانصراف نادانى أبو الحسين: يا أبا الفتح لا تبع الخفين، ولا تبع القوس؛ فإن الله سيأتيك برزق من عنده: أو كما قال.

وعن على بن طلحة المقرئ قال: سمعت أبا الحسين بن سمعون يقول: كل من لم ينظر بالعلم فيما لله عليه، فالعلم حجة عليه ووبال.

وسمعه يقول: الصادقون الحذاق هم الذين نظروا إلى ما بذلوا في جنب ما وجدوا، فصغر ذلك عندهم فاعتذروا.

وسمعه يقول: قللوا اهتمامكم لكم، ووفروا اهتمامكم بكم وتوسدوا أوسادا من الشكر، والبسوا لباسا من الذكر، والتحفوا لحافا من الخوف، تفوزوا بمدحة الرب، الله أن تستهينوا بشيء يوجب الذم دون أن تستهينوا بما يوجب العقوبة.

وسمعه يقول: يا هذا، تظلم إلى ربك منك، واستنصره عليك ينصرك.

وسمعه يقول: احزنوا على ما فاتكم، وأسفوا على تقصيركم واحرزوا بضائعكم من التلف لا تخرج القطاع عليها.

وسمعه يقول: كل داء عرف دواؤه فهو صغير، والذي لم يعرف له دواء كبير.

وسمعه يقول: اجهد يا هذا أن يُسرق منك ولا يسرق لك.

وسمعه يقول: احذروا الصغائر فإن النقط الصغار آثار في الثوب النقى.

وسمعه يقول: احذر أن ترى عملك لك، فإن رأيتك لك كنت ناظرا إلى ما ليس لك.

وسمعه يقول: من الوقاحة تمنيك مع توانيك، استوف من نفسك الحقوق ثم وفها الحظوظ حسب ما يكفيها لا ما يطغيها، فقها بين الجنة والنار تأباك الجنة بكل معنى وتقبلك النار بجملتك.

وسمعه يقول: معنى قوله «لا يزال عبدى يتحجب إلى حتى أحبه» قال: حتى أظهر له حبي لأنه لم يزل محبا.

وسمعه يقول: الخير كله في هذا الزمان ترك ما الناس عليه، ومص النوى، وسف الرمل

- وأنشدنا:

لو كل جارحة منى لها لغة
كان ما زان شكرى إذ أشرت به
وأنشدنا أيضا:

حاشاك من أن ترابى
لم يبق منى وفاء
أفئيتنى عن جميعى
فصرت أهواك طرفا

قال محفوظ بن أحمد الكلودانى، قال لنا الشيخ الصالح أبو على الحسن بن غالب الحربى: سمعت أبا الحسين بن سمعون يقول: يا هذا أكرمتك لما عاملتك وصنتك لما نهيتك فمعاملتى لك كرامة ونهى لك صيانة، كلفتك الصلاة ولعلمى بتوانيك لم أجعل لها وقتا واحدا، جعلت لها أولا وآخرا وأنت تقول: الوقت واسع، متى اتسع الوقت على عاقل؟ أما علمت أن الأوقات على العقلاء أدق من ثقب الإبر تهتم لك كأنى لست مولاك، وتدع الاهتمام بك كأنى لست مطالبك، أما علمت أنه إذا بدا النهار أطلبك بحق ملكى، وإذا بدا الليل أطلبك بحق حبى.

قال أبو على: وكنا جلوسا عند أبى الحسين بن سمعون فى مجلسه فجاز قوم معهم كلاب الصيد فتبحث عليها كلاب الدرب فقال: سبحان الله كأن هذه حادثت هذه، فقالت هذه الأهلية لكلاب الصيد: يا مساكين رغبتم فى نعيم الملوك فسوجروكم ولو قنعتم بالمنبوذ مثلنا كنتم مخلصين، فقالت لها كلاب الصيد: خفى عليكم حالنا نحن رأوا فينا آلة الخدمة فحبسونا على الخدمة وقاموا لنا بالكفاية، قالت الأهلية: فالواحد منكم إذا كبر خلى وصار معنا، قالت كلاب الصيد: لأنه قصر عما يجب عليه وكل من قصر فيما يجب عليه طرد.

قال أبو على: وسمعت أبا سعيد أحمد بن المسك بن أحمد البزاز يقول: سمعت عمى محمد بن أحمد يقول: رأيت فى المنام رسول الله ﷺ فى جامع وإلى جانبه رجل مكتهل، فسألت عنه فقيل: هو عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، وهو يقول للنبي ﷺ: أليس فى أمتى الأحبار؟ أليس فى أمتى الرهبان؟ أليس من أمتى أصحاب الصوامع؟ قال: فدخل أبو الحسين بن سمعون فقال له رسول الله ﷺ: فى أمتك مثل هذا؟ فسكت، وانتبهت.

وعن أبى طاهر محمد بن على العلاف قال: حضرت أبا الحسين بن سمعون يوما فى مجلس الوعظ، وهو جالس على كرسىه يتكلم، وكان أبو الفتح بن القواس جالسا إلى جنب

الكرسى فغلبه النعاس فنام فأمسك أبو الحسين عن الكلام ساعة حتى استيقظ أبو الفتح ورفع رأسه، فقال له أبو الحسين: رأيت رسول الله ﷺ في نومك؟ قال: نعم، فقال أبو الحسين: لذلك أمسكت عن الكلام خوفاً أن تنزعج وتنقطع عما كنت فيه، أو كما قال.

وعن أبي بكر البرقاني قال لأبي الحسين بن سمعون: أيها الشيخ، أنت تدعو الناس إلى الزهد في الدنيا، والترك لها، وتلبس أحسن الثياب وتأكل أطيب الطعام، فكيف هذا؟ فقال: كل ما يصلحك فافعله إذا صلح حالك مع الله: بلبس لين الثياب، وأكل طيب الطعام، فلا يضرک.

أسند ابن سمعون عن خلق كثير يطول ذكرهم، منهم: عبد الله بن أبي داود السجستاني، وأملی الحديث.

وتوفى يوم النصف من ذى القعدة سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وكان مولده سنة ثلاثمائة ودفن في داره، ثم نقل بعد تسع وثلاثين سنة إلى باب حرب وكفنه لم يبل.

قال عبد القادر بن محمد بن يوسف: أخبرني أبي قال: كنت مع الذين أخرجوا أبا الحسين من داره وقد دفن فيها أربعين سنة، فأخرج إلى قبر أحمد وأكفانه تتقعقع كما دفن. رحمه الله.

٣٣١- عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق، أبو القاسم الواعظ

كان من أهل الزهد والصلاح، الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر.

عن أحمد بن علي بن ثابت قال: حدثني الضمري قال: كان عند عبد الصمد جزء عن النجاد، فأخذت من أبي بكر البقال نسخته، ومضيت أنا وأبو يعلى بن المأمون إليه فسلمنا عليه وسألناه أن يحضرنا في المسجد لنسمع الجزء منه وسبقناه إلى المسجد.

فدخل، وسلم، وصلى ركعتين، ثم جاء فجلس بين أيدينا، فقلت له: إنما حضرنا لنسمع منك فإن رأيت أن ترتفع إلى صدر المجلس؟ فقال: هذا ابن عم رسول الله ﷺ وأشار إلى ابن المأمون - وأنت رجل من أهل العلم، وما كنت لأرتفع عليكما في المجلس.

وعن علي بن محمد الحسن المالكي قال: جاء رجل إلى عبد الصمد بمائة دينار ليدفعها إليه فقال له: أنا غني عنها، فقال: فرقها على أصحابك هؤلاء، فقال: وضعها على الأرض،

(٣٣١) هو: عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق، أبو القاسم الواعظ، وكان ثقة صالحاً زاهداً، وإليه تنسب الطائفة المعروفة بأصحاب عبد الصمد «تاريخ بغداد» (١١ / ٤٣) رقم (٥٧٢٣).

ففعّل، فقال عبد الصمد للجماعة: من احتاج منكم إلى شيء فليأخذ على قدر حاجته فتوزعها الجماعة على صفات مختلفة من القلة والكثرة ولم يمسه هو بيده ثم جاء ابنه بعد ساعة فطلب منه شيئا فقال له: اذهب إلى البقال فخذ منه ربع رطل تمرا.

وقال التنوخي: كنت يوم الجمعة في جامع المنصور والخطيب على المنبر وعلى يساري على بن طلحة المقرئ البصري فمددت عيني فرأيت عبد الصمد بالقرب مني فهمت بالنهوض إليه، وكان صديقا لي، فاحتشمت من القيام في مثل ذلك الوقت مع قرب قيام الصلاة، فقام ومشى نحوي فقامت إليه فقال لي: اجلس أيها القاضي فليس إليك قصدت ولا لك أردت بمجيئي، إنما هذا أردت وإليه قصدت يعني ابن طلحة وذلك أن نفسي تأباه وتكرهه فأردت أن أذلها بقصده وأخالف إرادتها، فقصدته، فقام ابن طلحة إليه وقبل رأسه، وعاد عبد الصمد إلى موضعه.

وعن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله السكري قال: اجتاز عبد الصمد يوما بسوق الطعام فرأى غلاما يقال له عزيز وقد خرج مع العيارين، وكانت أيامهم، والناس مجتمعون عليه، وأبواه يكيان ويعذلانه ويأبى عليهم.

فلما أكثرا عليه قال لهما: مثلي يقول شيئا يرجع عنه؟ قد قلت لأصحابي إني منكم، امضيا اطلبا عزيزا غيري، شاروفا في جيبي.

يقول عبد الصمد: رأيته قد تابع الهوى على الوفاء، مع علمه بأنه إذا وقع في الشدائد لا يجيره فبايعت ربي على الوفاء مع علمي بأنني إذا وقعت في الشدائد يجيرني فاجترت يوما بباب درب الديزج فشممت روائح طيبة فطالبتني نفسي بشيء منها فقلت: اطلبي عبد الصمد غيري شاروفا في جيبي.

قال: وسمعت عبد الصمد يقول: كنت يوما أمشي في بعض الطرق وإذا بساع قد أقبل من عدوه وقد بقي عليه من الطريق بقية، والناس يستقبلونه بالتحف، فقال له رجل: أي فلان مت اليوم حتى تعيش أبدا، فقلت لنفسي: هذا لك موتى اليوم حتى تعيش أبدا.

وعن أبي علي الحسن بن علي بن فهر القلاف، قال: قال عبد الصمد: يا أبا علي رأيت اليوم عجا: اجتزت ببعض الخرابات فسمعت منها أنينا فدخلت وإذا برجل قد شد حبلا يريد أن يخنق نفسه فزعت عليه وقلت له: لا يحل لك أن تفعل هذا، فقال لي: فأغدر؟ فقلت: وما شأنك والغدر؟ قال: قد قامرت في قتل نفسي فقمرتها وما أرى الغدر، فنحيت الحبل من عنقه وعجبت كيف لم يستجز الغدر في هوى الشيطان فكيف يجوز الغدر في رضا الرحمن؟

وحكى أبو الوفاء بن عقيل قال: هجم عيد على عبد الصمد والبيت فارغ من القوت، فجاءه رجل بدراهم فقال: خذ هذه، فقال: يا هذا بالله دعنى اليوم أتلذذ بفقرى كما يتلذذ الأغنياء بغناهم، وكان يقول: أبدا أوجدتهم فى تعذيبه عذوبة.

قال المؤلف: بلغنى عن عبد الصمد أنه كان فى دعوة فقيل له: انبسط وتمكن فقال: وما يمكنى؟ من يحتشم ربه فى الخلوة لا ينبسط.

وكان يحرض أصحابه على الجد ويقول: هيه قد فاتتكم الدنيا فلا تفوتكم الآخرة. وقال التنوخى: حدثنى من حضر عبد الصمد وقد احتضر، فدخلت عليه أم الحسن بنت القاضى أبى أحمد بن الأكفانى، وكانت أحد من يقوم بأمره ويراعيه. فقالت له: أسألك وأقسم عليك إلا سألتنى حاجة، فقال لها: نعم كونى لهنية - يعنى ابنته - بعد موتى كما أنت لها فى حياتى، فقالت: أفعل، ثم أمسك ساعة وقال: أستغفر الله وكررها، الله لها خير منك.

وحكى ابن عقيل عن بعض من حضر عبد الصمد عند الموت قال: حضرته وهو يقول: يا سيدى لليوم خبأتك، ولهذه الساعة اقتنيتك، حقق حسن ظنى بك. أسند عبد الصمد عن أحمد بن سلمان النجاد.

وتوفى يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذى الحجة، وقيل: فى آخر يوم من ذى الحجة سنة سبع وتسعين وثلاثمائة، وقيل: توفى ليلا وكانت وفاته بدرج شماس، من نهر الغلابين، وقبره اليوم ظاهر يُتبرك به بمقبرة الإمام أحمد.

٣٣٢- عثمان بن عيسى أبو عمر الباقلاوى

كان يقال له: العابد الصموت، لإمساكه عن الكلام فيما لا يعنيه.

قال أحمد بن على الحافظ: كان عثمان الباقلاوى أحد الزهاد المتعبدين، منقطعا عن الخلق، ملازما للخلوة.

قال: وسمعت بعض الشيوخ الصالحين يقول: سمعت عثمان الباقلاوى يقول: إذا كان وقت غروب الشمس أحسست بروحى كأنها تخرج، يعنى لاشتغاله فى تلك الساعة بالإفطار، عن الذكر.

قال: وسمعتَه يقول: أحب الناس إلىَّ من ترك الإسلام علىَّ، لأنه يشغلني بسلامه عن الذكر.

وقال محمد بن محمد بن عبد العزيز العباسي: حدثني أبي قال: مضيت يوما في صحبة خالي إلى عثمان بن عيسى الباقلاوي، فتلقيناه خارجا من المسجد إلى داره وهو يسبح، فقال له خالي: ادع لي، فقال: يا أبا عبد الله شغلتي انظر ما تظنه في فاعله وادع أنت لي، فقلت له أنا: بالله ادع لي، فقال لي: رفق الله بك، فاستزدته، فقال: الزمان يذهب والصحائف تختم. وعن أبي الحسين محمد بن محمد بن المهدي أنه قال: هذا الذي أنا فيه من بركة عثمان الباقلاوي، وذلك أنني كنت أصلي به فكان إذا خلا بي مسح يده على صدرى ودعا لي، فأنا أعتقد أن الذي أنا فيه إنه من بركة دعائه.

قال: وكان له مغتسل وحارة في المسجد: فكان يصلي بينهما وكنت أصلي به شهر رمضان، فقرأت ليلة سورة الحاقة حتى أتيت هذه الآية: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ فصاح وسقط مغشيا عليه، فما بقي أحد في المسجد إلا انتحب.

وكان عثمان يتعمم بشاروفة، وكان يأكل من كسب البوازي وكان قد سأله السعيد التركي أن يصل إليه منه شيء، فأبى فقال له: إذ أبيت فتأذن لي أن نشترى دهنا نشغله في المسجد؟ وكان مأواه المسجد، ما كان يخرج منه إلا إلى الجمعة، فأجاب إلى ذلك، فلما عاد الرسول على أنه يحمل إليه دهنا قال له: لا تجئني بشيء آخر فقد أظلم على البيت.

أسند عثمان الباقلاوي عن إبراهيم بن محمد المطوعى، والحسن بن أبي النجم مؤدب الطائع لله، وغيرهما، وتوفى في يوم الجمعة لسبع بقين من رمضان سنة اثنتين وأربعمئة ودفن في مقبرة جامع المنصور^(١).

عن عرس الخباز قال: لما دفن عثمان الباقلاوي رأيت في المنام بعض من هو مدفون في جوار قبره، فقلت له: كيف فرحكم بجوار عثمان؟ فقال: وأين عثمان؟ لما جئ به سمعنا قائلا يقول: الفردوس الفردوس، أو كما قال - رحمه الله -.

(١) انظر «تاريخ بغداد» (١١ / ٣١٤) قال الخلال وأحمد بن على التوزي: توفي عثمان الباقلاوي الزاهد يوم الجمعة لسبع بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعمئة، قال الخلال: وصلى عليه أبو عبد الله بن المهدي.

٣٣٣- بكر بن شاذان بن بكر، أبو القاسم

قرأ القرآن على جماعة وسمع الحديث من جعفر الخلدی، وأبى بكر الشافعی وغيرهما، وكان يقرئ القرآن ويروى الحديث ويعظ الناس، وكان من قوام الليل وأهل التقوى.

عن الحسن بن غالب المقرئ أن بكر بن شاذان وأبا الفضل التميمي جرى بينهما كلام، فبدر من أبى الفضل كلمة ثقلت على بكر وانصرف، ثم ندم التميمي فقصداً بكر بن يوسف وقال له: قد كلمت بكراً بشيء قد خفى عليه وندمت على ذلك، فأريد أن تجمع بيني وبينه، فقال له ابن يوسف: سيخرج لصلاة العصر، فخرج بكر وجاء إلى ابن يوسف والتيمي عنده، فقال له التيمي: أسألك أن تجعلني في حل، فقال بكر: سبحان الله ما فارتكت حتى أحللتك، وانصرف.

قال التيمي: قال لى والدى: يا عبد الواحد احذر أن تخاصم من إذا نمت كان متبهاً. قال ابن غالب: وكان لبكر ورد من الليل لا يُخلُّ به.

توفي في يوم السبت التاسع من شوال سنة خمس وأربعمائة، ودفن بمقبرة باب حرب.

٣٣٤- أبو أحمد عبد الله بن أحمد بن محمد الفرضي

قال على بن عبد الواحد بن مهدي: اختلفت إلى أبى أحمد الفرضي ثلاث عشرة سنة لم أره ضحك فيها، غير أنه قرأ علينا يوماً كتاب الانبساط فأراد أن يضحك فغطى فمه. وقال عيسى: كان أبو أحمد إذا جاء إلى أبى حامد الإسفرائيني قام أبو حامد من مجلسه ومشى إلى باب مسجده حافياً مستقبلاً له.

قال: وكتب أبو حامد مع رجل خراساني كتاباً إلى أبى أحمد يشفع له أن يأخذ عليه القرآن، فظن أبو أحمد أنها مسألة قد استفتى فيها، فلما قرأ الكتاب غضب ورماه عن يده وقال: أنا لا أقرئ القرآن بشفاعة، أو كما قال.

وقال أبو القاسم منصور بن عمرو الفقيه: لم أر في الشيوخ من يعلم العلم خالفاً لله لا يشوبه شيء من الدنيا غير أبى أحمد الفرضي، فإنه كان يكره أدنى سبب حتى المدح لأجل العلم.

(٣٣٣) هو: بكر بن شاذان بن بكر، أبو القاسم المقرئ الواعظ، ولد في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، ومات في شوال من سنة خمس وأربعمائة، وله نيف وثمانون سنة، «تاريخ بغداد» (٩٦/٧) رقم (٣٥٣٧).

قال: وكان قد اجتمعت أدوات الرئاسة: من علم وقرآن وإسناد وحالة متسعة في الدنيا وغير ذلك، وكان أروع الخلق، وكان يستدئ كل يوم بتدريس القرآن، ويحضر عند الشيخ الكبير يوم الهيئة فيقدم عليه الحدث لأجل سبقه، فإذا فرغ من إلقاء القرآن ولى قراءة الحديث علينا بنفسه، فلا يزال كذلك حتى يستنفد قوته، ثم يضع الكتاب من يده وينصرف.

قال: وكنت أطيل القعود معه وهو على حالة واحدة لا يتحرك ولا يعيث بشيء من أعضائه ولا يغير شيئاً من هيئته حتى أفارقه.

وقد بلغني أنه كان يجلس مع أهله على هذا الوصف ولم أر في الشيوخ مثله.

سمع أبو أحمد من القاضي المحاملي، ويوسف بن يعقوب بن البهلول، وحضر مجلس أبي بكر بن الأنباري.

وتوفي في يوم الثلاثاء للنصف من شوال سنة ست وأربعمائة وقد بلغ اثنتين وثمانين سنة، ودفن في مقبرة جامع المدينة، رحمه الله.

٣٣٥- أبو العباس أحمد بن محمد

ابن عبد الرحمن بن سعد الأبيوردي

كان فقيهاً، فصيحاً، من أصحاب أبي حامد الإسفرائيني توطن بغداد، ولى القضاء بها على الجانب الشرقي ومدينة المنصور، وكان مدرسا مفتياً مناظراً، وكانت له حلقة بجامع المنصور.

ذكر عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي عن حدثه: أن القاضي أبا العباس الأبيوردي كان يصوم الدهر، وأن غالب إفطاره كان على الخبز والملح، وكان فقيراً يظهر المروءة، قال: ومكث شتوة لا يملك جبة يلبسها.

وكان يقول لأصحابه: فيّ علة تمنعني عن لبس الحشو، فكانوا يظنونونه يعنى المرض، وإنما كان يعنى بذلك الفقر ولا يظهره تصونا ومروءة.

وقال ابن ثابت: حدثني الصوري أنه سأل الأبيوردي عن مولده فقال: سنة سبع وخمسين وثلاثمائة.

ومات يوم السبت السادس من جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وأربعمائة، ودفن في مقبرة باب حرب، والله أعلم.

(٣٣٥) هو: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد، أبو العباس الأبيوردي، أحد الفقهاء الشافعيين، من أصحاب أبي حامد الإسفرائيني، سكن بغداد وولى القضاء بها على الجانب الشرقي بأسره، «تاريخ بغداد» (٥١/٥) رقم (٢٤١١).

٣٣٦- أبو الحسن علي بن عمر بن محمد

ابن الحسن الحربي المعروف بالقزويني

وكان من كبار الصالحين ومولده في محرم سنة ستين وثلاثمائة ببغداد، وأصل أبيه من قزوين وقرأ القرآن بالقراءات على أبي حفص الكنانى وغيره

وسمع الحديث من ابن كيسان النحوى، والقاضى الجراحى، وأبى حفص بن الزيات، وأبى عمر بن حيوة، وأبى الحسين مظفر، وأبى الحسين بن سمعون، فى جماعة أخرى، وتفقه على أبى القاسم الداركى، وعلق النحو على أبى الفتح بن جنى.

وكان منذ كان صبيا حسن الطريقة، ملازما للصمت عما لا يعنيه، وافر العقل، ثم كان يقرأ القرآن ويروى الحديث ولا يخرج من بيته إلا إلى الصلاة، وله كرامات كثيرة، ولما توفى غسله أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمى.

قال أحمد بن على بن ثابت: كان أبو الحسن القزوينى أحد الزهاد المذكورين ومن عباد الله الصالحين، توفى فى شعبان سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة، وصلى عليه فى الصحراء بين الحرية والعتابين، وحضرت الصلاة عليه، وكان الجمع متوفرا جدا يفوت الإحصاء لم أر جمعا على جنازة أعظم منه وعلق جميع البلد فى ذلك اليوم.

وقال أبو الفتح بن علوس الدينورى: صلى الناس على القزوينى حيث توجهوا، ولم يُحطَ إلى الأرض لكثرة الخلق، إنما كان على أيدى الرجال حيث اتجه صلوا عليه.

وقال أبو الوفاء بن عقيل: شهدت جنازته وكان يوما لم ير فى الإسلام بعد جنازة أحمد بن حنبل مثله، غلقت له المكاتب والحمامات، وبلغت المعبرة بباب الطاق مع كون الجسر ممدودا، ربع دينار، ولم يسع الناس جامع، ولا أمكن أن يصلى عليه إمام معين، فجعل كل قبيل فيه ألوف من الناس يصلى بهم رجل يصلح للتقدم، وكانت الضجة تمنع التبليغ للتكبير فصلى أكثر الناس وحدانا، ورأيت عدة بنانيك، فيها من المداسات الكثيرة، ينادى عليها ليأخذها أربابها.

عبد الله بن محمد البردانى قال: انتبه أخى أبو غالب يوسف بن محمد فى الليلة التى مات

(٣٣٦) هو: على بن عمر بن محمد بن الحسن، أبو الحسن الحربي المعروف بابن القزوينى، كان أحد الزهاد، ومن عباد الله الصالحين يقرأ القرآن ويروى الحديث، وافر العقل، صحيح الرأى «تاريخ بغداد» (٤٣ / ١٢) رقم (٦٤١١).

فيها القزويني، وهو ييكي، وقد أخذته الرعدة فسكنه والدنا وأمسكه وقرأ عليه، وقال له: ما لك يا بني؟ قال: رأيت في المنام كأن أبواب السماء قد فتحت وابن القزويني يصعد إليها، فلما كان في صبيحة تلك الليلة سمعنا المنادي ينادى بموته.

وقال أبو الفرج عبد العزيز بن عبد الله الصائغ: صليت على أبي الحسين القزويني فهالني كثرة الخلق الذين حضروا جنازته واستعظمتهم، فرأيت تلك الليلة في المنام وهو يقول لي: استعظمت الخلق الذين صلوا على؟ قد صلى على من الملائكة في السماء أكثر من ذلك.

٣٣٧- أبو بكر محمد بن عبد الله الدينوري

وكان يسكن الرصافة ببغداد، وكان زاهدا حسن العيش.

وكان أبو الحسن القزويني يقول: عبر الدينوري قنطرة خلّف من بعده وراءه.

قال أبو الوفاء بن عقيل الواعظ: كنت شابا حديث السن أتردد إلى مجلس ابن بشران الواعظ، وكان يعتاد عيني الرمد كثيرا، فرأيت ذات يوم في المجلس رجلا كان يسط لابن بشران بساط المنبر يقال له: بكار، فقال لي: أراك تدوم على حضور هذا المجلس؟ فقلت: لعلّي أستفيد شيئا ينفعني في ديني، فقال لي اجلس حتى ينقضي المجلس، فجلست.

فلما انقضى المجلس أخذ بيدي وحملني إلى الرصافة وجاء بي إلى باب فطره فقال قائل من داخل الدار: من؟ فقال: أنا بكار، فقال: يا بكار أأنت قد كنت هاهنا اليوم؟ فقال: جئت في حاجة مهمة، ففتح الباب وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم دخلنا وإذا بشيخ جالس مستقبل القبلة، على رأسه سطح كالطرحة فسلمنا عليه فرد علينا السلام، فقال بكار: يا سيدي هذا صبي يداوم حضور المجلس ويحب الخير وقد دام مرض عينه فادع له، فدعاني، فأتيته، فأدخل خنصره في فيه ثم مسح عيني به، فبقيت بعد ذلك نحو ستين سنة لم ترمد عيني، فلما خرجت سألت عنه فقيل لي: هذا أبو بكر الدينوري صاحب ابن سمعون.

توفي الدينوري في شعبان سنة ثلاثين وأربعمائة.

٣٣٨- أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري

ولد بآمل في سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وسافر في طلب العلم، سمع من أبي أحمد الغطريفى، والدارقطنى، والمعافى بن زكريا، وغيرهم، وتفقه على أبي الحسن الماسرجسى وبرع في الفقه، وجمع التقوى إلى العلم، وولى القضاء برقع الكرخ بعد أبي عبد الله

الصيمري، وقد كان رأى النبي ﷺ في المنام، فقال له: يا فقيه، فكان يفرح ويقول: سماني رسول الله ﷺ فقيها.

قال أحمد بن علي بن ثابت: أنشدني أبو الطيب الطبري لنفسه:

| | |
|------------------------------|---------------------------------|
| ما زلت أطلب علم الفقه مصطبرا | على الشدائد حتى أعقب الخيرا |
| وكان ما كر من درس ومن سهر | في عظم ما نلت من عقباء مغتبرا |
| حفظت مآثره حفظا وثقت به | وما يقاس على المأثور معتبرا |
| صنفت في كل نوع من مسائله | غرائب الكتب مبسوطة ومختصرا |
| أقول بالآثر المروى متبعا | وبالقياص إذا لم أعرف الأثرا |
| إذا انتضيت بياني عن غوامضه | حسرت عنها قناع اللبس فأنحسرا |
| وإن تحررت طوق الحق مجتهدا | وصلت منها إلى ما أعجز الفكرا |
| وكنت ذا ثروة لما عنيت به | فلم أدع ظاهرا منها ومدخرا |
| وما أبالي إذا ما العلم صاحبي | ثم التقى فيه أن لا أصحاب البشرى |
| ثنت عناني عنه همة طمحت | إلى الهوى فاستطابت عنده الصبرا |
| أصدي فلا أتصدي للنميم ولا | أبيت دون الغنى حزنان منكسرا |
| إذا أضقت سألت الله، معذرا | كفايتي فأطاب الورد والصدرا |

وقرأت بخط الشيخ أبي الوفا بن عقيل قال: حكى لي بعض أهل العلم أن القاضي أبا الطيب سعد من سميرية وقد تم له عشر المائة فقفز منها إلى الشط، فقال له بعض من حضر: يا سيدنا لا تفعل هذا فإن أعضائك تضعف وربما أورث مثل هذه الطفرة فتقا في المعى، فقال: يا هذا إن هذه أعضائنا حفظناها من معاصي الله فحفظها الله علينا.

وقال أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الله الفامي: ابتدأ القاضي أبو الطيب الطبري يدرس الفقه ويتعلم العلم وله أربع عشرة سنة، فلم يخل به يوما واحدا إلى أن مات.

قال الخطيب: توفي في يوم السبت لعشر بقين من ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة، ودفن من الغد في مقبرة باب حرب، وحضرت الصلاة عليه في المنصور، وكان إمامنا في الصلاة عليه أبو الحسين بن المهتدي، وبلغ من السن مائة سنة وستين وكان صحيح العقل، ثابت الفهم، يقضى ويفتي إلى حين وفاته، رحمه الله.

٣٣٩- أبو الحسن البرداني

كان من الزهاد المتقطعين بجامع المنصور.

حدثني أبو محمد عبد الله بن علي المقرئ قال: كان أبو الحسن البرداني صالحا مقيما بدار القطان، وكان الناس يزورونه فيقول: ترى أي شيء زاد فيّ حتى أزار؟ أنا كنت أكارا ولباسي اليوم لباسي الذي كان، وأكلى أكلى الذي كان، وما تركت شيئا من الدنيا أحمد على تركه فلماذا أزار؟

قال أبو محمد: وكان بجامع المنصور رجل يقال له ابن عبد العزيز، من القراء، فسمعه البرداني يقول يوما: هؤلاء الحشوية يقولون في القرآن كذا، فبقي مدة لا يصلي خلفه، فلما شاع هذا تعصب له جماعة وجاءوا بتوقيع من السلطان بتقديمه وتمكينه، فجاء ابن عبد العزيز والناس معه فباتوا بباب البصرة، فقال خدام البرداني له: يا سيدي قد جاء القوم وقد عزموا على تقديمه وتمكينه، فقال: ما يجيئون وكيف يجيئون.

فقال ابن عبد العزيز في بعض الليلة: فؤادي يوجعني، ومات من ليلته.

٣٤٠- أبو بكر أحمد بن علي العلبي

كان يقرئ القرآن ويؤم الناس ويعمل بيده ولا يقبل من أحد شيئا، ويذهب بنفسه في كل ليلة إلى دجلة فيأخذ في كوز له ماء يفطر عليه ويمشي في حوائج نفسه ولا يستعين بأحد. وكان إذا حج يزور القبور بمكة ويحجى إلى قبر الفضيل بن عياض ويخط بعصاه ويقول: يا رب ههنا، يا رب ههنا.

فاتفق أنه خرج للحج في سنة ثلاث وخمسمائة، فشهد عرفة محرما، وتوفي عشية ذلك اليوم في أرض عرفات فحمل إلى مكة وطيف به حول البيت، ودفن يوم منجر إلى جانب الفضيل بن عياض.

٣٤١- أبو المعالي الرجل الصالح

ساكن باب الطاق، قال أبو الحسن بن مالان وكان ثقة: حدثني أبو المعالي الصالح قال: ضاق بن الأمر في رمضان حتى أكلت فيه ريعين باقلي، فعزمت على المضي إلى رجل من ذوى قرابتي أطلب منه شيئا، فنزل طائر فجلس على منكبي وقال: يا أبا المعالي أنا الملك الفلاني، لا تمض إلي، نحن نأتيك به فبكر الرجل إليّ.

وحدثني أبو محمد عبد الله بن علي المقرئ قال: كنت عند أبي المعالي الصالح فقيل له:

قد جاء سعد الدولة شحنة بغداد فقال: أغلقوا الباب، فجاء فطرق الباب وقال: ها أنا قد نزلت عن دابتي وما أبرح حتى تفتح لي، ففتح له فدخل، فجعل يوبخه على ما هو فيه وسعد الدولة يبكي بكاء كثيراً، فانفرد بعض أصحابه وتاب على يده.

وقال لي أبو محمد: كان أبو المعالي لا ينام إلا جالسا ولا يلبس إلا ثوبا واحدا شتاء كان أو صيفا، وكان إذا اشتد البرد عليه يشد المئزر بين كتفيه.

حدثني أبو محمد أن رجلا توفي وسلم إلى ابن عقيل مالا وأمره أن يدفعه إلى أبي المعالي الصالح ليقسمه بعد موته، فلما مات الرجل بعث ابن عقيل إلى أبي المعالي بالمال، وأخبره بالقصة، فقال: ما أقبل هذه الوصية فعاوده فأبى، فبينما هم على ذلك جاء ولد الميت فقال: إن أبي أوصى بما لا يخرج من الثلث، فقال ابن عقيل: والله لقد كوشف ذاك الرجل، فهو يقبل خمسة أرتال من الخبز، ولولا أنه كوشف بهذا ما رده - رحمه الله - .

٣٤٢- أخو جمادى

كان منقطعاً بباب الطاق، والناس يزورونه ويتبركون به.

حدثني أبو محمد عبد الله بن علي المقرئ عن أخي جمادى قال: خرجت في يدي عيون وانتفخت فأجمع الأطباء على قطعها، فبت ليلة على سطح قد رقيت إليه فقلت في الليل: يا صاحب هذا الملك الذي لا ينبغي لغيره، هب لي شيئاً بلا شيء، فممت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله يدي، انظر إليها، فقال: مدها، فمدتها فأمر يده عليها وأعادها وقال: قم، فممت، وانتهت والخرق التي شدت بها مخانق.

فممت في الليل وذهبت إلى باب الأزج إلى قرابة لي، فطرقت الباب فقالت المرأة لزوجها: قد مات فلان، تعينني، وظنت أن مخبراً قد جاء يخبرها بذلك، فلما فتحت الباب ورأيتني تعجبت.

ورجعت إلى باب الطاق فرأيت الناس من عند دار السلطان إلى منزلي خلقاً لا يحصى، معهم الجرار والأباريق، فقلت: ما لكم؟ فقالوا: قيل لنا إن رجلاً قد رأى النبي ﷺ هاهنا يتوضأ في بئر.

فقلت في نفسي إن مضيت لم يكن لي معهم عيش، فاخفيت في الخرابات طول النهار.

٣٤٣- عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الاتماطي

ويكنى أبا البركات، سمع الكثير وكتب الكثير، وروى لنا عن أبي محمد الصريفي، وابن النقر، وخلق كثير من القدماء.

وما عرفنا من مشايخنا أكثر سماعاً منه، ولا أكثر كتابة للحديث، ولا أصبر على الإقراء، ولا أحسن بشراً ولقاء، ولا أسرع دمعة ولا أكثر بكاء.

ولقد كنت أقرأ عليه الحديث في زمان الصبا ولم أذق بعد طعم العلم، فكان يبكي بكاء متصلاً، وكان ذلك البكاء يعمل في قلبي وأقول: ما يبكي هذا هكذا إلا لأمر عظيم، فاستفدت ببيكائه ما لم أستفد بروايته.

وكان مجلسه منزهاً عن غيبة الناس، وكان - رحمته الله - على طريقة السلف، وكنا ننتظره من يوم الجمعة ليأتي من داره بنهر القلائين إلى جامع المنصور، فلا يأتي على قنطرة باب البصرة، وإنما يمر على القنطرة العتيقة، فسألته عن سبب هذا، فقال: كانت تلك دار ابن معروف القاضي، فلما قبض عليه بنيت قنطرة.

قال: وحدثنا أبو محمد التميمي عنه أنه أحل من يعبر عليها غير أني لا أفعل.

وكان مولده في رجب سنة اثنتين وستين، وتوفي يوم الخميس الحادي والعشرين من المحرم سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.

وعدته في مرضه وقد بلى وذهب لحمه، فقال لي: إن الله عز وجل لا يهتم في قضائه.

ذكر المصطفين من عباد بغداد المجهولين الأسماء

٣٤٤ - عابـد

عن أبى عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء قال: سمعت أبى يقول: كنت عند معروف فى مجلسه فدخل عليه رجل فقال: يا أبا محفوظ رأيت فى هذه الليلة عجبا، قال: وما رأيت رحمك الله؟ قال: اشتهى على أهلى سمكا فذهبت إلى السوق، فاشتريت لهم سمكة وحملتها مع حمال، فمشى معى، فلما سمعنا أذان الظهر قال الحمال: يا عم هل لك أن نصلى؟ فكأنه أيقظنى من غفلة، فقلت له: نعم نصلى.

فوضع الطبق، والسمكة عليه على مستراح، ودخل المسجد، فقلت فى نفسى، الغلام قد جاد بالطبق، أجود أنا أيضا بالسمكة، فلم يزل يركع حتى أقيمت الصلاة، فصلينا جماعة، وركع بعد الصلاة وخرجنا، فإذا الطبق على حاله موضوع فجئت إلى البيت وحدثت أهلى بهذا فقالوا لى: قل له يأكل معنا من هذا السمك، فقلت له: تأكل معنا من هذا السمك؟ فقال: أنا صائم، فقلت له: فأفطر عندنا، قال: نعم أرونى طريق المسجد، فأرته فدخل المسجد وجلس إلى أن صلينا المغرب فجئت إليه وقلت له: تقوم رحمك الله؟ فقال: أو نصلى عشاء الآخرة، فقلت فى نفسى هذه ثانية، يريد أن فيه خيرا، فلما صلينا جئت به إلى منزلى ولنا ثلاثة آيات: بيت فيه أنا وأهلى، وبيت فيه صبية مقعدة ولدت كذلك لها فوق العشرين سنة، وبيت كان فيه ضيفنا.

فبينما أنا مع أهلى إذ دق داق الباب فى آخر الليل، فقلت: من يدق الباب؟ فقالت: أنا فلانة، فقلت: فلانة قطعة لحم مطروحة فى البيت كيف يستوى لها أن تمشى؟ فقالت: أنا هى، افتحوا لى، ففتحنا لها فإذا هى، فقلت: أى شئ الخبر؟ فقالت: سمعتم تذكرون ضيفنا هذا بخير فوقع فى نفسى أن أتوسل إلى الله عز وجل به فقلت: اللهم بحق ضيفنا هذا وبجاهه عندك إلا أطلقت أسرى، فاستويت وقمت وأنا فى عافية كما ترونى.

فقممت إليه أطلبه فى البيت فإذا البيت خال ليس فيه أحد فجئت إلى الباب فوجدته مغلقا بحاله فقال معروف: نعم، فيهم صغار وكبار، يحيى الأولياء.

٣٤٥- عابده آخر مجذوم

أبو عبد الله البرائي قال: قال خلف البرزالي: أتيت برجل مجذوم ذاهب اليدين والرجلين أعمى، فجعلته مع المجذومين، فغفلت عنه أياما ثم ذكرته فقلت: يا هذا إني غفلت عنك فكيف حالك؟ فقال لي: حبيبي ومن أنا أحبه فقد أحاطت محبته بأحشائي فلا أجد لما أنا فيه من ألم مع محبته لا يغفل عني.

فقلت له: إني نسيت، فقال: إن لي من يذكرنني، وكيف لا يذكر الحبيب حبيبه وهو نصب عينيه تائه العقل واللب؟ قلت له: ألا أزوجك امرأة تنظفك من هذه الأقدار؟ قال: فبكي، ثم تنفس ورمى ببصره نحو السماء وقال: يا حبيب قلبي، ثم أغمى عليه.

فأفاق فقلت: ما تقول؟ فقال: كيف تزوجني وأنا مالك الدنيا وعروسها؟ قلت: أي شيء الذي عندك من ملك الدنيا وأنت ذاهب اليدين والرجلين، أعمى، تأكل كما تأكل البهائم؟ قال: وضي عني سيدي إذا أبلى جوارحي وأطلق لساني بذكره.

قال: فوقع مني بكل موقع فما لبث إلا يسيرا حتى مات، فأخرجت له كفنا فيه طول، فقطعت منه، فأتيت في منامي فقيل لي: يا خلف بخلت على ولي ومحبي بكفن طويل؟ قد ردنا عليك كفنتك وكفناه عندنا بالسندس والإستبرق، قال: فصرت إلى بيت الأكفان فإذا الكفن ملقى.

٣٤٦- عابده آخر

قال إبراهيم الأجرى الكبير: كنت يوما قاعدا على باب المسجد في يوم شات، إذ مر بي رجل عليه خرقتان، فظننت أنه من هؤلاء الذين يسألون، فقلت في نفسي: لو عمل هذا بيده كان خيرا له، قال: ومضى الرجل.

فلما كان الليل أتاني ملكان فأخذا بضبعي ثم أدخلاني المسجد الذي كنت على بابه قاعدا، فإذا رجل نائم عليه خرقتان، فكشف لي عن وجهه فإذا هو الذي مر بي، فقالا لي: كل لحمه، فقلت: ما اغتبه، قالوا لي: بلى حدثت نفسك بغيبته، ومثلك لا يرضى منه بمثل هذا.

قال: فاتبعت فرعا فمكثت ثلاثين يوما أقعد على باب المسجد لا أقوم إلا لفرض أنتظر أن يمر بي فاستحلته.

فلما كان بعد الثلاثين مر بي على حاله والخرقتان عليه، فوثبت إليه فغمز وغمزت خلفه،

فلما خفت أن يفوتني قلت: يا هذا قف أكلمك، قال: فالتفت إليّ ثم قال: يا إبراهيم وأنت أيضاً ممن يغتاب المؤمنين بقلبه؟ قال: فسقطت مغشياً عليّ، قال: فأفقت وهو عند رأسي فقال: أتعود؟ قلت: لا، ثم غاب عن عيني فلم أره بعد ذلك.

٣٤٧- عابد آخر

قال الجنيد: أرقّت ليلة فرمت السكون فما وجدته، ثم اجتهدت في قضاء ورد كان لي فلم أقدر، ثم عرضت على دراسة شيء من القرآن فلم أقدر، فوقع بي انزعاج شديد فأخذت ثوبي على كتفي ثم انصرفت وذاك آخر الليل.

فلما توسطت الدرب عثرت بإنسان ملتحف في عباء فرفع رأسه وقال: إلى الساعة؟ فقلت: سيدي عن موعد تقدم؟ فقال: لا ولكن سألت محرك القلوب أن يحرك لي قلبك، فقلت: قد فعل حاجة؟ قال: نعم، قلت: ما هي؟ قال: يا أبا القاسم متى يكون الداء دواء؟ فقلت: إذا خالفت النفس هواها صار داءها دواءها، قال: فتنفس وقال: قد أجبتها بهذا الجواب الليلة سبع مرات، فقالت: لا أو أسمع من جنيد، ها قد سمعت منه، ثم مضى فما رأيته بعد ذلك.

٣٤٨- عابد آخر

عبيد الله بن عبد الله قال: كنت عند الجنيد يوم قدم أبو حفص النيسابوري فوثب إليه الجنيد وعانقه، فقال للجنيد: دعني من المعانقة، عندك شيء تطعمني؟ فقال له: أي شيء تومي؟ فعين له على شيء يطبخ فالتفت الجنيد إلى ابن زيري فقال: قد سمعت، فمضى ابن زيري فغاب ساعة ثم عاد ومعه ما أراد، فقال الجنيد لأبي حفص: قد حضر ما ذكرت، فقال يا أخي قد أحببت أن أوثر به، أتساعدني؟ فقال له: أحب ما تحب، فقال الجنيد لابن زيري: قد سمعت فأنفذه إلى مستحق فأقبل ابن زيري إلى الحمال فقال:

امش بين يدي وحيث أعيت فقف، فمشى الحمال ساعة ووقف بين دارين فدق ابن زيري أقرب الدارين إلى الحمال فإذا نداء من داخل الدار: ادخل إن كان معك كذا وكذا وإلا فلا، وعين على ما كان مع الحمال، قال: ففتحت الباب فإذا شيخ قاعد، وخيش مرسل على باب، فوضعت ما كان مع الحمال بين يدي الشيخ وصرفت الحمال وقعدت.

فقال لي: وراء هذا الخيش صبيان وبنات يحتاجون إلى هذا الطعام، فقلت له: لا أنصرف أو تخبرني بالحال، فقال: هؤلاء الصبيان يسألوني هذا الطعام منذ مدة ولم تسامح نفسي أن

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى، فَوَجَدْتُ الْبَارِحَةَ مَسَامِحَةً أَنْ أَسْأَلَ فَجَعَلَتْ عَلَامَةً إِجَابَةً لِلَّهِ إِيَّايَ وَجُودَ الْمَسَامِحَةِ مِنَ السُّؤَالِ، فَلَمَّا دَقَّقْتُ الْبَابَ عَلِمْتُ مَا مَعَكَ.

٣٤٩- عابد آخر من بعض قرى بغداد

بلغنا عن جنيد قال: سمعت السري بن مغلّس يقول: إن في قرية بغداد لأولياء لا يعرفهم الخلق، قال: وكنت أدور في القرى لعلّي أجد منهم واحدا فبينما أنا يوما في بعض القرى دخلت مسجدا فرأيت فيه شابا ساكتا فتقدم إليّ وقال لي أتأذن أن أسألك مسألة؟ فقلت: هات، فقال: مسألة، فسأل مسألة من أحوال القلب دقيقة فأجبتة فقلت له: يقع لك مثل هذه المسألة؟ فقال: كثير، فقلت: كيف تعمل؟ قال: أنا إنسان قد لازمت هذا الموضع، فإذا وقع لي مثل هذه المسألة قيض الله لي وليا مثلك فيجيبني، فعلمت صدق قول السري.

٣٥٠- عابد آخر

أبو جعفر السقاء قال: خرجت يوما من بيتي في يوم مطير، فإذا أسود مطروح على المذيلة مريض فجررته فأدخلته إلى بيتي، فلما أمسينا دعاني قال: يا أبا جعفر لا تفسد ما صنعت، اقعد عندي، قال: وفاح البيت بريح المسك، وصار ريح جيتي وكسائي وجرتي وكوزي وكل شيء في البيت ريح المسك.

قال: فقال: اقعد عندي، قال: ثم قال بيده هكذا، لا تضيق على جلسائي، قال: فسمعتة يقول: «أندك أندك، يا بار خداه، ارفق بي يا مولاي» قال: ثم خرجت نفسه. قال: قلت أبيع كسائي، وأبيع جيتي فأشترى له كفنًا، قال: فطرق بابي قريب من سبعين إنسانا، كل يقول: يا أبا جعفر مات عندك إنسان يحتاج إلى كفن.

٣٥١- عابد آخر

عن أبي الحسين بن خيرون صاحب أبي بكر بن عبد العزيز قال: قال لي أبو بكر بن عبد العزيز:

كنت مع أستاذي، يعني أبا بكر الخلال، وأنا غلام مشد، فاجتمع جماعة يتذاكرون بعد عشاء الآخرة، فقال بعضهم لبعض: أليس مقبل يعني رجلا أسود كان ناطورا بباب حرب لنا مدة ما رأيناه؟ فقاموا يقصدونه، وقال لي أستاذي، يعني الخلال: لا تبرح، احفظ الباب. فتركهم حتى مضوا وأغلقت الباب وتبعهم فلما بلغنا بعض الطريق قال أستاذي: هو ذا

لرى وراءنا شخصا آخر، قفوا فقالوا لى: من أنت؟ فأمسكت فرعا من أستاذى، فقال أحدهم لأستاذى: بالله عليك إلا تركته، فتركتى، ومضيت معه فدخلنا إلى قراح فيها باذنجان مملوء والأسود قائم يصلى فسلموا وجلسوا إلى أن سلموا وأخرج كيسا فيه كسر يابسة وملح جريش، قال: كلوا فاكلوا، وتحدثوا وأخذوا يذكرون كرامات الأولياء وهو ساكت.

فقال واحد من الجماعة: يا مقبل قد زرنك فما تجدثنا بشىء؟ فقال: أى شىء أنا؟ وأى شىء عندى أحدثك؟ أنا أعرف رجلا لو سأل الله تعالى أن يجعل هذا القراح الباذنجان ذهباً لفعل.

فوالله ما استتم الكلام حتى رأينا القراح يتقد ذهباً، فقال له أستاذى، يعنى الخلال: يا مقبل، لأحد سبيل أن يأخذ من هذا القراح أصلاً واحداً؟ فقال له: خذ وكان القراح مسقياً، فأخذ أستاذى الأصل فقلعه بعروقه وجميع ما فيه ذهباً، فوقعت من الأصل باذنجانة صغيرة وشىء من الورق، فأخذته وبقياه معى إلى يومى.

قال: ثم صلى ركعتين وسأل الله تعالى فعاد القراح كما كان، وعاد مكان ذلك الأصل أصل باذنجان آخر.

٣٥٢- عابد آخر

محمد بن داود الرقى قال: كنت مارا ببغداد وإذا بعض الفقراء يمر فى الطريق وإذا مغن يغنى ويقول:

أمد كفى بالخصوع إلى الذى جـاد بالصنيع
قال فشهو الفقير شهقة خر ميتا

قال المؤلف: وقد رويت لنا عن الرقى عن غيره.

الحسين بن محمد قال: سمعت الرقى يقول: سمعت العسقلانى يقول: كنت مارا ببغداد فإذا أنا ببعض الفقراء مارا فى الطريق ومغن يغنى ويقول:

أمد كفى بالخصوع إلى الذى جـاد بالصنيع
قال: فشهو الفقير شهقة خر ميتا.

٣٥٣- عابد آخر

بلغنا عن أبى الصوفى قال: دخلت فى يوم عيد على بعض مشايخنا فرأيت عنده خلا وهندباء فاشتغل قلبى وخرجت فدخلت على بعض أهل الدنيا فأخبرته فدفع إلى صرة فيها

دراهم وقال: احملها إليه، فقلت: جئت بها لتستعين بها على وقتك، قال: وما الذى رأيت من حالى؟ قلت له: رأيت عندك خلا وهندبا فقال: كأنك اعتقدت ذلك لو كان فى بيتى امرأة كنت تفتقدها قم فوالله لا كلمتك شهرا.

فخرجت فضرب الباب فى وجهى فسال الدم، فأتيته الشبلى فقلت له يا أبا بكر: رجل مشى فى طاعة الله فانفتح وجهه ما سبب هذا؟ فقال: لعله أراد أن يأتى إلى شىء صاف يكدره.

٣٥٤- عابد آخر

عن أبى الحسين بن سمعون قال: اجتزت يوما على الصراة فرأيت امرأة تلتقط ورق البقل الذى يأتى على الماء فقلت: لا شك أن هذه امرأة فقيرة، فوقفت حتى رجعت، فتبعتها، فأنت إلى دار فدخلت فرجعت إلى بيتى، فما استقر بى المنزل حتى أتانى خادم معه دنانير ودراهم فقال: ادفع هذا إلى محتاج.

فأخذته وقمت فأتيته بيت المرأة فطرقت الباب فخرج رجل من خواص مجلسى ومن الملازمين لى، فلما رآنى قال: ما لك هكذا؟ فقلت: جئتكم بهذه الدنانير تستعينون بها على الوقت، فنظر إلى مغضبا وقال: يا شيخ تحذرنا من الدنيا وتأتينا بها، ثم رد الباب فى وجهى ودخل فرجعت منكسرا إلى بيتى.

ثم قلت فى نفسى: لا بد أن أعود إليه فأعتذر، فأتيته فى اليوم الثانى، فطرقت الباب مرارا فلم يجبنى أحد، وإذا امرأة من الجيران تقول: ما لك يا رجل؟ فقلت لها: ما فعل أهل هذه الدار؟ فقالت: كان فى هذه الدار رجل مع والدته، وكنا نتبرك بهما فجاء بالامس شيطان فكلمهم بما كرهوا فانتقلوا عنا.

قال: فعدت وأنا شديد الحزن على ما فعلت، وجعلت أتفقد مجلسى ولا أرى الرجل. فلما كان يوم عرفة وأنا أتكلم على الناس رأيته فى أواخرهم، فلما انقضى المجلس مضيت إليه وسلمت عليه فرد على وقال: لا تعد ما فات، ولا تقل شيئا، فلولا أنى أعتقد كلامك دواء لقلبى لم أحضر وإنما غبت عنك لأننا انتقلنا إلى مكان آخر حتى لا نعرف، فقلت: ما أتيت إلا معتذرا وما أعود، ثم فارقت.

ذكر المصطفين من عقلاء المجانين ببغداد

٣٥٥- سعدون المجنون

قال يحيى بن أيوب: خرجت يوماً إلى مقابر باب خراسان، ثم جلست في موضع أرى منه من يدخل المقابر، فنظرت إلى رجل دخل المقابر مقنعا فجعل يجول في المقابر كلما رأى قبرا محفورا أو منخفضا وقف عليه وبكى.

فقلت رجاء أن أنتفع به، فلما صرت إليه إذا هو سعدون المعتوه وكان يكون في كوخ مقابر عبد الله بن مالك، فقلت له: يا سعدون أى شيء تصنع؟ فقال: يا يحيى هل لك فى أن تجلس فنبكى على بلى هذه الأبدان قبل أن تبلى فلا يبكى عليها باك؟ ثم قال: يا يحيى البكاء من القدوم على الله عز وجل أولى بنا من البكاء على بلى الأبدان ثم قال: يا يحيى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ ثم صاح صيحة شديدة وقال: واغوثاه بالله مما يقابلنى فى الصحف، قال يحيى: فغشى على فأفقت وهو جالس يمسح وجهه بكفه وهو يقول: يا يحيى من أشرف منك لو مت؟

قال الفتح بن شخرف: كان سعدون صاحب محبة لله، صام ستين سنة حتى خف دماغه فسماه الناس مجنونا لتردد قوله فى المحبة فغاب عنا زمانا فبينما أنا قائم على حلقة ذى النون رأيت عليه جبة صوف وعليها مكتوب: لا تباع ولا تشتري، فسمع كلام ذى النون فصرخ وأنشأ يقول:

ولا خير فى شكوى إلى غير مشتكى ولا بد من سلوى إذا لم يكن صبر

أحمد بن عبد الله بن ميمون قال: سمعت ذا النون المصرى يقول: خرج الناس إلى الاستسقاء بالبصرة فخرجت فيمن خرج فيينا أنا مار بين الناس إذا بيدين قبضتا على رجلي فقلت: من أنت؟ خل عني، فقال: أنا سعدون المجنون أين تريد يا أبا الفيض؟ قلت: أريد المصلى أدعو الله تعالى فقال: بقلب سماوى أو بقلب جاف؟ فقلت: بقلب سماوى، قال: انظر يا ذا النون لا تبهرج، فإن الناقد بصير، وقال تدعو الله وأؤمن على دعائك أو أدعو الله وتؤمن على دعائي؟ فقلت تدعو أنت وأؤمن عليه.

قال: فصف قدميه ثم قال: إلهى بحق البارحة إلا أمطرتنا، قال ذو النون: لقد رأيت الغيوم قد ارتفعت عن اليمين والشمال حتى التقت، فجاءنا المطر كأفواه العزالي، فقلت له:

بحق معبودك أى شىء كان بينك وبين الله البارحة؟ فقال لى: لا تدخل بينى وبين قرّة عيني، قلت: لا بد أن تخبرنى فأنشأ يقول:

أنستُ به فلا أبغى سواه مخافة أن أضل فلا أراه

فحسبك حسرة وضنى وسقما بطردك عن مجالس أوليائه

قال ذو النون: رأيت سعدونا فى المقبرة فى يوم حار، وهو يناجى ربه عز وجل بصوت عال ويقول: أحد أحد، فاتبعته فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له: بحق من تناجيه إلا وقفت لى وقفة، فوقف وقال لى: قل وأوجز، فقلت: أوصنى بوصية أحفظها عنك أو تدعو لى بدعوة فقال:

يا طالب العلم ههنا وههنا ومعدن العلم بين جنبيكا

إن كنت تبغى الجنان تدخلها فأذرف الدمع فوق خديكا

وقم إذا قام كل مجتهد وادع لكيما يقول: لبيكا

قال: ثم مضى فقال: يا غياث المستغيثين أغثنى، قلت له: ارفق بنفسك، فلعله يلحظك بلحظة فيغفر لك، فنفض يده من يدى وعدا يقول:

أنستُ به فلا أبغى سواه مخافة أن أضل فلا أراه

فحسبك حسرة وضنى وسقما بطردك عن مجالس أوليائه

قال الأصمعى: مررت بسعدون المجنون فإذا هو جالس عند رأس شيخ سكران يذب عنه، فقلت له: سعدون ما لى أراك جالسا عند رأس هذا الشيخ؟ فقال: إنه مجنون، فقلت له: أنت المجنون أو هو؟ قال: لا بل هو، قلت: من أين قلت ذلك؟ قال: لأنى صليت الظهر والعصر جماعة وهو لم يصل جماعة ولا فرادى، فقلت له: فهل قلت فى ذلك شيئاً؟ فأنشأ يقول:

تركت النبيذ لأهل النبيذ وأصبحت أشرب ماء قراحا

لأن النبيذ يذل العزیز ويكسو الوجوه النضار الصباحا

فإن كان ذا جاترا للشباب فما العذر فيه إذا الشيب لاحا؟

فقلت له: صدقت، وانصرفت.

قال صالح المرى: قرأت بين يدى سعدون المجنون: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾

فصرخ ثم قال ملاح والله، ثم أنشأ يقول:

إن فى الخلد جارية هى حسن كما هيه
لو تراها على النمما رق بالغنج ماشيه
لتمنيت أنها لك ما عشت بأقيه
كتبت فى شقائق الخد سطرأ بغالييه
أنا للزاهد الذى عينه الدهر باكويه

٣٥٦- بهلول

سرى السقطى قال: اجتزت يوما بالمقابر فإذا أنا بهلول قد دلى رجله فى قبر وهو يلعب بالتراب، فقلت: أنت ههنا؟ قال: نعم أنا عند قوم لا يؤذونى، وإن غبت عنهم لا يغتابونى، فقلت: يا بهلول، الخبز قد غلا، فقال: والله ما أبالى ولو حبة بمثقال: إن علينا أن نعبده كما أمرنا وأن يرزقنا كما وعدنا، ثم ولى عنى وهو يقول:

يا من تمتع بالدنيا وزيتها ولا تنام عن اللذات عيناها
أفنت عمرك فيما لست تدركه تقول لله ماذا حين تلقاه

عن سرى السقطى قال: خرجت يوما إلى المقابر فرأيت بهلولاً قد دلى رجله فى قبر وهو يعبث بالتراب، فقلت له: أى شىء تصنع ههنا؟ فقال: أنا عند قوم لا يؤذونى، وإن غبت عنهم لا يغتابونى، فقلت: لا تكون جائعا؟ فولى وأنشأ يقول:

نجوع فإن الجوع من علم التقى وإن طويل الجوع يوما سيثبع

فقلت له: إن الخبز قد غلا، فقال: والله ما أبالى ولو بلغت حبة بمثقال، علينا أن نعبده كما أمر، وعليه أن يرزقنا كما وعد، ثم ولى وهو يقول:

أف للدنيا فليست لى بدار إنمنا الراحة فى دار القرار
أبت الساعات إلا سرعة فى بلى جسمى بليل ونهار

عن الفضل بن الربيع قال: حججت مع هارون الرشيد، فمررنا بالكوفة فلإذا بهلول المجنون يهذى، فقلت: اسكت فقد أقبل أمير المؤمنين، فسكت فلما حاذاه الهودج قال: يا أمير المؤمنين حدثنى أيمن بن نابل قال: أنبأنا قدامة بن عبد الله العامرى قال: رأيت النبى ﷺ بمنى على جمل وتحت رجل رث فلم يكن ثم طرد ولا ضرب، ولا إليك إليك، قلت: يا أمير المؤمنين إنه بهلول المجنون، قال: قد عرفته، قل يا بهلول، فقال: يا أمير المؤمنين:

هب أنك قد ملكت الأرض طرا ودان لك البلاد فكان ماذا؟

أليس غدا مصيرك ترب ويحشو الترب هذا ثم هذا؟
 قال: أجدت يا بهلول، أغيره؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، من رزقه الله جمالا ومالا
 فعف في جماله، واتقى في ماله، كتب في ديوان الأبرار.
 قال: فظن أنه يريد شيئا، قال: فلما قد أمرنا بقضاء دينك، قال: لا تفعل يا أمير
 المؤمنين، لا تقض دينا بدين، اردد الحق إلى أهله واقض دين نفسك من نفسك.
 قال: إنا قد أمرنا أن تُجرى عليك جناية قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، لا يعطيك
 وينساني، أجرى على الذي أجرى عليك، لا حاجة لى فى جرايتك.

٣٥٧- مجنون آخر يقال له أبو على (المعتوه)

خلف بن سالم قال: قلت لأبى على المعتوه، وكان ينزل فى الخرم: يا أبا على ألك
 مأوى؟ قال: نعم، قلت: وأين مأواك؟ قال: فى دار يستوى فيها العزيز والذليل، قال: قلت
 له: وأين هذه الدار؟ قال: المقابر، قلت: يا أبا على ما تستوحش فى ظلم الليل؟ قال: إنى
 أكثر ذكر ظلم اللحد ووحشته، فهو على ظلم الليل، قلت له: فرما رأيت فى المقابر شيئا
 تنكره: قال: ربما، ولكن فى هول الآخرة ما يشغل عن هول المقابر.
 قال الأشهلى: قلت لأبى: يا أبة، مثل هذا الكلام الجيد الصحيح يتكلم به مجنون؟ قال:
 يا بنى هؤلاء قوم كان لهم فضل، ودين ومعرفة فزالت عقولهم وبقي ذلك الفضل، فلم يختلط
 فيما اختلط.

٣٥٨- مجنون آخر

أبو بكر الشبلى قال: رأيت يوم الجمعة معتوها عند جامع الرصافة قائما عريانا وهو يقول:
 أنا مجنون الله، أنا مجنون الله، فقلت له: لم لا تدخل الجامع وتوارى وتصلى؟ فأشدد:
 يقولون زرنا واقض واجب حقنا وقد أسقطت حالى حقوقهم عنى
 إذا هم رأوا حالى ولم يأنفوا لها ولم يأنفوا منها أنفت لهم منى

٣٥٩- مجنون آخر

قال لى ابن القصاب الصوفى البغدادى: دخلنا جماعة إلى المارستان، فرأينا فيه فتى
 مصابا شديد الهوس، فولعنا به، وزدنا فى الولع فأتعبناه فصاح وقال: أنظر إلى شعور مطررة
 وأجساد معطرة، قد جعلوا الولع بضاعة، والسخف صناعة، جانبوا العلم رأسا، فقلنا له:
 تحسن العلم؟ نسألك، فقال: أى والله إننى لأحسن علما جما فسلونى.

فقلت له: من السخى فى الحقيقة؟ فقال: الذى رزق أمثالكم وأنتم لا تساوون قوت يوم، فضحكنا وقلنا: من أقل الناس شكرا؟ قال: من عوفى من بلية فرآها فى غيره فترك العبرة والشكر الى الطنز واللهو، فكسر قلوبنا بذلك.

فقال له آخر: ما الظرف؟ قال: خلاف ما أنتم عليه، ثم بكى وقال: يا رب إن لم ترد علىّ عقلى فرد على يدي لعلى كنت أصفع واحدا من هؤلاء. فتركناه وانصرفنا.

ذكر المصطفيات من عابدات بغداد

٣٦٠- جوهرة العابدة البرائية

نزلت برائا مع زوجها أبى عبد الله البرائى .

حكيم بن جعفر قال: كانت جوهرة امرأة أبى عبد الله البرائى جارية لبعض الملوك فعتقت فخلعت الدنيا ولزمت أبأ عبد الله البرائى ، فتزوج بها وتعبدت .

أبو عبد الله البرائى قال: قالت لى جوهرة يوما: يا أبأ عبد الله ، النساء يحلين فى الجنة إذا دخلنهن؟ قلت: نعم ، قال: فصاحت صيحة غشى عليها ، فلما أفاقت قلت: ما هذا الذى أصابك؟ قالت: ذكرت حالى تلك وما كنت قد نلت من الدنيا فخشيت والله حرمان الآخرة .

أبو عبد الله البرائى قال: رأت جوهرة فى منامها خياما مضروبة فقالت: لمن ضربت هذه الخيام؟ ف قيل: للمجتهدين بالقرآن ، فكانت بعد ذلك لا تنام .

عن أبى عبد الله البرائى قال: كانت جوهرة تنبهنى من الليل وتقول: يا أبأ عبد الله «كاروان رفت» معناه: قد سارت القافلة .

حكيم بن جعفر قال: كنا نأتى أبأ عبد الله بن أبى جعفر الزاهد ، وكان يسكن برائا ، وكانت له امرأة متعبدة يقال لها جوهرة ، وكان أبو عبد الله يجلس على جلة خوص بحرانية ، وجوهرة جالسة حذاءه على جلة أخرى مستقبلة القبلة فى بيت واحد .

قال: فأتيناه يوما وهو جالس على الأرض ليست الجلة تحته ، فقلنا: يا أبأ عبد الله ، ما فعلت بالجلة التى كنت تقعد عليها؟ قال: إن جوهرة أيقظتنى البارحة فقالت: أليس يقال فى الحديث: إن الأرض تقول لابن آدم، تجعل بينى وبينك سترا وأنت غدا فى بطنى؟ قال: قلت: نعم ، قالت: فأخرج هذه الجلال لا حاجة لنا فيها ، فقمتم والله فأخرجتها .

٣٦١- زوجة أبى شعيب البرائى العابد

الجنيد بن محمد قال: كان أبو شعيب البرائى أول من سكن برائا فى كوخ يتعبد فيه ، فمرت بكوخه جارية من بنات الكبار من أبناء الدنيا ، كانت رببت فى قصور الملوك ، فنظرت إلى أبى شعيب فاستحسنته حاله ، وما كان عليه ، فصارت كالأسيرة له فعزمت على التجرد من الدنيا والانصال بأبى شعيب .

فجاءت إليه وقالت: أريد أن أكون خادمة، فقال لها: إن أردت فغيري هيتك، وتجردى عما أنت فيه حتى تصلحى لما أردت، فتجردت عن كل ما تملكه ولبست لبسة النساك وحضرته، فتزوجها.

فلما دخلت الكوخ رأت قطعة خصاف كانت مجلس أبي شعيب، تقيه من الندى فقالت: ما أنا مقيمة فيه، حتى تخرج ما تحتك لأنى سمعتك تقول: إن الأرض تقول لابن آدم: تجعل اليوم بينى وبينك حجابا وأنت غدا فى بطنى؟ فما كنت لأجعل بينى وبينها حجابا. فأخذ أبو شعيب الخصاف ورمى بها، فمكثت معه سنين كثيرة يتعبدان أحسن عبادة، وتوفيا على ذلك متعاونين.

قال المؤلف: قد ذكرنا عن جوهرة العابدة مثل هذه الحكاية، وهذا قد اتفق لهاتين المرأتين، فلا نظن أن الحكائيتين واحدة.

٣٦٢- أخوات بشر الحافى

وهن ثلاث: مضغة، ومخة، وزبدة، بنات الحارث، وأكبرهن مضغة.

قال السلمى: أخوات بشر مخة وزبدة ومضغة.

وكانت زبدة تكنى أم على.

وكانت «مضغة» أخت بشر أكبر منه، وماتت قبله، وقيل: لما ماتت مضغه توجع عليها بشر توجعا شديدا وبكى بكاء كثيرا، فقبل له فى ذلك فقال: قرأت فى بعض الكتب أن العبد إذا قصر فى خدمة ربه سلبه أنيسه، وهذه كانت أنيستى من الدنيا.

قال الخطيب: وذكر إبراهيم الحربى أن بشرا قال: هذا يوم ماتت أخته مخة، والله أعلم.

أبو عبد الله بن يوسف الجوهري قال: سمعت بشر بن الحارث يوم ماتت أخته يقول: إن العبد إذا قصر فى طاعة الله عز وجل سلبه من يؤنسه.

أبو عبد الله القحطبي قال: كان لبشر أخت صوامة قوامة.

غيلان القصائدى قال: قال بشر بن الحارث تعلمت الورع من أختى، فإنها كانت تجتهد ألا تأكل ما للمخلوق فيه صنع.

عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كنت مع أبى يوما فى الأيام فى المنزل، فدق داق الباب فقال لى: اخرج فانظر من بالباب؟ فخرجت فإذا سراًة فقالت لى: استأذن لى على أبى عبد الله: قال: فاستأذنته، قال: أدخلها.

قال: فدخلت فسلمت عليه، وقالت له: يا أبا عبد الله، أنا امرأة أغزل بالليل في السراج فربما طفئ السراج فأغزل في القعر فعلى أن أبين غزل القمر من غزل السراج؟ قال: فقال لها: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك، قال: قالت: يا أبا عبد الله أنين المريض شكوى؟ قال: أرجو ألا يكون، ولكنه اشتكاء إلى الله عز وجل.

قال فودعته وخرجت: فقال: يا بني ما سمعت قط إنسانا عن مثل هذا، اتبع هذه المرأة فانظر أين تدخل؟ قال: فاتبعها، فإذا قد دخلت إلى بيت بشر بن الحارث وإذا هي أخته قال: فرجعت فقلت له، فقال: محال أن تكون مثل هذه إلا أخت بشر.

قال المصنف: قلت: هذه المرأة التي سألت أحمد هي مخة وقد نقلت عنها حكاية سميت فيها تشبه هذه الحكاية.

عبد الله بن أحمد بن حنبل ببغداد قال: جاءت مخة أخت بشر بن الحارث إلى أبي فقالت: إني امرأة رأس مالي دانقان، أشتري القطن فأغزله وأبيعه بنصف درهم، فأنقوت بدانق من الجمعة، فمر ابن طاهر الطائف ومعه مشعل، فوقف يكلم أصحاب المسالح فاستغنمت ضوء المشعل فغزلت طاقات، ثم غاب عني المشعل، فعلمت أن الله فيّ مطالبة، فخلصني خلصك الله، فقال لها: تخرجين الدانقين ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيرا منه. قال عبد الله: قلت لأبي: يا أبة، لو قلت لها لو أخرجت الغزل الذي أدرجت فيه الطاقات؟ فقال: يا بني سؤالها لا يحتمل هذا التأويل، ثم قال: من هذه؟ قلت: مخة أخت بشر بن الحارث، فقال: من ههنا أتيت.

قرأت بخط أبي علي الراذاني قال: كانت مخة من بين أخوات بشر تقصد أحمد بن حنبل وتسأله عن الورع والتقشف، وكان أحمد يعجب بمسائلها.

السلمي قال: قالت زبدة أخت بشر: أثقل شيء على العبد الذنوب، وأخفه عليه التوبة، فما له يدفع أثقل شيء بأخف شيء؟

٣٦٣- امراة عبد الله بن الفرّج العابد

أبو بكر محمد بن الحسين الآجري قال: بلغني أن عبد الله بن الفرّج لما مات لم تُعلم زوجته إخوانه بموته، وهم جلوس بالباب ينتظرون الدخول عليه في علة فغسلته وكفنته في كساء له وأخذت فردّ باب من أبواب بيته وجعلته فوقه وشدته بشريط ثم قالت لإخوانه: قد مات وقد فرغت من جهازه.

فدخلوا واحتملوه إلى قبره وأغلقت الباب خلفهم.

٣٦٤- ميمونة اخت إبراهيم بن أحمد الخواص لأمه

كانت تسلك مسلك أخيها إبراهيم في الزهد والتقلل والورع والتوكل .
أحمد بن سالم قال: دق داق باب إبراهيم الخواص، فقالت له أخته: من تطلب؟
فقال: إبراهيم الخواص، فقالت: قد خرج، فقال: متى يرجع؟ فقالت: من روحه بيد غيره من
يعلم متى يرجع؟

٣٦٥- مؤمنة بنت بهلول

عيسى بن إسحاق الأنصاري قال: سمعت مؤمنة بنت بهلول تقول: ما النعيم إلا في
الأنس بالله، والموافقة لتديره .

٣٦٦- أم عيسى بنت إبراهيم الحربي

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ذكر لى أن أم عيسى بنت إبراهيم الحربي كانت فاضلة
عالمة تفتى في الفقه، ودُفنت إلى جنب أبيها إبراهيم والسلام .

٣٦٧- أمة الواحد بنت القاضي أبي عبد الله

الحسين بن إسماعيل المحاملي

أبو بكر البرقاني قال: كانت بنت المحاملي تفتى مع أبي علي بن أبي هريرة .
أبو الحسن الدارقطني قال: أمة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل بن محمد القاضي
المحاملي سمعت أباها، وإسماعيل بن العباس الوراق، وعبد الغافر بن سلامة الحمصي، وأبا
الحسن المصري، وحمزة الهاشمي الإمام وغيرهم .
وحفظت القرآن والفقه على مذهب الشافعي، والفرائض وحسابها والنحو، وغير ذلك من
العلوم وكانت فاضلة في نفسها، كثيرة الصدقة مسارعة في الخيرات وحدثت وكُتِبَ عنها
الحديث .

وتوفيت في رمضان من سنة سبع وسبعين وثلاثمائة .

ذكر المصطفيات من العابدات البغداديات المجهولات الأسماء

٣٦٨ - عابدة

نوح الأسود قال: رأيت امرأة تأتي أبا عبد الله البرائي فتجلس تسمع كلامه، ولا تكاد تتكلم ولا تسأل عن شيء، فقلت لها ذات يوم: لا أراك - يرحمك الله - تتكلمين ولا تسألين عن شيء؟ فقالت: قليل الكلام خير من كثيره، إلا ما كان من ذكر الله، والمنصف أفهم للموعظة، ولن ينصحك امرؤ لا ينصح نفسه، وجملة الأمر يا أخى: إن أردت الله بطاعة أراك الله برحمة، وإن سلكت سبيل المعرضين فلا تلم إلا نفسك إذا صرت غداً في زمرة الخاسرين.

قال: ثم استبكت فقامت، وسمعتها تعظ ابنها يوماً وتقول:

ويحك يا بنى، احذر بطالات الليل والنهار، فتتقضى مهلات الأعمار وأنت غير ناظر لنفسك، ولا مستعد لسفرك، ويحك يا بنى، ما من الجنة عوض، ولا فى ركوب المعاصى ثمن من حلول النار، ويحك يا بنى، مهد لنفسك قبل أن يحال بينك وبين ذلك، وجد قبل أن يجد الأمر بك، واحذر سطوات الدهر وكيد الملعون عند هجوم الدنيا بالفتن وتقلبها بالعبر، فعند ذلك يهتم التقى كيف ينجو من مصائبها.

ثم قالت: يؤسا لك يا بنى إن عصيت الله وقد عرفته وعرفت إحسانه، وأطعت إبليس وقد عرفته وعرفت طغيانه.

٣٦٩ - عابدة أخرى

غيلان صاحب السرى قال: كان لسرى تلميذة وكان لها ولد عند المعلم فى الكتاب، فبعث به المعلم إلى الرحى فنزل الصبى فى الماء فغرق.

فجاء المعلم إلى سرى فأخبره بذلك فقال سرى: قوموا بنا فمضوا إلى أمه فجلس عندها وتكلم سرى فى علم الصبر إلى حد ما، ثم تكلم عليها فى علم الرضا، فقالت له: يا أستاذى وأى شيء تريد بهذا؟ فقال لها: إن ابنك قد غرق، فقالت: ابنى؟ قال لها: نعم، فقالت: إن ربي عز وجل ما فعل هذا، ثم عاد سرى فى كلامه فى الصبر، فقالت: قوموا بنا.

فقاموا معها حتى انتهوا إلى النهر فقالت: أين غرق؟ فقالوا: ههنا، فصاحت: ابني محمد، فأجابها: لييك يا أماء، ففزلت فأخذت بيده ومضت به إلى منزلها.

قال غيلان: فالتفت سرى إلى الجنيد وقال: أى شيء هذا؟ فقال جنيد: أقول بمقال سرى قال: إن المرأة مراعية لما لله عز وجل عليها وحكم من كان مراعيًا لما لله عز وجل عليه: ألا تحدث حادثة حتى يعلم بذلك، فلما لم تكن حادثة تعلمها بذلك فأنكرت وقالت: إن ربى (عز وجل) ما فعل هذا.

٣٧٠- عابدة أخرى

أبو الحسن البحراني صاحب إبراهيم الخواص، قال: سألت امرأة من المتعبدات إبراهيم الخواص عن تغير وجدته في قلبها وتغير وجدته في حالها، فقال لها: عليك بالتفقد، فقالت: قد تفقدت فما رأيت شيئًا، فأطرق الخواص ساعة ثم رفع رأسه وقال: أما تذكرين ليلة المشعل؟ فقالت: بلى، فقال: هذا التغير من ذلك.

فبكت وقالت: نعم، كنت أغزل فوق السطح فانقطع خيطى فمز مشعل للسلطان فغزلت في ضوءه خيطا، ثم أدخلت ذلك الخيط في غزل ونسجت منه قميصا ولبسته.

ثم قامت إلى ناحية فنزعت القميص وقالت: يا إبراهيم إن أنا بعته وتصدقت بثمانه يرجع قلبى إلى الصفاء؟ فقال: إن شاء الله تعالى ذلك.

٣٧١- عابدتان ببغداد

بلغنى أنه كان ببغداد رجل بزاز له ثروة، فبينما هو فى حانوته أقبلت إليه صبية فالتصقت منه شيئًا تشتريه، فبينما هى تحادثه كشفت وجهها فى خلال ذلك، فتحير وقال: قد والله تحيرت مما رأيت، فقالت: ما جئت لأشتري شيئًا، إنما لى أيام أتردد إلى السوق ليقع بقلبى رجل أتزوجه، وقد وقعت أنت بقلبى، ولى مال، فهل لك فى التزوج بى؟ فقال لها: لى ابنة عم وهى زوجتى، وقد عاهدتها ألا أغيرها، ولى منها ولد، فقالت: قد رضيت أن تجيء إلى فى الأسبوع نوبتين، فرضى، وقام معها فعقد العقد ومضى إلى منزلها فدخل بها.

ثم ذهب إلى منزله فقال لزوجته: إن بعض أصدقائى قد سألنى أن أكون الليلة عنده، ومضى فبات عندها، وكان يمضى كل يوم بعد الظهر إليها.

فبقى على هذا ثمانية أشهر، فأنكرت ابنة عمه أحواله فقالت لجارية لها: إذا خرج فانظرى أين يمضى؟ فتبعته الجارية، فجاء إلى الدكان فلما جاء الظهر قام وتبعته الجارية وهو

لا يدري، إلى أن دخل بيت تلك المرأة، فجاءت الجارية إلى الجيران فسألتهن لمن هذه الدار؟ فقالوا: لصيبة قد تزوجت برجل تاجر بزاز، فعادت إلى سيدتها فأخبرتها فقالت لها: إياك أن يعلم بهذا أحد، ولم تظهر لزوجها شيئاً.

فأقام الرجل تمام السنة ثم مرض ومات، وخلف ثمانية آلاف دينار فعمدت المرأة التي هي ابنة عمه إلى ما يستحقه الولد من التركة وهو سبعة آلاف دينار وقسمت الألف الباقية نصفين وترك النصف في كيس وقالت للجارية، خذي هذا الكيس واذهبي إلى بيت المرأة وأعلميها أن الرجل مات وقد خلف ثمانمائة ألف دينار، وقد أخذ الابن سبعة آلاف بحقه، وبقيت ألف فقسمتها بيني وبينك وهذا حقك، وسلميه إليها.

فمضت الجارية فطرقت عليها الباب ودخلت وأخبرتها خبر الرجل وحدثها بموته وأعلمتها الحال فبكت، وفتحت صندوقها وأخرجت منه رقعة وقالت للجارية: عودي إلى سيدتك وسلمي عليها عني، وأعلميها أن الرجل طلقني وكتب لي براءة، وردى عليها هذا المال فإني ما أستحق في تركته شيئاً.

فرجعت الجارية فأخبرتها بهذا الحديث.

انتهى ذكر أهل بغداد

تم الجزء الأول من كتاب

صفة الصفة

فهرس الموضوعات الجزء الأول منه صفة الصفوة

| الموضوع | الصفحة | الموضوع | الصفحة |
|--|--------|---|--------|
| مقدمة التحقيق | ٥ | ذكر طرف مما لافى رسول الله ﷺ | |
| مقدمة المؤلف | ٩ | من أذى المشركين وهو صابر | ٤٢ |
| باب ذكر فضل الأولياء الصالحين | ١٧ | ذكر معراجهم ﷺ | ٤٤ |
| باب ذكر نبينا محمد ﷺ ... | ١٩ | ذكر أمر رسول الله ﷺ أصحابه | |
| ذكر طهارة آبائه وشرفهم | ١٩ | بالحجرة إلى أرض الحبشة | ٤٧ |
| ذكر تزويج عبد الله آمنه بنت وهب | ١٩ | ذكر مقدار إقامة رسول الله ﷺ بمكة | |
| ذكر حمل أمية برسول الله ﷺ | ٢١ | بعد النبوة | ٤٧ |
| ذكر وفاة عبد الله | ٢١ | ذكر عرض رسول الله ﷺ نفسه | |
| ذكر مولد رسول الله ﷺ | ٢٢ | بالموقف على الناس لينصروه | ٤٧ |
| ذكر أسماء رسول الله ﷺ | ٢٣ | ذكر العقبة وكيف جرى | ٤٨ |
| ذكر من أرضعه | ٢٤ | ذكر هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة | ٥٠ |
| ذكر وفاة أمه آمنه | ٢٧ | حديث أم معبد | ٥٥ |
| ذكر ما كان من أمره ﷺ بعد وفاة أمه آمنه | ٢٧ | ذكر ما جرى لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة | ٥٨ |
| ذكر كفالة أبى طالب النبی ﷺ | ٢٨ | ذكر عمومة رسول الله ﷺ | ٥٨ |
| حديث بحيرا الراهب | ٢٨ | ذكر عماته ﷺ | ٥٨ |
| ذكر رعيه الغنم ﷺ | ٣٠ | ذكر أزواج النبی ﷺ | ٥٨ |
| ذكر خروجه ﷺ إلى الشام مرة أخرى | ٣٠ | ذكر سرارى رسول الله ﷺ | ٥٩ |
| ذكر تزويج رسول الله ﷺ خديجة | ٣١ | ذكر أولاده ﷺ | ٥٩ |
| ذكر علامات النبوة فى رسول الله ﷺ | | الإناث من أولاده ﷺ | ٥٩ |
| قبل أن يوحى إليه | ٣٢ | ذكر موالى رسول الله ﷺ | ٦٠ |
| ذكر بدء الوحي | ٣٣ | ذكر موليات رسول الله ﷺ | ٦٠ |
| ذكر كيفية إتيان الوحي إليه ﷺ | ٣٥ | ذكر مراكزه ﷺ | ٦٠ |
| ذكر رمى الشياطين بالشهب لمبعثه | ٣٦ | ذكر صفة رسول الله ﷺ | ٦١ |
| ذكر اعتراف أهل الكتاب بنبوته ﷺ | ٣٧ | ذكر حسن خلقه ﷺ | ٦٦ |
| ذكر بدء دعاء رسول الله ﷺ الناس إلى الاسلام | ٣٨ | ذكر نواضعه ﷺ | ٦٦ |
| ذكر طرف من معجزاته ﷺ | ٣٨ | ذكر حياته ﷺ | ٦٧ |
| ذكر طرف من أخباره بالغائبات ﷺ | ٤١ | ذكر شفقتهم ومداراتهم ﷺ | ٦٧ |
| | | ذكر مزاحه ومداعبته ﷺ | ٦٩ |

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|--------|--|--------|---|
| ٩٠ | ذكر أولاده <small>عليه السلام</small> | ٦٩ | ذكر كرمه وجوده <small>عليه السلام</small> |
| ٩١ | سياق أفعاله الجميلة <small>عليه السلام</small> | ٧٠ | ذكر شجاعته <small>عليه السلام</small> |
| ٩٢ | سياق جمل من فضائله ومناقبه <small>عليه السلام</small> | ٧٠ | ذكر فضله على الأنبياء وعلو قدره <small>عليه السلام</small> |
| ٩٦ | ذكر خلافة أبي بكر <small>عليه السلام</small> | ٧٢ | ذكر مثله ومثل الأنبياء من قبله <small>عليه السلام</small> |
| | سياق طرف من خطبه ومواعظه وكلامه <small>عليه السلام</small> | ٧٣ | ذكر مثله ومثل ما بعثه الله به <small>عليه السلام</small> |
| ٩٨ | <small>عليه السلام</small> | ٧٣ | ذكر مشى الملائكة من ورائه <small>عليه السلام</small> |
| ٩٩ | ذكر مرض أبي بكر ووفاته <small>عليه السلام</small> | | ذكر وجوب تقديم محبته على النفس |
| ١٠١ | أبو حفص عمر بن الخطاب <small>عليه السلام</small> | ٧٣ | والولد والوالد <small>عليه السلام</small> |
| ١٠١ | ذكر سبب إسلامه <small>عليه السلام</small> | | ذكر تعظيم الصحابة للنبي <small>عليه السلام</small> |
| ١٠٣ | ذكر صفة عمر <small>عليه السلام</small> | ٧٣ | وحبهم إياه |
| ١٠٣ | ذكر أولاده <small>عليه السلام</small> | ٧٤ | ذكر عبادة رسول الله <small>عليه السلام</small> واجتهاده |
| ١٠٤ | ذكر نزول القرآن بموافقة <small>عليه السلام</small> | ٧٦ | ذكر عيشه وفقره <small>عليه السلام</small> |
| ١٠٤ | ذكر جملة من مناقبه وفضائله <small>عليه السلام</small> | ٧٨ | ذكر عدد غزواته وسراياه <small>عليه السلام</small> |
| ١٠٥ | ذكر خلافته <small>عليه السلام</small> | ٧٨ | ذكر فصاحته <small>عليه السلام</small> |
| ١٠٥ | ذكر اهتمامه برعيته <small>عليه السلام</small> | ٧٩ | ومن كلامه المنقن وأمثاله العجبية <small>عليه السلام</small> |
| ١٠٦ | ذكر زهده <small>عليه السلام</small> | ٨٢ | ذكر وفاته <small>عليه السلام</small> |
| ١٠٧ | ذكر تواضعه <small>عليه السلام</small> | | ذكر إعلام أبي بكر الناس بموت |
| ١٠٧ | ذكر خوفه من الله عز وجل وبكائه <small>عليه السلام</small> | ٨٥ | رسول الله <small>عليه السلام</small> |
| ١٠٧ | ذكر تعبده <small>عليه السلام</small> | ٨٦ | ندب فاطمة عليها السلام عليه <small>عليه السلام</small> |
| ١٠٧ | ذكر نبذه من كلامه ومواعظه <small>عليه السلام</small> | ٨٦ | ذكر مبلغ سنه <small>عليه السلام</small> |
| ١٠٨ | ذكر وفاته <small>عليه السلام</small> | ٨٦ | ذكر غسل رسول الله <small>عليه السلام</small> |
| ١١٠ | أبو عبد الله عثمان بن عفان <small>عليه السلام</small> | ٨٧ | ذكر موضع قبره <small>عليه السلام</small> |
| ١١١ | ذكر صفته <small>عليه السلام</small> | ٨٧ | ذكر الصلاة عليه <small>عليه السلام</small> |
| ١١١ | ذكر أولاده <small>عليه السلام</small> | | ذكر بلوغ سلام أمته إليه ورد السلام |
| ١١١ | ذكر جملة من فضائله <small>عليه السلام</small> | ٨٨ | على من يسلم عليه <small>عليه السلام</small> |
| | ذكر تنبيه الرسول <small>عليه السلام</small> عثمان على ما | | ذكر المشهورين بالعلم والزهد والتعبد |
| ١١٢ | سبجى عليه <small>عليه السلام</small> | ٨٩ | من أصحاب رسول الله <small>عليه السلام</small> ... |
| ١١٣ | ذكر أفعاله الجميلة وطاعاته <small>عليه السلام</small> | ٨٩ | أبو بكر الصديق <small>عليه السلام</small> |
| ١١٤ | ذكر خلافته <small>عليه السلام</small> | ٨٩ | ذكر اسمه ونسبه |
| ١١٤ | ذكر مقتله <small>عليه السلام</small> | ٨٩ | ذكر صفته <small>عليه السلام</small> |
| ١١٥ | ذكر ثناء الناس عليه <small>عليه السلام</small> | ٩٠ | ذكر تقدم إسلامه <small>عليه السلام</small> |

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|--------|------------------------------------|--------|--|
| ١٤٩ | عبد الله بن مسعود | ١١٥ | أبو الحسن علي بن أبي طالب <small>عليه السلام</small> |
| ١٥٩ | المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك | ١١٥ | ذكر صفته <small>عليه السلام</small> |
| ١٦٠ | خباب بن الارت بن جندلة | ١١٦ | ذكر أولاده <small>عليه السلام</small> |
| ١٦٢ | صهيب بن سنان | ١١٦ | ذكر ارتقائه منكب رسول الله <small>عليه السلام</small> <small>عليه السلام</small> |
| ١٦٢ | عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق | | ذكر محبة الله عز وجل له ومحبة |
| ١٦٣ | بلال بن رباح مولى أبي بكر | ١١٦ | رسول الله <small>عليه السلام</small> <small>عليه السلام</small> |
| ١٦٦ | أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد | ١١٧ | ذكر أخاء النبي <small>عليه السلام</small> عليا <small>عليه السلام</small> |
| ١٦٦ | الأرقم بن أبي الأرقم | ١١٧ | ذكر جمل من مناقبه <small>عليه السلام</small> |
| ١٦٦ | عمار بن ياسر | ١١٨ | ذكر زهده <small>عليه السلام</small> |
| ١٦٨ | زيد بن الخطاب أخو عمر | ١١٩ | ذكر ورعه <small>عليه السلام</small> |
| ١٦٩ | عامر بن ربيعة بن مالك | ١٢٠ | كلمات منتخبة من كلامه ومواعظه <small>عليه السلام</small> |
| ١٦٩ | عثمان بن مظعون | ١٢٤ | ذكر مقتله <small>عليه السلام</small> |
| ١٧١ | عبد الله بن سهيل بن عمرو | | أبو محمد طلحة بين عبيد الله بن عثمان |
| ١٧١ | سعد بن معاذ | ١٢٥ | ابن عمرو بن كعب <small>عليه السلام</small> |
| ١٧٣ | عاصم بن ثابت بن قيس | ١٢٨ | أبو عبد الله الزبير بن العوام <small>عليه السلام</small> |
| ١٧٤ | أبو الهيثم بن التيهان | ١٣١ | أبو محمد بن عبد الرحمن بن عوف <small>عليه السلام</small> |
| ١٧٤ | قتادة بن النعمان بن زيد | ١٣٣ | أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص <small>عليه السلام</small> |
| ١٧٥ | عبد الله بن طارق | | أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن |
| ١٧٥ | معن بن عدى | ١٣٦ | نفيل <small>عليه السلام</small> |
| | أبو عقيل عبد الرحمن بن عبد الله بن | | أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح |
| ١٧٥ | ثعلبة | ١٣٧ | <small>عليه السلام</small> |
| ١٧٦ | سعد بن خيثمة بن الحارث | | فمن الطبقة الأولى على السابقة فى |
| | أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب | | الإسلام ممن شهد بدرا من المهاجرين |
| ١٧٦ | الأنصارى | | والأنصار وحلفائهم ومواليهم |
| ١٧٧ | حارثة بن النعمان بن نقيع الأنصارى | ١٤٠ | حمزة بن عبد المطلب <small>عليه السلام</small> |
| ١٧٨ | معاذ ابن عفراء | ١٤٣ | زيد بن حارثة بن شراحيل |
| ١٧٩ | أبي بن كعب بن قيس بن عبيد | ١٤٥ | سالم مولى أبي حذيفة |
| ١٨٠ | أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود | ١٤٥ | عبد الله بن جحش |
| ١٨٢ | سعد بن الربيع بن عمرو | ١٤٦ | عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب |
| ١٨٢ | عبد الله بن رواحة | ١٤٧ | مصعب بن عمير |
| ١٨٤ | أبو دجانة سماك بن خرشة | ١٤٩ | عمير بن أبي وقاص، أخو سعد |

| الموضوع | الصفحة | الموضوع | الصفحة |
|---|--------|--|--------|
| عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة | ١٨٤ | عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام | |
| عمير بن الحمام | ١٨٥ | السلمي | ٢٤٦ |
| قطبة بن عامر بن حديدة | ١٨٥ | أبو قتادة الحارث بن ربعي | ٢٤٨ |
| معاذ بن جبل | ١٨٥ | جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام | ٢٤٨ |
| أسيد بن حضير بن سماك | ١٩١ | زيد بن الدثنة بن معاوية | ٢٤٩ |
| سعد بن عباد | ١٩١ | ومن الطبقة الثالثة | |
| البراء بن معرور بن صخر بن خنساء | ١٩٢ | من المهاجرين والأنصار ممن شهد | |
| ومن الطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار | | الخنديق وما بعدها | |
| العباس بن عبد المطلب | ١٩٣ | خالد بن الوليد <small>رضي الله عنه</small> | ٢٥٠ |
| جعفر بن أبي طالب | ١٩٥ | عبد الله بن عمرو بن العاصي | ٢٥٢ |
| أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب | ١٩٨ | سعيد بن عامر بن حذيم | ٢٥٤ |
| أسامة بن زيد بن حارثة | ١٩٨ | أبو جندل بن سهيل بن عمرو | ٢٥٧ |
| سلمان الفارسي <small>رضي الله عنه</small> | ١٩٩ | عياض بن غنم بن زهير | ٢٥٨ |
| أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس | ٢١١ | ثوبان (مولى رسول الله <small>صلوات الله عليه</small>) | ٢٥٩ |
| ياسر بن عامر بن مالك | ٢١٤ | سفينة (مولى رسول الله <small>صلوات الله عليه</small>) | ٢٥٩ |
| عبد الله بن عمر بن الخطاب | ٢١٤ | الحكم بن عمرو بن مجداع | ٢٦٠ |
| عمرو ابن أم مكتوم | ٢٢٢ | جندع بن ضمرة الضمري | ٢٦٠ |
| أبو ذر جندب بن جنادة | ٢٢٣ | وائل بن الأسقع | ٢٦١ |
| الطفيل بن عمرو بن طريف الدرسي | ٢٢٩ | معاوية بن معاوية الليثي العلاني | ٢٦٢ |
| ضماد الأزدي | ٢٣٠ | ذو البجادين | ٢٦٢ |
| أبو رهم كلثوم بن الحصين الغفاري | ٢٣١ | عبد الله بن مغفل | ٢٦٣ |
| وهب بن قابوس المزني | ٢٣١ | عمران بن حصين بن عبيد | ٢٦٤ |
| حنظلة بن أبي عامر الراهب | ٢٣٢ | سلمة بن الأكوع | ٢٦٥ |
| حذيفة بن اليمان | ٢٣٣ | ربيع بن كعب الأسلمي | ٢٦٥ |
| أبو الدحداح ثابت بن الدحداح | ٢٣٥ | أبو هريرة | ٢٦٦ |
| خبيب بن عدي بن مالك | ٢٣٦ | العلاء بن الحضرمي | ٢٧٠ |
| أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد | ٢٣٧ | عمير بن سعد بن عبيد | ٢٧١ |
| البراء بن مالك | ٢٣٨ | خزيمة بن ثابت بن ثابت | ٢٧٣ |
| ثابت بن قيس بن شماس | ٢٣٩ | زيد بن ثابت بن الضحاك | ٢٧٤ |
| أبو الدرداء | ٢٤٠ | أبو جهم عبد الله بن الحارث بن الصمة | |
| | | الأنصاري | ٢٧٦ |

| الموضوع | الصفحة | الموضوع | الصفحة |
|--|--------|--|--------|
| شدداد بن أوس بن ثابت بن المنذر | ٢٧٦ | ذكر تعبدها واجتهادها <small>رضي الله عنها</small> | ٣١٩ |
| أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم | ٢٧٧ | ذكر طرف من مواعظها وكلامها | ٣١٩ |
| أبو سعيد الخدري | ٢٧٩ | ذكر غزاة عليا <small>رضي الله عنه</small> | ٣١٩ |
| قيس بن سعد بن عبادة | ٢٧٩ | ذكر فصاحتها <small>رضي الله عنها</small> | ٣٢٠ |
| عبد الله بن سلام | ٢٨١ | ذكر وفاة عائشة <small>رضي الله عنها</small> | ٣٢١ |
| جليب الصحابي | ٢٨٢ | حفصة بنت عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنها</small> | ٣٢٢ |
| ومن الطبقة الرابعة | | أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية | ٣٢٣ |
| ممن أسلم عند الفتح وفيما بعد ذلك | | أم حبيبة واسمها رملة <small>رضي الله عنها</small> | ٣٢٤ |
| حكيم بن حزام بن خويلد | ٢٨٤ | زينب بنت جحش بن رثاب <small>رضي الله عنها</small> | ٣٢٧ |
| شيبه بن عثمان بن أبي طلحة | ٢٨٥ | جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار <small>رضي الله عنها</small> | ٣٢٨ |
| عكرمة بن أبي جهل | ٢٨٦ | صفية بنت حيى بن أخطب <small>رضي الله عنها</small> | ٣٢٩ |
| سهيل بن عمرو | ٢٨٦ | أم شريك <small>رضي الله عنها</small> | ٣٣٠ |
| أبو أمامة الباهلي | ٢٨٧ | فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد | |
| لبيد بن ربيعة بن مالك | ٢٨٩ | مناف <small>رضي الله عنها</small> | ٣٣١ |
| تميم بن أوس بن خارجة بن سويد الداري | ٢٨٩ | أم أيمن واسمها بركة <small>رضي الله عنها</small> | ٣٣١ |
| جرير بن معبد الله البجلي | ٢٩٠ | أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط <small>رضي الله عنها</small> | ٣٣٢ |
| حممة | ٢٩١ | الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد | |
| حدير | ٢٩٢ | ابن عبد العزى <small>رضي الله عنه</small> | ٢٩٣ |
| ومن الطبقة الخامسة | | أسماء بنت أبي بكر الصديق <small>رضي الله عنها</small> | ٢٩٣ |
| عبد الله بن العباس بن عبد المطلب | ٢٩٤ | سمية بنت خباط <small>رضي الله عنها</small> | ٣٣٤ |
| الحسن بن علي بن أبي طالب | ٢٩٩ | فاطمة بنت الخطاب <small>رضي الله عنها</small> | ٣٣٤ |
| الحسين بن علي بن أبي طالب | ٣٠١ | أم رومان بنت عامر <small>رضي الله عنها</small> | ٣٣٤ |
| عبد الله بن الزبير بن العوام | ٣٠٢ | أم الفضل <small>رضي الله عنها</small> | ٣٣٥ |
| المصور بن مخزومة بن نوفل | ٣٠٥ | أسماء بن عميس <small>رضي الله عنها</small> | ٣٣٥ |
| المصطفيات من طبقات الصحابييات <small>رضي الله عنهن</small> | | أم عمارة واسمها نسيبة <small>رضي الله عنها</small> | ٣٣٦ |
| أم المؤمنين خديجة بنت خويلد <small>رضي الله عنها</small> | ٣٠٧ | أم سليط الأنصارية <small>رضي الله عنها</small> | ٣٣٧ |
| فاطمة بنت رسول الله <small>عليها السلام</small> | ٣٠٨ | أم سليم بنت ملحان بن خويلد بن زيد | |
| عائشة بنت أبي بكر الصديق <small>رضي الله عنها</small> | ٣١١ | ابن حرام <small>رضي الله عنه</small> | ٣٣٧ |
| حديث الإفك | ٣١٤ | أم حرام بنت ملحان <small>رضي الله عنها</small> | ٣٤٠ |
| ذكر نبذة من كرمها وزهدها | ٣١٨ | عفراء بنت عبيد بن ثعلبة <small>رضي الله عنها</small> | ٣٤١ |
| ذكر نبذة من خوفها من الله عز وجل | ٣١٨ | الربيع بنت معوذ ابن عفراء <small>رضي الله عنها</small> | ٣٤١ |

| الموضوع | الصفحة | الموضوع | الصفحة |
|--|--------|--|--------|
| أم عطية الأنصارية <small>رضي الله عنها</small> | ٣٤١ | أبو عمرو بن حماس | ٣٧٥ |
| أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث <small>رضي الله عنه</small> | ٣٤١ | ومن الطبقة الرابعة من أهل المدينة | |
| اليمنية <small>رضي الله عنها</small> | ٣٤٢ | محمد بن مسلم بن شهاب الزهري | ٣٧٦ |
| ذكر المصطفين من التابعين ومن بعدهم | | محمد بن المنكدر | ٣٧٨ |
| على طبقاتهم في بلداتهم | | عمر بن المنكدر | ٣٨٠ |
| ذكر المصطفين من طبقات أهل المدينة | | سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف | ٣٨١ |
| من التابعين ومن بعدهم | | عبد الرحمن بن أبيان بن عثمان بن عفان | ٣٨٢ |
| فمن الطبقة الأولى | | ربيعة بن أبي عبد الرحمن | ٣٨٢ |
| محمد بن علي بن أبي طالب | ٣٤٤ | صفوان بن سليمان الزهري | ٣٨٤ |
| سعيد بن المسيب بن حزن | ٣٤٦ | أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج | ٣٨٦ |
| سليمان بن يسار | ٣٤٧ | ومن الطبقة الخامسة من أهل المدينة | |
| ومن الطبقة الثانية من أهل المدينة | | جعفر بن محمد علي بن الحسين | ٣٩١ |
| عروة بن الزبير بن العوام | ٣٤٩ | محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب | ٣٩٤ |
| القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق | ٣٥١ | مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير | ٣٩٥ |
| سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب | ٣٥٢ | ومن الطبقة السادسة من أهل المدينة | |
| أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام من المغيرة | ٣٥٣ | الإمام مالك بن أنس | ٣٩٦ |
| علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب | ٣٥٣ | ومن الطبقة السابعة من أهل المدينة | |
| عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود | ٣٥٨ | عبد الله بن عبد العزيز العمري | ٣٩٨ |
| بسر بن سعيد مولى الحضرميين | ٣٥٩ | موسى بن جعفر بن محمد بن علي | ٣٩٩ |
| عكرمة مولى عبد الله بن عباس | ٣٥٩ | ذكر المصطفين من عباد المدينة | |
| زياد بن أبي زياد | ٣٦٠ | الذين لم تعرف أسماؤهم | ٤٠٢ |
| ومن الطبقة الثالثة من أهل المدينة | | ومن عقلاء المجانين بالمدينة | |
| علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب | ٣٦١ | أبو نصر المصاب | ٤٠٧ |
| أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين | | ذكر المصطفيات من عابدات المدينة | |
| ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام | ٣٦١ | فمن المعروفات | |
| عمر بن عبد العزيز بن مروان | ٣٦٤ | مليلة بنت المنكدر | ٤٠٩ |
| عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز | ٣٧١ | فاطمة بنت محمد بن المنكدر | ٤٠٩ |
| عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام | ٣٧٣ | ومن المجهولات الأسماء | ٤٠٩ |
| أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم | ٣٧٤ | | |
| محمد بن كعب القرظي | ٣٧٤ | | |

الموضوع

الصفحة

الموضوع

الصفحة

ذكر المصطفين من طبقات أهل مكة من
التابعين ومن بعدهم

فمن الطبقة الأولى

عبيد بن عمير بن قتادة الليثي

ومن الطبقة الثانية

مجاهد بن جبير

عطاء بن أبي رباح

عبد الله بن عبيد بن عمير

ومن الطبقة الثالثة من أهل مكة

عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج

محمد بن طارق المكي

عثمان بن أبي دهرش المكي

وهيب بن الورد بن أبي الورد

ومن الطبقة الرابعة

عبد العزيز بن أبي رواد

زمنة بن صالح المكي

ومن الطبقة الخامسة

سفيان بن عيينة بن أبي عمران

الفضيل بن عياض التميمي

علي بن الفضيل بن عياض

الإمام الشافعي رحمته الله

ممن بعد هؤلاء من الطبقات

أبو غياث المكي مولى جعفر بن محمد

أبو جعفر المزين الكبير

أبو الحسن علي بن محمد المزين الصغير

أبو القاسم سعد بن علي بن محمد

الزنجاني

ذكر المصطفين من عباد كانوا بمكة

لم نعرف أسماؤهم

ذكر المصطفيات من عبادات مكة

حكيمه المكية

نقيش بنت سالم

عائشة المكية

ابنة أبي الحسن المكي

ذكر المصطفيات من عابدات مكة

المجهولات الأسماء

ومن المصطفين من أهل الطائف

سعيد بن السائب الطائفي

ذكر المصطفين من طبقات أهل اليمن

من التابعين ومن بعدهم

فمن الطبقة الثانية

طاوس بن كيسان

وهب بن منبه

المغيرة بن حكيم الصنعاني

الحكم بن أبان العدني أبو عيسى

ضرغام بن وائل الحضرمي

ذكر المصطفين من عباد اليمن

المجهولين الأسماء

ذكر المصطفيات من عابدات اليمن

خنساء بنت خدام

سوية

ومن عبادات اليمن المجهولات

الأسماء

ذكر المصطفين من أهل بغداد

أبو هاشم الزاهد

أسود بن سالم

منصور بن عمار بن كثير

ولد الرشيد المعروف بالسبتى

عبد الله بن مرزوق أبو محمد

عبد الله بن الفرج

معروف بن الفيروزان الكرخي

بشر بن الحارث الحافى

| الموضوع | الصفحة | الموضوع | الصفحة |
|---|--------|--------------------------------------|--------|
| الإمام أحمد بن حنبل | ٤٨٨ | يحيى الجلاء | ٥١٥ |
| محمد بن مصعب أبو جعفر الدعاء | ٤٨٩ | أبو إبراهيم السائح | ٥١٦ |
| سعيد بن وهب أبو عثمان | ٤٨٩ | إسماعيل بن يوسف الديلمي | ٥١٦ |
| يحيى بن أيوب أبو زكريا | ٤٩٠ | زكريا بن يحيى بن عبد الملك | ٥١٧ |
| سريج بن يونس | ٤٩٠ | أبو بكر الرقاق | ٥١٧ |
| أحمد بن نصر الخزازي | ٤٩١ | أبو يعقوب الزيات | ٥١٨ |
| أبو محمد الطيب بن إسماعيل بن إبراهيم الذهلي | ٤٩٢ | الجنيد بن محمد بن الجعيد | ٥١٨ |
| مسرور بن أبي عوانة | ٤٩٣ | الحسن بن علي أبر على المسوحى | ٥٢٣ |
| الحارث بن أسد المحاسبى أبو عبد الله | ٤٩٣ | أحمد بن إبراهيم بن أيوب المسوحى | ٥٢٣ |
| عبد الوهاب بن عبد الحكم | ٤٩٤ | سمون بن حمزة | ٥٢٣ |
| السرى بن المغلس السقطى | ٤٩٥ | إبراهيم بن سعد أبو إسحاق العلوى | ٥٢٥ |
| علي بن الموفق أبو الحسن العابد | ٥٠٣ | أبو إسحاق إبراهيم الأجرى الصغير | ٥٢٧ |
| أبو شعيب البرائى العابد | ٥٠٤ | أبو نصر المحب | ٥٢٨ |
| أبو عبد الله بن أبي جعفر البرائى | ٥٠٤ | أبو سعيد الخراز | ٥٢٨ |
| أبو جعفر المحولى | ٥٠٥ | أبو الحسين النووى | ٥٣٠ |
| إبراهيم الأجرى الكبير | ٥٠٥ | عمرو بن عثمان المكى | ٥٣١ |
| أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الرحمن القنطرى | ٥٠٥ | رويم بن أحمد | ٥٣١ |
| أبو جعفر بن السماك العابد | ٥٠٦ | أبو عبد الله بن الجلاء | ٥٣٢ |
| أيوب الحمال | ٥٠٦ | أبو العباس بن عطاء | ٥٣٣ |
| محمد بن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن بن عبد الصمد | ٥٠٧ | علي بن محمد بن بشار الزاهد | ٥٣٤ |
| أخوه أحمد بن محمد بن أبي الورد | ٥٠٨ | أبو محمد الحريرى | ٥٣٤ |
| الحسن الفلاس | ٥٠٨ | بنان بن محمد بن حمدان الحمال | ٥٣٥ |
| محمد بن منصور الطوسى | ٥٠٩ | أبو علي الحسين بن صالح بن خيران | ٥٣٦ |
| محمد السمين | ٥٠٩ | خير بن عبد الله أبو الحسين النساج | ٥٣٧ |
| زهير بن محمد بن قمير | ٥١٠ | أبو علي الروذبان | ٥٣٩ |
| إبراهيم بن هانئ | ٥١٠ | محمد بن علي بن جعفر الكنانى | ٥٣٩ |
| فتح بن شحرف بن داود | ٥١١ | أبو بكر الشبلى | ٥٤٠ |
| أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربى | ٥١٢ | أبو أحمد المغازلى | ٥٤٣ |
| | | عيسى بن إسحاق بن موسى | ٥٤٣ |
| | | أبو محمد عبد الله بن محمد النيسابورى | ٥٤٣ |
| | | أبو جعفر المجذوم | ٥٤٤ |

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|--------|--|--------|-----------------------------------|
| ٥٦٣ | عبد الرهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطي | ٥٤٥ | عباس بن المهتدي أبو الفضل |
| | ذكر المصطفين من عباد بغداد | ٥٤٦ | خزرج بن علي بن العباس |
| ٥٦٤ | المجهولين الأسماء | ٥٤٦ | أبو إسحاق إبراهيم بن حماد الأزدي |
| | ذكر المصطفين من عقلاء المجانين | ٥٤٦ | أحمد بن سليمان بن الحين النجاد |
| | ببغداد | ٥٤٧ | جعفر بن محمد بن نصير الخلدي |
| ٥٧٠ | سعدون المجنون | ٥٤٧ | جعفر بن حرب |
| ٥٧٢ | بهلول | ٥٤٨ | أبو بكر محمد بن سعيد الحربي |
| ٥٧٣ | مجنون آخر يقال له أبو علي المعتوه | ٥٤٨ | أبو بكر محمد بن حسين الأجرى |
| | ذكر المصطفيات من عابدات بغداد | ٥٤٩ | يوسف بن عمرو بن مسرور |
| ٥٧٥ | جوهرة العابدة البراثية | ٥٤٩ | محمد بن أحمد بن إسماعيل |
| ٥٧٥ | زوجه أبي شعيب البراثي العابد | ٥٥٢ | عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق |
| ٥٧٦ | أخوات بشر الحافي | ٥٥٤ | عثمان بن عيسى أبو عمر الباقلوي |
| ٥٧٧ | امراة عبد الله بن الفرج العابد | ٥٥٦ | بكر بن شاذان بن بكر أبو القاسم |
| | ميمونة أخت إبراهيم بن أحمد الخراس | ٥٥٦ | عبيد الله بن أحمد بن محمد الفرضي |
| ٥٧٨ | لأمه | | أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد |
| ٥٧٨ | مؤمنة بنت بهلول | ٥٥٧ | الرحمن بن سعد الأبيوري |
| ٥٧٨ | أم عيسى بنت إبراهيم الحربي | ٥٥٨ | أبو الحسن علي بن عمر الحربي |
| | أمة الواحد بنت القاضي أبي عبد الله | ٥٥٩ | أبو بكر محمد بن عبد الله الدينوري |
| ٥٧٨ | الحسين بن إسماعيل المعاملي | ٥٥٩ | طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري |
| | ذكر المصطفيات من العابدات | ٥٦١ | أبو الحسن البرادني |
| ٥٧٩ | العابدات المجهولات الأسماء | ٥٦١ | أبو بكر أحمد بن علي العلبي |
| ٥٨٣ | فهرس الموضوعات | ٥٦١ | أبو المعالي الرجل الصالح |
| | | ٥٦٢ | أخو جمادى |